

المجلد 108

1

موسوعة فصلية تعنى بالآثار والتراث تصدرها أكاديمية الكوفة في هولندا
السنة السابعة والعشرون / 2015م - المجلد 108

صاحبها ورئيس تحريرها
محمّد سعيد الطريحي

فاطمة الزهراء ع
سيدة النساء



مؤتمرات الزهراء الدولية
القسم الأول





الإهداء

أهدي الكتاب إلى النبي الهادي ... وإلى الوصي وآله الأمجادِ

وإليك يا فخر العوالم فاطم ... أم الأئمة علَّة الإيجادِ

وإلى البتولة مريم مَنْ أنْجَبَت ... بمشيئةِ الله المسيح الفادي

فَضلٌ لبضعة (أحمد) لا ينْقَضي ... باقٍ مدى الأزمان والآمادِ

نورٌ لسيدة النساء بطيِّه ... نور النبوة بَانَ لِلوُفَّادِ

يا عِتْرَةَ الزهراء ما لي غيركم ... أنتم أهيل محبتي ووِدادي

يا آل بيت المصطفى بوِلاكُمُ ... نيل المُنَى يا كعبة القُصَّادِ

لا أرتجي إلاَّ القبول وسيلة ... تشفي غليل حشاشتي وفؤادي

M. S. Schrijveer

AMSTERDAM: CONCERT-GEBOUW



موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي



أكاديمية الكوفة
هولندا

المراسلات

KUFA ACADEMY

P.O.Box 1113

3260 AC Oud-beijerland - The Netherlands

e-mail: mawsem7@gmail.com

www.almawsem.org



مسجلة لدى المكتبة الملكية لاهاي : ISSN: 978-90-823280-4-2

فهرس

❖ أول الموسم: مؤتمرات الزهراء (ع)

صوت الحق من النجف الأشرف........ محمد سعيد الطريحي ١١

❖ أيها المسلمون.. لنجتمع معاً تحت لواء الزهراء (ع): كلمة سماحة السيد مقتدى الصدر في افتتاح مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الأول ١٣

❖ إلى ضيوف الزهراء (ع): الكلمة الترحيبية التي وجهها سماحة السيد مقتدى الصدر إلى ضيوف مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الأول ١٦

❖ السيدة الزهراء (ع) عطر النبوة ومصدر الوحدة: كلمة الشيخ د. علي سميسم في افتتاحية مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الأول ٦٥

❖ الحقيقة غايتنا والوحدة الإسلامية هدفنا: الكلمة الترحيبية لسماحة السيد مقتدى الصدر للوفود والضيوف الأكارم في افتتاح مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الثاني ٦٧

❖ الإسلام هو الحاضنة الكبرى لكافة المذاهب الإسلامية: كلمة سماحة السيد مقتدى الصدر في مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الثاني.......................... ٦٨

❖ أدلة عصمة الزهراء (ع) من النص القرآني

.... د. صادق فوزي النجادي

.... د. عدنان كاظم مهدي ٧٠

❖ دروس وعبر تربوية في سيرة الزهراء (ع)

.... د. آمال غالي العيساوي ٩٥

❖ أثر السيدة الزهراء (ع) في الحياة الفكرية (مروياتها الفقهية أنموذجاً) .... د. جبّار محمد هاشم الموسوي

.... د. أمل سهيل عبد الحسيني ١١٨

❖ مناقب فاطمة بنت رسول الله (ص) للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المصري (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ/ ١٣٣٥ ـ ١٤٠٥م)
.... تقديم محمد سعيد الطريحي.. ١٤١
❖ السيدة فاطمة البتول (رض) والزهد في الدنيا
.... د. تكليف لطيف رزج الدليمي
.... د. فاضل محمد كمبوع ١٥١
❖ المرأة المسلمة بين الانقياد والتحرّر في ضوء المثول لسيرة السيدة البتول (ع) .... د. زينب السلطاني
.... د. بان الراوي........................ ١٦٣
❖ الرأي المعقول في تحديد قبر فاطمة الزهراء (ع) البتول
.... أ. د. حسن الحكيم ١٨٠
❖ مقام السيدة فاطمة (ع) في السنة النبوية
.... د. جواد كاظم النصر الله
.... انتصار عدنان العواد............ ١٨٧
❖ فاطمة الزهراء (ع) سمو المعنى في سمو المثل
.... د. حسن طاهر ملحم ٢٦٦
❖ السيدة الزهراء (ع): قراءة في ضوء المناهج المعاصرة
.... الشيخ حسن كريم ماجد الربيعي .. ٢٨٨
❖ السيدة فاطمة الزهراء وأحقيـّتُها في الإرث
.... أ. م. د حسين عبد العال اللهيبي ... ٢٩٨
❖ فاطمة الزهراء (ع) في النص القرآني – آية المباهلة أنموذجاً –
.... د. صالح جبار القرشي ٣١٥
❖ الإمامة في مرويات الزهراء (سلام الله عليها)
.... م. د. كريم شاتي السراجي ٣٣١
❖ السيّدة فاطمة الزهراء (ع) في التراث الحضاري الإسلامي
.... د. الشيخ مخلص أحمد الجدة .. ٣٤٤

❖ فاطمة الزهراء (ع) في رؤى الإمام علي (ع)
.... د. محمد نعمة طاهر الصريفي ... ٣٥٨
❖ مناقب سيدة النساء فاطمة الزهراء
الشريف الشيخ المصطفي ولد الشيخ الطالب أخيار... ٣٦٥
❖ مقتبسات من التراث الفكري للزهراء (ع): دراسة موضوعية
.... م.د. مياس ضياء باقر القزويني ...٣٧١
❖ الطفولة وحقوق الطفل عند فاطمة الزهراء (ع)
.... أ. م. د. هاشمية حميد جعفر.... ٣٨٠
❖ الكتب المؤلفة في السيدة الزهراء (ع) ٣٨٧
❖ من فضائل الزهراء (ع) ٤١٢
❖ فضة: دراسة تحليلية لسيرة الصديقة الزهراء من نافذة خادمتها
.... كريم جهاد الحسّاني ٤١٥
❖ فاطمة الزهراء(ع) ومصحفها: أصله، حقيقته ورد الافتراءات عليه
.... د. إسماعيل طه الجابري
.... محمد إياد جواد هبة الدين..... ٤٤٧
❖ مصحف السيدة فاطمة الزهراء (ع): (دراسة تحليلية)
.... م. د. حيدر لفته مال الله
.... م. د. نبيل جواد الخاقاني ٤٥٩
❖ مصحف السيدة فاطمة (ع): (دراسة تاريخية)
.... أ. م. د. عماد هادي عبد علي
.... م. د. وسيم عبود عطية ٤٧٤
❖ صورة الزهراء فاطمة في قصيدة (مدح فاطمة الزهراء)
للشاعر محمد إقبال .... م.د بشار نديم أحمد الباججي.... ٤٨٤
❖ أين تكمن قيمة المطالبة بفدك أمام عظمة الزهراء (ع)
.... م. م علي إبراهيم الموسوي
.... د. هناء كاظم خليفة.......... ٤٩٥
❖ الزهراء في الشعر العربي ٥٠٩

❖ مظلومية فاطمة (ع) بين سقيفة وفدك
.... م. م سعد طعمه بليل الخفاجي ٥١٧
❖ الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) والموسوعة الروسية العلمية
(الأنسكلوبيديا) .... محمد عبد علي حسين القزاز .. ٥٢٦
❖ مريم العذراء وفاطمة الزهراء محاور لقاء بين المسيحية والإسلام
.... د. لويس صليبا ٥٣٦
❖ فاطمة الزهراء ومريم العذراء (ع) التوافق في المأثرات والخصائص
.... أ. م. د. مهدي حسين التميمي... ٥٥٠
❖ لمسات بيانيّة في الخطبة الفدكيّة .... د. زهير محمّد عليّ الأرناؤوطيّ .. ٥٦٦
❖ المصطلحات العبادية في الخطبة الفدكية د. جاسم محمد علي الغرابي ... ٥٨٤
❖ الخصائص الأسلوبية في خطبة السيدة الزهراء (ع)
.... د. طلال خليفة سلمان ٦٠١
❖ المثال في خطاب الزهراء (ع) .... د. عباس علي الفحام ٦٢٥
❖ حياة الزهراء (ع) بعد أبيها رسول الله (ص)
.... علي موسى الكعبي ٦٣٨
❖ السيدة الزهراء (ع): أم السبطين الحسن والحسين (عليهم السلام)
.... أ. عبد العزيز كاظم البهادلي.... ٧٠٤
❖ للزهراء شذى الكلمات: السيدة الزهراء في الشعر العربي
.... أ. ضياء فرج الله الأسدي........ ٧٣١
❖ الصدّيقة .... سفيان بن مصعب العبدي ٧٣٢
❖ المشهد الأعلى .... السيد الحميري ٧٣٢
❖ فيكم ودادي .... مهيار الديلمي ٧٣٢
❖ الحكم والخصم .... الصاحب بن عبّاد ٧٣٣
❖ سبطا محمّد (ص) .... محمد بن منصور السرخسي ... ٧٣٣
❖ ألمّ بقبرها .... الهبل اليمني.................. ٧٣٤
❖ حزن البتول .... الشيخ صالح الكوّاز ٧٣٤
❖ البغي الزاحف............................ السيد حيدر الحلي ٧٣٥

❖ نقضوا عهد أحمد .... الشيخ كاظم الأزري ٧٣٥
❖ أيدي الحوادث .... الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء .. ٧٣٦
❖ العبرات السخينة .... الشيخ سليمان البلادي البحراني... ٧٣٦
❖ سل أربعاً .... الشيخ حسن الحلّي ٧٣٧
❖ يا باب فاطم لا طُرقتَ بخيفة .... الشيخ محمّد حسن آل سميسم ٧٣٨
❖ رمتها سهام الدهر .... الشيخ حبيب شعبان ٧٣٩
❖ المناقب الغر .... الشيخ حبيب شعبان ٧٤٠
❖ ما بال عينيك .... السيد مهدي الأعرجي ٧٤١
❖ فاطمة جوهرة القدس .... الشيخ محمد حسين الاصفهاني ... ٧٤٢
❖ فضل البتول .... الشيخ عبد الحسين صادق العاملي .. ٧٤٣
❖ الشكوى والدموع .... السيد كاظم الأمين ٧٤٤
❖ يعزّ على الرسول .... الشيخ محمّد علي اليعقوبي ٧٤٤
❖ مولد الزهراء .... السيد محمّد جمال الهاشمي... ٧٤٥
❖ بنت الخلود .... السيد محمّد جمال الهاشمي... ٧٤٦
❖ الصديقة الزهراء .... الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ... ٧٤٧
❖ دموع خلف الابتسام .... أ. عبود الأحمد ٧٤٨
❖ امتداد السنا .... الشيخ ابراهيم النصيراوي ٧٤٩
❖ الزهراء (عليها السلام) .... الدكتور الشيخ أحمد الوائلي ... ٧٥٠
❖ الكوثر النبوي .... أ. بدر الشبيب ٧٥٢
❖ أُم أبيها .... أ. بشار كامل الزين ٧٥٣
❖ شمس المحبوب .... أ. ثامر الوندي ٧٥٤
❖ ثمالة الأمل .... أ. جاسم محمّد الصحيّح ٧٥٦
❖ غصص كالليل .... الشيخ جعفر الهلالي ٧٥٧
❖ أسرار الحزن .... السيد حسين بركة الشامي ٧٥٩
❖ سرٌّ يضيء .... أ. حسين الصالح ٧٥٩
❖ قبس يفيض .... أ. سعيد العسيلي ٧٦٠
❖ رضاه رضاها .... أ. سعيد معتوب الشبيب ٧٦١

❖ علّمينا .... أ. شفيق العبادي ٧٦١
❖ النداء المهيب .... الشيخ عبد المجيد فرج الله ٧٦٣
❖ الطهر الأسمى .... الشيخ عبد الكريم آل زرع ٧٦٧
❖ الصوت المضيء .... الشيخ علي الفرج ٧٦٨
❖ مولد الزهراء .... أ. علي حمدان الرياحي ٧٦٩
❖ مبعث النور .... أ. علي حمدان الرياحي ٧٧٠
❖ غصون الحنايا .... أ. فرات الاسدي ٧٧٠
❖ فاتيما .... أ. فرات الاسدي ٧٧٢
❖ الملكوت الزاهر .... أ. محمّد سعيد الجشي ٧٧٥
❖ في مولد الزهراء .... أ. محمود مهدي ٧٧٦
❖ سيدة النساء .... أ. جابر الجابري ٧٧٧
❖ قطوف طوبى .... السيد مسلم الجابري ٧٧٨
❖ سيد الحزن والكبرياء .... أ. مصطفى المهاجر ٧٨١
❖ منابر الوحي .... السيد منير الخباز ٧٨٢
❖ في ظلال الزهراء .... السيد مهند جمال الدين ٧٨٣
❖ ألق المعاني .... الشيخ نزار سنبل ٧٨٥
❖ جناح النسيم القدسي .... أ. يقين البصري ٧٨٧
❖ خباء النور .... أ. يقين البصري ٧٨٩
❖ من فيوضات السيدة فاطمة الزهراء (ع): مولد الزهراء
.... أ. سلمان هادي الطعمة ٧٩٠
❖ الزهراء أم أبيها ٧٩١
❖ في رحاب الزهراء ٧٩١
❖ أم الإمامة ٧٩٢
❖ برديات فاطميّة .... معروف عبد المجيد ٧٩٣
❖ شعر الزهراء (ع) في رثاء رسول الله (ص)
.... علي بن شاكر الموستاوي جابي زاده .. ٧٩٨

❖ ❖ ❖

أول الموسم

مؤتمرات الزهراء (ع) صوت الحق من النجف الأشرف

وسط ضبابية الأحداث المتلاحقة التي تشهدها منطقتنا في مرحلة فاصلة تُعتبر من أدق مراحلها التأريخية المعاصرة تتصاعد أصوات التعصب وخطابات الكراهية وتعلو أمواج الفتن التي تُنذر بضياع مقدرات الأمة وتهدد مستقبلها، وفي خضمّ هذه الشرور ينبثق صوت الحق من النجف الأشرف بإعلان مؤتمر الزهراء (ع) العالمي للوحدة الإسلامية ، الذي أسسه ورعاه حجة الإسلام والمسلمين السيد مقتدى الصدر، ليقود الخطاب المستنير الذي يستند إلى الكتاب والسنة ويُغْنِي الحوارات بين أبناء المذاهب الإسلامية كافة ، والإنسانية عامة ، ليكون المثال الأنقى لعودة الأمة إلى رشدها ومصداقيتها وثقتها بنفسها .

وقد كان هاجس السيد الصدر ولا يزال، وخاصة في هذه الأوقات العصيبة في تأريخنا ومسيرة وطننا هو الإصلاح والتقارب والالتفاف حول الثوابت والاعتصام بحبل الله تعالى، الذي يجب أن يكون أساساً لحواراتنا مع أنفسنا : عرباً ومسلمين، ومع الغرب والشرق سواء بسواء.

وكان لاختيار اسم الزهراء البتول (ع) أثره المُمَيز في بدء هذه الحوارات واسمراريتها لما تمثله من الإرث النبوي الشريف والعبق العلوي المنيف الذي أنجب شجرة الإمامة القائدة المُمَثَّلَة بأهل البيت (ع) الذين فرض الله علينا طاعتهم ومحبتهم، فهو طوق النجاة كما عبر عنهم الرسول (ص): «مثلُ أهلِ بيتي مثلُ سفينةِ نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلَّفَ عنها غرِق».

واستلهاماً من هذه الروح الوثّابة انطلقت مؤتمرات الزهراء العالمية بمناسبة ذكرى ولادتها في العامين المنصرمين (٢٠١٢ و ٢٠١٣م) وشهدت النجف الأشرف تقاطر الوفود من مختلف بلدان العالم لإحياء هذه الذكرى العظيمة والمشاركة في الحوارات البنّاءة التي انطلقت تلبية لنداء الحق من منابر وأروقة المؤتمر بين كافة المفكرين والعلماء ومن

مختلف المشارب والمذاهب، وتأسيساً على تراث أسرة آل الصدر العريقة التي عُرفت بدورها التوحيدي البنّاء للتقريب بين المذاهب المرتكزة على وحدة العقيدة ووحدة التشريع بما يصون الرسالة السمحة للدين الإسلامي ويحفظ وحدة الأمة وكرامتها.

وقد قُدِّمت للمؤتمر مئات من البحوث والدراسات التي تناولت قضايا الأمة من خلال شخصية الزهراء (ع) في جوانبها المتعددة، وقد كان معظمها محل نقاش وتحاور، فأنتجت فوائد جمة ذات مغزى لتحقيق أهداف المؤتمر، وتحقيقاً لهدف موسوعة الموسم في تبيان الحقائق فقد رأينا ان الواجب يحتم علينا الاختيار مما وصلنا من تلك المواد العلمية ، والاضافة لها ، ونشرها لتكون تحت متناول جميع العاملين للوحدة الإسلامية في العالم ، من الطليعة الواعية التي تعمل من أجل تحفيز العقول المستنيرة ، وتجاوز حالات الاستقطاب والتهميش والإقصاء في مجتمعاتنا، بالاضافة الى الاحتفاء بذكرى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) باستلهام العبر والعظات من سيرتها العطرة ، لتفعيل الإرادة الحرة المسؤولة للشعوب والفهم المشترك للأوليات وضمان الكرامة الإنسانية.

وأخيراً فإننا قد أثبتنا جميع ما وردنا من نصوص الأبحاث على صورتها التي وردتنا فيها بما تضمنته من رؤى وخواطر وتحليلات دونما تغيير أو تصرّف فيها، ليحتفظ كل كاتب بما رآه وليكون وحده المسؤول عما كتبه وذهب إليه، عملاً بحرية الفكر والرأي، كما أن المجال مفتوح لمن يطلب الرد أو التعليق ليستمر الحوار الذي هو الأساس الذي بُنيت عليه هذه المؤتمرات ، على أن نبحث بإخلاص وحسن نية كما أشار السيد الصدر «عن مشتركات تجمعنا مع باقي الأديان، وكمشتركات تجمعنا كمذاهب إسلامية». وسنلتزم بنشر كل ما يردنا ضمن هذا السياق في «الموسم».

وتأسيساً على هذا المبدأ فإننا رأينا أنه من المناسب أن نضيف للبحوث المُختارة من المُؤْتَمَرَيْن بعض ما في أرشيفنا مما ورد في الزهراء (ع) من الإرث الأدبي والفكري الذي يُغْني الباحثين مستقبلاً في تناول سيرتها ومسيرتها بعد الاتكال على الله القويّ العزيز.

حقق الله الأماني بظهور الحق، وهداية الخلق، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

لاهاي

محمد سعيد الطريحي

أيها المسلمون.. لنجتمع معاً تحت لواء الزهراء (ع)

كلمة سماحة السيد مقتدى الصدر (دام عزه) في افتتاح مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على الحضور الكرام ورحمة الله وبركاته

يعيش العالم الإسلامي أجمع وبخصوص العالم العربي منه بالتحديد، صحوة أخرجت الكثير من بلدانهم من حكم الظلم والاستبداد إلى عالم أخر جديد لا نستطيع في أي نحو من الأنحاء أن نصفه بالكمال أو السلام أو الخلاص، فأنه وعلى الرغم من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فإن هذا لا ينطبق على ما حدث في الثورات العربية المباركة لا في تونس ولا في مصر ولا في غيرها مطلقاً، فإن كل تلك الثورات الشعبية المباركة وعلى الرغم من أنها نجحت في مقومات كثيرة كانت أروع ما يمكن الوصول إليه من تضحية وفداء وروح فدائية تكفي للخروج من عنق زجاجة الدكتاتورية والظلم إلا أنها وفي جميع الأماكن اصطدمت بصخرة كبيرة بصخرة أعظم وأكبر، قد أطلق عليها بصورة أولية التفتت العقائدي أو التشتت الإسلامي، فإنه وأن قيل إن اختلاف الرأي لا يفسد في الود قضية، إلا أن الاختلاف في العقيدة قد أدى شيئاً فشيئاً إلى الاختلاف الذي كانت نتيجته رفع الود والغالب في التخالف العقائدي، وبالتالي أدى إلى التكفير الذي لم يقف إلى هذا الحد بل تطورت الأمور شيئاً فشيئاً إلى القتل والتنكيل والتفجير والتفخيخ من كل الأطراف، فيا ترى هل هذا كان ما يريده منا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنتجبين الأخيار)، ويا ترى هل هذا ما كان يريده منا الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟ أهذا ما سعى الصحب والأحبة وأهل البيت إليه؟ أهذا الذي أرادوه علماؤنا وشهداؤنا الأبرار عبر التاريخ؟ هذا سؤال قد أطرحه بعد قليل ونجعل له إجابة، إذ يجب أن نعلم قبل هذا أن الصخرة العظيمة التي أصدمت بها الثورات العربية والشعوب العربية التي كادت تفشل تلك الثورات سببها هذه الأفكار الهدامة التي أدت بالمجتمع الإسلامي إلى التفكك والانحلال وبالتالي عدم إمكان الوصول إلى عدة أمور منها:

١- حل المشاكل الداخلية للبلدان على الصعيد السياسي والحكومي وما شابه ذلك وأوضح دليل عليه هو ما يحصل في البلدان التي تحررت من الدكتاتورية والظلم والتي لازالت تعيش تحت نير الصدمات الفكرية والعقائدية والإسلامية من جهة والعلمانية من جهة أخرى، وما الجهة العلمانية وتكاثرها إلا نتاج وثمرة مما أسميته بالتشتت الإسلامي والتفتت العقائدي، بل بصورة أوضح كان سببه الرئيسي هو الإرهاب الفكري أوقد اسميه بتعبير أدق بالتزمت اللامنطقي الذي يعكس صورة قبيحة عن الإسلام وبالتالي يؤدي إلى نفور الكثير منه وعدم ولوج الآخرين فيه.

٢- عدم التكامل العلمي والثقافي بسبب انصرافنا عن حل مشاكلنا بل وصداماتنا فيما بيننا، فبدلاً من أن نبني ونزدهر ونتقدم علمياً وثقافياً ودينياً، ترانا نعيش في بحبوحة الصراع اللامنطقي بين الأخوة المسلمين.

٣- ولعله الأهم في البيت، أنه أننا لم ولن نستطيع أن ندفع شر الثالوث المشئوم أعني به أمريكا وبريطانيا وإسرائيل وغيرها من دول الاستكبار العالمي الذي استطاع وبنفس السبب أي التفتت العقائدي أو رديفة أن ينخر جدارنا الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نكونه، حيث قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم "أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص" فما عاد البنيان مرصوصاً وما عاد خير الأمة يدعون إلى الخير وما عدنا خير أمة يدعون إلى الخير يأمرون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر فكنا بأعين الناس تكفيريين إرهابيين مليشياويين لا يوجد في عقولنا وقلوبنا إلا الانتقام والتفخيخ والقتال فأين أمة السلام وأين أمة الوحدة وأين امة لا إله إلا الله حصني وأين امة محمد وأين أمة أبي بكر وأين امة عمر وأين أمة عثمان وأين أمة علي، أهذا يرضيهم وهل نحن وإياكم مقتنعون بما يحدث؟ ألم تكن قاعدتنا الرئيسية ومازالت والمفروض أنها مازالت هي "ما أتاكم به الرسول فخذه وهو ما نهاكم عنه فانتهوا" ألم يأمرنا أن نكون مسلمين والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، الم يأمرنا رسول الله (ص) أن نكون زينا له لاشيننا عليه ألم يأمرنا رسول الله (ص) أن نهتدي بهداه وهدا أصحابه وآله وقال "لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" ولعل القربى أعم من القربى النسبية بل تعم القربى المعنوية من الصحابة وذويه وأصحابه وممن أحبوه بصدق فأحبهم صلوات الله عليه وآله، كيف بنا إذا رآنا رسول الله (ص) نسب عمر أو رآنا نسب علياً، أهذا هو منطقنا أم هذا هو ما علمنا، ماذا تقولون لو قال النبي لكم ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم بعترتي وأهل بيتي بعد مفتقدي، أم ماذا تقولون لو قال لنا النبي الأكرم محمد (ص) لماذا تتقاتلون ويفخخ بعضكم بعضاً ويشتم بعضكم بعضاً عبر المنابر والقنوات الفضائية أهذا ما كان يريده أن يكفر بعضنا بعضاً ويجعل بعضنا الآخر عبدة للأصنام والآخر ينعت الآخر بالكافر وما شابه ذلك ليس هذا ما أراده صلوات الله عليه، بل ما أراد أمة واحدة لا يبغي بعض على بعض ولا يقتل بعضكم بعضاً وأن نكون مصداقاً للآية الشريفة "محمد والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا"، فأين الرحمة وأين الركوع وأين السجود وأين الشدة على الكفر والكافرين وقد استعان بعضنا على البعض بالكافرين بسبب ما زرعوه من دكتاتوريات ظالمة أشاعت بيننا الفساد والرذيلة والتفرق والتكفير والعداوة والبغضاء.

يا أيها المسلمون أن الله يأمركم أن تعبدوه خالصاً له الدين وأن لا تشركوا به شيئاً وأن لا تتبعوا خطوات الشيطان فأنه يأمركم بالكفر والفسوق والعصيان. وكذا فأن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق لكي

تعيشوا بسلام ووئام، فما بالنا نوجه بنادقنا إلى أخوتنا ونسوق سياراتنا المفخخة لنفجر بها من يقول لا إله إلا الله، فلا العقيدة تأمر بذلك ولا الشرع ولا العقل والدين ولا الإنسانية ولا الوهابية ولا التسنن ولا التشيع ولا المنطق، الم يعش في كنف رسول الله (ص) المسيح واليهود ماداموا مسالمين غير مغتصبين كالإسرائيليين وهم الآن في بلداننا مسالمين ويقتلون المسيح واليهود مازالوا الآن مسالمين في بلداننا ويقتلون ويفخخون أهكذا نسير على ما سار عليه الرسول الأكرم (ص) فلا نكتفي بقتل من هم خارج الإسلام لنقتل من هو مسلم ولو كان في نظر الآخر إسلاماً صورياً، متى أصبحت البندقية والتفخيخ مصدر هداية فأين الأقلام وأين الأفكار وأين الكلمة الطيبة وأين اللسان الحسن أين الابتسامة أين الجود أين الكرم أين جلسات النقاش أين الرأي والرأي الآخر عجباً عجباً كلها فنيت وصار السلاح متحكما، لنترك كل هذا ونعاهد الله سبحان الله وتعالى أن لا نعود إليه، فإننا إن افترقنا من أجل تربة نسجد عليها أو يد نجعلها واحدة فوق الأخرى في الصلاة أو لبس طويل أو قصير فهذا لا يؤدي بالتالي إلى القتال وقص الرقاب والتفخيخ والتفجير وفتح قنوات تذكر بالطائفية وما حدث بسببها سابقاً ولاحقاً، وإن اختلفنا من أجل قتل الحسين(ع) فيا ترى من يقبل بقتل الحسين حفيد الدوحة المحمدية فليس العمري ولا العلوي يرضى بذلك بل الكل يرفض، وأن كان ما يفرقنا دخول المراقد المقدسة فليكن عهدنا أن لا ندخل البارات والحانات ومناطق الفساد والرذيلة هو أولى لنا وأفضل، فلكل مشكلة حل ولكل معضلة حل في فقهنا وفقهكم الذي سنه لنا محمد (ص)، فيا أيها العلويين ويا أيها العمريون ويا أيها الوهابيون كفاكم تفرقاً وقتالاً وتعالوا لنجتمع تحت لواء فاطمة الزهراء (ع)، وليكن سلاحنا القلم وتفخيخنا النقاش وتكفيرنا الفكر والتفكر ولنبتعد عن لغة الظلم والاضطهاد والأذى والتشتت، الذي أدى على مر العصور إلى ما نراه من مصائب وويلات، فتباً لمن قتل الحسين وتباً لمن يدعي أن من قتله سني وتباً لمن قتل الخلفاء ويدعي أنه شيعي، بل هو الاستكبار العالمي حيث قال السيد الوالد قدست روحه الشريف، ما نصه "محل الشاهد هذا سرجون هو الذي قتل الحسين وهو عميل للدولة البيزنطية إذا الدولة البيزنطية قتلت الحسين، فعلينا أن لا نتناحر بسبب فتنة دخيلة ظالمة، وليكن عدونا هو الاستعمار والاستكبار العالمي لنتمم تحرير عراقنا الحبيب ولنحرر أرضنا الحبيبة فلسطين وباقي الدول الإسلامية، ولا أعني تحريرها بالسلاح فحسب، بل بالتوحد وترك الشتات والفرقة، وأيضاً أستشهد هنا بما قاله السيد الوالد الشهيد (لو توحدنا لقلنا لإسرائيل أرجعي من حيث أتيتي ونحن بمعزل عن السلاح) وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الجميع على حضورهم وتجشمهم العناء للمشاركة بهذا الحفل الأخوي الإنساني الأخوي وجزاكم الله جميعاً خير الجزاء وأهلاً وسهلاً بكم بين أهلكم وأخوتكم في عراق الخير والسلام والوئام. ❖

إلى ضيوف الزهراء (ع)

الكلمة الترحيبية التي وجهها سماحة السيد مقتدى الصدر (دام عزه) إلى ضيوف مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الأول

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم في بلدكم العراق بلد السلام وبلد العلم والحضارات وبلد الضيافة والكرم، وكما قال الشاعر:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وأقدم بين يديكم أيها الأحبة اعتذاري وتقصيري بسبب ما أمر به من ظروف أمنية، أحببت أن أكون في خدمتكم ولكن حال بيني وبين ذلك ظروف أمنية كانت ولا زالت بسبب المحتل الغاشم، الذي اغتصب أراضينا المقدسة في عراقنا الحبيب، والذي سعى بدوره - أعني الاحتلال - إلى إبعادنا عنكم بزرع الفتنة والشر، ونشر الإشاعات ضدنا، لا لشيء إلا لأنني قاومت المحتل طيلة هذه الأعوام العشر، فما كان الرد منه إلا أن جعلنا بخندق الإرهاب والطائفية، وما أنا من هذا ولا من ذاك.

فما المقاوم الذي يستهدف المحتل ودباباته وطائراته ومقراته إرهابياً، بل هو العقل والمنطق والجهاد بعينه، فما من عاقل يرى المحتل يدنس أراضيه ويسكت.

وما أنا بالطائفي، وكنت ولا زالت أحقن دم كل مسلم أو كل من يقول لا إله إلا الله حصني، وكل من يدعو إلى السلام عموماً، ولا إله إلا الله الحصن الحصين الذي لا بد أن يجمعنا وإياكم في كل زمان. فأنا وإن كنت شيعياً إلا أنني اعتبر نفسي راعياً ومدافعاً وابناً باراً لأهل السنة الكرام وباقي الأديان عموماً، وأرجو منكم أيها الأحبة ويا أيها الأخوة الأحبة بأنكم إن سمعتم أي شي ضدي أو ضد أي من يلوذ بي فأعلموني بذلك قبل أن تحكموا علينا فقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. فكنت وسأبقى حامياً لأهل السنة بكل طوائفهم، وكل الطوائف والأديان من داخل الإسلام وخارجه. وكنت ولا زلت أطالب بوحدة إسلامية إنسانية تحت لواء فاطمة الزهراء (ع) فإنها باب الوحدة والكمال، وأن لا يفرق بيننا من يفجر المراقد من جهة ومن يحرق المساجد من جهة أخرى، بل نحن أمة واحدة لا يجمعنا إلا الحب والوئام والسلام تحت كنف السلام والإنسانية والإسلام.

فحياكم الله جميعاً وأهلاً وسهلاً بكم وشكراً لكم لما تفضلتم به من بحوث ومقالات وكلمات أتحفتمونا بها؛ لنرتوي من علومكم وننهل، عسى الله أن يجعل ذلك مقدمة لجمع الكلمة، ويبعد عن هذه الأمة تلك الغمة وأعني بها الأفكار التشددية الهدامة التي هي سبب لتفرق الصف المسلم.

ولكن أنا على يقين ومؤمن كل الإيمان بأننا وإياكم على قدر المسؤولية ونحن الجيل القادر على أن نبني أمة واحدة بعيدة عن التطرف والقتل والتفخيخ؛ لتغلب لغة الحوار والإسلام والسلام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وشكراً لإصغائكم. ❖

صور تذكارية من مؤتمرات الزهراء (ع)
النجف الأشرف (٢٠١٢ - ٢٠١٣م)





سماحة السيد مقتدى الصدر خلال إلقاء خطاباته.



د. عبد الوهاب سيبويه (المغرب) . ا. سر الختم احمد الحاج على (السودان).



لقطات من جلسات البحث.

السيدة الزهراء (ع)
عطر النبوة ومصدر الوحدة

✍ كلمة الشيخ د. علي سميسم
في افتتاحية مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُك ربّي ببعضِ ما حمدتك الزهراء (ع): الحمدُ للهِ على ما أنعمَ، وله الشكرُ على ما ألهم، والثناءُ بما قدّم، من عمومِ نعمٍ ابتداها، وسبوغِ آلاءٍ أسداها، وتمامِ نعمٍ والاهـا، جمّ عن الإحصاء عددُها، ونأى عن الجزاء أمدُها، وتفاوت عن الإدراك أبدُها، واستدعى الشكور بأفضلِها، واستحمدَ إلى الخلايق بأجزالِها، وثنى بالندبِ إلى أمثالِها.

وأصلي على نبينا محمد (ص) ببعضِ صلواتِ الزهراءِ(ع): أشهد أن محمدا (ص) عبدهُ ورسولُه أختارهُ وانتجبهُ قبل أن أرسلَه، وسماّهُ قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيبِ مكنونة، وبسترِ الأوهامِ مصونة، وبنهايةِ العدمِ مقرونة علماً من اللهِ بمآلِ الأمورِ، وإحاطةٍ بحوادثِ الدهورِ، ومعرفةٍ بمواقعِ المقدور، ابتعثهُ اللهُ إتماماً لأمرِه.

إنها الزهراءُ، هي التي اشتُق اسمُها من الزهورِ ولونِها لتعكس جمالَها الروحي ونقاءَها، إنها الزهراء أمُ أبيها، وهنا فليتوقف أهل الحديثِ وأهل السيّر وأهل الفكرِ عند هذا الحديث وما يحملُ من معاني الحنان ومعاني الحب إذ شملت بحنانِها النبوة والرسالة فهي أمّ لنبينا وزوجٌ لإمامنا ووالدةٌ لسيديّ شباب أهل الجنة فلابد لهذه المرأةُ العظيمةُ أن تكون أماً للمسلمين وتلفُ بعباءتِها الطاهرة أبناءَها لتكون مصدرا للوحدةِ ولمّ الشمل بكلِ أبعادِهِ الإنسانية، مثلما شملها اللهُ سبحانه وتعالى بكساءِ النبي محمد (ص) لتكون خامسَ أهل الكساءِ حليفةُ التقوى التي تربّت في حجرِ الإسلامِ ـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ (الأحزاب/٣٣) وهي التي بأهلَ بها النبيُ (ص) ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ (آل عمران/٦١) صاحبةُ التسبيحِ المشهور صاحبةُ الكتابِ المعلوم في الرواياتِ والفقهِ الذي سُميّ مصحفُ فاطمة وهي سيدةُ نساءِ العالمين ووردَ عن رسولِ الله (ص) فاطمةُ بضعةُ مني يُريبني ما رابها، وقال (ص): إن اللهَ يغضب لغضبِ فاطمة،

ويرضى لرضاها، وورد عن رسولِ الله (ص): إن فاطمةَ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ ونساءِ أمتي، وهي التي اشتركت في قضايا المسلمين بأفراحهم وأتراحهم فطببت جرحى المسلمين في حروبهم لتكون مثالَ المرأةِ المجاهدة، هي الكوثر، هديةُ اللهِ سبحانه وتعالى وعطيتهُ إلى الرسولِ الكريمِ (ص) إذ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ (الكوثر/١ - ٣) فجعلَ ذُريةَ الرسولِ (ص) وسيدي شبابِ أهل الجنةِ وسلسلةِ الأئمةِ منها بعد أن تزوجت بوليِّ اللهِ تعالى أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب (ع) وما آدراك ما عليّ في سابقتهِ وجهادهِ وعلمهِ وفصاحتهِ وقربهِ من اللهِ تعالى ومن رسولهِ الكريم فكان لسيدتنا هالتُها القدسيةُ بين المسلمين والعالمين لتتبرك باسمها تأسيسُ الدولِ بالمشرق والمغرب.

عذرا سيدتي ومولاتي فلا بياني يُعين ولا بلاغتي تسع الإحاطةَ بشخصكِ الكبير، ولهذا سيُسلط الباحثون ضوءاً على بعض مكانتك العالمية.

ويطيبُ لي أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كلِ الضيوفِ الذين تجشموا عناءَ السفرِ ليُشاركونا الثوابَ الجزيل بكلِ ما آتاهم اللهُ من علمٍ وفضيلة. من إيران وباكستان والهند وتركيا والجزائر وسورية واليمن ولبنان وبريطانيا وأمريكا والسنغال وروسيا والكويت والمغرب وتونس وسيريلانكا وكمبوديا وأذربيجان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وهولندا وعُمان واليونان كولومبيا وجنيف وسويسرا وموريتانيا.

ولابد لي أن أتقدم بجزيل الشكر إلى سماحةِ حجةِ الإسلامِ السيد مقتدى الصدر (دام عزه) على رعايتهِ لهذا المؤتمر وسعادتنا برئاستهِ.

ولابد أن أشكرَ كلَ من قدّم الدعمَ اللوجستي وعمِلَ على إنجاحِ هذا المؤتمر وعلى رأسهم محافظ النجف الأشرف الأستاذ عدنان الزرفي والنائب الأول الأستاذ رزاق شريف ومعاون المحافظ الأستاذ علي الرفيعي وكل قيادات وأفراد الجيش والشرطة.

وأشكر العلماء العاملين الذين دأبوا بكل جهدهم لإنجاح هذا المؤتمر وهم اللجنة العلمية والاستشارية والتحضيرية والإعلامية والفنية وغيرهم.

وأشكر المحقق الدكتور محمد سعيد الطريحي على كل ما بذله في هذا المؤتمر.

داعياً الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويوفقكم لكل ما يحب ويرضى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

❖ ❖ ❖

الحقيقة غايتنا والوحدة الإسلامية هدفنا

✍ الكلمة الترحيبية لسماحة السيد مقتدى الصدر (دام عزه) للوفود والضيوف الأكارم في افتتاح مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

كلي فرح وسعادة حينما أرى هذه الجموع المؤمنة الطيبة المخلصة المسلمة وهي في أرض النجف أرضكم وعاصمتكم وبلدكم فأهلاً وسهلاً بكم ومرحبا، وشكراً على جهودكم وتعبكم لكن انتم لستم ضيوفاً نحن الضيوف وانتم أهل البلد إنشاء الله.

الإخوة والأخوات جميعاً والمشايخ

أهلاً وسهلاً بكم أنا جئت هنا لأرحب بكم أكثر مما كوني القي كلمة على مسامعكم وكليهما شرف لي، الترحيب بكم والقاء الكلمة عليكم. الحقيقة أحب أن أبث شكوى وأفكر بصوت عال انتم إخوتي لقد بات الذي يبحث عن الوحدة بين المسلمين منبوذاً وغريباً وتبث ضده الإشاعات ويقف الجميع ضده ويكون غريب في مجتمعه هذا (شنو سني لو شيعي) لا سني ولا شيعي منبوذ من هذا ومن ذاك لأن كلا الطرفين فيهم السني قبل الشيعي والشيعي قبل السني فيه متطرف ومتعطش للدماء ويتعطش للكراهية وتذكية الفتنة لهيبها ونارها فتعسا لتلك الفتنة، نحن نريد الوحدة الإسلامية نريد أن نعيش الوحدة الإسلامية ليست بالصورة الوحدة الإسلامية ليست بالمظهر الوحدة الإسلامية في القلوب نتحابب أهلاً وسهلاً (لست عليهم بمسيطر) رسول الله (ص) يقول فما بال مقتدى من الفقراء الحقراء إن شئتم باب الشيعة في النجف الأشرف مفتوح لكم وأهلاً وسهلاً بكم ومرحبا انتم إخوتنا نحن نقول لا إله إلا الله وانتم تقولون لا إله إلا الله نحن نقول محمد رسول الله وانتم تقولون محمد رسول الله، أهل البيت نحبهم وتحبونهم قد يكون فرق بالعقيدة بما لا يقتضي تكفيرنا وتكفيركم فعليه لا فرق بيننا إلا من ابغض الصحابة وأهل البيت هؤلاء هم المنبوذون من سب الصحابة وسب أهل البيت هؤلاء هم المنبوذون نحن طاعتنا لله محبتنا لرسوله وأهل بيته وصحبه هذا ما يجمعنا في الدنيا والآخرة غير ذلك لا نريده وليس منا في شيء عموماً لا أريد إزعاجكم فالكلمات كثيرة والشكوى في القلوب كثيرة وباتت الفتنة ليست في العراق ليست في سوريا ليست في البحرين وليست في الأماكن التي تعج بها الثورات لا وإنما الطائفية بدت تظهر في القلوب وهذه كارثة اعتبرها يجب على علمائنا من السنة والشيعة من المسلمين كافة من السنة والشيعة على كافة المسلمين تثقيف عوام الناس على ذلك أنه نحن مسلمون قبل أن نكون سنة أو شيعة قلنا لا إله إلا الله وانتم تقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا الذي يجمعنا كلمة.

أصوات تنعق من هنا وهناك يجب أن لا نسمعها ونصم أذننا عنها يجب أن نصم قلوبنا عنها فالناعقون ينعقون في كل زمان من رسول الله وقبل رسول الله إلى يومنا هذا ولكن نحن أصواتنا يجب أن تعلو صوت الاعتدال هذا ما أدعو له والحمد لله رب العالمين. ❖

الإسلام هو الحاضنة الكبرى لكافة المذاهب الإسلامية

كلمة سماحة السيد مقتدى الصدر في مؤتمر الزهراء (ع) الدولي الثاني

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

توكلت على الله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى اله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقول إني أرحب بالضيوف فأنتم أهل البلد فأهلاً وسهلاً بكم في مدينة النجف الأشرف أرض الطاهرين وأهل البيت سلام الله عليهم وكلنا إنشاء الله في خدمة الدين الله.. وفي خدمة الوحدة الإسلامية ومجيئكم إلى هنا يعزز الوحدة الإسلامية فجزاكم الله خير جزاء المحسنين وشكراً لكم وتقبل الله أعمالكم،

في الحقيقة أن الوضع الإسلامي في خطر أقلها في رأيي ويحتاج منا إلى توحد والى تكاتف والى البحث عن المشتركات التي تجمع كل الإنسانية من جهة وكل المسلمين من جهة أخرى، فالإنسانية هي الحاضنة الكبرى للإسلام والإسلام هو الحاضنة الكبرى لجميع المذاهب الإسلامية، لا نفرق بين احد منها وهذه المسميات الجديدة التي سعا لها الاستعمار عبر العشرات من السنين يجب أن لا تكون منهجنا أبداً على الإطلاق. نحن مسلمون قبل أن نكون سنة ونحن مسلمون قبل أن نكون شيعة، فالإسلام هو المقدم دوماً ويجب أن نبحث عن مشتركات تجمعنا مع باقي الأديان وكمشتركات تجمعنا كمذاهب إسلامية، ليس على المسلم أن يعتدي على المسيحي ولا على باقي الأديان إلا من أعلن العداء لنا فهذا أمر آخر إلا من احتل بلدنا هذا البلد العراق أم غيره من الدول الإسلامية إذا احتلت ندافع نقاوم هذا لا إشكال في ذلك لكن ليس معناها أن نعادي المسيح أو نعادي الدين الآخر أبداً نحن ندعو إلى الوحدة بين جميع الأديان وكل من شذ من الأديان فنبعده عن هذا الجسم عن جسم الإنسانية التي يجب أن تجمع كل الأديان ومن جهة أخرى يجب أن نتوحد نحن المسلمون حتى نكون قدوة للآخرين، يجب نبحث عن مشتركات تجمع هذه المذاهب لا آن نبحث عن الاختلافات لكي نتنافر ونتقاتل، ما يحدث الآن من فتنة طائفية في كل البلدان الإسلامية لا استثني أي بلد من البلدان لا يرضي الله سبحانه وتعالى أبداً، لا يرضي رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين أبداً ولا يرضي أهل البيت سلام الله عليهم فلو كانوا فينا لتبرئوا منا أجمعين على هذه الفرقة وهذه الصدامات.

صار السني عدو الشيعي والشيعي عدو السني. كلاً أبداً الوحدة الإسلامية هي التي يجب تكون هدفنا فلنتحد تحت المشتركات التي تجمعنا أنا قلت في الأمس كلينا الشيعة والسنة السنة والشيعة المسلمون كافة السني يقول لا إله إلا الله الشيعي يقول لا إله إلا الله والسني يقول أشهد أن محمد رسول الله والشيعي يقول أن محمد رسول الله والسني يحب أهل البيت سلام الله عليهم ولا يعاديهم ومن عاداهم هو عدونا وعدوهم وكذلك الشيعي يقول أن أهل البيت (عليهم السلام) هم أوصياء رسول الله (ص) ويحب أهل البيت عليهم السلام هذه الثلاثة تجمعنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأننا محبون لأهل البيت (سلام الله عليهم) القرآن يجمعنا الإسلام يجمعنا الإنسانية تجمعنا كل هذه المشتركات ونختلف؟ كل هذه المشتركات ونتقاتل؟ أليس عيب أمام المجتمعات الغربية التي تحرك بالكثير منا وتجعله أداة للقتل لقتل الأخ قبل قتل العدو، ما يحدث في بضع في بعض الدول ولأكون صريحا في سوريا في البحرين في أي مكان في قتال الإخوة هل هذا يفرح؟ ما يحدث في العراق من قتل الإخوة يفرح؟ يأتي يفخخ شيعي ويفخخ سني هذا يفرح رسول الله (ص) ويرضيه؟ كلا، أبداً لا يفرحه ولا يرضيه ونحن على ذلك من الشاهدين، دعوني أيضاً أفكر بصوت عالي (من رخصتكم)، جاء صدام وكان يمثل التسنن في نظر البعض كلا كان يمثل الإرهاب يستجلب الجيوش السنية لمحاربة الشيعة في الجنوب والآن بعضهم يستجلب جنود الشيعة من الجنوب يحاربون السنة في الشمال أهذا هو الدين الذي أوصانا به رسول الله (ص)؟ إذا جاءت حكومة سنية تتقاتل مع الشيعة وإذا جاءت حكومة شيعية تتقاتل مع السنة ونترك الأعداء خلف الأسوار يشمتون بنا كلا إذا كنت أنا سنياً فاعتذر للشيعة عما يصدر من السنة.. وإذا كنت أنا شيعياً فاعتذر للسنة عما يصدر من الشيعة كلا هذه أفعال شاذة لا نرضاها ولا ترضوها ووجودكم هنا يعزز الوحدة الإسلامية، يعزز الوحدة الإسلامية التي دعا الله لها (إنما المؤمنون إخوة) فأين هذه الإخوة من القتل؟ يجب أن يكون المنطق يجب أن يكون السلام هو الذي يجمعنا مع الإخوة، لا السيف ولا الطلقة ولا الدبابات ولا الطائرات يجب أن نعيش بسلام وفوق كل ذلك وأهم من ذلك كله سمعة الإسلام فسمعة الإسلام بنفس سمعة المسلمين إذا تشوهت سمعة المسلمين تشوهت سمعة الإسلام أكيداً وسمعة الإسلام أمانة في أعناق كل فرد مسلم وسمعة الإنسانية أيضاً أمانة في كل إنسان يحمل في جنبيه قلب وفي رأسه عقل، لا أحب أن أطيل عليكم فمجيئكم هنا أنا اعتبره نصر الوحدة الإسلامية وإن شاء الله بوجودكم إن أنا وجدت أو لم أوجد أو قتلت في سبيل الحق فإن تستمرون على هذا المؤتمرات التي تقرب ما بين المذاهب تقرب ما بين الأديان لا يجب أن يعيش المسيحي في بلد المسلمين خائفا بل يعيش بينهم كابن لهم، كصديق لهم، كأخ لهم كشريك لهم وكذلك المسلمين يجب أن يتعايشوا سلمياً وجزاكم الله خير جزاء المحسنين. ❖

أدلة عصمة الزهراء (ع) من النص القرآني

✍ د. صادق فوزي النجادي
د. عدنان كاظم مهدي

المقدمة:

إذا كانت حركية السلوك الإنساني بمظاهرها كافة محكومة بنزاعين متصارعين منذ الأزل أولهما (الصلاح والأداء الحسن) وثانيهما (السوء والتعدي الظالم) فإنه يمكن القول - والحال هذه - أن من تقنيات حكمة السماء فيمن تنتقيه من أجل أنابته لأداء مهمة الحق وإيقاظ البشرية من سباتها الأبدي لإخراجها إلى نطاق الهداية أن يتسم بجملة من الوجهات السلوكية، والاتجاهات الفكرية التي تؤهله لأن تناط به مهمة إنقاذ الإنسانية وتحريرها من قيود الأنانية ونزعات الذات؛ من هنا كأن لابد على وفق مقتضيات المنطق العقلي، وبنائيات الحكمة الإلهية من أن يكون المعصوم مبعوثاً من قبل الله عز وجل إلى الناس متسلحاً بماهية العصمة تلك الهبة الإلهية التي تقي المرء من الوقوع في عالم الخطأ أو الخطيئة في وقت واحد: ذلك بأن العصمة هي الهوية التي تعينه تملكاً على قراءة مجتمعة بحيثية واعية حتى يتوصل على وفق نتاج القراءة الصحيحة إلى جملة حلول يعالج بها الإشكالات المثارة على ما جاء به[1].
من هنا كأن من الواجب أن يتحقق في المعصوم الإيمان المطلق بالله سبحانه حتى يصل إلى مرحلة اليقين الواقي من أي زلل أو هفوة: لأن شدة إيمانه بالله وقوة تمسكه بالذات المطلقة تمنحه الصواب؛ لذا كأن عليه أن يؤمن بما يقول، ولا يقول ما يؤمن به ابتداء، وتأسيساً على هذه الدرجة العالية من الإيمان فأن المعصوم ستصل نفسه إلى مرحلة الحكمة: وهي الفاصل من الدخول إلى نطاق الخطأ والخطيئة، وتعصمه من الزلل: على أن ذلك لا يعني أن الله هو الذي يعصم المعصوم بالحكمة وليس للمعصوم دور في ذلك: بل لما كانت حكمته تمنعه من الولوج في الخطأ ذاتاً لا فرضاً من الله تعالى، علم بذلك أن الحكمة هي لطف ممنوع من قبل الله تعالى للمرء تصرفاً لا قسراً لكي يعصم نفسه من الزلل وعليه فالعصمة بذلك تكون عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادراً على المعاصي كلها كجائز الخطأ، وليس معنى العصمة أن الله يجبره على ترك المعصية؛ بل يفعل به ألطافاً يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها كقوة العقل وكمال الذكاء والفطنة وصفاء النفس وكمال

(١) ظ: عصمة الرسول محمد(ص) من الضلالة.

الاعتناء بطاعة الله تعالى ولو لم يكن قادراً على المعاصي: بل كان مجبوراً على الطاعات لكان منافياً للتكليف[١]. والعصمة عندما تثبت لإنسان ما، فهذا يعني ثبوت مجموعة من الآثار واللوازم تبعاً لثبوت العصمة نفسها، كأن تكون أفعاله وأقواله حجة على الآخرين، أو إمكان اتخاذه قدوة وأسوة لهم في كل شيء، وغير ذلك من الثمرات المتفرعة عن ميالة العصمة.

وقد صرح القرآن الكريم بمسألة العصمة ونص عليها في غير مورد، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم/٦) فهذه الآية الكريمة وأن كانت تتحدث عن عصمة الملائكة وليس عصمة البشر، إلا أنها تكفي لإثبات قرآنية فكرة العصمة بشكل عام بغض النظر عمن يكون هو المعصوم؟

وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف/٣٢) فحينما يتعرض اللغويون لبيان حقيقة العصمة، فإنهم يأخذون في حقيقتها معنى (الامتناع). جاء في مقاييس اللغة: (عصم، أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع)[٢]. وذكر ابن منظور في لسان العرب: (عصم، العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده، أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصما، منعه ووقاه)[٣]. وعليه فالعصمة لغويا تعني الوقاية من المكروه، أو اجتناب المخاطر[٤]. والعصمة في النص القرآني تعني النجاة من الهلاك، أو الموت، ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (هود/٤٣) أي: يقيني من مخاطر ماء الطوفان فلا غرق وليس هناك شيء يعصم من الله إلا من رحمه الله فهو المعصوم[٥]. وقيل: أن عاصماً بمعنى معصوم كما يقال طاعم، وكاس بمعنى مطعوم ومكسو[٦]. وفي الرواية: أن نوحاً نادى ابنه، وكان في معزل بعيد عنهم، وقال في ندائه: يا بني بصيغة الإشفاق والرحمة اركب معنا السفينة ولا تكن مع الكافرين فتشاركهم في البلاء كما شاركتهم في الصحبة وعدم ركوب السفينة[٧]، لذا نجد أن كل من تعرض لتعريف العصمة، فقد أخذ فيها معنى الامتناع والإمساك.

والعصمة في الفقه الشرعي يراد بها اجتناب المعاصي والفواحش ما ظهر منها، وما بطن؛ قال السيد المرتضى (قدس سره): العصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى فيختار العبد عنده

---

(١) ظ: عقائد السنة وعقائد الشيعة ١٠٢، والأقطاب اللامعة في شرح زيارة الجامعة ١١٢.
(٢) مقاييس اللغة ٤/٣٣١.
(٣) لسان العرب، مادة (عصم) ١٢/٤٠٣.
(٤) ظ: المنجد ٤٨٠.
(٥) ظ: تفسير ابن كثير ٢/٥٨٥، وتفسير الجلالين ٢٩٧.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الميزان في تفسير القرآن ١٠/٢٢٠.

الامتناع عن فعل القبيح[١]. من هنا نفهم (أن استحالة إقدام المعصوم على المعصية لا يتنافى مع إمكانه ذاتاً عليها ولكن لا يقع: أي أن الامتناع امتناع وقوعي أي وقوع المعصية لا امتناع ذاتي)[٢] عنها، فقد (يقال: أن هذا الشيء ممكن ذاتاً بيد أنه لا يقع: كاعتقادنا بأن الله سبحانه قادر على أن يظلم لأن قدرته شاملة، بيد أن ذلك معدوم في مقام الوقوع لأن الظلم ممتنع وقوعاً منه سبحانه، وهذا لا يتنافى مع قدرته ومع اختياره وإمكان وقوع الظلم منه، فالامتناع الوقوعي (أي الامتناع في مقام الوقوع) لا يتنافى مع الإمكان الذاتي: لأنه يمكن أن يقع لكنه لا يقع أبداً: فأنا وأنت نستطيع أن نشرب السم بيد أنا لا نفعل ذلك، وهذه الأمور من حيث الإمكان ممكنة ذاتاً ولكن من حيث الوقوع ممتنعة وقوعاً)[٣]. وعليه تعرف العصمة اصطلاحاً من لا يخطئ ولا يسهو ولا يذنب، وله بصيرة نافذة يرى من خلالها حقائق الكون بالمشاهد والعيان. وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج أن العصمة لطف يمنع المكلف من القبيح اختياراً[٤]. وبذلك يكون المعصوم هو من يمتنع عن المعصية ويمسك عن الذنب، بل عن الخطأ والاشتباه أيضاً.

وللعصمة مراحل وشروط: فأما مراحلها فهي:

المرحلة الأولى: وهي التزام الإنسان بجميع الأوامر والنواهي الإلهية، وهذا يعني أنه لا يترك واجباً، وأن لا يفعل محرما قط.

المرحلة الثانية: وهي العصمة في تلقي الوحي من الله سبحانه وتعالى، والعصمة في حفظه وإبلاغه إلى الناس. وبذلك ستكون هذه المرحلة من مقاطع ثلاثة:

١ - هو حفظ المعصوم من الخطأ والاشتباه حينما ينزل الوحي على قلبه.

٢ - هو حفظ ما نزل عليه وبقاؤه في قلبه كما هو.

٣ - هو حفظ المعصوم من الخطأ والاشتباه حينما يبلغ ما نزل عليه إلى الناس.

المرحلة الثالثة: وهي تطبيق الشريعة في حياة الناس. وفي ضوء هذه المرحلة فمن غير الممكن أن يخطىء المعصوم مثلاً في تطبيق الحدود والتعزيرات، أو يخطئ في تطبيق الوحي على نفسه كأن يصلي الفجر ثلاث ركعات بسبب السهو والغفلة مثلاً.

المرحلة الرابعة: وقد تكون هناك مرحلة رابعة للعصمة ينبغي إثباتها والتعرض لها، وهي عصمة النبي أو الإمام في مسائل حياته الاعتيادية، كما لو سئل المعصوم عن الشخص

---

(١) الشافي في الإمامة ٢٩٥/١، وظ: رسائل المرتضى ٣٢٥/٣ - ٣٢٦، وبحار الأنوار ٩٤/١٧.

(٢) العصمة في الفكر الإمامي ٥ - ٦.

(٣) بحث حول الإمامة ٢٢٠.

(٤) شرح نهج البلاغة ٨/٧.

القادم من مسافة بعيدة، فهل يمكن أن يخطئ في تشخيصه أم هذا مما لا بد أن يكون معصوما فيه أيضاً؟[1].

أما شروطها فقد ورد في النص القرآني اجتباء الله سبحانه وتعالى الأنبياء والأئمة لنفسه، وخصهم، وأخلصهم وهداهم إلى صراط مستقيم: قال تعالى: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الأنعام/٨٧) وقال: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ (الحج/٧٨) فآتاهم من العلم ما هو ملكة تعصمهم من اقتراف الذنوب وارتكاب المعاصي، وتمتنع معه صدور شيء عنهم صغيرة أو كبيرة: ولهذا فأول شروط العصمة (العدالة)، التي تمنعها صدور المعصية، ويرى العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان أن العصمة يمتنع معها الصدور على خلاف العدالة: فالإنسان المعصوم أنما ينصرف عن المعصية بنفسه، ومن اختياره، وإرادته، ونسبة الصرف إلى عصمته تعالى كنية انصراف غير المعصوم عن المعصية إلى توفيقه تعالى[2]. وقال الإمام الصادق (ع) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ (الزخرف/٢٨) أي: جعل الإمامة باقية في ذرية إبراهيم إلى يوم القيامة[3]. وعندئذ تكون العصمة باقية في ذريته، وهذا يعني استمرار الإمامة والعصمة التي عهدها الله سبحانه وتعالى إلى إبراهيم والمعصومين عن المعاصي والفواحش من ذريته إلى يوم القيامة: وهي اليوم موكولة إلى الإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه) بأمر من الله سبحانه وتعالى بدليل النص القرآني: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[4] (الأنعام/٩٠)، ومن شروط العصمة شرط (الوراثة) بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ (القصص/٥)، وهي اصطفاء واختيار ربأني بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الدخان/٣٢)، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج/٧٥) وكذلك من شروطها (المودة) كما جاء في قول أمير المؤمنين علي (ع) المنقول عن رسول الله (ص) اذ يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ (مريم/٩٦) أن مودة المؤمنين هي العصمة[5]. ومن شروط العصمة أيضا شرط (الوصية) قال الإمام الصادق (ع) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ (النساء/٥٨) يعني: يوصي إمام إلى إمام معصوم بعده[6]. ومن هذا المنطلق سوف نتناول الآيات الدالة على

(١) ظ: عصمة الأنبياء في القرآن ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) تفسير الميزان ١١/١٦٦ ـ ١٦٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١/١٩٨.

(٤) المصدر نفسه ١/١٩٧.

(٥) المصدر نفسه ١/٢٠١.

(٦) المصدر نفسه.

عصمة السيدة (فاطمة الزهراء) مستندين في ذلك كله على ما توفر في الزهراء (ع) من شروط العصمة فيها ولو أغمضنا عن ذلك نقول: أن الاستدلال على عصمتها أنما وقع من الشيعة بمجموع الحديث وتقريره أن النبي (ص) قال في حقها: (فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله) وفي رواية (من أغضبها فقد أغضبني) وفي رواية (يريبني ما رابها) وأمثالها كثيرة فلو فرض عدم عصمتها لجاز عليها صدور معصية موجبة للحد أو التعزير عليها ولا ريب في إيذاءها حينئذ بذلك وهو منهي عنه لما عرفت من أن إيذاءها إيذاء لله تعالى ولرسوله (ص).

وحينما يرد اسم فاطمة الزهراء (ع) يتبادر إلى الذهن نسب عظيم، ونور ساطع، بنت رسول الله (ص)، وزوجة إمام وأم أئمة معصومين، فماذا بعد ذلك غير عصمة واجبة لا يختلف عليها أحد. من هنا ومن بين هذه السطور القليلة التي لا تف الزهراء (ع) روحي لها الفداء ـ ولو بجزء يسير من حقها، إلا أننا هنا أردنا أن نسلط الضوء على أدلة عصمتها (ع) من خلال النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل، ومن هذه الأدلة:

١- **آية التطهير (٣٣) من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.**

فهذه الآية الكريمة أحد الأدلة الواردة على عصمة الزهراء (ع)، ولا يخفى على أحد قصة نزول هذه الآية وعلاقتها بقصة حديث الكساء، فالترمذي يروي عن عمر بن أبي سلمة (ربيب النبي) قوله: نزلت هذه الآية على النبي في بيت أم سلمة، فدعا النبي فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيرا[1]. قال ابن عباس: الرجس عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا والبيت التعريف فيه للعهد والمراد به بيت النبوة والرسالة، والعرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتا ولهذا سموا الأنساب بيوتاً وقالوا بيوتات العرب يريدون النسب. قال الفرزدق:

بيت زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم ... أبدا إذا عد الفعال الأكمل

على أن العلماء قد ذكروا أقوالاً أخرى في الآية لا تعدو مجرد تفسير للآية مجانبة للصواب، فقد قيل البيت هو بيت الله الحرام، وأهله هم المتقون على الإطلاق لقوله أن أولياءه إلا المتقون، وقيل البيت مسجد رسول الله (ص) وأهله من مكنه رسول الله (ص) فيه ولم يخرجه ولم يسد بابه. وقد اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت

(١) سنن الترمذي، باب المناقب، الحديث ٢٧٩٣/٨٥٨.

نبينا (ص) وهم (علي وفاطمة والحسن والحسين) (عليهم السلام)[١]. والدليل في ذلك الأداة (أنما) التي تدل على الحصر فهذه منقبة خاصة برسول الله (ص) وآل بيته. وكذلك جملة (يريد) إشارة إلى إرادة الله التكوينية، والإرادة التشريعية التي تقتضي لزوم التطهير من كل رجس وسوء، واستحالة تخلف الإرادة بالنسبة له تعالى من البديهيات لمن آمن بالله عز وجل. وأما ما أثير من أنها نزلت في نساء النبي (ص) خاصة، من قول عكرمة ومقاتل[٢]، والحديث حول هذه الشبهة يدعونا إلى تقييم آراء كل من عكرمة ومقاتل، ومعرفة البواعث النفسية التي جعلت عكرمة يصر على هذا الموقف الخاطئ. والظاهر أن لذلك علاقة بعقيدته التي تبناها إلا وهي عقيدة الخوارج. ولا يخفى ما للخوارج من موقف مضاد للإمام علي (ع) ثم أن عكرمة عرف بالكذب على ابن عباس فعن ابن المسيب أنه قال لملى له اسمه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس، وعن ابن عمر أنه قال ذلك أيضاً لمولاه نافع[٣]. وأما مقاتل فحسابه من حيث العداء لأمير المؤمنين حساب عكرمة، ونسبة الكذب إليه لا تقل عن نسبتها إلى زميله عكرمة، حتى عده النسائي في جملة الكذابين المعروفين بوضع الحديث[٤]. وقد لاحظ العلامة محمد تقي الحكيم أن لفظة الأهل لم تكن تطلق عند العرب على الأزواج إلا بضرب من التجوز، ففي صحيح مسلم: أن زيد بن أرقم سئل عن المراد بأهل البيت هل هم النساء؟ (قال: لا وايم الله، أن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها)[٥] على أن نساء النبي لم تدع واحدة منهن لنفسها أنها نزلت فيهن، بل صرحت غير واحدة منهن بنزولها في النبي (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين[٦]. ثم أن رسول الله (ص) خشي أن يستغل بعضهم قربه منه فيزعم شمول الآية له، فحاول قطع السبيل عليهم بالتأكيد على تطبيقها على هؤلاء بالخصوص، وتكرار هذا التطبيق حتى تألفه الأسماع، وتطمئن إليه القلوب: يقول أبو الحمراء: (حفظت من رسول الله (ص) ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى الصلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب، ثم قال: (الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا)[٧] والدليل القاطع في هذه المسألة تذكير الضمير في آية التطهير وتأنيث بقية الضمائر في الآيات السابقة عليها واللاحقة لها يقرب

(١) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد ٣٥٦/٤.

(٢) ظ: أسباب النزول ٢٦٨، والدر المنثور ١٩٨/٥.

(٣) وفيات الأعيان ٣٢٠/١.

(٤) دلائل الصدق ٩٥/٢.

(٥) صحيح مسلم، باب فضائل علي.

(٦) الأصول العامة للفقه المقارن ١٥٤ - ١٥٥.

(٧) الدر المنثور ١٩٩/٥.

ما قلناه من عدم شمول نساء النبي (ص) بهذه الآية إذ أن وحدة السياق تقتضي اتحاداً في نوع الضمائر، ومقتضى التسلسل الطبيعي أن تكون الآية هكذا، إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس أهل البيت لا عنكم.

والحق الذي يتراءى لنا من مجموع ما رويناه من نزول الآية وحرص النبي (ص) على عدم مشاركة الغير لهم فيها واتخاذه الاحتياطات بإدخالهم تحت الكساء، ليقطع بها الطريق على كل مدع ومتقول، ثم تأكيده هذا المعنى خلال تسعة أشهر في كل يوم خمس مرات يقف فيها على باب علي وفاطمة، كل ذلك مما يوجب القطع بآن للآية شأناً يتجاوز المناحي العاطفية، وهو مما يتنزه عنه مقام النبوة لأمر يتصل بصميم التشريع من إثبات العصمة لهم، وما يلازم ذلك من لزوم الرجوع إليهم والتأثر والتأسي بهم في أخذ الأحكام[1]، وبذلك يكون عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا هو مصروف عن أهل البيت وفاطمة جزء منه، وعليه تكون العصمة ملازمة لها فلا تقع في المحظور والمعاصي.

٢- آية المباهلة (٦١) من سورة آل عمران: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

والمباهلة: هي التضرع في الدعاء لاستنزال اللعنة على الكاذب، فالبهلة - بضم الباء - هي اللعنة، وعندما يقول الطرفان: (يا رب لتنزل لعنتك على الكذاب منا) فهذا دعاء يحمل مطلق العدالة: فالإله الذي يستطيع أن ينزل اللعنة هو الإله الحق. وهو سينزل اللعنة على من يشركون به، ولو كانت اللعنة تنزل من الآلهة المتعددة فسوف تنزل اللعنة على أتباع الإله الواحد. ولهذا كانت الدعوة إلى المباهلة أي دعوة إلى القوة القاهرة التي تتصرف في الأمر لتنهي الخلاف. وقد يسال سائل: ولماذا تكون الدعوة للأبناء والنساء؟ والإجابة هي: أن الأبناء والنساء هم القرابة القريبة التي تهم كل أنسأن. وأن لم يكن رسولاً، لأنهم بضعة من نفسه وأهله. أما سبب نزول هذه الآية فيحدثنا الطبرسي أنها نزلت في وفد نجرأن الذين سألوا رسول الله (ص) حول نبي الله عيسى (ع) كيف يلد من غير أب، فأجابهم رسول الله (ص) مثله كمثل آدم. فلم يقتنعوا بالجواب فدعاهم رسول الله (ص) إلى المباهلة واستنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته وآن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء، فلما كأن الغد جاء النبي (ص) أخذا بيد علي بن أبي طالب (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) بين يديه يمشيان وفاطمة (ع) تمشي خلفه، وخرج النصارى يتقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي (ص) قد أقبل بمن

---

(١) ظ: الأصول العامة للفقه المقارن ١٥٨ - ١٥٩.

معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق إليه وهذان ابنا بنته من علي (ع) وهذه الجارية بنته فاطمة (ع) أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه، فقال الأسقف: يا أبا القاسم أنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا[1]. فالمراد من الآية الكريمة أن من خاصمك وجادلك يا رسول الله (ص) في قصة عيسى (ع) من بعد ما جاءك من البرهان الواضح على أنه عبدي ورسولي فقل لهؤلاء النصارى هلموا إلى حجة أخرى ماضية فاصلة تميز الصادق من الكاذب بأن ندعو أبنائنا وهم (الحسن والحسين) ونساءنا وهي (فاطمة الزهراء) ولم يحضر غيرها من النساء، وهذا دليل على تفضيل الزهراء على جميع النساء. وأنفسنا ويعني به علياً (ع) خاصة، ولا يجوز أن يكون المعني بها النبي (ص)؛ لأنه هو الداعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه وإنما يصح أن يدعو غيره. ثم نتضرع في الدعاء ونلتعن فنقول: لعن الله الكاذب منا. وفي هذه الآية دليل على أنهم علموا أن الحق مع النبي لأنهم امتنعوا عن المباهلة وأقروا بالذل والخزي لقبول الجزية، فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه وبهذا ظهر بطلان قولهم في الحال. وهذا فيه إشارة إلى آن النبي (ص) كان متيقنا بنزول العقوبة بعدوه دونه وإلا لما أدخل أولاده وخواص أهله في ذلك مع شدة إشفاقه عليهم؛ وبالتالي فإن هذه الآية الكريمة لها ارتباط وثيق بآية التطهير، فهذه الآية نزلت في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة اليوم الذي بآهل فيه رسول الله (ص) نصارى نجران، وقد اكتسى فيه بعباءة، وأدخل معه تحت الكساء عليا وفاطمة والحسن والحسين (ع) وقال: (اللهم أنه قد كان لكل نبي من الأنبياء أهل بيت هم أخص الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) فهبط جبرائيل بآية التطهير السابقة الذكر في شأنهم، ثم خرج النبي (ص) بهم للمباهلة فلما بصر بهم النصارى ورأوا منهم الصدق، وشاهدوا إمارات العذاب لم يجرءوا على المباهلة فطلبوا المصالحة وقبلوا الجزية عليهم. وما أردنا ذكره هنا هو بيان دليل آخر من أدلة العصمة لفاطمة الزهراء (ع) فلو لم تكن معصومة لما آتى بها رسول الله (ص) للمباهلة؛ ثم نلاحظ تقديم الأبناء والنساء على الأنفس في الآية فالرسول (ص) يعلم أنهم معصمون من قبل الله عز وجل وبهم يستجاب دعاءه إذا بآهل أعداءه، وعليه فهم أعلى مكانا وأقدر منزلاً عند رسول الله (ص).

٣- **الآيات (٥ ـ ٢٢) من سورة الإنسان: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.**

وتسمى هذه السورة المباركة سورة الدهر، وتسمى أيضاً سورة الأبرار. ومنهم من يسميها بفاتحتها (هل أتى). وقد نزلت هذه السورة الكريمة في شأن أهل البيت (ع) فقد روي الخاص والعام أن الآيات من هذه السورة وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ

(١) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد ١/٤٥٢.

سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾، نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وجارية لهم تسمى فضة، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح والقصة طويلة جملتها أنهم قالوا: مرض الحسن والحسين (عليهما السلام) فعادهما جدهما (ص) ووجوه العرب وقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً فنذر صوم ثلاثة أيام أن شفاهما الله سبحانه: ونذرت فاطمة (ع) كذلك وكذلك فضة فبرءاً وليس عندهم شيء فاستقرض علي (ع) ثلاثة أصوع من شعير من يهودي وروي أنه أخذها لغزل له صوفاً، وجاء به إلى فاطمة (ع) فطحنت صاعاً منها فاختبزته وصلى علي (ع) المغرب وقربته إليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدمته إلى علي (ع) فإذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبزته وقدمته إلى علي (ع) فإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم أتى علي (ع) ومعه الحسن والحسين (عليهما السلام) إلى النبي (ص) وبهما ضعف فبكى رسول الله (ص) ونزل جبرائيل (ع) بسورة هل أتى[1]. فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ ﴾ وهو جمع البر المطيع لله المحسن في أفعاله الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر، والذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة: وقد أجمع علماء الأمة الموافقين والمخالفين على أن المراد بهم (علي وفاطمة والحسن والحسين) (ع). ثم وصف الله عز وجل هؤلاء الأبرار بقوله: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ أي كانوا في الدنيا بهذه الصفة. والإيفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه فإذا نذر طاعة تممها ووفى بها فهم يخافون أهوال يوم القيامة وشدائده لذلك يطعمون الطعام وهم في أشد الحاجة إليه لهذا يكون المعنى: يطعمون على حب الطعام وعلى شهوتهم له ومحبتهم إياه، أي يطعمون الطعام على حب الله مسكينا وهو الفقير الذي لا شيء له، ويتيما وهو الذي لا والد له من الأطفال، وأسيراً وهو المأخوذ من أهل دار الحرب وهذا الإطعام لطلب رضا الله خالصاً مخلصاً من الرياء وطلب الجزاء. وبهذا تكون هذه السورة دليل آخر ورد في القرآن الكريم عن العصمة - عصمة الزهراء - فأفعالها حجة على النساء يجب الاقتداء بها.

٤- آية القربى (٢٣) من سورة الشورى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾.

والمراد بالقربى علي وفاطمة والحسن والحسين (ع)، وقد اختلف العلماء في معنى الآية على أقوال[2]:

(أ) لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً إلا التودد والتحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح، عن الحسن والجبائي وأبي مسلم قالوا هو التقرب إلى الله تعالى والتودد إليه بالطاعة.

---

(١) المصدر نفسه، المجلد ٤٠٦/٥.

(٢) المصدر نفسه، المجلد ٣٨/٥.

(ب) أن معناه إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتحفظوني لها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة قالوا وكل قريش كانت بينها وبين رسول الله (ص) قرابة وهذا لقريش خاصة والمعنى: أن لم تودوني لأجل النبوة فودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم.

(ج) أن معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع).

ولو لاحظنا الاستثناء الوارد في الآية ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ﴾ فإنه استثناء متصل، والمعنى يكون لا أسالكم عليه أجراً إلا هذا: فقد رضيت به أجراً، كما أنك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك براً، فتقول له اجعل بري قضاء حاجتي. وبهذا يكون المعنى: لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا ونفعه أيضاً عائد عليكم فكأني لم أسألكم أجراً. وحتى من يدعي بأن الاستثناء منقطع وليس متصل فهذا مما يجب بالإسلام فلا يكون أجراً للنبوة.

فالرسول قد ذكر ذلك بقوله: (إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وأني سائلكم غدا عنهم)[1]. وقد صور ذلك الإمام الشافعي بقوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم — فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الفخر أنكم — من لم يصل عليكم لا صلاة له

٥- آية (٣٥) من سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فما المراد من هذا النور؟ والإجابة عن هذا التساؤل لنرى كيف حلل العلماء قوله تعالى: (الله نور السموات والأرض)[2] فمنهم من ذهب إلى القول بأن الله هادي أهل السماوات والأرض إلى ما فيه من مصالحهم عن ابن عباس: ومنهم من ذكر أن الله منور السماوات والأرض بالشمس والقمر والنجوم عن الحسن وأبي عالية والضحاك: على أن بعضهم اتجه إلى أن الله مزين السماوات بالملائكة، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء عن أبي بن كعب. وإنما ورد النور في صفة الله تعالى لأن كل نفع وإحسان وأنعام منه وهذا كما يقال فلان رحمة وفلان عذاب إذا كثر فعل ذلك منه. وكذلك اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ على أوجه أيضاً، أحدها: أن المعنى مثل نور الله الذي هدى به المؤمنين، وهو الإيمان في قلوبهم عن أبي بن كعب والضحاك: والثاني: مثل نوره الذي هو القرآن في القلب عن ابن عباس والحسن وزيد بن أسلم:

---

(١) فرائد السمطين ٢/٦٦.

(٢) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد ٤/١٤٢ - ١٤٣.

والثالث: أنه عني بالنور محمد (ص) وأضافه إلى نفسه تشريفاً له عن كعب وسعيد بن جبير، فالمعنى مثل محمد رسول الله (ص). والرابع: أن نوره سبحانه من الأدلة على توحيده وعدله التي هي في الظهور والوضوح مثل النور عن أبي مسلم: والخامس: أن النور هنا الطاعة أي مثل طاعة الله في قلب المؤمن عن ابن عباس في رواية أخرى[1]. وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فالمشكاة هي الكوة في الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه: وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وهو مثل الكوة والمصباح السراج، وقيل المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة عن مجاهد. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ أي ذلك السراج في زجاجة وفائدة اختصاص الزجاجة بالذكر أنه أصفى الجواهر، فالمصباح فيه أضواء: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ أي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبه الدر في صفائه ونوره ونقائه وإذا جعلته من الدرء وهو الدفع فمعناه المندفع السريع الوقع في الانقضاض ويكون ذلك أقوى لضوئه، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ أراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون لأن فيها أنواع المنافع فأن الزيت يسرج به وهو أدام ودهان ودباغ ويوقد بحطبه وثفله ويغسل برماده الإبر يسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى إعصار: وقيل أنه خص الزيتونة لأن دهنها أصفى وأضوا، وقيل لأنه بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم فلذلك سميت مباركة، (لا شرقية ولا غربية) وقد قيل فيها آراء منها:

أولاً: أي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب، فهي ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف فزيتها يكون أصفر عن ابن عباس والكلبي وعكرمة وقتادة. فعلى هذا يكون المعنى أنها ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا هي غربت ولا هي غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت: بل هي شرقية غربية أخذت بحظها من الأمرين.

ثانياً: قيل معناه أنها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية أو غربية عن الحسن.

ثالثاً: قيل معناه أنها ليست في مقنوة لا تصيبها الشمس ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل: بل يصيبها الشمس والظل عن السدي.

رابعاً: قيل ليست من شجر الشرق ولا من شجر الغرب لأن ما اختص بإحدى الجهتين كأن أقل زيتا وأضعف ضوءاً لكنها من شجر الشام وهي ما بين الشرق والغرب عن ابن زيد. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ أي من صفائه وفرط ضيائه. ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي قبل أن تصيبه النار وتشتعل فيه، والذي نلحظه أن للقرآن الكريم تفاسير عدة ولمختلف طوائف المسلمين، إلا أننا نقدم تفسير أهل البيت (ع) على غيره من التفاسير، ذلك أنهم عدل القرآن الكريم وكفؤه

(١) المصدر نفسه.

كما جاء في حديث الثقلين الشريف: (أني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[1]. فضلاً عن كونهم القرآن الناطق، وطبقاً لما تقدم فإن تفسير هذه الآية المباركة والمسند إلى الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (ع) هو التفسير المعول عليه في فهم هذه الآية الكريمة، وهذا نص ما قال به الإمام الصادق (ع) (المشكاة: فاطمة (ع)، والمصباح: الحسن (ع)، والمصباح في زجاجة: الحسين (ع)، والكوكب الدري: فاطمة (ع) بين نساء أهل الدنيا، والشجرة المباركة: إبراهيم، **لا شرقية ولا غربية: لا يهودية ولا نصرانية، يكاد زيتها يضيء: العلم يتفجر منها**، نور على نور: إمام منها بعد إمام، **يهدي الله لنوره: يهدي للأئمة من يشاء**)[2]. ومن يتأمل تفسير الإمام الصادق (ع)، سيجده واقع حال وحقيقة لا يعوزها البرهان، فالمشكاة فعلا هي السيدة فاطمة الزهراء (ع) وهي بضعة الرسول (ص) وزوج أمير المؤمنين (ع) وأم السبطين الحسن والحسين والأئمة التسع المعصومين هم من ذريتها من ابنها الحسين (ع)، أما المصباح الأول: فهو السبط الأول لنبي الرحمة الإمام الحسن، والمصباح في زجاجة هو السبط الثاني الإمام الحسين، والمراد والله أعلم بالمصباح في زجاجة الأكثر نوراً وإشعاعاً وهذه إشارة إلى الثورة الحسينية وانتصار الدم على السيف في واقعة الطف فضلاً عن كونه أبي الأئمة التسعة الأطهار، ثم العودة ثانية إلى السيدة الزهراء (ع) فهي الكوكب الدري والمقدمة على نساء أهل الدنيا كافة: من الأولين والآخرين. أما الشجرة المباركة فهي نبي الله إبراهيم (ع) أبو الأنبياء، وهو جدهم الأعلى فهو الأصل وهم الثمرة الطيبة، وأما لا شرقية ولا غربية فهي تؤكد أن الشجرة المباركة (إبراهيم الخليل) كأن قبل موسى وعيسى أي أن الديانة اليهودية والنصرانية جاءت بعد إبراهيم الخليل (ع). ويكاد زيتها يضيء أي أن العلم يتفجر منها مثل شعاع الشمس لينير الدرب لسالكي طريق الحق والهداية، أما نور على نور فهو يعني أن الأئمة المعصومين من ذرية فاطمة (ع) هم إمام بعد إمام، ويهدي الله لنوره نعني أن الله يهدي للائمة من يشاء من عباده ممن يتمسكون بولاية الإمام علي (ع) والأئمة.

وطبقاً لمنطق الحق والعدل تعد الأسرة الفاطمية هي المخصوصة بهذه الآية[3]. وعليه فالسيدة فاطمة الزهراء (ع) سيدة النساء في الدنيا والآخرة، وكيف تكون سيدة الأولين والآخرين وهي غير معصومة. إذن الآية تدل على عصمة الزهراء (ع) وأنها مفروض الطاعة على الخلق مطلقاً.

---

(١) سنن الترمذي، باب المناقب، الحديث ٢٧٩٤/٨٥٨.

(٢) شرح الكافي ١/٢١٩.

(٣) ظ: مجلة سبيل ١٤ - ١٥.

٦- **الآيتان (٣٦ - ٣٧) من سورة النور:** ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾.

نزلت هاتان الآيتين وهي تعني بيتاً معيناً إلا وهو بيت النبوة بيت فاطمة وعلي (ع) وأراد سبحانه وتعالى بهذه الآيتين أن يعطينا دليلاً آخر على عصمة آل رسول الله (ص) فأذن لهذا البيت أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه. وهذه الآية تعضيد للآية السابقة (النور/٣٥) حتى تؤكد أنها نزلت في بيت الوحي، والدليل على ذلك سوف نقوم بتحليل الآيتين.

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ فقد اختلف العلماء في هذه البيوت فمنهم من ذهب إلى أن معناه: أن هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها وهي المساجد، والمساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض. ومنهم من قال: أنها أربع مساجد لم يبنها إلا نبي، الكعبة بناها نبيا الله إبراهيم وإسماعيل (ع)، ومسجد بيت المقدس بناه نبي الله سليمان (ع)، ومسجد المدينة وقبا بناهما رسول الله (ص)، وقيل هي بيوت الأنبياء وروي ذلك مرفوعا، فلقد سئل النبي (ص) لما قرأ هذه الآية أي بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها (يعني بيت علي وفاطمة) قال: نعم: من أفاضلها ويعضد هذا القول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب/٣٣) وقوله: ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ (هود/٧٣)، فالأذان برفع بيوت الأنبياء والأوصياء مطلقاً، والمراد بالرفع التعظيم، ورفع القدر من الأرجاس والتطهير من المعاصي والأدناس[1]. ثم لاحظ الصفات المذكورة في الآيتين ولا تنطبق إلا على بيت فاطمة وعلي (عليهما السلام): فهذه الآيتان تدل على علو مكانة هذا البيت وشأنه فمن غير المعقول أن يكون أصحاب هذا البيت غير معصومين بعد أن سد رسول الله جميع أبواب مسجده إلا باب هذا البيت. في حادثة طويلة جملتها أن رسول الله (ص) قد أمر الصحابة بأن يسدوا أبوابهم المطلة والمنفتحة على المسجد باستثناء بيت علي وفاطمة (عليهما السلام)[2].

٧- **آية (١٢٠) من سورة الصافات:** ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾.

يعني بها آل محمد (ص)، وقد اظهر الإمام الرضا (ع) فضل آل محمد على أسس الآيات القرآنية حين كان في مجلس المأمون، فقال الرضا (ع) عندما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب/٥٦)، قالوا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟

(١) ظ: مجمع البيان، المجلد ١٤٤/٤.

(٢) ظ: المدونات التاريخية والتفسيرية: تاريخ الطبري، تاريخ اليعقوبي، تفسير الميزان، مجمع البيان.

فقال (ص) تقول: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم أنك حميد مجيد. فذكر المأمون أن هذا مما لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأمة، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟

فقال الإمام (ع): نعم اخبروني عن قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (يس/١ ـ ٢)، فمن عني بقوله (يس)؟ فقال العلماء: (يس) محمد (ص)، فقال الإمام (ع): فإن الله عز وجل أعطى محمد وآل محمد (ص) من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد حقيقته، وذلك لأن الله لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الصافات/٧٩)، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (الصافات/١٠٩)، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (الصافات/١٢٠)، ولم يقل سلام على آل نوح، ولم يقل سلام على آل إبراهيم، ولم يقل سلام على آل موسى وهارون: ولكنه سبحانه وتعالى سلم على آل محمد (ص) فقط فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾، يعني آل محمد (ص)؛ فبهت المأمون[1]. وذكر ابن عباس أن آل ياسين هم آل محمد (ص) وياسين من أسمائه[2]. فإذا كان رسول الله (ص) معصوما بلا جدال، فإن آل بيته معصومين كذلك: فالأحكام التي تترتب على النبي (ص) تترتب على أهل بيته ومنها العصمة والطهارة. وعليه فإن آل محمد (ص) لا يعرف قدرهم إلا من قدرهم، ولا يعرف أسرارهم إلا من خلقهم، ومن أذن له الرحمن.

٨- آية (٥٦) من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

فالله سبحانه وتعالى قد صدر سورة الأحزاب بذكر النبي (ص) بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب/١)، قرر في أثناء السورة ذكر النبي وتعظيمه وختم الله ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه فقال: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) فالمعنى أن الله يصلي على النبي (ص) ويثني عليه بالثناء الجميل ويبجله بأعظم التبجيل وملائكته يصلون عليه ويثنون عليه بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء والمؤمنون ينقادون لأوامره ويبذلون الجهد في طاعته وفي جميع ما يأمرهم به؛ فالسلام الدعاء له أو القول السلام على رسول الله (ص) وعلى آله، وقد ذكر الطبرسي أنه لما نزلت هذه الآية قال المسلمون لرسول الله (ص): يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم أنك حميد مجيد[3]. من خلال ذلك يتبين منزلة الرسول (ص) ونزلة أهل بيته، فهم

---

(١) ظ: عيون أخبار الرضا (ع) ٢٢٥، ومجلة سبيل ٣٩.

(٢) مجمع البيان، المجلد ٤٥٦/٤.

(٣) المصدر نفسه، المجلد ٢٧٠/٤.

عدل الكتاب المقدس لحديث الثقلين المتعارف لدى الطرفين، ولما كأن الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه معصوماً من قبل الله عز وجل فكذلك رسول الله (ص) وأهل بيته صلوات الله عليهم: فكل ما ثبت للنبي (ص) بالمطابقة ثبت لعترته (ع) بالتزام، ما عدا النبوة. واجتمعت الأمة أن الآية فيها تفضيل للرسول ولأهل بيته وآية لهم عمن سواهم فثبت فيها الإرادة المحضة وقع الفعل عندها، وفي ثبوتها ما يقتضي عصمة من عني بالآية وأن شيئاً من القبائح لا يجوز أن يقع منهم وفاطمة الزهراء (ع) معنية بها لأنها من آل البيت (ع) لذا تكون الزهراء معصومة من كل فعل قبيح وأفعالها وأقوالها حجة على الآخرين.

٩- **الآيات (١٩ ـ ٢٢) من سورة الرحمن:** ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

اختلف العلماء والمفسرون في هذه الآية حيث ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب والمالح يلتقيان ثم لا يختلط احدهما بالآخر وهو قوله برزخ أي حاجز من قدرة الله فلا يبغي الملح على العذب فيفسده ولا العذب على الملح فيفسده ويختلط به، أرسل عن ابن عباس: وقيل أن المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض فإن في السماء بحراً يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود عن ابن عباس والضحاك ومجاهد: وقيل إنهما بحر فارس وبحر الروم عن الحسن وقتادة فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك والبرزخ بينهما الجزائر: وقيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما لا يبغيان أي لا يطلبان أن لا يختلطا ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك: وقيل المرجان خرز أحمر كالقضبان يخرج من البحر وهو السد عن عطاء الخراساني وأبي مالك وبه قال ابن مسعود لأنه قال حجر وإنما قال منهما وإنما يخرج من الملح دون العذب لأن الله سبحانه ذكرهما وجمعهما وهما بحر واحد فإذا خرج من احدهما فقد خرج منهما عن الزجاج وقد روي عن سلمان الفارسي (المحمدي) وسعيد بن جبير وسفيان الثوري أن البحرين علي وفاطمة عليهما السلام بينهما برزخ محمد (ص) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين (عليهما السلام) ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما فإن البحر إنما يسمى بحراً لسعته وقد قال النبي (ص) لفرس ركبه وأجراه فأحمد وجدته بحراً أي كثيراً المعاني الحميدة[1].
ولعل الناظر لهذه الآراء التي قيلت في هذه الآية يمكن أن يفند بعضها ويقف عند البعض الآخر متسائلاً ما الجدوى من قولها والغاية منها، ونحن نفضل الرأي الأخير وهو الراجح من

---

(١) المصدر نفسه، المجلد ٢٠١/٥.

بين الآراء العديدة للأسباب التالية منها أن في زواج علي (ع) بفاطمة (ع) قد التقت النبوة بالإمامة: وأخرجت اللؤلؤ والمرجان سبطي رسول الله (ص) ولا ينكر أحد ذلك، ففاطمة الزهراء كفؤ علي ولولاه لما كان لها كفؤ من أبناء ادم على الإطلاق، ولا يتزوج المعصومة إلا المعصوم، فلفاطمة ما لعلي (ع) سوى الإمامة وبهذا تكون فاطمة الزهراء (ع) مجمع النورين بحديث الأفلاك: فتحمل إسرار النبوة والإمامة وهي أم أبيها.

١٠- آية (٢) من سورة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾.

اختلف في تفسير الكوثر فقيل هو نهر في الجنة عن عائشة وابن عمر قال: ابن عباس لما نزلت ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ صعد رسول الله (ص) المنبر فقراها على الناس فلما نزل قالوا: يا رسول الله (ص) ما هذا الذي أعطاك الله قال: نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن واشد استقامة من القدح حافتاه قباب الدر والياقوت ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البخت قالوا: يا رسول الله ما أنعم تلك الطير قال: أفلا أخبركم بأنعم. قالوا: بلى، قال: من أكل الطائر وشرب الماء فاز برضوان الله، وروي عن أبي عبدالله (ع) أنه قال: نهر في الجنة أعطاه الله نبيه (ص) عوضاً عن ابنه: وقيل هو حوض النبي (ص) الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة عن عطاء: وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد: وقيل هو النبوة والكتاب عن عكرمة: وقيل هو القرآن عن الحسن: وقيل هو كثرة الأصحاب والأشياع عن أبي بكر بن عياش: وقيل هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة (ع) حتى لا يحصى عددهم واتصل إلى يوم القيامة مددهم: وقيل هو الشفاعة رووه عن الصادق (ع) واللفظ يحتمل للكل فيجب أن يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال[1]. وهذا رأي الطبرسي بحاجة إلى تمحيص وتدقيق؛ فمثلاً الكوثر نهر في الجنة وعليه طير ومن يأكل منه ويشرب من النهر فقد فاز برضوان الله وكيف يكون ذلك فالذي يشرب من الكوثر هو أصلا موجود في الجنة ونال رضوان الله عز وجل، ثم أننا لم نسمع أن القرآن الكريم من مسمياته الكوثر، أو أن الكتاب والنبوة تسمى الكوثر، ثم إذا كأن الكوثر عوضا عن ابنه الذي فقده فكأن من الأحرى أن يعوض بشيء آخر لأن رسول الله قد فقد ولدين له، أما كثرة الأشياع والأصحاب فيتنافى ذلك بما حصل بعد وفاة الرسول الأعظم من حوادث مزق النسيج الداخلي للإسلام، إذا لم يبقى لنا إلا الذرية الصالحة والنسل الذي وجد من أبناء فاطمة، أما ما روي عن الصادق (ع) من أن الكوثر يقصد به الشفاعة فهو شفاعة فاطمة لمحبيها ومحبي أولادها يوم المحشر لذلك عبر عنه بالكوثر. والذي نراه بخصوص هذه الآية فأنها مخصصة بفاطمة: والدليل على ذلك سبب النزول فقد قيل أنها نزلت في العاص بن وائل

(١) المصدر نفسه، المجلد ٥٤٨/٥.

السهمي، وذلك أنه رأي رسول الله (ص) يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد، فلما دخل العاص قالوا: من الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتر. وكأن قد توفي للرسول (ص) ولده عبدالله من خديجة، فوصل الخبر إلى رسول الله (ص) فحزن الرسول فبشره الله بفاطمة (ع)، ثم إن الرسول (ص) قد أهدى النهر الذي هو على اسمها لها وجعل زوجها هو الساقي عليه، والكوثر من الكثرة على صيغة (فوعل) وهو الشيء الذي من شأنه الكثرة وكذلك الخير الكثير: وبذلك يكون لرسول الله الذرية الكثيرة والخير الباقي إلى يوم القيامة من خلال فاطمة الزهراء (ع) حتى صار نسب الرسول (ص) أكثر من كل نسب: أما مبغضه فأصبح هو الأبتر (العاص بن وائل) ولم يبق له من ذرية تذكر.

١١- الآيات (٢٤ ـ ٢٥) من سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ ﴾.

وقصد بالشجرة الطيبة الشجرة الزاكية النامية الراسخة أصولها في الأرض العالية أغصانها وثمارها في السماء: وإنما ضرب الله هذا المثل للمبالغة في الرفعة وقد روي عن رسول الله (ص) أن هذه الشجرة الطيبة تشبه النخلة، وعن أبي جعفر (ع) أن الشجرة رسول الله (ص) وفرعها علي (ع) وعنصر الشجرة فاطمة وثمرتها أولادها وأغصانها وأوراقها شيعتنا ثم قال (ع) أن الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وأن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة، وقد روي عن ابن عباس قال: قال جبرائيل (ع) للنبي (ص) أنت الشجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها[1]، فالله يضرب لنا المثل بالكلمة الطيبة بيانا لحال أهل البيت القريبين من الله الذين يتبعون منهجه ويطبقون أوامره دون سؤال فهم حبل الله الممدود، فلا بد أن يكونوا معصومين، وإلا كيف يتمسك بهم على الإطلاق بما لم يكونوا معصومين.

١٢- آية (٤٣) من سورة النحل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

فقد اختلف العلماء في تفسير أهل الذكر فقالوا:

(أ) إن المعني بذلك أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين: وسمي العلم ذكراً لأن الذكر منعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل فحسن أن يقع موقعه وينبئ عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج والأزهري.

---

(١) المصدر نفسه، المجلد ٣/٢١٢.

(ب) أن المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن وعن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال: نحن أهل الذكر وقد سمى الله رسوله ذكرا في قوله: (ذكراً رسولاً) على أحد الوجهين[١]. أي المعنى للآية إذا غابت عنكم قضية إرسال الرسل من البشر ولا أظنها تغيب لأنها عامة في الرسالات كلها وما كانت لتخفى على مشركي قريش ومن يرتد منهم خصوصاً وعندهم أهل العلم وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (ع). وعليه يكون أهل البيت هم أهل الذكر فلديهم الأسرار والأخبار عن الأمم الماضية ومن غير المعقول أن تكون لديهم كل هذه المعلومات ويكونوا غير مسددين من قبل الله عز وجل ومعصومين من الوقوع في الزلل والخطأ فلو كان يصدر منهم الزلل أو الخطأ فلا نجد أحداً يستطيع أن يصدق ما يتفوهون به من الأخبار المتعلقة بالأمم السابقة وما سوف يحصل في المضارع من الأفعال.

١٣- آية (٤٦) من سورة الأعراف: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ ﴾.

فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية حال فريقين في الجزاء وبينهما ستر أي بين أهل الجنة وأهل النار وهذا الستر هو الأعراف: وروي عن ابن عباس ومجاهد والسدي أن الأعراف سور بين الجنة والنار. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ اختلف في المراد بالرجال هنا على أقوال: فقيل أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود: وذكر أن بكر بن عبد الله المزني قال للحسن بلغني أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب الحسن يده على فخده ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا أدري لعل بعضهم معنا في هذا البيت، وقيل إن الأعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالإسناد في تفسيره: وقيل أنهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعاً أو يكون حفظة الأعمال الشاهدين بها في الآخرة عن أبي مجلز: وقيل أنهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد، وقيل هم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي، وقال أبو جعفر (ع) هم آل محمد (ع) لا يدخل الجنة آلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه. وروي أبو القاسم الحسكاني بإسناده رفعه إلى الإصبع بن نباتة قال كنت جالساً عند علي (ع) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال: ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه

---

(١) المصدر نفسه، المجلد ٣/٣٦٢.

بسيماه فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار[١]. والملاحظ في هذه الآية اختلاف المفسرين في دلالة الأعراف والرجال وعدم تحديد الصحيح منهما ونحن نستمد الكلام السليم من خزنة علم رب العالمين ألا وهم أئمة الهدى فقد قال أبو عبدالله جعفر بن محمد (ع) أن الأعراف كثبان - جمع الكثيب وهو التل من الرمل - بين الجنة والنار يقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سيق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سيقوا إلى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ (الأعراف/٤٦) ثم أنهم لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلهم الله عز وجل إياها بشفاعة النبي والإمام، ويؤيد ما قلناه ما رواه عمر بن شيبة وغيره أن علياً (ع) قسيم النار والجنة ورواه أيضاً بإسناده عن النبي (ص) أنه قال يا علي كأني بك يوم القيامة وبيدك عصا عوسج تسوق قوماً إلى الجنة وآخرين إلى النار[٢]. أما قول العلماء بأن الرجال هنا معناه الأقوام التي استوت حسناتهم وسيئاتهم في الدنيا بحيث منعت سيئاتهم دخولهم إلى الجنة وكذلك الحال مع حسناتهم التي دفعتهم من الدخول إلى النار، وهذا كلام لا يعقل فالحسنة بعشر من أمثالها والسيئة بمثلها ثم أن الله عز وجل لا يقضي فيهم إلا بعد ما شاء الله ثم يدخلهم الجنة سؤال بحاجة إلى جواب فلماذا يدخلهم الجنة ولا يدخلهم النار فإن كان الجواب بأن الله رحمته واسعة كان من الأولى إدخالهم إلى الجنة مباشرة دون الانتظار: فالله الحكيم برحمته يدخل من يشاء إليها دون أي شيء فهو خالق الخلق وبيده كل شيء، أما قولهم بأنهم أقوام يميزون بين أهل الجنة وأهل النار فهو تفسير قريب من قول الإمام الصادق (ع) السابق إذا ما علمنا أن الإمام علي (ع) قسيم النار والجنة فمن أحبه واتبع نهجه ونهج رسول الله (ص) اتبع نهج الله فهو من أصحاب الجنة بلا شك: أما من أبغض عليا وحاربه فقد حارب رسول الله (ص) وحارب رب العزة فهو من أصحاب النار قطعاً، وبذلك يكون أصحاب الأعراف هم خلفاء الرسل وخيرهم رسولنا خاتم الأنبياء محمد (ص) وبذلك يكون أهل بيت النبوة ومعدن التنزيل هم الذين يفرقون بين الناس يوم القيامة فمن أحبهم واتبع سبيلهم كان من أهل الجنة، ومن لم يتبعهم فهو من أهل النار. ومن أهل هذا البيت فاطمة الزهراء (ع) الذي يقول الرسول في حقها فاطمة بهجة قلبي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بها نجا ومن تخلف عنه هوى.

---

(١) المصدر نفسه، المجلد ٢/٤٢٢.

(٢) المصدر نفسه، المجلد ٢/٤٢٣.

١٤- الآية (٥٩) من سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ .

فالله سبحانه وتعالى يبين لنا في هذه الآية شروط الطاعة فيلزم الذين آمنوا بطاعة الله سبحانه فيما أمركم به ونهاكم عنه ويلزمكم بطاعة رسوله (ص) أيضاً وإنما أفرد الأمر بطاعة الرسول وأن كانت طاعته مقترنة بطاعة الله مبالغة في البيان وقطعا لتوهم من توهم أنه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر ونظيره قوله ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء/٨٠) ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (الحشر/٧). وقيل معناه أطيعوا الله في الفرائض وأطيعوا الرسول في السنن عن الكلبي والأول أصح لأن طاعة الرسول هي طاعة الله وامتثال أوامره امتثال أوامر الله وأما المعرفة بأنه رسول الله فهي معرفة برسالته ولا يتم ذلك إلا بعد معرفة الله وليست إحداهما هي الأخرى وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد وفاته لأن أتباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة أنه دعا إليها جميع العالمين إلى يوم القيامة كما علم أنه رسول الله إليهم أجمعين[١]، ونعلم أن الطاعة تأتي في التعبير القرآني بثلاثة أساليب هي: (أطيعوا الله والرسول، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأطيعوا الرسول فقط) إذن فثلاثة أساليب في الطاعة: فالأسلوب الأول: تطيعوا الله والرسول؛ فأمر الطاعة واحد والمطاع هو الله والرسول، أما الأسلوب الثاني أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فالطاعة أولا لله ثم للرسول فالأمر يصدر من قبل الله وعليهم التنفيذ من خلال أتباع رسوله: والأسلوب الثالث أطيعوا الرسول، فالتكليفات يأمر بها الحق سبحانه وتتأكد بحديث من قول رسول الله (ص)، أو فعله أو تقريره، وهنا تكون الطاعة في الأمر لله وللرسول، أو أن الله قد أمر إجمالاً والرسول عين تفصيلاً؛ فقد أطعنا الله في الإجمال وأطعنا الرسول في التفصيل فتكون الطاعة لله، وتكون الطاعة للرسول، أو إن كان هناك آمر لم يتكلم فيه الله وتكلم الرسول فقط ويثبت ذلك بقوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء/٨٠) إذن فهذه تثبت أن لرسول الله (ص) ثلاثة ملاحظ في التشريع ملحظ يشرع فيه ما شرع الله تأكيداً له أو أن الله قد شرع إجمالاً، والرسول عين تفصيلاً. والأمثلة على ذلك أن الله فرض علينا خمس صلوات، وفرض علينا الزكاة، وهذه تكليفات قالها الله: والرسول أوضحها، أو أن الأمر لم يتكلم فيه الله حكماً، إنما جاء من الرسول بتفويض من الله، وبعد ذلك قال سبحانه ﴿ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾ والملاحظ هنا أن الفعل (طاعة) لم يتكرر، فلم يقل: وأطيعوا أولي الأمر لنفهم أن أولي الأمر لا طاعة لهم إلا من باطن الطاعتين طاعة الله وطاعة

---

(١) المصدر نفسه، المجلد ٦٥/٢.

الرسول، وعليه فإن الأمر بطاعة أولي قد جاءت بالعطف على المطاع دون أمر بالطاعة، مما يدل على أن الطاعة ولي الأمر ملزمة أن كانت من باطن طاعة الله وطاعة رسوله، وللمفسرين في قوله تعالى ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ولأن: أحدهما أنهم الأمراء عن أبي هريرة وابن عباس في إحدى الروايتين وميمون ابن مهران والسدي واختاره الجبائي والبلخي والطبري، والآخر أنهم العلماء عن جابر بن عبدالله وابن عباس في الرواية الأخرى ومجاهد والحسن وعطا وجماعة وقال بعضهم لأنهم الذين يرجع إليهم في الأحكام ويجب الرجوع إليهم عند التنازع دون الولاة وأما أصحابنا فأنهم رووا عن الباقر والصادق (ع) أن أولي الأمر هم الأئمة مز آل محمد (ص) أوجب الله طاعتهم بإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم جل الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه ومما يدل على ذلك أيضاً أن الله تعالى لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلا وأولوا الأمر فوق الخلق جميعاً كما أن الرسول فوق أولي الأمر وفوق سائر الخلق وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد (ص) الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم واتفقت الأمة على علو رتبتهم وعدالتهم[1]. وقد قرب الفخر الرازي دلالتها على عصمة أولي الأمر في تفسيره لهذه الآية بقوله: (إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ، يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوما عن الخطأ، فثبت قطعا أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً)[2]. ويؤيد هذا التقريب لديه مساواتهم لله والرسول في وجوب طاعتهم مما يدل على أن جعل الإطاعة لهم ليس من نوع جعلها للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بل هي من نوع إطاعة الله والرسول التي تجب على كل حال، ثم استعرض الفخر الرازي بعد ذلك الأقوال الأُخر في الآية وناقشها جميعاً حتى انتهى إلى رأي من أسماهم بالروافض، فقال: (وأما حمل الآية على الأئمة المعصومين على ما تقوله الروافض ففي غاية

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تفسير الرازي ١٠/١٤٤.

البعد لوجوه: أحدها ما ذكرناه أن طاعتهم مشروطة بعرفهم وقدرة الوصول إليهم، فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كأن هذا تكليف ما لا يطاق، ولو أوجب علينا طاعتهم إذا صرنا عارفين بهم وبمذاهبهم صار هذا الإيجاب مشروطاً، وظاهر قوله: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم يقتضي الإطلاق، وأيضاً ففي الآية ما يدفع هذا الاحتمال وذلك لأنه تعالى أمر بطاعة الله وطاعة الرسول، وطاعة أولي الأمر في لفظة واحدة، وهو قوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ واللفظة الواحدة لا يجوز أن تكون مطلقة ومشروطة معاً، فلما كانت هذه اللفظة مطلقة في حق الرسول وجب أن تكون مطلقة في حق أولي الأمر. والثاني: أنه تعالى أمر بطاعة أولي الأمر وأولوا الأمر جمع، وعندهم – يقصد الشيعة – لا يكون في الزمان إلا إمام واحد، وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر. وثالثها أنه قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ ولو كان المراد بأولي الأمر الإمام المعصوم لوجب أن يقال: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الإمام، فثبت أن الحق تفسير الآية بما ذكرناه)[1] فالفخر الرازي يخالف الشيعة في دعواهم في إرادة خصوص أئمتهم من هذه الآية وقرب أن يكون المراد منها أهل الإجماع بالخصوص واستدل على ذلك بقوله: ثم نقول ذلك المعصوم. وقد رد عليه العلامة السيد محمد تقي الحكيم في استفادته وجوب إطاعة أهل الإجماع وأنهم هم المراد من كلمة أولي الأمر لا الأئمة – بناؤه هذه الاستفادة على اعتبار معرفة متعلق الحكم من شروط نفس التكليف، وبانتفاء هذا الشرط لتعذر معرفة الأئمة والوصول إليهم ينتفي المشروط. وهذا النوع من الاستفادة غريب في بابه، إذ لازمه أن تتحول جميع القضايا المطلقة إلى قضايا مشروطة، لأنه ما من قضية إلا ويتوقف امتثالها على معرفة متعلقها، فلو اعتبرت معرفة المتعلق شرطاً فيها لزمت أن تكون مشروطة، والظاهر أن الرازي خلط بين ما كان من سنخ مقدمة الواجب وما كان من سنخ مقدمة الواجب، فلزوم معرفة المتعلق أنما هو من النوع الثاني أي من نوع ما يتوقف عليه امتثال التكليف لا أصله، ولذلك التزم بعضهم بوجوبه المقدم، بينما لم يلتزم أحد فيما نعلم بوجوب مقدمات أصل التكليف وشروطه، إذ الواجب قبل حصولها غير موجود ليتولد منه وجوب لمقدماته وبعد وجودها لا معنى لتولد الوجوب منه بالنسبة إليها للزوم تحصيل الحاصل، وعلى هذا فوجوب معرفة المتعلق للتكاليف، لا يمكن أخذه شرطا فيها بما هو متعلق لها لتأخره رتبة عنها ويستحيل أخذ المتأخر في المتقدم للزوم الخلف أو الدور. والغريب في دعواه بعد ذلك ادعاء العجز عن الوصول إلى الأئمة ومعرفة آرائهم مع توفر أدلة معرفتهم وإمكان الوصول إلى ما يأتون به من أحكام بوساطة رواتهم الموثوقين. ثم أن استفادة الإجماع من كلمة (أولي الأمر) مبينة على إرادة العموم المجموعين منها وحملها على ذلك خلاف

---

(١) المصدر نفسه ١٤٦/١٠.

الظاهر، لأن الظاهر من هذا النوع من العمومات هو العموم الاستغراقي المنحل في واقعه إلى أحكام متعددة بتعدد أفراده، ومن استعراض أحكام الشارع التي استعمل فيها العمومات الاستغراقية يجدها مستوعبة لأكثر أحكامه وما كان منها من قبيل العموم المجموعي نادر نسبياً، فلو قال الشارع أعطوا زكاتكم لأولي الفقر والمسكنة - مثلاً - فهل معنى ذلك لزوم إعطائها لهم مجتمعين وإعطاء الزكوات مجتمعة أمّ ماذا؟ وعلى هذا فحمل ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ في الآية على العموم المجموعي حمل على الفرد النادر من دون قرينة ملزمة وما ذكره من القرينة لا تصلح لذلك ما دام أهل الإجماع أنفسهم مما يحتاجون إلى المعرفة كالأئمة، ومعرفة واحد أو آحاد أيسر من معرفة مجموع المجتهدين وبخاصة بعد توفر وسائل معرفتهم وأخذ الأحكام عنهم. أما قوله من عدم ذكر الله لأولي الأمر في وجوب الرد إليهم عند التنازع بل اقتصر في الذكر على خصوص الله والرسول: فهذا الإشكال أمره سهل لجواز الحذف اعتماداً على قرينة ذكره سابقاً؛ وقد سبق في صدر الآية أن ساوى بينهم وبين الله والرسول في لزوم الطاعة، ويزيد هذا المعنى ما ورد في الآية الثانية ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]. وبهذا نستفيد من الآية الكريمة على عصمة أهل البيت (ع) وفاطمة الزهراء هي أم هذا البيت المقدس، لاقتران طاعتهم بالله وبرسوله وعدم افتراقهم عنها ومن البديهي أن صدور آية مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمد أم سهو أم غفلة، يعد افتراقاً عن الطاعة والعصمة والآية صريحة في عدم افتراق طاعتهم عن طاعة الله والرسول وبهذا يعد التمسك بهم عاصماً عن الضلالة دائماً وأبداً.

الخاتمة

في نهاية المطاف مع بحثنا في أدلة العصمة المستنبطة من النص القرآني لفاطمة الزهراء (ع) لا بد أن نسجل بعض النقاط التي توصل إليها البحث:

١- أن العصمة حالة معنوية توجد في الإنسان بفضل الله سبحانه وتعالى فلا تكون كسبية ولا تحصل بالاكتساب ولما كانت هذه الحالة بفضل الله عز وجل وبرحمة منه، وبفضل ولطف، وبفعل منه كما عبر علماؤنا فلا بد من مجيء دليل من قليل يكشف عن وجودها في المعصوم، ولذا لا تقبل دعوة العصمة من أي أحد إلا أن يكون هناك ما يدعمها كنص قرآني أو معجزة يجريها الله سبحانه وتعالى على يد هذا المدعي للعصمة.

٢- ومن أجل تمحيص الحقيقة والسعي وراء استكشافها وإثبات العقيدة الأصل في هذا النطاق الفكري منطلقين في ذلك من عصمة الرسول محمد (ص) وعلى وفق المقررات الخطابية التي أثبتتها النصوص القرآنية نفسها: فإذا كأن هذا النص المعجز يمثل العامل

---

(١) ظ: الأصول العامة للفقه المقارن ١٦١ - ١٦٣.

الحاسم بين المتردد فيه والمقطوع بأمره، وينظر إليه على أنه المنطلق الفصل في تحديد المعتقد من انتفائه: ستعد - والحال هذه - وثيقة سماوية قاطعة وشهادة إلهية حقة لا ترقى إليها شائبة أو يدنو منها تردد أو شك البتة. فإذا كأن رسول الله (ص) معصوماً فإن أهل بيته (ع) الذين أذهب عنهم الله الرجس هم معصومون كذلك وإلا ما قدمهم رسول الله (ص) في المباهلة.

٣- القرآن الكريم هو مصدر معرفة الإحكام فقد أولى عناية كبيرة بكل التفاصيل كبيرة كانت أو صغيرة وهذا كله يملي علينا العودة إلى القرآن كمصدر أساسي لمعرفة ما يرتبط بحكم العصمة وما يدور حولها في هذا النص. والمقياس في العصمة هو عدم الافتراق عن القرآن، ثم إن الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم لا يفارقون الكتاب إلى يوم القيامة.

٤- تكسب العصمة في منهجية هذا البحث أربع مراحل هي العصمة في الأوامر والنواهي، والعصمة في تلقي الوحي وإبلاغه، والعصمة في تطبيق الشريعة، وأخيراً العصمة على مستوى الشؤون الحياتية العادية.

٥- أن من واضحات القرآن الكريم أنه نزل تبياناً لكل شيء وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، وأهل البيت (ع) وفاطمة منهم لا يفارقون القرآن بمقتضى حديث الثقلين المتواتر الذي تعارف عليه العامة والخاصة فيلزم عدم مفارقتهم للقرآن وكونهم معصومين لا محالة.

٦- إن عدد الآيات التي ذكرت في البحث توافق وتطابق عدد المعصومين من أهل البيت (ع) ابتداء بمحمد (ص) وانتهاء بالحجة المنتظر (عجل الله فرجه) وبذلك تكون آيات العصمة دلالة عليهم وليس على غيرهم كما يدعي بعض المفسرين فدلالات الآيات وأن كانت ذو مغزى بعيد عن كثير من الناس فإنها بلا شك تدل على أناس اختارهم الله عز وجل لرسالته وإكمال دينه ولا يختار الله سبحانه وتعالى لهذا العمل إلا من كان صاحب عصمة ويقين.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. أسباب النزول: الإمام الواحدي، المطبعة الهندية للنشر والتوزيع، مصر (د. ت)
٣. الأصول العامة للفقه المقارن: العلامة محمد تقي الحكيم، بيك فدك، لبنان. ط١/٢٠٠٥م.
٤. الأقطاب اللامعة في شرح زيارة الجامعة: شبر، دار الكتاب العربي. بيروت لبنان. ط١/١٩٨٠م.
٥. بحار الأنوار (الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار): المجلسي، الشيخ محمد باقر، دار إحياء التاريخ العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٢/١٩٨٣م.

٦. بحث حول الإمامة: جواد علي كسار، مطبعة دار الخلود، دمشق (د. ت).

٧. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): عماد الدين ابن كثير، منشورات شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت. لبنان، ط١/١٩٩٨م.

٨. تاريخ الطبري: الطبري، منشورات دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

٩. تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، مطبعة الغري، النجف الأشرف ١٩٦٥م.

١٠. تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير): فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، مطبعة دار الكتب العلمية. . بيروت ٢٠٠٠م.

١١. تفسير الجلالين: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، وجلال الدين محمد بن أحمد الحلي، طبع ونشر مكتبة الملاح، دمشق، سوريا.

١٢. تفسير الميزان (الميزان في تفسير القرآن): الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١/١٩٩٧م.

١٣. تفسير الدر المنثور: السيوطي، جلال الدين، مطبعة بهجتي. إيران.

١٤. دلائل الصدق: الشيخ محمد حسن، مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٩٦٧م.

١٥. رسائل المرتضى: الشريف المرتضى. علي بن الحسين الموسوي

١٦. سنن الترمذي (الجامع الصحيح): الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).

١٧. الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، مؤسسة الصادق، طهران، ط٢/١٤١٠هـ.

١٨. شرح أصول الكافي: الإمام محمد بن يعقوب الكليني، دار الأسرة للطباعة والنشر، إيران ١٤٢٨هـ.

١٩. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية. بيروت.

٢٠. صحيح مسلم: الإمام مسلم، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر.

٢١. فرائد السمطين: فاضل الفراتي، مطبعة الغري، النجف الأشرف ١٩٨٦م.

٢٢. عصمة الأنبياء في القرآن: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١/١٩٨٨م.

٢٣. عصمة الرسول من الضلالة في النص القرآني: سيروان عبد الزهرة، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية التربية الأساسية. جامعة الكوفة ٢٠١١م.

٢٤. العصمة في الفكر الإمامي: أسماء إبراهيم الساري، بحث منشور في مجلة (فصل)، العدد الأول. ٢٠٠٩م.

٢٥. عقائد السنة وعقائد الشيعة: صالح الورداني. الناشر بريدكو. ١٩٦٧.

٢٦. عيون أخبار الرضا (ع): الشيخ الماندرزدي، أحمد بن يوسف، مطبعة دار الأسرة، إيران.

٢٧. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي. الشيخ أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسين، دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان١٣٧٩هـ.

٢٨. مجلة سبيل: مجلة إسلامية تصدر عن مركز الشهيدين الصدرين، بغداد، العدد التاسع ٢٠٠٨م.

٢٩. مقاييس اللغة: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت. ط٢/١٤٢٠هـ.

٣٠. مناقب آل أبي طالب (ع): ابن شهر اشوب، محمد بن علي. بيروت، لبنان، ط١/٢٠٠٧م.

٣١. المنجد: مجموعة من الباحثين، منشورات المجمع العلمي المصري. دار الكتب، مصر.

٣٢. لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم، نشر دار صادر، بيروت.

٣٣. وفيات الأعيان: ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت. ❖

دروس وعبر تربوية في سيرة الزهراء (سلام الله عليها)

د. آمال غالي العيساوي

أولاً - معنى (التربية) في اللغة والاصطلاح:

التربية لغة: تعني التنمية والزيادة والتطوير والتحسين، وقد جاء هذا المعنى في قول العرب (ربا، يربو: بمعنى زاد ونمى) ومعنى النشوء والترعرع.

وقد جاء على قول العرب ربي على وزن رضي، ومعنى أصلح الشيء وعالجه حتى يتم إصلاحه[١].

أما لفظ (التربوي) فهو مصطلح حديث أصله من (ربَيَ) وهو "الزيادة والنّماء والعلوّ" ويقال: ربا الشيء يربو إذا زاد[٢]، و(الرّبُّ) في الأصل: التربية، أي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى أن يصل درجة التمام، ويطلق لفظ (الرّبّ) على الله تعالى "والربابة تقال في غيره"[٣].

اصطلاحاً: هي مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، وتعني في الوقت نفسه التجدد المستمر لهذا التراث وأيضاً للأفراد التي يحملونه، فهي عملية نمو وليست لها غاية إلا المزيد من النمو[٤]، وتعد التربية علماً لكونها حقائق منظمة قائمة على التجارب المتعددة ليصبح الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع وهدفها تغير الفرد حتى ينمو ويتغير ويتطور سلوكه ومن ثم يستطيع أن يسهم في تغيير وتطوير مجتمعه[٥].

ثانياً - التربية في الإسلام:

تمثل التربية الإسلامية التطبيق الفعلي للتشريع الإسلامي لأن الإسلام ليس جانباً علمياً معرفياً فقط بل هو تطبيق عملي والعلم والمعرفة الوسيلة لتحقيق هذا التطبيق الذي ارسل الله من أجله رسله وآخرهم نبينا محمد (ص) الذي قال الله تعالى فيه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٦].

---

(١) معجم علم الاجتماع، د. عدنان أبو مصلح، ط١، دار آسامة، الأردن، ٢٠١٠، ٧٩.

(٢) المقاييس في اللغة ٤٤٠ (ربي).

(٣) المفردات في غريب القرآن ١٣٠، الراغب الأصفهاني (رب).

(٤) المدخل إلى التربية والتعليم، عبد الله الرشدان، ط٢، دار الشروق، عمان. ٢٠٠٢، ١٠.

(٥) التربية. إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، ط١، دار القاهرة، القاهرة ٢٠٠٧، ٣١.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ٢.

وحين يستعرض الإنسان وسائل الإسلام في التربية، يعجب للدقة العجيبة التي يتناول بها الكائن الحي، إنها دقة معجزة لا تصدر إلا عن الخالق المدبر[١].

وحقيقة كون الإسلام صالحاً لكل زمان هي التي تبرر لنا التأكيد على منهج أهل البيت في التربية، لأن ما تعنيه تلك الحقيقة في قيمومة الإسلام وديمومته هو استنطاق القرآن الكريم وتحكيمه في مناحي الحياة ومناهجها، الأمر الذي يلزم تحديد المرجعية العلمية للأمة، وقد حددت بحديث الثقلين بالثلة الطاهرة، وجعلها قريناً للقرآن وحليفاً له وسمّاهما ثقلين هاديين إلى الحق، عاصمين من الضلالة، بقائهما ببقاء الدنيا وعدم افتراقهما حتى يردا على النبي (ص) الحوض يوم القيامة. والتمسك بهما لازم لكلّ مسلم فعن رسول الله (ص) أنّه قال: (**يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي**)[٢].

ومَن يكون عِدل القرآن فمنهجه في بناء الإنسان أحقُّ بأن يُتّبع، وأولى بالعناية، وأجدر بالتطبيق، خصوصاً وان الله سبحانه وتعالى قد نزههم في محكم كتابه المنزل وفي عدة موارد منها قوله جل وعلى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣].

وإلاّ فلن يكون استنطاق القرآن وإهمال نظيره كافياً في طرح المنهج التربوي البديل عن المناهج المستوردة السائدة في مجتمعنا المسلم!

فالمربي الأول في الإسلام هو نبينا محمد (ص) فهو قمة الهرم التربوي ويأتي من بعده آل بيته الطيبين الطاهرين، فقد مثّل رسول الله (ص) أهل البيت بسفينة نوح فقال: (**ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح.. من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق**)[٤].

وقال الإمام علي (ع): (**انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً، ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا**)[٥].

وهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على عصمة أهل البيت (ع) وارتباطهم الكامل بالقرآن فلا افتراق ولا اختلاف عنه، فما يصدر منهم صادر عن رسول الله (ص) مما يعني أنه صادر عن الله تعالى لأن نبينا الكريم لا ينطق عن الهوى إن هو وحي يوحى وبعبارة أخرى إن منهجهم هو منهج الله تعالى، ولهذا يصح القول بأنّ منهجهم ربانيّ.

---

(١) منهج التربية الإسلامية: محمد قطب ١٨.

(٢) سنن الترمذي: الحافظ أبي عيسى الترمذي: ٦٢٢/٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين/الحاكم النيسابوري: ١٥١/٢.

(٥) نهج البلاغة ١٤٣.

وقد أثبت المنهج التربوي لأهل البيت (ع) قدرته على بناء الإنسان بناءً متكاملاً، فقد تخرج على هذا المنهج مئات الشخصيات التي كانت قمة في السمو الروحي والتكامل النفسي والسلوكي، وقدوة لجميع بني الإنسان لاستشعارها بأن المنهج ربانيّ النشأة وربانيّ المصدر[١].

فخير من يوكل إليه هذه المهمة كما أشرنا سابقاً هم أهل بيت ألنبوه وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها فهم حجج الله على البرايا اختارهم الله حفظة لسره وخزنة لعلمه وتراجمة لوحيه وإدلاء على صراطه فعصمهم من الزلل وأمنهم من الزيغ والضلال فكانوا نور الله في الأرض فأول ما تمثل هذا النور في خاتم النبيين والمرسلين محمد (ص) وعلي بن أبي طالب (ع) وانحدر النور بعد ذلك في صلب النبي (ص) فكانت فاطمة الزهراء(ع) ففاطمة الزهراء (ع) ليست امرأة عادية بل هي استثنائية في جوهر تكوينها كما إنها استثنائية في مواقفها وجهادها وعبادتها وإيمانها وطاعتها فقد خلق الله فاطمة الزهراء (ع) لتؤدي دوراً إلهياً وتكون سيدة نساء العالمين ونموذجاً للمؤمنين لذلك يقول (ص) **(رضا الله من رضا فاطمة وغضبه من غضبها)**[٢].

دروس وعبر تربوية في سيرة الزهراء (ع):

فاطمة الزهراء شخصية إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب فإن الله خلق محمداً (ص) ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثم خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزهراء لتكون علامة وآية على قدرة الله في إبداع مخلوق أنثى تكون كتلة من الفضائل ومجموعة من المواهب، فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزهراء (ع) أوفر حظ من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة بحيث لا يمكن لأي أنثى أن تبلغ تلك المنزلة[٣].

فمن خلال سيرة الزهراء (ع) (أقوالها وأفعالها) نستطيع أن نسلط الضوء على منهج تربوي لا مثيل له في بناء الأسرة والمرأة بشكل خاص والمجتمع بشكل عام.

ونحن حين نتناول البحث عن الزهراء (ع) بصفتها غرس النبوة، وشجرة الإمامة، فإنما تنكشف لنا أبعاد الرسالة الإسلامية بطابع تجسيدي نلمسه في كل جانب من جوانب شخصيتها (ع) ففي زواجها بعلي (ع) وفي مواقفها البطولية في حياة أبيها وبعد وفاته (ص) ينكشف لنا المدى البعيد الذي رسمه الإسلام للمرأة من حقوق وواجبات، ومدى فاعليتها في بناء المجتمع الإسلامي[٤].

---

(١) ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت (ع)/السيد شهاب الدين العذارى: ٩٥ - ٩٩.

(٢) صاحب أسد الغابة ٢٢٤/٧ لأبن الأثير وينضر أيضاً في الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل العسقلاني: ٣٧٨/٤.

(٣) فاطمة الزهراء (ع) من المهد إلى الحد/السيد محمد كاظم القز ويني: ٧.

(٤) الزهراء فاطمة بنت محمد (ع): الأستاذ عبد الزهراء ١٢ - ١٣.

المحور الأول: دور الزهراء في التربية الأسرية والاجتماعية:

لقد كرم الإسلام المرأة بالمعنى الحقيقي للكلمة، ورغم أنه أكد على دور الأم وحرمتها في الأسرة ودور المرأة وتأثيرها وحقوقها وواجباتها داخل الأسرة فهذا لا يعني بأي حال من الأحوال منعها من الإسهام في المسائل الاجتماعية وخوض النضال فبالإمكان الجمع بين الأمرين، وقد كانت فاطمة الزهراء (ع) مظهراً جلياً للجمع بين مختلف الشؤون فقد كانت حاضرة في وسط المجتمع. وسنتناول هذا الدور للزهراء (ع) من خلال ثلاث أبواب.

١- دور الزهراء كابنة:

بعد أن توفي أبناء الرسول (ص) في مكة المكرمة الواحد تلو الآخر، شمت الشامتون (الذين انحصرت الفضائل عندهم في المال والثروة والأولاد والجاه الدنيوي) برسول الله الأعظم (ص) ونعتوه بالأبتر، أي لا ذرية له، فأنزل الله سبحانه وتعالى عليه سورة الكوثر لإيضاح حقيقة كبرى له وللمسلمين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ ومصداق الكوثر بالنسبة للرسول الأعظم (ص) يمثل أشياء مختلفة وأحد أبرز المصاديق هو الوجود المقدس لفاطمة الزهراء (ع) التي جعلها الله خلفاً مادياً ومعنوياً للرسول (ص) فكانت سببا لتخليد اسم الرسول (ص) وذكره ونهجه ومعارفه بشكل لم يشهد له نظير لدى أي ولد بارز وعظيم[1] وهنا نجد إن الإسلام قد حارب ومن خلال فاطمة الزهراء (ع) أشد وأقسى الممارسات الخاطئة التي كانت سائدة في تلك الحقبة التاريخية وهي إن البنت كانت توأد وتوارى في التراب وكان يحزن أحدهم إذا بشر بالأنثى قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾[2].

والسيدة فاطمة الزهراء (ع) ولدت في لهيب الجهاد المرير للنبي (ص) في مكة، وهي التي عانت أباها وواسته في شعب أبي طالب وتحملت تلك الظروف، فمن الذي يرفع عن وجه أبيها الحزن ويواسيه غيرها بعد أن فقد خديجة وأبو طالب (ع) فبقى بلا مواسي، والجميع كانوا يلوذون به، فلا أبو طالب ولا خديجة في تلك الظروف الصعبة، والجوع والعطش والبرد والحر الذي استمر ثلاث سنوات في ذلك الشعب[3] فقد أعانت الزهراء سلام الله عليها أبيها في هذه المحنة صابرة محتسبة فكانت نعم الابنة وخير سندا لأبيها في تلك الظروف العصيبة رغم صغر سنها فلم يكن فقّد خديجة (سلام الله عليها) وهي الأم الحنون المجاهدة هيناً على ابنتها الصغيرة التي ما تزال بحاجة لذلك الحنان. فكانت سلام الله عليها تساعد أباها في أيام

---

(١) المرأة نصف الدنيا: السيد علي الخامنئي ٢٣.

(٢) سورة النحل آية ٥٨.

(٣) المرأة نصف الدنيا: ٢٥.

المحنة ولا يخفى أن كل أيام الرسول (ص) بعد البعثة محن (في مكة والمدينة وفي الشعب) وإلى أن التحق (ص) بالرفيق الأعلى وقد قال (ص) **(ما أوذي نبي مثل ما أوذيت)**[1] فكانت فاطمة (ع) أم أبيها يعني إنها كانت له كالأم الحنون لأولادها[2].

إن التأمل في حياة السيدة الزهراء (ع) واستقراء حياتها في ظل رعاية أبيها رسول الله (ص) نجد عدة معاني وتفاسير لكلمة أم أبيها فالتدقيق في حياة الرسول (ص) مع ابنته فاطمة الزهراء (ع) يجعلنا نفهم معنى كلمة أم أبيها حيث أن الزهراء (ع) كانت تقوم بمداراة أبيها ورعايته بأكمل ما يكون وفي قبال ذلك كان الرسول يحترمها كما يحترم الولد أمه وهذا نجده جلياً وواضحاً في سيرته الشريفة وعلاقته بالبضعة الطاهر حيث كان (ص) ينادي الزهراء حين تقبل عليه: مرحباً بأم أبيها، ويقدم لها ضروب الاحترام، حتى أنه (ص) كان يقوم لها إجلالاً ويأخذ بيدها ويقبلها ويجلسها مجلسه.

كما أن الله عز وجل لما شرف وكرم أزواج النبي (ص) بكنيتهن بأمهات المؤمنين صرن في معرض أن يخطر ببالهن إنهن أفضل النساء حتى من بضعة المصطفى فاطمة (ع) ولأجل ذلك كناها أبوها بأم أبيها، ويعني يا نساء النبي إن كنتن أمهات المؤمنين ففاطمة (ع) أم النبي، أم المصطفى، أم أبيها[3].

روي عن عائشة زوج الرسول (ص): دخلت عليه فاطمة (ع) يوماً فاستقبلها وقبل يديها ثم لما ودعت ومشت شيعها النبي وقبل يديها أيضاً فسئل: ما رأيت مثل هذا في أحد من النساء ولا يناسب لمثلك؟ فقال: **ما فعلته إلا بأمر ربي تعالى**[4].

ومن خلال هذه الكنية وغيرها ومن خلال منزلتها عند أبيها والتي لا يصلها أحد من الخلق، يكفي أنه قال في حقها (ص) **(من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي الذي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله)**[5] نستدل إنها (ع) حجة على المسلمين وإن طاعتها والسير على منهجها طاعة لله سبحانه وتعالى وان تكريم الرسول (ص) لها ليس فقط لأنها ابنته البارة ولكن لأنها سيدة نساء العالمين ولأنها أصل ديمومة الإسلام وبقائه فقد أعطت (ع) درساً في الكيفية التي يجب أن تكون عليه الفتات في التعامل مع والدها من بر ورحمة وشفقة ورأفة وطاعة والحرص على عدم إدخال ولو الشيء اليسير من الحزن على قلب والدها موضحة أن مرضاة الله الطريق الأول إليه هو بر الوالدين.

---

(١) كشف الغمة: علي بن موسى الأربلي/٢/٥٣٧.

(٢) فاطمة الزهراء أفضل أسوة للنساء: السيد محمد الحسيني الشيرازي: ٣٤.

(٣) الأسرار الفاطمية/محمد فاضل المسعودي: ٢٧٢ - ٢٧٤.

(٤) مجمع النورين للمرندي: ٢٦.

(٥) كشف الغمة: ٤٦٧/١.

ومما يذكر أن النبي (ص) إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة (ع)، فخرج مرة في سفر فصنعت فاطمة (ع) مسكتين من ورق[1] وقلادة وقرطين وسترا لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها عليهما السلام، فلما قدم رسول الله (ص) دخل على فاطمة الزهراء (ع) فوقف أصحابه على الباب، لا يدرون يقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله (ص) وقد عرف الغضب في وجهه، حتى جلس عند المنبر، فظنت فاطمة (ع) أنه إنما فعل ذلك رسول الله (ص) لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها، ونزعت الستر فبعثت به إلى رسول الله (ص) وقالت للرسول: قل له: تقرا عليك ابنتك السلام وتقول: اجعل هذا في سبيل الله.

فلما أتاه قال (ص): **فعلت فداها أبوها ـ ثلاث مرات ـ ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما أسقى فيها كافراً شربة ماء، ثم قام فدخل عليها**[2].

ولعل هذه القصة من باب التعليم يعني أن فاطمة الزهراء (ع) كانت تعلم أنه لا ينبغي هذا النوع من الستر وهذا السوار وإنما أقدمت على ذلك لمصلحة أهم وهو ما صدر عن رسول الله (ص) وما عملته فاطمة (ع) بعد ذلك ليكونا أسوة لكل حاكم إسلامي وذويه[3].

وروي عنها (ع) أنه لما نزل على النبي محمد (ص) ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[4] قالت فاطمة (ع): فتهيبت النبي (ص) أن أقول له: يا أبه، فجعلت أقول له: يا رسول الله، فأقبل عليّ فقال لي: **يا بنية لم تنزل فيك ولا في اهلك من قبل أنت مني، وأنا منك، وإنما نزلت في أهل الجفاء والبذخ والكبر، قولي يا أبه، فانه أحب للقلب وأرضى للرب**[5].

فلزهراء (ع) تربت وترعرعت في أحضان الوحي والنبوة حيث ناغاها أبوها رسول الله (ص) ولاطفتها ملائكة الرحمة. وحفظها رب العزة وطهرها من أي رجس ودنس أو نقص أو عيب، وقاست الكثير مع أبيها، ودافعت عنه بيديها الناعمتين، وقدها النحيف، ودفعت عنه الأذى والأوساخ التي ألقاها بعض طغاة مكة على رأسه الشريف وهو يصلي إلى جوار الكعبة وهي تبكي وتنحب، وأكلت معه وأطعمته وسقته وشربت فضل مائه خافت عليه

(١) المسكة: السوار والخلخال. والورق: الفضة.

(٢) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى/أحمد الرحماني الهمداني: ١٠٨/١: ينضر أيضاً في البحار/٤٣/٢٠.

(٣) فاطمة الزهراء أفضل أسوة للنساء: ٨٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٥) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٢٧٢/١.

وترقبت أثر خطاه وعندما جرح في المعركة غسلت جرحه وضمدته، وربما عقمته بدموع عينيها الشريفتين، كانت عنده كل ما في هذه الدنيا لقد كان لها أباً محباً وراضياً عنها[1] فكانت بحق تجسيداً لما أراده الله في بر الوالدين.

وخير ما نختم به هو شعر للزهراء سلام الله عليها ترثي أباها (ص):

قل للمغيب تحت أطباق الثرى	إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صبت علي مصائب لو أنها	صبت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بظل محمد	لا أخشى ضيماً وكان جماليا
فاليوم أخشع للذليل وأتقي	ضيمي وادفع ظالمي بردائيا[2]

٢ ـ دو الزهراء (ع) كزوجة وأم:

أحسّ صحابة الرّسول (ص) بقيمة فاطمة لدى أبيها، فتباروا لخطبتها من أبيها طلباً للشرّف ورغبة في الكرامة، وحرصاً على التقرُّب إلى الرّسول (ص)، وكان لا بد لكبّارة قريش أن يتقدّموا لطلبها من رسول الله (ص) وفي طليعتهم أبو بكر وعمر وغيرهما. وكان الرسول (ص) يُعرض في كلّ مرّة بوجهه عنهم بعد أن يتّصل بفاطمة (ع) نفسها، فتظهر عدم رغبتها ورفضها لعرض الخطبة، والرسول (ص) حين يتّصل بالزهراء في هذه القضايا، لا لأنّه لا يعلم من يستحق أن يكون لها كفؤاً، ولكنّ روح الشريعة الإسلامية هي التي تفرض على الآباء أن لا يبتّوا في موضوع زواج بناتهم وأبنائهم دون الإطلاع على مدى رغبتهم. واستمرّ الرسول (ص) يُعرض بوجه عمّن يخطب ابنته الزّهراء (ع) ويردّه بقول (**انتظرُ فيها أمر القضاء**).

ويجد علي (ع) هوىً في نفسه لهذا الحديث فيعزم أمره للخطبة، وفي هذه اللحظات المباركة يكون الوحي قد زار محمداً (ص) قبل زيارة علي (ع) له يأمره بتزويج الزهراء من عليّ بقوله: (**يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك إنّي قد زوجت فاطمة ابنتك من عليّ بن أبي طالب في الملأ الأعلى، فزوّجها منه في الأرض**)[3][4].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: سمعتُ رسول الله (ص) يقول: (**إنّ الله أمرني أن أُزوج فاطمة من علي، ففعلت**)[5].

---

(١) كلمة فاطمة الزهراء (ع): السيد حسن الشيرازي: ٢٠.

(٢) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٣١٢/١.

(٣) ذخائر العقبى للطبري.

(٤) الزهراء: ٤٥ ـ ٤٦.

(٥) المعجم الكبير ١٠٢٠/٤٠٧/٢٢.

تبين أن إجابة أمير المؤمنين (ع) في الزواج من الزهراء (ع) وردّ سواه كانا بأمر الله سبحانه، وفي ذلك دليل على فضل أمير المؤمنين (ع) وكرامته ومنزلته عند الله تعالى[1].

ويطلب علي (ع) يد فاطمة سلام الله عليها من أبيها(ص)، ويتهلل وجه النبي، ولكنّه لا بد أن يتّصل بفاطمة (ع) فيحدّثها عن خطيبها الجديد ـ كما أمر الشّرع المقدّس فيدخل على بضعته الطاهرة (ع) ويقول لها: **(إن عليّ بن أبي طالب ممّن قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه)** واستطرد حديثه قائلاً: **(وقد ذكر من أمركِ شيئاً، فما ترين؟)**. وهنا يستولي الحياء على الصدّيقة فاطمة (ع) فلم تستطع أن تنطق بكلمة.

والرسول (ص) حين يستعرض صفات عليّ للزهراء (ع) ويتوج صفاته بالإسلام فيقول:) وإسلامه (وهذا القول إنّما صرّح به الرسول (ص) لأنّ من شروط تزويج المرء إسلامه، وهذا ما نصّت عليه الرّسالة الإسلامية في قانون الأُسرة وملابساتها كما في قول الرسول (ص): **(إذا جاءكم من ترضون خُلُقه ودينه، فزوّجوه، إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)**[2][3].

والزهراء (ع) سيدة نساء العالمين لابدّ أن يكون كفؤها سيد رجال الأُمّة بعد رسول الله (ص) ومن هنا جاءت مقاييس الاختيار والترجيح على لسان الرسول (ص) وهو يبين لابنته البتول (ع) فضل آمير المؤمنين (ع)، قال (ص):) **زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة، وإنه لأول أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً)**[4].

وقال (ص): **(أما ترضين أن زوجتك أول المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً، وإنّك سيدة نساء أُمتي كما سادت مريم نساء قومها)**[5].

فكفاءة الإمام علي لفاطمة عليهما السلامّ كفاءة تقوم على ضوء موازين الحكمة الإلهية، فالله تعالى هو الذي اختار الكفء للزهراء (ع) فكان علياً (ع) دون غيره.

قال رسول الله (ص): **(لو لم يُخلَق علي ما كان لفاطمة كفؤ)**[6] وعليه فالكفاءة هنا ليست نسَبيّة حيث إننا قد نجد كفوءاً نسبياً للزهراء (ع) كآمير المؤمنين (ع) من سائر أبناء أبي طالب، وليس المراد الكفاءة بالمال والغنى، ففي رجالات العرب من هو أغنى من أمير المؤمنين (ع) الذي تقدم إلى الزهراء (ع) وما كان يملك غير سيفه ودرعه وناضحه، ولكن أنّى

---

(١) سيدة النساء فاطمة الزهراء: علي موسى الكعبي/٤٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه: ٣/٣٩٤/١٠٨٤

(٣) الزهراء: ٤٦ ـ ٤٨

(٤) الاستيعاب: عبد البر: ٣/٣٦

(٥) المعجم الكبير ٢٢: ٤١٧/١٠٢٠.

(٦) وكشف الغمة، الأربلي ١: ٤٧٢.

لنا أن نجد كفوءاً لها يوازيها في الحكمة والهدى والرحمة وميراث النبوة وافتراض الولاء والطاعة على الناس أجمعين غير علي (ع)[١].

وإذا عرفنا أن رسول الله (ص) كان يقول: **المؤمن كفؤ المؤمنة**.. نستدل من ذلك أنه لا أحد يحمل من الإيمان الرفيع، واليقين الكامل، كالزهراء سلام الله عليها إلا أمير المؤمنين (ع)، وإذا كانت الكفاءة بين الرجال والنساء بالقوام والجمال، أو بالحسب والنسب أو بالغنى والثروة أو بالمال والمقام أو في أي مجال آخر فان الإسلام الحنيف جعل الأفضل من يفوز بالجنة[٢].

والرسول (ص) حين يشرح لفاطمة (ع) صفات علي (ع) فليس ذلك لأنّ فاطمة تجهل صفات عليّ، وإنّما استهدف أن يلقّن هذه الأُمّة - بشكل عملي وواقعيّ - صورة الزّواج الطبيعي الذي رسم الإسلام حدوده ووتّد أركانه.

وعاد محمد (ص) من فاطمة (ع) ليعرض على عليّ (ع) إحضار مهر لزواجه وسرعان ما يستجيب عليٌّ لعرض ابن عمّه، ويكشف النقاب عمّا يمتلكه، فقد كان في حيازته: سيفٌ ودرع وناضح، وراح الرسول يحدّثه بشأن ملكيّته، فقال: (**أمّا سيفك فلا غنىً بك عنه، تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله**). وهذا يعني أنّ الرسول (ص) منعه عن بيعه لما له من قيمة لا مثيل لها في إقامة صرح الإسلام الشّامخ أما ما يخص الناضح قال (ص) (**وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك**).

وأسرع عليّ (ع) لبيع درعه، فباعه بأربعمائة درهم، ليشتروا الأثاث والجهاز الذي يعتبر أروع أثاث عرفه التاريخ الإنساني، وليس عجيباً ولا بدعاً من الأمر أن نقول بروعته لأنّ العروسين قد واسيا في زواجهما وأثاثهما أقل الناس مالاً، وأعلنا للبشريّة - بامتدادها التّاريخي إنّه ليس المهم أن يجمع الزّوجان الأثاث الفاخر والمتاع الجديد، وإنّما المهم أن تتعانق القلوب وتتآلف النفوس وتلتقي الأرواح وتسود المحبّة والألفة، وأُحضر الأثاث وكانت تلك الليلة التي تم فيها زواج عليّ من فاطمة (ع) نقطة انطلاق في حياة البيت الهاشمي المقدس، ومرحلة جديدة من مراحل حياته، لأنّ في زواجهما أُنشئت المدرسة المباركة مدرسة الوحي والإيمان التي ستخرج إمامة الأرض وخلفاء الأمّة بعد محمد (ص) وقد آن لفاطمة أن تتولّى مسؤولياتها الجسيمة كزوجة وفيّة وأُمّ رؤوم ومدرسة للتربية الإسلامية بكلّ معالمها وأطرها التي رسمها خالق الوجود سبحانه وتعالى في كتابه الذي نزل على عبده محمد (ص)[٣].

---

(١) سيدة النساء فاطمة الزهراء: ٤٦ - ٤٨.

(٢) كلمة فاطمة الزهراء (ع): ١٠.

(٣) لزهراء ٤٨ - ٥٨.

وبدأت حياتها في البيت الزوجي تزداد إشراقاً وجمالاً إذ كانت تعيش في جو تكتنفه القداسة والنزاهة وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش وما أحلى الحياة الزوجية إذا حصل الانسجام في المبدأ ونوعية التفكير وبني على أساسّ الحب والاحترام[1].

ولقد كانت عادة الأشراف من قريش إذا تزوج أحدهم أن يبذلوا المهور العالية، وأن يكون الزواج مفعماً بمظاهر الإسراف، وفي زواج الزهراء (ع) قدّم النبي (ص) درساً عملياً للزواج النموذجي في الإسلام مغيراً معايير الجاهلية غير عابئ بلائمة قريش وعذلهم.

عن جابر بن عبدالله قال: لمّا زوّج النبي (ص) عليّاً من فاطمة (ع) أتت قريش فقالوا: يا رسول الله، زوجت فاطمة بمهر خسيس، فقال (ص) **(ما زوجت فاطمة من علي، ولكن الله زوجها)**[2] فليس هو إلاّ حكم الله، وقد شاء أن تكون مهور النساء متواضعة، وأجرى ذلك على لسان رسول الله (ص) حيث قال: **(أفضل نساء أُمتي أصبحهن وجهاً وأقلهنّ مهراً)**[3]. ففي مهر الزهراء (ع) درس توجيهي لنا فقد زوّج النبي (ص) أحب الخلق إليه بمهر متواضع كي يفهّم الأُمّة عمليّاً أن المهور العالية ليست في صالحها لما تسببه من تعكير لصفو المحبة والعلاقة بين الزوجين وزلزلة الوضع الاقتصادي للعائلة، فضلاً عن أنها تؤدي إلى عزوف الشباب عن الزواج وما يعقبه من مفاسد اجتماعية وأمراض روحية.

ووجدت الزهراء (ع) نفسها وهي في بيت الإمام (ع) أمام وظائف جسيمة، ومسؤوليات عظيمة، فباعتبارها القدوة الحسنة والأسوة المثلى للمرأة المسلمة، كان عليها أن ترسم الطريق لمعالم البيت الإسلامي الأمثل في الإسلام، وقد استطاعت وبكل جدارة أن تضرب أروع الأمثلة في طاعة الزوج ومراعاة حقوقه والإخلاص له، والصبر على شظف العيش وقلة ذات اليد، وفي القيام بمسؤوليات البيت وأداء واجبات الأسرة في جوّ من المودة والصفاء والتعاون والوفاء، وفي تربية الأولاد الصالحين، بما ليس له نظير، كانت الزهراء (ع) نعم الزوجة لأمير المؤمنين (ع) ما عصت له أمراً وما خالفته في شيء ولا خرجت بغير إذنه، وكانت تعينه على طاعة الله تعالى، وتؤثره على نفسها، وتدخل عليه البهجة والسرور، حتى إنّه إذا نظر إليها انكشفت عنه الهموم والأحزان.

جاء في روضة الواعظين أن الزهراء (ع) قالت في مرض موتها لأمير المؤمنين (ع): **(يا بن عم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني)** فقال (ع): **(معاذ الله! أنت أعلم بالله، وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي)**.

---

(١) على أعتاب فاطمة الزهراء: هيئة شباب الزهراء: ٢٢.

(٢) المناقب، ابن المغازلي: ٣٤٣/٣٩٥.

(٣) الكافي: ٣٢٤/٥/٤.

وبالمقابل كان أمير المؤمنين (ع) نعم البعل للزهراء (ع) يغدق عليها من فيض حبّه وعطفه، ويشعرها بإخلاصه وودّه لها، وما كان يغضبها ولا يكرهها على شيء قطّ، وإن أرجف المرجفون على هذا البيت الطاهر بأراجيف شتى.

عن أمير المؤمنين (ع) قال: **(والله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمرٍ حتى قبضها الله عزَّ وجلَّ ولا أغضبتني، ولا عصيت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان)**[١].

أما الأمومة فكانت من الوظائف الحساسة والمهام الثقيلة التي ألقيت على عاتق الزهراء (ع) وقد أنجبت خمسة أولاد هم الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم في حين اسقط جنينها المحسن قبل ولادته، وقد قدر الله سبحانه وتعالى أن يكون نسل رسول الله (ص) وذريته من فاطمة (ع) كما اخبر بذلك رسول الله (ص) بقوله **(إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب)**[٢].

إن الزهراء (ع) وهي ربيبة الوحي والنبوة تعرف جيداً منهاج التربية الإسلامية والتي تجلت في تربيتها لأبنائها (ع)[٣].

فتلك مريم واضعة في حضنها ذلك الذي احتضن الأرض والسماء، وهذه فاطمة الزهراء تتفتق خاصرتها عن سلالة هي ديمومة النبوة في خطها الصاعد مع الأجيال وما كان الحسن والحسين إلا بداية السلسلة لذرية تحدرت من قطب الوعي العقلي والتفتح النفسي هكذا تم التحضير فالرسول إنما هو فوق الأرض لتسري عليه نواميس الأرض فلن يترك صفحة الأرض قبل أن يترك لها خريطة الغد[٤].

ونشأ أولاد الزهراء (ع) في ظل رعاية الأم سيدة النساء والأب وصي المصطفى (ص) يحيطهم أشرف الأنبياء والرسل (ص) بحنانه وعطفه وتربيته فكانا عليهما السلام مشعل نور وهداية في حياة الأُمّة[٥].

٣ ـ دور الزهراء (ع) كامرأة في المجتمع الإسلامي:

إذا تجاوزنا دور الزهراء (ع) في إدارة أعمال المنزل وتربية الأولاد، نرى أن سيدة النساء قد سجّلت عناوين مهمة وآفاق جديدة لدور المرأة المسلمة في مجمل النشاطات الاجتماعية والسياسية والحربية وغيرها، ممّا يتناسب مع واقع وحاجات وظروف المجتمع. فالإسلام ينظم

---

(١) سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع): ٥٧ ـ ٦٨.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ٣/٤٤/٢٦٣٠.

(٣) أعلام الهداية: لجنة تأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت: ٣/١١٠.

(٤) فاطمة الزهراء وترف غمد: المجاهد السيد موسى الصدر/٢٢.

(٥) سيدة النساء فاطمة الزهراء علي موسى الكعبي: ٧٤.

الحياة في تناسق رائع. فواجب المعاش على الرجل ويعفي المرأة من العمل للتفرغ للبيت حيث تعتني بواجباته وفي نفس الوقت لا يحرم العمل على المرأة طلبا للمزيد من المال، أو كسب العيش فهي حرة في ذلك[1].

لقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها، وشرّع القوانين لحمايتها ورعاية مصالحها، ومنحها الحرية ضمن تعاليمه السامية في طلب العلم والحصول على الملكية والإرث والعمل، ولكن بشرط آن لا تكون على نمط الحرية الإباحية التي تعرض فيها المرأة نفسها بالمجان، وتكون سبباً في إفساد بنية الأسرة وانحراف المجتمع، كما هو الحال في المجتمعات الغربية.

ولقد ضربت الزهراء (ع) أروع الأمثلة في ما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة من حصانة وعفّة مع أدائها لدورها في داخل المنزل وخارجه على أتمّ وجه، فهي النموذج الأمثل الذي قدّمه الإسلام للمرأة، فمن الحقّ أن يقتدى بها في كل ما أُثر عنها من مبادئ العفّة والحجاب، فقد روي عنها (ع) أنّها قالت: **(خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل)**[2].

قال أمير المؤمنين (ع): **(إنّ فاطمة بنت رسول الله (ص) استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي (ص): لِمَ حجبتيه وهو لا يراك، فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح. فقال النبي (ص): أشهد أنك بضعة مني)**[3].

وهذا التّصريح من الزهراء (ع) ليس قولاً تطبعه الهواية أو الصفة النظريّة، وإنّما يمثل حقيقة يقرُّها الواقع الإنساني الفسيولوجي والاجتماعي.

ربّما يجد المرء - سيّما ممن يعيش في هذا القرن أنّ في هذا القول مبالغة في الحجاب بالنسبة للمرأة، وحصرها في إطار البيت يقول المرء هذا إذا لم يكن قد عرف السّر الذي دفع الزهراء (ع) أن تعلن هذا المفهوم الإسلامي الأصيل، وقد يتّفق المعترض مع الزّهراء إذا عرف أنّ الإنسان يملك فيما يملك غريزة أصيلة تعرف بالغريزة الجنسية ومما يميّز هذه الغريزة وبعض الغرائز الأخرى لدى الكائن الانساني: أنّها تثار من الخارج ومن محيط الإنسان عينه، فتثيرها الأحاديث الجنسيّة والقصص المغرية والأفلام الخليعة والمجلّات الدّاعرة والأغاني وغيرها، فتجعل من الإنسان أكثر اندفاعاً لإشباع هذه الغريزة فقد حاول الإسلام - وهو دين العفّة والفطرة - أن ينزّه مجتمعه الكريم من كلّ هذه الآثار الّتي تؤدي بدورها إلى إثارة هذه الغريزة الجنسية، وكان في طليعة مشاريعه التي أقامها بغية حفظ التوازن في المجتمع - أن منع التبرج والاتصال غير المشروع بين الرجال والنساء، لأنّ هذا الاتصال إن وقع

---

(١) المرأة في المجتمع الإسلامي: السيد محمد تقي المدرسي: ١٣

(٢) المناقب ابن شهرا شوب ٣: ٣٤١

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٩١ - ١٦/٩٢

سيكون مدعاة للانحراف فالإسلام التزم جانب الوقاية لمنع حدوث الداء فللرّجل والمرأة الحق" فقط"- أن يرى بعضهما الآخر ويمارس نشاطه معه في إطار شرعيٍّ نظيف، بعيد عن منطق الشهوات الهابطة[١].

والتزام الزهراء (ع) بالحجاب الإسلامي لم يمنعها من أداء دورها الرسالي في الدفاع عن عقائد الإسلام وسُنّة أبيها المصطفى (ص) واسترجاع حقّها السليب، فقد وصفها الرواة حينما جاءت إلى مسجد النبي (ص) بقولهم: لمّا بلغ فاطمة (ع) إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ... فدخلت عليه وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها مُلاءة....

ومن مظاهر العفة والحشمة التي سجلتها الزهراء (ع) سُنّة تُقتدى إلى اليوم، هي أنّها عندما اشتكت شكوتها التي قبضت فيها، قالت لأسماء بنت عميس: (**ألا تجعلي لي شيئاً يسترني، فإنّي استقبح ما يصنع بالنساء، يطرح على المرأة الثوب فيصفها**)، فقالت أسماء: إني رأيت شيئاً يصنع بالحبشة، فصنعت لها هيئة النعش، فقالت (ع): (**اصنعي لي مثله استريني سترك الله من النار**)، فكان نعشها أول نعش أُحدث في الإسلام، واتخذ بعد ذلك سُنّة[٢].

المحور الثاني: دور الزهراء (ع) في التربية العقائدية والعبادات:

لا بد لكل إنسان من عقائد على المستوى النظري ومن ثم يأتي المستوى التطبيقي لهذه العقائد فالعقائد هي التي تحدد شكل الإنسان وشاكلته وتشكل هيئته الباطنية وحقيقته الواقعية وعلى هذا الأساس إذا كانت العقيدة صائبة ومطابقة للواقع كانت عندئذ طريقة الإنسان المؤمن بالحياة صحيحة أما إذا كانت عقيدته فاسدة فسيبتعد عن الطريق الصحيح الذي خطه له الشرع المبين لذلك كان التركيز على العقيدة قبل أي شيء آخر.

للزهراء سلام الله عليها ارتباط في أصل العقائد الصحيحة للفرد المؤمن فإذا ما أتينا إلى جانب التوحيد نجد أن الزهراء سلام الله عليها مرتبطة بصميم التوحيد وهذا ما تدل عليه الروايات للأحاديث الشريفة للرسول (ص) (**إن الله ليغض لغضب فاطمة ويرضى لرضاها**)[٣]، (**من عرف فاطمة فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي الذي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**)[٤] ونستفيد من خلال

---

(١) الزهراء فاطمة بنت محمد عليها السلام: ٩٥ - ٩٦.

(٢) سيدة النساء فاطمة الزهراء: ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) أمالي الصدوق ٤٦٧/ح ٦٢٢.

(٤) كشف الغمة: ٤٦٧/١.

التمعن في هذه الروايات وغيرها إنها سلام الله عليها كانت معصومة بالعصمة المطلقة إذ لا فائدة من ارتباط أذاها ورضاها بالله سبحانه وتعالى أن لم تكن كذلك إذ إنها سلام الله عليها ومن خلال الأحاديث الشريفة للنبي الذي لا ينطق عن الهوى (ص) لها ارتباط بأصل التوحيد بالله سبحانه وتعالى سواء كان هذا الارتباط على هيئة غضب الله ورضاه أو على هيئة حب الله سبحانه وتعالى أو آذاه.

كما أن للزهراء سلام الله عليها ارتباط بالنبوة ونذكر للاختصار حديث شريف واحد رغم وجود العديد من الأحاديث ألداله على ذلك قال (ص) **(إنها "فاطمة" بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها)**[1] إن كلام الرسول (ص) هذا يدل على أن غضبه ليس باعتباره والدها وإنما غضب النبوة.

والإمامة التي تشكل أصلا من الأصول الخمسة الدينية عند الشيعة الأمامية بعد التوحيد والنبوة والعدل فلا يخفى ما للزهراء (ع) من ارتباط وثيق بهذا الجانب فهي الحجة على الأئمة (ع) فعن الإمام الحسن العسكري (ع) انه قال **(نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة (ع) حجة الله علينا)**، ثم أن الزهراء سلام الله عليها كانت الرحم الطاهر لحمل الإمامة فهي أم الأئمة الأطهار.

قال رسول الله (ص) **(إن الله جعل عليا وزوجته وأبناؤه حجج الله على خلقه وهم أبواب العلم في أمتي، من اهتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم)**[2]. وتكفي إن جاءت في حق هؤلاء الأربعة سلام الله عليهم آية المباهلة[3].

فالزهراء الوسيلة لبزوغ الكواكب السماوية للإمامة إذ مظهر أفق وجودها مشرق الحلم الحسني والشجاعة الحسينية والعبادة السجادية والمآثر الباقرية والآثار الجعفرية والعلوم الكاظمية والحجج الرضوية والجود التقوية والنقاوة النقوية والهيبة العسكرية إلى المهدي الموعود الذي هو منتهى مواريث الأنبياء[4].

وسنعرج على جانب من خطبة الزهراء سلام الله عليها في المسجد النبوي الشريف وسنحاول شرح ما جاء بها من ارتباط بالتوحيد والعبادة: حيث قالت (ع):

الحمد لله على ما انعم، وله الشكر على ما الهم، والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها وتمام منن آولاها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، وأستحمد إلى

---

(١) مسند أحمد: ٤/٥.

(٢) شواهد التنزيل للحافظ الاسكاني الحنفي ١/٥٨، ٥٩.

(٣) الأسرار الفاطمية ١٤٠ ـ ١٦٠.

(٤) على أعتاب المصيبة العظمى: الشيخ وحيد الخرساني: ١٠.

الخالق بإجزالها وثنى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها وأنار في التفكر معقولها، الممتنع عن الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها،. إلى أن قالت (ع) فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشّرك، والصّلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنّفس ونماء في الرّزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدّين، والعدلَ تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام وذلاً لأهل الكفر والنّفاق، والصّبر معونةً على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مصلحةً للعامة، وبرّ الوالدين وقايةً من السُّخط، وصِلَة الأرحام منسأةً في العمر ومنماةً في العدد، والقصاص، حقناً للدّماء، والوفاء بالنّذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخسة، والنّهي عن الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السّرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشّرك إخلاصاً له بالربوبيّة (فاتّقُوا اللّه حقّ تقاته، ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عَنهُ، فإنّما يخشى الله من عباده العلماءُ...)[1].

إن شكر المنعم واجب شرعاً وعقلاً فهو سبحانه يستحق الحمد على ما أنعم من نعم ظاهرة كالحياة والصحة وغيرها ومن نعم باطنه كالعلم والمعرفة والثناء على النعم التي آخرها إلى الدار الآخرة وهي الجنة ونعيمها ولله نعم قدمها في الدنيا كالماء والهواء ونعمة الإيجاد والخلق ونعم ابتدائية كانت موجودة قبل إيجاد البشر كالجاذبية والغلاف الجوي والشمس وغيها مما علمنا به أو لم نعلمه، وسبوغ نعم أسداها أي النعم الشاملة التي أعطاها الله سبحانه وتعالى للبشر كالأعضاء والجوارح والمشاعر وتمام من والاها معنى والاها أي المتابعة في العطاء أي نعمة بعد نعمة متواصلة متواترة فعجز الناس عن إحصائها وعدها ولا يستطيع الانسان أن يجازي ربه على نعمه وأياديه ثم تعرج سلام الله عليها على واجب الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى وأنه يوجب الزيادة وإن الله سبحانه ندب عباده ودعاهم إلى الاستزادة من موجبات الخير والرحمة كالإنفاق في سبيل الله. ثم تقول (وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الإخلاص تأويلها) أي جعله خالصاً من النقائص كالجسم والعرض وكمال الإخلاص نفي الصفات عنه أي الصفات الزائدة على ذاته لأن كل موجود متصف بصفة وصفته غير ذاته فالإنسان غير العلم والعلم غير الإنسان، ولكن الله تعالى علمه عين ذاته وبقية صفاته كلها، ثم توضح سلام الله عليها أن الله سبحانه وتعالى ألزم القلوب معرفته وهو معنى التوحيد الفطري و(وأنار في الفكر معقولها) أي الذي توصل إليه بعد التدبر والتعمق

---

(١) أعلام الهداية: ١٥٠. ينضر أيضاً في من المهد إلى الحد: ٢٩٩. والأسرار الفاطمية ٤٧٠.

وهذا هو التوحيد النظري وأنه سبحانه ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر ولا تدركه الأبصار لأن الأعين لا ترى إلا الأجسام والأعراض ولا تستطيع الألسن وصفه ولا يستطيع الإنسان تصوره سبحانه[1]. ثم ترسم الزهراء (ع) الحقيقة الكبرى التي امتاز بها الإسلام عن سواه من الشرائع: في كونه عقيدةً ونظاماً ومنهجاً فهرس الحياة الإنسانيّة برُمّتها، وبرمج متطلّبات النّوع الإنساني بهيكل تشريعي ضخم، طرق باب كلّ مشكلة من مشاكل الحياة الإنسانية، وتوفّر على حلّها بما يتناسب والمصلحة وبما يتماشي والحكمة.

ونحن بدورنا حين نستقرىء جانباً من خطبتها (ع) يتّضح لنا أنّها حين تحدّثت عن فلسفة الإسلام وإطاره العام لم تكن لتستهدف إقناع مخاطبيها أنّ في الإسلام نظاماً يهذّب الفرد، وينظّم الجماعة، ويقيم الدّولة، وإنّما كان ذلك أمراً بديهيّاً في حديثها، بل من الأمور التي لا يرتاب فيها مسلم، مهما انخفضت درجة إيمانه بالإسلام يوم ذاك، ولذا فإنّ الزّهراء (ع) استعرضت معالم الإسلام وتعليماته كوسيلة لتبيان حقيقة أُخرى ترتبط بالحقيقة الأُولى، إذ كان همُّها أن تبيّن الأهداف السّامية التي من أجلها كان التّشريع الإسلامي بهذا الشكل لا بسواه، بل إنّها أرادت أن ترسم العلل التي من أجلها حدّدت معالم الرّسالة الإسلامية بهذه الصيغة المعلومة وإبرازاً لهذه الحقيقة. دشّنت الزهراء (ع) حديثها عن الإسلام مبتدئة بالإيمان: «**فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشّرك...**» فهي تؤكد لنا أنّ الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر - الذي أوجب الله الالتزام به كعقيدةٍ رصينة للمسلم يمثّل المناعة الطبيعية التي يمتلكها المسلم لدرء وباء الشّرك الذي يزلزل العقيدة القويمة ويهدّد كيانها بالانهيار، لأنّ الشرك والإيمان لا يمكن أن يجتمعا في كيان إنسان واحدٍ أبداً، لأنّهما مفهومان لكلّ منهما معالمه التي تسيطر على العقل والروُح، فإذا دخل الشّرك عقلية المسلم فإنّ ذلك يعني أن قوى الإيمان قد انسحبت من المنطقة التي احتلّتها قوى الشّرك في ذهنه.

والمشرك على هذا الأساس - من يستهدي في حياته الفكرية أو العملية منهجاً غير منهج الله تعالى، أو من يخلط بين مفاهيم الرسالة الإسلامية وغيرها من نتاج الجاهليّة الهوجاء. وحين تفتتح الزّهراء (ع) حديثها عن الإسلام بالحديث عن الإيمان وفلسفته وبصفته الركيزة الأُولى التي يقوم عليها المبدأ الإسلامي الحنيف، تنطلق - بعد ذلك - لتحديد معالم الإسلام فتختتم حديثها عنها بالتحدُّث عن الإيمان أيضاً: وحرّم الله الشرك، إخلاصاً له بالربوبية فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّما يخشى الله من عباده العلماء...».

---

(١) من المهد إلى الحد: ٣٠٤ - ٣١٠.

فهي تعلن حرمة الشّرك الذي لا تتحقق العبودية المطلقة لله في كيان المرء إذا دخل في نفسه، ثم تعلن فلسفة تحريمه التي تنسجم ومتطلّبات الإيمان الصّحيح، وأن تحريمه كان حفظاً لمبدأ العبودية المطلقة لله سبحانه، وتأكيداً لربويّته في الأرض: في الفكر والعمل والعواطف، ثم تنطلق لتحذّر من مغبة الشّرك: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. حيث ألزمت الأمة والأجيال القادمة بالسّير على منهج الله بعيداً عن المتاهات والزّيغ، ولا يتّم ذلك إلا بالسّير وفقاً لمفهومي الحلال والحرام الإسلاميين، لأنهما ـ وحدهما ـ اللّذان يمثلان المقياس الثابت الّذي يزن المرء بهما سلوكه وتصرفاته وكافة ألوان نشاطه في حياته. وهذان المفهومان قد عبّرت عنهما الزّهراء بأمر الله ونهيه ـ كما دلّ عليه قولها (وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنما يخشى الله من عباده العلماء...)[١].

وفي حديث للزهراء (ع) توضح فيه أن أباها (ص) وزوجها (ع) هما أبوا هذه الأمة حيث قالت سلام الله عليها لبعض النساء: (**أرضي أبوي دينك محمداً وعلياً بسخط أبوي نسبك، ولا ترضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك، فان أبوي نسبك أن سخطاً ارضاهما محمد وعلي عليهما السلام بثواب جزء من ألف ألف جزء من ساعة من طاعاتهما، وأن ابوي ديتك "محمد وعلي" أن سخطاً لم يقدر أبوا نسبك أن يرضيهما لأن ثواب طاعات أهل الدنيا كلهم لا يفي بسخطهما**)[٢].

ومما عرف عنها سلام الله عليها إنها كانت تستقبل نساء المسلمين في بيتها لتجيب عن الأسئلة الفقهية والعقائدية ومما يذكر انه اختصم لديها امرأتان، فتنازعا في أمر من الدين إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمة (ع): (**إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك وان حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها: وإن الله تعالى قال للملائكة أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف ما كنت أعددت لها واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان له معداً من الجنان**)[٣].

والعبادة لها معنيان معنى عام ومعنى خاص: فالعبادة بمعناها العام هي كل ما يتقرب الإنسان به إلى الله سبحانه وتعالى من النوايا الطيبة والأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة وغيرها. أما المعنى الخاص فهي الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من العبادات. وقد

---

(١) الزهراء فاطمة بنت محمد: ١٤٧ ـ ١٥٠.

(٢) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٣٠٠.

(٣) كلمة فاطمة الزهراء (ع): ١٠٤.

تجلت العبادة بكل معانيها في حياة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع). فحياتها كلها عبادة من البداية إلى النهايه فمن حمل الماء إلى بيوت الفقراء والمساكين وإطعام الطعام والإيثار وتعليم الأحكام الشرعية والزهد والبساطة في العيش وتحمل أعباء الحياة بالإضافة إلى الصلاة والخشوع في محرابها والمناجاة والأدعية فهي مصداق للآية الشريفة ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1][2].

ولها سلام الله عليها الكثير من الأدعية مثل دعاء النور بالإضافة إلى التسبيح الذي علمها إياه والدها (ص) والمعروف بتسبيح الزهراء.

عن أبي جعفر (ع) أنه قال **(ما عبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة (ع) ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله (ص) فاطمة)**[3].

وعن علي (ع) قال: شكت اليَّ فاطمة مجل يديها من الطحن، لو أتيت أباك فسألته خادماً فقال (ص) **(الا أدلكما على ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما مضجعكما تقولان ثلاث وثلاثين وثلاث وثلاثين وأربع وثلاثين من تحميد وتسبيح وتكبير)**[4].

وضل بعدها تسبيح فاطمة الزهراء (ع) على السن المسلمين سنة تتداولها الأجيال إلى ما شاء الله من بقاء الإنسان على الارض، فالعالم الإسلامي بكل طوائفه وانتمائاته يعملون بهذه السنة الحسنة[5].

عن الإمام الباقر (ع) في حديث - قال: **«قال رسول الله (ص): إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً إلى مشاشها، ففرغت لطاعة الله»**[6].

وسأل النبي (ص) عليّاً (ع): **«كيف وجدت أهلك؟»** فقال (ع): **«نعم العون على طاعة الله»**[7].

ومن مظاهر عبادتها (ع) طول قيامها في الصلاة وكثرة خشوعها، فقد روي عن الحسن البصري أنه قال: **ما كان في هذه الأمّة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورّم قدماها**[8].

---

(١) الذاريات: ١٨.

(٢) فاطمة الزهراء (ع) من المهد إلى الحد: ١٠٧.

(٣) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ١٧٨/٢٢ إسماعيل الانصاري.

(٤) سنن الترمذي: ٢٤٠٨/٤٧٧/٥.

(٥) فاطمة بين النبوة والإمامة: الشيخ كمال معاش: ٦٦.

(٦) دلائل الإمامة: الطبري: ٤٧/١٢٩.

(٧) المناقب: ابن شهراشوب: ٣٥٦/٣.

(٨) سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع): ١١٣.

قال الإمام الحسن سلام الله عليه (**رأيت أمي فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعوا للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعوا لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت يا بني الجار ثم الدار**)[1].

المحور الثالث: الأخلاق:

الأخلاق في الإسلام عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم وخير من يجسد الأخلاق الإسلامية الصحيحة هم أهل بيت النبوة لأنهم خلقوا ليكونوا قدوة وحجة علينا في أفعالنا. وهكذا كانت الزهراء سلام الله عليها كريمة الخلق، نبيلة النفس، جليلة الحسن، جزلة المروءة، غراء المكارم،... الخ من مكارم الأخلاق كانت لا يجري لسانها بغير الحق ولا تنطق إلا بالصدق فلا غيبة ولا نميمة ولا همزة ولا لمزة[2].

وسجّلت الزهراء (ع) دوراً بارزاً في الإنفاق في سبيل الله وعتق الرقاب وإعانة الضعفاء والمعوزين من أبناء المجتمع الإسلامي على الرغم من شظف العيش وشدّة الزمان.

من ذلك تصدّقها بقوتها ثلاثة أيام على المسكين واليتيم والأسير في جملة زوجها علي وولديها الحسن والحسين (ع)، فأنزل الله تعالى فيهم قرآناً يتلى وهو سورة الدهر[3] ونضيف ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[4] قال: نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع).

وعن أبي هريرة: أنّ رجلاً جاء إلى النبي (ص) فشكا إليه الجوع، فبعث إلى بيوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلاّ الماء، فقال (ص): «**من لهذه الليلة؟**» فقال علي (ع): «**أنا يا رسول الله**» فأتى فاطمة (ع) فأعلمها، فقالت: «**ما عندنا إلاّ قوت الصبية، ولكنّا نؤثر به ضيفنا**». فقال علي (ع): «**نوّمي الصبية، وأنا أُطفىء للضيف السراج**» ففعلت وعشّى الضيف، فلما أصبح نزل الله عليهم هذه الآية: (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**).

ومن نماذج الإيثار والسخاء الأخرى ما ذكره ابن الجوزي أنّها (ع) أهدت قميصها في ليلة زفافها إلى سائل بالباب. وجاء في (بحار الأنوار) أنها (ع) أهدت عقدها وجلد كبش مدبوغ

---

(١) علل الشرائع: الشيخ الصدوق: ١٨١؛ ينظر في بيت الأحزان: الشيخ عباس القمي: ٣٨.

(٢) أعلام الهداية: ٤٠.

(٣) سيدة النساء فاطمة الزهراء: ١٢٦، ينظر في فاطمة الزهراء امتداد النبوة: محمد الحسيني الشيرازي: ٣١.

(٤) سورة الحشر: ٩.

بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين عليهما السلام إلى شيخ مسكين من مهاجرة العرب وليس ذلك ببعيد عن آل بيت النبي (ص) الذين طبعوا على السخاء والكرم اقتداءً برسول الله (ص)، وقد روي عن فاطمة (ع) أنها قالت: «**قال لي أبي رسول الله (ص): إياك والبخل فإنّه عاهة لا تكون في كريم، إياك والبخل فإنّه شجرة في النار، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها أدخله النار، والسخاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها أدخله الجنة**»[1].

ونختم هذا المحور ببيان بعض الصور من معاناة الزهراء (ع) وصبرها على الشدائد بقوة الإيمان وعزيمة الإخلاص احتساباً لأجر الآخرة.

لقد تعرّضت الزهراء (ع) إلى مزيد من الصعاب والأزمات في جميع مراحل حياتها: ذلك لأنّ الحكمة الإلهية اقتضت أن تكون فاطمة (ع) رمزاً لفضيلة المرأة وقدوةً لكمالها الإنساني في مجتمع يسوم المرأة أنواع الظلم والكبت والقهر، فالقدوة التي خلقها الله تعالى للآخرة لا للدنيا، لابد أن تكون محطة للمصائب والمحن والمعاناة، وإلاّ فكيف تعلّم غيرها درس المقاومة والصبر وتجاوز المصاعب والعقبات؟ ومن هنا نجد أنّ الأنبياء والأوصياء والأئمة المعصومين، كانوا أشد الناس محنةً وبلاءً، لا امتحاناً وابتلاءً كما يفهمه البعض، فإنّهم خارج دائرة التجربة والاختبار: لأنّ الله تعالى اصطفاهم وفضلهم على العالمين.

ولقد أخبرها الرسول (ص) بأنّها أكثر نساء المسلمين معاناة ورزية حيث روي عن عائشة: أنه قال رسول الله (ص) لفاطمة: «**إنّ جبرائيل أخبرني أنّه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منك، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبراً**»[2][3].

المحور الرابع: دور الزهراء في التعليم وتدوين السنة النبوية الشريفة:

من الصفات النقية الأخرى التي تحلت بها الزهراء (ع) ويجب على المسلمين أن يقتدوا بها هو العلم. إذ كانت الزهراء (سلام الله عليها) عالمة بكل ما للكلمة من معنى، وكيف يمكن أن تكون غير ذلك وهي تتلقى العلم من مدينة العلم وهو النبي (ص) ومن بابها وهو علي (ع).

فهي العارفة بالله وبحقائق الكون والفلسفة وقربها من المسجد الحرام كان يتيح لها أن تتابع أحكام الله وتلاوة آياته المباركة هذا بالإضافة إلى ما كان لديها من العلم اللدني[4].

---

(١) دلائل الإمامة: الطبري: ٧٠/٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٨: ١١١.

(٣) سيدة النساء فاطمة الزهراء: ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٤) فاطمة الزهراء امتداد النبوة: ٢٣.

وكان بيت الزهراء (ع) بمثابة المدرسة الأولى لتعليم النساء في الإسلام حيث كن يقصدنها (ع) لينهلن من معارفها، ويقتبسن من أنوارها، ويستلهمن من روحانيتها ومكارمها، وقد أشرنا إلى دورها العلمي في تعليم النساء معالم الدين والعبادة وما يشكل عليهن.
وللزهراء (ع) دور في حفظ السُنّة النبوية، على الرغم من تقدم وفاتها، حيث ودّعت الدنيا وهي في عمر الورد، فقد روى عنها جمع من الصحابة، منهم أمير المؤمنين (ع)، والإمام الحسين(ع)، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله ابن عباس، وأنس بن مالك، وعائشة، وأمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وزينب بنت أبي رافع وغيرهم.

وأخرج الطبراني والحافظ ابن كثير أحاديثهم مسندة عن الزهراء (ع) فبلغت تسعة عشر حديثاً[٤] وأخرج أبو جعفر الطبري الإمامي في أول الدلائل ثمانية عشر حديثاً مسنداً عنها غير الأحاديث المتقدمة [٥].

وجمع الحافظ جلال الدين السيوطي حديث الزهراء (ع) المروي عن رسول الله (ص) في (مسند فاطمة الزهراء (ع) فكان فيه ٢٨٢ حديثاً في مجمل أحوالها وتاريخها وما روي عنها، وقد جمعه من كتب العامّة المعتبرة. وجمع الشيخ عزيز الله العطاردي في (مسند فاطمة الزهراء) ١١٢ حديثاً مروياً عنها من مصادر الشيعة وبعض مصادر العامّة وعدّ في آخر المسند تسعة وعشرين صحابياً ممن روى عنها (ع).

وممّا تقدّم يتبين أن ما قاله السيوطي في (الثغور الباسمة): جميع ما روته فاطمة (ع) من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث لتقدم وفاتها، لا يجانب الصواب، بل ويناقضه ما أخرجه السيوطي نفسه في مسند فاطمة الزهراء (ع) من حديثها الذي بلغ أضعاف هذا العدد[١].

استنتاجات البحث:

- إن المتتبع لسيرة الزهراء سلام الله عليها يجد إنها امرأة استثنائية فهي (ع) قد عصمها الله بالعصمة المطلقة وهذا ما أثبته القرآن والسنة النبوية الشريفة فقد خلق الله فاطمة الزهراء (ع) لتؤدي دوراً إلهياً وتكون سيدة نساء العالمين ونموذجاً للمؤمنين.
- إن الزهراء (ع) جسدت من خلال حياتها الأسرية سواء كانت ابنة أو زوجة أو أم تطبيقاً عملياً لما أراده الله للمرأة في المجتمع الإسلامي وحاربت (ع) جميع المظاهر المنحرفة والتي تؤدي إلى تفكيك الأسرة المسلمة وانهيارها.

---

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ٢٢: ٤١٣ ـ ٤٢٤، جامع المسانيد والسنن/ابن كثير: ١٦: ٣٤ ـ ٥٠ دار الفكر بيروت.

(٥) دلائل الإمامة/الطبري: ٦٥ ـ ٧٩.

(١) سيدة النساء فاطمة الزهراء: ١٢٠ ـ ١٢١.

- لقد ضربت الزهراء (ع) أروع الأمثلة في ما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة من حصانة وعفّة مع آدائها لدورها في داخل المنزل وخارجه على أتمّ وجه، فهي النموذج الأمثل الذي قدّمه الإسلام للمرأة، فمن الحقّ أن يقتدى بها في كل ما أُثر عنها من مبادئ العفّة والحجاب.
- للزهراء سلام الله عليها ارتباط في أصل العقائد الصحيحة للفرد المؤمن، فهي مرتبطة بصميم التوحيد والنبوة والإمامة.
- كانت هذه العظيمة صديقة كبرى، فهي أفضل صديقة، وكانت صديقتها بعبادتها لله سبحانه وتعالى فالأساس هو عبادة الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا عبثاً، والعبادة لا تعني فقط الأعمال العبادية المعروفة كالصلاة والصوم بل هي معنى أعمق من ذلك أنها العبودية لله وحده ومنهج يشمل كل الحياة.
- هذه الزهراء التي أردنا جعلها أسوة لنا فهي امرأة شابة تعيش حياة بسيطة وتلبس ثياب الزاهدين وتقوم بإدارة بيتها ورعاية أولادها ومع ذلك فهي جبل عظيم من المعرفة وبحر زاخر من العلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر:

- منهج التربية الإسلامية: محمد قطب - ط ١٤ - دار الشروق - بيروت ١٩٩٣م.
- معجم علم الاجتماع - د. عدنان أبو مصلح - ط١ - دار آسامة - الأردن.
- المفردات في غريب الحديث: الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ): تحقيق: محمّد سيّد كيلاني - دار المعرفة - بيروت (د. ت).
- المدخل إلى التربية والتعليم، عبد الله الرشدان، ط٢، دار الشروق عمان، ٢٠٠٢.
- المقاييس في اللغة: أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو - ط٢ - دار الفكر - بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- التربية، إبراهيم بن عبد العرير الدعيلج، ط١، دار القاهرة، القاهرة ٢٠٠٧.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري - دار الفكر - بيروت - ط١.
- نهج البلاغة، خطب وحكم أمير المؤمنين، جمعه ورتبه الشريف المرتضى محمد بن الحسين بن موسى الموسوي - دار الذخائر - قم - ط١ - ١٤١٢هـ.
- سنن الترمذي - الحافظ أبي عيسى الترمذي - طبعة دار المغرب الإسلامي - ط١.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة - علي بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني الجزري. ابن أثير - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٧هـ.
- الاصابة في تميز الصحابة - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ.
- فاطمة الزهراء (ع) من المهد إلى اللحد - السيد محمد كاظم القزويني - مطبعة سيد الشهداء (ع) مكتب بصيرتي - قم - ١٤١٤ هـ ق - طبعة منقحة ومصححة.

❖ الزهراء فاطمة بنت محمد (ص) عبد الزهراء عثمان محمد.
❖ المرأة نصف الدنيا ـ السيد علي خامنئي ـ مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.
❖ فاطمة الزهراء أفضل أسوة للنساء ـ السيد محمد الحسيني الشيرازي ـ مؤسسة التبليغ العالمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٦ ـ ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٢ م.
❖ كشف الغمة في معرفة الأئمة ـ علي بن عيسى الاربلي ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٥هـ.
❖ الأسرار الفاطمية ـ محمد فاضل المسعودي ـ مؤسسة الأندلس ـ بيروت لبنان ـ ط١ ـ ١٤٣٣ه ـ ٢٠١٢ م
❖ فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ـ ج١ ـ أحمد الرحمن الهمداني ـ مؤسسة النعمان للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
❖ بحار النوار ـ العلامة محمد باقر المجلسي ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ.
❖ كلمة فاطمة الزهراء (ع) السيد حسن الشيرازي ـ هيئة محمد الأمين (ص) ط٢ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
❖ ذخائر العقبى ـ أحمد بن عبد الله الطبري ـ مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ ط (١٢٥٦هـ).
❖ سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع) علي موسى الكعبي.
❖ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ يوسف عبد الله محمد عبد البر أبو عمر ـ دار الفكر ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
❖ على أعتاب فاطمة الزهراء سلام الله عليها ـ هيئة شباب الزهراء.
❖ مناقب علي بن أبي طالب (ع) علي بن محمد الواسطي الشافعي ابن لمغازلي ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ.
❖ الكافي ـ الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ط٤ ـ ١٢٦٥هـ.
❖ أعلام الهداية ـ ج٣ ـ لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العلمي لأهل البيت (ع) المعاونية الثقافية للمجمع العلمي لأهل البيت (ع) لبنان ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م.
❖ فاطمة الزهراء وتر في غمد ـ سليمان الكتاني المسيحي (معاصر).
❖ سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع) علي موسى الكعبي.
❖ المناقب ـ ابن شهر آشوب ـ مؤسسة العلامة للنشر ـ قم ـ ١٣٧٩ هـ.
❖ دلائل الإمامة ـ محمد بن جرير بن رستم الطبري الشيعي ـ مؤسسة البعثة ـ قم ـ ط ١٤١٣هـ.
❖ المعجم الكبير ـ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٤هـ.
❖ حامع المسانيد والسنن ـ ابن كثير ـ دار الفكر ـ بيروت.
❖ فاطمة الزهراء امتداد النبوة ـ السيد محمد الحسيني الشيرازي ـ هيئة محمد الأمين (ص) ط٣ ـ ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.
❖ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢.
❖ علل الشرائع ـ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق ـ المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف ـ ط ١٣٨٥هـ.
❖ بيت الأحزان ـ الشيخ عباس القمي ـ دار زينب الكبرى.
❖ الموسوعة الكبرى لفاطمة الزهراء (ع) ج٢٢ ـ إسماعيل الأنصاري ـ مطبعة نكارش ـ إيران ـ قم ـ ط١ ـ ١٤٢٨هـ.
❖ فاطمة الزهراء بين النبوة والإمامة ـ الشيخ كمال معاش ـ دار العلوم للتحقيق والنشر ـ بيروت ـ لبنان.
❖ فاطمة الزهراء (ع) أم أبيها ـ فاضل الحسيني الميلاني ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت. ❖

أثر السيدة الزهراء (ع) في الحياة الفكرية
(مروياتها الفقهية أنموذجاً)

د. جبّار محمد هاشم الموسوي(*)
د. أمل سهيل عبد الحسيني(**)

المقدمة

إن سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع) مجهولة قدراً ومهضومة حقاً، ولعل من مصاديق مجهولية قدرها عدم الاستفادة من كلماتها وخطبها في (الفقه)، وعدم إدراجها ضمن الأدلة أو المؤيدات التي يُعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية، وبالرغم من أن المصادر التاريخية لم ترفدنا إلا باليسير جداً عن تلك الإسهامات المتميزة لسيدة نساء العالمين ـ أي الإسهامات الفقهية، أما غيرها فكثير ـ إلا أننا نستشف من خلاله عظمة وأهمية ما قدمته الزهراء (ع) للإسلام والمسلمين.

أما الحديث عن جوانب حياتها المختلفة فسوف لن يكون له عندنا النصيب الأوفر؛ باعتبار أنها حظيت باهتمام جل كتابنا، فسيرتها لامعة في كتب التاريخ والسير والتراجم وغيرها، وهي أكثر إشعاعاً في البحوث والكتب التي تتحدث عن غيرها من الشخصيات.

فمن من الناس لا يعرف فاطمة الزهراء، فهي وديعة المصطفى وحليلة المرتضى، ومظهر النفس الكلية على أتم الوجوه الممكنة، وهي الحوراء بتعيين أنسي، ومطلع الأنوار البهية، وضياء المشكاة النبوية، وصندوق الأسرار الإلهية، ودعاء المعارف الربانية، وعصمة الله الكبرى، وآية الله العظمى، فهي من حازت مقام العصمة الإلهية الكبرى، كما عليه الإجماع القطعي، وذهب إليه الأعاظم من عباقرة العلم والمعرفة، كالشيخ المفيد والسيد المرتضى[1]. ويكفينا شاهداً على ذلك آية التطهير، فهي من قال فيها الإمام العسكري(ع): (نحن حجج الله على الخلائق، وأما فاطمة حجة الله علينا)[2]، وهي من قال فيها صاحب

(*) جامعة الكوفة، كلّية الآداب.
(**) جامعة كربلاء، كلّية العلوم الإسلامية.

(١) ذهب إليه في رسائل المرتضى: الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين (ت: ٤٣٦هـ)، ٣/١٤٢، تحقيق مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.

(٢) الأسرار الفاطمية: محمد فاضل المسعودي ص٦٩، مؤسسة الزائر، قم، مطبعة أمير، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، عن تفسير أطيب البيان لعبد الحسين الطيب، ١٣/٢٢٦.

العصر والزمان(عج): (ولي أسوة بأمي فاطمة)[1]، وأخيراً هي من قال تعالى فيها في حديث قدسي: (ألا وإني زوجت أحب النساء إليَّ من أحب الرجال إليَّ بعد النبيين والمرسلين)[2]، وعليه فهي أوضح حقيقة وأرقى مذهب تمثل في موجود إنساني، حقيقة أشبه بالأساطير وإنسان كائن، كما لابد للإنسان أن يكون فاطمة وقد وضعت الزهراء(ع) الأسس الفكرية لمدرسة إلهية وإنسانية تضم أصولاً وعقائداً وأحكاماً متكاملة، إنها المدرسة التي يتعلم فيها الإنسان دروس الحياة وكيف يجب أن يعيش، وكيف يجب أن يموت.

وان مدرسة فاطمة الزهراء (ع) تفتح أمامنا آفاقاً على الحياة الآخرة، وتقلب نظام الحياة الماضية وتبني على إطلالة أسس الحياة الآخرة، وتثير فينا مشاعر التفكير المتجدد، وترينا كيفية وجوب النظر إلى العالم، وكيف ننظر إلى الإنسان، وكيف ننظر إلى الحياة، فمدرستها تساعدنا على بناء أنفسنا والوقوف على أقدامنا وفهم قدر ذواتنا ومعرفة رسالتنا في الحياة، فحياة فاطمة ومنهجها هو الذي يدفعنا نحو الرفعة والسؤدد، ومدرستها يمكن أن نسميها بالفكر الفاطمي؛ لأنها تمتاز بقدرتها على إنقاذ الناس من مستنقع الانحطاط ورأب الصدوع الظاهرة والخفية في حياة البشرية، وآراءهم طريق العزة والسعادة والرفاه.

المطلب الأول: البُعد العلمي في مرويات الزهراء (ع):

إن مروياتها (ع) درر رويت عنها تنير للمسلمين آفاقاً هم بأمس الحاجة إليها في كل عصر ومصر، بينما نجد - وللأسف - طائفة كبيرة من الأمة الإسلامية قد حرمت من هذا العطاء الوارف والفيض القدسي، فهم لم يحرموا منها فحسب بل حُرموا - إلى جانبها - من دور الأئمة الأطهار من أهل بيت رسول الله (ص)، ولم يوردوا لهذه السيدة الطاهرة في كتبهم ومسانيدهم سوى بضع عشرة حديثاً.

يقول السيوطي: (جميع ما روته فاطمة (رض) من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث لتقدم رواتها)[3]

وقال البدخشاني: (وأما مروياتها فإنها روت عن أبيها (ص) يسيراً: لأنها لم تعش بعده إلا قليلاً...وروى عنها علي وولديها الحسن والحسين وعائشة وأم سلمة، وسلمى أم ولد أبي

---

(١) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، ٥٢/١٧٩ - ١٨٠، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) عوالم العلوم والمعارف والأحوال في الآيات والأخبار والأقوال في آحوال سيدة النساء فاطمة الزهراء: عبد الله البحراني الأصفهاني، من أعلام تلامذة الشيخ المجلسي، ١/٨، مؤسسة الإمام المهدي عج، قم، ط٤، ١٤٢٥هـ.

(٣) الثغور الباسمة في فضائل السيدة فاطمة (ع): جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ) تحقيق: محمد سعيد الطريحي، ص٥٢، دار العلوم، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

رافع، وأسماء بنت عميس، وغيرهم.... وكل ما روي عنها فثمانية عشر حديثاً. اتفق البخاري ومسلم على واحد منها الذي روت عنها عائشة أن رسول الله (ص) أخبرها أنه يقبض في وجعه، وإنها أول أهل بيته تتبعه، وإنها سيدة النساء لأهل الجنة)[١].

وهذا الكلام غير سليم أبداً من وجوه عدة:

١- إن السيوطي نفسه قد ذكر في مسنده ـ مسند فاطمة ـ ٢٨٤ حديثاً منها (٣٠) برواية فاطمة (ع)[٢].

٢- إن السبط بن الجوزي قال: قالوا: وقد روت عن رسول الله (ص) ثمانية عشر حديثاً، وقيل ثمانين حديثاً وإنها يسيرة بالنسبة لها)[٣].

وهذه الإشارة منه تبين عدم دقة إحصائية السيوطي.

أما كلامه: (لتقدم وفاتها) فإن فيه (جانباً من القبول، إذ إن من المؤكد أن السيدة فاطمة(ع) كانت مستودعاً لسنة النبي(ص)، لكن وفاتها في تلك السن المبكرة جداً قد حرم الأمة من ذلك العطاء المبارك[٤].

وعليه فإن ما روي عنها (ع) من مسفورات العامة والخاصة كثير جداً من دروس عاليات، وحكم بالغات، ومواعظ ناجعات، ما يشفي العليل، ويروي الغليل.

قال ابن عبد البر في استيعابه: (أنها كانت فقيهة عالمة بالفرائض والشعر والطب، وقد يقال إن الروايات عنها تزيد على ألف حديث)[٥].

وهذا شاهد آخر على عدم صحة قول السيوطي بأنها (ع) مقلة الرواية.

هذا في الوقت الذي (يفتخرون بأن أكثر أحكام دينهم وفقههم قد أُخذ عن عائشة زوجة نبيهم، وأكثر أصولهم وفروعهم ينسب إليها برواية أبي هريرة وأضرابه، ويطعنون على الإمامية بأنهم أخذوا أصلاً من أصول دينهم ـ وهو وجود المهدي(عج) برواية امرأة، وهي حكيمة بنت الإمام الهادي(ع)، وما أبعد بين الآخذين، فإن الأخذ برواية حكيمة مع جلالة

---

(١) نُزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الأطهار، محمد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي (ت: ١١٢٦هـ)، ص١٣٧، تحقيق: محمد هادي الأميني، شركة الكتبي، لبنان، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م.

(٢) مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها: السيوطي، تحقيق فواز الأحمد زمدلي، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣) الثغور الباسمة: السيوطي، ص٥٣ (مصدر سابق).

(٤) انظر: السيدة فاطمة الزهراء (دراسة تاريخية): انتصار عدنان عبد الواحد، ص٥٦٥، مؤسسة البديل، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٥) الاستيعاب في أسماء الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن حمد بن عبد البر عاصم النمري القرطبي، (ت: ٤٦٣هـ) مطبوع مع كتاب الإصابة لابن حجر، ٣٦٢/٤، مطبعة مصطفى محمد، مصر ١٣٥٨هـ.

شأنها صحيحة الأسانيد على الأصول والقواعد عندهم، مؤيدة بروايات مستفيضة بل متواترة فإنهم ما اكتفوا في ذلك بذلك، مع أنهم لو اكتفوا بها ربما يحصل لهم العلم بنفس تلك الرواية: لاكتنافها بقرائن قطعية ودلائل واضحة، وهذا بخلاف الأخذ برواية أبي هريرة عن عائشة اعتماداً على أنها أم المؤمنين، مع أنه مطعون فيه)[1].

أما قيمة مروياتها (ع)، فإنها تكمن في أنها مستقاة عن رسول الله (ص): لأنها عاشت مع النبي(ص)، وكانت الأقرب إليه والأشد التصاقاً به، فهي المتربية في مدينة العلم النبوي، ورغم هذا الإجحاف من القوم إلا أن علمها وأفكارها وآثارها الحديثية قد ملئت الخافقين، فمما روي عن علمها: روي عن حارثة بن قدامة: قال حدثني عمار، وقال: أأخبرك عجباً؟ قلت: حدثني يا عمار، قال: نعم، شهدت علي بن أبي طالب (ع) وقد ولج على فاطمة، فلما أبصرت به نادت: (أدن لأحدثك بما كان، وبما هو كائن، وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة)، قال عمار: فرأيت أمير المؤمنين (ع) يرجع القهقري، فرجعتُ برجوعه، إذ دخل على النبي(ص) فقال له: (ادن يا أبا الحسن، فدنا، فلما اطمأن به المجلس قال له (ص): (تحدثني أم أحدثك؟). قال(ع): (الحديث منك أحسن يا رسول الله). فقال(ص): (كأني بك وقد دخلت على فاطمة(ع) وقالت لك: كيت وكيت فرجعت، فقال علي(ع): (نور فاطمة من نورنا؟). فقال(ص): (أولا تعلم؟) فسجد علي (ع) شكراً لله تعالى.

قال عمار: فخرج أمير المؤمنين (ع) وخرجت بخروجه فولج على فاطمة (ع) وولجت معه، فقالت: (كأنك رجعت إلى أبي(ص) فأخبرته بما قلته لك؟، قال(ع): كذلك يا فاطمة، فقالت (ع): (اعلم يا أبا الحسن إن الله تعالى خلق نوري، وكان يسبح الله جل جلاله، ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت، فلما دخل أبي الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة، وأدرها في لهواتك، ففعل، فأودعني الله سبحانه صلب أبي(ص)، ثم أودعني خديجة بنت خويلد، فوضعني، وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن، المؤمن ينظر بنور الله تعالى)[2].

وقد كانت (ع) تعتبر بذل العلم من واجباتها الشرعية: لأنها ابنة البيت النبوي الذي كان الوحي يهبط فيه، هذا أولاً، ولأنها سيدة نساء العالمين، العالمة التي صارت ولا زالت مصدراً من مصادر الفكر والعلم في الإسلام، فقد كان علمها هبة من الله تعالى انفردت به من بين النساء.

---

(١) حياة الزهراء بعد أبيها رسول الله: فضل علي القزويني، ص١٢٥ ـ ١٢٦، تح: أحمد الحسيني، مشهد، دبير خانه كنك، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٦هـ.

(٢) عيون المعجزات: حسين بن عبد الوهاب (من علماء القرن الخامس)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف (ب.ت).

فقد نقل عن الحسن العسكري (ع) قوله: (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة(ع) فقالت: إن لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك؟ فأجابتها فاطمة عن ذلك ثم ثنت، فأجابت، ثم ثلثت فأجابت، إلى أن عشرت، فأجابت ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله (ص)، قالت فاطمة(ع): هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من أُكتري يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراؤه مائة ألف دينار أيثقل عليه؟!، فقالت: لا، فقالت (ع): اكتريت أنا بكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليَّ. سمعت أبي يقول: إن علماء شيعتنا يُحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات، على قدر كثرة علومهم وجدِّهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع الواحد منهم ألف ألف خلعة[1] من نور..... إلى أن قالت (ع): (يا أمة الله إن سلكاً من تلك الخلع، لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، (وما فضل ما طلعت عليها الشمس)، فإنه مشوب بالتنغيص والكدر)[2].

فقد كان لها في كل بحر غرفة، فقد اضطلعت (ع) في علم الحديث لأنها كانت من المنابع التي يستسقى منها؛ كونها عاشت مع النبي(ص) وكانت الأقرب إليه.

هذا بالنسبة لعلمها الكسبي؛ لأنها أحيطت بعناية ورعاية المصطفى(ص)، فقد اهتم صلوات الله عليه بإعدادها إعداداً رسالياً، فاهتم بتربيتها وتعليمها؛ لتكون النموذج الأكمل الذي يتلائم ومهام سيدة نساء العالمين، وقد اتضح ذلك جلياً من خلال بعض الإرشادات التي جاءت بها الروايات، وشهدت أحاديث العترة الطاهرة لسيدة النساء، فقد نقل عن الإمام الباقر (ع) القول: لما ولدت فاطمة (ع) أوحى الله عز وجل إلى ملك فأنطق به لسان محمد (ص) فسماها فاطمة..... إلى أن قال: (أني فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث، ثم واصل(ع) القول: والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث بالميثاق)[3].

وقد شرح العلامة المجلسي هذا الحديث بقوله: (فطمتك أي أرضعتك بالعلم حتى استغنت وفطمت، أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم، أو جعلت فطامك من اللبن مقروناً بالعلم كناية عن كونها في بدو فطرتها عالمة بالعلوم الربانية)[4]، وبهذا يشير إلى العلم الذي وهبه الله تعالى لفاطمة بدون تعلم – أي العلم اللدني – الذي كان من خصالهم أهل البيت(ع)،

---

(١) خلعة: الثوب الذي يُعطى منحة.

(٢) تفسير الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري المنسوب للأمام العسكري(ع)، تحقيق: علي عاشور، ص٣٤٠ - ٣٤١، مؤسسة قائد الغر المحجلين لحفظ ونشر تراث آل النبي، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) الأصول من الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، ص٤٦ (كتاب الحجة)، دار الكتب الإسلامية، طهران، مطبعة حيدري، ط٧، ١٣٨٣هـ.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي ١٣/٤٣ - ١٤ (مصدر سابق)

حيث إن علومهم كانت أما لدنية أو كسبية، والكسبية عن رسول الله (ص)، والى ذلك أشار (ص) بقوله: (أنا ميزان العلم، وعلي كفتاه، والحسن والحسين خيوطه، وفاطمة علاقته، والأئمة(ع) من بعدي عموده، يوزن فيه أعمال المحبين والمبغضين لنا)[١].

وقد كان النبي (ص) حريصاً كل الحرص على تعليمها ما لم تعلمه من أحكام وتشريعات. ولعله (ص) (أرادها تجربة عملية لرسالته السماوية، حيث جسد فيها أسس ومناهج تعاليم السماء لتكون(ع) شاهد حق على مدى صلاحية تلك التعاليم للتطبيق العملي، فكانت(ع) كما أرادتها السماء مثالاً حياً ونموذجاً صالحاً وأسوة حسنة يقتدي بها الجميع)[٢].

وقد روى عنها مجموعة من الصحابة والتابعين ومجموعة من الصحابيات المؤمنات فكان أهم من روى عنها:

١- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، روى عنها الكثير من الأحاديث منها:
   أ- حديث في الحج.
   ب- حديث في الأشربة.
   ت- حديث في الاحتجاجات.
   ث- حديث في القرآن.
   ج- حديث في فضائل أهل البيت.
   ح- أربع أحاديث في الدعاء.
   خ- حديث في الحشر[٣].
٢- الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، روى عنها رواية واحدة في الدعاء.
٣ ـ الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) روى عنها أحاديث عدة منها:
   أ ـ حديث عن القرآن الكريم.
   ب- حديث في صفات المؤمن.
   ت- حديثان عن الإمامة.
   ث- ثلاثة أحاديث في فضائل أهل البيت(ع).
٤ ـ علي بن الحسين (ع) له حديث مرسل عن الزهراء(ع) في الاحتجاج.
٥ ـ سلمان الفارسي: روى عنها حديث في الإمامة، وأحاديث أخرى عند حديثها معه.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: شرف الدين علي الحسيني (ت: ٩٦٥هـ)، ١٠٥/١، قم، ١٤٠٧هـ.

(٢) السيدة فاطمة الزهراء دراسة تاريخية: عدنان عبد الواحد، ص٥٥٩، (مصدر سابق).

(٣) مسند فاطمة الزهراء (ع): عزيز الله العطاردي ص٥٩٩ مركز خراسان الثقافي، إيران، ط١، ١٤١٢هـ.

٦ - العباس بن عبد المطلب عم رسول الله له رواية عنها في فضائل أهل البيت(ع).
٧ - عبد الله بن عباس: له عنها حديث في الدعاء وحديث في فضائل أهل البيت(ع).
٨ - جابر بن عبد الله الأنصاري: له حديث عنها(ع) في الإمامة وخمسة أحاديث في الغيبة.
٩ - عبد الله بن مسعود: روى عنها حديث في صفات المؤمن، وحديث في فضائل أهل البيت (ع) وحديث في الحِكم.
١٠ - أبو سعيد الخدري: روى عنها (ع) حديث في فضائل أهل البيت (ع).
١١ - أبو هريرة: لم يرو عنها (ع) إلا رواية واحدة في الدعاء.
١٢ - ابن أبي ملكية: روى عنها رواية واحدة في فضائل أهل البيت (ع).
١٣ - أبو أيوب الأنصاري: روى عنها رواية في فضائل أهل البيت (ع).
١٤ - بشير بن زيد: روى عنها رواية واحدة في الحج.
١٥ - الحكم بن أبي نعيم: له رواية عن فاطمة (ع) في صفات المؤمن.
١٦ - ربعي بن خراش: روى عنها حديثين في فضائل أهل البيت.
١٧ - سهل بن سعد الأنصاري. روى عنها تسعة أحاديث في الإمامة.
١٨ - شبيب بن أبي رافع: روى عنها(ع) رواية واحدة.
١٩ - عبد الله بن الحسن(ع) هو ابن فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين، وحفيد الإمام الحسن، له روايتان عن الزهراء(ع) في الاحتجاج.
٢٠ - عوانة بن الحكم: له روايتان عن الزهراء (ع) في الاحتجاج.
٢١ - القاسم بن أبي سعيد الخدري: له روايتان عن الزهراء (ع) في الاحتجاج.
٢٢ - هارون بن خارجه: له رواية عنها (ع) في فضائل أهل البيت (ع).
٢٣ - هشام بن محمد: روى عنها (ع) حديثين في الاحتجاج.
٢٤ - يزيد بن عبد الملك: روى عنها رواية واحدة في الحج.

أما أهم الصحابيات اللاتي روين عنها (ع):

١- ابنتها أم كلثوم: روت عن أمها (ع) رواية واحدة في فضائل الشيعة.
٢- ابنتها زينب الكبرى: روت عن أمها الزهراء، روايتين، واحدة في العلم، والأخرى في فضائل أهل البيت (ع).
٣- أسماء بنت عميس: لها رواية عنها (ع) في فضائل أهل البيت (ع).
٤- زينب بنت أبي رافع: تروي عنها (ع) مرة بدون واسطة، ومرة عن طريق أمها سلمى روت عنها(ع) أربعة أحاديث في فضائل أهل البيت (ع).
٥- فاطمة بنت الإمام الحسين (ع): كانت تروي عنها (ع) مرسلاً لأنها لم تدركها، فقد روت عنها:

أ - خمسة أحاديث في فضائل أهل البيت (ع).

ب - حديثين في الاحتجاج.

ت - حديث في الأطعمة.

ث - ستة أحاديث في الصلاة.

ج - أربعة أحاديث في الدعاء[1].

أما هي(ع) فقد روت عن أبيها المصطفى (ص) ما ملأ الخافقين، وانتشر في الأرجاء، وكان حديث الغدير درة تلمع في صدر الزمان، كذلك روت عن زوجها أمير المؤمنين (ع) أحاديث عدة، وهي عندما تروي عنهما فهذا دليل على مدى الالتصاق والآصرة بينهم في هذا المجال.

المطلب الثاني: نماذج من مروياتها (ع) في العبادات:

نقل عن الزهراء(ع) مجموعة من الروايات التي تخص الأحكام الفقهية، وهذه الروايات بينت أحكاماً شرعية تخص المسلم، نحاول الوقوف عليها مبوبة:

اولاً: احكام الصلاة: ورد عنها (ع) في هذا الباب حديثان:

أ- حديث في (من تهاون بصلاته): نقل صاحب بحار الأنوار حديثاً عن فلاح السائل بسند محذوف عن الزهراء (ع) أنها قالت: سألت رسول الله (ص) قائلة: يا أبتاه لمن تهاون بصلاتهِ من الرجال والنساء؟ قال: يا فاطمة من تهاون بصلاتهِ من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره.

فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عز وجل سيماء الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظ من دعاء الصالحين.

وأما اللواتي تصيبه عند موته فأولاهن أنه يموت ذليلاً، والثانية يموت جائعاً، والثالثة: يموت عطشاناً، فلو سقي من انهار الدنيا لم يرو عطشه.

وأما اللواتي تصيبه في قبره: فأولاهن يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية يضيق عليه قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره.

وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأولاهن أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية يحاسب حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم)[2].

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص٥٩٠ - ٦٠٢.

(٢) بحار الأنوار: المجلسي ٢١/٨٣ - ٢٢ (مصدر سابق).

هذا الحديث جاء مطابقاً لما حث عليه القرآن الكريم، فقد حث على الالتزام بأوقات الصلاة، ودعا المؤمنين للالتزام بأوقاتها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء/١٠٣)، فزخر القرآن الكريم بآيات عدة تحث على ذلك:

قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ (البقرة/٢٣٨)، فعن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قرأ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فقوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ قال: إقبال الرجل على صلاتهِ ومحافظته عليها حتى لا يلهيه ولا يشغله عنها شيء[1]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾(الأنعام/٩٢). فقوله: ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ يدل على أنهم (يراعونها ليؤدوها فيها ويقوموا بإتمام ركوعها وسجودها وجميع أركانها.... وفيها دلالة على عظم قدر الصلاة ومنزلتها لأنه سبحانه خصها بالذكر من بين الفرائض ونبه على أن من كان مصدقاً بالقيامة وبالنبي (ص) لا يخل بها ولا يتركها)[2]. وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾(مريم/٥٩).

ذهب جماعة من المفسرين أن المقصود بـ ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هو تأخيرها عن وقتها، كذلك القيام بأعمال تضيع الصلاة في المجتمع، وارجعوا السبب في ذلك إلى (أن الصلاة سد بين الإنسان والمعاصي، فإذا كسر هذا السد فإن الغرق في الشهوات هو النتيجة القطعية لذلك)[3]. إلى غيرها من آيات قرآنية أخرى تحث على عدم الاستخفاف بالصلاة أو التهاون بها؛ لأنها واسطة الارتباط بين الإنسان وخالق العالم، وإذا أديت على وجهها الصحيح ملأت القلب بحب الله، واستطاع الإنسان في إشعاع نورها أن يتجنب الذنوب والتلوث وعصيان أوامر الله.

أضف إلى ذلك الجمع الهائل من أحاديث العترة الطاهرة الحاثة على ذلك، منها ما نقل عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: (إن العبد إذا صلى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقية تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا لم يصلها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول: ضيعتني ضيعك الله)[4].

---

(١) تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (من أعلام قرني ٣ ـ ٤هـ)، ١٠٦/١ دار السرور، بيروت، ط١، ١٤١١ ـ ١٩٩١م.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٠٢هـ)، ٥١٧/٤، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ٤٢١/٩، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، ٩/٨٣، (مصدر سابق).

ب - **حديث عن الوضوء:** عن أحمد بن حنبل أنه قال: حدثنا عبد الله حدثني أبي، ثنا حسن بن موسى، ثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق عن أبيه عن الحسن بن الحسن عن فاطمة قالت: (دخل عليَّ رسول الله (ص) فأكل عرقاً فجاء بلال بالآذان فقام ليصلي فأخذت بثوبهِ فقلت: يا آبه ألا تتوضأ؟ فقال: ممن أتوضأ يا بنيه؟ فقلت: مما مست النار، فقال لي: أو ليس أطيب طعامكم ما مسته النار)[١].

الوضوء شرط في صحة الصلاة والطواف، ويدل عليه جملة وافرة من النصوص القرآنية والحديثية، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾(المائدة/٦).

وأحاديث المعصومين دالة على ذلك منها في صحيحة زرارة، عن أبي جعفر(ع) قال: (لا صلاة إلا بطهور)[٢] يعني بوضوء، وأما الطواف فعن محمد بن مسلم قال: سألت أحدهما (ع) عن رجل طاف طواف الفريضة وهو على غير طهور قال: يتوضأ ويعيد طوافه)[٣].

وهذا الحديث المروي عن الزهراء (ع) ينم عن وعي ودراية منها(ع)، فهي قد استشرفت المستقبل وعلمت إن أقواماً سيأتون ويقولون بأن الأكل ينقض الوضوء، من هنا تعلقت بثوبه (ص) طالبة منه الوضوء، أرادت أن يبقى صوتها مدوياً على مر الزمان أن الأكل والشرب ليس سبباً في انتقاض الوضوء، مضافاً إلى ما نقل عنه (ص) من أحاديث تؤكد على هذا، منها قوله (ص): (توضؤا مما يخرج منكم، ولا تتوضؤا مما يدخل، فإنه يدخل طيباً ويخرج خبيثاً)[٤].

عن سماعة بن مهران قال: سألت أبا عبد الله (ع) عمن أكل لحماً أو شرب لبناً هل عليه وضوء؟ قال: (لا، قد أكل رسول الله (ص) كَتف شاة ولم يتوضأ)[٥].

وقد علق المجلسي على هذه الأحاديث بقوله: (الظاهر أن المراد بالوضوء في هذه الأخبار وضوء الصلاة لا غسل اليد وان كان البرقي (رض) أوردها في آداب الأكل، وبالجملة تدل على عدم انتقاض الوضوء بأكل ما مسته النار رداً على بعض المخالفين القائلين به، ولا خلاف بيننا في عدم الانتقاض[٦]. أما بقية المذاهب فقد قالت بانتقاض الوضوء حال الأكل والشرب،

---

(١) مسند أحمد: أحمد بن حنبل، ٢٨٢/١، المكتب العلمي، دار صادر، بيروت (ب - ت).

(٢) المحاسن: أبو جعفر أحمد بن خالد البرقي، (ت: ٢٧٤هـ)، ٧٨/١ تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ.

(٣) الكافي: الكليني، ٤٢٠/٤ (مصدر سابق).

(٤) بحار الأنوار: المجلسي، ٢١٦/٨٠، (مصدر سابق).

(٥) المصدر نفسه، ٢٢٢/٨٠ ـ ٢٢٤.

(٦) صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد البستي السجستاني (ت: ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ٤٢٦/٣، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

مستندهم في ذلك حديث لأبي هريرة أنه قال: توضأوا مما مسته النار، ولو من ثور أقط، والثور القطعة من الأقط)[1].

يقول أحمد بن حنبل: (أكل لحم الإبل ناقض سواء كان نيئاً أو مطبوخاً، عالماً كان أو جاهلاً)[2]، وهو أحد قولي الشافعي[3]، وإلى ذلك ذهب الخطابي بقوله: (ذهب إلى هذا عامة أصحاب الحديث)[4]. بينما ذهب قسم آخر من علماء الجمهور إلى غير ذلك، منهم الثوري ومالك والشافعي بالقول: إن أكل لحم الإبل لا ينقض الوضوء بحال: لأنه روي عن ابن عباس عن النبي (ص) أنه قال: (الوضوء مما يخرج لا مما يدخل)[5]، وروي عن جابر قوله: (كان آخر الأمرين من رسول الله (ص) ترك الوضوء مما مست النار)[6]، ورأيهم الأخير هذا جاء مطابقاً لما ذهب إليه علماء الإمامية، وهو مطابق لحديث الزهراء(ع).

ج- حديث عن (حكم صلاة وصوم الحائض): كانت (ع) في طليعة من تعلموا أحكام الله وعلموها للناس، فقد كان لها دور في تبليغ هذه التعاليم والأحكام لمن كان حولها.... وبشتى الطرق، فكانت تارة داعية بتقريرها وأفعالها، وأخرى موجهة بأقوالها وتعليمها لغيرها، وهذا الحديث الذي يتحدث عن حكم صلاة وصوم الحائض واحد من تلك الأحاديث التي آلت على نفسها الزكية أن توصلها لنساء عصرها: كونها طاهرة مطهرة: لأنها كما يعلم الجميع (بتول كونها لم تر حمرة قط، أي لم تحض، فإن الحيض مكروه لبنات الأنبياء)[7] كما صرح بذلك رسول الله (ص)، لكنها مع ذلك نقلت هذا الحديث تعليماً للنساء: كونها سيدتهن، فقد نقل الكليني في الكافي أن الإمام الصادق سئل عن قضاء الحائض الصلاة ثم تقضي الصوم؟ قال: ليس عليها أن تقضي الصلاة، وعليها أن تقضي صوم شهر رمضان، ثم قال(ع): (إن رسول الله (ص) كان يأمر بذلك فاطمة(ع) وكانت تأمر بذلك المؤمنات)[8]، فكان (ص) يريد بذلك من الزهراء (ع) أن تكون مثالاً يُمرَر من خلالها تعاليم

---

(١) المغني. موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، (ت ٦٢٠هـ)، ١/١٧٩، دار الكتاب العربي، بيروت (ب.ت).

(٢) المجموع: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ) ٢/٦٠، دار الفكر، بيروت، (ب.ت).

(٣) المغني: إبن قدامة، ١/١٧٩ (مصدر سابق).

(٤) المصدر نفسه ١/١٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ١/١٧٩.

(٦) علل الشرائع: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي، (ت: ٣٨١هـ)، ١/١٨١، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف. ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

(٧) الكافي: الكليني، ٣/١٠٥ (مصدر سابق).

(٨) مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، (ت: ١٠٨٥هـ)، ١/٦٠٦، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتب الثقافة الإسلامية، إيران، ط٢، ١٤٠٨هـ.

دينه لعموم الناس، وقد كانت (ع) على مستوى عالٍ جداً من تفهمها لهذه المسؤولية التي حملها اياها رسول الله (ص) فتبادر لسؤاله أحياناً - وإن كانت عالمة بالحكم - وأحياناً أخرى راوية لما سمعت منه (ص)، ومحاولة بذلك إيصال أحكامه للآخرين.

فالحيض: اجتماع الدم، وبه سمي الحوض لاجتماع الماء فيه، وحاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً وتحيضت: إذ سال دمها في أوقات معلومة، وتحيضت المرأة: قعدت في أيام حيضها تنتظر انقطاعه[1].

ودم الحيض هو: (دم تعتاد عليه النساء وتعرفه، يخرج في فترات منتظمة كل شهر تقريباً ويوصف بأنه أحمر أو مائل إلى السواد ويخرج بحرقة ودفق)[2]، وفي فترة الحيض تكون للمرأة أحكام خاصة فمن ذلك:

١- اعتزالها الصلاة: فلا تقرب المسجد إلا عابرة سبيل لحاجة تدعوها إلى ذلك.
٢- تتوضأ عند وقت كل صلاة وتجلس للصلاة وتستقبل القبلة.
٣- إذا كانت ذات بعل لا ينبغي لها أن تمكنه من نفسها، وإن كانت أمة لا يقربها حتى تطهر من دم حيضها.
٤- لا تصوم الحائض في حيضها فرضاً أو تطوعاً.
٥- لا يجوز لها أن تقرب قبر النبي (ص) أو قبور الأئمة (ع).
٦- لا تقرب الطواف في البيت، ولكن لها السعي بين الصفا والمروة وتحضر المشاعر كلها، وتحرم بالحج والعمرة، وهي حائض لكنها لا تدخل المسجد الحرام، وأقل زمان الحيض ثلاثة أيام بلياليها، وأكثره عشرة أيام بلياليها[3]. وقد اجتمعت المذاهب الإسلامية كلها على أن المرأة في أيام حيضها تقضي صومها ولا تقضي صلاتها[4]. وغسل الحيض كغسل الجنابة من حيث الترتيب والارتماس وإغناؤه عن الوضوء[5].

---

(١) الفتاوى الميسرة وفق فتاوى السيد السيستاني: عبد الهادي محمد تقي الحكيم، ص٧٦، دار المورخ العربي، بيروت، (ب. ت).

(٢) انظر: أحكام النساء: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت: ٤١٣هـ)، ص١٨ - ١٩، تحقيق: مهدي نجف، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) انظر: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: محمد حسن النجفي (ت: ١٢٦٦هـ)١/٤٤ تحقيق: عباس القوجاني، دار الكتب الإسلامية، طهران ط٢، ١٣٦٧هـ.
المدونة الكبرى: مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) ١/٤٩ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) المسائل المنتخبة: السيد علي السيستاني، ص٤٧، أحكام الحيض دار الهدى، بيروت، ط١٠، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٥) عوالي اللآلئ: ابن أبي جمهور الإحسائي، (ت: ٨٨٠هـ)، ١/٣٢٢، تحقيق: مجتبى العراقي، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

هذا فيما يخص الصلاة التي قال عنها رسول الله (ص): (الصلاة عمود الدين فمن تركها فقد هدم الدين)[1]، والتي قالت عنها الزهراء (ع) في خطبتها المشهورة في مسجد رسول الله (ص) بعد وفاته وسلبها حقها: (والصلاة تنزيها لكم عن الكبر)[2].

ثانياً: حكم المسكر:

روي أن رسول الله(ص) قال لفاطمة (ع): (يا حبيبة أبيها، كل مسكر حرام وكل مسكر خمر)[3]، وقد نهى القرآن الكريم عن شرب الخمر، بل عن كل مسكر في مواضع عدة منه، وجاءت السنة الشريفة لتؤكد هذا التحريم.

فالخمر: مأخوذة من خمر الشيء إذا ستر، ومنه خمار المرأة، وكل شيء غطى شيئاً فقد خمره، فالخمر تخمر العقل أي تغطيه وتستره، والخمر أصلاً ماء العنب الذي غلي أو طبخ، وما خامر العقل من غيره فهو في حكمه وان لم يسم خمرا[4].

وقد اتبع المشرع الإسلامي في تحريم الخمر نظام التدرج، وهذا ما اتفق عليه أغلب المفسرين، وأن الآيات التي نزلت بهذا الشأن كانت متدرجة على النحو التالي:

١- بدأ التنديد بعادة شرب الخمر بقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (النحل/ ٦٧) وهي مكية.

٢- ثم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ﴾ (الأعراف: ٣٣)، وقد فسر الإثم بالخمر لقول الشاعر امرؤ القيس:

شربت الإثم حتى زال عقلي ... كذلك الخمر يفعل بالعقول[5]

كذلك ما روي عن علي بن يقطين أنه قال: سال المهدي أبا الحسن(ع) عن الخمر: هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل؟ فان الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون تحريمها، فقال أبو الحسن (ع): بل هي محرمة، فقال: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله عز وجل يا أبا الحسن؟ فقال: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ إلى أن قال: فأما الإثم فإنها الخمر بعينها، وقد قال الله تعالى في

---

(١) الاحتجاج: الطبرسي، ١/١٣٤، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

(٢) بحار الأنوار: المجلسي ٦٣/٤٨٧ (مصدر سابق).

(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبو فيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري ٦/٢٦٤، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٤) مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، (ت: ١٣٢٠هـ) ١٧/٨٠ تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

(٥) الكافي: الكليني ٦، /٤٠٦ (مصدر سابق).

موضع آخر: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (البقرة/ ٢١٩) فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما كما قال الله تعالى، فقال المهدي: يا علي بن يقطين هذه فتوى هاشمية، فقلت له: صدقت يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت، قال: فو الله ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي[١].

٣- ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (البقرة/ ٢١٩).

٤- ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء/٤٣)، (والآية مدنية وهي تمنع الناس بعض المنع عن الشرب والسكر في أفضل الحالات وفي أفضل الأماكن، وهي الصلاة في المسجد)[٢].

٥- ثم نزل التحريم النهائي للخمر وذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة/ ٩٠)[٣].

وقد كان نهيه تعالى عنه لمضاره الطبية وآثاره السيئة في المعدة والأمعاء والكبد والرئة وسلسلة الأعصاب والشرايين والحواس كالبصر والذائقة وغيرها مما ألّف فيه من تأليفات من حذاق الأطباء قديماً وحديثاً، ولهم في ذلك إحصائيات عجيبة تكشف عن كثر المبتلين بأنواع الأمراض المهلكة التي يتسببها هذا السم المهلك[٤].

من هنا جاءت تأكيدات أئمة الحق بالنهي حتى عن مجرد الاقتراب من الخمر، ففي الحديث المروي عن أبي جعفر (ع) إنه قال: (لعن رسول الله (ص) في الخمر عشرة: غارسها، وحارسها، وعاصرها، وشاربها، وساقيها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومشتريها، وآكل ثمنها)[٥].

وقد بينت (ع) في خطبتها المعروفة بعد رحيل رسول الله (ص) في المسجد العلة في تحريم الخمر فقالت: (والنهي عن الخمر تنزيها عن الرجس).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، ١٩٨/٢، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، إيران، قم، ط١، ١٤٣٠ ـ ٢٠٠٩.

(٢) ذهب إلى ذلك الطباطبائي في الميزان، ١٩٥/٢ ـ ٢٠٠، بينما ذهب الصابوني في تفسير آيات الأحكام، ٢٧٣/١ إلى أن الترتيب في نزول الآيات كالآتي: قال الصابوني: إن التدرج في تشريع النهي بدأ بالتنفير بطريق غير مباشر في سورة النحل ثم التنفير المباشر عن طريق المقارنة بين النفع والإثم في سورة البقرة ثم بالتحريم الجزئي في سورة النساء، ثم الكلي في سورة المائدة.

(٣) انظر: نظرات معاصرة في القرآن الكريم: محمد حسين علي الصغير، ٨٩ ـ ١٠٤، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٤) الكافي: الكليني، ٤٢٩/٦ (مصدر سابق).

(٥) المصدر نفسه، ٤٠٢/٦.

هذه التأكيدات كونها - الخمرة - رأس كل فتنة وإنها أكبر الكبائر: لذا ورد عن أبي بصير عن أحدهما (ع) إنه قال: إن الله جعل للمعصية بيتاً، ثم جعل للبيت باباً، ثم جعل للباب غلقاً، ثم جعل للغلق مفتاحاً، مفتاح المعصية الخمر[1].

ثالثاً: حكم لحوم الأضاحي:

عن سليمان بن أبي سفيان، عن أمّه أم سليمان قالت: دخلت على عائشة زوج النبي (ص) فسألتها عن لحوم الأضاحي، فقالت: قد كان رسول الله (ص) نهى عنها، ثم رخص فيها، قدم علي بن أبي طالب من سفر، فأتته فاطمة بلحم من ضحاياها فقال: أولم ينه عنها رسول الله(ص). فقالت: إنه قد رخص فيها، قالت، فدخل علي على رسول الله (ص) فسأله عن ذلك، فقال له: (كلها من ذي الحجة إلى ذي الحجة)[2].

هذا الحديث ناظر لحكم لحوم الأضاحي التي ثبت العمل بموجبها في موسم الحج، فهي من الشعائر الإلهية التي، أشار إليها القرآن الكريم في مواضع عدة، فكانت سورة الحج أهم من تحدث عنها، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج/٣٢) فسرت الشعائر- في واحدة من مدلولاتها- بالأضاحي[3]. ثم تبعها قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الحج/٣٦ ـ ٣٧)، ففسرت البُدْن (بالناقة الكبيرة والسمينة، وقد أكدها لأنها تناسب إقامة وليمة لإطعام الفقراء والمحتاجين في مراسم الأضحية)[4]، كذلك أشير إليها في صورة الكوثر، فقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (الكوثر/٢)، إذ أمر تعالى نبيه قائلاً: (فصل صلاة العيد ثم عقبها بالنحر، أي أنحر هديك وأضحيتك)[5].

وقد سئل الامام الصادق(ع): ما عليه الأضحية؟ فقال: إنه يغفر لصاحبها عن أول قطرة تقطر من دمها على الأرض وليعلم الله عز وجل من يتقيه بالغيب، قال الله عز وجل: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ (الحج/٣٧)، ثم قال: انظر كيف قبل الله قربان

---

(١) مسند أحمد: أحمد بن حنبل، ٢٨٢/٦ (مصدر سابق).

(٢) الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، ٤٠٥/٨ (مصدر سابق).

(٣) المصدر نفسه ٤١١/٨.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي ٢٥٩/١ (مصدر سابق).

(٥) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي. محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤هـ)٢٠٧/١٤، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ط٢، ١٤١٤هـ.

هابيل ورد قربان قابيل)[١]، وقال (ص): (إنما جعل الله هذا الأضحى لتشبع مساكينكم من اللحم فأطعموهم)[٢].

أمّا أهم أحكام الأضحية:

١- تستحب الأضحية استحباباً مؤكداً لمن تمكن منها، ويستحب لمن تمكن من ثمنها ولم يجدها أن يتصدق بقيمتها، ومع اختلاف القيم يكفي التصدق بالقيمة الأدنى.

٢- يجوز أن يضحي الشخص عن نفسه وأهل بيته بحيوان واحد، كما يجوز الاشتراك في الأضحية لا سيما إذا عزت الأضاحي وارتفع ثمنها.

٣- تعتبر في الأضحية أن تكون من الأنعام الثلاث: الإبل، البقر، الماعز أو الغنم، ولا يجزي على الأحوط من الإبل إلا ما أكمل السنة الخامسة، ومن البقر والماعز إلا ما أكمل الثانية، ومن الضأن إلا ما أكمل الشهر السابع.

٤- يجوز أن يضحي بالأعور والأعرج والمقطوع ذنبه والمكسور قرنه والمهزول أي لا كما يشترط في الهدي.

٥- أفضل أوقات الأضحية بعد طلوع الشمس من يوم النحر ومضي قدر صلاة العيد، ويمتد وقتها في منى أربع أيام وفي غيرها من البلدان ثلاثة أيام.

٦- يجوز لمن يضحي أن يخصص ثلثاً لنفسه أو إطعام أهله به، كما يجوز ان يهدي ثلثاً منه لمن يحب من المسلمين، ويستحب التصدق بجلد الأضحية، ويكره إعطاءه أجرة للجزار، ويجوز جعلها مصلاً، وأن يشتري به متاع البيت.

٧- تجزي الأضحية عن العقيقة، فمن ضحي عنه أجزأته العقيقة[٣].

٨- يستحب عن النحر استقبال القبلة والدعاء بالمأثور وأفضله: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم منك ولك اللهم تقبل مني، بسم الله الذي لا إله إلا هو والله أكبر وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين). أما علماء الجمهور فقد قالوا بوجوبها؛ لحديث الرسول (ص) عن انس بن مالك: (إن رسول الله (ص) كان يضحي بكبشين، قال انس: وأنا أضحي بهما)[٤]، معتبرين ذلك سنة مؤكدة على حد قول الشافعي وأحمد، وتجب على كل قادر

---

(١) المصدر نفسه ٢٠٥/١٤.

(٢) انظر: مختلف الشيعة: العلامة الحلي ٢٧٩/٤ تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي. قم. ط١، ١٤١٢هـ. وكذلك جواهر الكلام: محمد حسن النجفي ١٢٢/١٩ (مصدر سابق).

(٣) صحيح البخاري: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ ـ ١٩٨١.

(٤) مسند أحمد: أحمد بن حنبل، ٣٢١/٢ (مصدر سابق).

عليها من المسلمين، بينما ذهب أبو حنيفة إلى وجوبها مستنداً على حديث لرسول الله (ص): (من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا)[١]. بينما اختار مالك عدم وجوبها على الحاج اكتفاء بالهدي، وذكروا لها أحكاماً خاصة. ولمن أراد المزيد مراجعتها من مصادرها[٢].

لكن الذي عليه الحال أن رسول الله (ص) قد نهى عن أكل لحوم الأضاحي في فترة من فترات التاريخ الإسلامي، ثم عاد بعد ذلك ليبيحها ـ هذا من باب نسخ السنة بالسنة ـ فقد روى الهيثمي عن علي (ع) انه قال: (إن رسول الله (ص) نهى عن زيارة القبور وعن الأضحية وان تحبس لحوم الأضاحي بعد ثلاث، ثم قال: (إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة، ونهيتكم عن الأوعية فاشربوا فيها ونهيتكم عن كل ما اسكر، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي أن تحبسوها بعد ثلاث فاحتبسوا ما بدا لكم[٣]. وحديث الزهراء (ع) هذا جاء مطابقاً مع هذا النهي ثم الإذن، فقد ورد عن زيد أن أبا سعيد الخدري أتى أهله فوجد قصعة من قديد الأضحى فأبى أن يأكله فأتى قتادة بن النعمان فأخبره أن النبي (ص) قام فقال: إني كنت أمرتكم أن لا تأكلوا الأضاحي فوق ثلاثة أيام لسعيكم واني أحله فكلوا منه ما شئتم ولا تبيعوا لحوم الهدي والأضاحي وتصدقوا وتمتعوا بجلودها ولا تبيعوها وان أُطعِمتم من لحمها فكلوه إن شئتم)[٤].

وهذا الحديث يبين العلة التي من اجلها منع الرسول (ص) التعامل مع لحوم الأضاحي ألا وهو الخوف من بيعها أو المتاجرة بها، وبالتالي حرمان مستحقيها منها، أضف إلى ذلك ما ذكره القرطبي الذي قال: (وفي حديث عائشة نص على أن المنع كان لعله، فلما ارتفعت العلة ارتفع لارتفاع موجبه فتعين الأخذ به، وبعود الحكم تعود العلة، فلو قدم على أهل بلد ناس محتاجون في زمان الأضحى ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم إلا الضحايا تعين عليهم أن لا يدخروها فوق ثلاث)[٥]. وهذا يدل على أنه (ص) ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم/٣ ـ ٤) وأنه(ص) إن أمر بشيء أو نهى عنه فلحكمه استدعت ذلك، حتى قيل: انه (ص) نهى عن إخراج لحوم الأضاحي من أرض منى أو من (حرم

---

(١) انظر: الجوهر النقي: علاء الدين بن علي بن عثمان الماردني الشهير بـ (ابن التركي)، (ت: ٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت، وانظر: المبسوط: للسرخسي، شمس الدين ابو بكر (ت: ٤٨٣هـ)، ٨/١٢، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ١٤٠٦.

(٢) مجمع الزوائد: الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ) ٢٥/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٣) المصدر نفسه، ٢٥/٤.

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ابن حجر، (ت: ٨٥٢هـ) ٢٣/١٠، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ط٢.

(٥) انظر: وسائل الشيعة: الحر العاملي، ١٧٠/١٤ باب كراهة إخراج لحوم الأضاحي من منى.

مكة)[1] وهذا بدوره يعود إلى زمن كان في مكة المكرمة عدد كاف من المستهلكين والمستحقين، أما عندما كثرت اللحوم وقل الناس فان الحكم قد ارتفع، وقد بين فلسفة ذلك الإمام الصادق (ع) بقوله: (كنا نقول لا يخرج منها بشيء لحاجة الناس إليه فأما اليوم فقد كثر الناس فلا بأس بإخراجه)[2]. لكن الذي نراه اليوم حدوث كارثة حقيقية، حيث تتلف الآلاف المؤلفة من لحوم الأضاحي في أرض مكة دون أن تأذن السلطات الوهابية السعودية بإخراجه عملاً بحكم النهي عن الإخراج ناسين الحكم الأول الذي يدعو إلى منح قسم من هذه اللحوم للفقراء والمحتاجين، رغم تبرع مؤسسات خيرية كثيرة للعمل على نقلها إلى مستحقيها في البلدان الإسلامية، لكن جمود وتحجر رجال الدين الوهابيين حال دون ذلك[3].

المطلب الثالث: نماذج من مروياتها (ع) الفقهية الأخلاقية:

ضربت الزهراء(ع) وعلى مر الزمان ـ أروع الأمثلة فيما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة من عفاف والتزام، ورسمت للمرأة معالم شخصيتها الإسلامية وفق ما أرادته السماء وأوصى به النبي الأكرم (ص)، فكانت (ع) المشروع الإسلامي المتكامل الذي قدمه الإسلام للمرأة، فهي القدوة لكل شيء: لأنها (ع) المثل الأعلى لكل فتاة تصبو للحياة المثلى، ولكل زوجة تفتش عن الحياة الحقيقية، وطريق يضيء الدرب لكل أم تحلم في بناء النفوس العظيمة، بل هي النبراس الذي تتوق له كل امرأة تبحث عن المثل الأعلى في الحياة.

فلم يشهد التاريخ امرأة حازت من الثقافة والعلم والأدب وبهذا المستوى الراقي من العلم، مع أنها لم تدخل في مدرسة ولم تتخرج من كلية، سوى مدرسة النبوة وكلية الوحي والرسالة، فنجدها تقول عندما تسأل من قبل أبيها صاحب الرسالة (ص) كما روت هي ذلك: ما هو خير للمرأة؟ فتجيبه قائلة: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل)[4] فبينت (ع) الكيفية التي يجب أن تكون عليها المرأة المسلمة في الاحتجاب من الأجانب الذي يضمن لها كرامتها ويضمن لها عدم الوقوع في الفتنة، لأن الأفضل والأصلح للمرأة أن تتحرز من مخالطة الرجال: لما لذلك من آثار سلبية قد توقع الطرفين في ما لا يحمد عقباه.

فرسول الله (ص) عندما يسأل الزهراء هذا السؤال لا يعني أنه لا يعرف الجواب، وإنما أراد أن يسمع الجواب من الزهراء، القدوة الحسنة للمرأة المسلمة، المصداق الأمثل للمرأة المحجبة، وكذلك لتظل كلماتها مدوية في سماء العالم الإسلامي، حتى لا تدعي امرأة غداً في يوم الحشر أنها لم تعلم بوجوب الحجاب على المرأة المسلمة، علماً انه دل على وجوب

---

(١) المصدر نفسه ١٤/ ١٧٢.

(٢) انظر: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، ٨/ ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٣) مجمع الزوائد: الهيثمي، ٤/ ٢٥٥ (مصدر سابق).

(٤) مكارم الأخلاق: الطبرسي، ص٩٣، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

الحجاب ولم يدل على الإلزام الشرعي للمرأة بأن تكون جليسة بيتها، خصوصاً كونها تعيش في دائرة ضروريات الحياة العامة أو ضروريات الجهاد الفكري والاجتماعي والثقافي الذي قد يفرض عليها أن تنطلق - وفي حدود حجابها الشرعي - في مجتمعها لتؤدي رسالتها ودورها فيه حسب إمكانياتها ومؤهلاتها لذلك، وقد ضربت لنا سلام الله عليها مثلاً في ذلك عندما استدعى الأمر خروجها من دارها إلى مسجد رسول الله (ص) لإلقاء خطبتها المشهورة التي أبكت العيون، فقد كانت (ع) في ذلك قدوه لكل النساء.

وبهذا يكون جوابها(ع) مطابقاً لقوله تعالى في آية الحجاب: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١).

وكذلك لقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

فهي (ع) قد وازنت بين الآيتين فخرجت بنتيجة أن أفضل شيء للمرأة (أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل) فكانت أول من ائتمر بهذا، يقول الإمام الباقر (ع): (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وما كان خمارها إلا هكذا وأومأ بيده إلى وسط عضده)[١].

وقال (ع): (صلت فاطمة (ع) في درع[٢] وخمارها على رأسها، ليس عليها أكثر مما وارت به شعرها وأذنيها)[٣].

وهكذا ضربت للمرأة المسلمة درساً في الاحتجاب حتى وصل بها الحد إن احتجبت عن الأعمى، فقد روي انه قد استأذن أعمى على فاطمة (ع) فحجبته، فقال لها رسول الله ·ص): (لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت (ع): (إن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشم الريح، فقال (ص): أشهد انك بضعة مني)[٤].

فالروعة كل الروعة في ماروت من أحكام فقهية وأخلاقية وما فيها من عمق اجتماعي وجنبة إصلاحية، وقد وردت عنها روايات بهذا المعنى تحث النساء على أن يلتزمن بالمنهج

(١) درع المرأة قميصها، وهو ثوب تجوب المرأة وسطه، وتجعل له يدين وتخيط خرجيه، (انظر: لسان العرب: ابن منظور ٨١/٨).

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق، ٢٥٧/١، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي، ٣٨/١٠١، (مصدر سابق).

(٤) عيون أخبار الرضا: الصدوق ١٤/١، تحقيق: حسين الأعلمي مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. بحار الأنوار: المجلسي ١٠٠/٨، ٢٤٥، ٣٠٩.

الإسلامي الصحيح، من ذلك ما ورد عن الوراق، عن أبي عبد الله الكوفي عن سهيل بن زياد الآدمي، عن عبد العظيم الحسني، عن محمد بن علي الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين، قال: دخلت أنا وفاطمة على رسول الله (ص) فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟

فقال: يا علي، ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة معلقة بثدييها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها.

ورأيت امرأة قد سد رجلها إلى يديها وقد سلط عليها الحيات والعقارب، ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها متقطع من الجذام والبرص، ورأيت امرأة معلقة برجلها في تنور من نار، ورأيت امرأة يقطع لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقاريض من نار، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن حمار، وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب، والنار تدخل من دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.

فقالت فاطمة (ع): حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب؟ فقال (ص): يا بنتي أما المعلقة بشعرها، فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال.

وأما المعلقة بلسانها، فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة من ثدييها، فإنها كانت تمتنع من فراش زوجها، وأما المعلقة برجليها، فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها وأما التي كانت تأكل لحم جسدها، فإنها كانت تزين بدنها للناس، وأما التي شدت يداها إلى رجليها، وسلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت قذرة الوضوء، قذرة الثياب وكانت لا تغسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف، وكانت تستهين بالصلاة، وإما التي كانت تقرض لحمها بالمقاريض، فإنها كانت تعرض نفسها على الرجال، وإما التي كانت يحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أعضاءها، فإنها كانت قوادة، وإما التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها حمار، فإنها كانت نمامة كذابة، وإما التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، فإنها كانت مغنية نواحة حاسدة، ثم قال (ص): ويل لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها[1].

هذا الحديث يتحدث عن عذاب عدد من النساء اللاتي انحرفن عن الطريق القويم فكانت الأحكام الشرعية التي تخص النساء المخلات بالعشرة الزوجية في المقدمة، إذ كانت

---

(١) انظر: تهذيب النفس وآداب العشرة: أحمد كاظم البهادلي، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨، مطبعة حسام للطباعة المحدودة، بغداد، ط١، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥.

أكثر المعذبات منهن: وذلك لأن الشريعة الإسلامية المقدسة قد اهتمت بهذه العلاقة المقدسة لاعتبارات عدة منها:

- كونها الجذر الرئيس لوجود النوع الإنساني.
- مـون تعامـل الـزوجين – حـسن كـان أو غـير حـسن – يـنعكس علـى أولادهمـا سـلباً وإيجاباً.
- إن استقرار الرجل والمرأة في الزواج، ثم استقرار الوضع البيتي بعده، هو من أهم الوسائل لسعادة الأسرة التي هي جزء من المجتمع الإسلامي، فسعادتها تعني سعادة المجتمع بأسره[1]، إلى غير ذلك من الاعتبارات التي جعلت من الزواج رباطاً مقدساً يتطلب مزيداً من العناية في تشريع أحكامه، ومزيداً من الرعاية في تطبيق هذه الأحكام، قال تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة/١٨٧)، وقال أيضاً: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم/٢١).

لكن يصدق في أحيان كثيرة أن يعكر صفو هذه الحياة بعض الأمور التي تؤدي بمسببها والمقصر الأول في نار جهنم، من ذلك أصناف النساء اللاتي رآهن رسول الله (ص) ليلة أسرى به، وقد سألته الزهراء (ع) ببيان حال كل واحدة منهن كانت في العذاب، فبين(ص) حالهن، فقد علقت إحداهن من لسانها: لأنها كانت تؤذي زوجها، فأذى الزوج من الأمور التي نهى الإسلام عنها: لما لها من آثار سلبية على سعادة العائلة، وبالتالي انعكاسه على تربية الأولاد، وإذا ما صادف أن آذت الزوجة زوجها فإن في ذلك بعداً عن المولى عز وجل، وقد توعدها تعالى بالمؤاخذة والعقاب، فقد روي عن النبي(ص) أنه قال: (من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه، وإن صامت الدهر وقامت، وأعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله وكان أول من ترد النار[2] هذا في الدنيا، أما في الآخرة فقد بين (ص) حالها للزهراء (ع) حينما سألته، كذلك بين (ص) أحوال نساء أخريات كان سبب عذابهن أيضاً يدور في فلك الأحكام الفقهية الخاصة بالرجال: لما في ذلك من تأثير على الحياة الأسرية، حتى وصل به الحد(ص) أن ختم الحديث بقوله: (ويل لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها، وكأنه(ص) يشير إلى أن سعادة المرأة الأخروية مرهونة برضا الزوج أو عدمه، في حين أنه وقف على نوع آخر من النساء إلا وهو تلك المرأة التي تتخلى عن إنسانيتها وتخرج

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ١١٦/١٤ مصدر سابق.

(٢) معجم ألفاظ الفقه الجعفري: أحمد فتح الله، ص٣٣٩ مطابع المدوخل، الدمام، ط١، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥.

عن الطريق القويم فتشتغل قوادة - أي التي تجمع النساء والنساء والغلمان للزنا واللواط[1] فإن عملها هذا يعد من الكبائر، وَحَدّه (خمس وسبعون جلدة ثلاثة أرباع حد الزاني رجلاً كان أو امرأة ويؤدب الصبي غير البالغ ويستوي الحر والعبد والمسلم والكافر[2]. عن أبي جعفر(ع) قيل له: بلغنا أن رسول الله (ص) لعن الواصلة والموصولة، قال: (إنما لعن رسول الله الواصلة التي كانت تزني في شبابها فلما إن كبرت كانت تقود النساء إلى الرجال فتلك الواصلة والموصولة)[3]، بينما تحدث من جانب آخر عن أمراض أخرى خطيرة استشرت في مجتمعنا اليوم من بينها مرضي النميمة والكذب، إذ إنهما يأكلان في جسد الأمة ويعملان على هدم الأواصر والعلائق الأخوية بين بني المجتمع: لذا فقد وردت أحاديث عدة في النهي عن هاتين الخصلتين الذميمتين، من ذلك ما ورد عن رسول الله (ص) قوله: (ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة)[4]، وقال(ص) ناهياً عن الكذب: (أربى الربا الكذب)[5]، وقال أيضاً: (إن لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً، فكحله النعاس، ولعوقه الكذب، وسعوطه الكبر)[6].

أما النوع الأخير من المعذبات فكانت النساء المغنيات: إذ إن الإسلام نهى عن الغناء أداءً واستماعاً فقال تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ (الحج/٣٠). فعن زيد الشحام أنه سأل الإمام الصادق (ع) عن قوله عز وجل: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ قال: (قول الزور: الغناء[7]، وعنه (ع) في قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ (الفرقان/٧٢) قال: الغناء)[8].

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال: سمعته يقول: الغناء مما وعد الله عليه النار، وتلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ (لقمان/٦) فكيف بالمغني لاسيما إذا كانت امرأة والتي هي عورة في كل شيء، فكان مصيرها كما تحدث عنها رسول الله (ص).

---

(١) النفي والتغريب: نجم الدين الطبسي، ص٩٩، مؤسسة الهادي، قم، ط٣، ١٤١٦.

(٢) المحاسن: البرقي ١١٤/١ (مصدر سابق).

(٣) وسائل الشيعة: الحر العاملي ٣٠٦/١٢ (مصدر سابق).

(٤) المصدر نفسه، ٢٤٧/١٢ (مصدر سابق).

(٥) المصدر نفسه، ٢٤٧/١٢ (مصدر سابق).

(٦) المصدر نفسه، ٣٠٣/١٧.

(٧) المصدر نفسه، ٣٠٣/١٧.

(٨) المصدر نفسه، ٣٠٥/١٧.

وبهذا أرادت الزهراء (ع) أن توصل لنساء امة أبيها رسالة مفادها: إن أكثر أهل النار النساء، فتحذرهن من مغبة الوقوع في الفتن والأضاليل.

وبهذا تكون (ع) قد أدّت الرسالة العظمى الملقاة على عاتقها من أجل النهوض بواقع المجتمعات فقهاً وأخلاقاً وتعامل: ومن أجل حمايتها - أي المجتمعات - من أن تخرج عن الطريق الذي رسمته السماء وعدم تصدع عرى الروابط الاجتماعية الذي يؤدي إلى انهيار الإسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتائج البحث:

وأخيراً وبعد أن نهلنا من معين حياة الزهراء (ع) الفكرية لا بد من الوقوف على أهم ما توصل إليه البحث من نتائج في هذا الباب:

١ - إنها (ع) كانت مصدراً من مصادر الغذاء الفكري والأيديولوجية السلوكية والأخلاقية والتي رسمتها للأجيال وحمت من خلالها المجتمعات من الانحراف العقائدي والتشريعي، فكانت مصدر الهام يتخطى حواجز الزمان.

٢ - إنها (ع) أسهمت إسهاماً كبيراً في رفد الإنسان بالمعرفة والعلم: كونها عاشت في بحبوحة النبوة وفي دائرة الوحي.

٣ - إن مدرسة الزهراء (ع) ستبقى وعبر الزمان صّرحاً خالداً، وأن كلماتها وسيرتها العطرة ستكون قدوة للأجيال.

٤ - إن جل علومها (ع) قد استسقتها من مناهل النبوة واكتسبتها من مصادر الوحي الذي كان يهبط في بيوتهم.

٥ - إن دورها (ع) في مجال تعليم ونقل الأحكام الشرعية والفقهية كان له حضوره في الساحة الإسلامية، معلمةً تارة به نساء الأمة، ومستشرفةً تارةً أخرى ما ستكون عليه هذه الأمة من انحرافات عن الطريق السوي.

٦ إنها (ع) كانت في أحيان كثيرة واسطة لإيصال أحكامٍ فقهيةٍ كثيره، فقد كان أبوها (ص) يأمرها بإيصال هذه الأحكام إلى الأمة، خصوصاً النساء منهم.

الملخص:

كانت ولا زالت السيدة الزهراء (ع) عطاءً وشموخاً وإيثاراً ورفعة، تركت بصماتها في كل جانب من جوانب العالم الإسلامي، الفكرية والاجتماعية والتشريعية، فكان عطاؤها كبيراً، وبذلها عظيماً، وقد شغل عطاؤها الفكري الحيّز الكبير من حياتها؛ فجاء هذا البحث المتواضع ليغترف من معينها الثر والعذب، فكانت مروياتها الفقهية موضوعاً له، بينّا من خلاله ما لهذه السيدة من أثر بالغ فيه ارتشف منه فقهاء الأمة بعضاً من أحكام الإسلام. ❖

مناقب فاطمة بنت رسول الله (ص)

للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المصري

(٧٣٥ - ٨٠٧هـ/ ١٣٣٥ - ١٤٠٥م)

✍ تقديم: محمد سعيد الطريحي

تمهيد

وقع بيدي هذا الجزء من مناقب الزهراء عليها السلام، ضمن مجموعة خطية كنت قد اقتنيتها من دلهي، ولم أكن بعد قد تبينت حقيقة هذا الجزء لما فيه من النقص والتصحيف، كما أنه جاء خلواً من اسم مؤلفه أو ناسخه، حتى أتيح لي أن أحقق بعض الرسائل عن سيدتنا الزهراء عليها السلام، فتعين عليَّ مراجعة المصادر والمراجع التي تخصّها، وكان مما أطلعت عليه كتاب (مجمع الزوائد) للحافظ الهيثمي، ولما وقع نظري على ما كتبه عن الزهراء رأيته مطابقاً للجزء الذي احتفظ فيه، فعكفت على مقابلته وتصحيحه مع (مجمع الزوائد)، فأتى هذا الجزء مكملاً للأجزاء التي سبقته عن فضائل الزهراء، ولقد جمع فيه الحافظ الهيثمي ما ورد عنها في مسند الأمام أحمد وأبي يعلى الموصلي، وأبي بكر البزار ومعاجم الطبراني الثلاثة وذكرها بعد حذف أسانيدها، وبذلك فهو يغنينا عن تلك المراجع فيما يخص هذا الموضوع.

الحافظ الهيثمي:

هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري القاهري الشافعي، كان أبوه صاحب حانوت في صحراء الفسطاط فولد له ابنه علي في رجب سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) ونشأ فقرأ القرآن ثم صحب الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٧٢٥ - ٨٠٦هـ) وسمعا معاً في ابتداء الطلب، على الخطيب أبي الفتح الميدومي في مصر فأكثرا عنه، وهو من أعلى مشايخها إسناداً وعلى محمد بن إسماعيل بن الملوك، وابن القطرواني وغيرهم من المصريين. ثم رحلا إلى دمشق سنة ٧٦٥هـ فسمعا من محمد بن إسماعيل الخباز، ومن أبي العباس أحمد بن البخاري وغيره، وتكررت رحلاتهما مرات إلى دمشق، وحلب والحجاز والقدس وحماه وطرابلس وغيرها، وأرادا الدخول إلى العراق ففترت همتهما من خوف الطريق في ذلك الحين. وذهبا إلى الإسكندرية ثم عزما على التوجه إلى تونس والمغرب فلم يقدر لهما ذلك.

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم الحافظ الهيثمي في مختلف البلاد - مشتركاً مع الحافظ العراقي أو منفرداً - عبد الرحمن بن عبد الهادي، ومحمد بن عبد الله النعماني، وأحمد بن الرصجي، ومظفر الدين محمد بن محمد بن يحيى العطار، وعلاء الدين التركماني.

والهيثمي مكثر سماعاً وشيوخاً، ولم يكن (العراقي) يعتمد في شيء من أموره إلا عليه حتى أنه أرسله مع ولده الحافظ ولي الدين أبو زرعة لما ارتحل بنفسه إلى دمشق وزوجة ابنته خديجة ورزق منها عدة أولاد، وقال البرهان الحلبي: أنه كان من محاسن القاهرة، ومن أهل الخير، غالب نهاره في اشتغال وكتابة مع ملازمة خدمة الشيخ في أمر وضوئه وثيابه، ولا يخاطبه إلا بسيدي، حتى كان في أمر خدمته كالعبد، مع محبته للطلبة والغرباء وكثرة الاستحضار جداً.

وقال التقي الفاسي: كان كثير الحفظ للمتون والآثار صالحاً خيّراً.

وقال خليل الأقفهسي: كان أماماً عالماً حافظاً زاهداً متواضعاً متودداً إلى الناس ذا عبادة وتقشف وورع.

وقال آخر: كان عجباً في الدين والتقوى والزهد، والإقبال على العلم والعبادة والأوراد، وخدمة الشيخ، وعدم مخالطة الناس في شيء من الأمور، والمحبة في الحديث وأهله.

وفاته:

توفي ليلة الثلاثاء ١٩ رمضان سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) بالقاهرة[١].

مؤلفاته:

١ ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين. يعني المعجم الصغير والأوسط للطبراني. منه قطعة في المكتبة الظاهرية (حديث ٢٨٦ ـ الأوراق ١ ـ ٢٠٨).

٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١ ـ ١٠) طبع في الهند سنة ١٣٠٨هـ وطبع في القاهرة سنة ١٣٥٢هـ ومنه قطعة في المكتبة الظاهرية الجزء الأول (حديث ٢٥١ الأوراق ١ ـ ٢٨٧). ومنه مجلد يشتمل على الجزأين الرابع والخامس مخطوط بالمكتبة الأزهرية يعود لسنة ٨٦١ هـ برقم (٦٣١) ٥٦٢٧.

٣ ـ البدر المنير في زوائد المعجم الكبير.

٤ ـ غاية المقصد في زوائد أحمد ـ في مجلدين.

٥ البحر الزخّار في زوائد البزار.

٦ ـ المقصد الأعلى في زوائد أبي يعلى.

٧ ـ موارد الظمآن لزوائد ابن حبان ـ المطبعة السلفية بالقاهرة نشره محمد عبد الرزاق حمزة ـ.

٨ ـ بغية الباحث عن زوائد الحارث.

وله أحاديث الخلعيات، وفوائد أبي تمام، وغيرها.

محمد سعيد الطريحي

الهند

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٥/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣. شذرات الذهب ـ سنة ٨٠٧ هـ ـ. وذيول طبقات الحفاظ: ٢٣٩ و٣٧٢. والأعلام ٥/ ٧٣، Brockelmann. ٢:٩١, S.٢:٨٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

مناقب فاطمة بنت رسول الله (رضي الله عنها)

١ - عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران - رواه الترمذي غير ذكر فاطمة ومريم - رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح.

٢ - وعن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): سيدات أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة، وخديجة، ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون. رواه الطبراني في الأوسط والكبير رجال الصحيح غير محمد بن مروان الذهلي وثقه ابن حبان.

٣ - وعن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: أن ملكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن الله في زيارتي فبشرني أو أخبرني أن فاطمة سيدة نساء أمتي. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح عبر محمد بن مروان الذهلي ووثقه ابن حبان.

وعن علي يعني ابن أبي طالب أن النبي (ص) قال لفاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة وأبناك سيدا شباب أهل الجنة. رواه الطبراني وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

٥ - وعن عائشة قالت: ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها قالت وكان بينهما شيء فقالت يا رسول الله سلها فإنها لا تكذب. رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى إلاّ أنها قالت: ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة، ورجالهما رجال الصحيح.

٦ - وعن النعمان بن بشير قال: استأذن أبو بكر على رسول الله (ص) فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: والله لقد عرفت أن علياً وفاطمة أحب إليك مني ومن أبي مرتين أو ثلاثاً فاستأذن أبو بكر فأهوى إليها فقال يا بنت فلانة لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله (ص) - قلت رواه أبو داود غير ذكر علي وفاطمة - رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

٧ - وعن ابن عباس قال دحل رسول الله (ص) على علي وفاطمة وهما يضحكان فلما رأي النبي (ص) وسكتا فقال لهما النبي (ص) مالكما كنتما تضحكان فلما رأيتماني سكتما فبادرت فاطمة فقالت يا أبي أنت يا رسول الله (ص) منك فتبسم رسول الله (ص) وقال يا بنية لك رقة الولد وعلي أعز علي منك. رواه الطبراني ورجاله رجل الصحيح.

٨ - وعن أبي هريرة قال: قال علي يا رسول الله أيما أحب إليك أنا أم فاطمة قال فاطمة أحب إلى منك وأنت أعز علي منها، قلت فذكره وقد تقدم. رواه الطبراني في الأوسط.

٩ - وعن عائشة قالت كنت أرى رسول الله (ص) يقبل فاطمة فقلت يا رسول الله إني كنت أراك تفعل شيئاً ما كنت أراك تفعله من قبل قال لي يا حميراء أنه لما كان ليلة أسرى

بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من شجر الجنة لم أر في الجنة شجرة هي أحسن منها ولا أبيض منها ورقة ولا أطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فجعلت بفاطمة فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة، يا حميراء أن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتلون. رواه الطبراني وفيه أحمد وقال كان يتحرى الصدق وأنكر على من نسبه إلى الكذب وضعفه البخاري وغيره وقال بعضهم متروك، وفيه من لم أعرفه أيضاً وقد ذكر هذا الحديث في ترجمته في الميزان.

١٠ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) لفاطمة رضي الله عنها أن الله غير معذبك ولا ولدك. رواه الطبراني ورجاله ثقات.. وعن عبد الله (يعني ابن مسعود) قال: قال رسول الله (ص) أن فاطمة حصنت فرجها وأن الله عزّ وجلّ أدخلها بأحصان فرجها وذريتها الجنة. رواه الطبراني والبزار بنحوه وفيه عمر بن عتاب وقيل بن غياث وهو ضعيف.

١١ - وعن علي أنه كان عند رسول الله (ص) فقال أي شيء خير للنساء قالت لا يراهن الرجال فذكرت ذلك للنبي (ص) فقال إنما فاطمة بضعة من رضى الله عنها. رواه البزار وفيه من لم أعرفه.

١٢ - وعن علي قال: قال رسول الله (ص) لفاطمةَ إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. رواه الطبراني وأسناده حسن..

١٣ - وعن عمران بن حصين قال إني لجالس عند النبي (ص) إذ أقبلت فاطمة فقامت بحذاء النبي (ص) مقابلة فقال أدنى يا فاطمة فدنت دنوة ثم قال أدنى يا فاطمة فدنت دنوة ثم قال أدبي يا فاطمة فدنت دنوة حتى قامت بين يديه قال عمران فرأيت صفرة قد ظهرت على وجهها وذهب الدم فبسط رسول الله (ص) بين أصابعه ثم وضع كفه بين ترائبها فرفع رأسه قال اللهم مشبع الجوعة وقاضي الحاجة ورافع الوضعة لا تجع فاطمة بنت محمد فرأيت صفرة الجوع قد ذهبت عن وجهها وظهر الدم ثم سألتها بعد ذلك فقالت ما جعت بعد ذلك يا عمران. رواه الطبراني في الأوسط وفيه عتبة بن حميد وثقه ابن حبان وغيره وضعَّفه جماعة، وبقية رجاله وثقوا.

(باب منه في فضلها وتزويجها بعلي رضي الله عنه)

١٤ - عن حجر بن عنبس وكان قد أدرك الجاهلية قال خطب علي رحمه الله عليه إلى رسول الله (ص) فاطمة فقال هي لك يا علي لست بدجال. رواه البزار وقال معنى قوله (ص) لست بدجال يدل على أنه قد كان وعده فقال أني لا أخاف الوعد، وحجر لم يسمع من النبي (ص).

١٥ - وعن حجر بن عنبس أيضاً وكان قد أكل الدم في الجاهلية وشهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين فقال خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة رضي الله عنها فقال النبي (ص) هي لك يا علي. رواه الطبراني ورجاله ثقات.

١٦ - وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ص) قال أن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي. رواه الطبراني ورجاله ثقات.

١٧ - وعن عبد الله بن مسعود قال سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله (ص) فلم أزل أطلب الشهادة للحديث فلم أرزقها سمعت رسول الله (ص) في غزوة تبوك يقول ونحن نسير معه أن الله لما أمرني أن أزوج فاطمة من على ففعلت قال جبريل عليه السلام أن الله تعالى بنى جنة من لؤلؤة قصب بين كل قصبة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوتة مشذرة بالذهب وجعل سقوفها زبرجداً أخضر وجعل فيها طاقات من لؤلؤة مكللة باليواقيت ثم جعل عليها غرفاً لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من در ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد ثم جعل فيها عيوناً تنبع في نواحيها وحُفّت بالأنهار وجعل على الأنهار قباباً من در قد شعبت بسلاسل الذهب وحُفّت بأنواع الشجر وبني في كل غصن قبة وجعب في كل قبة أريكة من درة بيضاء غشاؤها السندس والإستبرق وفرش أرضها بالزعفران وفتق بالمسك والعنبر وجعل في كل قبة حوراء والقبة لها مائة باب على كل باب حارسان وشجرتان في كل قبة مفرش وكتاب مكتوب حول القباب آية الكرسي قلت لجبريل لمن بني الله هذه الجنة قال بناها لفاطمة ابنتك وعلي بن أبي طالب سوى جنانهما تحفة أتحفهما وأقر عينيك يا رسول الله. رواه الطبراني وفيه عبد النور بن عبد الله المِسمَعي[1] وهو كذاب. وعن أنس بن ملك قال جاء أبو بكر إلى النبي (ص) فقعد بين يديه فقال يا رسول الله قد علمت منا صحبتي وقدمي في الإسلام وأني وأني قال وما ذاك قال تزوجني فاطمة فسكت عنه أو قال فأعرض عنه فرجع أبو بكر إلى عمر فقال هلكت وأهلكت قال وما ذاك قال خطبت فاطمة إلى النبي (ص) فأعرض عني قال مكانك حتى آتي النبي (ص) فأتى عمر النبي (ص) فقعد بين يديه فقال يا رسول الله قد علمت منا صحتي وقدمي في الإسلام وأني وأني قال وما ذاك قال تزوجني فاطمة فأعرض فرجع عمر إلى أبي بكر فقال أنه ينتظر أمر الله فيها انطلق بنا إلى على حتى نأمره أن يطلب مثل الذي طلبنا قال علي فأتياني وأنا في سبيل فقالا بنت عمك تخطب فنبهاني لأمر فقمت أجر ردائي طرف على عاتقي وطرف آخر في الأرض حتى أتيت النبي (ص) فقعدت

---

(١) في أنساب السمعاني ١٢/٢٦٤: المِسمَعي نسبة إلى المسامعة وهي محلة بالبصرة، وهو النور بن عبد الله بن سنان أبو محمد المسمعي، قال أبو حاتم ابن حبان: هو مولى المسامعة من أهل البصرة، يروي عن عبد الملك بن أبي سليمان روى عنه البصريون.

بين يدي رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله قد عملت قدمي في الإسلام وصحبتي وإني وإني قال وما ذاك يا علي قلت تزوجني فاطمة قال وما عندك قلت فرسي وبدني يعني درعي قال أما فرسك فلا بدلك منه وأما بدنك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين درهما فأتيت بها النبي (ص) فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة فقال يا بلال أبغنا بها طيباً وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سريراً مشرطاً بالشريط ووسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت كثيباً يعني رملاً وقال إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك فجاءت مع أم أيمن فقعدت في جانب البيت وأنا في جانب فجاء النبي (ص) فقال أههنا أخي فقالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت إلى قعب[1] في البيت فجعلت فيه ماءاً فأتته به فمج فيه ثم قال لها قومي فنضح[2] بين ثدييها وعلى رأسها ثم قال اللهم أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ائتيني بماء فعلمت الذي يريده فملأت القعب ماءاً فأتيته به فأخذ منه بفيه ثم مجه فيه ثم صب على رأسي وبين يدي ثم قال اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادخل على أهلك بسم الله والبركة.

رواه الطبراني وفيه يحيى بن يعلي الأسلمي وهو ضعيف.

١٨ - وعن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى أبا بكر رحمة الله عليه فقال يا أبا بكر ما يمنعك أن تزوج فاطمة بنت رسول الله (ص) قال لا يزوجني قال إذا لم يزوجك فمن يزوج وأنك من أكرم الناس عليه وأقدمهم في الإسلام قال فانطلق أبو بكر رحمة الله عليه إلى بيت عائشة رضي الله عنها فقال يا عائشة إذا رأيت من رسول الله (ص) طيب نفس وإقبالاً عليك فاذكري له أني ذكرت فاطمة فلعل الله عزّ وجلّ أن ييسرها لي قال فجاء رسول الله (ص) فرأت منه طيب نفس وإقبالاً فقالت يا رسول الله إن أبا بكر ذكر فاطمة وأمرني أن أذكرها قال حتى ينزل القضاء قال فرجع إليها أبو بكر فقالت يا أبتاه وددت أني لم أذكر له الذي ذكرت فلقي أبو بكر عمر فذكر أبو بكر لعمر ما أخبرته عائشة فانطلق عمر إلى حفصة فقال يا حفصة إذا رأيت من رسول الله (ص) إقبالاً يعني عليك فاذكر بني له وأذكره فاطمة لعل الله أن ييسرها لي قال فلقي رسول الله (ص) حفصة فرأت طيب نفس ورأت منه إقبالاً فذكرت له فاطمة رضي الله عنها فقال حتى ينزل القضاء فلقي عمر حفصة فقالت له يا أبتاه وددت أني لم أكن ذكرت له شيئاً فانطلق عمر رضي الله عنه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ما يمنعك من فاطمة فقال أخشى أن لا يزوجني قال فإن لم يزوجك فمن يزوج وأنت أقرب خلق الله إليه فانطلق علي إلى رسول الله (ص) ولم يكن له مثل عائشة ولا مثل حفصة قال فلقي رسول الله (ص) فقال

(١) أي إناء.

(٢) أي رشّ.

أني أريد أن أتزوج فاطمة قال فأفعل قال ما عندي إلا درعي الحطمية[١] قال فاجمع ما قدرت عليه وائتني به قال فأتني باثنتي عشرة أوقية أربعمائة وثمانين فأتى بها رسول الله (ص) فزوجه فاطمة رضي الله عنها فقبض ثلاث قبضات فدفعها إلى أم أيمن فقال اجعلي منها قبضة في الطيب أحسبه قال والباقي فيما يصلح المرأة من المتاع.

فلما فرغت من الجهاز وأدخلتهم بيتا قال يا علي لا تحدثن إلى أهلك شيئاً حتى آتيك فأتاهم رسول الله (ص) فإذا فاطمة متقنعة وعلى قاعد وأم أيمن في البيت فقال يا أم أيمن ائتيني بقدح من ماء فأتته بقعب فيه ماء فشرب منه ثم مج فيه ثم ناوله فاطمة فشربت وأخذ منه فضرب جبينها وبين كتفيها وصدرها ثم دفعه إلى على فقال يا علي اشرب ثم أخذ منه فضرب به جبينه وبين كتفيه ثم قال أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فخرج رسول الله (ص) وأم أيمن وقال يا علي أهلك، وفي رواية قال خطب علي رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله (ص) وهو ضعيف.

١٩ ـ وعن ابن عباس قال كانت فاطمة تذكر لرسول الله (ص) فلا يذكرها أحد إلا صَدَّ عنه حتى يئسوا منها فلقي سعد بن معاذ عليا فقال أني والله ما أرى رسول الله (ص) يحبسها إلا عليك فقال له علي رصي الله عنه فهل ترى ذلك ما أنا بأحد الرجلين ما أنا بصاحب دنيا يلتمس ما عندي وقد علم ما لي صفراء ولا بيضاء وما آبا بالكافر الذي يترفق بها عن دينه يعني يتألفه بها أني لأول من أسلم فقال سعد أني أعزم عليك لتفرجنها عني فأن لي في ذلك فرجا قال أقول ماذا قال تقول جئت خاطباً إلى الله وإلى رسوله فاطمة بنت محمد (ص) فقال النبي (ص) مرحباً كلمة ضعيفة ثم رجع إلى سعد فقال له قد فعلت الذي أمرتني به فلم يزد على أن رحب بي كلمة ضعيفة فقال سعد أنكحك والذي بعثه بالحق إنه لا خلف ولا كذب عنده أعزم عليك لتاتينه الآن فلتقولن يا بني الله متى تبنين فقال علي هذه أشد على من الأولى أولاً أقول يا رسول الله حاجتي قال قل كما أمرتك فانطلق علي فقال يا رسول الله متى تبنيني قال الليلة إن شاء الله ثم دعا بلالا فقال يا بلال إني قد زوجت ابنتي ابن عمي وأنا أحب أن يكون من سنة أمتي الطعام عند النكاح فائت الغنم فخذ شاة واربعه أمداد وأجعل لي قصعة أجمع عليها المهاجرين والأنصار فإذا فرغت فآذني فانطلق ففعل ما أمره به ثم آتاه بقصعة فوضعها بين يديه فطعن رسول الله (ص) في رأسها وقال أدخل الناس علي زفة زفة[٢] ولا تغادرن زفة إلي غيرها يعني إذا فرغت زفة فلا يعودون ثانية فجعل الناس يردون كلما فرغت زفة وردت أخرى حتى فرغ الناس ثم عمد النبي (ص) إلى ما فضل منه فتفل فيه وبارك وقال يا بلال احملها إلى أمهاتك وقل لهن كلن وأطعمن من غشيكن ثم

(١) نسبة إلى حطمة بن محارب الذي كان يعمل الدروع، أو هي التي تكسر وتحطم السيوف، أو هي الثقيلة، وفي الأصل «الخطمية» بالخاء المعجمة، والتصحيح من القاموس.

(٢) أي طائفة بعد طائفة وزمرة بعد زمرة، سميت بذلك لزفيفها في مشيها وإقبالها بسرعة.

قال النبي (ص) حتى دخل على النساء فقال إني زوجت بنتي ابن عمي وقد علمتن منزلتها مني وأنا دافعها إليه فدونكن فقمن النساء فغلفنها[1] من طيبهن وألبسنها من ثيابهن وحلينها من حليهن ثم إن النبي (ص) دخل فلما رأيته النساء ذهبن وبين النبي (ص) ستر وتخلفت أسماء بنت عميس رضي الله عنها فقال لها النبي (ص) على رسلك من أنت قالت آنا التي أحرس ابنتك أن الفتاة ليلة بنائها لا بد لها من امرأة قريبة منها أن عرضت لها حاجة أو آرادت أمراً أفضت بذلك إليها قال فأني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم ثم صرخ بفاطمة فأقبلت فلما رأت عليا جالسا إلى النبي (ص) بكت فخشي النبي (ص) أن يكون بكاؤها أن عليا لا مال له فقال النبي (ص) ما يبكيك ما الوتك في نفسي وقد أصبت لك خير أهلي والذي نفسي بيده لقد زوجتك سعيداً في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين فلان منها فقال النبي (ص) يا أسماء اثتيني بالمخضب فأتت أسماء بالمخضب فمج النبي (ص) فيه ومسح في وجهه وقدميه ثم دعا فاطمة فأخذ كفاً من ماء فضرب به على رأسها وكفا بين ثدييها ثم رش جلده وجلدها ثم التزمها فقال اللهم أنها مني وأني منها اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني فطهرهما ثم دعا بمخضب[2] آخر ثم دعا عليا فصنع به كما صنع بها ثم دعا له كما دعا لها ثم قال لهما قوما إلى بيتكما جمع الله بينكما في سر كما وأصلح بالكما ثم قام وأغلق عليهما بابهما بيده قال ابن عباس رضي اتلله عنهما فأخبرتني أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنها رمقت رسول الله (ص) لم يزل يدعو لهما خاصة لا يشركهما في دعائه أحد حتى تواري في حجرته صلى الله عليه وآله وسلم. رواه الطبراني وفيه يحيى بن يعلي وهو متروك.
وعن بريدة قال قال نفر من الأنصار لعلي رضي الله عنه عندك فاطمة فأتى رسول الله (ص) فقال ما حاجة ابن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا رسول الله ذكرت فاطمة بنت رسول الله (ص) فقال مرحباً وأهلا لم يزد عليها فخرج علي بن أبي طالب على أولئك الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا ما وراءك قال ما أدري غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً قالوا يكفيك من رسول الله (ص) إحداهما اعطاك الاهل والمرحب فلما كان بعد ما زوجه قال يا علي أنه لا بد للعروس من وليمة قال سعد عندي كبش وجمع له من الأنصار أصوعا من ذرة فلما كانت ليلة البناء قال لا تحدث شيئاً حتى تلقاني فدعا رسول الله (ص) بماء فتوضأ منه ثم أفرغه علي فقال اللهم بارك فيهما وبارك لهما في بنائهما. رواه الطبراني والبزار بنحوه إلا أنه قال قال نفر من الأنصار لعلي رضي الله عنه لو خطبت فاطمة وقال في آخره اللهم بارك فيهما وبارك لهما في شبليهما، ورجالهما رجال الصحيح غير عبد الكريم بن سليط ووثقه ابن حبان.

---

(١) أي لطختها، وفي النسخ مصحفة والتصحيح مما تقدم ومن النهاية.
(٢) المخضب: وعاء كالأجانة.

٢٠ - وعن جابر قال حضرنا عرس علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها فما رأينا عرساً كان أحسن منه حشونا الفراش يعني الليف وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها آهاب كبش. رواه البزار وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ضعيف.

٢١ - وعن أسماء بنت عميس قالت لما أهديت فاطمة إلى علي بن أبي طالب لم نجد في بيته إلا رملاً مبسوطاً ووسادة حشوها ليف وجرة وكوزا فأرسل رسول الله (ص) لا تحدثن حدثاً أو قال لا تقربن أهلك حتى آتيك فجاء النبي (ص) فقال أثم أخي فقالت أم أيمن وهي أم أسامة بن زيد وكانت حبشية وكانت امرأة صالحة يا رسول الله هذا أخوك وزوجته ابنتك وكان النبي (ص) آخي بين أصحابه وأخي بين علي ونفسه قال أن ذلك يكون يا أم أيمن قالت فدعا النبي (ص) بإناء فيه ماء ثم قال ما شاء الله أن يقول ثم مسح صدر علي ووجهه ثم دعا فاطمة فقامت إليه فاطمة تعثر في مرطها من الحياء فنضح عليها من ذلك وقال لها ما شاء الله أن يقول ثم قال لها أما إني لم آلك أن أنكحتك أحب أهلي إلي ثم رأى سواداً من وراء الستر أو من وراء الباب فقال من هذا قالت أسماء قال أسماء بنت عميس قالت نعم يا رسول الله قال جئت كرامة لرسول الله (ص) قالت نعم إن الفتاة ليلة يبنى بها لابد لها من امرأة تكون قريباً منها أن عرضت لها حاجة أفضت ذلك إليها قالت فدعا لي بدعاء أنه لأوثق عملي عندي ثم قال لعلي دونك أهلك ثم خرج فولي فما زال يدعو لهما حتى توارى في حجره، وفي رواية عن أسماء بنت عميس أيضاً قالت كنت في زفاف فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله (ص) فلما أصبحت جاء النبي (ص) فضرب الباب فقامت إليه أم أيمن ففتحت له الباب فقال لها يا أم أيمن أدعي لي أخي فقالت أخوك هو وتنكحه ابنتك قال يا أم أيمن أدعي لي فسمع النساء صوت النبي (ص) فتحسن فجلس في ناحية ثم جاء علي رضي الله عنه فدعا له ثم نضح عليه من الماء ثم قال أدعو إلى فاطمة فجاءت وهي عرقة أو حزقة من الحياء فقال اسكتي فقد أنكحتك أحب أهلي إلى فذكر نحوه. رواه كله الطبراني ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح.

٢٢ - وعن عبد الله بن عمرو قال لما جهز رسول الله (ص) فاطمه إلى علي رضي الله عنهما بعث معها بخميل - قال عطاء ما الخميل قال قطيفة - ووسادة من أدم حشوها ليف وأذخر وقربة كانا يفترشان الخميل ويلتحفان بنصفه. رواه الطبراني وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

٢٣ - وعن أم أيمن أن النبي (ص) زوج ابنته علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأمره أن لا يدخل على أهله حتى يجيئه فجاء رسول الله (ص) قال فذكر الحديث - قلت روى هذا في ترجمة أم أيمن ولم يذكر قبله ولا بعده ما يناسبه والله أعلم - رواه الطبراني.

٢٤ - وعن أم سلمى قالت اشتكت فاطمة بنت رسول الله (ص) شكواها التي قبضت فيها فكنت أمرضها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيناها في شكواها تلك قالت وخرج علي

لبعض حاجته فقالت يا أمه اسكبي لي غسلاً فسكبت لها غسلاً فاغتسل كأحسن ما رأيتها تغتسل ثم قالت يا أمي أعطني ثيابي الجدد فأعطتها فلبستها ثم قالت يا أمه قدمي لي فراشي وسط البيت ففعلت واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها ثم قالت يا أمه إني مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها قالت فجاء علي فأخبرته. رواه أحمد وفيه من لم أعرفه.

٢٥ ـ وعن عبد الله بن محمد بن عقيل أن فاطمة رضي الله عنها لما حضرتها الوفاة أمرت علياً رضي الله عنه فوضع لها غسلاً فاغتسلت وتطهرت ودعت بثياب أكفانها فأُتيت بثياب غلاظ خشن ولبستها ومست من حنوط ثم أمرت علياً أن لا تكشف إذا قبضت وأن تدرج كما هي في ثيابها فقلت له هل علمت أحداً فعل ذلك قال نعم كثيرين العباس وكتب في أطراف أكفانه يشهد كثير بن العباس أن لا إله إلا الله. رواه الطبراني وعبد الله بن محمد لم يدرك القصة فالإسناد منقطع.

٢٦ ـ وعن محمد بن إسحاق قال توفيت فاطمة رضي الله عنها وهي بنت ثمان وعشرين وكان مولدها وقريش تبني الكعبة قبل مبعثه ثم هاجر فأقام عشراً ثم عاشت فاطمة بعده ستة أشهر وتوفيت سنة إحدى عشرة. رواه الطبراني ورجاله إلى ابن إسحاق ثقات.

٢٧ ـ وعن أبي بكر بن أبي شيبة قال توفيت فاطمة بنت رسول الله (ص) وهي بنت سبع وعشرين سنة. رواه الطبراني.

٢٨ ـ وعن ابن جريج قال قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر ولد رسول الله (ص) وأحبهن إليه وزعم الزبير بن بكار أن رقية أصغر من فاطمة. رواه الطبراني ورجاله إلى ابن جريج رجال الصحيح.

٢٩ ـ وعن محمد بن علي بن المديني فستقه[1] قال كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تكنى أم أبيها قال كانت أصغر ولد رسول الله (ص) من خديجة وقيل كانت يوم عبد الله لثن رسول الله (ص) في الطبراني منقطع الإسناد. وعن عائشة قالت توفيت فاطمة بعد وفاة[2] رسول الله (ص) بستة أشهر ودفنها علي بن أبي طالب ليلاً. رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح. وعن أبي جعفر يعني محمد بن علي قال مكثت فاطمة بعد النبي (ص) ثلاثة أشهر وما رؤيت ضاحكة بعد رسول الله (ص) إلاّ أنهم قد امتروا في طرف نابها. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

٣٠ ـ وعن علي يعني ابن أبي طالب، عن النبي (ص) قال: إذا كان يوم القيامة قيل يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد (ص) وعليها ريطتان خضراوان رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عبد الحميد بن بحر وهو ضعيف. ❖

---

(١) هو شيخ الطبراني. لا ولد علي بن المديني شيخ البخاري.

(٢) سقط من الأصل «بعد وفاة» أو ما بمعناها، والتصويب من شذرات الذهب.

السيدة فاطمة البتول (رض) والزهد في الدنيا

د. تكليف لطيف رزج الدليمي[*]

د. فاضل محمد كمبوع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (ص)

أما بعد:

فإن من إكرام الله تعالى لهذه الأمة أن جعل منها نبياً قد اصطفاه من بين سائر البشر ليكون للعالمين بشراً ونذيرا، وقد اختار معه من المؤمنين عندما قال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[١].

اختار من المؤمنين العترة الطاهرة عن الرجس عندما قال: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٢] الذين أوصى النبي(ص) بهم وحث على حبهم وتوعد بالنار من ينصب العداء لهم أو يبغضهم لما لهم من مزيد فضل وعظيم إكرام.

لذا اخترت السيدة فاطمة العابدة الزاهدة لأسلط الضوء على جانب الزهد عندها لان الحديث عن فضلها ومكانتها حديث يطول لأن الأفكار تتزاحم والعبارات لا تجد مكاناً لها لأنها تعجز عن إعطاء المكانة المناسبة، ولكن يكفي أن نقول بأنها (رض) من سلالة سيد ولد آدم سيدنا محمد(ص) لذا ركزت على جانب زهدها في الدنيا الذي لم يفارق حياتها لأنها تربت في بيت النبوة وكان لها الحظ الأكبر من نور النبوة فقد عاشت في ظل الوحي ثلاثاً وعشرين سنة، فضلاً عن بقية عمرها قبل البعثة، وهذه فترة ليست بالقصيرة لذلك أخذت من الدنيا قول الرسول(ص) (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابرُ سَبيلٍ)[٣] لعلها تحشر مع رسول الله (ص) القائل: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً وَتَوَفَّنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ)"[٤].

(*) جامعة الأنبار - الرمادي.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) صحيح البخاري، ٨٩/٨ برقم ٦٤١٦.

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤٦٦/٤، برقم ٧٩٩٢ "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

لذا جاء بحثنا الذي لم يف السيدة البتول (رض) جزءاً من حقها علينا، مقسماً على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما **المبحث الأول**: فقد تناولنا فيه إطلالة على حياتها العملية حيث جاء في ثلاثة مطالب:

أما **المطلب الأول**: فقد تناولناه من خلال ثلاث نوافذ، نافذة على اسمها، ونافذة على نسبها، وأخرى على ولادتها.

أما **المطلب الثاني**: فقد تناولنا فيه إطلالة على زواجها وأولادها. وذلك من خلال ثلاث نوافذ، نافذة على زواجها، ونافذة على مهرها، وأخرى على أولادها.

أما **المطلب الثالث**: فقد تناولنا فيه إطلالة على وفاتها. وذلك من خلال نافذتين: نافذة على وفاتها، وآخرى على حزن علي (ع) عليها.

أما **المبحث الثاني**: فقد تناولنا فيه إطلالة على فضلها وزهدها وقد جاء في مطلبين:

المطلب الأول: حيث تناولنا فيه إطلالة على فضلها ومكانتها وذلك من خلال نافذتين، نافذة على فضل أهل الكساء، وأخرى على فضلها (رض).

أما **المطلب الثاني**: فقد تحدثنا فيه عن زهدها في الدنيا والدروس والعبر المستفادة من حياتها، حيث جاء في عدة نوافذ، نافذة على زهدها، وصبرها، والعبر المستفادة من حياتها العملية.

ثم جاءت **الخاتمة** بأبرز النتائج التي توصلنا إليها والتي هي دروس في التربية والزهد للعابدين والعابدات من هذه الأمة.

اللهم ارزقنا نية خالصة تقبل بها عملنا، وحباً صادقاً للعترة الطاهرة يوصلنا إلى رضاك عنا، فما كان من صواب فبفضل الله علينا وما كان من خطاء فمن الشيطان وأنفسنا ونسألك من العلم ما نفع، وأن ترشدنا للصواب أينما وقع وللنور أينما سطع.

المبحث الأول: حياة الزهراء (رض) العملية

المطلب الأول: اسمها ونسبها ولادتها

هذه الإطلالة في ربوع سيرة السيدة فاطمة والتي سوف نسلط الضوء على ابرز ما هو موجود في حياتها وهذه الإطلالة سوف تكون من ثلاث نوافذ:

النافذة الأولى: اسمها

وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وقيل لها: الزهراء، وسميت البتول أيضاً لأنها منقطعة القرين، لب، وتكنى أم أبيها، وذكر عن ابن عباس أنها سميت فاطمة لأن الله تعالى فطم محبّيها عن النار[١]، وأخذت هذه التسمية من فطم ويفطم فطما أي فطمت عن المولود

---

(١) إمتاع الأسماع (٥/٣٥١).

الرضاع وبه سميت فاطمة[١] ولقد سميت فاطمة البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى[٢].

النافذة الثانية: نسبها

سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ فِي زَمَانِهَا البضعة النبوية والجهة المصطفوية أُمُّ أَبِيْهَا بِنْتُ سَيِّدِ الخَلْقِ رَسُوْلِ اللهِ (ص) أبي القَاسِمِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ القُرَشِيَّةُ الهَاشِمِيَّةُ وَأُمُّ الحَسَنَيْنِ[٣].

هِيَ فَاطِمَةُ الْكُبْرَى بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَأُمُّهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَى[٤] وفاطمة هِيَ أَصْغَرُ بَنَاتِهِ، وَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ[٥].

النافذة الثالثة: ولادتها

ولدت سنة [إحدى وأربعين من] مولد النبي (ص)، وقيل: ولدت وقريش تبني الكعبة ورسول الله (ص) ابن خمس وثلاثين، وقيل: ولدت قبل النبوة بخمس سنين، والأول أشبه بالصواب[٦].

المطلب الثاني: زواجها وأولادها

النافذة الأولى: زواجها

لقد تزوجت السيدة فاطمة من الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ (ص) إِلَيَّ: «أَنْ لا يُحِبَّنِي إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلا يُبْغِضَنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ»[٧] وهذه قطرة من بحر الفضل والمكانة لهذا الإمام الكبير (ع) حيث جاء إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله ذكرت فاطمة بنت رسول الله (ص) فقال مرحباً وأهلاً. فخرج علي بن أبي طالب إلى رهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا ما وراءك قال ما ادري غير انه قال لي مرحباً وأهلاً قالوا يكفيك من رسول الله (ص) أحداهما أعطاك الأهل والمرحب[٨] وقال (ص) يا فاطمة إني زوجتك سيداً في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لقد أنكحتك

---

(١) المخصص ٥٢/١.

(٢) النهاية في غريب ٣٢٦/١.

(٣) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٤١٥/٣).

(٤) الذرية الطاهرة ٢٤/١.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٩٦٥/٩).

(٦) الاصابة ٢٦٣/٨، سير أعلام النبلاء ط الحديث (٤١٥/٣) صفة الصفوة ٣٠٨/١

(٧) أخرجه مسلم، باب حب الأنصار وعلي، ٨٦/١ برقم ٧٨.

(٨) حياة الصحابة ٤٨٢/٣.

أكثرهم علما وأفضلهم حلماً وأولهم إسلاما[١] لقد تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ منَ الْهِجْرَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ[٢]، وقيل غير ذلك[٣]، وفي (الطبقات) أن عمرها، يوم بنى بها عليّ بنت ثمان عشرة سنة[٤].

النافذة الثانية: مهرها ومتاعها

وقيل: أصدقها عليّ درعا من حديد وجرد برد - والجرد: الثوب الخلق - وقيل: تزوجها على إهاب شاة وسحق خبزه، وكان علي رضي الله عنه يقول: ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحية منه، وتعجن فاطمة على ناحية، وإني لقد تزوجت فاطمة بنت رسول الله (ص) [وما لي فراش] غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار وما لي خادم غيرها[٥]. وجهّزها رسول الله (ص) بخميل وقربة ووسادة من أدم محشوة بإذخر.

النافذة الثالثة: أولادها

لقد أكرمها الله بأولاد من علي بن أبي طالب (ع) وهم الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وزاد ابن إسحاق في أولاد فاطمة من علي محسناً قال ومات صغيراً، أما زينب فتزوجها عبد الله بن جعفر وماتت عنده وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب[٦].

ولقد وقفت عندهما لأن المبعوث رحمة للعالمين قد أولى لهما الأهمية وأوصى بحبها وحذر من بغضها حيث قال عن الحسن اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه، وكان يأخذ الحسن والحسين ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأنه كان يوماً على المنبر فجاءا وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل وقطع حديثه ورفعهما بين يديه.

أما الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي(ص) وشبيهه سماه النبي (ص) الحسن[٧] وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة وهو خامس أهل الكساء ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة[٨].

وأما الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي (ص) وشبيهه. وخامس أهل الكساء. لما ولد في شعبان ٤هـ أذن النبي(ص) في إذنه[٩].

---

(١) أسد الغابة ٢١٦/٧ تاريخ بغداد ٢١٠/٥.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٩٦٥/٩).

(٣) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٤١٥/٣) صفة الصفوة ٣٠٨/١ إمتاع الأسماع (٣٥١/٥).

(٤) طبقات ابن سعد ١٨/٨.

(٥) إمتاع الأسماع (٣٥٢/٥).

(٦) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٤٢١/٣) وينظر أسد الغابة ٦٩/٥، وينظر صفوة الصفوة ٣٠٨/١.

(٧) صحيح ابن حبان ٤١٠/١٥.

(٨) أسد الغابة ٣١/٢.

(٩) أسد الغابة ٢٤/٢.

المطلب الثالث: وفاتها

النافذة الأولى: وفاتها

تُوُفِّيَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ (ص) لِثَلاثٍ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً أو نَحْوَهَا. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهَا، أنها تُوُفِّيَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ (ص) بِثَلاثَةِ أَشْهُرٍ، ومنهم من قال أَنَّهَا تُوُفِّيَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ (ص) بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، ومنهم مَن قال أنها تُوُفِّيَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ[1] واصح ما قيل في ذلك من قال أنها توفت بعد رسول الله (ص) بستة أشهر[2] وَغَسَّلَهَا عَلِيٌّ وَصلَّى عليْهَا وَدُفِنَتْ لَيْلاً[3]، ونزل في قبرها علي والعباس، والفضل بن العباس[4].

النافذة الثانية: حزن علي رضي الله عنه من وفاتها

لما ماتت فاطمة بنت رسول الله(ص) دخل علي بن أبي طالب (رض) الدار فأنشأ يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل

ثم دخل المقابر فقال:

السلام عليكم يا أهل القبور أموالكم قسمت، ودوركم سكنت وأزواجكم نكحت، فهذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم، فهتف هاتف وعليكم السلام، ما أكلنا ربحنا، وما قدمنا وجدنا، وما خلفنا خسرنا[5].

المبحث الثاني: فضلها وزهدها

المطلب الأول: فضلها

النافذة الأولى: فضل أهل الكساء

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. لِيُذْهِبَ عنْكُمُ الرِّجْسَ أَيْ يُزِيلُ عَنْكُمُ الذُّنُوبَ وَيُطَهِّرَكُمْ أَيْ يُلْبِسَكُمْ خِلَعَ الْكَرَامَةِ[6].

فضل ومكانة أهل الكساء عامة ومكانة وحب النبي(ص) لابنته خاصة فهي سيدة نساء هذه الامة او سيدة نساء المؤمنين[7].

عن أم سلمة أن النبي (ص) جلل على الحسن وفاطمة وعلي كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا[8] وَصَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) جَلَّلَ فَاطِمَةَ

---

(١) المستدرك للحاكم - دار المعرفة (١٦٢/٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٩٦٥/٩).
(٢) أسد الغابة ط الفكر (٢٢٥/٦) حياة الصحابة ٤٨١/٢.
(٣) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٤٢٢/٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٩٦٥/٩).
(٤) أسد الغابة ط الفكر (٢٢٥/٦) حياة الصحابة ٤٨١/٢، وينظر الثقات للعجلي ٤٥٨/٢.
(٥) تفسير الثعلبي ٢٥٩/١.
(٦) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٦٨/٢٥) تفسير القرطبي (١٨٣/١٤).
(٧) صحيح البخاري، باب من ناجى بين يدي الناس، ٦٤/٨ برقم ٦٢٨٥.
(٨) سنن الترمذي ٦٩٩/٥.

وَزَوْجِهَا وَابْنَيْهِمَا بِكِسَاءٍ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أهل بَيْتِي اللَّهُمَّ فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُم تَطْهِيراً"، ولقد حذر النار من بغض أهل بيته (ص) حيث رَوَى الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «لاَ يُبْغِضُنَا أهل البَيْتِ أحد إلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»[١] ثم قد أوصى الناس بأهل بيته قائلاً: «وأهل بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أهل بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أهل بَيْتِي»[٢].

وهنا درس للأولاد في دعوتهم لحب آبائهم واحترامهم ودعوة للأمهات لتربية أبناءهم على حب النبي(ص) وحب أهل بيته الأطهار:

يا آل بيت رسول الله حبكم	**فرض من الله في القرآن انزله**
بكفيكم من عظيم المجد أنكم	**من لم يصل عليكم لا صلاة له**

النافذة الثانية: فضل فاطمة (رض)

هنا نبين مكانة وفضل السيدة البتول (رض) عند أبيها رسول الله (ص) وذلك عندما أراد علي (رض) أن يخطب بنت أبي جهل فَقَامَ النَّبيُّ (ص)، إنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ مُضْغَةٌ مِنِّي، وإنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتِنُوهَا، وَإِنَّهَا، وَاللَّهِ لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَداً» أَنَّهُ خَافَ الْفِتْنَةَ عَلَيْهَا[٣] إِنَّمَا خص فَاطِمَة ابْنَته رَضِي اللَّه عَنْهَا، لأَنَّهَا أعز أَهله عِنْده[٤] ومن عظيم حب النبي (ص) لها أنها كانت إذا دخلت على النبي (ص) قام لها فقبلها وأجلسها في مجلسه وكان (ص) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[٥].

ولقد أسرها بأمر لم تبح به إلا بعد وفاته (ص) حيث أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَلَمَّا رَآهَا قَالَ: «مَرْحَباً بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً[٦] وعندما سئل عن أحب أهله إليه، أجاب بالقول: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ[٧].

المطلب الثاني: زهدها

النافذة الأولى: بيت الزاهدة

إن في بيت الزاهدة البتول (ع) العبرة والعظة تأخذ منه العابدات والأمهات، لتكون لهن قدوة في عدم الغرور بملذات الدنيا الزائلة، فهي (ع) كانت في بيت خير الرجال ولم يكن المتاع المنزلي آنذاك فاخراً وإنما جاءت الروايات عن أسماء بنت عميس (رض) تقول: لما أهديت

---

(١) صحيح ابن حبان ٤٣٥/١٥.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٩٦٦/٩) رواه مسلم باب من فضائل علي، ١٨٧٣/٤ برقم ٢٤٠٨.
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٩٦٦/٩).
(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٧٧/٢٣) وينظر فتح الباري لابن حجر (٩٥/١٢).
(٥) سنن الترمذي ٧٠٠/٥ أسد الغابة ٢١٦/٧ وينظر حياة الصحابة ٢٨٠/٣.
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٩٦٤/٩).
(٧) أسد الغابة ٢١٦/٧ وينظر حياة الصحابة ٢٨٠/٣.

فاطمة إلى علي بن أبي طالب (عليهما السلام) لم نجد في بيته إلا رملاً مبسوطاً ووسادة حشوها ليف جرة وكوزاً، ولكن هذه البساطة في العيش ورثت نعيماً وسعادة لان السعادة إنما هي سعادة الإيمان وانشراح الصدر وراحة البال، لأنهما عليهما السلام قد ظفرا بدعاء خير البرية (عليه الصلاة والسلام)، حيث دعا بإناء فيه ماء ثم قال ما شاء الله أن يقول ثم مسح صدر علي ووجهه ثم قال اللهم بارك فيهما أو بارك لهما في بنائهما[١]. لقد كانا يفترشان الخميل ويلتحفان بنصفه والخميل هو القطيفة ووسادة من ادم حشوها الليف قد جهزها لهما رسول الله (ص) ليلة عرسهما[٢].

لقد تربت في بيت النبوة وتعلمت من معلم البشرية (ص) حياة الزهد والترفع عن حياة الترف وعن الركون إلى زخارف الدنيا حيث أتى النبي (ص) فاطمة فوجد على بابها ستراً مُوشىً فقال ما أنا والدنيا والرقم يريد النقش والوشي الأصل فيه الكتابة[٣].

النافذة الثانية: بيت الصابرة

إنه الزهد عن متاع الدنيا والذي مزج بالتحمل والصبر على متاعب العمل في المنزل فضربت بذلك مثلاً للصابرات العاملات في بيوت أزواجهن، لقد كانت بنت رسول الله (ص) ومن آحب آهله إليه وقد جرَت بالرحى حتى أثر في يدها واستقت بالقربة حتى آثرت في نحرها وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها فآتى النبي(ص)[٤] خدم واتت أباها تسأله خادماً، فقال لها أدي فريضة ربك واعملي عمل اهلك وإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثاً وثلاثين وأحمدي ثلاثاً وثلاثين وكبري آربعاً وثلاثين فهي خير لك من خادم قالت رضيت عن الله وعن رسوله[٥].

وفي هذا درس وعبرة للنساء لأن لا يكلفن أزواجهن بما لا يطيقون وأن يكتفين بالميسور من المسكن والملبس والمطعم والمشرب وأن يحتسبن الأجر والثواب عند الله تعالى وأن يؤدين دورهن في الدعوة إلى الله تعالى وأن يتحملن من أجل ذلك كما تحملت الزهراء من حدمة زوجها تعباً شديداً والخدمة مع هذا موافقة للفطرة وهي السعادة الحقيقية التي تبحث عنها العوائل اليوم ولتكن السيدة فاطمة مفتاحاً لباب السعادة وخير قدوة لنا[٦].

لقد أعطاها رسول الله (ص) درساً في العبادة والصبر فقد أعطاها ما فيه خير وفيه ثواب يوصلها إلى الجنة خير من خادم زائل بزوال الدنيا وأبدلها بتسبيح الخالق وحمده وتكبيره

---

(١) ينظر حياة الصحابة ٤٨٢/٣.

(٢) المصدر السابق ٤٨٥/٣.

(٣) ينظر النهاية في غريب الحديث الأثر ٢٥٢/٢.

(٤) النهاية ١١٠/٤ – ٧٩/٤.

(٥) معالم السنن ٢٧/٣/صفوة ٣١٠/١.

(٦) الزواج في ظل الإسلام ص ١٠٧.

مع أن القطيفة التي أهداها لهما رسول الله لا تغطي جميع جسدهما الشريفين إذا غطيا رؤوسهما تكشف أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشف رؤوسهما[١] فهي (رضي الله عنها) تعلم أثر الترف والنعيم على الإنسان فقد يكونا سبباً لابتعاد الإنسان عن ربه لأنها قد روت عن رسول الله (ص) قوله شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام[٢] إن من صفات الداعية الصبر على الابتلاء ولذا صبرت السيدة فاطمة على التعب ومشقة الرحى والطحن وهي سيدة النساء وبنت سيد الخلق وولداها سيدا شباب أهل الجنة وزوجها من أفضل وخير الرجال كانوا في شظف العيش وشدة الحال.

لقد اختار النبي (ص) لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزاً عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت غنائمها، وعم فيؤها، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد! ومع هذا فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نار. مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا. ولكن ذلك كان اختياراً للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله[٣].

ويختار.. ولم يكن رسول الله (ص) مكلفاً من عقيدته ولا من شريعته أن يعيش مثل هذه المعيشة التي أخذ بها نفسه وأهل بيته، فلم تكن الطيبات محرمة في عقيدته وشريعته ولم يحرمها على نفسه حين كانت تقدم إليه عفواً بلا تكلف، وتحصل بين يديه مصادفة واتفاقاً، لا جرياً وراءها ولا تشهياً لها، ولا انغماساً فيها ولا انشغالاً بها.. ولم يكلف أمته كذلك أن تعيش عيشته التي اختارها لنفسه، إلا أن يختارها من يريد، استعلاء على اللذائذ والمتاع، وانطلاقاً من ثقلتها إلى حيث الحرية التامة من رغبات النفس وميولها[٤].

إن العناء بالبيت والاهتمام بأمور المنزل لم يمنعها من أداء التزامات أخرى مثل زيارتها لقبر حمزة بن عبد المطلب كل جمعه[٥] وتعزيتها لجاراتها[٦] ولم يمنعها أيضاً من أداء واجباتها في تحمل أعباء الدعوة مع حامل الدعوة والرسالة رسول الله (ص) فعندما جرح وجه رسول الله (ص) وكسرت رباعيته كانت فاطمة تغسل الدم وكان علي يسكب عليها الماء فلما رأت آن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى إذا صار رماداً ألصقته بالجرح فأمسك الدم[٧].

---

(١) صفة الصفوة ٣٠٩/١.

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ٨٣/٣ وينظر فقه الدعوة في صحيح البخاري ٨٧٩/١.

(٣) في ظلال القرآن (٢٨٥٣/٥).

(٤) في ظلال القرآن (٢٨٥٤/٥).

(٥) تفسير القرطبي ٢٨١/١٠.

(٦) النهاية في غريب الأثر ١٥٦/٤.

(٧) ابن كثير ١٤٣/٢.

النافذة الثالثة: الحياء

إن الحياء خلق من خلق الإسلام ومبدأ من مبادئه ولقد ضربت لنا السيدة الزهراء أروع صور الحياء حتى أن الحياء يمشي معها على استحياء حتى بعد موتها حيث دعاها رسول الله (ص) فقامت تعثر في مرطها من الحياء ومال لها وقد زوجتك سيداً في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين[١].

ولقد بل بلغ من حيائها أنها قالت يا أسماء أذا أنا مت فاغسليني أنت وعلى وآن لا تدخلي علي أحداً وهي أول من غطي نعشها في الإسلام وأوصت أن تدفن ليلاً وان تدرج في ثيابها[٢] فإذا كان حال الحياء عندها بعد موتها فما بالك في حياتها[٣] فانظر إلى فاطمة وهي تقول لأسماء بنت عميس: يا أسماء، إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، يطرح على المرأة الثوب فيصفها. قالت أسماء يا ابنة رسول الله (ص)، ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوبا. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي، ولا تدخلي علي أحداً، وهي أول من غطي نعشها في الإسلام[٤] وهذا الكلام مع من مات من النساء فبلا شك وصف الثوب للمرأة وهي حية أقبح، فالتأمل في نساء العصر اللواتي يلبسن الثياب الضيقة[٥].

النافذة الرابعة: الإنفاق مع ضيق العيش

إن قلة الشيء وشدة الحال وشظف العيش لم تكن حائلاً بين السيدة فاطمة وبين العمل من أجل مرضاة الله تعالى والإنفاق في سبيل الله فالإنفاق مع قلة الشيء أعظم أجراً وأشد على صاحبه من الإنفاق وهو موسر صاحب مال، لقد انزل الله قرآنا لأجل عمل قام به علي والسيدة فاطمة (عليهما السلام) عندما انفقا وهما بأمس الحاجة للطعام، انفقا على المسكين ثم اليتيم ثم الأسير وانزل الله قوله ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٦] هذه الآية قد نزلت بحقها وهما من أكثر الناس حاجة للطعام[٧] وإنما الذي دفعهما هو الإيمان والاعتقاد واليقين بما عند الله من الأجر والثواب، وفي موضع آخر دَخَلَ رَسُولُ اللهِ(ص) عَلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَنَا مَعَهُ، وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ عُنُقِهَا سِلْسِلَةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَتْ: هَذِهِ أَهْدَاهَا إِلَيَّ أبو حَسَنٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ص): يَا فَاطِمَةُ أَيَسُرُّكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَفِي يَدِكِ سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ فَعَمَدَتْ فَاطِمَةُ إلى

---

(١) حياة الصحابة ٣/٤٨٣.

(٢) حياة الصحابة ٣/٤٨١.

(٣) عودة الحجاب ٣/١٠٩.

(٤) أسد الغابة ط الفكر (٦/٢٢٦) المستدرك للحاكم - دار المعرفة (٣/١٦٢).

(٥) عودة الحجاب ٣/١٠٩.

(٦) سورة الإنسان الآية ٨.

(٧) تفسير القرطبي، ١٩/١٢٠.

السَلْسلَةِ، فَاشْتَرَتْ غُلَاماً فَأَعْتَقَتْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ (ص)، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّى فَاطِمَةَ مِنَ النَّارِ[١].

النافذة الخامسة: الحفاظ على الأسرار

تعد المحافظة على الأسرار خاصية إنسانية في العلاقات الاجتماعية: من حيث تعامل الفرد مع الآخرين، ومع المجتمع الذي يعيش فيه، والأسرار لها أهمية كبيرة في الأمم، فهي من أعظم أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح. ومن هنا فرعاية الإسلام للمحافظة على الأسرار يستهدف من ورائها تكوين المجتمع الإسلامي، ووضع التشريعات الضابطة لحماية العلاقات وتنميتها أمر لازم لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحية المعنوية. ولو أُهملت المبادئ الأخلاقية والاجتماعية، وسُمح للخيانة وفشوا الأسرار بالانتشار: لزالت المعاني الإنسانية، كالأمانة وكتمان الأسرار، من حياة الناس، إن حفظ الأسرار وكتمانها من الأخلاق العظيمة التي تُعْلِي من شيم أصحابها وشمائل صفاتهم، فقد كان الصحابة والصحابيات ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ واصبري، فإني نعمَ السلفُ أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذيَ رأيت، فلما رأى جزعي سارني بالثانية، قال: يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين[٢].

الخاتمة والنتائج:

لقد أكرمنا الله بنعمة الكتابة عن أهل بيت النبي (ص) وخاصته من عترته الطاهرة لنقول:

= إنما ذكرناه من سيرتها وزهدها وصبرها ما هو إلا قطرات من بحر محاسنها، وشذرات من حلل مناقبها، أهديها إلى كل امرأة تريد القدوة الصالحة، والأسوة الناصحة، والمُثُل الناصعة..

= إن من أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل بيت رسول الله (ص) وتوليهم: عملا بوصية رسول الله (ص) فيهم، بقوله: "أذكركم الله في أهل بيتي".

= لقد توعد النبي (ص) من يبغض أهل بيته بالنار يوم القيامة.

- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]، والأصل في أهل البيت قرابة النبي (ص)، والمراد بهم هنا الصالحون منهم خاصة، أما قرابته غير الصالحين ـ فليس لهم حق: كعمه أبي لهب.

= لقد كان لزهد فاطمة البتول (رضي الله عنها) عبرة وعظة للسائرين في طريق الوصول لمرضاة الله تعالى.

---

(١) المستدرك للحاكم ـ دار المعرفة (١٥٢/٣) صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ٧٩٦٢ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٣١٨/٢)

(٢) مجلة البيان (٢٨/١٩٧) دراسات تربوية المحافظة على الأسرار د. عبد اللطيف بن ابراهيم الحسين.
trastaaa@hotmail. com

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

= إن الإنفاق في سبيل الله والتصدق على المحتاجين والذي تمثل في علي وفاطمة (رضي الله عنهما) لهو طريق للكرماء لان يسيروا على منهجهم في الكرم مع حاجتهم لذا مدحهم الله بالقول ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان/٨).

= لقد ضربت السيد البتول (رضي الله عنها) مثلاً للطاهرات العفيفات في حيائها مشية وكلاماً وسلوكاً في حياتها وبعد موتها حين أوصت بوضع قطعة قماش على نعشها لكي لا يصف الكفن جسدها وأصت بفنها ليلاً للغرض نفسه وفي ذلك عبرة للمعتبرين

المصادر والمراجع

- المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق خليل إبراهم جفال دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م حقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
- صفة الصفوة جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق أحمد بن علي دار الحديث، القاهرة، الطبعة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ص) وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي مكتبة الدار - المدينة المنورة - الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- الذرية الطاهرة النبوية أبو بشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق سعد المبارك الحسن الدار السلفية – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.
- تاريخ بغداد أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق الدكتور بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
- أسد الغابة أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) دار الفكر – بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) دار الحديث - القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) تحقيق محمد عبد الحميد النميسي دار الكتب العلمية – بيروت لطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧.
- الجامع الكبير - سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت. الطبعة الثانية.
- المستدرك على الصحيحين الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ) دار المعرفة – بيروت تحقيق د. يوسف المرعشلي.
- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) دار الفكر، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) المكتب الإسلامي.
- عودة الحجاب: الجزء الأول: تاريخ معركة الحجاب. محمد إسماعيل المقدم. صدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث.
- الزواج في ظل الإسلام عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف الدار السلفية، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ م.
- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع لطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م.
- في ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) دار الشروق – بيروت ـ القاهرة، الطبعة السابعة عشر ـ ١٤١٢ هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الامام أبي محمد بن عاشور دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٢، هـ ـ ٢٠٠٢ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢) تحقيق: مركز هجر للبحوث دار هجر.
- حياة الصحابة محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) حققه، وضبط نصه، وعلق عليه: الدكتور بشار عوّاد معروف مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م.
- الطبقات الكبرى أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.
- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري سعيد بن علي بن وهب القحطاني الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. ❖

المرأة المسلمة بين الانقياد والتحرّر في ضوء المثول لسيرة السيدة البتول (ع)

د. زينب السلطاني
د. بان الراوي(*)

مدخل

اتسم النظام الإسلامي بأنه نظام عقائد وأخلاق ورسالة عملية تطبيقية، إذ وضع للعباد قوانين تامة شاملة لجميع الأنشطة الحياتية ولاسيما النشاط الاجتماعي والأسري والاقتصادي والعقلي وما إلى ذلك من القوانين التي لا وجود لها في عصر الحداثة؛ وكل ذلك لغرض تنظيمها والارتقاء بالإنسان عن مستوى الحيوانية الناطقة إلى حيث السموّ الروحيّ والخلود الأبديّ. فقد رفع الإسلام الظلم عن المرأة المسلمة بكل ألوانه فأصبحت هي الأساس في المجتمع الإسلامي فهي الأم والزوجة والأخت والابنة، فضلاً عن أنها تعد الأساس في بناء الأسرة المسلمة. فاحتفظ الإسلام بإنسانيتها كاملة مع الرجل سواء بسواء ليقضي على كل النظريات الخاطئة التي كانت تزعم أن المرأة جنس منحط بذاته، كما سوى بينهما في الجزاء[1].

وقد عُنِي البحث بالوقوف على واقع المرأة المسلمة والنظرة القرآنية لها في ضوء المنهج السلوكي القويم للسيدة الزهراء (ع)، والعمل على إجراء الموازنة مع واقع المرأة المعاصرة في ظل العولمة والدعوات التحررية الوهمية، وذلك من خلال أربعة محاور هي:

١ - **المحور العقائدي والفكري.**

٢ - **الجهادي (السياسي).**

٣ - **الأسري والاجتماعي.**

٤ - **الأخلاقي.**

وقبل البدء في الكلام عن المرأة المسلمة قديماً وحديثاً على وفق المحاور أعلاه لابد من أن نشير إلى معنى الانقياد والتحرّر في اللغة والاصطلاح.

(*) جامعة بغداد، كلية التربية للبنات.

(١) المرأة في ظل الإسلام: بدر عبد الحميد هميسة ٢٣.

الانقياد والتحرّر في اللغة والاصطلاح

أولاً ـ الانقياد في اللغة: هو من أصل (قود) ويدلّ على الامتداد في الشيء، ويقال: قُدْتُ الفرس قوداً، وفرس قؤود: أي سلس منقاد[1].

أما معناه في الاصطلاح فهو الاتباع، يقال: انقادت إليه الموارد أي: تتابعت إليه الطرق. و" الأقود من الناس الذي إذا أقبل على الشيء بوجهه لم يكد يصرف وجهه عنه"[2]. فهو معنى من معاني الإسلام، وهو الخضوع والطاعة.

ثانياً ـ التحرّر في اللغة: يعني الانعتاق، يقال: حرّر رقبته أي أعتقه[3]. قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ (النساء/٩٢) أي: عتق الرقبة من العبودية.

ويراد به في الاصطلاح تملّك الإنسان إرادته بنفسه وتمكّنه من استخدامها في تحقيق أهدافه.[4]

المحور الأول ـ العقائدي والفكري:

إنّ الدين الإسلامي دين الانعتاق والتحرّر بمفهومه الإيجابي السليم لا بالمعنى السلبي السقيم. فالتحرر في المنظور الإسلامي ـ من حيث الجانب العقدي الفكري ـ هو تحرير العبد من عبادة ذاته إلى عبادة خالقه عز وجلّ. يقول السيد الشهيد الأول محمد باقر الصدر (قدس سره): إنّ "القاعدة الأساسية للحرية في الإسلام هي: التوحيد والإيمان بالعبودية المخلصة لله، الذي تتحطم بين يديه كل القوى الوثنية التي هدرت كرامة الإنسان على مر التاريخ... وهكذا يقيم الإسلام التحرر من كل العبوديات على أساس الإقرار بالعبودية المخلصة لله تعالى، ويجعل من علاقة الإنسان بربه الأساس المتين الثابت لتحرّره في علاقاته مع سائر الناس ومع كل أشياء الكون الطبيعية. فالإسلام والحضارة الغربية، وإن مارسا معاً عملية تحرير الإنسان، ولكنهما يختلفان في القاعدة الفكرية التي يقوم عليها هذا التحرير. فالإسلام يقيمها على أساس العبودية لله والإيمان به والحضارة الغربية تقيمها على أساس الإيمان بالإنسان وحده وسيطرته على نفسه "[5]. إذن إنّ التحرر من العبودية لغير الله عزّ وجل.. له أعظم الأثر في تحصين المجتمع المسلم، وكي يتحرّر الإنسان من تلك القيود الذاتية الشيطانية فقد وهبه الخالق العقل ـ ولم يتركه سدى ـ الذي بإمكانه استثماره في كل ما يوصله إلى

---

(١) المقاييس في اللغة: أحمد بن فارس ٨٦٧ (قود).

(٢) لسان العرب: ابن منظور ٢١٥/١٢ (قود).

(٣) ينظر: لسان العرب ٨٢٩/١٠ (حرر)، والمعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون ١٦٥/١.

(٤) ينظر: المدرسة الإسلامية: السيد محمد باقر الصدر ٧٥، وفلسفة الديمقراطية والياتها في فكر الإمام محمد باقر الصدر: عبير سهام مهدي ٢ ـ ٣، والحرية رؤية فلسفية: محمد محسن العيد ٢.

(٥) المدرسة الإسلامية ١٠٩ ـ ١١٠.

السعادتين الدنيوية والأخروية وذلك بالسير على وفق المنهج الذي رسمه سبحانه لعباده ورضيه لهم. وهذا العقل مُنح للرجل والمرأة على حدّ سواء.

ولو عدنا إلى السيدة الزهراء (ع) واطلعنا على الجانب الفكري والعقائدي لديها لوجدنا أنّ السيدة كانت امرأة ليست عادية بل هي استثنائية في جوهر تكوينها وعبادتها لله عز وجل وإيمانها وطاعتها له وجهادها، ودليل استثنائيتها ما روي في الحديث الشريف أنّ الله سبحانه وتعالى (جعل رضاه لرضا فاطمة وغضبه لغضبها)[1]. فقد بلغت الزهراء القمة في إبراز شخصية المرأة الإسلامية سليمة الفكر والعقيدة المتحررة لا المستعبدة. فقد حررت الزهراء عقيدتها من درنات الشرك والضلالة والشبهات الفكرية المنحرفة، وكانت عبادتها سلام الله عليها لخالقها يقينية تسليمية خالصة لا تشوبها نوازع نفسية أو أهواء ذاتية. كيف لا وقد تشرّبت المفاهيم الإيمانية العقدية السليمة في البيت المحمّديّ الذي تربّت فيه ثم امتداده في البيت العلويّ المطهّر. فيمكن القول إنّ هذا التحرر الفكري الكامل الذي جسدته الزهراء لهو الأساس المتين لبناء بقية الأوجه التحررية للمرأة المسلمة.

وبما تمتلكه السيدة من سبل الهداية في القيم السماوية الثابتة والتعاليم الإيمانية الراسخة انطلقت سلام الله عليها من مسؤوليتها الشرعية لتأدية دورها الذي وكله الخالق العظيم لها في تعليم النساء آنذاك وإعطائهن دروساً في المنهج العقائدي السليم والأحكام الدينية والشرعية، والحثّ على ترجمتها بالسلوك القويم وترسيخها للسعي إلى ما يرضي الخالق سبحانه ويُجنِّب معصيته.

ولمعرفة السيدة فاطمة (ع) المتفرّدة بالخالق دور كبير في عقيدة الفرد المؤمن ولاسيما المرأة المؤمنة: وذلك لعلاقتها (ع) وارتباطها الوثيق بصميم التوحيد لله سبحانه وتعالى ذلك التوحيد الذي تؤكده الأدلة والشواهد الواردة في زيارة الأئمة من أهل البيت أو من خلال فقرة معينة من الأحاديث المروية في أدعيتهم (ع)[2].

ومعرفة الله تعالى حقّ المعرفة تكون مشروطة بمعرفة أهل البيت (ع) والتصديق بكل ما يقولونه من المعارف الربانية الحقّة وما يقولونه من الحقّ. فهم حجج الله على خلقه، وهذا مرتبط بأن معرفة مراتب التوحيد متوقفة على المعارف القرآنية التي جاء بها رسول الله (ص) وأهل بيته في بيان معنى التوحيد. فمن عرفهم فقد عرف الله تعالى: لأنهم هم الأدلاء عليه وعلى مرضاته. وكل ما ثبت للأئمة (ع) فهو ثابت للزهراء(ع) فهي مشتركة معهم في كونها نورانية وكونها الصراط المستقيم فضلاً عن كونها الكلمات التي تلقاها آدم (ع) لتوبته،

---

(١) فاطمة الزهراء (ع) من قبل الميلاد إلى بعد الاستشهاد: عبد الله عبد العزيز الهاشمي ٥.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله الاصفهاني ٢/ ٤٠.

واشتراكها في المباهلة معهم، وفي كونهم الشجرة الطيبة ونزول الملائكة عليهم في ليلة القدر وغير ذلك كثير[١]. والآيات الواردة في الذكر الحكيم تؤكد ذلك منها قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ (الشورى: ٢٣). فضلاً عن الأحاديث كثيرة المروية بحقها: منها أنه (ص) قال: إن فاطمة بضعة مني. فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله. وغير ذلك من الأحاديث التي تبين مكانه الزهراء عند أبيها (ص)[٢].

وعلى ذلك أنه لا بد من الإيمان بها (ع) والتصديق بكل ما صدر منها: كونه الحقّ وأنّ توحيد أي مسلم أو مؤمن لا يكتمل حتى يقر بفضلها ومحبتها وولايتها، وإلا الرادّ عليها كالرادّ على الله ورسوله (ص). وفي هذا دلالة على أنّ كل من ردّها ولم يقبل منها الحقّ فهو منافق: لأنّ ما تأتي به متعلقٌ بتوحيد الله سبحانه وتعالى، الذي يعدّ الأصل الأول من أصول الدين وهذا ثابت لها وللأئمة من ولدها (ع)[٣].

المحور الثاني ـ الجهادي (السياسي):

لعقيدة التوحيد والإيمان بالله عظيم الأثر في تكوين الشخصية الجهادية للفرد المسلم عموماً وللمرأة المسلمة على وجه الخصوص. فحقيقة الإيمان تعني العبودية الكاملة لله عز وجل والتحرر من كل عبودية لسواه سبحانه، وأنّ جوهر العبودية لله عزّ وجلّ حبّه وحبّ رسوله (ص) وحُبّ ما يحبّانه وبُغض ما يبغضانه، وذلك بالطاعة التامة للخالق وبالاتباع لرسوله (ص) وآل بيته، إذ إنّ أساس المحبة موالاة المحبوب والبراءة من أعدائه[٤]. فإن جهاد المنكر والباطل ومحاربة أعداء الله وإبطال أساليبهم في الصد عن سبيل الله هو ثمرات مؤكدة للمصداقية في العبودية للخالق جل وعلا[٥].

ومما يتصل بالعقائد الدور الجهادي للسيدة الزهراء (ع) الذي أدّته من خلال حملها المسؤوليات التي ألقيت على عاتقها والتضحية والجهاد في سبيل الله تعالى وفي البذل والعطاء إلى حد الاستشهاد في سبيله، إذ عملت مجاهدة على نصرة أمير المؤمنين علي (ع)، والدفاع عن الحقّ لتنهض بأفضل ما يمكن أن يؤديه الإنسان، في ظرف حساس لا يمكن

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤٠/٢.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٨٢/٦، ٢٩٣/٢، وينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني ١٠٩.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢٦/١.

(٤) العبودية: ابن تيمية ٥١، وينظر: أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة: د. محمد نعيم ٨ ـ ٩.

(٥) العبودية ٢٠.

لغير الزهراء (ع) أن يقوم به. فقد قدمت الزهراء الدرس الأكبر في التعامل مع الواقع الذي أحاط بالأمة بعد وفاة الرسول (ص) وكانت صاحبة الموقف الذي امتد عبر الزمن وبقي حياً إلى وقتنا الحاضر. فكان هناك طريقان في مسيرتها الجهادية:

أحدهما – الإجهار بالحقّ واستنكار الباطل.

ويتضح ذلك في مسألة الخلافة التي عدّتها مسألةً للأمة وللرسالة. وتنطلق في ذلك من شعورها بمسؤوليتها في حماية الأمة، وحماية الرسالة. ولذا واجهت الموقف بتحدٍ، من خلال خطاباتها واحتجاجاتها بكل الوسائل لإثبات حقّ الإمام أمير المؤمنين(ع)، ولم تقف موقفاً سلبياً حيادياً. فضلاً عن مواجهتها المسؤولين عن هذا الموضوع، إذ طافت على المهاجرين والأنصار؛ لتذكّرهم ثم جمعت نساءهم في بيتها، وتحدثت إليهن حديثاً قاسياً عن أزواجهن، وموقفهم السلبي تجاه قضيتهم[1].

والآخر – الثبات في الموقف.

اتسمت مواقف السيدة بالثبات والصبر في الشدائد، فلم يشغلها مرضها وحزنها على رسول الله (ص) بعد وفاته عن الوقوف مع الحق لتدافع عنه بكل ما آتاها الله من قوة وصلابة، حتى أنّها واصلت الاحتجاج إلى ما بعد وفاتها عندما أوصت بدفنها ليلاً وإخفاء قبرها وألا يشارك في تشييعها الذين ظلموها[2].

فهذا الموقف الفاطمي الذي يمثل الموقف الإسلامي المتحدي، والحضور الفاعل في كل ساحات الصراع الجهادي الذي تقف فيه المرأة لمواجهة الموقف السياسي، يعطي الشرعية لحركة المرأة في المجال السياسي، من خلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (التوبة/ ٧١)، وسلوكها هذا سلام الله عليها يمثل السلوك الإسلامي الحق؛ كونها من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهكذا ينبغي أن تكون المرأة المسلمة مقتدية بالزهراء(ع)، غير منشغلة بنفسها وزينتها عن القيام بواجباتها الاجتماعية والسياسية[3]. فالمثل الإسلامية العليا التي تجسدت في شخصية الزهراء إنما هي الرسالة الإلهية للمرأة، لتتخذ منها سلام الله عليها قدوة وأُسوةً. فهي صدّيقة لا تتبع سوى الحق منهاجاً، ولا تسلك غير الهدى طريقاً، فكراً ونهجاً وسلوكاً.

---

(١) الزهراء القدوة: السيد محمد حسين فضل الله ٤٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) سيدة النساء فاطمة الزهراء: علي موسى الكعبي ٢٧.

المحور الثالث - الأسري والاجتماعي:

تعدّ السيدة الزهراء (ع) المرأة المثالية في الإسلام، والقدوة الصالحة لكل امرأة تبحث عن السعادة في الحياة، فهي سيدة نساء العالمين وربيبة الوحي والتنزيل، وخريجة مدرسة النبوة والرسالة، وهي التي بلغت القمة الشاهقة في العظمة والمنزلة، وهي مثال كل فضيلة ونموذج كل خير، سعدت كل امرأة اقتدت بها، وشقيت كل امرأة تركتها واقتدت بغيرها.

وتشكل قضايا التربية في مجملها الجانب الأكبر من مرحلة التكوين الأولى للإنسانية، وهى العامل الأساس والرئيس لكل مجتمع إنسانى، كما تعد - التربية في الفكر الإسلامى - الوسيلة المثلى التى يمكن استخدامها في توضيح وإرساء دعائم العقيدة والمثل والقيم في نفوس أبناء المجتمع على وفق الإطار الفكري العام للنهج الإنسانى، وما يرافق ذلك من إعداد أبناء المجتمع كافة أفراداً وجماعات لتحقيق الأهداف الفردية والجماعية التى ينشدونها وفق تعاليم الإسلام الغراء، ويحتاج ذلك إلى إنشاء مؤسسة علمية تربوية تتولى مهام العملية التربوية في إعداد أبناء المجتمع وتعليمهم، لكى يكون العلم في خدمة المجتمع وأبنائه، وكما تحدث القرآن في الأسس والروابط الإنسانية والقانونية في الأسرة، تحدّثت السنّة النبويّة عن ذلك، نذكر منها ما روي عن الرسول الكريم (ص): **(كلّكم راع ومسؤول عن رعيّته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيّته، والرّجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهى مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيّده، وهو مسؤول عنه، الا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته)**[1]. وما روى عن الصادق (ع): **(من خُلق الأنبياء حبّ النساء)**[2].

ومن هنا فقد احتوى منهج المدرسة الإسلامية على نظام متكامل من الحقوق والواجبات وقد برز ذلك واضحاً في نظرة الإسلام إلى المرأة، فقد عرض القرآن الكريم لكثير من شؤونها في أكثر من عشر سور منها سورة البقرة، والمائدة، والنور، والأحزاب، والمجادلة، والممتحنة، والتحريم، وعرض لها في سورتين عرفت إحداهما بسورة النساء الكبرى، وهى سورة النساء وعرفت الثانية بسورة النساء الصغرى وهى سورة الطلاق.

إنّ دور المرأة في تكوين القاعدة النفسية لبناء الأسرة أكبر من دور الرجل الذي عبّر عنه القرآن بقوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾. فالزوج هو الذى يسكن إلى الزوجة، ويستقرّ بالعيش معها، فهى مركز الاستقطاب إطار الاستقرار والودّ والمحبّة، فيتحدّث القرآن عن السكن، في مواضع عديدة، ومن خلال ذلك نستطيع أن نفهم معناه الذي توفّره الزوجة

(١) صحيح البخاري: ٣/١٩٦ باب (كراهية التطاول على الرقيق) رقم الحديث (٢٥٥٤).

(٢) الفروع من الكافي: الكليني ٥/٣٢٠.

لزوجها: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم/٢١)، و ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾(الأعراف/١٨٩). ونفهم قيمة السكن، في الاجتماع عندما نعرف أنّ القرآن وصف العلاقة بين الزّوج والزّوجة بأنّها علاقة: سكن وودّ ورحمة، وإذن فلنقرأ كلمة (سكن) في مواضع عدّة من القرآن، لنعرف دلالتها الاجتماعية والأسريّة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ أي يسكن فيه النّاس سكون الرّاحة[1]. وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾، أي إنّ دعواتك يسكنون إليها، وتطمئن قلوبهم بها، والسكينة فعيلة من السكون، يعني السكون الذي هو وقار، لا الذي هو فقد الحركة. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، أوجد الثبات والاطمئنان[2]. وأوضح اللّغويّون معنى (السكن) بقولهم: وسكن الريح: هدأت، وسكن النّفس بعد الاضطراب: هدأت، وسكن النفس إليه: استأنس به، واستراح إليه... والسّكن: المسكن، وكل ما سكنت إليه، واستأنست به، والزّوجة والنّار، أي يأنس بها الإنسان لتبديدها الظلمة وتوفير الدفء ولإنضاجها الطعام، والرحمة والبركة والقوت. والسكينة: الطمأنينة، والاستقرار، والرّزانة والوقار[3].

وهكذا نفهم معنى السكن، الذي توفِّره الزّوجة لزوجها وأسرتها، وهو: الرّاحة والاستقرار والاستئناس والرّحمة والبركة والوقار، كما نفهم سر اختيار القرآن لهذه الكلمة الجامعة لمعان عديدة.

كما أعطت السنة النبوية[4] للمرأة كافة حقوقها من دون زيادة ولا نقصان، واحترمت إنسانيها وكرامتها، ومنعت كل ما يؤدي إلى ظلمها وإهانتها، ولقد كانت التطبيقات العملية لمشاركة المرأة في العصر النبوي سنة يهتدى بها، حيث أعطت أروع النماذج لما كانت عليه المرأة المسلمة، ولما يجب أن تكون عليه، وبدلا من أن يهتدى ويقتدى بتلك السنة النبوية في مجال التطبيق العملي، أخذت مكانة المرأة تتراجع، وجهلت المرأة الأسس التي ينبغي أن تحافظ عليها، ونوعاً ما ابتعدت عن انتهاج السلوك المناسب لطبيعتها، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك حين جهلت الأسس الإسلامية التي رفعت من مكانتها.

وللمرأة المسلمة في بناء المجتمع المسلم، دور لا يقل عن دور الرجل فهي مصنع الرجال، ودورها في توجيه الأجيال دور كبير، فالمرأة في البيت والأسرة لها الدور الأهم في رعاية البيت

---

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن الكريم: الطريحي ٣٧، والميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي ٨٢/٩.

(٢) تفسير غريب القرآن (الطريحي) ٣٨.

(٣) المعجم الوسيط ٤٤٠/١ (سكن).

(٤) ينظر: المرأة في ظل الإسلام: بدر الدين هميسة ١١ ـ ٢٠.

وتنشئة الأطفال على المفاهيم والقيم الأخلاقية المستمدة من الإسلام، ولذا لابد أن ندرك حق الإدراك أهمية دور المرأة في حركة التغيير والتنوير الاجتماعيين، سواء بالمنظور الديموغرافي الذي يكشف عن أن أكثر من نصف المجتمع من النساء، أو بالمنظور التربوى من حيث أن المجتمع يتربى على يدها، حيث تشكل الأم العامل الرئيس في تكون شخصية الطفل في السنوات الست الأولى وإن كل محاولة لإحداث تحول اجتماعى مصيرها الخيبة ما لم تسبق بثورة على مستوى التربية العائلية، ولأن شخصية الفرد تتكون خطوطها الأساسية في البيت حيث يقضى الطفل أيامه الأولى ملتصقاً شديد الالتصاق بأمه، فإن كل تحول حقيقى في صلب المجتمع ينبغى أن يمر بالأسرة، وبالتالى بالعنصر الرئيسى فيه وهو المرأة، التى تشكل الكفة الأخرى في الميزان، ولا تستقيم إحدى الكفتين إلا مقترناً بالأخرى ومرتبطاً بها، إذ أنهما يشكلان وحدة واحدة ونفساً واحدة، وليس كالإسلام دين أحل المرأة مكانها الصحيح، فبعد أن اعترف بإنسانيتها الكاملة، أفسح لها فرصة المشاركة في الجهاد والمساهمة في البناء[١].

صرّح الإسلام بأنّ المرأة الصالحة، خير من إلف رجل غير صالح؛ لأنها عنصر رئيسى في بناء المجتمعات وتربية الإنسان، فإذا كانت المرأة تسعى إلى الكمال فسوف ينعكس ذلك على تنمية أفراد المجتمع الذى يعيشون في حضنها ويترعرعون في كنفها، وإذا كانت المرأة هى الحضن المقوم لأفراد المجتمع، فهى المرأة العاكسة لسلوكيته، ولعلنا نجد في سيرة السيدة فاطمة الزهراء(ع) ودورها في تربية أبنائها وفي علاقتها مع زوجها أمير المؤمنين (ع) ما يدل على ذلك، وهنا لابد لنا أن نوضح ذلك من خلال استعراض سيرتها العطرة في محيط أسرتها وما تمثله من علاقتها بزوجها وأبنائها، ومن علاقتها بمحيطها الاجتماعى وتأثيرها فيه.

إنّ من أولى الأمور الواجب معرفتها أنّ الزهراء (ع) تعرضت الى المصاعب في مراحل حياتها كافة، إلا أنها كانت في كل ذلك رمزا للمرأة الفاضلة ومثالاً يستمد منه الدروس في الصبر وتحمل البلاء والمحن، فقد عانت في صباها من فقد أمها وما تلا ذلك مصاعب جمة، وقد كان أعظمها فقد أبيها(ص) وما تحملته بعده من مرارة الفراق والبلوى بنفس صابرة محتسبة لله، فضلاً عما كانت تعانيه سلام الله عليها من صنوف المشاق وقلة ذات اليد وخشونة العيش وما ذاك إلا لزهدها في الدنيا وملاذاتها، وكان النبى (ص) يحتسب لها في ذلك مزيداً من الفضل حيث يقول: **(ما لآل محمدٍ وللدنيا فإنهم خلقوا للآخرة، وما خلقت**

---

(١) مكانة المرأة ودورها في المجتمع الإسلامي: شادية التل ٢٢.

الدنيا لغيرهم)[١]، وكلما ازدادت معاناتها زاد حمدها وثناؤها لله، ومما يروى أن النبى (ص) رآها (ع) وعليها كساء من أوبار الإبل، وهى تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عيناه وقال: **(يا بنتاه تعجّلى أو تجرعى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة)** وفي حديث **(اصبرى على مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غدا)** فقالت: (يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه) فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى/٥).

وخير ما نبتدئ به حديثنا عن بداية تكوين حياتها الأسرية الحديث عن مهرها المعنوى، إذ لم يكن أمير المؤمنين (ع) يملك أي شيء ليدفعه مهرا للسيدة فاطمة (ع)، حتى تذكر بعض المصادر بأن الإمام على (ع) باع درعه ليقدم ثمنه مهرا لها، مما يدل على قلة مهرها وهذا يدل تباعا قناعتها وكفافها وزهدها في أمور الدنيا وأنها لا تبغى من زواجها ما تبغيه أي فتاة من حلى وزينة بل رجل صالح تقيم معه بناء أسرة تؤمن بالله وتدعو إلى عبادته وحسن طاعته[٢].

وقد كانت علاقة سيدتنا الزهراء (ع) بزوجها أمير المؤمنين (ع) علاقة روحية فريدة تعبر عن سمو روحى متألق، وتكشف عن معدنها الأصيل وفهمها الحقيقى للعلاقة الزوجية حيث الطاعة والاحترام لأوامر زوجها، إذ كانت حريصة كل الحرص على طاعته، ولم تعصه في أي أمر، بل أنها كانت تعينه وتأزره في طاعة الله، وتؤثره على نفسها، وتدخل البهجة والسرور إلى نفسه[٣].

لقد عاشت السيدة فاطمة (ع) مع زوجها أمير المؤمنين (ع) الفارس المجاهد مع ما تفرضه حياته عليها من قسوة - زوجة محبة مطيعة لم تتذمر أو تتأفف يوما قط، لا بل أننا نجدها كانت توفر له الدفء والحنان وتشد على يده في المعارك، وتسكن جراحه وتمتص ألمه، وتشجعه وتمتدح شجاعته وتضحيته[٤].

استطاعت السيدة الزهراء البتول (ع) بوصفها القدوة الحسنة والأسوة المثلى للمرأة المسلمة أن تضرب أروع الأمثلة في طاعة الزوج ومراعاة حقوقه والإخلاص له، والصبر على شظف العيش، وأداء واجبات الأسرة في جو من المودة والصفا والوفاء، ومما روى عنها (ع) أنها سألت أمير المؤمنين (ع) قائلة: (يا بن عم، ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني) فقال (ع): (معاذ الله! أنتِ أعلم بالله، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله من

---

(١) نقلاً عن مقال: مكانة الزهراء عند الرسول (ص)، ينظر:
www.aqaed.com/ahlulbait/books/mm-el/12.htm

(٢) ينظر: الفروع من الكافي، باب تزويج فاطمة.

(٣) السيدة فاطمة الزهراء (ع) دراسة تاريخية: انتصار عدنان العواد ١٩٧.

(٤) ينظر: السيدة فاطمة الزهراء (ع): محمد بيومي ٩٨ - ١١٢.

أن أوبخك بمخالفتي)[1]. وقد كان أمير المؤمنين (ع) بالمقابل يغدق عليها من فيض حبه ووده لها، وما كان يغضبها ولا يكرهها على شيء قط، ومما روى عنه (ع) قوله: (والله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني، ولا عصيت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان)[2].

ولم تقتصر وظيفتها الأسرية على احترام الزوج وحسن رعايته وطاعته بل تمتد لتشمل منهجها في تربية أبنائها على وفق مناهج التربية الإسلامية القويمة وهي عارفة لمعنى وعمق هذا الأمر، فلم تكن تسعى سعت إلى إشباع حاجاتهم من الطعام والشراب والملبس والمنام، بل كانت تسعى إلى متابعة أبنائها في كل صغيرة وكبيرة، وقد حرصت على اصطحاب أبنائها إلى مكان العبادة لما في ذلك من أثر في تشكيل شخصية الطفل وتوجيهها بشكل سليم، وكانت تعلمهم أنواع التبتل والتهجد، وفي هذا الجانب يقول الإمام الحسن السبط (ع): والدتنا الزهراء كانت تجلسنا إلى جانب سجادتها وهي غارقة في التضرع إلى الله تعالى من أول الليل إلى انفجار الصبح[3].

وكانت تربي في أبنائها احترام حقوق الجار وإيثاره على النفس على وفق المنهج القرآني وروح الإسلام المحمدي الأصيل، كما تسعى إلى غرس الأخلاق الفاضلة في نفوسهم حريصة على تطبيقه على أرض الواقع لعلمها بان القول يجب أن يقترن بالفعل ليكون مؤثراً وفاعلاً في النفس الإنسانية.

ومما يروى عن الحسن بن علي (ع) قوله: أني رأيت أمي فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى أتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه ألا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار[4].

كما تذكر المصادر أنها كانت تعلم الحسنين (ع) خطب جدهما الرسول (ص) وهما لم يبلغا بعد سن الخامسة، إذ كانت تطلب منهم إعادة الخطب التي سمعاها من جدهما وكانت تستمع لهما وتكرر الأمر مرات حتى ترسخ المعلومة وتتأكد من رسوخها في نفسيهما[5]. فهي بذلك كانت تغرس في نفوس أولادها خصال الخير ومكارم الأخلاق والقيم،

---

(١) السيدة فاطمة الزهراء (ع) دراسة تاريخية ١١٦.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن عيسى الأربلي ٤٤٩/١.

(٣) فاطمة الزهراء قدوة الصديقين، محمد تقي المدرسي ٩٧.

(٤) بحار الأنوار: ٨١/٤٣ ـ ٨٢. نقلا عن: الزهراء (ع) في قول البلغاء: محسن مهلهل البهادلي ٢٣٩.

(٥) ينظر: فاطمة الزهراء قدوة الصديقين ٩٨.

وتعلمهم مبادئ التوحيد، وتبث فيهم روح الدفاع عن الحق فكانوا خير البشرية وقدوة الإنسانية، ورمزاً لكل فضيلة ونوراً وهداية في حياة الأمة.

لم يقف دور السيدة الزهراء (ع) عند حدود أسرتها بل أخذت مجالاً أعم وأوسع إذ جعلت من المجتمع الإسلامي المحيط بها ميداناً لها، حيث عملت جاهدة ومجاهدة لتصلح ما فسد من حولها ولتقوم بدورها في عملية بناء المجتمع الإسلامي سائرة على نفس خطى أبيها الحبيب المصطفى (ص)، فالمجتمع لا يصلح إلا بصلاح الأسرة التي تمثل النواة المجتمع، عليه فبناء الأسرة نواة وأساس لبناء المجتمع.

وإذ يؤكد القرآن على أهمية العمل للإنسان سواء أكان رجلاً أم امرأة فإنه يعلن عن مكانة المرأة ومساواتها الإنسانية للرجل ليصلا بالعلم والعمل إلى الكمال الإنساني، مستبعداً أي نقص قد يلحق جوراً بالمرأة لما لها من دور فعال: فهي عماد المجتمع الإنساني متى ما صلحت صلح المجتمع، وإذا ما عدنا إلى سيرة السيدة البتول فاطمة الزهراء (ع) نجد رجاحة عقل وسعة أفق تفكيرها موازنة بصغر سنها إذ قبلت بصداق قليل يقدم مهرا لها لأنها تعرف أن خير النساء من قلت مهورهن ولم تشأ أن تثقل على كاهل سيدنا على أمير المؤمنين (ع) وأن المباهاة لا تكون بعظم المهور بل بالدين وحسن الخلق ورجاحة العقل[١]. وبذلك تضرب لنا مثالاً يجب أن يحتذى من قبل بنات هذا العصر وأهلها ممن يغالين بمهورهن غير مكترثين بما يلحقه ذلك من إضرار وأذى وما ينتج من ذلك خيبة وانكسار يدفعا بالشباب إلى سلوك مسالك الردى. فضلاً عن أن في زواجها المبكر رسالة إلى الآباء بتحصين أبنائهم بالزواج المبكر الذي يعف به المرء إذ يغض به بصره ويحصن به فرجه[٢].

وإذ ساوى الإسلام بين المرأة والرجل، فإنه قد أعطاها الحق بمزاولة العمل خارج نطاق بيتها لتشارك في الحياة الاجتماعية مثل الرجل ولكن بشرط التزامها بالعفة وعدم الانزلاق في مهاوي الرذيلة وإتباع هوى النفس وشهواتها. وفي عمل المرأة استثمار لطاقتها ووقتها، وإغناء للمجتمع بنتاجها، فالتعليم، والتمريض، وأعمال البر، وتوعية أفراد المجتمع وغيرها من الأعمال لها أثر الفاعل في النهوض بالمجتمع والأمة الإسلامية لمواجهة كل فكر معاد يحاول نقض دعائم الإسلام وبنيانه، وهذه الأعمال لا تخص الرجال فحسب بل أن المرأة مشمولة بها ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾(النساء/٣٢) مما يدل على جواز اكتساب المرأة بالعمل[٣].

---

(١) ينظر: معالجة الانحرافات الاجتماعية في ضوء فكر الصديقة الزهراء(ع)، د. تماضر حميد الفياض ١٢٢.

(٢) ينظر: معالجة الانحرافات الاجتماعية في ضوء فكر الصديقة الزهراء(ع) ١٢٣.

(٣) ينظر: فاطمة الزهراء (ع) بين الدين وتهذيب المجتمع، عبد الباسط الخفاجي ٢٢٣ - ٢٢٦.

والمتبع لسيرة السيدة الزهراء (ع) يجد فيها أنموذجاً للمرأة المصلحة لأمتها المفيدة لمجتمعها، وقد امتازت في كل ما عرضت له من أدوار في حياتها الأسرية والاجتماعية على نساء العالمين بمحافظتها على التوازن بين دورها وشخصيتها الأسرية ودورها وشخصيتها الاجتماعية بخلاف ما نجده عند كثير من نساءنا إذ يوفقن في جانب بدرجة لا توازي توفيقهن في الآخر، ولكنها استطاعت بتوفيق الله وفضله وبما خصها الله من مكارم خصال وصفات أن تتفوق في كل مناح الحياة لتكون الأنموذج والأقرب إلى الكمال فقد كانت ربة بيت تطحن الحنطة في بيتها وتنظف دارها، وفي الوقت نفسه عالمة فاضلة تعلم الناس أمور دينهم ودنياهم، ولم تطلب جارية لتدبير أمور منزلها لتتفرغ للعلم والتعليم وإنما عملت جاهدة على إدارة شؤون بيتها، والتزود من العلم ونشره، مع الحفاظ على عبادتها وزهدها وتواضعها، تعمل وتحث نساء المسلمين على العمل مع التزام الحشمة والعفاف[1].

المحور الرابع ـ الأخلاقي:

كثرت الدعوات في وقتنا الحاضر على لسان حاملي لواء المطالبة بحقوق المرأة المسلمة، بالمطالبة بالحرية والمساواة مع الرجل: للمضي ـ حسب اعتقادهم ـ في ركب الحضارة والمدنية، شأن النساء الأوروبيات. فكانت صيحات محمومة، ومطالبات صارخة، بأنّ الإسلام لم ينصف المرأة، عندما جعلها دون الرجل، وسلّطه عليها فضلاً عن أنّ هناك من حقوقها ما هو مغبون[2].

والحق أنّ جميع ما يتشدق به دعاة المدنية، ما هو سوى ابتعاد عن الحقائق، وتقليد أعمى، درجت عليه المرأة الشرقية، وارتضته المسلمة لنفسها، وقلدتها راضية مرضية. ولو علمت المرأة المسلمة والزمرة التى تطالب بحرية المرأة ومساواتها بالرجل واقع أكثر النساء الأجنبيات اللواتى تريد تقليدهن والاقتداء بهن، وأيقنت أنّ الإسلام قد أنصفها وأرضاها، وكرّمها وأعطاها حقوقها كاملة غير منقوصة لما سعت وراء دعوات الغرب المغرضة والساعية لتدمير الأمة الإسلامية لإدراكهم أنّ المرأة هى عصب المجتمع فمن خلالها يمكن إفساد المجتمع، وبدعواتهم الباطلة تلك يسعون إلى إنهاء الدين وذلك برسم صورة مشوهة للإسلام بأنه سجن وقيود وتزمت وتخلف ورجعية الأمر الذي يؤدي إلى أن تسير المرأة وراء القيم الغربية المنحلة وتعمل على تقليدها في كل شيء. فإذا كانت المرأة الأجنبية، تطالب بحقوقها، فهذا

---

(١) فاطمة الزهراء (ع) بين الدين وتهذيب المجتمع ٣٢١.

(٢) المرأة في ظل الإسلام: مريم نور الدين ٣٨.

أمر راجع لاعتبارات كثيرة: منها اقتصادية، واجتماعية، وتربوية لما كانت تعانيه من جور وحرمان واضطهاد[١].

فقد جسدت شخصية فاطمة (ع) مكارم الأخلاق الإسلامية للمرأة في مختلف الأبعاد الإنسانية التي أكدتها التعاليم القرآنية، ولقد ضربت المثل الأعلى للمرأة المؤمنة الكاملة، وهذا ما نراه واضحاً وجلياً من استقراء سيرتها (ع). فلابد إذن من استلهام المُثُل العليا لديها واستجلاء العبر من منهجها الخُلُقي القويم (ع) لإعداد المرأة ومعرفة حقوقها وواجباتها وبناء كيانها والارتقاء بها لتصبح المرأة الأنموذج التي يُقتدى بها، فضلاً عن دفعها باتجاه تربية جيل تتمثل به القيم الأخلاقية ومبادئ العقيدة الحقّة. وتعدّ **السيدة الزهراء (سلام الله عليها) مدرسةً للأخلاق الرفيعة والخصال الحميدة فلا يمكن للبحث أن يستقرئها ويستقصيها جميعها. لذا نقتصر على ما جاء في الحديث الشريف في سؤاله لصحابته (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) حين قال:** أخبروني أي شيء خير للنساء؟ **لننطلق من إجابتها لوالدها: خيرٌ للنساء أنْ لا يرينَ الرجال ولا يراهنَّ الرجال**[٢].

ويتبيّن من كلام الزهراء سلام الله عليها مع أبيها أنّها أرادت أن توصل رسائل إلهية متعددة للنساء عبر الأجيال **منها**: أنها سلام الله عليها كانت تنظر إلى البيت أنّه من المواقع المهمة للمرأة في الإسلام، وذلك بالأدوار المتعددة التي منحها الخالق عز وجل إياها والتي أهمّها دورها الرساليّ في الأمومة والتربية ذلك الدور الذي اختصها الله سبحانه به. وقد كانت السيدة من حيث التربية النموذج الأمثل في تربيتها أئمة وتقديمها قادة للبشرية ونماذج حية للإسلام وصوراً متحركة للقرآن الكريم على امتداد التاريخ.

على إلاّ يتبادر إلى الأذهان تصوّر النظرة الانغلاقية للإسلام نتيجة الفهم الخاطئ لتلك النظرة على أنها تحديد لأدوار المرأة المسلمة وجعلها قابعة في البيت، وهذا ما لا تعنيه السيدة سلام الله عليها بدلالة قوله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ وقوله ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾، والسيدة على علمٍ بذلك ومدركة للقرآن، إنما في كلامها درس سامٍ للمرأة المسلمة العصرية بأنّ رعايتها أسرتها وحفاظها عليها وحرصها على متابعة أبنائها هو من الأولويات التي منحها إياها الشارع المقدّس لبناء أجيال صالحة سليمة من الآفات المستوردة من الغرب والتي غايتها إنهاء مبادئ الدين الإسلامي وفضائل القيم المجتمعية من خلال دعواتهم التحررية وحثّهم المتفاني على خروج المرأة الأم على الدوام من بيتها وقضاء وقتها بعيدة عن أسرتها، وبذلك لا تستطيع الأم تأدية دورها الرساليّ التربويّ الأخلاقيّ في تعليم

---

(١) المرأة في ظل الإسلام ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله الأصفهاني ٢/ ٤٠.

أولادها وتنشئتهم التنشئة الصحيحة. فكلام السيدة (ع) فيه أبعادٌ تربوية وأخلاقية ونفسية واقتصادية فضلاً عن المعاني السامية في تكريم الإسلام للمرأة وصونها عن الذئاب البشرية.

ومنها: أنّ عليهنّ التستّر والحشمة مع خروجهنّ إذ إنّ الحجاب حق وتوجيه سماوي يترتب على المرأة الالتزام به، ولم يكن هذا التوجيه الذي فرضه الإسلام عليها إلاّ تكريماً لها؛ وذلك لخصوصية تركيبتها أولاً واعتزازاً منه بها وحفاظاً عليها ثانياً باعتبارها وسيلة إدامة الحياة التي لا بد من أن تكون نظيفة ليكون النشء نظيفاً هو الآخر، وعلى هذا يكون الحجاب المفروض على النحو التالي:[١]

أ. عدم إظهار الزينة إلاّ للمحارم.

ب. الضرب بالخمور على الجيوب.

ج. غضّ الأبصار.

د. حفظ الفروج.

فالدين الإسلامي أراد الخير للمرأة عموماً وللمسلمة على وجه الخصوص: ذلك إنّ حجاب المرأة كان يحمل خصوصية أخلاقية على وفق الموروث المجتمعي قبل الإسلام. ففي بعض الحضارات القديمة كان الحجاب أو الخمار ميزة تتميز بها النساء الحرائر عن الإماء والعاهرات والداعرات، فقد فرضت اللوائح والقوانين الآشورية عقوبات على الأمَة العاهرة في حال مشاهدتها متسترة ومحجّبة، أي أنّ الحجاب مقتصر على نساء القوم الأفاضل وأخيارهم، ويستثنى من ذلك خروج الأمَة مع سيدتها فيتوجب عندئذ عليها الحجاب: احتراماً لسيّدتها[٢].

أما نظرة الغرب للمرأة فهي نظرة متدنّية وضيعة. فهي كمادة للإعلان والتجارة والربح المادي على حساب كرامة المرأة كانسان، وقد أدت هذه النظرة إلى سقوط المرأة وتجردها عن فضائل الأخلاق ومشاعرها الإنسانية النبيلة، الأمر الذي أدى إلى حصول تفكك في الأسر في المجتمعات الغربية. فالمرأة في دنيا الغرب تحولت إلى مجرد دمية لا قيمة لها سواء في السينما والإعلانات التجارية أو سباق ملكات الجمال[٣].

ومنها: قضية المساواة بين المرأة والرجل، والبحث في هذه القضية يطول ويكثر ولا يتسع المجال لذكر جميع أبعادها إنما نكتفي بذكر قدر يسير منها. إنّ قضية المساواة بين الجنسين أجاب عليها القرآن وبينتها السنة النبوية بالشكل الذي ينظم العلاقة بين الجنسين بناءاً على خصوصية كل منهما وبما يتلاءم وقدرة كل من المرأة والرجل من حيث القيام

---

(١) المرأة في المنظور الإسلامي: د. علي المكيدي ٣٢.

(٢) المرأة في المنظور الإسلامي ٣٤.

(٣) المرأة في الإسلام فاطمة الزهراء (ع) نموذجاً: عزيز البزوني ١٢.

بالفعل المؤثر باتجاه تحقيق حالة من التوازن في بناء الأسرة السليمة. فالمساواة في المنظور الإسلامي تقسم على ثلاثة أقسام رئيسة هي:

١ - المساواة في التكاليف.

٢ - المساواة في الجزاء.

٣ - المساواة في شؤون الحياة الأخرى.

وفيما يتعلق بمساواة التكليف فقد جاءت الآية الكريمة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(التوبة ٧١) فالنساء في الإسلام شقائق الرجال في تحمل المسؤولية من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بواجبها الشرعي الإسلامي في تعلّم أحكام دينها وتعاليمه ومحاولة تعليمه وبثّه للغير كما يقوم الرجل من خلال الدور العلمي والتعليمي، والتربوي، والثقافي وغير ذلك. ومن حيث المساواة في الجزاء فعلى قدر عمل الإنسان سواء كان امرأة أم رجلاً يُجزى من الخالق سبحانه وتعالى وقد قال الله في جزاء العبد من دون تمييز ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾، أما من حيث أفضلية الرجل في بعض القوامة على المرأة فليست هي من باب الانتقاص منها بقدر ما تكون واجباً يُكلّف به الرجل من دونها لخصوصية تركيبته الفسيولوجية وقدرته على تحمّل الصعاب في ظروف الحياة الشاقة، فضلاً عن ذلك فهي تأتي أيضاً من باب تحقيق حالة التوازن بالعلاقة بين الجنسين فما تستطيع المرأة أن تعمله ليس بالضرورة أن يفهمه الرجل ويعمل به، وكذلك ما يقوم به الرجل من واجبات وأعمال ليس بالضرورة أن تكون المرأة على دراية تامة به وتستطيع أن تقوم به على الصورة التي يقوم بها الرجل، ومن هنا فإنّ العلاقة بين الطرفين هي تكاملية أكثر منها حالة صراع بخصوص المساواة[١].

خاتمــــة

بعد هذه الرحلة الروحانية مع السيدة النورانيّة لابد من تثبيت أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج نلخّصها بما يلي:

- إنّ الدعوات المتصاعدة اليوم وما يسمّونه بالتحررية هي في حقيقتها دعوات واهية وهمية **ظاهرها** يدعو إلى استقطاب العنصر النسوي بالمحاباة لهنّ وإخداعهنّ بالسعي لرفع جميع أشكال العنف عن المرأة وإزالة التمييز ومعالم الظلم والغبن والاضطهاد عنها، **وباطنها** الخفيّ القضاء على الهوية الإسلامية وإنهاء الدين السماوي الإسلامي وذلك من خلال اكتساب المرأة كونها النواة الأساس في صلاح المجتمع أو في إفساده. متناسيات أنّ التحرّر الحقيقي ليس في هذا، ولا ذاك، إنما هو في تحرّر الإرادة الإنسانية من الانصياع لرغبات

(١) المرأة في المنظور الإسلامي ٢٤ — ٣٦.

الذات والخضوع لظلم النفس، وفي عدم الاتباع الأعمى لنساء مبتذلات فاقدات لأدنى مظاهر التكريم والعزة.

- يعدّ الإسلام مدرسة عظيمة في المنهج الإصلاحيّ الشامل لجميع البشرية، وهذا يتضح من خلال رسم العدالة الاجتماعية الإنسانية المشرقة بين الرجل والمرأة في مجالات الحياة المختلفة من حيث التكاليف والجزاء على حدٍّ سواء هدفه صيانة حقوق الإنسان ولاسيما المرأة.
- ضرورة اتخاذ المرأة المسلمة في وقتنا الحاضر المنهج السلوكيّ الفاطميّ القويم المثل الأعلى في الارتقاء بمكانتها الحقيقية ـ التي منحها الباري عزّ وجلّ إيّاها ـ من خلال السعيّ الحثيث لتطبيق المشروع العباديّ الذي شرّعه الخالق للمرأة المسلمة. وضرورة التفاتها إلى صورة المرأة المسلمة في الماضي ولاسيما صورة السيدة الزهراء لاستدعاء المنهج الذي رسمته في حياتها الإيمانية العقائدية والجهادية والأسرية والاجتماعية والخُلُقية، والعمل على استعادته ثانية بعدِّه الأنموذج الأمثل والإشعاع المستدام لإنارة ظلمات الانحرافات السلوكية في ظل دعوات الغرب الصارخة بالانحلال والابتعاد عن اتخاذ النساء الغربيات القدوة من دون وعيٍ وشعورٍ.

قائمة المصادر

- أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة: د. محمد نعيم ياسين ـ ط ١ ـ دار الأرقم للنشر والطباعة – النقرة ١٩٨٤م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١٢) ط٢ ـ مؤسسة الوفاء – بيروت ١٩٨٣م.
- تفسير غريب القرآن الكريم: فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ) تحقيق: محمد كاظم الطريحي – إيران (د. ت).
- الجامع الصحيح (صحيح البخاري): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) ط ١ ـ دار الشعب – القاهرة ١٩٨٧م.
- الحرية رؤية فلسفية (بحث): محمد محسن العيد مجلة النبأ العدد(٤٧) ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم ـ الناشر: السعادة ـ مصر١٩٩٦.
- الزهراء (ع) في قول البلغاء: محسن مهلهل البهادلي ـ المركز الفاطمي للدراسات والتنمية البشرية (بحوث المؤتمر العلمي الثاني) ٢٠١٣م.
- السيدة فاطمة الزهراء (ع) دراسة تاريخية ـ انتصار عدنان العواد ـ بيروت ٢٠٠٩م.
- السيدة فاطمة الزهراء (ع): محمد بيومي مهران ـ إيران ١٤١٨ هـ.
- سيدة النساء فاطمة الزهراء، علي موسى الكعبي، إيران، ١٤٢٠هـ.
- العبودية: أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ـ تحق: علي حسن علي عبد الحميد الحلبي ـ دار الأصالة ـ الإسماعيلية ١٩٩٩م.

❖ فاطمة الزهراء (ع) بين الدين وتهذيب المجتمع: عبد الباسط الخفاجي - المركز الفاطمي للدراسات والتنمية البشرية - ٢٠١٣م.
❖ فاطمة الزهراء قدوة الصدِّيقين: السيد محمد تقي المدرسي (د. ت).
❖ فاطمة الزهراء من قبل الميلاد إلى بعد الاستشهاد: عبد الله عبد العزيز الهاشمي — ط١ — دار الشريف الرضيّ - قم ١٤٢١هـ.
❖ فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني - ط ١ - دار النشر: مؤسسة النور للمطبوعات - لبنان ١٩٩١ م.
❖ **الفروع من الكافي: الكليني - ط ٣ - (د. ت).**
❖ **فلسفة الديمقراطية والياتها في فكر الإمام محمد باقر الصدر: عبير سهام مهدي — جامعة بغداد.**
❖ كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى الإربلي (ت٦٩٢هـ) طبعة حجر — تبريز ١٢٩٤هـ.
❖ لسان العرب: **أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور** — الناشر: دار المعارف.
❖ المدرسة الإسلامية: السيد محمد باقر الصدر - مؤسسة دار الكتاب الإسلامي (د. ت) ٢٠٠٣م.
❖ المرأة في ظل الإسلام: بدر عبد الحميد هميسة - ط١ - مصر ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
❖ المرأة في المنظور الإسلامي: د. علي العكيدي - دار الفراهيدي للطباعة والنشر - بغداد ٢٠١٣م.
❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق: أحمد محمد شاكر — المكتب الإسلامي للطباعة — دار صادر - بيروت (د: ت).
❖ معالجة الانحرافات الاجتماعية في ضوء فكر الصديقة الزهراء(ع): د. تماضر حميد الفياض، المركز الفاطمي للدراسات والتنمية البشرية — النجف الأشرف ٢٠١٣م.
❖ المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وآخرون — مجمع اللغة العربية — دار الدعوة — استانبول ١٤١٠ هـ/١٩٨٩م.
❖ المفردات في غريب القران: أبو القاسم الحسين بن الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) تحق وضبط: محمد سيد كيلاني — دار المعرفة - بيروت (د. ت).
❖ المقاييس في اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو - الطبعة الثانية - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ١٤٢٨ هـ/١٩٩٨م.
❖ مكانة المرأة ودورها في المجتمع الإسلامي: شادية التل - مراجعة: محمد توفيق أبو علي - من بحوث ندوة المرأة في العالم الإسلامي التي عقدتها الايسيسكو - القاهرة ١٩٩١.
❖ الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) - دار الكتب الإسلامية - ط٣ - طهران ١٣٩٧هـ.
❖ www. aqacd. com/ahlulbait/books/mm-el/12. Htm

الرأي المعقول
في تحديد قبر فاطمة الزهراء (ع) البتول

أ. د. حسن الحكيم

المقدمة:

نفذ الإمام أمير المؤمنين علي (ع)، وصايا فاطمة (ع)، ومنها: دفنها في جوف الليل، وإخفاء معالم قبرها، وأن لا يحضر جنازتها أحد، وقد خاطبته (ع) بقولها: (يا علي أنا فاطمة بنت محمد زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري حنطني وغسلني وكفني وصلِّ عليّ وادفني بالليل ولا تعلم أحداً واستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم يبعثون)[1]. ونقل عن الأصبغ بن نباته قوله: سئل أمير المؤمنين عن علة دفنه لفاطمة بنت رسول الله (ص) ليلاً فقال: (إنها كانت ساخطة على قوم كرهت أن يحضروا جنازتها، وحرام على من يتولاهم أن يصلي على أحد منهم)[2]. ولم يحضر جنازتها إلا عدد قليل من الصحابة، وفي مقدمتهم الصحابة الأجلاء وهم:

١- أبو ذر الغفاري.
٢- سلمان الفارسي.
٣- المقداد بن الأسود.
٤- عمار بن ياسر.
٥- حذيفة بن اليمان.
٦- عبد الله بن مسعود.

وأضافت بعض المصادر عقيل بن أبي طالب، وبريدة، ونفراً من بني هاشم، ويقول أمير المؤمنين (ع):وأنا أمامهم، وهم الذين شهدوا الصلاة على فاطمة (ع)[3]. وقد دفنت (ع) ليلاً، وأشار الشاعر الأزري إلى ذلك بقوله[4]:

ولأي الأمور تدفن سراً ... بضعة المصطفى ويعفى ثراها
فمضت وهي أعظم الناس وجداً ... في فم الدهر غصة من جواها
وثوى لا يرى الناس مثوى ... اي قدس يضمه مثواها

(١) الخوارزمي: مقتل الحسين ٨٦/١، الأمين: المجالس السنية ٩٦/٥.
(٢) النوري: مستدرك الوسائل، ٢٨٩/٢ ـ ٢٩٠.
(٣) اليعقوبي: التاريخ ٣٣٠/٢، الصدوق: الخصال ٣٣٠/٢، الطبرسي: أعلام الورى ص١٥٨.
(٤) الأمين: المجالس السنية ١٠٣/٥.

ويقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: (خرجت من الدنيا آخر عهدها بها مع الليل، يشيعها إلى مثواها الأخير حفنة من الرجال، ومضت إلى ربها بقلبها الممرور)[1] وقد دفنت في موضع لا يعرف حقيقته إلا آل بيت النبوة. وبعض الهاشميين. وأنفار من الصحابة، وبقي حديث (قبر الزهراء) موضع تساؤل، وهذا مما جعل بعض المؤرخين يأخذون بهذه الرواية، ويرفضون غيرها. أو يقفون موقف المتشكك في هذا الموضع أو ذاك، ومنهم من يرجح بعض الروايات لقربها من الحقيقة، وسوف أورد مواضع القبر، وأضع الاحتمال الأقرب إلى الواقع التاريخي في نهاية المطاف.

أولاً: في مقبرة البقيع

اعتمد بعض المؤرخين على رواية مدفن الزهراء (ع) في مقبرة البقيع. استناداً لأحداث تاريخية وقعت بعد وفاة الزهراء(ع)، فذكر أبو الفرج الأصبهاني: إن الإمام الحسن (ع) دفن في جنب قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) في مقبرة البقيع، وفي ظلة بني نبيه. لما ضعت السيدة عائشة وبنو أمية أن يدفن مع جده رسول الله (ص)[2]. وذكر الخوارزمي: لما أراد الإمام علي(ع) أن يدفن الزهراء نودي من بقعة من البقيع إليّ إليّ، فقد رفع تربتها فنظر فإذا بقبر محفور، فحمل السرير إليه فدفنها[3]. وأشار الشاعر إلى موضع الدفن هذا بقوله[4]:

ولما قضت فاطم الزهراء غسلها	**عن أمرها بعلها الهادي وسبطاها**
وقام حتى اتى بطن البقيع بها	**فصلى عليها عليّ ثم واراها**
ولم يصل عليها منهم احد	**حاشاها من صلاة ثم واراها**
حتى إذا أصبح القوم غداة اتوا	**بعل البتول ولم يدروا بمثواها**
قالوا له يا أبا السبطين ما فعلت	**بنت النبي فانا قد فقدناها**
اجابهم لحقت بالمصطفى فحملوا	**عليه غيظاً وحقداً حين اخفاها**

وإننا نجد في رواية دفن الزهراء (ع) في مقبرة البقيع ضعفاً، لأن الإمام علياً (ع) حرص على إخفاء القبر، وعدم تشييع الزهراء (ع) علانية، وأن نقل الجثمان من بيت الزهراء إلى مقبرة البقيع يستدعي تجمع غير قليل من الناس للمشاركة في التشييع، وحتى إذا كان الأمر في منتصف الليل، أو في أواخره. فإن عملية التشييع والدفن سوف ينتشران بين الناس، وهذا مما لا يرضي الزهراء (ع) حسب وصيتها. ونستفيد من رواية الشيخ الكليني عند حديثه عن

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب ١/ ٢٠٢.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص٧٥.

(٣) الخوارزمي: مقتل الحسين ١/ ٨٦.

(٤) الفتال: روضة الواعظين ١/ ١٥٠.

الإمام جعفر الصادق (ع) قال: أنه دفن بالبقيع مع أبيه وجده والحسن (ع)[١] ولم يذكر في هذا الموضع قبر فاطمة (ع)، وأن تحديد مقابر الأئمة (الحسن بن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي الباقر) في مقبرة البقيع، مؤشراً واضحاً على عدم وجود قبر لفاطمة الزهراء(ع) والتي سبق وفاتها، وفيات الأئمة سلام الله عليهم أجمعين.

ثانياً: بين القبر والمنبر

استند بعض الباحثين إلى حديث نبوي شريف: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)[٢] بأن السيدة فاطمة الزهراء(ع) دفنت في هذا الموضع، وذكر الشيخ الطوسي عدة روايات عن موضع القبر ويبدو أنه قد رجّح رواية (بين القبر والمنبر) فيقول: (إنك تأتي الروضة فتزور فاطمة(ع)، لأنها مقبورة هناك. وقد اختلف أصحابنا في موضع قبرها، فقال بعضهم: أنها دفنت بالبقيع، وقال بعضهم: أنها دفنت بالروضة، وقال بعضهم: أنها دفنت في بيتها، فلما زاد بنو أمية (لعنهم الله) في المسجد، صارت من جملة المسجد، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين، والأفضل عندي أن يزور الإنسان من الموضعين جميعاً فإنه لا يضره ذلك ويجوز به أجراً عظيماً، وأما من قال: أنها دفنت بالبقيع فبعيد من الصواب)[٣].

وقد اقترب الشيخ الطوسي من حقيقة موضع القبر، بعد أن أبعده عن مقبرة البقيع. ولكنه لم يحسم الموقف بين روايتين هما: في بيت الزهراء. أم بين القبر والمنبر. ونحن نستبعد أن يكون قبر الزهراء (ع) في هذا الموضع لأن وجود السيدة عائشة في المكان الذي دفن فيه النبي الكريم (ص) سيحول من دفن الزهراء فيه أو على مقربة منه — بدلالة أنها منعت دفن الإمام الحسن(ع) عند قبر جده المصطفى (ص) بعد وفاة أمه فاطمة الزهراء (ع) وقد رجّح الفتال النيسابوري. دفن الزهراء(ع) بين قبر النبي (ص) ومنبره بقوله: (ليس قبرها بالبقيع، إنما قبرها بين قبر رسول الله (ص) ومنبره لا ببقيع الفرقد، وتصحيح ذلك قوله (ص): بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة. إنما أراد بهذا القول قبر فاطمة(ع)[٤]. وإذا تبسط النيسابوري في الحوادث التي شهدتها المدينة المنورة بعد وفاة النبي (ص)، ووفاة الزهراء(ع) المبكرة بعد أبيها المصطفى سلام الله عليه، لما جزم بموضع قبر الزهراء(ع) بين القبر والمنبر. وهما جزءان من البيت الذي تسكنه السيدة عائشة.

---

(١) الكليني: الكافي ٤٧٢/١.

(٢) الصدوق: معاني الأخبار ٢٦٧/٢، من لا يحضره الفقيه ٣٤١/٢، الطبراني: المعجم الكبير ٢٢٧/١٢، الطبرسي: أعلام الورى ص١٥٩، الطريحي: مجمع البحرين ٣٠٧/٤.

(٣) الطوسي: تهذيب الأحكام ٩/٦.

(٤) النيسابوري: روضة الواعظين ١٥٢/١.

ثالثاً: في بيت عقيل

أشار المؤرخ سبط ابن الجوزي إلى أن الزهراء (ع). دفنت في زاوية من دار عقيل بن أبي طالب، وأن بين قبرها والطريق سبعة أذرع. وقال: عبد الله بن جعفر: ما أدركت أحداً يشك أن قبرها في ذلك الموضع[1] ولم نجد في المصادر المعتبرة صدى لهذه الرواية، وإنما جاءت من باب أخبار الآحاد ونستفيد من حديث الإمام علي (ع)، وهو يخاطب رسول الله (ص) بعد دفن الزهراء(ع): (السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك وزائرتك النازلة في جوارك، والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار أن لها سرعة اللحاق بك)[2] وأن عبارة (الجوار والثرى) يقصد منهما المناطق المجاورة للروضة النبوية الشريفة وهذا مما سوف نذهب إليه من باب القناعة أن الزهراء(ع). دفنت في بيتها، المجاور لبيت النبي (ص).

رابعاً: في بيت الزهراء

أكدت الأحاديث المروية عن أئمة آل البيت (ع): أن الزهراء (ع) دفنت في حجرتها، وفي بيتها المجاور لبيت الرسالة، وهذا مما جعلنا نرجح هذا الجانب، ونرفض ما عداه من الروايات، وروي عن الإمامين: جعفر الصادق، وعلي الرضا (ع): أن فاطمة (ع) دفنت في بيتها[3] وسئل الإمام علي الهادي(ع): أن رأيت أن تخبرني عن بيت أمك فاطمة(ع)، أهي في طيبة أو كما يقول الناس في البقيع، فكتب هي مع جدي صلوات الله عليه[4] ومن المرجح أن الإمام الهادي(ع) أراد (مع جدي) أي بالقرب منه. لأن بيت فاطمة وعلي عليهما السلام متلاصقاً مع بيت النبي (ص). وعند توسع الروضة النبوية الشريفة ألحق بيت الزهراء بالمرقد النبوي. وأصبح قبر الزهراء(ع) على مسافة قصيرة من قبر أبيها (سلام الله عليه) وهذا ما أراد به الإمام الهادي(ع) (مع جدي)، ونحن نذهب إلى رأي نرجح فيه قبر الزهراء(ع) في حجرتها، وذلك للحفاظ على سرية الموضع. وإبعاد الناس عن المشاركة في التشييع وفق وصية الزهراء(ع) ومما يدعم رأينا هذا: أن الزهراء(ع) لما أحست بدنو أجلها، أخذت بين الحسن والحسين (ع). وأوصلتهما إلى قبر جدهما المصطفى (ص) فأجلستهما عنده، وصلت بين المنبر والقبر ركعتين ثم ضمتهما إلى صدرها وقال: يا ولدي اجلسا عند أبيكما ساعة، وعلي (ع) يصلي في

---

(١) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص٣٣٠.

(٢) الكليني: الكافي ٤٥٩/١، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ص٣٣٠، الأربلي: كشف الغمة ١٢٧/٢، الأمين: المجالس السنية ٩٩/٥ - ١٠٠.

(٣) الكليني: الكافي ٤٦١/١.

(٤) النوري: مستدرك الوسائل ٢١٠/١٠.

المسجد، ثم رجعت نحو المنزل، فحملت ما فضل من حنوط النبي (ص) فاغتسلت به ولبست فضل كفنه ثم نادت: يا أسماء، فقالت لها: لبيك يا بنت رسول الله، فقالت: تعاهديني فإني أدخل هذا البيت، فأضع جنبي ساعة، فإذا مضت ساعة، ولم أخرج فناديني ثلاثاً فإن أجبتك، وإلا فاعلمي إني لحقت بأبي رسول الله (ص). وفي رواية أن الزهراء (ع) ماتت في سجدتها. وأكد الشيخ الصدوق أن مدفن الزهراء (ع) كان في حجرتها وقد ضعّف الروايات الأخرى، وقال: (وهذا هو الصحيح عندي)[١]. وقد حدد موضع قبر الزهراء (ع) بقوله: (إني لما حججت بيت الله الحرام كان رجوعي على المدينة بتوفيق الله عز وجل، فلما فرغت من زيارة النبي(ص) قصدت إلى بيت فاطمة (ع)، وهو عند الاسطوانة التي يدخل إليها من باب الحضيرة، ويساري إليها، وجعلت ظهري إلى القبلة واستقبلها بوجهي)[٢] وهذا التحديد الموقعي الدقيق له وجاهته العلمية على تعيين موضع قبر الزهراء(ع). وأن الأدلة التاريخية والعقلية تؤكد على دفن الزهراء(ع) في بيتها، وفي حجرتها على وجه الخصوص.

خاتمة البحث

تناول شخصية الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء(ع) جماعة من المؤلفين العرب والمسلمين والأجانب، ومنهم من تناول جانباً من حياتها وأن البحث الموسوم (الرأي المعقول في تحديد قبر فاطمة الزهراء(ع) البتول) قد تحدد في موضوع وفاة الزهراء(ع)، وموضع قبرها، وقد وضعنا أربعة احتمالات، وأكدنا على صحة الاحتمال الرابع، بعد اطلاعنا على المصادر الأساسية، وأحاديث آل البيت (ع)، وحاولت الوقوف على النصوص الواردة في المصادر، لاستخلاص الحقائق التاريخية – بقدر الإمكان – بعد أن وجدت إغفالاً من بعض الباحثين لكثير من النصوص لأنها لا تتلائم مع انتماءاتهم العقائدية، وهذا مما يسبب فجوة في السيرة الفاطمية، ويعطي هذا الإغفال ابتعاداً عن طبيعة البحث العلمي، وموضوعية الباحث المحايد، لأن التاريخ هو البحث عن الحقيقة وتمحيصها وجلاء غموضها في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية، وأن السيرة هي البحث عن الحقيقة في حياة الإنسان، وبخاصة في الجوانب الغامضة منها، وهذا مما جعلني اختار تحديد قبر الزهراء(ع)، من خلال النصوص الصحيحة، والابتعاد عن النصوص الضعيفة والموضوعة، ومناقشة بعضها، ولنا دعوة للباحثين، دراسة السيرة الفاطمية بصفتها (سيدة نساء العالمين) وهذه الانفرادية من بين نساء عصرها وما بعده

---

(١) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٢/٢٤١.

(٢) المصدر نفسه، ٢/٢٤١.

أعطاها سمة الخصوصية والانفراد، وقد أشار إليها مؤرخو التاريخ الإسلامي، ومدونو الحديث الشريف، بصفتها: (فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمحدثة، والزهراء، والصديقة، والبتول، وبضعة الرسول (ص) والمعصومة، والحوراء، والميمونة وغيرها من الألقاب) وأنها أم الفضائل، وأم السبطين، وأم العترة، وأم الأئمة (ع)، وفيها وآل بيت النبوة نزلت الآيات الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧)﴾[3] ومن يقف على كتب تفسير القرآن الكريم يجد كثيراً من الآيات الكريمة نزلت في البيت المحمدي الذي يضم (الرسول الأعظم وأمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين وسيديّ شباب أهل الجنة). وقد أفرد بعض الباحثين ما نزل من القرآن الكريم في أهل البيت (ع). أما كتب الحديث الشريف فهي حافلة بخصوصية أهل بيت النبوة سلام الله عليهم أجمعين، وكذلك كتب التاريخ والأدب والرجال والعقائد وغيرها.

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

ـ أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ).

١ ـ مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

ـ الأربلي: أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٦٩٢هـ).

٢ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٣٨٥هـ.

ـ الأمين: محسن الحسيني العاملي (ت ١٣٧١هـ).

٣ ـ المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، مطبعة ابن زيدون، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ/١٩٥١م.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٣) سورة الدهر: الآية ٥ ـ ٧.

- الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨هـ).

٤ - مقتل الحسين، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

- سبط ابن الجوزي: أبو المظفر شمس الدين يوسف (ت ٦٥٤هـ).

٥ - تذكرة الخواص، المطبعة العلمية، النجف الأشرف ١٣٦٩هـ.

- الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ).

٦ - الخصال، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٧ - معاني الأخبار، مطبعة الحيدري ١٣٧٩هـ.

٨ - من لا يحضره الفقيه، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف، النجف الأشرف، الطبعة الرابعة ١٣٧٨هـ.

- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).

٩ - المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ).

١٠ - أعلام الورى بأعلام الهدى، مطبعة الحيدري، طهران ١٣٣٨هـ.

- الطريحي: فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ).

١١ - مجمع البحرين، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).

١٢ - تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ/١٩٥٩م.

- عبد الفتاح عبد المقصود.

١٣ - الإمام علي بن أبي طالب، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى.

- الفتال النيسابوري: محمد (ت ٥٠٨هـ).

١٤ - روضة الواعظين، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ).

١٥ - الكافي، مطبعة الحيدري، طهران ١٣٧٩هـ.

- النوري: حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ).

١٦ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ).

١٧ - التاريخ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م. ❖

مقام السيدة فاطمة (ع) في السنة النبوية

د. جواد كاظم النصر الله(*)
انتصار عدنان العواد(**)

اختصت السيدة فاطمة (ع) بمكانة متميزة في السنة النبوية الشريفة، فقد أفاضت الأحاديث والروايات - التي ليس من اليسير إحصاءها لكثرتها وتعدد مصادرها - عن هذه المكانة، ولهذا فقد أفرد بعضهم فصولا أو مؤلفات بأكملها لتناول هذا الجانب في كتب الحديث والمناقب وغيرها؛ لذا يجب الوقوف والتأمل في تلك النصوص ومدلولاتها لا سيما إذا أدركنا إن النبي (ص) لم يكن بالذي تدفعه العاطفة المجردة إلى إطلاق أحاديث أو إضفاء سمات على أشخاص ليسوا جديرين بها لأنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم/٣ - ٤)، وما قوله إلا: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة التكوير آية ١٩ - ٢١). وبناءً على ذلك لا يمكن أن نفترض إن اهتمام النبي (ص) بابنته السيدة فاطمة (ع) كان للعاطفة الأبوية أو لما امتازت به من صفات وكمالات روحية تستحق الإجلال والتعظيم: وإنما لا بد من أهداف أسمى تقف وراء كل قول وفعل صدر منه بحقها.

إن طبيعة علاقتها (ع) بأبيها النبي (ص) لم تقف عند حدود البنوة له بل نجدها تقدم مثالا يحتذى به في حبها له ومعاملتها معه كنبي مرسل أوجب الله محبته وطاعته، إذ روي عنه (ص) قوله: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[١]. فكانت (ع) تنظر إلى أبيها (ص) نظرة المؤمن المتعبد المطيع، رغم علمها بمدى حبه ومودته لها، فلم تسمح لصلة البنوة بتجاوز آداب النبوة، لذا نجدها تقول: "لما نزلت هذه الآية ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (سورة النور/٦٣)، هبت رسول الله (ص) أن أقول له: يا أبه، فكنت أقول: يا رسول الله، ... فقال لي: يا فاطمة إنها لم تنزل فيك، ولا في أهلك، ولا في نسلك، أنت مني وأنا منك، إنما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر، قولي: يا أبه فإنها أحيا للقلب وأرضى للرب"[٢].

(*) كلية الآداب/جامعة البصرة.
(**) مركز دراسات البصرة/جامعة البصرة.

(١) الدار مي: سنن الدار مي ٢/٣٠٧.
(٢) ابن شهر اشوب: مناقب آل أبي طالب: ٣/١٠٢. العلامة الحلي: كشف اليقين: ص٣٥٤.

إذن فالرسول (ص) يحب أن يرى ابنته الوحيدة تتعامل معه كأب كما يتعامل الأبناء مع آباءهم لعلمه بأنها بلغت من الإيمان والكمال، فلا يصدر منها ما لا يليق بمقامه المقدس. وكانت بغاية الحرص على رعايته (ص) إذ سخرت نفسها لخدمته وإحاطته بوافر حبها وإجلالها لشخصه (ص)، وتجلى ذلك من خلال تلكَ الأدوار التي تقلدتها منذ نعومة أظفارها، وحتى آخر لحظة من حياتها معه (ص) فلم تفارقه أبداً وكان من دأبها تفقده وملازمته في حله وترحاله، حتى كناها النبي (ص) بـ "أم أبيها"[١]. وهكذا ارتقت (ع) لتكون وعاءاً لهموم أبيها (ص) ومصدراً يحتضنه بالعاطفة المشوبة بالإجلال: فكانت كلما دخل عليها قامت إليه وقبلته وأجلسته في مجلسها[٢]، وكانت تتألم لآلامه وتذرف دموعها لأجله: إذ يروى: " إن رسول الله (ص) مرض مرضة فأتته فاطمة (ع) تعوده وهو ناقة من مرضه، فلما رأت ما برسول الله (ص) من الجهد والضعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعتها على خدها"[٣]، ويروى انه عاد من إحدى غزواته: "فبدأ بها قبل بيوت أزواجه فاستقبلته فاطمة فجعلت تقبل وجهه وعينيه وتبكي، فقال لها رسول الله (ص): ما يبكيك؟ قالت: أراك يا رسول الله قد شحب لونك واخلولقت ثيابك. فقال لها: يا فاطمة إن الله عز وجل بعث أباك بأمر لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أدخله به عزاً أو ذلاً يبلغ حيث بلغ الليل"[٤]. وروي أيضاً: "دخل رسول الله (ص) على فاطمة فقدمت له كسرة يابسة من خبز شعير فأفطر عليها، ثم قال: يا بنية هذا أول خبز أكل أبوك منذ ثلاثة أيام، فجعلت فاطمة تبكي ورسول الله (ص) يمسح وجهها بيده"[٥]، وبلغ من شدة تعلقها بأبيها والتصاقها به إنها بكت لما أخبرها بدنو أجله وفرحت لما علمت إنها أول أهل بيته لحوقاً به[٦]، فقد تأثرتَ كثيراً لفقده وعاشت تبكيه وترثيه بعد موته لدرجة إنها لم تُر ضاحكة قط[٧].

---

(١) ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء (ع) ص ١٢٢ ـ ١٢٦.

(٢) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٣٦٨/٥. البخاري: الأدب المفرد: ص٢٠٩. أبو داود: السنن: ٥٢٢/٢. الترمذي: السنن: ٣٦١/٥ النسائي: السنن الكبرى: ٩٦/٥. ابن حبان: الصحيح: ٤٠٣/١٥. الحاكم: المستدرك: ٢٧٢/٤ – ٢٧٣. المقرئ: الرخصة في تقبيل اليد: ص٩١. الأربلي: كشف الغمة: ٨٠/٢. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص٤١. الزيعلي: نصب الراية: ١٥٦/٦.

(٣) الصدوق: الخصال ٤١٢، الطبراني: المعجم الكبير ١٧٢/٤. ابن البطريق: العمدة ص٢٦٧. ابن طاووس: الطرائف ص١٣٤.

(٤) الحاكم: المستدرك: ٤٨٩/١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٢٣٠/٤٠.

(٥) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ١١٣/٢.

(٦) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٣٦٨/٥. البخاري: الأدب المفرد: ص٢٠٩. أبو داود: السنن: ٥٢٢/٢. الترمذي: السنن: ٣٦١/٥ النسائي: السنن الكبرى: ٩٦/٥، ابن حبان: الصحيح: ٤٠٣/١٥.

(٧) ابن سعد: الطبقات: ٣١٢/٢. ابن شهرا شوب: مناقب آل أبي طالب: ١١٩/٢.

ومما يوحي بالاندماج الكامل بين شخصيتها وشخصية أبيها (ص) إنها كانت أشبه الناس به، حتى في كلامه ومشيته وحركاته، إذ شهد بذلك كل من رآها، فقد قالت عائشة: "ما رأيت أحداً كان أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله (ص) من فاطمة..."[1]. وقالت: "ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وسمتاً وهدياً ودلا برسول الله (ص) في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله..."[2]، وروي عنها أيضاً قولها: "إذا أقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله (ص)"[3]. وقال جابر الأنصاري: "ما رأيت فاطمة تمشي إلا ذكرت رسول الله (ص) تميل على جانبها الأيمن مرة، وعلى جانبها الأيسر مرة"[4]. وفضلاً عن أسباب الخلق التكوينية واعتبارات الوراثة فأنها (ع) اقتبست من أبيها (ص) المكارم كلها، فكانت بضعته وشبيهته في الخلق والخُلق، وما بلغه من كمال وسمو!! فقد تجسدت فيها مدرسة النبوة والمثل العليا، وبذلك فان سجاياها وآدابها إنما كانت امتداداً لسجايا النبي (ص) وصفاته وآدابه، وهو المخصوص بمدح الله في كتابه إذ يقول عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم/٤)، وقال(ص): "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[5]، لذا فأنها (ع) كانت صورة مباركة تعكس ذلك التأديب الإلهي، حتى أصبح التكامل الخلقي الصفة الدائمة لسلوكها (ع)، فقد روي عن عائشة قولها: "ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها"[6] وقالت: "ما رأيت أحدا أصدق لهجة منها إلا آن يكون الذي ولدها"[7].

أما عن مكانتها (ع) في قلب أبيها (ص)، فإنها تميزت بمقام كريم مبارك في سنته الشريفة، ومن المعلوم إن السنة النبوية إنما كانت مصدراً أساسياً للتشريع السماوي، لذا فان ما يصدر منه (ص) من قول أو فعل أو تقرير واجب الأخذ به، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (الحشر/٧). ولنرى أي موقع تميزت به السيدة فاطمة (ع) عند النبي (ص) وكيف

---

(١) البخاري: الأدب المفرد: ص٢٠٩. أبو داود: السنن: ٥٢٢/٢. النسائي: السنن الكبرى: ٣٩٢/٥. المقري: الرخصة في تقبيل اليد: ص٩١. القندوزي: ينابيع المودة: ٥٥/٢.

(٢) أبو داود: السنن: ٥٢٢/٢. الترمذي: السنن: ٣٦١/٥. النسائي: السنن الكبرى: ٩٦/٥ + الكوفي: مناقب أمير المؤمنين: ٢٠٩/٢. المحب الطبري: ذخائر ص٤٠ – ٤١. الصالحي الشامي: سبل الهدى ٢٥١/١٢. القندوزي: ينابيع المودة: ٥٥/٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات: ٢٤٧/٢. ابن حنبل: المسند: ٢٨٢/٦. مسلم: الصحيح: ١٤٣/٧. ابن ماجة: السنن: ٥١٨/١. النسائي: السنن الكبرى: ٢٥١/٤. الطبراني: الأوائل: ص٨٤. كتاب الدعاء: ص٥٤٣.

(٤) الطبري الصغير: دلائل الإمامة: ص١٥١. ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب: ١٣٢/٣.

(٥) الطبراني: المعجم الأوسط: ١٣٧/٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢٠١/٩. السيوطي: الجامع الصغير: ٥١/١. الصالحي الشامي: سبل الهدى: ٩٣/٢، ٤٦/١١. المتقي الهندي: كنز العمال: ٢١٤/٧.

(٦) أبو يعلى: مسند أبو يعلى ١٥٣/٨، الطبراني: المعجم الأوسط ١٣٧/٣، الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٠١/٩.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣١/٢، الزر ندي: نظم درر السمطين ص١٨٢.

كان يتعامل معها؟ وما الأحاديث التي خصها بها؟ ولماذا؟ فلقد حظيت (ع) بحب النبي (ص) وتكريمه لها، فكانت الأحب إليه والأقرب لقلبه، فهي أعز مخلوق عليه، وقد عبر عن تلك المكانة من خلال أقواله وأفعاله معها إذ تضافرت الأحاديث والروايات على هذا التقديم والعناية بها، ويلاحظ إنه (ص) خصها بأحاديث لم تقال بحق غيرها، وتعامل معها معاملة لم يحظ بها غيرها. فمن ناحية حبه لها الذي لا يمكن أن يكون لمجرد كونها ابنته إذ كانت اقرب الخلق إليه كما عبر (ص) عن ذلك في أكثر من حديث كقوله فيها: "فاطمة اعز البرية علي"[(١)]، ولما سئل عن الأحب إليه قال: "فاطمة"[(٢)]، ثم نجده يقرن حبه بحبها إذ يقول: "من أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني"[(٣)]، ولم يكتف النبي (ص) بذكر حبه لها وقربها منه بل يحث الأمة على حبها ويبين آثار وفضل محبتها إذ إن من يحبها يستحق أن يكون برفقة النبي (ص) وفي درجته يوم القيامة إذ قال (ص) وهو آخذاً بيد الحسن والحسين (ع): "من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة"[(٤)]، وقال لسلمان: "يا سلمان من أحب فاطمة فهو في الجنة معي ومن ابغضها فهو في النار، يا سلمان حب فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والحشر والصراط والمحاسبة..."[(٥)]. إنه لا يمكن عد هذا الحب عاطفياً فقط إذ لماذا يحث الأمة على حبها ويوجب لمن أحبها الجنة ورفقته فيها؟!! وقد شهد بهذه المكانة للسيدة فاطمة (ع) زوجها أمير المؤمنين (ع) إذ يقول: إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه..."[(٦)]. ويروي إن عائشة سألت النبي (ص) عن السيدة فاطمة (ع): أتحبها يا رسول الله؟ قال أما والله لو علمت حبي لها لازددت لها حبا"[(٧)]، وروى أبو سعيد الخدري قائلاً: "كانت فاطمة من أعز الناس على رسول الله (ص)..."[(٨)]. ورغم أنه (ص)

---

(١) المفيد: الأمالي ص٢٦٠، ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ١١٢/٢. الحلي: المحتضر ص١٣٦.

(٢) ابن حنبل: المسند: ٢٠٤/٥. الترمذي: السنن: ٣٤٢/٥. الحاكم: المستدرك: ٢١٧/٣. المحب الطبري: الذخائر: ص٣٦. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٧٣/٩.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: ٣١/١. المجلسي: البحار: ٣٥٧/٢٨.

(٤) ابن حنبل: المسند ٧٧/١. الدولابي: الذرية الطاهرة ص١٦٥. الطبراني: المعجم الصغير ٧٠/٢. الخطيب: تاريخ بغداد: ٢٨٩/١٢. الخوارزمي: المناقب ص١٣٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٩٦/١٣. الزر ندي: نظم درر السمطين ص٢١٠. ابن الدمشقي: جواهر المطالب: ٢٤٧/١. الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٥٧/١١ – ٥٨. القندوزي: ينابيع المودة ٢٣/٢، ١٧٩، ٤٤٥، ٤٧٥.

(٥) الخوارزمي: مقتل الحسين: ١٠٠/١. القندوزي: ينابيع المودة: ٣٣٢/٢.

(٦) أبو داود: السنن: ٢٩/٢. المحب الطبري: الذخائر: ص٥٠. المزي: تهذيب الكمال: ٢٢١/٢٠. المقريزي: النزاع والتخاصم: ص٩٢. المتقي الهندي: كنز العمال: ٥٠٨/١٥.

(٧) الصدوق: علل الشرائع ٢٤٢/١. الطبري الصغير: دلائل الإمامة ص١٤٧ الأربلي: كشف الغمة ٨٦/٢.

(٨) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ١١٣/٣.

كان دأبه الرحمة بالمؤمنين جميعاً ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب/٤٣): إلا إن لمقام السيدة فاطمة (ع) وضع مختلف عند النبي (ص) كما سنبين من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: وردت في أحاديث النبي (ص) تعبيرات خاصة تدلل على مكانة السيدة فاطمة (ع)، من أمثلة ذلك قوله (ص) في أثناء مخاطبته إياها: "فداك أبوكِ"، فلو تأملنا المناسبات التي قالها فيها نجد هذه العبارة جارية على لسانه، فقد قالها في عدة مواقف، منها في صبيحة عرسها (ع)، قدم لها النبي (ص) عس فيه لبن وقال لها: أشربي فداكِ أبوكِ"[1]. وعن زينب بنت أمير المؤمنين (ع) قالت: صلى أبي مع رسول الله صلاة الفجر ثم أقبل عليه النبي (ص) فقال:... امض بنا إلى ابنتي فاطمة، فدخلا عليها وهي تتلوى من الجوع وابناها معها فقال: يا فاطمة فداك أبوك، هل عندك طعام..."[2]. وعن ابن عباس إن النبي (ص) ذات مرة رآها تبكي وهي تبحث عن الحسن والحسين، فقال النبي (ص): لا تبكي، فداك أبوك،..."[3]. وعن أبي ذر الغفاري قال: دخلت فاطمة على رسول الله (ص) في مرضه الأخير فلما رأت رسول الله (ص) انكبت عليه وبكت وبكى رسول الله (ص) لبكائها وضمها إليه ثم قال: يا فاطمة لا تبكي فداك أبوك فأنك أول من تلحقين بي..."[4]. وعن محمد بن قيس قال: كان النبي (ص) إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة (ع) فدخل عليها فأطال عندها المكث، فخرج مرة في سفر، فصنعت فاطمة (ع) مسكتين من ورق وقلادة وقرطين وسترا لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها، فلما قدم رسول الله (ص) دخل عليها، فوقف أصحابه على الباب لا يدرون يقفون أو ينصرفون، لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله (ص) وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فظنت فاطمة (ع) إنه إنما فعل ذلك رسول الله (ص) لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتها ونزعت الستر، فبعثت به إلى النبي (ص)، وقالت للرسول قل له: تقرأ عليك ابنتك السلام، وتقول: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال: فعلت فداها أبوها ثلاث مرات..."[5].

وعن ابن عمر: "إن النبي (ص) كان إذا خرج كان اخر عهده بفاطمة (ع) فإذا رجع كان أول عهده بفاطمة (ع)، فلما رجع من غزوة تبوك، وقد اشترت مقينعة فصبغتها بزعفران وألقت على بابها سترا أو ألقت في بيتها بساطاً، فلما رأى ذلك النبي (ص) رجع فأتى المسجد فقعد فيه، فأرسلت إلى بلال، فقالت: اذهب فانظر ما رده عن بابي؟ فأتاه، فأخبره، فقال:

---

(١) الطبرسي: إعلام الورى ١/٢٩٩. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣/١٣٢. الأربلي: كشف الغمة ٢/١٠١.

(٢) ابن حمزة الطوسي: الثاقب في المناقب: ص٢٢٢، ٢٩٥.

(٣) الأربلي: كشف الغمة: ٢/١٤٧. المحب الطبري: الذخائر: ص١٣٠.

(٤) الخزاز القمي: كفاية الأثر: ص٣٦.

(٥) ابن الفتال: روضة الواعظين: ص٤٤٤.

أني رأيتها صنعت ثمة كذا وكذا ، فأتاها فأخبرها ، فهتكت الستر وكل شيء أحدثته وألقت ما عليها ، ولبست أطمارها فأتى النبي (ص) فأخبره ، فجاء حتى دخل عليها فقال: كذلك كوني فداك أبي وأمي"[1]. إن الذي يمكن ملاحظته:

١- إن هذه العبارة "فداك أبوكِ" قد ترددت على لسان النبي (ص) أكثر من مرة، وفي مناسبات عدة ، وكان يسمعها منه أهل بيته (ع) وأصحابه ، مما يدلل على إن النبي (ص) كان يريد بيان مكانتها للأمة وأن على الأمة أن تقتدي به (ص) في تعامله معها (ع).

٢- لكن الروايتين الأخيرتين تدخلان ضمن الروايات التي ظاهرها مدح السيدة فاطمة ولكن باطنها الذم لها ، فلا يمكن قبول كل ما جاء فيهما لأنهما تدللان إن النبي (ص) بدا منه شيء من الغضب والإعراض تجاه ابنته السيدة فاطمة (ع) لأنها علقت على بابها سترا أو تزينت بشيء من الزينة ، وهو أمر مرفوض قطعاً ، وسنترك أمر مناقشته والتحقيق فيه عند تناولنا الروايات الموضوعة التي تسيء لمقامها (ع) لاحقاً. والذي يهمنا الآن من هاتين الروايتين هو قول النبي "فداها أبوها".. وقد كان قوله هنا لتصدقها وإنفاقها في سبيل الله.

ولكن لو تأملنا في عبارة فداها أبوها أفلا نجدها تدلل على استعداد الرسول الأكرم (ص) للتضحية من أجلها وهو سيد المرسلين أجمعين ، لقد أراد الرسول (ص) أن يقرر للمسلمين إن السيدة فاطمة (ع) التي — فداها أبوها — الذي هو أطهر روح وأزكى نفس وأغلى دم، وهو سيد المرسلين أستعد لأن يفديها بروحه ، فمن باب الأولى أن تقتدي الأمة به في هذه القضية التي نص عليها بنفسه أمامهم، ويؤكد للأمة: إن التي افديها بروحي تستحق منكم أرواحكم، لأن هذا هو معنى الاقتداء بي"[2].

ومن التعابير الأخرى التي اختصت بها السيدة فاطمة (ع)، كنية "أم أبيها"[3]، التي تعددت مدلولاتها ومعانيها؛ والتي مهما حاول أو يحاول كل متعرض لها أن يرسم لها أبعاداً نجدها تضيق بها فتبقى أوسع وأعمق من أن يدركها تحليل أو تفسير. ومن العبارات التي يقف العقل أمامها حائراً ، قوله (ص) في ابنته فاطمة (ع): هي قلبي[4]، وقوله: هي روحي التي بين جنبي[5]، وقوله: فاطمة بهجة قلبي[6]، وفي لفظ "مهجة قلبي"[7]، وقوله: هي نور عيني، وهي

---

(١) حماد بن زيد: تركة النبي: ص٥٦.

(٢) النعماني: فاطمة والخلافة: ص٥٩ — ٦٠.

(٣) عن مدلولات هذه الكنية ومعانيها ينظر: العواد: السيدة فاطمة (ع) ص ١٢٢ ـ ١٢٦.

(٤) الحلي: المحتضر ، ص١٣٣. ابن الصباغ: الفصول المهمة: ٦٦٤/١.

(٥) الصدوق: الأمالي: ص١٧٥. المفيد: الاعتقادات: ص١٠٥. ابن الصباغ: الفصول المهمة: ٦٦٤/١.

(٦) الخوارزمي: مقتل الحسين: ٩٩/١.

(٧) ابن شاذان: مائة منقبة: ص١٠٤. ابن جبر: نهج الإيمان: ص٢٠٥. البياضي: الصراط المستقيم: ٣٢/٢.

ثمرة فؤادي[١]، وقوله: هي الحوراء الإنسية[٢]. فأي تعليق على هذه الكلمات ذات المعاني السامية التي سطرها النبي (ص) بحق بضعته الطاهرة؟!!!

المحور الثاني: معاملة النبي (ص) لها إذ حظيت السيدة فاطمة (ع) بمعاملة خاصة تميزها عن غيرها، وكل تلك التصرفات التي صدرت منه (ص) تجاهها، إنما هي مثار للتأمل والوقوف عندها كثيراً لمحاولة التعرف على الدوافع والأهداف التي تقف وراء كل فعل صدر منه (ص) ما دمنا ملزمين باقتفاء سيرته الشريفة والإقتداء بها.

إن من يطالع تلك النصوص التي تمثل مشاهد حية تعكس طبيعة تعامله (ص) مع السيدة فاطمة (ع) ليقف مذهولاً أمامها، لاسيما عندما نراه يقبل يدها الشريفة، بل ويكثر من تقبيلها أو أن يقوم لها إجلالاً كلما أقبلت عليه وغيرها من الأفعال التي تبينها النصوص التالية، فعن عائشة: "إن فاطمة (ع) كانت إذا دخلت على النبي (ص) قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (ص) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها"[٣]، وقالت: "وكانت إذا دخلت على النبي (ص) بيدها فقبلها ورحب بها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها"[٤].

ومما يلفت النظر هنا إن قيامها (ع) لأبيها أمر طبيعي جداً وينم عن خلق رفيع وأدب سامي، إذ إنها (ع) تعاملت معه كنبي مرسل قبل أن يكون أب لها واجب الاحترام والطاعة. ولكن ما معنى قيام النبي (ص) لها!! فالمعروف إن القيام لشخص ما إنما يدل على مدى الاهتمام والاحترام لتلك الشخصية بالشكل الذي يتناسب مع عظمة مقامها. وهذه الرواية مما احتج به النووي على جواز القيام، وكان يقول: "يندب القيام لمن دخل عليه ذو فضل ظاهر كعلم وصلاح يقصد البركة والإكرام لا الرياء والإعظام"[٥]. ويمكن القول إن ما ذكره من توفر الصفات الداعية للقيام، إنما كلها متوفرة بالسيدة فاطمة (ع)، فهي ذات العلم والصلاح والشرف والفضل بلا خلاف، وأما عن قوله انه لم يكن لأجل الرياء والإعظام، فإما الرياء فلا ينطبق على حال النبي (ص) وهو منزه عنه تماماً، فمعنى الرياء: إظهار جميل الفعل رغبة في حمد الناس[٦]. أو هو إظهار الخير لقصد الشهرة مع إبطان غيره[٧]. إذن الرياء من الصفات

(١) الصدوق: الأمالي: ص١٧٥. عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى: ص٣٠٦.

(٢) الصدوق: الأمالي: ص١٧٥. الخطيب: تاريخ بغداد ٢٩٣/٥. عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى: ص٣٠٦.

(٣) أبو داود: السنن ٥٢٢/٢. الترمذي: السنن ٣٦١/٥. الحاكم: المستدرك: ٢٧٣/٤. المحب الطبري: ذخائر العقبى ص٤١.

(٤) عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى: ص٣٨٩.

(٥) المناوي: فيض القدير: ٣٩٢/١.

(٦) أبو هلال: الفروق اللغوية: ص٥٤٧.

(٧) ابن حجر: فتح الباري: ص١٢٣.

المذمومة، وهي غير موجودة قطعاً في النبي الأعظم (ص)؛ هذا من جانب ومن جانب آخر فأن أفعاله (ص) منزهة عن الذم والطعن ولا يحق الاعتراض عليها، وما دام النووي قد جعل هذه الرواية مما يحتج به فالأولى به أن يُسلم بها تسليماً تاماً، ولا مجال لمقايستها بغيرها، فالنبي (ص) لم يعهد منه هذا الصنيع مع غيرها (ع)، مما يستوجب عدها حالة خاصة تخص النبي (ص) وفضيلة تمتاز بها السيدة فاطمة (ع).

أما عن قوله إن القيام لا يجوز إن كان لأجل الإعظام! فهذا إن صح من غير النبي (ص)، فهنا لمجرد صدوره منه (ص) فأنه لغاية في الإجلال والتعظيم! كيف لا والذي يقوم هو النبي (ص)، ولمن يقوم! لبضعته الزكية التي أفاض عليها القرآن بمدحه وتعظيمه لمقامها وخصها النبي (ص) بمكانة متميزة!! وكما قلنا فهذه الحالة هنا – حالة استثنائية – ولعلها تدخل في نطاق الأحكام الخاصة! ولكن الأمر لم ينته بقول النووي، إذ نجد ابن الحاج ينأى برأيه بعيدا، ويحتج حتى على النووي (باحتمال إن كون القيام لها لأجل إجلاسها في مكانه إكراما لها لا على وجه القيام – المتنازع فيه – ولاسّيما ما عرف من ضيق بيوتهم وقلة الفرش فيها، فكانت إرادة إجلاسه لها في موضعه مستلزمة لقيامه)[1].

بدءاً لابد من بيان معنى – القيام المتنازع فيه – وهو كما عرفه العظيم آبادي بقوله: "المراد بالقيام المتنازع فيه: القيام للتعظيم"[2]. نلاحظ أن ابن الحاج في استبعاده قيام النبي معها تعظيما يتفق مع النووي فيه! فلماذا إذن يوهم بأنه كان مخالفا له في هذا، كما أشار لذلك البعض[3]؟ ولكنه يرى أن قيام النبي (ص) كان لضيق المكان وقلة الفرش؟! ولكن إن كان موضع النبي (ص) يضيق به لدرجة يضطر معها إلى أن يقوم ليجلسها (ع) في مكانه، فلماذا لم نعهد هذا الفعل منه (ص) مع كل من يفد عليه؟!! ولم يتضح مراد ابن الحاج من تعليلاته هذه، فليس بخاف على من يطالع هذه النصوص فأن ذهنه ينصرف إن قصده (ص) بهذا الفعل إنما كان إجلالها وتعظيمها (ع)، ولكن ما السر وراء هذا الفعل!!؟ وقد حاول أحد الباحثين تفسير ذلك قائلاً: "... ما معنى أن يقوم لابنته غير التأكيد على أن قيام النبوة العظمى لها إنما هو قيام لما تمثله الزهراء من دور في مسيرة النبوة الكبرى بالإضافة إلى استحقاقها الذاتي للاحترام والتقديس باعتبارها معلماً من معالم الإسلام صلوات الله عليها"[4].

أما عن تقبيل النبي (ص) ليدها الشريفة فهو أمر غير مألوف منه (ص)، لذا فان لهذا الفعل مداليل مقدسة، وإن الطرح السابق حول هذا! الفعل يبدو مقبولاً، ولكن الأمر لا يقف

---

(١) ابن حجر: فتح الباري: ١١/ ٤٤. العظيم آبادي: عون المعبود: ١٤/ ٨٧.

(٢) عون المعبود: ١٤/ ٨٦.

(٣) ابن حجر: فتح الباري١١/ ٤٤. العظيم آبادي: عون المعبود١٤/ ٨٧. المباركفوري: تحفة الاحوذي ٨/ ٢٦.

(٤) النعماني: فاطمة والخلافة: ص٦١.

عند هذا الحد قطعاً، بل وراءه تكمن أسرار أخرى! يقول النعماني: "وهذا أمر غير مألوف ولا متعارف عند العرب وغيرهم، بل المعروف خلافه تماماً! وهذا يجعلنا نتساءل عن السر الذي جعل النبوة الخاتمة بكل ما تحمل من عظمة وإجلال تنحني لتقبل يد السيدة فاطمة الطاهرة! هل هي عاطفة بحتة، أم ظاهرة تحمل هدفاً عظيماً، وسراً مقدساً، قد يكون مستقبل الإسلام مرهوناً به، هل أراد الرسول (ص) أن يقول لأمته: إن هذه اليد التي أقبلها مقدسة وطاهرة ولا يمكن أن تمتد لتطلب ما ليس لها بحق في حياتي وبعد حياتي؟ أو انه أراد لهذه القبلات أن تكون شاهد النبوة والسماء على إن هذه اليد إذا وضعتها صاحبتها على شيء: كانت القبلات شاهدها على إن هذا الحق لها؟"[1].

ولم يقف حنو النبي (ص) على ابنته (ع) عند هذا الحد! فها هو النبي (ص) يرحب بها قائلاً "مرحبا بابنتي"[2] كلما أقبلت عليه، ويكثر تقبيلها كلما رآها، فقد روت عائشة: "كان النبي (ص) كثيراً ما يُقبل عرف فاطمة"[3]، وقالت أيضاً: "كان النبي (ص) إذا قدم من سفر قبل نحر فاطمة"[4]. وعنها أيضاً: "كان النبي (ص) إذا قدم من مغازيه قبّل فاطمة"[5]. وقد أثار فعله هذا تساؤل عائشة، فقال (ص): إذا اشتقت إلى الجنة قبلت نحر فاطمة[6]، وفي رواية: منها أشم رائحة الجنة[7]، إشارة إلى أن نطفتها كانت من ثمار الجنة[8].

ولشدة تعلقه بها (ع) فأنه كان يُطل عليها كل يوم بل كل حين، حتى أنه بعد زفافها لأمير المؤمنين (ع): لم يتمالك (ص) إلا أن قرب بيتها منه[9]. ثم نراه يأمر بسد كل الأبواب

---

(١) فاطمة والخلافة: ص٦٠ – ٦١.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٢٤٧/٢. البخاري: الأدب المفرد ص٢٢١، صحيح: ١١٤/٧. النسائي: السنن ٩٦/٥. أبو يعلى: المسند ١١١/١٢. الطبراني: الأوائل ص٨٤، المعجم الكبير: ٤١٨/٢٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٥٥/٣. النووي: رياض الصالحين ص٢٤٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢٠/٢. ابن كثير: البداية ٢٤٦/٥. القندوزي: ينابيع: ٥٥/٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٧٣/٣٦. السيوطي: الجامع الصغير ٢٥٦/٢. المتقي: كنز العمال ١٢٩/٧.

(٤) المحب الطبري: ذخائر العقبى ص٣٦. الأربلي: كشف الغمة ١٧١/٢. الذهبي: ميزان الاعتدال ٥١٨/٢. القندوزي: ينابيع ١٣١/٢.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٤٦٠/٣. ابن شهر اشوب: المناقب ١١٣/٣. المحب الطبري: ذخائر ص٣٦. القندوزي: ينابيع: ١٣١/٢.

(٦) المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص٣٦. القندوزي: ينابيع المودة: ١٣٢/٢.

(٧) القندوزي: ينابيع: ٦٠/٢، ٣٢٢.

(٨) لمزيد من التفاصيل عنها ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء ص ٩، ٦٢ ـ ٨٧.

(٩) ينظر: العواد: السيدة فاطمة ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

الشارعة على المسجد إلا باب الأمير والسيدة فاطمة (ع)[١]. بل إن تعامله مع هذا البيت وأهله إنما كان بمنتهى القداسة، فنجد النبي (ص) لا يدخله إلا مستأذناً كما جاء في الروايات التي منها: "طرق رسول الله (ص) باب فاطمة ذات يوم، فقالت: من الطارق: قال: يا بنيتي، رسول الله. فقالت: أليس البيت بيتك والبنت بنتك فما المانع من الدخول؟ فقال (ص): إن الله أمرني أن لا ادخل إلا بأذنك"[٢]، ويروى إن النبي (ص) قال للأمير المؤمنين (ع): لولا انك بعلها لأمرتك بما أمرني الله، إن لا تدخل حجرتها إلا بأذن منها"[٣].

وهنا تستوقفنا دلالات هذه الروايات، وهذا الكلام منه (ص) إذا ما لذي يدعو النبي(ص) للاستئذان على ابنته؟! أكان ملزم شرعاً بذلك؟! أليست ابنته؟ ومن ثم نجده يوجه هذا الكلام لزوجها أمير المؤمنين (ع) فما الدافع؟ وما داعي هذا الاستئذان من أبيها وبعلها (ع)؟! لقد كان جواب النبي (ص) انه مأمور بذلك من قبل الله جل وعلا، واستغرب عبد الرحمن بن عوف من إطالة النبي(ص) النظر لباب فاطمة؟! فقال له (ص): "أطيل النظر للباب لما احتوى على كنوز وأسرار أيسرها الاستئذان، وأعسرها تطيش له العقول"[٤]، لذا علق أحد الباحثين: "ومهما حاولنا أن نبحث عن مبرر فقهي لقضية استئذان الرسول (ص) لدخول بيت فاطمة، فلن نصل إلى نتيجة وذلك لأن ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب/٦) أولاً، وانه أبو الزهراء وبيتها بيته وهم أهله من دون رَيب.. فهل أراد (ص) أن يعلم الأمة إن بيت الزهراء (ع) هو بيت النبوة الذي عناه الحق بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (الأحزاب/٥٣)، إضافة إلى الحكم العام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (النور/٢٧)، أضف إلى ذلك إن بيت الزهراء لا ينطبق عليه الحكم (غير بيوتكم) بالنسبة إلى النبي (ص) فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والزهراء ابنته وهو أولى بها، فلماذا يستأذن في دخول بيتها؟ أليس هذا يدل على إن هناك حكمة بالغة وراء تصرف النبي (ص) واستئذانه؟ ومن الممكن إن نقول في

---

(١) النسائي: السنن الكبرى: ١١٣/٥، ١١٨، ١١٩. أبو يعلى: المسند: ٦١/٢. الكليني: الكافي: ٣٤٠/٥. الطبراني: المعجم الأوسط: ١٨٦/٤، المعجم الكبير: ٢٤٦/٢، ٧٨/١٢. الصدوق: الأمالي: ص٤١٣. الحاكم: المستدرك: ١٢٥/٣. الطوسي: الأمالي: ص٥٦٥، ٥٩٩. الخطيب: تاريخ بغداد: ٢١٤/٧. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص١١٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٥١/١٩. القرطبي: الجامع: ٢٠٥/٥. ابن كثير: تفسير: ٥١٣/١. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٢٠/٩. المقريزي: النزاع والتخاصم: ص١١٦. ١٢٠/٩. المتقي: كنز العمال: ٦١٨/١١. القندوزي: ينابيع: ١٦٩/٢.

(٢) العمري: أصل العلل: ٣٢٨/٤: نقلا عن: النعماني: فاطمة والخلافة: ص٦٢.

(٣) الراوندي: النجم الثاقب: ص٩٥: نقلا عن: النعماني: فاطمة والخلافة: ص٦٢.

(٤) الترمذي: الأدلة الواضحة: ص١٦: نقلا عن: النعماني: فاطمة والخلافة: ص٦٢.

تفسير ذلك: إن النبي (ص) أراد إن يعلم الأمة بما في ذلك مجتمع الصحابة، إن هذا البيت لا يجوز دخوله دون استئذان حتى للأنبياء فضلاً عن غيرهم"[١].

وقد خص النبي (ص) بيت السيدة فاطمة (ع) بأنه كان يمر عليه فجر كل يوم، وقيل في اليوم الواحد خمس مرات، فيأخذ بعضادتي الباب ثم يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله ويتلوا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب/٣٣)[٢]. وقد روى هذه الحادثة جلة من صحابة النبي (ص)، مما يدل على انه (ص) تعمد فعل ذلك بمسمع ومرأى من المسلمين، وقد جاء في تلك الروايات إن النبي (ص) داوم على هذا الفعل شهراً[٣]وقيل أربعين صباحاً[٤] وقيل ستة أشهر[٥] وقيل سبعة أشهر[٦] وقيل تسعة أشهر[٧]، وقيل سبعة عشر شهراً[٨]، ومهما يكن فأن تكراره لمدة طويلة يدعو للتأمل فلماذا يداوم النبي (ص) على ذلك؟! وفي ذلك الوقت الذي حُدد قُبيل الصلاة؟!.

إذ كما هو معلوم إن بيت الإمام والسيدة فاطمة (ع) كان في المسجد الشريف، وان وقت الصلاة يستلزم حضور جميع المسلمين في المسجد وهنا نجد النبي (ص) يقف أمام باب السيدة فاطمة (ع) ليوقظ أهله للصلاة!! ويردد هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾!! ويداوم على ذلك ما بين الشهر والسبعة عشر شهراً؟!. ولعل الذي يبدو واضحاً:

١ - إن النبي (ص) أراد أن يُري كل المسلمين ويشهدهم على منزلة أهل هذا البيت (ع)، ولم يكتفِ بمرة واحدة بل إن مداومته تعني بلا شك (التأكيد) منه (ص)، وان الفعل ما جاء صدفة.

٢ - إن وقوف النبي (ص) على باب هذا البيت دون سائر البيوت وتلاوته لآية التطهير، لهو خير دليل لاختصاص هذه الآية بالسيدة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها (صلوات الله عليهم) دون غيرهم.

---

(١) النعماني: فاطمة والخلافة: ص٦٢ ـ ٦٣.

(٢) الصدوق: الأمالي: ص٢٠٨. الكوفي: مناقب أمير المؤمنين: ١٩/٢. الحسكاني: شواهد التنزيل: ٤٩٧/١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٣٧/٤٢. القندوزي: ينابيع: ٥٩/٢.

(٣) الطيالسي: ص٢٧٤.

(٤) الطوسي: الأمالي ص٢٥١. الطبري الإمامي: المسترشد: ص٢٤٦. الحسكاني: شواهد التنزيل ٤٤/٢.

(٥) الطبري: جامع البيان: ١٠/٢٢. الحسكاني: شواهد التنزيل: ٧٨/٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٣٤/٢.

(٦) الطبرسي: مجمع البيان: ٦٨/٧. الذهبي: ميزان الاعتدال: ٢٨١/٢.

(٧) الخوارزمي: المناقب: ص٦٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٣٧/٤٢.

(٨) الحسكاني: شواهد التنزيل: ١٣٩/٢. الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٦٨/٩.

٣ - لعل في الأمر بعداً آخر إلا وهو تأكيد حرمة هذا البيت لا سيما هذا الباب الذي يأخذ بعضادتيه ويتلو آيات ربه، وكأنها تحذير وإنذار للأمة بوجوب المحافظة على قداسة هذا البيت وأهله.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل يبدو الأمر أكثر وضوحاً عندما يوصي النبي (ص) أصحابه وأمته ويخص منهم الأنصار في آخر لحظات حياته الشريفة بأهل بيته قائلاً: "الله، الله في أهل بيتي، مصابيح الظلم، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ومستقر الملائكة، فهم وصيي ووارثي، مني بمنزلة هارون من موسى، إلا هل بلغت؟"[١] ثم نجده (ص) يخص - باب فاطمة – فيقول: "والله يا معاشر الأنصار، إلا فأسمعوا، ألا إن باب فاطمة بابي وبيتها بيتي فمن هتكه هتك حجاب الله"[٢]. فهل هذه الوصايا والأفعال من النبي (ص) تدل على علمه بأن بيت السيدة فاطمة (ع) سوف تنتهك حرمته، فأراد أن يصونه ويحميه ويبين حرمته وقداسته عند الله ورسوله (ص)؟.

ومن أدلة عظم منزلتها في قلب أبيها (ص) إنه كان يبدأ بها عند سفره، وتكون أول من يراه بعد عودته! فقد روى أن النبي (ص) "إذا قدم من غزوة أو سفر بدء بالمسجد، فصلى فيه ركعتين ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه"[٣]، وروى ابن عمر كان (ص) "إذا أراد سفراً كان آخر الناس عهداً بفاطمة، وإذا قدم كان أول الناس عهداً بفاطمة"[٤]. لقد علق ابن شهر اشوب على هذه الحادثة بقوله: "ولو لم يكن لها عند الله تعالى فضل عظيم لم يكن رسول الله (ص) فعل معها ذلك، إذ كانت ولده وقد أمر الله بتعظيم الولد للوالد، ولا يجوز أن يفعل معها ذلك وهو بضد ما أمر به أمته عن الله تعالى"[٥]. وقال الوحيد الخراساني على فعل النبي (ص) معها قائلاً: "إن ذلك يعني إن أعلم الأولين والآخرين، والأدق نظراً بين الأنبياء والمرسلين – أي رسول الله (ص) كان يعمد إلى تقصير وتقليل الانفصال الجسمي بينه وبين ابنته فاطمة (ع) الناتج عن سفره – إلى أقل حد ممكن"[٦].

ودأب النبي (ص) على تقريب ابنته السيدة فاطمة (ع) واختصاصه بها حتى آخر لحظة من حياته: إذ نراه يخصها بمناجاته أثناء مرضه الذي توفي فيه، فقد روت عائشة: "إن رسول

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٤٧٦/٢٢ – ٤٧٧. البحراني: غاية المرام: ١١٩/٢.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار: ٤٧٧/٢٢.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير: ٢٢٥/٢٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٥٣٧/٤٠. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص٣٧. السيوطي: الجامع الصغير: ٣٤٥/٢. المتقي الهندي: كنز العمال: ٩٩/٧.

(٤) ابن شهر اشوب: مناقب آل أبي طالب: ١١٣/٣.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ١١٣/٣.

(٦) نقله عنه: الفراتي: عظمة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء: ص٤٦.

الله (ص) قال في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة (ع) يا ابنتي أحني عليّ فأحنت عليه فناجاها ساعة ثم لم تكشف عنه وهي تبكي..."[١]. ومما يلاحظ على سيرته معها: انه كان يتألم إن رآها مُتعبة بل يبكي لأجلها فروي: "رأى النبي (ص) فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (ص) فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه"[٢].

وبلغ من عناية النبي (ص) ورفقه بها أنه كان يعينها في أعمال المنزل كما في الرواية أعلاه، وأيضاً ما روي: دخل رسول الله (ص) على علي (ع) فوجده هو وفاطمة (ع) يطحنان، فقال النبي (ص): "أيكما أعيى؟ فقال علي: فاطمة يا رسول الله، فقال لها: قومي يا بنية. فقامت، وجلس النبي (ص) موضعها مع علي (ع) فواساه في طحن الحب"[٣]، كما كان من دأب النبي (ص) أن يعودها في مرضها ليطمئن عليها[٤].

المحور الثالث: تأتينا فيه طائفة من الأحاديث النبوية التي ترتقي بمقام السيدة فاطمة (ع) إلى ما يتجاوز فيه مرحلة الإشادة والتبجيل ليتعدّاها إلى اعتبارها معلماً من معالم الإيمان، إذ نجد هذه النصوص تربطها أكثر بالنبي الأكرم (ص): بلّ بالله سبحانه وتعالى، منها:

١ – **قول النبي (ص): "فاطمة بضعة مني"**: البضعة لغة بالفتح: القطعة من اللحم، وقد تكسر، ويذهب به إلى الشبه: أي هي جزء منه (ص)، كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم[٥]. ويلاحظ إن لهذا الحديث مُناسبات قيل فيها، لابد من استعراضها لنفهم سبب اختصاص السيدة فاطمة بهذه الكلمات! أكانت تعني أنها جزء من جسده لكونها ابنته؟ أم للقضية أبعاد أخرى؟!! فعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال للسيدة فاطمة (ع): ما خير للنساء؟ قالت: لا يرين الرجال ولا يرونهن، فذكر ذلك للنبي، فقال النبي (ص): إنما فاطمة بضعة مني"[٦]. وقيل إن النبي (ص) سئل أصحابه عن المرأة متى تكون أدنى من ربها؟ فلم يدروا، فلما سمعت السيدة فاطمة (ع) ذلك قالت: أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها. فقال رسول الله(ص):

---

(١) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني ٢٦٩/٥. النسائي: السنن ١٤٥/٥. الطبراني: المعجم الكبير ١١٧/٢٢. الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية: ص٣٦٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٨١/٤٧. المتقي الهندي: كنز العمال ٦٧٦/١٢. القندوزي: ينابيع المودة: ٥٤/٢.

(٢) الطبرسي: مكارم الأخلاق: ص١١٧. وانظر: الخوارزمي: مقتل الحسين: ١٠٥/١ ابن شهر اشوب: المناقب: ١٢٠/٣. الطبرسي: مجمع البيان: ٣٨٢/١٠.

(٣) المجلسي: البحار: ٥١/٤٣. القمي: بيت الأحزان: ص٤٢. ـ

(٤) عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى ص ٣٧٨.

(٥) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١٣٢/١. ابن منظور: لسان العرب: ١٢/٨. الفيروزآبادي: القاموس المحيط: ٥/٣.

(٦) الدارقطني: سؤالات حمزة ص ٢٨٠.

إن فاطمة بضعة مني"[١]. وعن أمير المؤمنين (ع) قال: استأذن أعمى على فاطمة فحجبته، فقال لها رسول الله (ص): لم حجبته وهو لا يراكِ؟ فقالت: إن لم يكن يراني فأني أراه، وهو يشم الريح، فقال رسول الله (ص): "أشهد انكِ بضعة منّي"[٢]. وفي هذه المناسبات الثلاث، مما يُلفت النظر:

١ - إن النبي (ص) يسأل السيدة فاطمة (ع) أسئلة عن أحكام النساء فتجيب (ع) بجواب مطابق لشريعة النبي (ص) وأحكامه السماوية عندها يطلق كلمته فيها بأنها بضعة منه كتقرير مدح وإشادة.

٢ - إن هذه الشهادة من النبي (ص) لها عدة معان أهمها بيان امتلاكها شطراً من العلم النبوي، وأنها تمثل النموذج الأمثل والأكمل في العفة والورع مما سر الرسول (ص) وبذلك تأكد لدينا أن النبي (ص) لم يقصد بقوله (بضعة مني) فقط الجانب المادي، وإنما يتعدى في مراده إلى أعمق من ذلك، فتكون السيدة فاطمة (ع) جزءاً من كله المعنوي فضلاً عن المادي، وهذا ما سيتضح أكثر بدلالة الحادثة التالية التي ملخصها: إن أبا لبابة قد أذنب ذنبا فربط نفسه إلى سارية بالمسجد إلى إن يتوب الله عليه فنزلت بذلك الآية ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة/١٠٢)، فأبى أن يحله أحد إلا النبي (ص)، فأرادت السيدة فاطمة (ع) أن تحله حين نزلت توبته، فقال قد أقسمت أن لا يحلني إلا رسول الله (ص)، فقال رسول الله (ص): إن فاطمة بضعة مني[٣]. وفي هذا دلالة واضحة على أنها تمثل رسول الله (ص) في أفعالها، وهذا يدلل أنه لا يصدر منها ما يخالف قوله أو فعله فها هو يشهد لها بذلك، وقد علق السهيلي قائلاً: "فهذا حديث يدل على إن من سبها فقد كفر، وان من صلى عليها فقد صلى على أبيها"[٤].

ينبغي الإشارة إلى إن هناك من استدل بهذا الحديث على أفضليتها على جميع النساء بما فيهن أمها السيدة خديجة وباقي زوجات النبي (ص) فضلاً عمن سواهن من النساء. فعندما سُئل أبو بكر بن داود عن الأفضل، قال: أما فاطمة فأن النبي (ص) قال: إنما فاطمة بضعة مني"، ولم أكن أفضل على بضعة رسول الله أحداً"[٥]. فقال السهيلي[٦]: هذا استقراء

---

(١) الراوندي: النوادر ص١١٩، العلامة الحلي: العدد القوية ص ٢٢٤.

(٢) القاضي المغربي: دعائم الإسلام: ٢١٤/٢. ابن المغازلي: المناقب: ص٣٠٣ – ٣٠٤.

(٣) ابن هشام: السيرة ١٤٦/٣–١٤٧. السهيلي: الروض الأنف ٢٢٧/٦–٢٢٨. الحلبي: السيرة الحلبية: ٤٤٥/٢–٤٤٦.

(٤) الروض الأنف: ٢٢٨/٦.

(٥) الخوارزمي: مقتل الحسين: ١١٢/١. الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد: ٣٢٨/١٠.

(٦) لم نعثر عليه في كتابه الروض الأنف: نقله عنه: الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد: ٣٢٨/١٠.

حسن، ويشهد بصحة هذا الاستقراء أن أبا لبابة..."، وذكر الحادثة أعلاه. وقد وافقهما على هذا التفضيل كل من السُبكي والمقريزي والزركشي والسيوطي والخُضري والبقيلي[١].

وفي الواقع أن حديث "فاطمة بضعة مني" يروى أحياناً مقترناً بألفاظ أخرى توسع دائرة معانيه ودلالاته. إذ روي عن النبي (ص) انه قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني[٢]، وفي رواية: فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها[٣]، وفي لفظ: فاطمة بضعة مني يسوؤني ما ساءها[٤]. وقوله: فاطمة بضعة مني، فأحب ما سرها وأكره ما ساءها[٥]. وقوله: فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها ويسرني ما يسرها[٦]. وقوله: فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها[٧]. وقوله: فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني[٨]. وقوله: فاطمة بضعة مني من سرها فقد سرني ومن ساءها فقد ساءني[٩].

إن هذا الحديث على اختلاف ألفاظه هو من الأحاديث المستفيضة والمشهورة، وهنا نجد النبي (ص) يقرن سخطه بسخطها ويُحرم أذاها لأن فيه أذى له (ص) وقد حرم الله أذاه، وتوعد من يؤذيه بالعذاب الأليم إذ يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة/٦١). وكما في الأحاديث السابقة التي وقفنا عندها لمحاولة معرفة الحكمة وراء إطلاقها، نقف عند

---

(١) الصالحي: سبل الهدى ١١/١٦١، ١٦٢. وانظر: شرف الدين الموسوي: الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (ع). ص٨٧.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/٥٢٦. البخاري: الصحيح: ٤/٢١٠. ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٥/٣٦١. النسائي: السنن: ٥/٩٧. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٢/٤٠٤. ابن حجر: فتح الباري: ٧/٦٣. الزرندي: نظم درر السمطين: ص١٧٦.

(٣) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٥/٣٦١. النسائي: السنن: ٥/٩٧. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٢/٤٠٤. أبو نعيم: الأمالي: ص٤٥. ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/٣٦٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/١١١. المقريزي: فضل آل البيت. ص٦٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٢/٢٩٢. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/١١٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٨/٢٦٢. الصدوق: الأمالي: ٥/٥١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢/٤١١.

(٦) الخوارزمي: المناقب: ص٣٥٣. الأربلي: كشف الغمة: ١/٣٧٣.

(٧) الطبراني: المعجم الكبير ٢٠/٢٦. الحاكم: المستدرك ٣/١٥٤. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١/١٢٧. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩/٢٠٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/١٣٢. السيوطي: الجامع الصغير ٢/٢٠٨. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٢/١١١.

(٨) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٥/٣٦٢. الصدوق: الأمالي: ص١٦٥. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٢/٤٠٥. المفيد: الاعتقادات: ص١٠٥. أبو نعيم: الأمالي: ص٤٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣/١٥٦. ١١١. القندوزي: ينابيع المودة: ٢/٥٣.

(٩) المفيد: الأمالي: ص٢٦٠. الطوسي: الأمالي ص٢٤. ابن شهر اشوب: مناقب آل أبي طالب: ٣/١١٢.

هذه الأحاديث لنتساءل عنها وعن المناسبة التي تخصها. ونلاحظ إن هذه الأحاديث كما هي واضحة في بيانها إنما كانت مطلقة وعامة ولا تختص بقضية محددة، إذ إن النبي (ص) يرددها بكثرة، وإن نقلت لنا النصوص بعض مناسبات قولها فأنها لا تخرج عن إطار التوصيات بابنته (ع) حتى آخر لحظات حياته الشريفة. وقد حاول الوضّاعون يائسين أن يعطوا هذا الحديث معنى يبتعد عما كان يهدف إليه النبي (ص) إذ وضعت رواية مفادها إن المناسبة التي أفرزت هذا الحديث هو إن أمير المؤمنين (ع) قد تقدم لخطبة إحدى النساء واسمها – جويرية – وان أهلها جاءوا يستأذنون النبي (ص) في إنكاح ابنتهم من أمير المؤمنين، ولكن النبي غضب وقال هذا الحديث، أو في رواية أخرى إن السيدة فاطمة (ع) لما سمعت بخطبة زوجها لتلك المرأة عاتبت النبي (ص) انه لا يغضب لبناته، فصعد النبي (ص) المنبر وأطلق كلماته بان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها. وكأن الإشارة تتجه نحو الإمام (ع)[١]!!

إذن من الذي كان مصداقاً لهذا الحديث؟! ما دامت السيدة فاطمة (ع) لم يؤذها أحد في ظل أبيها؟! فهل هذا يعني أن النبي (ص) يرمي إلى ما بعد حياته؟! لعلمه بما ستتعرض له السيدة فاطمة (ع) من أذى وانتهاك لحرمتها من بعده!!؟ فهل الأمر يتعلق بما جرى عليها بعد وفاة أبيها (ص) بدليل إنها (ع) ذكّرت القوم بهذا الحديث، وأعلنت غضبها على من آذاها، حينما جاءوا لعيادتها في مرضها الأخير "قالت (ع): أنشدكما بالله هل سمعتما النبي (ص) يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي، كان كمن آذاها بعد موتي.؟ قالا: اللهم نعم. فقالت: الحمد لله، ثم قالت: اللهم إني أشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنهما قد آذياني في حياتي وعند موتي، والله لا أكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي فأشكوكما إليه بما صنعتما به وبي وارتكبتما مني..."[٢].

وقد عد بعض العلماء هذه الأحاديث من جملة الأدلة على عصمتها. قال المفيد: "قد ثبت عصمة فاطمة بإجماع الأمة على ذلك فتيا مطلقة،...، ولإجماع الأمة أيضاً على قول النبي (ص): "من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله". فلولا إن فاطمة كانت معصومة من الخطأ مبرأة من الزلل لجاز منها وقوع ما يجب أذاها به بالأدب والعقوبة، ولو وقع ذلك لوجب أذاها، ولو جاز وجوب أذاها لجاز أذى رسول الله (ص) والأذى لله (عز وجل)، فلما بطل ذلك دل على إنها كانت معصومة..."[٣]. وتبعه الشريف المرتضي بالاستدلال بهذا الحديث

---

(١) عن تفاصيل ذلك ينظر النصر الله: شرح نهج البلاغة رؤية اعتزالية عن الإمام علي (ع) ص ١٣٩ - ١٨٦.

(٢) الصدوق: علل الشرائع: ٢٤٤ - ٢٤٦.

(٣) الفصول المختارة: ص٨٨.

كأحد أدلة عصمتها، قائلاً: "... ويدل أيضاً على عصمتها قوله (ص) (فاطمة بضعة مني فمن آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) وهذا يدل على عصمتها، لأنها لو كانت ممن يقارف الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذياً له على كل حال، بل كأن فعل المستحق من ذمها وإقامة الحد [عليها] – إن كان الفعل يقتضيه – ساراً له ومطيعاً"[1]. وكان عمر بن عبد العزيز قد سئل: إن قومك يقولون: إنك تؤثر عليهم ولد فاطمة؟ فقال عمر: سمعت الثقة من الصحابة إن النبي (ص) قال: "فاطمة بضعة مني يرضيني ما أرضاها، ويسخطني ما أسخطها" فو الله إني لحقيق إن أطلب رضا رسول الله ورضاه ورضاها في رضا ولدها، وقد علموا إن النبي (ص) يسره مسرتها جداً ويشينه اغتمامها[2].

وفي هذه الرواية دليل على إن طلب رضاها وحرمة أذاها لا يقتصر على أيام حياتها، بل يتعداه إلى كل عصر، فها هو عمر بن عبد العزيز يطلب رضاها بإكرام ولدها، وهو أمر مقبول لا اعتراض عليه إذ إن أولادها وذريتها جزء منها (ع) وهي جزء من أبيها (ص). قال السمهودي: "ومعلوم إن أولادها بضعة منها، فيكونون بواسطتها بضعة منه (ص)... فكل من يشاهد الآن من ذريتها بضعة من تلك البضعة وإن تعددت الوسائط، ومن تأمل ذلك أنبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنب بغضهم على كل حال كانوا عليه"[3]. ولابن حجر كلام في هذا المضمار فيقول حول حديث "بضعة مني يؤذيني ما آذاها": "وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى (ص) بتأذيه فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به، فالنبي (ص) يتأذى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها ولهذا عرف بالاستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ ... (طه/١٢٧)"[4].

٢ – قول النبي (ص) للسيدة فاطمة (ع): "إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك"[5]

لقد مر بنا ضمن الروايات أعلاه إن من آذى السيدة فاطمة (ع) فقد آذى النبي (ص) ومن يؤذي النبي (ص) فإنما يؤذي الله (عز وجل)! وفيه إشارة بتحريم أذاها: لأن فيه أذى لله ورسوله، وربما يتوهم بعضهم إن أذى الله لإذاها إنما هو بالوساطة أي إنه لمجرد تأذي رسوله (ص): لكن الحديث أعلاه يبدو فيه صورة تحريم أذاها وغضبها أكثر وضوحاً وأجلى بياناً، إذ نجد

(١) الشافي في الإمامة: ٩٥/٤. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢٧٣/١٦.

(٢) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب: ١١٢/٣.

(٣) المناوي: فيض القدير: ص٥٥٤.

(٤) فتح الباري ٢٧٠/٩.

(٥) ابن أبي عاصم: الاحاد والمثاني: ٣٦٣/٥. الطبراني: المعجم الكبير: ١٠٨/١، ٤٠١/٢٢. الحاكم: المستدرك: ١٥٤/٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٥٦/٣. الزرندي: نظم درر السمطين: ص١٧٧. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢٠٣/٩. المتقي الهندي: كنز العمال: ٦٧٤/١٢. القندوزي: ينابيع المودة: ٥٧/٢، ١٣٢.

النبي (ص) يشهد بأن الله عز وجل ليغضب لغضبها ويرضى لرضاها هي (ع) دون وساطة أبيها(ص)!! فإلى أي مكانة ترتقي هذه الأحاديث بالسيدة فاطمة (ع) لتكون مظهراً حياً لرضا الله وسخطه!! وأي حكمة وأسرار تقف وراء هذا المقام العظيم لبضعة النبي الأعظم (ص)!! والحق مع من استدل بهذا الحديث على وجوب عصمتها لأنها مصداق لرضا الله فلا يمكن إن يصدر منها ما يغضبه أو يخالف أوامره (عز وجل).

٣ - **أفضليتها على نساء العالمين**: اختصت السيدة فاطمة (ع) بالأفضلية والسيادة على نساء الإسلام والعالمين، وتتقسم الروايات التي دلت على سيادتها على نساء العالمين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مشاركتها غيرها في هذا الفضل كقول النبي (ص): "حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون"[1]. وقوله (ص): "أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم، ومريم ابنة عمران"[2]. وعن عائشة إنها قالت للسيدة فاطمة (ع): إلا أبشرك؟ إني سمعت رسول الله (ص) يقول: "سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون"[3]. وقوله (ص): أربع نسوة سيدات سادات عالمهن: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وأفضلهن عالماً فاطمة[4]. وقوله (ص): حسبك من نساء العالمين أربع: فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم[5]. وعنه (ص): سادات نساء أهل الجنة أربع، فاطمة، ومريم، وخديجة، وآسية[6]. وعن أبي موسى الأشعري، قال

---

(١) الصنعاني: المصنف: ٤٣٠/١١. الترمذي: السنن: ٢٦٧/٥. ابن أبي عاصم: الأحاد والمثاني: ٣٦٣/٥. أبو يعلى: المسند: ٣٨٠/٥. ابن حبان: الصحيح: ٤٦٤/١٥. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص٤٣. الأربلي: كشف الغمة: ٧٧/٢. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٤/١٨. ابن كثير: تفسير ٣٧٠/١. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٤٣/١٢.

(٢) ابن حنبل: المسند: ٢٩٣/١، ٣١٦. النسائي: السنن: ٩٣/٥. أبو يعلى: المسند: ١١٠/٥. ابن حبان: الصحيح: ٤٧٠/١٥، الطبراني: المعجم الكبير: ٢٦٦/١١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٠٩/٧٠. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٨٣/٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧٢/٢، تفسير القرآن: ٤٢٠/٤. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢٢٣/٩. السيوطي: الجامع الصغير: ١٩٥/١، الدر المنثور: ٣٤٦/٦. المتقي الهندي: كنز العمال: ١٤٣/١٢. القندوزي: ينابيع المودة: ٢٧٠/٢ — ٢٧١.

(٣) الحاكم: المستدرك: ١٨٥/٣. الأربلي: كشف الغمة: ٧٧/٢. التبريزي: اللمعة: ص١٧٨.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٠٨/٧٠. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص٤٤. السيوطي: الدر المنثور: ٢٣/٢. المتقي: كنز العمال: ١٤٥/١٢. الشوكاني: فتح القدير: ٣٤٠/١.

(٥) الطبراني: المعجم الأوسط: ٢٥٤/٧. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢٢٣/٩.

(٦) الزرندي: نظم درر السمطين: ص١٧٨.

النبي (ص): "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (ص)"[1].

القسم الثاني: يتضمن أحاديث إنفرادها بالتفضيل والسيادة على جميع النساء وفيه أبواب:

أولاً – سيادتها على نساء الأمة والمؤمنين كقول النبي (ص): "أما ترضين إن تكوني سيدة نساء هذه الأمة كما كانت مريم بنت عمران سيدة نساء بني إسرائيل"[2]. وقالت عائشة: كنا عند رسول الله (ص) في مرضه الذي مات فيه ما يغادر منا واحدة إذ جاءت فاطمة تمشي وما تخطيء مشيتها من مشية رسول الله شيئاً، فلما رآها قال: "مرحباً بابنتي" فأقعدها عن يمينه أو عن يساره، ثم سارها بشيء فبكت، فقلت لها: إنا من بين نسائه، خصك رسول الله (ص) من بيننا بالسرار وأنتِ تبكين؟ ثم سارها بشيء فضحكت، قالت: فقلت لها: أقسمت عليك بحقي، أو بما لي عليك من الحق لما أخبرتني؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله (ص) سره. قالت: فلما توفي النبي (ص) سألتها. فقالت: أما الآن فنعم، أما بكائي: فإن رسول الله (ص) قال لي: "إن جبريل (ع) كان يعرض عليّ القرآن كل عام مرة فعرضه عليّ العام مرتين، ولا أرى إلا أجلي قد أقترب " فبكيت، فقال لي: " اتقي الله واصبري فإني أنا لكِ نعم السلف" ثم قال: "يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء الأمة! فضحكت"[3]. إلا أن من يستقرأ الأحداث التي تلت وفاة النبي (ص) يستبعد أن تكون عائشة هي التي سألت السيدة فاطمة (ع). وفي روايات أخرى بنفس المضمون مع بعض الاختلاف إذ تذكر فيها السيدة فاطمة (ع) إن سبب فرحها هو إنها أول أهل بيته لحوقاً به، كما سنبينه. وعن عائشة روت نفس الرواية السابقة إلا إنها روت عن السيدة فاطمة (ع) قولها: إن النبي (ص) قال لها: يا فاطمة أما ترضين إن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة[4]، وقوله (ص): إن فاطمة أبنتي سيدة نساء أمتي[5].

ثانياً – سيادتها على النساء يوم القيامة: روي إن النبي (ص) قال لأصحابه: "إن فاطمة وجِعة". فقال القوم: لو عدناها، فقام ومشى حتى انتهى إلى الباب، ... فقال القوم: تالله بنت نبينا (ص) على هذا الحال؟ قال: فالتفت فقال: أما إنها سيدة النساء يوم القيامة[6].

---

(١) الطبرسي: مجمع البيان: ١٠/٦٥. وانظر: السيوطي: الدر المنثور: ٢/٢٣.

(٢) القندوزي: ينابيع المودة: ٢/٣٢٢.

(٣) الطيالسي: المسند: ص١٩٦ – ١٩٧. مسلم: الصحيح: ٧/١٤٢ – ١٤٣. ابن البطريق: العمدة: ص٣٨٦.

(٤) البخاري: صحيح ٧/١٤٢، مسلم: صحيح ٧/١٤٣.

(٥) النسائي: خصائص أمير المؤمنين (ع) ص ١١٨، العلامة الحلي: كشف اليقين ص٣٠٥.

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء: ٢/٤٢.

ثالثاً – في إنها سيدة نساء أهل الجنة: فعن حذيفة بن اليمان قال: قال (ص): "نزل ملك من السماء فاستئذن الله تعالى أن يسلم علي لم ينزل قبلها فبشرني: إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة"[١]، وروى سلمان إن النبي (ص) قال للسيدة فاطمة (ع) في مرضه الذي توفي فيه: "... إن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض إطلاعة فاختارني من خلقه فجعلني نبياً، ثم أطلع إلى الأرض إطلاعة ثانياً فاختار منها زوجك وأوحى إلي إن أزوجك إياه واتخذه ولياً ووزيراً وإن اجعله خليفتي في أمتي...ثم أطلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولديكِ، فأنتِ سيدة نساء أهل الجنة، وابناك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة..."[٢].

وسئل الإمام الصادق عن "قول رسول الله (ص): فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، أسيدة نساء عالمها؟ قال (ع): ذاك مريم، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين"[٣]. وعن أمير المؤمنين (ع) إن النبي (ص) قال للسيدة فاطمة (ع): "إلا ترضين إن تكوني سيدة نساء أهل الجنة وابناك سيدي شباب أهل الجنة"[٤]. وفي لفظ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نساؤهم"[٥].

رابعاً – سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين: عن ابن عباس، قيل: يا رسول الله أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم بنت عمران، أما ابنتي فاطمة، فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين"[٦]. وعن ابن عباس أيضاً في حديث طويل للنبي (ص) في فضائل أهل بيته (ع) ومنهم السيدة فاطمة (ع): "... وإنها لسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك على نساء العالمين..."[٧].

وفي جوابه عن سبب تسمية السيدة فاطمة (ع) محدثة؟ قال الإمام الصادق (ع): لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله جعلك سيدة نساء عالمك

---

(١) الحاكم: المستدرك ١٥١/٣. المفيد: الأمالي: ص٢٣. الخوارزمي: مقتل الحسين: ٩٤/١.

(٢) الصدوق: آكمال الدين ص ٢٦٣. البحراني: حلية الأبرار ٤٠٠/٢.

(٣) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ١٠٥/٢، المجلسي: بحار الأنوار ٣٧/٤٣.

(٤) الطوسي: الأمالي ص ٢٤٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق ١١٣/٧٠، الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٠١/٩. المتقي الهندي: كنز العمال ٦٧٤/١٣-٦٧٥.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار ٢٤/٤٣.

(٧) ابن الفتال: روضة الواعظين ص ١٤٩، عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى ص ٢٧٤.

وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين"[١]. وروي أن النبي (ص) قال: وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وهي بضعة مني، ..."[٢]. وأوصى النبي (ص) أمير المؤمنين (ع): "... يا علي إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم أطلع ثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي... ثم أطلع رابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين"[٣]. وعن النبي (ص) في حديث له عن أمير المؤمنين (ع): "... هو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين..."[٤]. ويروى إنه (ص) عادها في مرضها فلما سألها: "كيف تجدينك يا بنية؟ قالت: إني وجعة، وإني ليزيدني إنه ما لي طعام آكله، قال: يا بنية أما ترضين إنك سيدة نساء العالمين فقالت: يا أبتِ فأين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء العالمين، أما والله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة"[٥].

وروت عائشة وغيرها عن النبي (ص) إنه قال: "يا فاطمة أبشري فإن الله تعالى اصطفاك على نساء العالمين وعلى نساء الإسلام وهو خير دين"[٦].

خامساً – خير نساء الأمة: فقد قال النبي (ص): خير نسائكم فاطمة[٧].

نلاحظ إن أحاديث القسم الأول اختصت ببيان التفضيل الإجمالي الذي شمل أربع نسوة هن سيدات نساء العالمين أو الجنة، ومن بينهن السيدة فاطمة (ع). ومما يلاحظ على هذه الأحاديث:

١ - إن أغلب الأحاديث لا تتقيد في الترتيب بين أولئك السيدات في مقام الأفضلية، ولعل ذلك يدل على اختصاص كل واحدة منهن بالسيادة على عالمها وعصرها، ومما يؤيد ذلك إن النبي أشار إلى هذا المفهوم بقوله: "خديجة خير نساء عالمها، ومريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها"[٨]. فهل إن الاختلاف في الترتيب يرجع لاضطراب الرواة في النقل.

٢ - أما الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري وهو – الأخير – فيلاحظ إنه راعى ترتيب الأزمنة فعصر آسية سابق لمريم ومن ثم خديجة ثم فاطمة (ع) فهو لم يراعي الأفضلية.

---

(١) الطبري: دلائل الإمامة ص ٨١، ١٥٢، المجلسي: بحار الأنوار ٢٠٦/١٤.

(٢) الصدوق: الأمالي ص ١٧٥، عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى ص٣٠٦.

(٣) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٢٧٤/٤، الخصال ص ٢٠٧، الطبرسي: مكارم الأخلاق ص ٤٤٤.

(٤) الصدوق: الأمالي ص ٧٨، كمال الدين ص ٢٥٧.

(٥) ابن شاهين: فضائل سيدة النساء ص٢٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٣٤/٤٢، الذهبي: سير ١٢٦/٢، الزرندي: نظم ١٧٩.

(٦) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ١٠٥/٣، المجلسي: بحار الأنوار ٣٦/٤٣.

(٧) الخطيب: تاريخ بغداد: ١٥٧/٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٦٧/١٤. ابن جبر: نهج الإيمان: ص٥٥٩. البياضي: الصراط المستقيم: ٦٩/٢. المتقي: كنز العمال: ١٠٢/١٢.

(٨) السيوطي: الجامع الصغير: ٥٩٩/١، المتقي الهندي: كنز العمال ١٣٠/١٢.

٣- تميز أحد الأحاديث في هذه المجموعة بأنه جاء بإضافة مهمة تفيد تحديد الأفضل بين سيدات النساء، إذ ورد فيه: "وأفضلهن عالماً فاطمة". وفي هذا دليل واضح على أفضلية السيدة فاطمة (ع) لأنها سيدة أفضل العوالم، مضافاً إلى أدلة تفضيلها الأخرى.

أما أحاديث القسم الثاني فيمكن تسجيل الملاحظات التالية عليها:

أولاً: إن في هذه الأحاديث دلالة واضحة على أفضلية السيدة فاطمة (ع) وسيادتها على جميع النساء سواء اللاتي في عصرها كما دل الحديث: بأنها "سيدة نساء أمتي" وهذا طبعاً يشمل جميع النساء بما فيها أمها السيدة خديجة وباقي زوجات النبي (ص)، خاصة وإن مناسبة قول الحديث إنما جاءت في مرض النبي (ص) الأخير، فحتى لو قيل بوجود أحاديث مخالفة تشير بأفضلية غيرها عليها فهذا الأمر كاف لردها. أما سيادتها على باقي النساء في جميع العصور فقد دلت عليهم الأحاديث القائلة بأنها: "سيدة نساء القيامة"، "سيدة نساء المؤمنين"، "سيدة نساء العالمين"، "سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين"، "سيدة نساء الجنة"، ونختص هذا الأخير بتعليق طرحه أحد الباحثين بقوله: "إن السيادة في الجنة يتبع مقام السيادة والقرب من الله في الدنيا، وهذا ما تقتضيه مناسبة قدوم ملك من السماء لإتحاف النبي (ص) بهذه البشارة"[1].

ثانياً: ومما يعضد أمر تفضيلها المطلق، إننا نلاحظ اختصاص السيدة فاطمة (ع) بهذه الأحاديث التي تنفرد فيها لوحدها دون مشاركة أي أحد كما هو واضح. وهنا يمكن القول إن سيدات النساء الثلاث الأخريات اختصت سيادتهن كل واحدة منهن بعصرها، كما أوضحته أحاديث القسم الأول.

ثالثاً: ومما يلفت النظر أيضاً إن هذه الأحاديث قد جاءت في وقت متقدم، أي إن أحاديث القسم الأول تبدو سابقة لها بفترة والدليل على ذلك ما طرحته السيدة فاطمة (ع) من أسئلة عن سيادة الباقيات لما اعلمها النبي (ص)، وكذلك الملائكة بسيادتها المطلقة دون ذكر السيدات الأخريات معها، كما توضحه النصوص التالية:

١- روى عمران بن حصين إن النبي قال لها لما عادها ذات مرة في مرضها: "إنك سيدة نساء أهل الجنة". فقالت: وأين آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران؟ فقال: "آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك..."[2].

ومما يلاحظ على هذه الرواية:

(أ) إن النبي (ص) في إشارته الأولى خص سيادتها بنساء أهل الجنة بينما في جوابه لها تحدث عن السيادة للعوالم التي يظهر إنها الدنيوية؟! وعليه أما إن يكون التصحيف

---

(١) الهاشمي: حوار مع فضل الله حول فاطمة الزهراء: ص٦٨.

(٢) العلامة الحلي: العدد القوية ص٢٢٦.

حدث من الرواة لأن في روايات أخرى يرويها عمران بن حصين أيضاً تحمل نفس تفاصيل القصة أعلاه إلا إنه ذكر "العالمين" بدلا من "أهل الجنة". أو يمكن القول بما قاله أحد الباحثين أعلاه: "بأن السيادة في الجنة تتبع مقام السيادة في الدنيا"، فلا ضير مع هذا الاختلاف، ثم إنهن كلهن من سادات الجنة كما صرحت بذلك أحاديث القسم الأول، وإنما جاء التخصيص والإفراد في هذا الحديث لفاطمة كدليل على أفضليتها عليهن.

(ب) إن السيدة فاطمة (ع) لم تذكر في سؤالها عن أمها السيدة خديجة (ع)؟! رغم إن النبي (ص) ذكرها في جوابه، وعليه يمكن القول ربما يكون أسم السيدة خديجة سقط من الرواية، إذ وروده في جواب النبي (ص) يعد دليلاً على وجوده في الأصل! أو إنه تأكيد من النبي (ص) بسيادتها حتى على أمها رغم كونهما في خير أمة معاً.

٢ ـ روى عمران بن حصين إن النبي (ص) قال لها عندما جاءها يعودها يا بنية أما ترضين إنك "سيدة نساء العالمين". فقالت: "يا أبه فأين مريم ابنة عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها، وانت سيدة نساء عالمك، أما والله زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة"[1].

ولعل ذكر زواجها بأمير المؤمنين (ع) في هذا الحديث إنما هو إشارة لحديث الكفؤ الذي استدل به قسم من العلماء على أفضليتها[2]، إذ إشارة النبي (ص) واضحة وهو يتحدث عن تزويجها بالإمام الذي نعته بأنه "سيداً في الدنيا ولآخرة".

٣ ـ وفي حديث للنبي (ص) عن فضائل السيدة فاطمة (ع)، قال: "... وإنها لسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين..

٤ ـ وعن الإمام الصادق (ع) إنه قال: إنما سميت فاطمة (ع) محدثة، إن الملائكة كانت تهبط من السماء، فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: "يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين". فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: "إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين"[3].

---

(١) ابن شاهين: فضائل سيدة النساء ص ٢٥، المحب الطبري: ذخائر العقبى ص ٤٣.

(٢) انظر الهاشمي: حوار مع فضل الله حول الزهراء: ص٨٧ ـ ٩٤.

(٣) الطبري الصغير: دلائل الإمامة ص ١٥٢، الحسيني: تأويل الآيات ١١١/١، المشهدي: كنز الدقائق ٨٤/٢.

ويلاحظ في الروايات الأربعة الأخيرة إن تساؤل السيدة فاطمة (ع) يدور حول مقام السيدة مريم (ع)؟ وهنا يمكن القول:

١ - لعل تشابه خطاب الملائكة لها مع الخطاب الموجه للسيدة مريم (ع) في القرآن جعلها تخصها بالذكر.

٢ - أو إن السبب يعود لكون النبي (ص) كان قد شبهها بالسيدة مريم في عدة أحاديث نذكر منها قوله (ص) موصياً بها أمير المؤمنين (ع): "يا علي، هذه وديعة الله ورسوله،...، هذه والله مريم الكبرى"[١]. وقوله (ص) لها: "أما ترضين إن تكوني سيدة نساء هذه الأمة كما كانت مريم بنت عمران، سيدة نساء بني إسرائيل"[٢]. ويلاحظ على هذين الحديثين:

١ - لعل فيه جانب من التشابه في بعض المقامات بين السيدة فاطمة (ع) والسيدة مريم، من حيث سيادة كل واحدة منهما على قومها، أو من حيث مقامات أخرى[٣].

٢ - إن في الحديث الثاني تصريح واضح من النبي (ص) باقتصار سيادة مريم (ع) على بني إسرائيل، وفي هذا مجال للقول كما هو متفق عليه: إن أمة محمد خير الأمم وهي أفضل من بني إسرائيل وقد سادت على أفضل الأمم السيدة فاطمة (ع).

رابعاً: إن بعض أحاديث هذا القسم كانت مَناسبة إطلاقها في مرض النبي (ص) الذي توفي فيه، وفي هذا دليل أيضاً على تقدمها.

خامساً: فيما يخص قول النبي (ص) باصطفائها على نساء الإسلام وذيل حديثه قائلاً: "إنه خير دين"، إنما فيه دليل يضاف لأدلة إنفرادها بالأفضلية المطلقة.

ولا يفوتنا الإشارة إلى إن هناك مجموعة من الأحاديث التي جاءت لتجعل السيدة فاطمة(ع) في الرتبة الثانية من حيث المقام، أو في المنزلة الأخيرة بين سادات النساء الأربع، بل إن بعضها يسلبها مقام السيادة ويفضل غيرها عليها. كالقول المنسوب للنبي (ص) بأنها "سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران"[٤].

أما الأحاديث التي تجعلها في المرتبة الثانية أو الأخيرة كحديث. سيدة نساء أهل الجنة مريم، ثم فاطمة بنت محمد، ثم آسية امرأة فرعون[٥]. وحديث: فاطمة سيدة نساء العالمين بعد مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد[٦]. أما التي تبعد السيدة فاطمة (ع) عن مقام السيادة فحديث "فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء

---

(١) البياضي: الصراط المستقيم ٩٢/٢. المجلسي: بحار الأنوار ٤٨٤/٢٢.

(٢) القندوزي: ينابيع المودة ٣٢٢/٢.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: سند: مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة: ص٤١ - ٩١.

(٤) الحاكم: المستدرك ١٥٤/٣، ٤/٤٤، ابن حجر: فتح الباري ٣٢١/٦، ٨٢/٧.

(٥) الطبراني: المعجم الكبير ٧/٢٣، المزي: تهذيب الكمال ٢٤٩/٣٥، الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٢٣/٩.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٥٢٧/٧، السيوطي: الدر المنثور: ٢٣/٢. المتقي الهندي: كنز العمال ١١٠/١٢.

العالمين"[١]، وحديث: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام"[٢]. فأما ما يخص مسألة المقايسة بين السيدة فاطمة (ع) والسيدة مريم، فقد تناولها العلماء بالدراسة وتوصلوا بالأدلة إلى أفضلية السيدة فاطمة (ع)، ومنهم المقريزي والسيوطي والخضري[٣] والآلوسي[٤] والنبهاني[٥] واحمد زيني دحلان[٦] والطباطبائي[٧] وغيرهم. كما وقد مر بنا وضوح تفضيلها على مريم (ع) من خلال أحاديث النبي (ص). ومما تجدر الإشارة إليه إنه قد يطرح الأشكال التالي: إن القول بتفضيل السيدة فاطمة (ع) على نساء العالمين بما في ذلك مريم (ع) قد يتنافى مع ظهور وشمول الآية في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾(آل عمران/٤٢).

وقد أجاب على هذه الشبهة أحد الباحثين[٨] مستعرضاً أدلته قائلاً: "والجواب عن هذه الشبهة هو إن المسلم إن الآيات القرآنية قابلة للتخصيص والتقييد، سواء بالقرآن أو بالسنة، ومن المسلّم أيضاً إن ما دل من الأحاديث القطعية على إن فاطمة (ع) هي سيدة نساء العالمين يعارض شمول الآية وظاهرها، ولكن الأحاديث التي تدل على إن فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإن مريم (ع) هي سيدة نساء عالمها، تصلح لتقييد شمول الآية، وبالتالي ارتفاع التعارض الموهوم. ثم استعرض أقوال المفسرين: ـ قال القرطبي في تفسير قوله: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾: "يعني عالمي زمانها، عن الحسن وابن جريج وغيرهما، وقيل، على نساء العالمين أجمع إلى يوم الصور، وهو الصحيح على ما نبينه، وهو قول الزجاج وغيره"[٩]. أما ابن كثير فقد أورد المعنى السابق على نحو الاحتمال، فقال في تفسير الآية: "ويحتمل إن يكون المراد من عالمي زمانها، كقوله لموسى: ﴿اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (الأعراف/١٤٤) وكقوله عن بني إسرائيل: ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾، (الدخان/٣٢)، ومعلوم إن إبراهيم (ع) أفضل من موسى، وإن محمدا (ص) أفضل منهما، وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها وأكثرها عددا، وأفضل علما، وأزكى عملا

---

(١) الطبري: جامع البيان ٢٥٩/٣، الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٢٣/٩، ابن حجر: فتح الباري ١٠١/٧.

(٢) ابن حنبل: المسند ٢٩٤/٤، البخاري: صحيح ١٣١/٤، ٢٠٥/٦، مسلم: صحيح ١٣٣/٧.

(٣) الصالحي الشامي: سبل الهدى: ١٦١/١١ — ١٦٢.

(٤) روح المعاني: ٢٠٦/٣ ـ ٢٠٧.

(٥) شرف الدين الموسوي: الكلمة الغراء: ص٨٧.

(٦) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية: ٧/٢. نقلاً عن الطبسي: حياة الصديقة فاطمة: ص٦٦.

(٧) تفسير الميزان: ١٨٩/٣.

(٨) الهاشمي: حوار مع فضل الله حول فاطمة الزهراء، ص٧٣ — ٧٦.

(٩) الجامع لأحكام القرآن: ٨٢/٤.

من بني إسرائيل وغيرهم. ويحتمل إن يكون قوله: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ محفوظ العموم فتكون أفضل نساء الدنيا..."[١]. أما الزمخشري: فقد ذهب إلى رأي آخر حول المقصود من كلمة العالمين، إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (البقرة/٤٧): "أي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين، على الجمع الغفير من الناس، كقوله تعالى: ﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء/٧١)، يقال: رأيت عالماً من الناس، يراد الكثرة"[٢]. وقال الشيخ الطوسي: "وقوله: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يحتمل وجهين: قال الحسن وابن جريج: على عالمي زمانها، وهو قول أبي جعفر (ع)...، الثاني: ما قاله الزجاج واختاره الجبائي: إن معناه اختارك على نساء العالمين بحال جليلة من ولادة المسيح (ع)"[٣]. وحول الوجه الثاني الذي اختاره الجبائي قال ابن كثير: "يذكر تعالى إن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها، واختارها لإيجاد ولد منها من غير أب بأن يكون نبياً شريفاً..."[٤]. وقال الفيض الكاشاني: "كلموها شفاها لأنها كانت محدثة تحدثهم ويحدثونها قبل الاصطفاء الأول، تقبلها من أمها ولم يتقبل قبلها أنثى، وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء، والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير آب، وتبرئتها عما قذفته اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين"[٥].

وقال محمد جواد البلاغي: "قد ذكرنا معنى الاصطفاء، وإن جهة الاصطفاء تعرف وتؤخذ من قرائن المقام، فالمعنى إذن اصطفاك بان تقبلك من نذر أمك في تحريرك لله... ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وقدمك عليهن بالولادة من غير فحل، هذا غاية ما يدل عليه المقام والقرائن من جهتي الاصطفائين، وقد كرر ذكر الاصطفاء لأجل اختلاف الوجهة فيه. وليس في اللفظ وقرائن المقام دلالة على سيادتها على نساء العالمين. نعم ثبت لها السيادة على نساء عالمها من السنة، واستفاض بل تواتر من حديث الفريقين عن الرسول الأكرم (ص) إن السيدة فاطمة (ع) سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء الجنة"[٦]

وقال الطباطبائي: "قد تقدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ إلى قوله ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ إن الاصطفاء المتعدي بعلى يفيد معنى التقدم، وإنه غير الاصطفاء المطلق الذي يفيد التسليم، وعلى هذا فاصطفاؤها على نساء العالمين تقدم لها عليهن. وهل هذا التقدم من جميع الجهات

---

(١) قصص الأنبياء: ٣٧٥/٢.
(٢) الكشاف: ٢٧٨/١: نقلاً عن الهاشمي: حوار مع فضل الله حول الزهراء: ص٧٤.
(٣) تفسير التبيان: ٤٥٦/٢.
(٤) قصص الأنبياء: ٣٧٤/٢.
(٥) تفسير الصافي: ٣٣٥/١.
(٦) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ٢٨٣/١، نقلاً عن الهاشمي: حوار ص ٧٤.

أو بعضها؟ ظاهر قوله تعالى فيما بعد الآية ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم/١٢) حيث لم تشتمل ما تختص بها من بين النساء إلا على شأنها العجيب في ولادة المسيح (ع) إن هذا هو وجه اصطفائها وتقدمها على النساء من العالمين"[2]. ثم يعلق الباحث: ويدل على ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي من إن اصطفاء مريم على باقي النساء إنما كان للجهة التي ذكرها لا من جميع الجهات، ما رواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بسند صحيح عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) قال: "...، وقوله ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال (ع): اصطفاها مرتين، أما الأولى أي اختارها، وأما الثانية فإنها حملت من غير فحلٍ، فاصطفاها بذلك على نساء العالمين"[3]. فالرواية صريحة في إن اصطفاء مريم على نساء العالمين إنما كان من جهة الحمل من غير فحل، ولم يكن اصطفاء مطلقاً، ويؤيده أيضاً ما جاء في تحف العقول عما رواه الإمام الكاظم (ع) في حوار بينه وبين هارون الرشيد[4]. ثم يخلص إلى القول: وبناء على ما نقلناه من أقوال المفسرين، فإنه يمكن الجواب على الشبهة بأحد الوجوه التالية:

الأول: إن المراد من العالمين هو الجم الغفير من الناس لا كلهم كما ذكره الزمخشري، فيرتفع التعارض: إذ لا منافاة بين سيادة مريم على كثير من النساء وهم من يكونون في زمن حياتها، وبين سيادة فاطمة الزهراء على النساء اللائي لم يعشن زمن مريم(ع)، بل وحتى اللائي عشن زمن مريم مع تعميم زمان السيادة أيضاً.

الثاني: إن تقدم مريم (ع) على بقية النساء في العالم كان من جهة الشأن العجيب في ولادة المسيح (ع) كما ذهب إليه الجبائي والطباطبائي وفيه رواية صحيحة في تفسير القمي.

الثالث: تحديد النساء اللائي فُضلت مريم عليهن بنساء زمانها. وتفضيل السيدة فاطمة(ع) على جميع الأزمنة بما في ذلك النساء في زمن مريم (ع)، وبمريم أيضاً، وقد نطقت بهذا مجموعة من الروايات. وليس في هذا الوجه الأخير أي غرابة فقد استخدمه المفسرون، في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة البقرة ٤٧، ١٢٢).

---

(١) الأنبياء: (٩١).

(٢) تفسير الميزان: ١٨٩/٣.

(٣) تفسير القمي: ١٠٢/١.

(٤) الهاشمي: حوار مع فضل الله ص٢٩٧.

قال الطوسي: "قال أكثر المفسرين: إنه أراد الخصوص، ومعناه عالمي زمانهم، ذهب إليه قتادة والحسن وأبو الغالية ومجاهد وغيرهم، وقال بعضهم: إذا قلت: فضل زيد على عمرو في الشجاعة لم يدل على إنه أفضل منه على الإطلاق، ولا في جميع الخصال، فعلى هذا يكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين، وأمة نبينا محمد (ص) أفضل من أولئك بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، (آل عمران/١١٠) وعليه إجماع الأمة: لأنهم اجمعوا على إن أمة محمد (ص) أفضل من سائر الأمم، كما إن محمداً (ص) أفضل الأنبياء من ولد آدم"[١].

أما فيما يتعلق بالأحاديث التي سلبت السيدة فاطمة (ع) أفضليتها المطلقة على النساء، ونوهت بتفضيل غيرها عليها، فهي أحاديث تبدو شاذة وموضوعة وهي لا تصمد أمام المستفيض من الأحاديث القائلة بتفضيل السيدة فاطمة (ع) على العالمين فكيف بنساء زمانها؟ ومما يلاحظ على تلك الأحاديث:

أ – إن الحديث الأول يعطي سيادة أمة الإسلام للسيدة خديجة (ع) والسيدة مريم على نساء العالمين. وهنا يمكن القول:

١- إنه لا شك في سيادة السيدة خديجة (ع) على نساء عالمها وقد مر بنا كونها إحدى النسوة الأربع المخصوصات بالسيادة، لكن أفضليتها وسيادتها لا تتجاوز مقام أفضلية ابنتها عليها، وقد مر بنا اختصاص السيدة فاطمة (ع) وإنفرادها على نساء الأمة والمؤمنين، ولم نجد الرسول (ص) يستثني أحداً حتى أمها. وإن حديثه جاء في آخر حياته، بل في مرضه الأخير.

٢- هناك مجموعة من العلماء قالوا بأفضلية السيدة فاطمة (ع) على أمها كالسبكي، والبلقيني، والخضري، وابن حجر، والسيوطي، والزركشي، والمناوي[٢]، وغيرهم.

ب – أما الحديث الثاني الذي يقول: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام".

فلنا وقفة مع رواياته التي سنستعرضها الآن ومن ثم نقوم بدراستها:

١- **الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ)**: "حدثنا يونس قال حدثنا أبو داود قال: حدثنا شعبة قال حدثنا عمرو بن مرة سمع من يحدث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله (ص): كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[٣].

---

(١) تفسير التبيان: ١/ ٢١٠.

(٢) الصالحي: سبل الهدى ١٠/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ١١/ ١٦١ ـ ١٦٣، المناوي: فيض القدير: ٤/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦.

(٣) المسند: ص٦٨. وانظر: ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٥٢٧. ابن حنبل: المسند: ٤/ ٣٩٤، ٤/ ٤٠٩. عبد بن حميد: المنتخب: ص١٩٨. البخاري: الصحيح: ٤/ ٢٢٠، ١٣١ – ١٣٢، ١٣٩، ٦/ ٢٠٥. مسلم: الصحيح: ٧/ ١٣٣. ابن ماجة: السنن: ٢/ ١٠٩١. الترمذي: السنن: ٣/ ١٧٩ – ١٨٠. ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٥/ ٣٩٣. أبو يعلى: المسند: ١٢/ ١١٩– ٢٢٠. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٣/ ٤١ – ٤٢. وأضاف ابن عساكر في سند الحديث أبو قلابة. تاريخ دمشق: ٧٠/ ١١٦.

٢- **ابن سعد (ت ٢٣٠):** "عن الحارث بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن عائشة قالت: قال لي رسول الله (ص) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد عن الطعام"[١].

٣- **ابن حبان (ت ٣٥٤):** "أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا بن أبي ذئب عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص): فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[٢].

٤- **الطبراني (ت ٣٦٠):** "ثنا محمد بن عيسى الطباع، ثنا أبو سفيان المعمري ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال، قال رسول الله (ص) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[٣].

- "ثنا علي بن محمد المدائني عن بن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه: قال رسول الله (ص) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[٤].

٥- **عبد الله بن حبان (ت ٣٦٩):** قال: "أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن جميل قال ثنا إسحاق بن الفيض قال ثنا سلمة بن حفص السعدي قال: ثنا عبد الله بن عثمان السعدي عن يوسف الصباغ عن إنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام"[٥].

٦- **الدار قطني: (ت ٣٨٥ هـ):** قال: "سمعت أبا محمد الحسن بن علي بن عمرو القطان يقول أباء بن جعفر أبو سعيد البخارمي يضع الحديث كذاب على رسول الله (ص) ومما تبين أمره إنه حدث بنسخة كتبناها عنه نحو المائة حديث عن شيخ له مجهول زعم إن أسمه أحمد بن سعيد بن عمر الثقفي المطوعي عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن إنس بن مالك فيها متون تعرف بغير هذا الإسناد عن النبي (ص) وفيها مناكير لا تعرف، ومما أعرف منها إن رسول الله (ص) قال: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام"[٦].

---

(١) الطبقات الكبرى: /٧٩، ورواه انس أيضاً: الطبقات الكبرى: ٧٩/٨. بن أبي شيبة: المصنف: ٥٢٩/٧. ابن راهويه: المسند: ٢١/٢. ابن حنبل: المسند: ١٥٦/٣، ٢٦٤. الدار مي: السنن: ١٠٦/٢. البخاري: الصحيح: ٢٢٠/٤، ٢٠٧/٦. مسلم: الصحيح: ١٣٨/٧. ابن ماجة: السنن: ١٠٩٢/٢. الترمذي: السنن: ٣٦٥/٥. ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ٣٩٤/٥. النسائي: السنن: ١٦١/٤. أبو يعلى: المسند: ٢٤٥/٦ – ٢٤٦. الطبراني المعجم الأوسط: ٣٦٩/٢، المعجم الكبير: ٤٢/٢٣ – ٤٣.

(٢) الصحيح: ٥٠/١٦ – ٥٢. وروى – الخبر الثالث – أيضاً: الطبراني: المعجم الكبير: ٤٢/٢٣.

(٣) المعجم الكبير: ٤٢/٢٣. المعجم الأوسط: ٣٦٩/٢، المعجم الصغير: ٩٤/١. ورواه الحاكم وعلق قائلاً (لم نكتبه إلا عنه) المستدرك: ٥٨٧/٣، وانظر: السيوطي: الديباج: ٤٠١/٥.

(٤) المعجم الكبير: ٤٢/٢٣. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢٤٣/٩.

(٥) طبقات المحدثين بأصبهان: ٢٨٥/٢ – ٢٨٦.

(٦) سؤالات حمزة: ص١٧٦ – ١٧٧.

٧- **الهيثمي (ت ٨٠٧)**: "وعن مصعب بن سعد عن سعد إن شاء الله عن النبي (ص) قال: إن عائشة تفضل على النساء كما يفضل الثريد على سائر الطعام"[1].

والآن نسجل على الأحاديث أعلاه سلسلة من الحيثيات من خلال دلالات وطرق إسناده:

أ ـ ملاحظات على المتن: يتناول الحديث مسألة أكمل النساء وأفضلهن ومما يلاحظ عليه:

١- إن هناك من الأحاديث قد أشار في البدء إلى إن أكمل النساء السيدة مريم والسيدة آسية بنت مزاحم، ومن ثم يأتي بعده ما يشير بأفضلية عائشة على النساء وشبهه بفضل الثريد على الطعام. بينما أحاديث أخرى لم تذكر الشطر الأول الذي يتحدث عن أكمل النساء بل اكتفت بالإشارة إلى الشطر الثاني الخاص بأفضلية عائشة!

٢- فيما يخص القسم الأول من الحديث (لم يكمل من النساء إلا مريم وآسية)، لابد من التوقف عنده وطرح ما يأتي:

أ – إن لهذا الحديث ما جاء بنفس لفظه عن النبي (ص) وعن نفس الراوي عن النبي (ص) لكنه رواه كالآتي: عن أبي موسى الأشعري، عن النبي(ص): "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (ص)"[2]. فهل هذا يعني إن هناك من تعمد بتر الحديث وألحق تلك الإضافة الخاصة بتفضيل عائشة؟!! ولماذا؟ ومن المسؤول عن هذا التحريف؟ وما الفائدة المترتبة على رفع الجزء الخاص بتفضيل فاطمة وأمها (ع) واستبداله بـ (عائشة)!! ولعل توقفنا مع رجال السند سيوصلنا إلى إجابات مقبولة لهذه الأسئلة.

ب – يبدو الحديث الذي يشير بأفضلية النساء الأربع الذي أشرنا إليه أعلاه – مقبولاً من ناحيتين: **الأولى**: وجود أحاديث كثيرة مستفيضة تتشابه في الألفاظ والدلائل وقد أشرنا إليها. **الثانية**: من ناحية تناسق ألفاظ الحديث نفسه ووضوح معناه. على العكس من الحديث المقطوع والمضاف إليه ما يشير بأفضلية عائشة، إذ يلاحظ عدم وجود ترابط في المعنى بين الشطر الأول من الحديث الذي يتحدث عن مريم وآسية! وبين الإضافة الخاصة بعائشة؟!

جـ – إن ابن كثير قد تلاعب بالحديث فيما يوافق هواه: فنراه يضيف السيدة خديجة (ع) إلى الحديث؛ ويرفع أسم السيدة فاطمة (ع) ومن ثم يُلصق حديث تفضيل عائشة[3].

---

(١) مجمع الزوائد: ٩/٢٤٣.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان: ١٠/٦٥.

(٣) قصص الأنبياء: ٢/٢٧٩.

وهذا مما يزيد الأمر وضوحاً في تعمده فعل ذلك، وهذا مما لا يستغرب منه فهو المشهور بعدائه لآل محمد وتعمد كتم فضائلهم وتحريفها والتشكيك فيها [(١)].

٣- أما فيما يخص الشطر الثاني من الحديث الذي ورد تارة ملصقاً بالحديث المبتور أعلاه، وأخرى منفرداً بحديث منسوب للنبي (ص)، ومما يلاحظ على هذا الحديث: ـ

- علق بعضهم على سبب تشبيه فضل عائشة بفضل الثريد: فقال المناوي: "... لما في الثريد من نفعه وسهولة مساغه وتيسر تناوله وبلوغ الكفاية منه بسرعة اللذة والقوة وقلة المئونة في المضغ فشبهت به لما أعطيت من حسن الخلق وعذوبة المنطق وجودة الذهن ورزانة الرأي ورصانة العقل والتحبب إلى البعل"[(٢)]. أما المباركفوري فقال: "الثريد بفتح المثلثة وكسر الياء – معروف وهو إن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم، من أمثالهم: الثريد أحد اللحمين – وربما أكله أنفع وأقوى من نفس اللحم النضيج إذا ثرد بمرقته. قال التوربشتي: قيل إنما مثل الثريد، لأنه أفضل طعام العرب. ولا يرون في الشبع أغنى غناء منه، وقيل إنهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم. وروي: سيد الطعام اللحم، فكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الأطعمة، والسر فيه إن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المئونة في المضغ وسرعة المرور في المريء فضرب به مثلاً ليؤذن بأنها أعطيت من حسن الخلق والخُلق وحلاوة النطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل، والتحبب إلى البعل، فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها، والإصغاء إليها، وحسبك إنها عقلت عن النبي (ص) ما لم تعقل غيرها من النساء، وروت ما لم يرو مثلها من الرجال"[(٣)].

وهنا يمكن القول:

(١) إن هذا الحديث ظاهر الوضع بين الاختلاق والحزازة، إذ لا يحسن نسبة هذا التشبيه الواهي إلى من أوتي جوامع الكلم، وكان أفصح من نطق بالضاد (صلوات الله وسلامه عليه وآله). وكيف لا يجزم بكذبه وبطلانه من عرف طريقة النبي (ص) في لطف كلامه وحسن بيانه وبديع تشبيهاته؟!! وأين هو من قول النبي (ص): "فاطمة سيدة نساء العالمين؟!"[(٤)].

(٢) ألم يجد الرسول (ص) شيئاً يفضل به عائشة على غيرها سوى الطعام.. ؟ هل كان الرسول أكولاً وعاشقاً للطعام إلى الحد الذي يضرب به المثل؟!![(٥)].

---

(١) كتشكيكه في إيمان أبي طالب وفي أحاديث الغدير والطائر، وغيرها من فضائل أهل البيت (ع).

(٢) فيض القدير ٢/٥٨٥.

(٣) تحفة الاحوذي ١٠/٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٤) الشيرازي: الأرائج المسكية في تفضيل البضعة الزكية: ص ٢٣ ـ ٢٤، نقلاً عن ابن المظفر: دلائل الصدق: ٢/٢٦٨.

(٥) الورداني: السيف والسياسة: ص٣٥.

(٣) هل يمكن القول بأفضلية الثريد على كل الأطعمة؟!! أليس ذلك متعلق بذوق كل فرد ورغبته وان قيل انه طعام العرب المفضل؟! لكن هل بقى كذلك في العصور اللاحقة، خاصة بعد تعدد ملذات الطعام والتفنن فيها؟! أم انه خاص فقط بعصر إطلاق الحديث؟! وهل تتقيد أفضلية عائشة فقط بذاك العصر؟! ولابد من الإشارة إلى أن المباركفوري نفسه الذي علل سبب التشبيه بالثريد قد علق في موضع آخر قائلاً: "وكان أجلّ أطعمتهم يومئذ وكل هذه الخصال – يقصد التي عددها فيه – لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى"[١].

(٤) ومما يمكن قوله على ما أثاره البعض – أعلاه – في محاولة لتعليل سبب التشبيه؛ والصفات التي قالوا بتوفرها فيها مما دعا النبي (ص) لتفضيلها! وهنا نتساءل عن سيرتها مع النبي (ص) وكيف كانت؟!! هل ارتقت إلى المستوى الذي وصفوه بحسن التبعل وحسن الخلق؟! إذن كيف يمكن تفسير كل تلك المواقف لها مع النبي (ص) وزوجاته وأهل بيته من بعده ومن جملتها نذكر مثالين فقط:

الأول: يتعلق بمنطقها مع النبي (ص): إذ تقول له – كما تروي إحدى الروايات: "تكلم أنت ولا تقل إلا حقاً"[٢]!! وليت شعري هل يقول النبي (ص) إلا الحق؟!. وغيرها من المواقف التي تبين تجاوزها على مقام النبي (ص)[٣].

أما المثال الثاني: فهو كلام الله تعالى نزل فيها وفي صاحبتها قائلاً: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾[٤].

(٥) استدل البعض بهذا الحديث على أفضلية عائشة على السيدة خديجة والسيدة فاطمة (ع). وهنا نقول:

١ – لقد استفاضت الروايات والأحاديث التي تدل على أفضلية السيدة فاطمة (ع) المطلقة، وسيادتها على نساء الأمة والمؤمنين والعالمين بأحاديث انفردت بها، هذا بالإضافة إلى ما اختصت به من مدح في القرآن والسنة النبوية الشريفة، ويكفي هنا الاستدلال بحديث "إن فاطمة بضعة مني"، وهل يقاس أحد ببضعة النبي محمد (ص)؟! كما قال بذلك جلة من العلماء. كما مر بنا.

---

(١) تحفة الاحوذي: ٥/ ٤٦٠.

(٢) ابن طاووس: الطرائف ص ٢٩٢.

(٣) انظر: السكري: أحاديث أم المؤمنين: ١/ ٣١ - ١٠٤، ٢/ ٤١. ٦٤. الورداني: السيف والسياسة: ص ٣٠ – ٤٦.

(٤) التحريم آية ٤ - ٥، وانظر ابن أبي الحديد: شرح ٤/ ٦٦ - ٦٧.

وفي مقابل هذا لا نجد ما يشير بأفضلية عائشة، بل على العكس من ذلك فإننا نجد القرآن ينزل فيها موبخاً ومهدداً بأن الله سيبدل النبي (ص) بخير منها من المؤمنات المسلمات القانتات، فأين تكون أفضليتها والقرآن يؤكد إن هناك مسلمات مؤمنات خيرا منها، وهل تقاس بسيدة المؤمنين والمؤمنات السيدة فاطمة (ع)؟! أما في السنة فلا نجد سوى هذا الحديث الذي نحن بصدد مناقشته وكما يلاحظ انه لا يخلُ من إشكالات!! ويوجد حديث آخر يشير بأنها الأحب إلى رسول الله (ص)، ولا ندري هل وضع مقابل حديث "أحب أهلي إلي فاطمة"!! ومن ثم فإننا لو سلمنا بصحة هذا الحديث فهل يكون حب الرسول (ص) لها دليل على أفضليتها؟!!.

٢ – مر بنا عند الحديث عن مقام السيدة فاطمة (ع) في السنة النبوية ما يشير وبوضوح لا يقبل الشك، إن السيدة فاطمة (ع) قد حظيت بمكانة ترتقي بها عن مقام التفاضل أو التنافس مع غيرها، إذ كان النبي (ص) إذا سافر آخر من يودعه السيدة فاطمة (ع) وعندما يعود فأنه يبدأ بها قبل زوجاته: أليس هذا يعني انه يفضلها عليهن! ونجده يقول لأمير المؤمنين(ع): أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد، ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتي، ولم أوتي مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أوت من صلبي مثلها، ولكنكم مني، وأنا منكم"[1].

والحديث واضح بأن السيدة فاطمة (ع) أفضل من زوجات النبي (ص) إذ يقول: ولم أوت مثلها زوجة!

٣ – إن عائشة نفسها قد روت أحاديث تفضّيل السيدة فاطمة (ع) وخاصة التي أطلقها النبي (ص) في مرضه الذي توفي فيه، وهي التي انفردت السيدة فاطمة (ع) فيها بالأفضلية، كما مرت الإشارة لذلك. ولم نلحظ في تلك الأحاديث أي ذكر لعائشة!! فكيف تأتي هنا لتروي إنها الأفضل؟!!

٤ – أما عن رأي العلماء في أمر تفضيل عائشة على النساء، فقد تعددت أقوالهم، فقسم يرى انه ليس في هذا الحديث دلالة على أفضليتها، كما صرح بذلك النووي قائلاً: "وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال إن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة"[2]. أما ابن حجر فيقول: "لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة"[3]. وكان رأي المناوي منصباً في هذا السياق أيضاً إذ يقول: "لا تصريح فيه على أفضلية عائشة على غيرها، لأن فضل الثريد على غيره إنما هو لسهولة مساغه وتيسر تناوله وكان يومئذ جل طعامهم"[4]. بينما نجد آخرين قيدوا أفضليتها

---

(١) ابن الدمشقي: جواهر المطالب ٢٠٩/١.
(٢) شرح مسلم: ١٩٩/١٥.
(٣) فتح الباري: ٨٣/٧.
(٤) فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ٦٦/٥.

بنساء النبي (ص) واستثنوا من ذلك السيدة فاطمة (ع) كابن حُبان الذي أشار إلى إن أفضليتها التي يدل عليها هذا الحديث وغيره مقيدة بنساء النبي (ص) حتى لا يدخل فيها فاطمة (ع)..."[1]. وقال ابن أبي الحديد: "وأصحابنا يحملون لفظة النساء في هذا الخبر على زوجاته، لأن فاطمة (ع) عندهم أفضل منها، لقوله (ص): إنها سيدة نساء العالمين"[2]. وكذلك المناوي الذي خص الحديث بنساء النبي (ص) واستثنى السيدة خديجة (ع) إذ فضلها على عائشة مستدلاً بقول النبي (ص) بأنه لم يرزق خيرا إلا منها، واستثنى فاطمة (ع) مستدلاً بقول النبي (ص): فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وكذلك لقول جمع من العلماء أنهم لا يعدلوا ببضعة النبي (ص) أحداً[3]. ويقول الطحاوي معلقاً على هذا الحديث: (وقد يحتمل أن يكون ما في هذا الحديث قبل بلوغ فاطمة، واستحقاقها الرتبة التي ذكرها رسول الله (ص) لها...، إن كل فضل ذكر لغير فاطمة، مما قد يحتمل أن تكون فضلت به فاطمة، محتملاً لأن يكون وهي حينئذ صغيرة، ثم بلغت بعد ذلك..."[4]. وقد حمل بعض العلماء حديث فضل عائشة كفضل الثريد على المزاح منه (ص) معها، لأن جوها لا ينسجم مع جو التفضيل كما في قول النبي (ص) فاطمة سيدة نساء العالمين، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية... ولاسيما بملاحظة أن النبي (ص) لم يكن من المهتمين بأمور الأطعمة واللذيذ منها ليأتي بها كمثل على تفضيل في أمر حساس كهذا[5]. وبعد استعراض هذه النخبة من أقوال بعض العلماء وتعليقاتهم حول هذا الحديث، فأن الذي يلاحظ إن هناك أجماعاً على استثناء السيدة فاطمة (ع)، بل وتفضيلها على عائشة، ولعلهم – كما يبدو من تعليقاتهم، التي لا تدل على قناعتهم التامة بهذا الحديث ودلالته على الأفضلية، فنراهم يتخبطون في شروحه ودلالاته، وذلك لركاكة ألفاظه، واصطدامه مع المستفيض من الأخبار الدالة على تفضيل وسيادة السيدة فاطمة (ع): حتى بلغ ببعضهم الحال أن حمل الحديث على المزاح!! ولا ندري أيمزح الرسول (ص) في أمر كهذا؟!!.

ب – من ناحية السند: يلاحظ أن أسانيد هذا الحديث قد تضمنت رواة يمكن عدادهم في **الضعفاء** كأبي قلابة نزيل الشام الذي أصيب بالاختلاط، لذا كان يخطئ وتغير حفظه لما سكن بغداد، لذا أتهم بالتدليس[6]، وكان ممن يتحامل على أمير

---

(١) ابن حجر: فتح الباري: ٨٣/٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٣/١٤.

(٣) فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ٥٨٥/٢.

(٤) مشكل الآثار: ٥٢/١ نقلا عن: حمادة: أخيرا أشرقت الروح: ص٣٦.

(٥) العاملي: الصحيح من السيرة: ٢٨٦/٣، حمادة: أخيرا أشرقت الروح: ص٣٧.

(٦) ابن كيال: الكواكب النيرات: ص٦٧ -٦٩. وانظر كذلك: العجلي: معرفة الثقات: ٣٠/٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٢٠٠/٢٨. المزي: تهذيب الكمال: ٥٤٦/١٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤٧١/٤. ابن حجر: تقريب التهذيب: ٦١٩/١.

المؤمنين (ع)[1]. ومنهم أبو يعقوب إسحاق بن الفيض الذي انفرد بأحاديث وصفت بأنها غرائب منها حديث (فضل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام)"[2]. وكذلك ممن عد في الضعفاء أبو بكر سلمة بن حفص السعدي من ذرية عمر بن سعد بن أبي وقاص عد من المجروحين المتهمين بالوضع[3]. ومنهم أبو خزيمة يوسف بن ميمون الصباغ من موالي آل عمرو بن حريث. ضعفه علماء الجرح والتعديل وعدو حديثه منكراً[4]. وكان بعض الرواة لهم مواقف سلبية من أمير المؤمنين وأهل بيته (ع)، كالصحابي أنس بن مالك الذي كان ممن يكذب على رسول الله (ص)، وعده ابن أبي الحديد في طليعة المنحرفين عن أمير المؤمنين (ع)[5]. ومنهم الصحابي أبي موسى الأشعري، ولاه عمر البصرة بعد عزل المغيرة عنها، وبقي على ولايتها حتى خلافة عثمان فعزله الأخير عنها، فنزل الأشعري الكوفة وسكنها وطلب أهلها إلى عثمان إن يوليه عليهم، فولاه عليهم حتى عزله أمير المؤمنين (ع) في خلافته، وذلك بسبب دوره في تثبيط الناس عن نصرة الإمام (ع)، فوجد على الإمام وكان من أشد المبغضين للإمام (ع)[6]. ومنهم الزهري مؤرخ البلاط الأموي[7].

(جـ) ولا يفوتنا الإشارة أن من رواة هذا الحديث من كان يرتع في سلطان الأمويين ممن وضح عدائهم لأهل البيت! إذ كان الأمويون لا يقربون إلى المناصب المهمة في دولتهم إلا من

---

(١) العجلي: معرفة الثقات: ٣٠/٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣٠٠/٢٨. المزي: تهذيب الكمال: ٥٤٦/١٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤٧١/٤.

(٢) ابن حبان: طبقات المحدثين بأصبهان: ٢٨٢/٢ – ٢٨٦.

(٣) انظر ترجمته: الخطيب: تاريخ بغداد: ١٣٦/٩. الاصبهاني: ذكر أخبار اصبهان: ص٢١٤ ـ ٢١٥، ابن حبان: كتاب المجروحين: ٣٣٩/١. ابن الجوزي: الموضوعات ٢٣٥/٢، الحلبي: الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث: ص١٢٨. الذهبي: ميزان الاعتدال: ١٨٩/٢.

(٤) البخاري: التاريخ الصغير: ١٥٣/٢، التاريخ الكبير: ٣٨٤/٨، كتاب الضعفاء: ص١٢٧، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: ٢٣٠/٩. أبو نعيم: كتاب الضعفاء: ص١٦٥، ابن حبان: المجروحين ١٣٤/٣ ابن عدي: الكامل في الضعفاء: ١٦٥/٧، الذهبي: ميزان الاعتدال: ٤٧٤/٤ ـ ٤٧٥، ابن حجر: تقريب التهذيب: ٣٤٧/٢. تهذيب التهذيب: ٣٧٥/١١.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٧٤/٤، وينظر: الصدوق: الأمالي ص ٧٥٣، الخصال: ص١٩٠. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ١١٥/٢، .

(٦) انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب: ٢٧١/٢ ـ ٢٧٣. ابن الأثير: أسد الغابة: ٦٢/٣ ـ ٦٣. ابن أبي الحديد: شرح النهج: ٣١٣/١٣ – ٣١٦. ابن حجر: الإصابة: ٣٥٩/٢ ـ ٣٦٠، وعن موقفه من الإمام ينظر: القاضي المغربي: شرح الأخبار: ٨٣/٢. الطوسي: الأمالي: ص١٨١ – ١٨٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص٧٠، ابن أبي الحديد: شرح النهج: ٣١٥/١٣.

(٧) ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦٩/٤، ابن شهر آشوب: مناقب ٢٩٨/٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٤٤/٥، ميزان الاعتدال ٤٠/٤، ١٠٩ ـ ١١٠، صائب عبد الحميد: تاريخ الإسلام ص ٨٥ ـ ٨٨، العواد: السيدة فاطمة ص ٧٩ ـ ٨٠.

كان على شاكلتهم أو موالياً لهم، مما يجعلنا نشكك في أمثال هؤلاء، أو على الأقل أن نقف عند مروياتهم خاصة، إذا كان على شاكلة الحديث - موضع الدراسة - ومن هؤلاء أبو طوالة قاضي المدينة في زمن عمر بن عبد العزيز، قال ابن حبان: "مات على رداءة الحفظ"[1]. فضلاً عما نجده في بعض الروايات من قطع في الإسناد وإرسال كرواية الهيثمي.

ونخلص للقول أن هذا الحديث من الموضوعات، وقد عده أبو رية من جملة الأحاديث الكثيرة التي وضعت لأهداف سياسية والتي بان رواجها في عهد معاوية بن أبي سفيان[2].

وتبقى لدينا طائفة من الأحاديث النبوية في البضعة فاطمة (ع) لا تقل أهمية عن سابقاتها :-

١ - اختصاصها بأن ذرية النبي (ص) منها: كانت من أهم ما امتازت به السيدة فاطمة (ع) أن ذرية النبي (ص) انحصرت فيها ومنها، لذا فنجد النبي (ص) يُشيد بفضائل ابنته (ع) وذريتها ومن ذلك قوله (ص): "إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار"[3]. وقوله (ص) لها: "إن الله غير مُعذبك ولا ولدكِ"[4]. وقوله (ص): "أبشري يا فاطمة فأن المهدي منكِ"[5]. وقال (ص): "ما أحد ابغض فاطمة وذريتها إلا كان عليه موضع قدميه حراما"[6]. وقال (ص): "كل بني أنثى عصبتهم لأبيهم، ما خلا بني فاطمة فأني أنا أبوهم وأنا عصبتهم"[7].

٢ - وهناك أحاديث أخرى كان في مضمونها بيان فضائل السيدة فاطمة (ع) وخصائصها الشريفة، ومنها: قوله (ص): "لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، إن فاطمة خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً"[8]. ولها (ع) من الفضائل والمناقب التي اشتركت فيها مع أهل بيتها (ع) وجاءت على لسان الذي لا ينطق عن الهوى، النبي محمد (ص)، وان تلك الأحاديث لمن السعة التي يصعب حصرها أو جمعها كلها، لذا انتخبنا هذه المجموعة منها: أنه نظر النبي (ص) إلى علي والحسن والحسين وفاطمة (ع) فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم"[9]. ومنها قوله (ص): "إن مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق"[10].

---

(١) مشاهير علماء الأمصار: ص١٢٩.

(٢) أضواء على السنة المحمدية: ص ١٣٠ - ١٣١.

(٣) ابن شاهين: فضائل ص٢٣، الطبراني: المعجم الكبير ٤٠٧/٢٢. السيوطي: الجامع الصغير ٣٥٢/١.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير٢١٠/١١، الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٠٢/٩.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٤٧٥/١٩، الصالحي الشامي: سبل الهدى ١٧٣/١٠.

(٦) ابن عبد الوهاب: عيون المعجزات ص ٥٦.

(٧) الكراكجي: كنز الفوائد ص١٦٧، الصالحي الشامي: سبل الهدى ٥٦/١١.

(٨) الخوارزمي: مقتل الحسين: ١٠٠/١ - ١٠١.

(٩) ابن أبي شيبة: المصنف ٥١٢/٧، ابن حنبل: المسند ٤٤٢/٢، المحاملي: الأمالي ص ٤٤٦.

(١٠) الطبراني: المعجم الأوسط ٣٠٦/٥. ابن الأبار: درر السمط ص ١١٦.

وقوله: فاطمة بهجة قلبي، وأبناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربي، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلف عنه هوى[١]. وقوله: (ص): "إن الله جعل علياً وزوجته وأبناءه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمتي، من اهتدى بهم هُدى إلى صراط مستقيم"[٢]. وقال (ص) مخاطباً أمير المؤمنين (ع): "... أنا وأنت وفاطمة والحسن والحسين خُلقنا من فطينة واحدة، فضلت منها فضلة، فجعل [فخلق] منها شيعتنا ومحبينا..."[٣]. وعن أمير المؤمنين (ع) قال: "أخذ النبي (ص) بيد الحسن والحسين فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة"[٤]. وقوله (ص): "أنا الشجرة وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، وشيعتنا ورقها"[٥]. وقوله (ص): "أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله، وأولياؤنا أولياء الله"[٦]. وقوله (ص): "إن علياً وصيي وخليفتي، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولداي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن ناوءهم فقد ناوءني، ومن جفاهم فقد جفاني، ومن برّهم فقد برّني، وصل الله من وصلهم، وقطع من قطعهم، ونصر من أعانهم وخذل من خذلهم. اللهم من كان له من أنبيائك ورسلك ثقل وأهل بيت، فعلي وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"[٧].

ولكن في مقابل هذه الأحاديث الدالة على عظيم مقام السيدة فاطمة (ع) نجد أحاديث أخرى تنحى منحى آخر، إذ نلاحظ فيها إساءات لمقام السيدة فاطمة (ع) نُسبت للنبي (ص) وللتحقق منها، فقد وضعناها موضع الدراسة والتحليل لنرى مدى صحة نسبتها للنبي (ص). ومن هذه الأحاديث:

١ - نسب للنبي (ص) قوله لابنته فاطمة (ع): **يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فأني لا أغني عنك شيئاً.** مع اختلافات في ألفاظه كما تبينها الروايات التالية التي سنستعرضها لغرض دراستها:

١ - **ابن راهويه (ت ٢٣٨)**: "أخبرنا أبو معاوية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾، قال رسول الله (ص): يا فاطمة بنت محمد،

---

(١) الشيرازي: الأربعين ص ٣٧٦، المجلسي: بحار الأنوار ١١٠/٢٣.

(٢) الحسكاني: شواهد التنزيل ٧٦/١.

(٣) القاضي النعمان: شرح الأخبار ٤٩٥/٣.

(٤) ابن حنبل: المسند ٧٧/١. الطبراني: المعجم الصغير ٧٠/٢. الزرندي: نظم ص٢١٠.

(٥) الحاكم: المستدرك ١٦٠/٣، المفيد: الأمالي: ص٢٤٥. الحسكاني: شواهد التنزيل ٤٠٧/١.

(٦) الخزاز: كفاية الأثر ص١٩. البحراني: مدينة المعاجز ٦٧/١.

(٧) الصدوق: الأمالي ص ٥٦٠. عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى ص٣٩.

يا صفية بنت عبد المطلب، أني لا اغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم"[١].

ومما يثير التساؤل في هذه الرواية:

١ - إن الرواية تشير إلى أن مناسبة حديث النبي (ص) هذا قد ارتبط بنزول آية الإنذار المجمع على نزولها في السنة الثالثة بعد البعثة الشريفة[٢] وعلى هذا يترتب:

(أ) إن السيدة فاطمة (ع) ولدت في السنة الخامسة للبعثة، إذن كيف يصح توجيه الخطاب لها؟!!.

(ب) إن عائشة التي تروي الحادثة ولدت في السنة الرابعة للبعثة[٣] فكيف تنقل لنا هذه الرواية؟!! وان كانت نقلت إليها ممن شهدها فلماذا لم تشر لأسم الراوي؟!!.

٢ - إن كانت الآية تأمر النبي (ص) بإنذار عشيرته الأقربين فلماذا خص النساء فقط بالخطاب؟!.

٣ - ما معنى قول النبي (ص) سلوني من مالي ما شئتم؟! وبماذا ينفعهم؟!!.

٢ - **ابن سعد (ت ٢٣٠)**: "أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا يحيى بن سعيد عن أبي بكر بن أبي مليكة عن عبيد بن عمير الليثي أن رسول الله (ص) في مرضه الذي توفي فيه. جلس رسول الله (ص) في مصلاه أو إلى جانب الحجر فحذر الناس الفتن ثم نادى بأعلى صوته، حتى إن صوته ليخرج من باب المسجد، فقال: إني لا يملك الناس عليّ بشيء، لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه، ثم قال: يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول الله أعملا لما عند الله فأني لا اغني عنكما من الله شيئاً، ثم قام من مجلسه ذلك فما أنتصف النهار حتى قبضه الله"[٤]. ويمكن أن نسجل هنا بضعة ملاحظات:

١ - الرواية هنا تشير إلى أن الحديث جاء في أواخر حياة النبي (ص) بل في مرضه الذي توفي فيه، وانه حذر الناس من الفتن وهذا ما لا أشكال فيه مطلقاً فقد جاءت عدة روايات تؤكد إن النبي (ص) حذر كثيراً من الفتن التي ستلاقيها أمته بعد وفاته! ولكن ما علاقة السيدة فاطمة (ع) بالأمر، ولماذا يخصها النبي (ص) وعمته صفية بهذا الخطاب وهو "أني لا اغني عنكما من الله شيئاً"؟! لماذا لم يذكر باقي أهل بيته مثلاً إن كان الوعظ مختصاً بالأقربين منه؟!!.

٢ - ثم لو قلنا بصحة ما جاءت به الرواية فهل للسيدة فاطمة (ع) يوجه هذا الخطاب؟!! وهي التي عبر عنها بـ "بضعته" وروحه وقلبه ونالت من المقام الذي لا يُضاهى عنده،

---

(١) مسند ابن راهويه ٢٥١/٢.

(٢) البلاذري: انساب الأشراف: ١٣٤/١. الطبري: تاريخ: ٢٢٨/٢ - ٢٣٠. ابن كثير: البداية والنهاية: ٥١/٣ - ٥٣. الديار بكري: تاريخ الخميس: ٢٨٧/١.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة: ٢٤١/٥ - ٢٤٤.

(٤) الطبقات ٢١٥/٢ - ٢١٦.

وما كانت لتناله إلا بتقواها وإيمانها العميق وهي المعصومة المطهرة بشهادة القرآن والسنة؟!!. ثم أنها نالت من الحظوة عند الله بأن منحها خصوصية الشفاعة يوم القيامة، وبشهادة أبيها (ص)! فهذا الخطاب لا يتناسب وواقعها السامي في الدنيا والآخرة!!!.

٢ - يلاحظ أن هناك روايات تشابه هذه الرواية وردت في نفس مصدر هذه الرواية ومصادر أخرى لكنها تبدو مقبولة ولا إشكال فيها وخالية من الإضافات. إذ جاء فيها: "عن عائشة أن رسول الله (ص) قال في مرضه الذي توفي فيه: أيها الناس! لا تعلقوا بي بواحدة، ما أحللت إلا ما أحل الله وما حرمت إلا ما حرم الله"[١]. وهنا نستدل على أن الرواية قد حُرفت وأضيف إليها ما يسيء إلى مقام السيدة فاطمة (ع)!!.

٣ - **أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)**: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا هشام بن عبد الملك ثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قام نبي الله (ص) فقال: "يا بني كعب بن لؤي، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسكِ من النار، فأني لا أملك لك من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها"[٢]. وفي رواية أخرى بنفس السند نجده يضيف "يا بني مرة بن كعب، ... يا بني عبد شمس". ويستوقفنا فيها:

١ - إن الرواية تشير لنزول آية الإنذار التي نزلت في السنة الثالثة بعد البعثة لذا فإن:ـ

(أ) لا يصح توجيه الخطاب للسيدة فاطمة (ع) لأنها ولدت بعد هذه الحادثة بسنتين!.

(ب) إن راويها أبو هريرة، دخل الإسلام في السنة السابعة للهجرة حيث كان في اليمن[٣]، فلا تصح روايته لهذه الحادثة.

٢ - إن الآية خصت عشيرة النبي الأقربين، فما معنى تعدد الخطاب التدريجي وتوسيعه ولماذا يخص ابنته بالذكر، وهي بكل الأحوال ما ولدت بعد؟!!.

٤ - **الدارمي (ت ٢٥٥هـ)**: حدثنا الحكم بن نافع عن شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال: قام رسول الله (ص) حين أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فقال: يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئتِ لا اغني عنكِ من الله شيئاً"[٤]. وهنا يمكن القول:

---

(١) المتقي الهندي: كنز العمال ١/١٨٤.

(٢) ابن حنبل: المسند ٢/٥١٩.

(٣) لمزيد من التفاصيل عنه انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/٣٢٤، ٣٤١.

(٤) سنن الدارمي ٢/٣٠٥.

١ – كما مر بنا حول عدم صحة نقل أبو هريرة لهذه الحادثة وعدم صحة توجيه الخطاب للسيدة فاطمة (ع).

٢ – أيضاً دلالة الآية إن الإنذار خاص بالأقربين فلماذا يتوسع الخطاب لقريش كلها، وإن احتملنا صحة شمول كل قريش فلماذا يخص النبي (ص) بضع أفراد وهم عمه العباس وعمته صفية وابنته؟ أهم خارجين عن بني عبد مناف؟! أم خارجين عن قريش؟!!.

٣ – وهنا نجد الراوي يضيف العباس للمخصوصين بالنداء؟! إذن لماذا هو دون غيره من أعمام النبي (ص)؟! لماذا لم يذكر الحمزة أو أبو طالب؟ أو لماذا صفية دون باقي العمات؟! أين أروى أو عاتكة؟! فإن قيل لأنها كانت مسلمة دون أخواتها اللاتي تأخر إسلامهن!! فما معنى ذكر العباس الذي أختلف في إسلامه فإن صح القول بأنه كان مشركاً فما معنى ذكره هنا؟!! وإن صح قوله انه كان يخفي إسلامه فخطاب النبي (ص) هذا سيفضحه وفي كلا الحالتين لا مبرر لذكره دون غيره!!.

٤ – إن وجود أسماء كالزهري وابن المسيب وأبو هريرة في سند الرواية، يجعل التشكيك بها من الأولويات عند مناقشتها ما دام فيها إساءة لأحد أهل البيت (ع)، فإن لهؤلاء موقف معروف منهم كما مر في تراجمهم.

٥ – **الطبري: (ت٣١٠ هـ)**: حدثني الحسن، قال: "أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال النبي (ص): يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، اتقوا النار ولو بشق تمرة"[١]. وهنا يمكن القول:

١ – إن زمن الحادثة ونزول الآية – كما أشرنا – ينطبق بإشكالاته على هذه الرواية أيضاً من حيث:

(أ) عدم صحة نقل عروة لهذه الرواية لأنه من التابعين لم يدرك النبي (ص) إذن هو بعيد جداً عن زمنها.

(ب) كما ذكرنا إن السيدة فاطمة (ع) لم تولد بعد فكيف تخاطب هنا؟!.

٢ – هل إن عشيرة النبي الأقربين هم فقط عمته وابنته؟!!.

٣ – هنا يتغير الخطاب إلى "اتقوا النار ولو بشق تمرة" وكأنها دعوة للتصدق؟! ولا نعتقد أن الإنذار يختص بهذا الأمر؟!! كما سيتضح لاحقاً.

٤ – سبق وإن ترجمنا هشام بن عروة وأبيه عروة، فهل أخذها عروة عن أبي هريرة أم عن عائشة [٢].

---

(١) جامع البيان ١٩/ ١٥٠.

(٢) ابن راهويه: المسند ص٦١.

٦ – **الزرندي (ت ٧٥٥ هـ)**: "وعن ابن عباس قال: أقبل النبي (ص) من غزاة أو سرية، فدعا فاطمة فقال: يا فاطمة اشتري نفسك من الله فأني لا أغني عنكِ من الله شيئاً. ثم قال مثل ذلك لنسوة، وقال مثل ذلك لعترته، ثم قال نبي الله (ص): يا بني هاشم إن أولى الناس بأمتي المتقون، ولا قريش أولى الناس بأمتي، ..."[١]. ولكن يلاحظ:

١ – تشير الرواية أن النبي (ص) خص السيدة فاطمة (ع) بكلامه بعد عودته من غزوة أو سرية؟ وهنا مناسبة الحديث تختلف عن سابقتها؟!!.

٢ – يلاحظ اضطراب في تفاصيل الرواية بدءاً من شك الراوي أكانت عودة النبي (ص) من غزوة أو من سرية؟! ثم لماذا لم يذكر أسماء النسوة المخصوصات بالحديث ومن هن؟ ولماذا وجه لهن الخطاب؟!.

٣ – هنا أيضاً نلاحظ التدرج في الخطاب لكن الفرق هنا هو أنه (ص) بدء بالإفراد وانتهى إلى عشيرته، بينما فيما سبق رأينا العكس! لكن في الحالتين لا نعرف لماذا؟!!.

٤ – ثم كما أشرنا سابقاً أن السيدة فاطمة (ع) ليست ممن يوجه لها هكذا خطاب؟ وهي الكاملة الحائزة على مقام الشفاعة فهل يتوقع منها صدور الذنب مع شهادة الله ورسوله لها بالعصمة بدلائل الآيات والأحاديث.

٥ – نلاحظ إن الرواية جاءت هنا مرسلة.

٧ – **السيوطي (ت ٩١١)**: أورد عدة روايات: **أولاً**: "عن أنس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ بكى رسول الله (ص)، ثم جمع أهله، فقال: يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، ثم التفت إلى فاطمة، فقال: يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فأني لا اغني عنكم من الله شيئاً غير إن لكم رحماً سأبلها ببلالها"[٢]. وفيها ما يوجب التوقف:

(١) إن رواية أنس لها لا يمكن قبوله، لأنه ولد في (المدينة) في السنة الثالثة من البعثة، أي في نفس السنة التي نزلت فيها الآية في مكة! فأنى له أن يخبر عنها؟!!.

(٢) تنطبق على هذه الرواية نفس الإشكالات التي أثيرت حول مثيلاتها السابقات.

ثانياً: "عن البراء قال: لما نزلت عن النبي (ص) ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي(ص) ربوة من جبل فنادى يا صباحاه فاجتمعوا فحذرهم وانذرهم ثم قال: لا أملك لكم من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئاً"[٣]. ويستوقفنا هنا:

(١) نظم درر السمطين: ص٢٣٧.

(٢) الدر المنثور: ٥/٩٥.

(٣) الدر المنثور: ٥/٩٦.

(١) إن البراء بن عازب هو من الأنصار: ويروي أنه أراد المشاركة في بدر لكن النبي (ص) استصغره ولم يسمح له؟!! فكيف يخبر عن شأن نزول هذه الآية والتي نزلت قبل ذلك التاريخ باثني عشرة سنة[1] وهو من أهل المدينة أيضاً والآية إنما نزلت في مكة!! لذا لا يمكن قبول نقله لها!!

(٢) كما اشرنا إن السيدة فاطمة (ع) لم تدرك الحادثة بعد.

(٣) تشير الرواية إن النبي (ص) صعد ربوة من جبل ونادى: "يا صباحاه": "وهي كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم، فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له"[2]. إذن فمن الذي اجتمع وأنذره النبي (ص)؟!! فمكة لا يسكنها فقط عشيرة النبي (ص) المقربين؟! فالرواية أشارت بأنهم "اجتمعوا" لكن لم تحدد من هم؟ والنداء كما يبدو عاماً وهذا يناقض ما أمرت به الآية الشريفة من خصوص المقربين فقط، أي أنها لم تطلق الأمر!!.

(٤) وهنا نجد انفراد لذكر السيدة فاطمة (ع) من دون كل الذين اجتمعوا إذ لم تبين الرواية بماذا انذرهم؟! فيخصها بالقول: أنقذي نفسك من النار، وكأنها قد استحقتها؟! – وحاشاها (ع) مع أنها أول من يدخل الجنة!! بل هي وسيلة الناس إلى الجنة!!.

ثالثاً: "عن أبي إمامة قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ جمع رسول الله (ص) بني هاشم فأجلسهم على الباب وجمع نساءه وأهله فأجلسهم في البيت ثم اطلع عليهم، فقال: "يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من النار، واسعوا في فكاك رقابكم وافتكوها بأنفسكم من الله، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ثم أقبل على أهل بيته، فقال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمة رسول الله، اشتروا أنفسكم من الله، واسعوا في فكاك رقابكم فإني لا املك لكم من الله شيئاً ولا اغني، فبكت عائشة وقالت: وهل يكون ذلك يوم لا تغني عنا شيئاً؟ قال: نعم..."[3]. وهنا نسجل هذه الإشكالات:

تشير الرواية إن النبي (ص) لما نزلت الآية جمع بني هاشم وجمع نساءه وأهله وخصهم بالخطاب والإنذار!! وكما مر بنا إن زمن الحادثة كان في السنة الثالثة بعد البعثة، وحينها لم يكن النبي (ص) متزوج غير السيدة خديجة (ع)، فعائشة وحفصة وأم سلمة لم يكنّ زوجاته وقتئذ، فكيف يجمعهم؟!. وأما السيدة فاطمة (ع) فلم تولد بعد!!. أما إفراد عمته بالخطاب فقد مرت الإشارة إلى التساؤلات المطروحة حوله!. ثم إن راوي الحادثة لم يعرف سوى بأبي

---

(١) انظر ترجمته: ابن الأثير: أسد الغابة: ١٩٩/١ – ٢٠٠.

(٢) المباركفوري: تحفة الاحوذي: ٢٢/٩.

(٣) الدر المنثور: ٩٥/٥.

إمامة، وقد ترجم ابن الأثير[1] في باب الكنى لخمسة عرفوا بهذه الكنية وهم أبو إمامة أسعد بن زرارة، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية وتوفي في شوال بعد تسعة أشهر من الهجرة. وأبو إمامة الأنصاري، ذكر حديث جاء فيه أسمه لا يدري من هو!. وأبو إمامة الباهلي، سكن مصر، وتوفي سنة أحدى أو ست وثمانين هجرية في الشام، وهذا لم يدرك النبي (ص) بمكة ليتحدث عن بدء نزول الوحي. وأبو إمامة ثعلبة الأنصاري، له عن النبي (ص) ثلاثة أحاديث، وهذا - أيضاً - لم يكن من أهل مكة ليدرك النبي (ص)، وأبو إمامة سهل بن حنيف، توفي سنة مائة وهو ابن نيف وتسعين سنة، وهذا - أيضاً - لم يدرك عصر الرسول (ص) بمكة.

رابعاً: "وعن قتادة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال: ذكر لنا إن نبي الله (ص) نادى على الصفا بأفخاذ عشيرته فخذاً فخذاً يدعوهم إلى الله، فقال في ذلك المشركون لقد بات هذا الرجل يهوت[2] منذ الليلة. قال: وقال الحسن (رض) جمع نبي الله (ص) أهل بيته قبل موته فقال: ألا إن لي عملي ولكم عملكم، ألا أني لا أغني عنكم من الله شيئاً، إلا إن أوليائي منكم المتقون، ألا لا أعرفنكم يوم الآخرة! يا صفية بنت عبد المطلب ويا فاطمة بنت محمد أعملا فأني لا أغني عنكما من الله شيئاً"[3].

١ - نفس الملاحظات التي سجلناها على الروايات السابقة تجد طريقها هنا أيضاً.

٢ - ومما يلاحظ على هذه الرواية أيضاً أن قتادة يشير إلى نزول الآية ويذكر ما فعله النبي (ص) لكنه هنا لم يشر إلى خطاب النبي (ص) المزعوم - أنه خص به ابنته (ع)!! ولكنه استدرك برواية نسبها للحسن، والذي لا ندري من هو، فهل يعني به الإمام الحسن بن علي (ع)؟! أم غيره؟! يروي فيها إن النبي جمع أهل بيته لوعظهم قبل موته، ومن ثم أضاف النص الخاص بتحذير النبي (ص) لابنته (ع)!!.

٣ - إن الرواية جاءت مرسلة.

لابد من الإشارة إلى وجود رواية أخرى أكثر قبولاً وتحمل نفس الفكرة مع الاختلافات ببعض الألفاظ يرويها الإمام الصادق (ع) عن آبائه: "إن الرسول (ص) عندما فتح مكة، قام على جبل الصفا وقال: يا بني هاشم وأولاد عبد المطلب، أنا رحيم بكم وشفوق، لا تقولوا محمد منا، والله ليس أقربائي منكم ومن غيركم سوى المتقين، لا تكونوا ممن يأتون يوم القيامة حاملين الدنيا على عواتقهم، ويأتي الآخرون حاملين الآخرة معهم، أعلموا أني لم أدع أي عذر بيني وبينكم ولا بين الله تعالى وبينكم، ولي عملي ولكم عملكم"[4].

---

(١) أسد الغابة: ٣٧٤/٤ - ٣٧٦.

(٢) يقال هوت هوت أي أسرع أسرع: ابن قتيبة: غريب الحديث ١٥١/١، الزمخشري: الفائق ٤١/٢.

(٣) السيوطي: الدر المنثور: ٩٦/٥.

(٤) العسكري: أحاديث أم المؤمنين ٣٠٣/٢.

وهنا يتضح التحريف والوضع بهدف قصد الإساءة للسيدة فاطمة (ع). والآن نسجل الملاحظات أدناه:

١ – تميزت هذه الروايات ببروز الاختلافات والاضطرابات في ما أوردته من معلومات تخص حادثة إطلاق الحديث النبوي، بل حتى الحديث نفسه، ومن أهم الاختلافات:

أ ـ نلاحظ اختلافاً في تحديد زمن إطلاق الحديث النبوي حيث توجد ثلاثة آراء:

١ – في سنوات البعثة الأولى (إذ ارتبطت بنزول آية الإنذار).

٢ – عند عودة النبي (ص) من أحدى الغزوات (ولم يحدد الراوي لها تاريخاً).

٣ – في أحداث وفاة النبي (ص)، (أي في مرضه الذي توفي فيه).

ب ـ اختلفت الروايات أيضاً في تحديد الذين خاطبهم النبي (ص) وخصهم بحديثه المذكور! فبالنسبة للنصوص التي ارتبطت بنزول آية الإنذار والتي كانت صريحة بوجوب مخاطبة الأقربين وهم (بنوعبد المطلب)، لكن نجد تلك النصوص تارة توسع الخطاب ليشمل بطون وقبائل عديدة من قريش، وتارة تحصره بعم النبي (ص) وعمته وابنته (ع) دون الآخرين، بل في أحدى النصوص يقتصر الخطاب على ابنته (ع) كما مرت الإشارة لذلك. أما فيما يخص الروايات التي أشارت إن خطاب النبي (ص) كان في مرضه الأخير فأيضاً اختلفت فتارة تخص ابنته (ع) وأخرى توسعه ليشمل أهل بيته ونساءه.

جـ ـ أما بخصوص الحديث نفسه، والذي يزعم انه وجهه النبي (ص) للسيدة فاطمة (ع)، فقد اختلف في ألفاظه أيضاً، فتارة يرد "أنقذي نفسك من النار"!! وتارة: "اشتري نفسك من الله"!!.

٢ – كما لاحظنا إن رواة النصوص التي بين أيدينا كلهم أو أغلبهم ممن لم يشهد الحادثة التي ارتبطت بنزول الآية. إما باقي النصوص فأسانيدها أما مرسلة أو فيها إشكال كما مر بنا.

٣ – مما لا شك فيه إن هذا الخطاب الخاص بفاطمة (ع) يبدو من الموضوعات الأكيدة والدليل على ذلك: إن هناك روايات أخرى أكثر قبولاً تحمل نفس الفكرة والمضمون لكن بموضوعية وواقعية وإذا ما طالعناها تتضح لنا أهداف الوضع والتحريف الذي جرى عليها، ولماذا؟ وما شأن الرواة معها؟!! وقد مرت بنا روايتي ابن سعد والسيوطي وهذه الثالثة.

والرواية تقول: "عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب، قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص): ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله (ص)، فقال لي: يا علي، إن الله أمرني إن انذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاءني جبرائيل فقال: يا محمد، إنك ألا تفعل

ما تؤمر به يُعذبك ربك، فأصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاه، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى اكلمهم، وابلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به. ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه، دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله (ص) حذية من اللحم، فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال: "خذوا بسم الله"، فأكل القوم حتى مالهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وايم الله الذي نفس علي بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم.

ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله (ص) إن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لهد[1] ما سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله(ص)، فقال الغد: يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل إن اكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي. قال: ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله (ص)، فقال: يا بني عبد المطلب، أني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى إن ادعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على إن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ " قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وأني لأحدثهم سناً، وارمصهم عينا، وأعظمهم بطناً، واحمشهم ساقاً[2]، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثم قال: "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا". قال: فقام القوم يضحكوا، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك إن تسمع لابنك وتطيع"[3].

إذن يتضح من هذه الرواية إنها تُبدي فضائل لأمير المؤمنين (ع) بكونه وصي وخليفة رسول الله (ع) ومنذ بدء الدعوة فكيف يروق لأعدائه وخصومه، إن يبقوا أو يعترفوا بفضائله بل كما كان دأبهم في التعامل مع كل فضيلة له (ع) إن يسلبوها[4] أو يحرفوها بغضاً له وحسداً. وهنا نجدهم اتخذوا مسلكين: **الأول**: تحريفها وبترها، أي لم يذكروا ما يخص

---

(١) لهد: كلمة يتعجب بها. انظر: الزمخشري: الفائق ٣٩٤/٣، ابن الأثير: النهاية ٢٥٠/٥.

(٢) حمش الساقين دقيقهما، الجوهري: الصحاح ١٠٠٢/٣، الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٢٧٠/٢.

(٣) الطبري: تاريخ: ٢٢٨/٢ – ٢٢٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٩/٤٢. ابن أبي الحديد: شرح النهج ٢١٠/١٣ - ٢١١، المتقي الهندي: كنز العمال: ١٣١/١٣ ،١٢٢.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦٣/٤، وما بعدها. النصر الله: فضائل الإمام المنسوبة لغيره ص٥١ وما بعدها.

الأمير بل اكتفوا بذكر الحادثة بشكل عام ومثال ذلك: "عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال: لما نزلت على رسول الله (ص): ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ انطلق رسول الله (ص) إلى صخرة من جبل فعلاها، ثم نادى أو قال: يا آل عبد مناف أني نذير، وإن مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو، فانطلق يربو أهله ينادي أو قال: يهتف: يا صباحاه"[1]. فهنا نلاحظ:

(١) عدم ذكر ما يخص الأمير (ع) بل انه لم يذكر ما يخص فاطمة (ع) أيضاً رغم تشابه مصادره!! مما يزيد الروايات اضطراباً.

(٢) تناول العسكري[2] هذا الحديث وما يماثله بالدراسة والتحقيق واثبت بطلانه وكان ضمن ما ناقشه رواة هذا الحديث. إذ قدم لنا دراسة حولها قائلاً: "قبيصة بن مخارق[3] من قبيلة بني هلال، ولم ير رسول الله (ص) بمكّة، بل كان أول لقاءه للنبي (ص) عندما جاء مع وفد من قبيلته إلى المدينة واسلم يومئذ ثم رجع إلى موطنه. أما زهير بن عمرو[4] لم يرد أي ذكر عنه في غير هذه الرواية ويقول الباحثون في علم الرجال وأحوال الصحابة: إن أول ما عرف زهير من الناحية التاريخية كان في البصرة، ولم يعرف عنه أي خبر قبل ذلك، وكان له بيت في هذه المدينة التي أسست عام ١٤ هـ، وهذه الرواية هي العلامة الوحيدة لكونه صحابياً، وقال علماء الرجال: لا نعرف له حديثاً غير هذا، وإن البخاري لم يعتقد بصحة هذا الحديث، ولم ينقله في كتابه، وقال: إن الدليل على بطلان هذه الرواية وعلى إن زهيراً هذا لم يكن صحابياً إن زهيراً لم يذكر في هذا الحديث انه سمعه من رسول الله (ص). والحاصل إن الذي عد زهيرا في عداد الصحابة اعتمد هذا الحديث في حين إن هذا الحديث لا يدل على درك زهير لصحبة النبي (ص) بل يوجد الشك في لقاءه للنبي (ص).

أما المسلك **الثاني**: الذي لم يكتفوا فيه بالتحريف بل أضافوا بعض الزيادات التي يهدفون من خلالها: الإساءة إلى مقام السيدة فاطمة (ع) وأهل بيتها (ع)، ومحاولة تشويه علاقتها بأبيها المصطفى (ص)، كما يبدو لنا واضحاً من خلال ما سيأتينا من روايات. ولا يفوتنا أن نشير إن الطبري في روايته السابقة والتي أوردها في تاريخه بالنحو المتقدم، ولكن الغريب انه قد ذكر نفس الرواية بسندها ومتنها حرفياً في تفسيره إلا انه غيّر في عبارة واحدة وهي التي تخص استخلاف الإمام وولايته، وعلى النحو التالي: "فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على إن يكون أخي، وكذا وكذا، إلى إن قال: إن هذا أخي

---

(١) ابن حنبل: المسند ٦٠/٥، ابن سلمة: شرح معاني الآثار ٢٨٥/٢.

(٢) أحاديث أم المؤمنين عائشة: ٢٩٣/٢ – ٣٠٦.

(٣) انظر ترجمته: ابن الأثير: أسد الغابة: ٤٧١/٣ – ٤٧٢. ابن حجر: الإصابة: ٢٢٢/٣ – ٢٢٣.

(٤) انظر ترجمته: ابن الأثير: أسد الغابة: ٢٢٤/٢. ابن حجر: الإصابة: ٥٥٥/١، تهذيب التهذيب: ٣٠٠/٣.

وكذا وكذا"[١]. وتبعه على ذلك ابن كثير[٢]. أما السيوطي فقد بتر الخبر، بالقول: "... فأيكم يوازرني على أمري هذا؟ فقلت وأنا أحدثهم سناً انا فقام القوم يضحكون". إلى هنا ينهي الخبر في تفسيره[٣]. كما إن محمد حسنين هيكل بعد إن ذكر في كتابه حياة محمد في الطبعة الأولى (ص١٠٤) نص الطبري في تاريخه، عاد فحذف من الطبعة الثانية (ص١٣٩) ط سنة ١٣٥٤ هـ. قوله: "وخليفتي فيكم"! واقتصر على قوله: "ويكون أخي ووصيي". وذلك لقاء خمسمائة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه[٤]!!. **وما هؤلاء إلا** أمثلة عن الذين ساهموا في طمس الحقائق وتحريفها، يقودهم إلى ذلك تعصبهم الأعمى وحسدهم وبغضهم للإمام وأهل بيته (ع).

٢ – ينسب للنبي (ص) انه قال في حق ابنته فاطمة (ع): "**الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار**".

وهنا نتساءل؟ لماذا قاله (ص)؟ وفي أي حادثة؟ وهل صدر فعل من السيدة فاطمة (ع) استحقت معه دخول النار؟ سنحاول استعراض الروايات التي وردت فيها ودراستها؟ والتحقق من صحتها.

١ – الرواية الأولى: أبو داود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ): "حدثنا هشام عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي أسماء عن ثوبان قال: جاءت بنت هبيرة إلى النبي (ص) وفي يدها فتح من ذهب خواتم ضخام فجعل النبي (ص) يضرب يدها فأتت فاطمة تشكو إليها قال ثوبان: فدخل النبي (ص) على فاطمة وأنا معه وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب فقالت هذا أهدى لي أبو حسن وفي يدها السلسلة، فقال النبي (ص): يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس فاطمة بنت محمد وفي يدها سلسلة من نار فخرج ولم يقعد فعمدت فاطمة إلى السلسلة فباعتها فاشترت بها نسمة فأعتقتها فبلغ النبي (ص) فقال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار"[٥].

٢ – الرواية الثانية: عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ): أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن رجل عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان، عن فلانة بنت القاسم وصاحبة لها جاءتا إلى النبي (ص) وفي أيديهما خواتم تدعوها العرب الفتح، فسألتا عن شيء فأخرجت أحداهما يدها فرأى النبي (ص) بعض تلك الخواتم، فضرب يدها بعسيب[٦] معه من عند الخاتم إلى

---

(١) جامع البيان: ١٤٩/١٩.

(٢) البداية والنهاية: ٥٣/٣. تفسير القرآن العظيم: ٣٦٤/٣. السيرة النبوية: ٤٥٩/١.

(٣) الدر المنثور ٩٧/٥.

(٤) العاملي: الصحيح من السيرة: ٦٢/٣ – ٦٣.

(٥) المسند: ص١٣٣. البيهقي: السنن: ١٤١/٤.

(٦) العسيب سعف النخل. ابن سلام: غريب الحديث ١٥٦/٤، ابن منظور: لسان العرب ٥٩٩/١.

مسكنها[١]، ثم أعرض عنهما، فقالت: ما شأنك تعرض عنا؟ فقال: ومالي لا أعرض عنكما وقد ملأتما أيديكما جمراً، ثم جئتما تجلسان أمامي، فقامتا فدخلتا على فاطمة فشكتا إليها ضربة النبي (ص) فأخرجت إليهما فاطمة سلسلة من ذهب. فقالت: أهداها لي أبو الحسن، فأقبل النبي (ص) يمشي وأنا معه، ولم تفطن فاطمة لذلك، فسلم من جانب الباب وكان قبل ذلك يأتي الباب من قبل وجهه، فاستأذن، فإذن له، وألقت له فاطمة ثوباً فجلس عليه وفي يدها أو عنقها تلك السلسلة فقال: أيغرك إن يقول الناس: انك ابنة رسول الله (ص) وفي يدك أو عنقك طبق من نار وعرمها بلسانه فهملت عيناها. وخرج النبي (ص) فأخبروه خبر الطوق فقال الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار[٢]".

٣ - **الرواية الثالثة: ابن راهويه (ت ٢٣٨ هـ)**: "أخبرنا معاذ بن هشام حدثني أبي حدثني يحيى عن زيد عن أبي سلام عن أبي أسماء إن ثوبان مولى رسول الله (ص) حدثه قال جاءت بنت هبيرة إلى رسول الله (ص) وفي يدها فتخ فقال كذا في كتاب أبي أي خواتيم ضخام فجعل رسول الله (ص) يضرب يدها، فدخلت على فاطمة بنت رسول الله (ص) تشكو إليها الذي صنع بها رسول الله (ص) فانتزعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب وقال هذه أهداها أبو الحسن، فدخل رسول الله (ص) والسلسلة في يدها فقال: يا فاطمة أيغرك إن يقول الناس ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار ثم خرج ولم يقعد فأرسلت فاطمة بالسلسلة إلى السوق فباعتها واشترت بثمنها غلاماً وقال مرة عبداً وذكر كلمة معناها فأعتقته فحدث بذلك فقال الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار[٣]. ونقل النسائي[٤] نفس الرواية وبنفس السند ولكن بتغيير بعض الرواة إذ يقول: " أخبرنا عبيد الله بن سعيد قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن يحيى بن أبي كثير قال حدثني زيد عن أبي سلام عن أبي أسماء الرحبي إن ثوبان...".

٤ - **الرواية الرابعة: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)**: "ثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا يحيى حدثني زيد بن سلام إن جده حدثه إن أبا أسماء حدثه إن ثوبان مولى رسول الله (ص) حدثه إن ابنة هبيرة دخلت على رسول الله (ص) وفي يدها خواتيم من ذهب يقال لها الفتخ فجعل رسول الله (ص) يقرع يدها بعصية معه يقول لها أيسرك إن يجعل في يدك خواتيم من نار. فأتت فاطمة فشكت إليها ما صنع بها رسول الله (ص)، قال: وانطلقت أنا مع رسول الله (ص) فقام خلف الباب وكان إذا استأذن قام خلف الباب، قال فقالت لها فاطمة انظري إلى هذه السلسلة التي أهداها إلي أبو الحسن، قال: وفي يدها سلسلة من ذهب فدخل النبي (ص)، فقال

---

(١) لعل الصواب منكبها (محقق مصنف الصنعاني: ١١/٧٣ - ٧٤).

(٢) المصنف: ١١/٧٣ - ٧٤.

(٣) المسند: ٥/١٠ - ١١.

(٤) السنن: ٥/٤٣٤ - ٤٣٥، ٨/١٥٨.

يا فاطمة بالعدل إن يقول الناس فاطمة بنت محمد وفي يدك سلسلة من نار ثم عذمها عذماً شديداً ثم خرج ولم يقعد فأمرت بالسلسلة فبيعت فاشترت بثمنها عبدا فأعتقته فلما سمع بذلك النبي (ص) كبر وقال: الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار[1].

٥ – **الرواية الخامسة: الروياني (ت ٣٠٧ هـ)**: " حدثنا محمد بن بشار حدثنا سهل حدثنا أبو غفار عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان مولى رسول الله (ص) قال جاءت هبيرة إلى رسول الله (ص) وفي يدها فتح من ذهب أي خواتيم فجعل النبي (ص) يضرب يدها فأتت فاطمة بنت رسول الله تشكو إليها ما صنع بها رسول الله قال ثوبان فدخل النبي (ص) والسلسلة في يدها فقال النبي (ص) يا فاطمة أنت بنت رسول الله وفي يدك سلسلة من نار ثم خرج ولم يعد فعمدت فاطمة إلى السلسلة فباعتها فاشترت بها غلاماً فأعتقته فبلغ ذلك النبي (ص) فقال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار[2].

٦ – **الرواية السادسة: عمر بن شاهين (ت ٣٨٥ هـ)**: ثنا نصر بن القاسم بن زيد الفرائضي قال ثنا محمد بن إبراهيم ابن فرنة الخوارزمي ثنا معاذ بن هشام عن أبيه عن يحيى بن أبي كثير حدثني زيد أبو سلام عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال: جاءت ابنة هند إلى رسول الله (ص) وفي يدها فتخ أي خواتيم ضخام فجعل رسول الله (ص) يضرب يدها فدخلت على فاطمة تشكو إليها الذي صنع بها رسول الله (ص)، فانتزعت فاطمة (ع) سلسلة من عنقها فقالت هذه أهداها لي أبو الحسن فدخل رسول الله (ص) والسلسلة في يدها فقال: يا فاطمة! أيغرك إن يقول الناس ابنة رسول الله (ص) وفي يدها سلسلة من نار ثم خرج ولم يقعد فبعثت فاطمة (ع) بالسلسلة إلى السوق فباعتها فاشترت بثمنها عبداً فأعتقته فحُدث بذلك رسول الله (ص) فقال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار[3]. ويستوقفنا في هذه الروايات إشارتها إلى إن إحدى الصحابيات جاءت تسأل النبي (ص) عن شيء ما فرأى النبي (ص) في يدها خواتيم من ذهب فضربها فذهبت شاكية لفاطمة (ع)... والذي يستوقفنا في ذلك:

(١) من هي هذه المرأة، فقد اختلفت الروايات ولم تتفق على تعريفها، فرواية تجعلها مجهولة إذ تسميها فلانة بنت القاسم، ورواية ثانية تنعتها ببنت هبيرة!! وثالثة تسميها (هبيرة) وأخرى تسميها (ابنة هند)!!؟ أما في كتب التراجم نجدهم يسمونها بـ (هند بنت هبيرة)!![4]. فمن هي إذن؟! ما أسمها؟ ولمن تنتسب؟ مهاجرة أم أنصارية؟ فلا نجد أي بيان لذلك في كتب التراجم والملاحظ إنها ترجمت من خلال وجودها في هذا الحديث وهنا نتساءل: فيما لو

---

(١) المسند: ٥/٢٧٨ – ٢٧٩.

(٢) المسند: ١/٤٠٩.

(٣) فضائل سيدة النساء: ص١٢ – ١٤.

(٤) انظر ترجمتها: ابن الأثير: ٥/٤١٧. ابن حجر: الإصابة: ٤/٤٢٧.

ثبت بطلان هذا الحديث أو انه موضوع فهل ينعدم وجود هذه الشخصية؟! وهل اختلقوها لتكون بطلة هذه الحادثة فقط؟!

(٢) وأشارت رواية الصنعاني إن ثوبان يشير إلى مجيء امرأتين الأولى قال عنها (فلانة بنت القاسم وصاحبة لها) فمن هي فلانة ومن صاحبتها؟ ولماذا لم يصرح بأسمائهن؟!!.

(٣) تقول رواية الصنعاني إن المرأتين جاءتا إلى النبي (ص) تسألانه عن أمر ما وأخرجت أحداهما يدها وكانت ترتدي الخواتم الذهبية فرآها النبي (ص) فضربها من عند الخواتم إلى منكبها!!. وهنا نتساءل أولاً: هل تعمدت آخراج يدها ليراها النبي (ص)؟! أم انه سهواً منها ولماذا يضربها النبي (ص)؟! هل لأجل لبسها الذهب؟! وهل الذهب محرم على النساء؟؟ ولماذا يضربها من عند الخاتم إلى منكبها؟ هل هو حكم لم يصل إلينا؟! أم كان الضرب لتعمدها أظهار زينتها؟ لكن كلام النبي (ص) إن الضرب كان لأجل (الذهب) إذ يصفه بالجمر بقوله: "وقد ملأتما أيديكما جمراً". فهل هذا يتناسب وأخلاق النبي (ص)؟!

(٤) وتشير رواية الصنعاني إذ تشير إلى إن التي أخرجت يدها واحدة منهن، إذن كيف عرف ثوبان– راوي الرواية – بأن كلاهما كانتا ترتديان الخواتم؟ ولماذا يعرض النبي (ص) عن كلتيهما ويقول: ومالي لا أعرض عنكما وقد ملأتما أيديكما جمراً؟!!.

٤ – وتشير الروايات إن تلك المرآة أو المرآتين معاً بعدما تعرضا لضرب وأعراض النبي (ص) قصدتا السيدة فاطمة (ع) للشكوى من فعل أبيها!! فما معنى ذلك؟! وكيف يحق للمسلم الاعتراض على ما يفعله النبي (ص) إن صح نسبة هذا الفعل له (ص) أليس المسلمون مأمورون بوجوب طاعته؟! ثم لماذا يشكياه لفاطمة؟! وهي ابنته؟! إذ لا نجد أي تفسير منطقي مقبول يمكن من خلاله تقبل أي احتمال لمعالجة هذا الأمر!!.

٥ – أوضحت الروايات أن السيدة فاطمة (ع) أخرجت سلسلة من ذهب! فما معنى تصرفها هذا – أن صح – هل هو تمرد على أحكام النبي (ص)؟! فهل تريد الرواية إن تقول إن فاطمة (ع) تهتم بالماديات بحيث تُباهي بذلك أو تحاول أن تواسي من حرمها النبي (ص) من ذلك؟!.

٦ – تشير الروايات إن ثوبان– راوي الحادثة – كان مع النبي (ص) فكيف علم بأن المرآتين أو المرآة قصدت فاطمة (ع) للشكوى...؟! وهو الذي وصل مع النبي (ص) بعد فترة!! وما معنى قوله في الرواية الثانية – للصنعاني – "ولم تفطن فاطمة لذلك، فسلم من جانب الباب، وكان قبل ذلك يأتي من جانب الباب"؟؟. فكيف لم تفطن فاطمة وقد سلم عليها؟!! ثم ما قصده أن النبي (ص) جاء بهذا الشكل؟! هل يتهم النبي (ص) بالتجسس على ابنته (ع)؟ ولماذا يفعل ذلك النبي (ص)؟! ثم ما معنى استئذانه بعد ذلك؟! إنها لإساءة لشخص النبي الأكمل (ص)!!.

٧ – قالت الروايات إن ثوبان رأى تلك السلسلة في يد الزهراء أو في عنقها!! فكيف حل له النظر؟! ثم أليس محرم على النساء أظهار الزينة أمام الأجانب؟! فكيف ينسب هذا التهاون إلى بنت النبي (ص)؟! وكيف وهي التي كانت تحتجب من الأعمى ولم يرها أحد قط من غير محارمها مدى تحرزها من مخالطة الرجال أو رؤيا هم لها؟!!.

٨ – إن نسبة تلك التصرفات التي أفصحت عنها الروايات لشخص النبي الأقدس (ص) لا يتفق مع ما هو معهود منه (ص) من رفق ورحمة بمن حوله؟! ولا يتناسب مع خلقه العظيم... إذ نجده هنا يستخدم الضرب رغم عدم تنبيهه أولاً لتلك المرأة بان ذلك لا يرضيه، كيف وهو المأمور بـ ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ... ﴾(النحل/١٢٥). ومن ثم تتهم النبي (ص) بالتجسس على ابنته (ع)؟!! أو انه (ص) قد أكثر من لوم ابنته على ما فعلته؟! ولا ندري ما مدعاة ذلك؟! فلو فرضنا أنها (ع) كانت تمتلك تلك السلسلة وقد أشارت إن زوجها أهداها لها، واغلب الاحتمالات إن زوجها (ع) قد حصل عليها أما من غنيمة أو كما صرحت أحدى الروايات انه اشتراها لها!!. إذن كيف يشتري الإمام (ع) ما كان النبي (ص) قد حرمه ـ إن كان محرماً ـ أم انه كان لا يعلم بذلك أيضاً؟!!. أما إن كانت من الغنائم فأنها لم تصل إليه إلا عن طريق النبي (ص) فكيف يهبه إياها ثم يعترض على زوجته باقتنائها؟!!.

٩ – ومما يمكن تسجيله على هذه الروايات الاضطراب الواضح في ألفاظها وبروز الاختلافات فيما بينها رغم إن طريق روايتها ونقلها واحد إذ كلها تنتهي إلى أبي أسماء الرحبي والذي يرويها ثوبان. وتستوقفنا في هذا المجال ملاحظة أخرى وهي: إن كل من المصادر التي تناقلتها كان أصحابها قد عاشوا في زمن واحد متقارب السنوات إذ ليس بينهم فترة طويلة، ويضاف لذلك أنهم جميعاً أخذوها من طريق واحد تقريباً. فالطيالسي والصنعاني وابن راهويه وابن حنبل والباقين ليس بعيدين عن هؤلاء وكما قلنا طريقهم واحد ينتهي إلى أبي أسماء الرحبي الذي رواها عن ثوبان مولى النبي (ص) إذن فما معنى تلك الاختلافات والإرباك في أحداث الرواية وألفاظها...؟!!. هذا ما يدعونا إلى التوقف قليلاً عند رجال الأسانيد. وقد لوحظ في تراجمهم وأقوال علماء الجرح والتعديل هذه الملاحظات:

أ ـ وردت في أسانيد بعض الروايات مجاهيل كرواية الصنعاني إذ يقول: عن رجل؟!وقوله: عن فلانة وصاحبتها؟!! وكذلك في سند رواية ابن شاهين أعتمد على: محمد بن إبراهيم بن فرنة والذي لم يترجم له سوى الذهبي[1] والذي قال عنه: "لا يدري من ذا؟" وأكد انه ورد ذكره في هذا الحديث فقط!!.

ب ـ يلاحظ إن كل الأسانيد تنتهي إلى يحيى بن أبي كثير والذي يرويها عن زيد أو جده أبو سلام، واللذان ينقلاها عن أبي أسماء عن ثوبان. عدا سند الروياني أوردها بطريق آخر

(١) ميزان الاعتدال: ٣/ ٤٥١.

غيريحيى وزيد ولنا وقفة مع رجاله لاحقاً. وقد أشكل بعض علماء الجرح والتعديل على رواية يحيى بن أبي كثير[١] عن زيد بن سلام أو عن جده أبو سلام!! واتهموه لأجل ذلك بالتدليس لأنه لم يلق أي منهما! فكيف يقول: حدثني زيد؟ أو جده؟ بل انه كان قد نقل من كتب زيد ولم يراه.. إذ يقول ابن معين: "لم يسمع يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام"[٢]. وقال في موضع آخر: "قدم معاوية (وهو آخو زيد) بن سلام عليهم فلم يسمع يحيى بن أبي كثير، أخذ كتابه عن أخيه فلم يسمعه عنه فدله عنه، وأبو سلام ممطور وهو جد زيد بن سلام ويحيى بن كثير يقول حدثني أبو سلام ولم يلقه ولم يسمع منه شيء"[٣]. أما العجلي[٤] فمع انه ذكره في الثقات إلا انه يتفق مع ابن معين في قوله أعلاه.

جـ - لم تخل أسانيد هذه الروايات من المتهمين بالضعف أو التدليس فيحيى بن أبي كثير المذكور أعلاه متهم بالتدليس، أما همام بن يحيى بن دينار فسيء الحفظ، ولا يحتج به، لذا عد في الضعفاء[٥].

د - ولا يفوتنا الإشارة إلى إن بعض الرواة كانوا من أهل الشام أو ممن نزلها فيما بعد، وهذا ما يدعونا إلى الحذر من مروياتهم إذ إن الشام كانت موالية لبني أمية وفيها نصب العداء لأهل البيت وسعى معاوية لشن حرب إعلامية ضد الإمام (ع) متخذاً سلسلة من الإجراءات بهذا الصدد منها: تشكيل لجنة من مجموعة من الصحابة كعمرو بن العاص وأبو هريرة والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير وكانت مهمتها افتعال فضائل للصحابة، ووضع فضائل للصحابة مقابل فضائل الإمام علي (ع)، افتعال مثالب للإمام علي (ع). وقد كانت الشام المرتع الأول لتلك الحملات الرامية لتشويه سيرة الإمام (ع) وأهل بيته (ع). مما يدعو للتوقف عند كل من نشأ أو نـزَل في تلك البيئة الموبوءة كزيد بن سلام الدمشقي الشامي، وممطور أبو سلام الشامي[٦]، وأبو أسماء عمرو بن مرثد الرحبي الشامي[٧]، وأبو قلابة البصري الذي كان نزيل الشام وكان يبغض الإمام (ع). وثوبان

---

(١) ابن معين: تاريخ: ١٦٣/٢. العجلي: معرفة الثقات: ٣٧٨/١. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٢٨/١٩. المزي: تهذيب الكمال: ٧٦/١٠ — ٧٨.

(٢) تاريخ ابن معين: ٣٥٣/٢.

(٣) تاريخ ابن معين: ١٦٣/٢.

(٤) معرفة الثقات: ٣٥٧/١.

(٥) الطبقات الكبرى: ٢٨٢/٧، العقيلي: الضعفاء: ٣٦٧/٤ - ٣٧١، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: ١٠٩/٩، ابن عدي: الكامل في الضعفاء: ١٢٩/٧ — ١٣١، ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٦٢/١١.

(٦) انظر ترجمته: المزي: تهذيب الكمال: ٤٨٦/٢٨.

(٧) البخاري: التاريخ الكبير ٣٧٦/٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٣٢/٤٦، ابن حجر: تهذيب ٨٧/٨.

مولى النبي (ص)[1] الذي نزلها في آخر حياته وبقي فيها إلى إن وفاته، ولكن لماذا قصدها دون غيرها للسكن؟!!.

٣ – نُسب للنبي (ص) قوله "**لو إن فاطمة سرقت لقطعت يدها**". ونستعرض أولا روايات هذا الحديث:

١ – **الصنعاني (ت ٢١١ هـ)**: "أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: **كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي (ص) بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة** بن زيد **فكلموه، فكلم أسامة النبي (ص) فيها، فقال له النبي (ص): يا أسامة لا تزال تكلم** في حد من حدود الله **ثم قام النبي (ص) خطيباً فقال: إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة ابنة محمد لقطعت يدها**"[2].

"**أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار قال: أخبرني حسن بن محمد بن علي قال: سرقت امرأة – قال عمرو**: حسبت انه قال: من بنات الكعبة[3] **فأتي بها النبي (ص)، فجاء عمر بن أبي سلمة، فقال للنبي (ص) أنها عمتي، فقال النبي (ص): لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها. قال عمرو**: فلم أشك حين قال حسن: **قال عمر للنبي (ص): أنها عمتي، إنها بنت الأسود بن عبد الأسد**، ابنة أخي سفيان بن عبد الأسد. **قال عمرو بن دينار**: واخبرني عكرمة بن خالد عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، قال: استعارت بنت الأسود بن عبد الأسد **شيئاً كاذبة فكتمته فقطعها النبي (ص)** قال: حسبت من فاطمة"[4].

٢ – **ابن سعد (ت ٢٣٠)**: "أخبرنا بن نمير عن الأجلح عن حبيب بن أبي ثابت **يرفع الحديث إن فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد سرقت على عهد رسول الله (ص) حلياً فاستشفعوا على النبي (ص) بغير واحد وكلموا أسامة بن زيد ليكلم رسول الله (ص) وكان** رسول الله **يُشفعه فلما اقبل** أسامة ورآه النبي (ص) **قال لا تكلمني يا أسامة فإن الحدود إذا انتهت إلي فليس لها مترك لو كانت ابنة محمد فاطمة لقطعتها**.

قال محمد بن سعد فهذه رواية في فاطمة بنت الأسود وفي رواية أهل المدينة وغيرهم من أهل مكة إن التي سرقت فقطع رسول الله يدها أم عمرو بنت سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمها بنت عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن

---

(١) ابن سعد: الطبقات: ٤٠٠/٧.

(٢) المصنف: ٢٠١/١٠ – ٢٠٢. ابن حنبل: المسند: ١٦٢/٦. مسلم: الصحيح: ١١٥/٥. ابن الجارود: المنتقى: ص٢٠٤. المتقي الهندي: كنز العمال: ٧٣٥/٢.

(٣) هكذا في الأصل! والأصح: ثياب الكعبة كما صرحت به روايات أخرى.

(٤) المصنف: ٢٠٢/١٠.

حسل بن عامر بن لؤي أخت حويطب بن عبد العزى وإنها خرجت من الليل وذلك في حجة الوداع فوقفت بركب نزول فأخذت عيبة لهم فآخذها القوم فأوثقوها فلما أصبحوا أتوا بها النبي (ص) فعاذت بحقوي أم سلمة بنت أبي آمية زوج رسول الله (ص) فأمر بها فافتكت يداها من حقويها وقال والله لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها، ثم أمر بها فقطعت يدها..."[١].

٣ – **ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥)**: "حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن طلحة بن ركانة عن أمه عائشة بنت مسعود بن الأسود عن أبيها قال: لما سرقت المرأة تلك القطيفة من بيت رسول الله (ص) أعظمنا ذلك وكانت امرأة من قريش فجئنا إلى النبي (ص) نكلمه وقلنا نحن نفديها بأربعين أوقية فقال رسول الله (ص) تُطهر خير لها فلما سمعنا قول رسول الله (ص) أتينا أسامة فقلنا كلم رسول الله (ص) فلما رأى رسول الله ذلك قام خطيباً فقال: ما إكثاركم علي في حد من حدود الله عز وجل وقع على أمة من إماء الله والذي نفس محمد بيده لو كانت فاطمة بنت رسول الله نزلت بالذي نزلت به لقطع محمد يدها"[٢].

- "حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة إن النبي (ص) كلم في شيء فقال: لو كانت فاطمة ابنة محمد لأقمت عليها الحد"[٣].

٤ – **ابن راهويه (ت ٢٣٨ هـ)**: "أخبرنا أبو الوليد نا ليث بن سعد عن الزهري عن عروة عن عائشة إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله (ص) قالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حُب رسول الله (ص)، فكلمه أسامة فقال رسول الله (ص) أتشفع في حد من حدود الله ثم قام يخطب الناس فقال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف حدوه وايم الله لو إن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "[٤]. أما الطبراني فقد روى نفس الرواية بطريق آخر ينتهي إلى الزهري عن عروة عن الزبير عن أم سلمة[٥].

- أخبرنا سفيان قال كانت مخزومية تستعير متاعاً وتجحده فرفعت إلى رسول الله (ص) وكلم فيها فقال: لو كانت فاطمة لقطعت يدها "قيل لسفيان من ذكره قال أيوب بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة"[٦].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢٦٣/٨ – ٢٦٤.

(٢) المصنف: ٤٦٢/٦. ابن حنبل: المسند ١٦٢/٦. ابن ماجة: السنن ٨٥١/٢ – ٨٥٢. الحاكم: المستدرك ٣٧٩/٤ – ٣٨٠.

(٣) المصنف: ٤٦٢/٦.

(٤) المسند: ٣٣٥/٢ – ٣٣٦. الدارمي: السنن: ١٧٣/٢. ابن ماجة: السنن: ٨٥١/٢. أبو داود: السنن: ٣٣٢/٢. النسائي: السنن: ٣٣٢/٤. الترمذي: السنن ٤٤٢/٢.

(٥) المعجم الأوسط: ٧٢/٧. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٢٥٩/٦.

(٦) المسند: ٣٣٤/٢ – ٣٣٥. البخاري: الصحيح: ٢١٣/٤. النسائي: السنن: ٣٣١/٤.

٥ - **أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)**: "حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الزبير (عن) جابر إن امرأة من بني مخزوم سرقت فعاذت بأسامة بن زيد حب رسول الله (ص) فأتى بها رسول الله (ص) فقال: لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها فقطعها"[١].

- "حدثنا سليمان بن داود الهاشمي حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر قال أتى النبي (ص) بامرأة قد سرقت فعاذت بربيب النبي (ص) فقال النبي (ص) والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها فقطعها. قال ابن آبي الزناد وكان ربيب النبي (ص) سلمة بن أبي سلمة وعمر بن أبي سلمة فعاذت بأحدهما"[٢]. "ثنا سفيان عن أيوب بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة إن النبي (ص) أتي بسارق فأمر به فقطع قالوا يا رسول الله ما كنا نرى إن يبلغ منه هذا قال: لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها. ثم قال سفيان لا أدري كيف هو"[٣].

٦ - **البخاري (ت ٢٥٦ هـ)**: "حدثنا محمد بن مقاتل: أخبرنا عبد الله: أخبرنا يونس، عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير: إن امرأة سرقت في عهد رسول الله (ص) في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله (ص) فقال: أتكلمني في حد من حدود الله؟ قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله فلما كان العشي قام رسول الله خطيباً، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو إن فاطمةً بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر رسول الله (ص) بتلك المرأة، فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت. قالت عائشة: فكانت تأتي بعد ذلك، فأرفع حاجتها إلى رسول الله (ص)"[٤].

- "وحدثنا علي: حدثنا سفيان قال: ذهبت أسأل الزهري عن حديث المخزومية، فصاح بي، قلت لسفيان: فلم تحتمله عن أحد؟ قال: وجدته في كتاب كان كتبه أيوب بن موسى عن الزهري، عن عروة عن عائشة: إن امرأة من بني مخزوم سرقت، فقالوا: من يكلم فيها النبي (ص) فلم يجترئ أحد إن يكلمه فكلمه أسامة بن زيد، فقال: "إن بني إسرائيل كان إذا سرق منهم الشريف تركوه وإن سرق منهم الضعيف قطعوه، لو كانت فاطمة لقطعت يدها"[٥].

---

(١) المسند: ٣٨٦/٣. النسائي: السنن: ٣٣٢/٤.

(٢) المسند: ٣٩٥/٣. الحاكم: المستدرك: ٢٧٩/٤.

(٣) المسند: ٤١/٦. النسائي: السنن: ٣٣٢/٤. أبو يعلى: المسند: ٣٩/٨.

(٤) الصحيح: ٩٦/٥ - ٩٧. مسلم: الصحيح: ١١٤/٥، النسائي: السنن: ٣٣٤/٤، ٧٤/٨ - ٧٥. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣٦٣/٤ - ٣٦٤.

(٥) الصحيح: ٢١٤/٤.

٧ ـ **مسلم (ت ٢٦١هـ)**: "حدثني سلمة بن شبيب: حدثنا الحسن بن أعين: حدثنا معقل، عن أبي الزبير عن جابر إن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأتى بها النبي (ص): فعاذت بأم سلمة زوج النبي (ص): فقال النبي (ص): "والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها" فقطعت"[1].

٨ – **النسائي (ت ٣٠٣هـ)**: "أخبرنا عمران بن بكار قال حدثنا بشر بن شعيب قال أخبرني أبي عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت استعارت امرأة على السنة أناس يعرفون وهي لا تعرف حلياً فباعته وأخذت ثمنه، فأتي بها النبي (ص) فسعى أهلها إلى أسامة بن زيد فكلم رسول الله (ص) فيه فتلون وجه رسول الله (ص) وهو يكلمه ثم قال له رسول (ص) أتشفع إلي في حد من حدود الله فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام رسول الله (ص) عشية إذ فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو إن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم قطع تلك المرأة"[2].

٩ – **ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)**: "روى عمار الدهني عن شقيق قال: سرقت فاطمة بنت أبي الأسد، فأشفقت قريش إن يقطعها رسول الله (ص)، فكلموا أسامة بن زيد، فكلم رسول الله (ص)، فقال: كل شيء ولا ترك حد من حدود الله، لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها، فقطعها. وقد روى عن شقيق عن فاطمة بنت أبي الأسود هذه: إن امرأة من قريش سرقت ". علق ابن الأثير: وكان الأول أصح"[3].

يستوقفنا في هذه الروايات جملة ملاحظات نشير إليها الآن:

أ – إن هذه الروايات نقلت لنا حادثة وقعت في عهد النبي (ص) وقد حملت جملة اختلافات.

١ – تحدثنا الرواية عن امرأة سرقت أو جحدت متاعاً فمن هي هذه المرأة؟ ففي الوقت الذي تكتفي روايات بالقول بأنها امرأة أو امرأة مخزومية تُعرفها أخرى بأنها فاطمة بنت الأسود من بني مخزوم وتأتي رواية ثانية لتقول إنها أم عمرو بنت سفيان وثالثة تقول بنت أخ سفيان؟!! بينما نجد رواية أخرى تحول المرآة إلى رجل سارق.

٢ – ونجد اختلافاً في تحديد ما فعلته تلك المرآة؟ فروايات تقول بأنها سرقت وأخرى تقول إنها كانت تستعير متاعاً وتجحده؟!!

٣ – واختلفت الروايات أيضاً حول ما الذي سرقته أو جحدته؟ فرواية لا توضح ما الشيء المسروق، ورواية ثانية تشير إنها سرقت (حلياً) وتأتي ثالثة لتقول إنها سرقت (قطيفة) من

(١) الصحيح: ١١٥/٥.

(٢) السنن: ٧٣/٨.

(٣) أسد الغابة: ٣٦١/٥ – ٣٦٢. ابن حجر: الإصابة: ٣٨٠/٤.

بيت رسول الله (ص) ورواية أخرى تشير إنها سرقت عيبة القوم؟!! ورواية تقول سرقت (ثياب الكعبة). أما الروايات التي اتهمت المرأة بجحد العارية فاختلفت أيضاً بنوع تلك العارية فرواية تقول (حلي) وأخرى تقول (متاع).

٤ - وأوردت اختلافاً حول من الذي سرق منه أو تم جحد ما أعاره من ثياب الكعبة؟! رواية تقول إنها سرقت من بيت رسول الله (ص) وثانية تقول إنها سرقت من جماعة من المسلمين فيما لا تشير باقي الروايات ممن تمت السرقة. أما عن قضية الجحد فذكرت رواية إنها استعارت من أناس معروفين ولم توضح من هم هؤلاء الناس؟!

٥ - ومما تضاربت به الروايات أيضاً تاريخ وقوع تلك الحادثة فروايات لم تفصح عن زمانها، بينما جاءت رواية تقول بوقوعها عام الفتح وأخرى تقول إنها وقعت في حجة الوداع؟!!

٦ - أما مسألة الشفاعة فلم تتفق الروايات على الذي تشفّع؟! وبمن تشفع؟!! فرواية تقول إنها هي التي استشفعت ورواية أخرى تنسب الفعل لأهلها أو قومها؟!! أما بمن استشفعوا فمختلف ما بين أسامة بن زيد وأم سلمة وأبنيها ورواية تقول (غير واحد) لم توضحهم؟؟

ب - ثم نجد جملة إشكالات تطرح على تلك الروايات:

١ - حملت بعض الروايات تناقضاً في متنها إذ تشير الرواية الأولى مثلاً في أولها إن المرآة كانت تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي (ص) بقطع يدها وأعقب ذلك بقوله "... وإذا سرق فيهم.." إذن ما دامت المرأة لم تسرق فهي جحدت ما استعارته فلماذا يأمر النبي (ص) بقطع يدها؟ هل أن عقوبة جاحد العارية هي القطع؟!! ومن ثم ما معنى إشارة النبي (ص) لعقوبة السرقة؟!

٢ - تشير الروايات إن المرآة التي جحدت أو التي سرقت عاذت بأشخاص للشفاعة أو إن أهلها قصدوهم للشفاعة وعلى ما فيها من اختلاف في من استشفعوا نسأل لماذا الشفاعة لها ألا يعد هذا طعناً في هؤلاء الصحابة لمحاولتهم تعطيل الحدود؟!! ولماذا قصدوا هؤلاء دون غيرهم فأن قلنا إن أم سلمة وابنيها من بني مخزوم - فما علاقة أسامة بهم ولماذا يقصدونه؟! وهل كانت له فعلاً تلك المكانة التي يسمو بها على غيره مع إن عمره لا يتجاوز الثامنة عشرة؟!! وبماذا استحق إن يكون حب رسول الله - كما ادعت بذلك الرواية -؟! وأين مصاديق ذلك؟! وهل هو فعلا أقرب للنبي (ص) من الإمام علي (ع) أو فاطمة بضعته (ع) أو أبنيها (ع)؟! ولماذا لم يقصدوا هؤلاء الذين استفاضت روايات النبي (ص) في بيان مكانتهم لديه وعظيم شأنهم عنده!!

٣ - نلاحظ إن ابن سعد وغيره من أصحاب كتب التراجم قد ترجموا لهذه المرآة من خلال هذه الرواية فقط - أي اقتصرت ترجمتها على هذه الحادثة - ولم يذكروا تفاصيل أكثر ممكن إن تلقي ضوء على حياة هذه الصحابية، ثم نتساءل انه لو ثبت إن هذه

الرواية من الموضوعات فهل تعتبر هذه الصحابية مختلقة ولماذا يا ترى اختلقت؟!! والغريب إن كتب التراجم زخرت بنماذج أخرى مشابهة لهذه الترجمة؟!!

٤ - تشير رواية مسعود بن الأسود انه وقومه قالوا للنبي (ص) نحن نفديها بأربعين أوقية؟! فهل على السارق دفع الفدية؟! من أين جاءوا بهذا الحكم؟ ولماذا أربعين أوقية؟! ودلالة بطلان الفدية إن النبي (ص) رفضها وقال تطهر خير لها؟!

٥ - نلاحظ أن الرواية الثانية لابن أبي شيبة مع باقي الروايات رواية مبهمة ليس فيها تفاصيل غير إنها تتفق مع باقي الروايات بإيراد ذاك النص القائل "لو كانت فاطمة بنت محمد لأقمت عليها الحد". ولم توضح ما الحادثة التي وقعت فكلم فيها النبي (ص)، فإشارته (لأقمت عليها الحد) توضح إن هناك حادثة متعلقة بإقامة حد من حدود الله.

٦ - نلاحظ على الروايات تشابه بعض طرق الأسانيد لكن مروياتهم تختلف وتتناقض فيما بينها فلماذا الاختلاف ما دام الراوي نفسه؟!! ومثال على ذلك رواية الصنعاني الأولى مع رواية ابن أبي شيبة الثانية فكلاهما عن طريق الزهري عن عروة عن عائشة ولكن نلاحظ الاختلافات واضحة وان قيل إن الحادثتين منفصلتين فما معنى ترديد النبي (ص) لنفس الحديث الخاص بإشارته لابنته فاطمة (ع). وكذلك الحال بالنسبة لرواية ابن حنبل الثالثة التي تشترك مع نفس طريق الرواة أعلاه ولكنها تقول إن الحادثة وقعت لرجل وليس امرأة. وأيضاً تشابه رواية البخاري مع رواية النسائي بنفس الإسناد تقريباً وأغلب التفاصيل لكن الاختلاف إن البخاري ذكر إنها سرقت والنسائي أشار إنها كانت تجحد العارية والغريب إن الحكم كان واحداً في كلا الحالتين وهو قطع اليد؟!!

ج - عند مراجعتنا لأسانيد تلك الروايات لاحظناها تحتاج الوقوف عند رجالها وبيان عدم خلوها من:

(أ) قطع في الإسناد مثل حبيب بن أبي ثابت[١]. والحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الذي أبوه لم يعاصر النبي (ص) ولم يذكر نقله عن أحد عاصر الحادثة بل هو ناقلها فكيف يصح نقله لها؟[٢].

(ب) ضعيف أو مختلف في حاله كابن جريج وعمرو بن دينار، ومحمد بن إسحاق وابن عيينة، وعبد الرحمن أبي الزناد مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس[٣].

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١١٦/١، ابن حجر: لسان الميزان ١٦٨/٢.

(٢) المزي: تهذيب الكمال ٣١٦/٦ - ٣٢٢.

(٣) ابن معين: تاريخ، رواية الدارمي ص١٥٢، ابن خياط: طبقات ص٤٨٠.

(جـ) متهم بالتدليس كأبي الزبير مولى حكيم بن حزام. الذي عد من الضعفاء الذين لا يحتج بهم[١].

(د) المنحرفين عن الإمام علي (ع) والمتهمين بمعاداته كالزهري وعروة بن الزبير.

ولا يفوتنا تسجيل عدد من الملاحظات العامة على تلك الروايات:

١ – يلاحظ إن بعضاً من ناقلي[٢] هذه الروايات قد ذكروا تلك الحادثة في مصادرهم أنفسها دون الإشارة إلى الجزء الأخير القائل بأن النبي (ص) قال: "لو إن فاطمة" فما معنى ذلك؟!! هل زيد على الرواية بهدف الإساءة للسيدة فاطمة (ع).

٢ – إن الشروح المتأخرة حاولت جاهدة سد الثغرات التي تبدي تناقضاً في تفاصيل الروايات ففسروا الاختلاف ما بين الروايات بتفسيرات عدة فمثلاً حول (هل إن المرآة سرقت أم كانت تستعير المتاع) بقولهم: إنها كانت تستعير في بدء الأمر ثم انتهى بها الحال للسرقة فاستحقت القطع... لكن قولهم هذا لا يصمد أمام وضوح استقلالية كل حادثة عن أخرى في رواية واضحة وبيان التناقضات في كل واحدة منها.. وقد تعثرت خطواتهم الهادفة لتضييع تلك التناقضات وذاك باصطدامهم ببعض الروايات التي يقولون بصحة سندها والتي جاءت تفاصيلها واضحة[٣].

٣ – لو سلمنا بصحة الرواية: إذ لا يستبعد وقوع هكذا حادثة لإحداهن لكن ما معنى قول النبي (ص): "لو كانت فاطمة ابنة محمد لقطعت يدها"، ألا يكون التشابه بين الاسمين أحدث خلطاً !! أي لما لا يكون قصد النبي (ص) إن هذه التي سرقت – فاطمة المخزومية – حتى لو كانت ابنته لما عفا عنها!! فيصبح الحديث منطقياً ومقبولاً بقول النبي (ص): "لو كانت فاطمة – أي المخزومية – ابنة محمد لقطعتها". !!

٤ – ومما هو جدير بالملاحظة: إن هذه الحادثة وهذا الحديث لم يرد في كتب الإمامية القديمة، ولا بإشارة واحدة فما معنى ذلك؟!! وقد أشارت لها بعض الكتب الحديثة[٤] والتي حاول مؤلفيها إيجاد مخارج، لأنهم أيضاً لم يقتنعوا بها، ولا حاجة لذكر تحليلاتهم ما دام الحديث موضوع ولا صحة له.

٥ – إن ملاحظة أسانيد الروايات، والتي لم تخل من شخوص معادية لأهل البيت (ع)، ومتهمة بتحريف كثير من الحقائق التاريخية، ليجعل الشك في هكذا روايات – تتضح فيها الإساءة لأهل البيت – أمر طبيعي ومطلوب.

---

(١) العقيلي: الضعفاء: ١٣٠/٤ – ١٣٣. ابن العجمي: التبيين لأسماء المدلسين ص٥٤.

(٢) انظر مثلاً: البخاري: الصحيح: ١٦/٨. مسلم: الصحيح ١١٥/٥.

(٣) انظر: ابن رشد: بداية المجتهد: ٣٦٦/٢، ٣٧٢/٢. الزيعلي: نصب الراية: ١٩٢/١٤ – ١٩٣. ابن حجر: فتح الباري: ٧٧/١٢ – ٨٥. الشوكاني: نيل الأوطار: ٣٠٥/٧ – ٣٠٧.

(٤) انظر مثلاً: ابن شهراشوب: المناقب: ١٠٦/٢.

د – ومن الروايات التي كانت موضع شك بسبب الإساءات الواضحة لمقام السيدة فاطمة (ع) التي نسبت للنبي (ص)!!

الرواية الأولى: ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ): "ابن نمير عن فضيل بن غزوان عن نافع عن ابن عمر: إن رسول الله (ص) أتى فاطمة فوجد على بابها ستراً فلم يدخل قال: وقلما كان يدخل إلا بدأ بها فجاء علي فرآها مهتمة فقال: مالك؟ قالت جاء رسول الله (ص) فلم يدخل عليّ فأتاه علي فقال: يا رسول الله إن فاطمة أشتد عليها انك جئتها فلم تدخل عليها! فقال: وما أنا والدنيا وما أنا والرقم[1] قال فذهب إلى فاطمة فأخبرها بقول رسول الله (ص)، فقالت قل لرسول الله (ص) ما تأمرني به قال: قل لها: فلترسل به إلى بني فلان"[2].

الرواية الثانية: ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥): "حدثنا ابن إدريس عن أشعث عن الحسن قال: جاء رسول الله (ص) إلى بيت ابنته فاطمة فرأى ستراً منشوراً فرجع قال: فأتاه علي فقال: ألم اخبر انك أتيت ابنتك فلم تدخل قال: فقال: أفلم أراها سترت بيتها بنفقة في سبيل الله " فقيل للحسن وما كان ذلك الستر قال قرام أعرابي ثمن أربعة دراهم كانت تنشره في مؤخر البيت"[3].

الرواية الثالثة: ابن راهويه (ت ٢٣٨ هـ): "أخبرنا النضر حماد بن سلمة عن أبي حفص سعيد بن جهمان عن سفينة إن رجلا اضاف علياً وفاطمة، فصنع علي طعاماً، فقال علي وفاطمة لو دعونا رسول الله (ص) يأكل، فقال: أذهبي إليه، فأرسلا إليه رسولاً فجاء فأخذ بعضادتي الباب وفي البيت قرام جُعل على شيء فرجع فذهبت إليه فقالت يا رسول الله: جئتنا ثم رجعت؟ فقال: إنه لا ينبغي لي أو قال: لنبي أن يدخل بيتاً مزوقاً"[4].

الرواية الرابعة: النسائي (ت ٣٠٣هـ): وهي نفس الرواية أعلاه مع بضعة اختلافات وبسند آخر: حدثنا مسعود بن جويرية قال: حدثنا وكيع عن هشام عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن علي قال: صنعت طعاماً فدعوت النبي (ص) فجاء فدخل فرأى ستراً فيه تصأوير فخرج وقال: إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير[5].

الرواية الخامسة: حماد بن زيد (ت ٢٦٧هـ): "حدثنا إبراهيم قال ثنا يعقوب بن إسحاق قال: ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن العلاء بن المسيب عن إبراهيم بن قعيس عن نافع عن ابن عمر: إن النبي (ص) كان إذا خرج كان آخر عهده فاطمة فإذا رجع كان أول عهده

---

(١) الرقم: ضرب مخطط من الوشي: انظر: ابن منظور: لسان العرب: ٢٤٩/١٢.

(٢) المصنف: ١٣٥/٨. وانظر: ابن حميد: المسند: ص٢٥١. حماد بن زيد: تركة النبي: ص ٥٧. أبو داود: السنن: ٢٧٨/٢. ابن حبان: الصحيح: ٢٦٦/١٤ – ٢٦٧.

(٣) المصنف: ١٣٥/٨.

(٤) المسند: ١٥/٥.

(٥) السنن: ٢١٣/٨.

بفاطمة (ع)، فلما رجع من غزوة تبوك وقد اشترت مقينعة فصبغتها بزعفران وألقت على بابها سترا أو ألقت في بيتها بساط فلما رأى ذلك النبي (ص) رجع فأتى المسجد فقعد فيه فأرسلت إلى بلال فقالت أذهب فانظر ما رده عن بابي فأتاه فأخبره فقال أني رأيتها صنعت ثمة كذا وكذا فأتاها فأخبرها فهتكت الستر وكل شيء أحدثته وألقت ما عليها ولبست أطمارها فأتى النبي (ص) فأخبره فجاء حتى دخل عليها فقال: كذلك كوني فداك أبي وأمي"[1].

الرواية السادسة: حماد بن زيد (ت ٢٦٧ هـ): "حدثنا إبراهيم قال ثنا أبي قال ثنا مسدد قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن حميد الشامي عن سليمان المنبهي عن ثوبان مولى رسول الله (ص) قال كان رسول الله (ص) إذا سافر كان آخر عهده من أهله فاطمة (ع) وأول من يدخل عليها إذا قدم. فقدم من غزاة وقد علقت مسحاً أو ستراً على بابها وحلت الحسن والحسين عليهما قلبين من فضة فقبض ولم يدخل فظنت إنما منعه أن يدخل ما رأى فهتكت الستر وفككت القلبين عن الصبيين فبكيا وقطعته بينهما فانطلقا إلى رسول الله (ص) وهما يبكيان فأخذهما منهما فقال يا ثوبان أذهب بهذا إلى فلان أو إلى أبي فلان قال أهل بيت بالمدينة، إن هؤلاء أهل بيتي أكره أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج. المؤلف ضعيف"[2].

الرواية السابعة: الصدوق (ت ٣٨١هـ): "الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، عن جعفر بن محمد بن جعفر العلوي، عن محمد بن علي بن خلف، عن حسن بن صالح بن أبي الأسود، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس قال: كان النبي (ص) إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة (ع) فدخل عليها فأطال عندها المكث فخرج مرة في سفر، فصنعت فاطمة (ع) مسكتين[3] من ورق[4] وقلادة وقرطين وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها (ع)، فلما قدم رسول الله (ع) دخل عليها، فوقف أصحابه على الباب لا يدرون يقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها. فخرج عليهم رسول الله (ص) وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فظنت فاطمة إنما فعل ذلك رسول الله (ص) لما رأى من المسكتين والقلادة والستر، فبعثت به إلى رسول الله (ص) وقالت للرسول قل له: تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول: أجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه، قال: فعلت " فداها أبوها " ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافر شربة ماء، ثم قام فدخل عليها "[5].

---

(١) تركة النبي (ص): ص٥٥ – ٥٦.

(٢) تركة النبي (ص): ص٥٧ – ٥٨.

(٣) المسكة: السوار. الفراهيدي: العين ٣١٨/٥، ابن السكيت: ترتيب أصلاح المنطق ص٣٥٢.

(٤) الورق: الفضة. ابن قتيبة: غريب الحديث ٢٦/١.

(٥) الأمالي: ص٣٠٥. المجلسي: البحار: ٢٠/٤٣.

الرواية الثامنة: الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال: كان رسول الله (ص) إذا أراد السفر سلم على من أراد التسليم عليه من أهله، ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمة (ع) فيكون توجهه إلى سفره من بيتها وإذا رجع بدأ بها. فسافر مرة وقد أصاب علي شيئاً من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة ثم خرج فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها ستراً. فلما قدم رسول الله (ص) دخل المسجد فتوجه نحو بيت فاطمة (ع) كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صبابة وشوقاً إليه. فنظر (ص) فإذا في يدها سوارين من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله (ص) حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا أبي قبلها، فدعت ابنيها ونزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يدها ثم دفعت السوارين إلى احدهما والستر إلى الآخر. ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا فما شأنك به؟ فجاءاه فأبلغاه ذلك عن أمهما، فقبلهما رسول الله (ص) والتزمهما واقعد كل واحد منهما على فخذه ثم أمر بذينك السوارين فكسرا، فجعلهما قطعاً قطعاً، ثم دعا أهل الصفة – قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال – فقسمه بينهم قطعاً، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستتر بشيء وكان ذلك الستر طويلاً وليس له عرض، فجعل يؤزر الرجل فإذا التقا عليه قطعه حتى قسمه بينهم أزر... ثم قال رسول الله (ص): رحم الله فاطمة ليكسونها الله بهذا الستر من كسوة الجنة وليحلينها بهذين السوارين من حلية الجنة[١].

والآن نطرح سلسلة من الحيثيات على الروايات أعلاه.

أولاً: يستوقفنا بضعة تساؤلات على ما جاءت به تفاصيل الروايات في متونها:

١ – تشير الروايات إلى إن السيدة فاطمة (ع) صدر منها ما أزعج أبيها (ص) منها. وقد اختلفت في توضيح ذلك الفعل، فهل هو الستر الموضوع على باب البيت أو في البيت، وهل إن الستر كان مزوقا أو فيه تصاوير أوانها اشترت مقينعة وصبغتها بزعفران أو صنعت قلادة وقرطين وسوارين وألبست ولديها أسورة من فضة، وأي كان فعلها فأنه قد تسبب بغضب أبيها (ص)!! وهنا نقول:

(أ) من أين حصلت السيدة فاطمة (ع) على ذلك الستر أو تلك المقينعة؟!! فقد صمتت أغلب الروايات عن الإشارة لمصدر ذلك الستر أو ما رافقه!! بينما أفصحت رواية الطبرسي إنها (ع) قد حصلت على السوارين والستر من غنيمة أصابها زوجها.. وهنا نسأل: أليس تلك الغنائم كان النبي (ع) يتولى تقسيمها وتوزيعها على المسلمين!! وهذا يعني أن يكون (ص) هو الذي منحها للإمام (ع) فلماذا يعترض على استخدامها من قبل السيدة فاطمة (ع)؟!!

---

(١) مكارم الأخلاق: ٩٤ – ٩٥.

(ب) لماذا فعلت ذلك السيدة فاطمة (ع)؟ هل لأجل الزينة؟! وهذا ما لم نعهده ذات أهمية بالنسبة لها كما تبين من سيرتها الشريفة: بل كما مر بنا إن بيتها كان غاية في البساطة ومثالاً للزهد والمواساة للفقراء. وأشارت بعض الروايات إلى مناسبة ذلك التزين، إذ توضح إنها (ع) أعدت الستر وتزينت لعودة أبيها (ص) وزوجها (ع) من سفرهما؟! ولا نعرف ما دواعي ذلك فما خاصية تلك السفرة؟!!

٢ – أوضحت الروايات إلى إن ذلك التصرف من قبل فاطمة (ع) قد سبب غضب النبي (ص) وإعراضه عنها حتى انه لم يستطع المكوث في بيتها كعادته! وهنا نتساءل: لماذا كل هذا؟! فآن صحت نسبة تلك الأفعال لها (ع) فلا تستوجب معاملة كهذه!! فهل كانت الزينة محرمة؟! خاصة وإنها بحسب إشارة أحدى الروايات تزينت لزوجها وأبيها فرحة بقدومها من سفر؟ فما الإشكال في ذلك؟!!

ثم إن ما ذكرته الروايات لا يتوافق مع أسلوبه (ص) في معاملة فاطمة (ع) التي نالت حظوة لديه (ص) كما تبين لنا مما سبق!! إذ إن دلائل ذلك واضحة في سيرته (ص) معها، هذا من جانب ومن جانب آخر: إننا لو تنزلنا وسلمنا بأنه ممكن حدوث ذلك من السيدة فاطمة (ع)، فلماذا لم ينبهها النبي (ص) إلى إن ذلك ليس صحيحاً؟! أليس هو المعلم والمربي لها ولكل الناس؟! وبهذا أمرته السماء: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل/١٢٥)، فلماذا هذا الإعراض منه (ص) حتى انه لم يكلمها (ع)؟! إن ذلك لا يتفق مع ما كان عليه (ص) من حسن الخلق والرفق بمن حوله وجميل صنعه وخصوصاً مع ابنته (ع)!

٣ – أما عن موقف أمير المؤمنين(ع) فقد رسمته الروايات انه كان على علم بوجود ذلك الستر!! ومع ذلك لم يفعل شيئاً أو حتى ينبه زوجته (ع) إلى إن ذلك مما يغضب رسول الله (ص) وكانه كان راضياً بذلك؟!! بل إن الرواية تظهره بمظهر اللا أبالي ولا دخل له بالموضوع سوى انه رسول بين النبي (ع) وفاطمة (ع). بل إن أحدى الروايات أشارت إلى أن الإمام (ع) هو الذي تعرض لإعراض النبي (ص) دون أي إشارة لفاطمة (ع)!! وكأن الإساءة هنا تنفرد به (ع) إذ تحمله مسؤولية العلم بوجود ذلك الستر دون أن تشير إلى من الذي وضعه أو من أين حصل عليه؟! وان ذلكً يتنافى مع زهد الإمام (ع) قطعاً والذي كان سيد الزهاد وإمامهم.

٤ – نلاحظ إن الرواية الخامسة وما بعدها قد أضافت مقطعاً جديداً يبدو مقبولاً جداً كفضيلة للسيدة فاطمة (ع) اختصت بها، في حين إن الروايات التي سبقتها لم تذكره ربما تعمدا أو إهمالاً أو سهواً !! إذ ينقل ابن حماد ت ٢٦٧هـ: (إن النبي (ص) كان إذا خرج كان آخر عهده بفاطمة (ع) فإذا رجع كان أول عهده بفاطمة (ع) وفيه كما يبدو دلالة واضحة على علو شأنها وعظيم منزلتها عنده (ص) ومدى وثاقة علاقته (ص) بها (ع). لكن ما يأتي بعده

يبدو وكأنه مناقضاً له مما يستدعي التوقف عنده وطرح التساؤل الآتي: هل إن ما روي بعده موضوع؟!! ومما يزيد الشك والتوقف عند هذا الأمر ما يلي:

أ - ما رواه الشيباني (ت ٢٨٧ هـ) والذي كان معاصراً لحماد بن زيد (ت ٢٦٧هـ) وبنفس السند تقريباً اذ نراه يذكر فقط ما أشرنا بقبوله دون الإضافات المشبوهة، إذ يقول: "حدثنا محمد بن أبي غالب ثنا يحيى بن إسماعيل الواسطي ثنا محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن إبراهيم بن قعيس عن نافع عن ابن عمر قال: كان رسول الله (ص) إذا قدم من سفر فأول الناس به عهداً فاطمة"[1] وعلق بقوله: "إسناده ضعيف".

ب - ما رواه الحاكم ت ٤٠٥ وبسند ينتهي بنفس الرواة إذ يقول: " أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد الدوري ثنا يحيى بن إسماعيل الواسطي ثنا محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن إبراهيم بن قعيس عن نافع عن ابن عمر إن النبي (ص) كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة (ع) " وأضاف...عن إبراهيم بن قعيس فذكر بإسناده نحوه وزاد فيه فقال لها رسول الله (ص): فداك أبي وأمي"[2].
إذ نلاحظ انه لم يذكر تلك الإضافات التي أثارت حولها كثير من الإشكالات.

جـ - يضاف إلى ذلك إن سند الرواية لا يخلو من أشكال إذ نجد كل من العلاء وإبراهيم مختلف في حالها. وسيأتينا ذلك لاحقاً. لكن هنا نقول: يا ترى أي منهما مسؤول عن تلك الاضافات مع ملاحظة تعليقات الشيباني بقوله "إسناده ضعيف" إذ ربما أشار لهما. والحاكم بقوله عن إبراهيم (وزاد فيه)؟! فهل قصد تلك الزيادة التي انتهت بالعبارة التي ذكرها بقوله: فقال رسول الله (ص): فداك أبي وأمي".

٥ – ويستوقفنا الإشكال ذاته – أعلاه – في الرواية السادسة والتي يرويها حماد أيضاً إذ يذكر تلك الفضيلة للسيدة فاطمة (ع) مع زيادة وإضافات مثيرة للجدل والشك لم ينقلها الشيباني الذي أورد الفضيلة المقبولة وبنفس سند حماد تقريباً إذ يقول: "حدثنا أبو الربيع الزهراني ثنا عبد الوارث ثنا محمد بن جحادة ثنا حميد عن سلمان المنبهي عن ثوبان قال: كان رسول الله (ص) إذا خرج من سفر آخر من يكون عهده به من أهل بيته فاطمة وإذا قدم أول من يدخل عليه فاطمة" وإسناده ضعيف[3].

نلاحظ إشارة الشيباني في ذيل روايته بقوله: "إسناده ضعيف"، فإن من رجال هذا السند "حميد الشامي" والذي ضعفه كل من ابن معين وابن حنبل – كما سنرى – لكن الذي يهمنا هنا

---

(١) الأوائل: ٨٧/١، الاحاد والمثاني: ٣٥٩/٥.

(٢) المستدرك: ١٥٦/٣.

(٣) الاوائل: ٩٢/١.

إن ابن عدي علق على موقف كل من ابن معين وأبن حنبل منه قائلاً: "إنما أنكر عليه هذا الحديث – يعني حديثه عن سلمان المنبهي – ولم أعلم له غيره"[1]. إذا تجدر الإشارة إلى إن ابن عدي قصد نفس الرواية أعلاه وبنفس السند. وهنا نتساءل: هل إنهم أنكروا عليه الحديث بتمامه!! أم إنهم أنكروا فقط الجزء الذي يشير لفضيلة السيدة فاطمة (ع) باختصاصها برعاية أبيها – ونقصد به أول الرواية؟! ويؤيد قولنا هذا: أن أحمد بن حنبل قد روى الرواية بطريقين، ففي الطرق الأول: الذي فيه فضيلة للسيدة فاطمة (ع) نجده ينكره!!

أما الطريق الثاني: فلم يورد فيه الإشارة لفضيلة فاطمة (ع): وهنا نجده لا ينكره رغم الإساءات التي تنال من مقامها الشريف؟!! إذن فما تفسير موقف ابن حنبل هذا؟!! أهو إنكار لفضائل السيدة فاطمة (ع)؟! أم إنكار للرواة أنفسهم فقط أو إن الأمر إنما جاء بمحض الصدفة!!

٦ – نلاحظ إن رواية ابن أبي شيبة انفردت بإضافة جديدة حيث تنسب للنبي (ص) قوله محتجاً على فاطمة (ع) بأنها "سترت بيتها بنفقة في سبيل الله" مما سبب غضبه وإعراضه عنها. وهنا نسأل: هل كان ذاك الستر مما خصص لينفق في سبيل الله فحجبته ابنة الرسول (ص)؟! إذن كيف حصلت عليه؟! هل بدون علم والدها؟! ذاك غير معقول!! وكيف يتناسب مع ما عرف عنها (ع) من كثرة الإنفاق في سبيل الله حتى روي عنها قولها: " أحببت من دنياكم... – وذكرت منها – الإنفاق في سبيل الله"[2].!!

٧ – ونقف أيضاً عند الرواية السادسة لحماد بن زيد إذ أشار إن النبي (ص) أمر ثوبان إن يشتر لفاطمة (ع) قلادة من عصب وسوارين من عاج؟! كبديل عن ما أنفقته في سبيل الله من الفضة. وهنا نسأل: هل كانت الفضة محرمة؟! ثم ما دام النبي (ص) لا يريد لأبنته التزين بمظاهر الدنيا فما معنى إرسال البدائل؟!

٨ – ومما يلاحظ على الروايات كثرة الاختلافات فيما بينها رغم إن الحادثة يفترض أن تكون واحدة فلا يعقل أن يتكرر – ما يُزعم – إن السيدة فاطمة (ع) فعلته وأغضبت أبيها خاصة بعد أن وضح النبي (ص) إن ذلك لا يرضيه. وقد مر بنا عدة اختلافات ومن بينها إن الروايات لم تتفق على المناسبة التي صاحبت الحادثة فرواية تشير بعد عودته من أحدى سفراته، ورواية تحدد السفرة بغزوة وتأتي ثالثة لتفصح عن الغزوة بأنها (تبوك)!! وقد وهم الهيثمي بإشارته إن الإمام (ع) كان مع النبي (ص) في هذه الغزوة، والمعروف إنها الغزوة الوحيدة التي لم يرافق فيها النبي (ص)[3]. وهذا مما يزيد اضطراب الروايات والشك فيها.

---

(١) الكامل في الضعفاء: ٢/ ٢٧٠.

(٢) التويسركاني: مسند فاطمة: ص١٦١.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٣ـ ٢٤.

وتأتي رواية لتقول إن النبي (ص) لم يكن في سفر أو غزوة وإنما استجاب لدعوة الإمام والزهراء (ع).

وأيضاً نلاحظ إن بعض الروايات لم تخل من الارتباك في ألفاظها كرواية ابن راهويه التي يبدو اضطرابها فيما يأتي:

أ - هل الزهراء (ع) هي من ذهبت لأبيها تدعوه كما أمرها الإمام (ع)؟ أم أرسلا إليه رسولاً؟!

ب- ومن هو هذا الرجل الذي استضافوه؟!! ثم أكان سفينة معه أم رافق النبي (ص) إلى بيت ابنته ليحدثنا بتفاصيل ما جرى!!

٩ - أورد ابن راهويه في ذيل روايته قول النبي (ص): "إنه لا ينبغي لي أو قال لنبي أن يدخل بيتاً مزوقاً". كما ونقل النسائي أيضاً عن النبي (ص) قوله: "أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير". وهنا نتساءل: إن كان بيت فاطمة الذي هو مهبط الوحي وحاضن الرسالة لا تدخله الملائكة فأي بيت تدخل إذن؟! ثم لدينا بضعة ملاحظات على الرواية:

أ - نقلت لنا المصادر حادثة مشابهة لهذه الحادثة وقعت مع عائشة إذ ذكر مالك في:

"عن نافع عن القاسم بن محمد عن عائشة: إنها أخبرته إنها اشترت نمرقة"[1] فيها تصاوير فلما رآها رسول الله (ص) قام بالباب ولم يدخل، فعرفت عائشة وأنكرت وجهه فقالت: يا رسول الله تبت إلى الله، ماذا أذنبت؟ فقال: ما هذه النمرقة؟ قالت اشتريتها لك تجلس عليها وتوسدها. فقال: "إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وإن البيت الذي فيه صور لا تدخله الملائكة"[2].

ونقل الطيالسي هذه الرواية "عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قدم رسول الله (ص) من سفر قالت: فعلقت على بابي قراما فيه الخيل أولات الأجنحة. قالت: فلما رآها رسول الله (ص) قال: انزعيه"[3]. وروى البخاري "عن عائشة قالت: حشوت للنبي (ص) وسادة فيها تماثيل أنها نمرقة فجاء فقام بين البابين وجعل يتغير وجهه فقلت ما لنا يا رسول الله قال ما بال هذه الوسادة؟ قالت وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها قال أما علمت إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة وان من صنع الصورة يعذب يوم القيامة يقول أحيوا ما خلقتم"[4].

---

(١) نمرقة: الوسادة الصغيرة. انظر: الفراهيدي: كتاب العين: ٢٦٥/٥. الجوهري: الصحاح: ١٥٦١/٤.

(٢) الموطأ: ٩٦٦/٢ - ٩٦٧. وانظر كذلك: ابن حنبل: المسند: ٢٤٦/٦. البخاري: الصحيح: ١٧/٣، ٨٢/٤. الكاشاني: بدائع الصنائع: ١١٦/١.

(٣) المسند ٢٠٢. ابن حنبل: المسند: ٢٢٩/٦. البخاري: الصحيح ١٤٤/٦، النسائي: السنن الكبرى٥٠٢/٥. البيهقي: السنن ٢٦٧/٧.

(٤) الصحيح: ٨١/٤ - ٨٢، ١٤٤/٦ - ١٤٥. مسلم: الصحيح: ١٦٠/٦.

ونلاحظ على هذه الروايات:

١ – التشابه الكبير في مضمونها وتفاصيلها مع ما روي انه حدث مع السيدة فاطمة (ع)، فهل كانت الحادثة أصلا وقعت مع عائشة ونسبت إلى فاطمة (ع)؟!

٢ – يلاحظ أيضاً اختلاف تعامل النبي (ص) بين فاطمة (ع) وعائشة فهناك نجده يعرض عن ابنته دون أن يكلمها، وهنا يقف ليوضح لها سبب عدم ارتياحه؟!! فلماذا؟!! وفاطمة (ع) هي الأقرب لقلبه؟!!

٣ – إن هذه الروايات التي تشير بوقوع الحادثة مع عائشة وردت في مصادر أقدم من تلك التي أشارت بوقوعها مع السيدة فاطمة (ع).

٤ – يلاحظ إن الروايات أعلاه ترويها عائشة بنفسها ولا يفوتنا الإشارة إلى وجود حادثة ترويها عائشة أيضاً تشابه ما وقع مع السيدة فاطمة (ع) لكن باختلاف جوهري في حكم الرسول (ص) فيها: إذ روى النسائي "عن عروة عن عائشة إن رسول الله (ص) رأى عليها مسكتين من ذهب فقال رسول الله (ص): إلا أخبرك بما هو أحسن من هذا؟ لو نزعت هذا وجعلتِ مسكتين من ورق ثم صفرتهما بزعفران كانتا حسنتين"[١]. فهنا نجد النبي (ص) يوصي عائشة بلبس مسكتين من الفضة بينما نجده يغضب عندما تلبسها ابنته (ع) ويرسل لها بدائل عنها من عصب وعاج فلماذا يا ترى؟ وهل تتناقض أحكام النبي (ص)؟!

ب – **أما من ناحية السند**: فنلاحظ على أسانيد الروايات ما يأتي:

١ – إن بعضها منقطع الإسناد كالحسن البصري (ت ١١٠ هـ)، كيف تسنى له نقل هذه الرواية التي حدثت في عصر النبي (ص) وهو المولود قبل وفاة عمر بن الخطاب بسنتين[٢]. ومحمد بن قيس ت في حدود ١٢٥هـ الذي كان يروي عن الصحابة مرسلاً[٣]! فكيف بروايته هنا عن النبي (ص) مباشرة وإذا قيل انه ربما يكون نقلها عن أحد الصحابة فلماذا لم يذكر لنا اسم ذاك الصحابي؟!! وستأتينا ترجمته في الضعفاء بعد قليل.

٢ – جاءت رواية الطبرسي "مرسله".

٣ – لم يخل إسناد الروايات من راوي مجهول: كسليمان المنبهي[٤]. ومن رواة ضعفاء كحميد الشامي[٥]. وأبو حفص سعيد بن جهمان البصري ت ١٣٦[٦]، وسفينة مولى لأم سلمة،

---

(١) ا لسنن ١٥٩/٨، وانظر: ابن حزم: المحلى ٨٢/١٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات ١٥٦/٧ ـ ١٧٨.

(٣) ابن حجر: تقريب التهذيب: ٢٢٦/٢.

(٤) ابن معين: تاريخ ابن معين: ص٩٨. المزي: تهذيب الكمال: ٤١٣/٧. ابن حجر: تقريب التهذيب: ٣٩٢/١.

(٥) ابن عدي: الكامل في الضعفاء: ٢٧٠/٢. المزي: تهذيب الكمال: ٤١٢/٧ – ٤١٣.

(٦) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: ١٠/٤، ابن عدي: الكامل في الضعفاء: ٤٠١/٣، ابن حزم: المحلى ١٨٥/٩، ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٣/٤.

فأعتقته واشترطت عليه الخدمة لرسول الله (ص)، فأصبح من مواليه وقيل بوّابه[١]. عده النسائي من الضعفاء والمتروكين"[٢]. ومنهم العلاء بن المسيب بن رافع الكاهلي[٣]. وأيضاً إبراهيم بن إسماعيل قعيس مولى بني هاشم [٤]. ومحمد بن قيس المديني ت ١٢٥، مولى آل أبي سفيان، وأصبح قاص عمر بن عبد العزيز والناطق الرسمي للخلافة في عصره[٥]، قال عنه ابن معين: "ليس بشيء، لا يروى عنه"[٦]. وفي الأسانيد بعض الرواة ممن لهم مواقف سلبية من أهل البيت (ع) كسعيد بن المسيب، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، إن معرفة الموقف السلبي لابن عمر من الإمام علي (ع) قد يلقي بضلاله على ما جاء في روايات ابن عمر [٧].

٥ - ويأتينا الآن هذا الحديث الذي نجده متعارضاً مع الحديث الذي قاله النبي (ص) بحق السيدة فاطمة (ع) بأنها وزوجها أحب وأقرب الناس إليه.

١ - **ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)**: "قال: أخبرنا وكيع بن الجراح ومحمد بن عبيد قالا: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم إن عمرو بن العاص قال: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قال: إنما أقول من الرجال؟ قال أبوها"[٨].

٢ - **أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): "ثنا يحيى بن حماد قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء عن أبي عثمان قال: حدثني عمرو بن العاص، قال: بعثني رسول الله (ص) على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة. قلت من الرجال، قال: أبوها"[٩]. وفي مصادر أخرى جاءت بهذه الصيغة: عن عمرو بن العاص...**

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة: ٢٤٣/٢ — ٢٤٤. ابن حجر: الإصابة: ٥٨/٢. الخوئي: معجم رجال الحديث: ١٧٠/٩ ـ ١٧٢.

(٢) كتاب الضعفاء والمتروكين: ص ٢٥٤، الذهبي: ميزان الاعتدال: ١٣١/٢.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال: ١٠٥/٣. ابن حجر: تقريب التهذيب: ٧٦٥/١. تهذيب التهذيب: ١٧١/٨ — ١٧٢.

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال: ٥٢/١. ابن حجر: لسان الميزان: ٩٢/١.

(٥) انظر ترجمته: ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٥٥/ص١٠٨ — ١١٤.

(٦) تاريخ ابن معين: ١٤٦/١. الذهبي: ميزان: ١٦/٤، ابن حجر: تقريب التهذيب: ١٢٦/٢.

(٧) عن الموقف السلبي لابن عمر من أمير المؤمنين (ع) ينظر: الطبري الآمامي: المسترشد: ص٧٧. المفيد: الفصول المختارة: ص٢٤٤ ـ ٢٤٥. : ابن عبد البر: الاستيعاب: ٢٤١/٢ ـ ٢٤٦. ابن الأثير: أسد الغابة: ٤٢/٣ ـ ٤٦، ابن حجر: الإصابة: ٢٤٧/٢ ـ ٢٥٠. الشهرستاني: وضوء النبي: ٢٤٩/١. النقوي: خلاصة عبقات الأنوار: ٢٦/٣ ـ ٢٧.

(٨) الطبقات: ٦٧/٨. وانظر ١٧٦/٣.

(٩) المسند: ٢٠٣/٤. البخاري: الصحيح: ١١٣/٥. مسلم: الصحيح: ١٠٩/٧. النسائي: السنن: ٣٩/٥. ابن حبان: الصحيح: ٢٢٦/١٥. الطبراني: المعجم الكبير: ٤٤/٢٣. الحاكم: المستدرك: ١٢/٤. البيهقي: السنن: ٢٩٩/٧. ٢٣٢/١٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٩٩/٣، ١٣٤/٣٠، ٢٢١/٤٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٢٨٣/٣.

فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: لِم؟ قال: لأحب من تُحب؟ قال: عائشة. قال: ليس عن النساء أسألك؟ قال: فأبو بكر"[١].

٣ – **الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)**: "أخبرنا المعتمد بن سليمان، عن حميد، عن أنس، قال: قيل يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قيل من الرجال؟ قال: أبوها "[٢]. وفي لفظ آخر: عن أنس: سُئل رسول الله (ص) من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قالوا: لسنا نعني النساء؟ قال: فأبوها"[٣].

٤ – **ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)**: "... نا عمرو الناقد، نا خلف بن تميم، نا أبو هرمز نافع الجمال، عن عطاء عن ابن عباس، قال: قدم رجل من أهل العراق، بينه وبين رسول الله (ص) قرابة من النساء، فقال له رسول الله (ص) مرحباً برجل غنم وسلم، قال: يا رسول الله: من أحب الناس إليك؟ قال عائشة. قال: وهي خلفه جالسة، قال: لم أعن من النساء، إنما عنيت من الرجال؟ قال: فأبوها"[٤].

- "أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، نا أبو علي بن المذهب نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد حدثني أبي نا عبد الواحد الحداد عن كهمس، عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة: أي النساء كان أحب إلى رسول الله (ص) قالت عائشة، قلت: فمن الرجال؟ قالت: أبوها"[٥].

ومما يلاحظ على هذه الروايات:

١ – تشير الروايات إلى إن البعض قد وجه سؤالا إلى النبي (ص) يسأله عن أحب الناس إليه؟ وقد تعدد السائلين: ما بين عمرو بن العاص وبين مجهولين لم تعرفهم الرواية، إذ اكتفى عبد الله بن عمر وأنس بن مالك إلى الإشارة إلى أنه "قيل" أو أنه قد "سُئل" النبي (ص) عن ذلك! اما ابن عباس فيشير إلى إن هناك رجل من أهل العراق ولم يعرفه إلا إن يكون له قرابة مع النبي (ص)! وهذا – المجهول – أيضاً جاء ليسأل النبي (ص) ذات السؤال. وينفرد ابن شقيق بسؤاله لعائشة نفس السؤال؟ رغم انه قد رواه عن عمرو بن العاص.

٢ – ويلاحظ إن هناك روايات تشابه – الروايات أعلاه – من حيث التوجه إلى النبي (ص) بالسؤال عن أحب الناس إليه، وكذلك هناك من سأل عائشة بنفس السؤال؟! ولكن

---

(١) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني: ١٠٣/٢، ٤٠٠/٥ – ٤٠١.

(٢) السنن: ٣٦٦/٥. الحاكم: المستدرك: ١٢/٤.

(٣) الطبراني: المعجم الأوسط: ١٥٥/١. ابن حجر: فتح الباري: ١٩/٧. وفي رواية الخطيب عن ابن عمر: تاريخ بغداد ٤٢٣/١١، المتقي: كنز العمال ٥١٠/١٢.

(٤) تاريخ دمشق: ١٣٧/٣٠. المتقي الهندي: كنز العمال: ٥٠٦/١٢.

(٥) تاريخ دمشق: ١٣٧/٣٠.

نجد رد النبي مختلف إذ يقول إن الأحب إليه فاطمة وعلي (ع) [١]! وأيضاً ترد عائشة على من سألها بذلك السؤال قائلة: "تسألني عن رجل والله ما أعلم رجلاً أحب إلى رسول الله (ص) من علي، ولا في الأرض امرأة أحب إلى رسول الله (ص) من فاطمة"[٢].

وتأتي هذه الأحاديث في أخبار مستفيضة كلها تشهد بأن الزهراء (ع) وزوجها هما الأحب إلى النبي (ص) وقد مر بنا ذلك. وتأتي شهادات الصحابة بذلك أيضاً فها هو عمر بن الخطاب يقول وهو يخاطب السيدة فاطمة (ع): "والله ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله منك"[٣]. وكذلك بريدة الاسلمي[٤] وغيرهم. إذن هل تتعارض أحاديث النبي (ص)؟! وأحاديث عائشة أيضاً؟!!

٣ - إن مراجعة أسانيد الروايات ومطالعة أسماء الرواة كأنس بن مالك وعمرو بن العاص وابن عمر وغيرهم، ممن قد اشتهروا بعدائهم لأهل البيت (ع) لا سيما أمير المؤمنين (ع)، يجعلنا لا نستبعد تحملهم مسؤولية وضع هذه الروايات والأحاديث لأجل سلب فضائل أهل البيت (ع) وسيتبين ذلك من خلال عرض موجز لبعض مواقفهم:

(١) أنس بن مالك المترجم له سابقاً وقد لوحظت مواقفه السلبية من الإمام.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل، نعت أباه بالأبتر بنص القرآن الكريم وأمه النابغة من بغايا مكة، ولما وضعته أدعاه خمسة، فألحقته بالعاص بن وائل لكونه أكثر نفقة عليها. وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم إليهم من عنده من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة. كان ممن تأخر إسلامه، أمره النبي (ص) على سرية ذات السلاسل، ومن ثم تولى الامارات وقاد الجيوش في عهد أبي بكر وعمر، وقد عزله عثمان عن الولاية على مصر، فأتخذ منه موقفاً معادياً، ومن ثم وقف بجانب معاوية ضد الإمام (ع)، وكان ممن شارك في حربه العسكرية والإعلامية. فكان إمام الفئة الباغية في صفين، ومن ضمن اللجنة التي شكلها معاوية لافتعال فضائل للخليفتين وسائر الصحابة مقابل فضائل الإمام (ع)[٥]، ولعل الحديث الذي بين أيدينا من ضمن ما شارك في افتعاله.

---

(١) ابن حنبل: المسند: ٢٠٤/٥. الترمذي: السنن: ٣٤٢/٥. الحاكم: المستدرك: ٢١٧/٣.

(٢) الحاكم:: المستدرك: ١٥٤/٣.

(٣) الحاكم: المستدرك: ١٥٥/٣. المتقي الهندي: كنز العمال: ٦٧٤/١٢.

(٤) النسائي: خصائص: ص١١٠، السنن الكبرى: ١٤٠/٥.

(٥) ابن الأثير: أسد الغابة٢٨٤/٣ - ٣٨٥. ابن أبي الحديد: شرح النهج ٦١/٢ - ٧٣، ٦٤/٦، ٢٨١ - ٣٢٦، ٥٦/١٠ - ٥٧. الاميني: الغدير١٧٣/٢ - ٢٥٧. النصر الله: فضائل الإمام المنسوبة لغيره ص١٣٢ . ٣٦. هيئة كتابة التاريخ برئاسة معاوية ص٨٩ . ١١٩.

(٣) قيس بن أبي حازم البجلي، كان ممن يتحامل على أمير المؤمنين (ع)"[١]. وعدت أحاديثه مناكير[٢]. وعبد الله بن شقيق البصري ت ١٠٨ هـ، كان معروفا بتحامله وبغضه لأمير المؤمنين (ع)[٣]. وممن ورد من الضعفاء الذي لا يعول على رواياتهم: نافع بن هرمز[٤]، ومنهم سعيد أبو مسعود الجريري: ت ١٤٤[٥]. وعليه لا يمكن ان يعول على صحة مروياتهم عن أهل البيت!!

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الالوسي: أبي الفضل شهاب الدين محمود البغدادي ت١٢٧٠هـ
١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تح: محمد أحمد - عمر عبد السلام، ط١، بيروت، ١٩٩٠.
- ابن الأبار: أبو عبد الله محمد القضاعي ت ٦٥٨ هـ.
٢ - درر السمط في خبر السبط. تح عز الدين عمر، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧.
- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت٦٣٠ هـ.
٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: خليل مأمون، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن الأثير: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (٥٤٤ - ٦٠٦هـ).
٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: أبو عبد الرحمة صلاح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى ت ٦٩٢هـ.
٥ - كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م.
- الاميني: عبد الحسين بن أحمد النجفي ت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
٦ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٩٥م.
- ابن أنس: الإمام مالك (٩٣ - ١٧٩هـ).
٧ - الموطأ، تح: محمد فؤاد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- البحراني: السيد هاشم ت ١١٠٧هـ.
٨ - غاية المرام، تح: السيد علي عاشور، قم، ١٤٢١ هـ.
٩ - مدينة المعا جز: تح: عزة الله المولائي، ط١، قم، ١٤١٣ هـ.
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٤ - ٢٥٦ هـ).
١٠ - الأدب المفرد، تح: محمد فؤاد، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، ب. مكا، ١٩٨٩م.
١١ - التاريخ الصغير. تح. محمود إبراهيم. ط١. دار المعرفة. بيروت. ١٤٠٦هـ.

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٤٦٢/٤٩. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١٠١/٤، المزي: تهذيب الكمال: ١٤/٢٤.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣٤٧/٨.

(٣) العقيلي: الضعفاء: ٢٦٥/٢. الثقفي: الغارات: ٥٥٧/٢ — ٥٥٨. ابن أبي الحديد: شرح النهج: ٩٤/٤، الذهبي: من له رواية في كتب السنة: ٥٦١/١، المزي: تهذيب الكمال: ٩١/١٥. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢٢٤/٥.

(٤) تاريخ ابن معين: ٢٢/٢، ١٤٣. النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ٢٥٤، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل: ٤٥٥/٨ — ٤٥٦، العقيلي: الضعفاء ٢٨٦/٤.

(٥) تاريخ ابن معين: ١١٦/٢ — ١١٧، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ١٨٩، العقيلي: الضعفاء ٩٩/٢، ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٣٩٢/٣ – ٣٩٣.

١٢ ـ التاريخ الكبير، بـ محق، ب. ط، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، ب. ت.
١٣ ـ الصحيح، مط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١.
١٤ ـ كتاب الضعفاء الصغير، تح محمود إبراهيم، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ
ـ ابن البطريق: شمس الدين يحيى بن الحسن (٥٢٣ ـ ٦٠٠).
١٥ ـ عمدة عيون صحاح الأخبار، تح: جماعة المدرسين، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧.
ـ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ.
١٦ ـ أنساب الأشراف، تح: د. سهيل زكار – د. رياض زر كلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
ـ البياضي: زين الدين العاملي ت ٨٧٧هـ.
١٧ ـ الصراط المستقيم: تح: محمد البهبودي، ط١، المكتبة المرتضوية، ١٣٨٤هـ.
ـ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ.
١٨ ـ السنن الكبرى، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ب. ت.
ـ التبريزي: محمد بن علي بن أحمد ت ١٣١٠هـ.
١٩ ـ اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (ع)، تح: هاشم الميلاني، ط١، مؤسسة الهادي، قم، ١٤١٨هـ.
ـ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ).
٢٠ ـ سنن الترمذي، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
ـ التويسركاني: حسين شيخ الإسلامي
٢١ ـ مسند فاطمة الزهراء (ع)، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ.
ـ الثقفي: إبراهيم بن محمد ت ٢٨٣هـ.
٢٢ ـ الغارات، تح: جلال الدين المحدث، مط: بهمن، ب. ت.
ـ ابن الجارود: أبو محمد عبد الله النيسابوري ت ٣٠٧هـ.
٢٣ ـ المنتقى من السنن المسندة، تح: عبد الله عمر البارودي، ط١، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٩٨٨.
ـ ابن جبر: زين الدين علي بن يوسف (ق ٧هـ).
٢٤ ـ نهج الإيمان، تح: أحمد الحسيني، ط١، مط: ستارة، قم، ١٤١٨هـ.
ـ ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥١٠ ـ ٥٩٧هـ).
٢٥ ـ الموضوعات، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م.
ـ الجوهري: إسماعيل بن حماد ت (٣٩٣هـ/١٠٠٣م).
٢٦ ـ الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
ـ ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن الرازي ت ٣٢٧هـ.
٢٧ ـ كتاب الجرح والتعديل، ط١، دائرة المعارف العثمانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.
ـ الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ)
٢٨ ـ المستدرك على الصحيحين، تح: د. يوسف المرعشلي، بيروت، ١٤٠٦هـ.
ـ ابن حبان: أبي حاتم محمد ت٣٥٤ هـ.
٢٩ ـ صحيح ابن حبان، تح: شعيب الارناؤوط، ط٢، بيروت، ١٩٩٣.
٣٠ ـ كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء، تح: محمود إبراهيم زايد، ب. ط، ب. مط، ب. مكا.
٣١ ـ مشاهير علماء الأمصار، تح: مرزوق علي، ط١، دار الوفاء، ب. مكا، ١٩٩١م.
ـ ابن حبان: أبي محمد عبد الله بن محمد ت٣٦٩هـ.
٣٢ ـ طبقات المحدثين باصبهان، تح: عبد الغفور عبد الحق، ط٢، بيروت، ١٤١٢.
ـ ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ).
٣٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ب. ط، دار الفكر، ب. مكا، ب. ت.
٣٤ ـ تقريب التهذيب، ط١، دار الفكر، ب. مكا، ١٩٨٤م.
٣٥ ـ تهذيب التهذيب، تح: مصطفى عبد القادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ب. ت.
٣٧ - لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧١م.
- ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٨٦ - ٦٥٦هـ).
٣٨ - شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.
- ابن حزم: أبو محمد بن أحمد ت٤٥٦.
٣٩ - المحلى، تح: أحمد محمد شاكر، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ب. ت.
- الحسكاني: عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن الحاكم النيسابوري (ق ٥هـ).
٤٠ - شواهد التنزيل، تح: محمد باقر المحمودي، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، إيران، ١٩٩٠م.
- الحسيني: السيد شرف الدين علي ت نحو ٩٦٥هـ.
٤١ - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، قم، ١٤٠٧هـ.
- الحلبي: برهان الدين ت٨٤١ هـ.
٤٢ - الكشف الحثيث، تح: صبحي السامرائي، ط١، مط عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٧م.
- الحلبي: علي بن بهاء الدين الشافعي (٩٧٥ - ١٠٤٤هـ/١٥٦٧ - ١٦٣٥م).
٤٣ - السيرة الحلبية، تصحيح: عبد الله الخليلي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦.
- الحلي: العلامة الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر ت ٧٢٦هـ.
٤٤ - العدد القوية، تح: مهدي الرجائي، ط١، مط سيد الشهداء، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٨هـ.
٤٥ - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، تح: حسين الدركاهي، ط١، ب. مكا. ١٤١١هـ.
- الحلي: حسن بن سليمان (ق ٩هـ).
٤٦ - المحتضر، ب. محق، ط١، مط: الحيدرية، النجف، ١٩٥١م.
- حماده: لمياء
٤٧ - أخيراً أشرقت الروح: ط١، دار الخليج العربي، دمشق، ب. ت.
- ابن حميد: أبي محمد عبد ت ٢٤٩هـ.
٤٨ - المنتخب، تح: صبحي السامرائي - محمود الصعيدي، ط١، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٨.
- ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد (١٦٤ - ٢٤١هـ).
٤٩ - المسند، ب. محق، دار صادر، بيروت، ب. ت.
- الخزاز: أبو القاسم علي بن محمد بن علي القمي ت (ق ٤هـ).
٥٠ - كفاية الأثر، تح: عبد اللطيف الحسيني، ب. ط، مط الخيام، بيدار، قم، ١٤٠١هـ.
- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ.
٥١ - تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
٥٢ - الكفاية في علم الرواية، تح: أحمد عمر هاشم، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥
- الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي ت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٥٣ - معجم رجال الحديث، تح: لجنة التحقيق، ط٥، ب. مكا، ١٩٩٢م.
- الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨هـ).
٥٤ - مقتل الحسين (ع)، تح: محمد السماوي، ط٢، مط: مهر، الناشر: أنوار الهدى، ١٤٢٣هـ.
٥٥ - المناقب، تح: مالك المحمودي، ط٤، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢١هـ.
- ابن خياط: أبو عمرو (ت٢٤٠هـ).
٥٦ - كتاب الطبقات، تح: سهيل زكار، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر ت ٣٨٥.
٥٧ - سؤالات حمزة بن يوسف السهمي، تح: موفق بن عبد الله، ط١، مكتبة المعرف، الرياض، ١٩٨٤م.
- الدارمي: أبو محمد عبد الله بن بهرام (ت٢٥٥ هـ).
٥٨ - السنن، ب. محق، ب. ط، الناشر: مطبعة الاعتدال، دمشق، ب. ت.

- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥هـ).
٥٩ - سنن أبي داود، تح: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.
- ابن الدمشقي: شمس الدين أبي البركات محمد بن أحمد (ت ٨٧١هـ).
٦٠ - جواهر المطالب، تح: المحمودي، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٥هـ.
- الدولابي: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (٢٢٤ - ٣١٠هـ)
٦١ - الذرية الطاهرة، تح: محمد الجلالي، ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٨.
- الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن ت ١٥٥٩/٩٦٦م.
٦٢ - تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، بيروت، ب. ت.
- الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
٦٣ - تذكرة الحفاظ، ب. محق، ب. ط، الناشر: مكتبة الحرم المكي، ب. مكا، ب. ت.
٦٤ - سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط - حسين الأسد، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
٦٥ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ط١، دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٩٩٢م.
٦٦ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ.
- الراوندي: قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين ت ٥٧٣هـ.
٦٧ - النوادر: تح: سعيد رضا، ط١، دار الحديث، قم، ١٤٠٧هـ.
- ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي ت ٢٣٨هـ.
٦٨ - المسند، تح: د. عبد الغفور عبد الحق البلوشي، ط١، المدينة المنورة، ١٩٩١م.
- ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد ت ٥٩٥هـ.
٦٩ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: خالد العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- أبو رية: محمود
٧٠ - أضواء على السنة المحمدية، مؤسسة أنصاريان، ط٢، قم، ١٩٩٩م.
- الزمخشري: جار الله محمود بن عمر ت٥٢٨.
٧١ - الفائق في غريب الحديث، تح: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- الزرندي: جمال الدين محمد بن يوسف الحنفي ت ٧٥٧هـ.
٧٢ - نظم درر السمطين، مكتبة أمير المؤمنين (ع) العامة، ط١، ١٩٥٨هـ.
- ابن زيد: حماد بن إسحاق بن إسماعيل البغدادي ت٢٦٧ هـ.
٧٣ - تركة النبي (ص) والسبل التي وجهها فيها، تح: أكرم العمري، ط١، ب. مط، ب. مكا، ١٤٠٤هـ.
- الزيلعي: جمال الدين ت ٧٦٢هـ.
٧٤ - نصب الراية لأحاديث الهداية، تح: أيمن صالح شعبان، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥هـ.
سبط ابن الجوزي: شمس الدين يوسف ت ٦٥٤هـ
٧٥ - تذكرة الخواص، تح: محمد صادق آل بحر العلوم، قم، ١٤١٨ هـ.
- سبط ابن العجمي: ت ٨٤١هـ.
٧٦ - كتاب التبيين لأسماء المدلسين، تح: يحيى شفيق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن سعد: محمد ت ٢٣٠هـ.
٧٧ - الطبقات الكبرى، ب. ط، دار صادر، بيروت، ب. مكا.
- ابن السكيت:
٧٨ - ترتيب إصلاح المنطق: تح: محمد حسن، ط١، مشهد - إيران، ١٤١٢.
- ابن سلام: أبو عبيد القاسم الهروي ت٢٢٤ هـ.
٧٩ - غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٤.
- ابن سلمة: عبد الملك الازدي ت٣٢١هـ.
٨٠ - شرح معاني الآثار: تح: محمد النجار، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.

ـ سند: محمد
٨٢ ـ مقامات فاطمة الزهراء (ع)، تقرير: محمد علي، ط١، قم، ٢٠٠٣.
ـ السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (٥٠١ ـ ٥٨١).
٨٣ ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تعليق: عمر عبد السلام السلامي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ت ٨٤٩ ـ ٩١١هـ.
٨٤ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.
٨٥ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط١، دار المعرفة، جدة، ١٣٦٥.
٨٦ ـ الديباج على صحيح مسلم، تح: أبو إسحاق الأثري، ط١، مط: دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٦.
ـ ابن شاذان: أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي
٨٧ ـ مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين، تح: نبيل رضا، ط٢، مؤسسة أنصاريان، قم ١٤٢٢هـ
ـ ابن شاهين: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أيوب ت ٣٨٥ هـ.
٨٨ ـ فضائل سيدة النساء، تح: أبو إسحاق الحويني، ط١، مكتبة التربية الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هـ.
ـ الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسن علم الهدى (٣٥٥ ـ ٤٢٦هـ).
٨٩ ـ الشافي في الإمامة، تح: عبد الزهراء الخطيب، مؤسسة الصادق، ط٢، طهران، ٢٠٠٦م.
ـ ابن شهر أشوب: محمد بن علي ت٥٨٨هـ.
٩٠ ـ مناقب آل أبي طالب: تح: لجنة في النجف، النجف، ١٣٧٦.
ـ الشهرستاني: علي
٩١ ـ وضوء النبي (ص)، ط١، مط: ستارة، قم، ١٤١٥هـ.
ـ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ.
٩٢ ـ فتح القدير، ب. ط، عالم الكتب، ب. مكا، ب. ت.
٩٣ ـ نيل الاوطار، ب. ط، ب. مط، الناشر: دار الجليل، بيروت، ب. ت.
ـ ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد الكوفي ت ٢٣٥هـ.
٩٤ ـ مصنف ابن أبي شيبة، تح: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، ب. مكا، ١٤٠٩هـ.
ـ الشيرازي: محمد طاهر القمي ت ١٠٩٨ هـ.
٩٥ ـ الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، تح: مهدي الرجائي، ط١، قم، ١٤١٨.
ـ الصالحي الشامي: محمد بن يوسف ت ٩٤٢ هـ.
٩٦ ـ سبل الهدى والرشاد، تح: عادل أحمد، علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
ـ ابن الصباغ المالكي: نور الدين علي بن محمد ٧٨٤ ـ ٨٥٥هـ.
٩٧ ـ الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تح: سامي الغريري، ط١، قم، ١٤٢٢هـ.
ـ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ.
٩٨ ـ الامالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧.
٩٩ ـ الخصال، تح: علي أكبر الغفاري، ب. ط، ب. مط، منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣هـ.
١٠٠ ـ علل الشرائع، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، ط١، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٢١هـ.
١٠١ ـ كمال الدين وتمام النعمة، صححه: علي أكبر غفاري، ب. ط، قم، ١٤٠٥هـ.
١٠٢ ـ من لا يحضره الفقيه، صححه: علي أكبر الغفاري، ط٢، قم، ١٤٠٤هـ.
ـ الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١١هـ/٨٢٧م.
١٠٣ ـ المصنف، تح: حبيب الرحمن الاعظمي، ب. ط، ب. مط، المجلس العلمي، ب. مكا، ب. ت.
ـ ابن طاووس: أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد ت٦٦٤.
١٠٤ ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ط١، مط الخيام، قم، ١٣٩٩هـ.

- الطباطبائي: السيد محمد حسين ت ١٤٠٢هـ.
١٠٥ - الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب. ت.
- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (٢٦٠ - ٣٦٠هـ).
١٠٦ - الأوائل: تح: محمد شكور، ط١، بيروت، ١٤٠٣.
١٠٧ - كتاب الدعاء، تح: مصطفى عبد القادر، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ.
١٠٨ - المعجم الأوسط، تح: إبراهيم الحسيني، ب. ط، دار الحرمين، ب. مكا، ب. ت.
١٠٩ - المعجم الصغير، ب. محق، ب. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.
١١٠ - المعجم الكبير، تح: حمدي السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ب. ت.
- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ.
١١١ - أعلام الورى بأعلام الهدى، تح: ط١، ستارة، قم، ١٤١٧هـ
١١٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء، ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤١٥هـ.
١١٣ - مكارم الأخلاق، ط٦، الناشر: مؤسسة الشريف الرضي، ب. مكا، ١٩٧٢م.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ.
١١٤ - تاريخ الرسل والملوك، راجعه: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
١١٥ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- الطبري: عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم ت بعد ٥٥٣هـ.
١١٦ - بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تح: جواد القيومي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢هـ.
- الطبري الصغير: أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم (ق ٥هـ).
١١٧ - دلائل الإمامة، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، ١٤١٣هـ.
١١٨ - المسترشد في الإمامة، تح: أحمد المحمودي، ط١، مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم، ب. ت.
- الطبسي: محمد جواد
١١٩ - حياة الصديقة فاطمة (ع)، ط١، مؤسسة بوستان، قم، ١٤٢٣هـ.
- الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد (٢٢٩ - ٣٢١هـ).
١٢٠ - شرح معاني الآثار، تح: محمد زهدي النجار، ط٣، دار الكتب العلمية، ب. مكا، ١٩٩٦م.
- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ).
١٢١ - الأمالي، تح: علي أكبر غفاري - بهراد جعفري، ب. ط، دار الإسلامية، طهران، ١٣٨٠.
١٢٢ - التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب العاملي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
- الطوسي: ابن حمزة ت ٥٦٠.
١٢٣ - الثاقب في المناقب، تح: نبيل رضا، ط٢، مط الصدر، مؤسسة انصاريان، قم، ١٤١٢هـ.
- الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود بن الجار ود ت ٢٠٤هـ.
١٢٤ - المسند، ب. تح، ب. ط، دار الحديث، بيروت، ب. ت.
- ابن أبي عاصم: ت٢٨٧ هـ.
١٢٥ - الآحاد والمثاني، تح: باسم فيصل أحمد، ط١، دار الدراية، الرياض، ١٩٩١م.
- العاملي: جعفر مرتضى
١٢٦ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، ب. ط، داز السيرة، بيروت، ب. ت.
- ١٢٧ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة، ب. ط، دار الفكر، ب. ت.
- عبد الحميد: صائب.
١٢٨ . تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ط ٢، مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي. ٢٠٠٥.
- ابن عبد الوهاب: حسين (ق٥هـ).
١٢٩ - عيون المعجزات، ب. محق، ب. ط، مط: الحيدرية، النجف، ١٣٦٩هـ.

- العجلي: الحافظ أحمد بن عبد الله ت ٢٦١هـ.
١٣٠ - معرفة الثقات، ط١، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.
- ابن عدي: أبو أحمد عبد الله الجرجاني ٣٦٥هـ.
١٣١ - الكامل في ضعفاء الرجال، تح: سهيل زكار، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨.
- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (٤٩٩ - ٥٧١هـ).
١٣٢ - تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- العسكري: مرتضى.
١٣٣ - أحاديث أم المؤمنين عائشة، ط٧، مط: الغدير، بيروت، ١٤٢٥هـ
- العظيم آبادي: محمد شمس الحق ت ١٣٢٩هـ.
١٣٤ - عون المعبود، ط٢، بيروت، ١٩٩٥.
- العواد: انتصار عدنان عبد الواحد.
١٣٥ - السيدة فاطمة الزهراء (ع) دراسة تاريخية، دار البديل، ٢٠٠٩.
- الفتال النيسابوري: أبو جعفر محمد بن الحسن ت٥٠٨
١٣٦ - روضة الواعظين، ط٢، مط: أمير، قم، ١٢٧٥هـ.
- الفراتي: فاضل.
١٣٧ - عظمة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء، ط٢، قم، ١٤٢٩ هـ.
- الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٥هـ).
١٣٨ - كتاب العين، تح: د. مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.
- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ.
١٣٩ - القاموس المحيط، ب. ط، ب. مط، ب. مكا.
- الفيض الكاشاني: المحسن ت ١٠٩١هـ.
١٤٠ - تفسير الصافي، تح: حسين الاعلمي، ط٢، قم، ١٤١٦هـ.
- القاضي النعمان: أبو حنيفة محمد بن منصور بن أحمد المغربي ت ٣٦٣هـ.
١٤١ - دعائم الإسلام، تح: آصف بن علي، ب. ط، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
١٤٢ - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح: الجلالي، ب. ط، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب. ت.
- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ.
١٤٣ - الإمامة والسياسة، تح: علي شيري، ط١، مط: أمير، الناشر: الشريف الرضي، قم، ١٤١٣هـ.
١٤٤ - غريب الحديث، تح: عبد الله الجبوري، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.
- القرطبي: أبو عبد عله محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م.
١٤٥ - الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم (القرن ٣ - ٤هـ).
١٤٦ - تفسير القمي، صححه وعلق عليه: السيد طيب الجزائري، مؤسسة دار الكتاب، قم، ١٤٠٤ هـ.
- القمي: الشيخ عباس ت ١٣٥٩هـ
١٤٧ - بيت الأحزان، ط١، مط: سرور، الناشر: فاروس، قم، ٢٠٠٤م.
- القندوزي: سليمان بن إبراهيم الحنفي ت ١٢٩٤هـ.
١٤٨ - ينابيع المودة، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٧هـ.
- الكاشاني: أبو بكر بن مسعود الحنفي ت ٥٨٧هـ.
١٤٩ - بدائع الصنائع: ط١، باكستان، ١٩٨٩.
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي ت ٧٦٤هـ.
١٥٠ - البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.
١٥١ - تفسير ابن كثير، ب. ط، مط: دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٥٢ - السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١.
١٥٣ . قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، ط ١، دار التأليف، القاهرة، ١٣٨٨ هـ.
- الكراكجي: أبو الفتح محمد بن علي ت ٤٤٩هـ.
١٥٤ - كنز الفوائد، ط٢، الناشر: مكتبة المصطفوي، قم، ١٤١٠هـ.
- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي ت ٣٢٨/٣٢٩هـ.
١٥٥ - الأصول من الكافي، صححه: علي أكبر غفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.
- الكوفي: أبو محمد الحسين بن سعيد (ق ٢ - ٣هـ).
١٥٦ - كتاب الزهد، تح: ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية، قم، ٢٤٩٩هـ.
- الكوفي: محمد بن سليمان القاضي. (حياً ٣٠٠هـ).
١٥٧ - مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع)، تح: المحمودي، ط١، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، قم. ١٤١٢هـ.
- ابن كيال: أبي البركات محمد بن أحمد الذهبي ت ٩٢٩هـ.
١٥٨ - الكواكب النيرات: تح: حمدي السلفي، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، (٢٧٠هـ - ٢٧٥هـ).
١٥٩ - سنن بن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ب. ط، دار الفكر. بيروت، ب. ت.
- المباركفوري: أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم ت ١٣٥٣هـ.
١٦٠ - تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ.
- المتقي الهندي: علاء الدين بن علي ت ٩٧٥هـ.
١٦١ - كنز العمال، تح: بكري حياني - صفوة السقا، ب. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- المجلسي: محمد باقر ت (١١١١هـ).
١٦٢ - بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.
- المحاملي: الحسين بن إسماعيل ت ٣٣٠هـ.
١٦٣ - الامالي: تح: إبراهيم القيسي، ط١، الأردن، ١٤١٢هـ.
- محب الدين الطبري: أبو جعفر أحمد بن عبد الله ت ٦٩٤هـ.
١٦٤ - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الناشر: مكتبة القدسي، ١٣٥٦هـ.
- المزي: أبو الحجاج يوسف ت ٧٤٢ هـ
١٦٥ - تهذيب الكمال، تح: د. بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ.
١٦٦ - الجامع الصحيح، ب. تح، ب. ط. دار الفكر، بيروت، ب. ت.
- ابن معين: يحيى بن معين بن عون الغطفاني (١٥٨هـ - ٢٣٣ هـ).
١٦٧ - تاريخ ابن معين، تح. أحمد محمد نور سيف، ب. ط. دار المأمون للتراث. مكة. ب. ت.
١٦٨ - تاريخ ابن معين، تح: عبد الله أحمد حسن، ب. ط، الناشر: دار القلم، بيروت، ب. ت.
- ابن المغازلي: أبو الحسن علي بن محمد الشافعي ت ٤٨٣هـ.
١٦٩ - مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع)، تح: جعفر الدجيلي، ط٣، دار الأضواء، بيروت ٢٠٠٢م.
- المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ت ٤١٣هـ.
١٧٠ - الآمالي، تح: علي أكبر غفاري - حسين الاستاد ولي، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٥هـ.
١٧١ - تصحيح اعتقاد الامامية، تح حسين دركاهي، ط٢، بيروت، ١٩٩٣.
١٧٢ - الفصول المختارة، تح: مير علي شريفي، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م.
- المقرئ: محمد بن إبراهيم ت ٣٨١هـ.
١٧٣ - الرخصة في تقبيل اليد، تح: محمود محمد الحداد، ط١، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ.
١٧٤ - فضل آل البيت (ع)، تح: علي عاشور، ب. ط، ب. مط، ب. مكا، ب. ت.

١٧٥ ـ النزاع والتخاصم بين أمية وبني هاشم، ب. ط، ب. مط، ب. مكا، ب. ت.
ـ المناوي: محمد عبد الرؤوف ت ١٠٣١هـ.
١٧٦ ـ فيض القدير، تح: أحمد عبد السلام، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
ـ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ.
١٧٧ ـ لسان العرب، ط، دار إحياء التراث العربي، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.
ـ الموسوي: عبد الحسين شرف الدين ت ١٣٧٧هـ.
١٧٨ ـ الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، تح محمد عبد علي، ط١، ب. مكا، ٢٠٠٥.
ـ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ.
١٧٩ ـ خصائص أمير المؤمنين، تح: محمد كاظم، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٩هـ.
١٨٠ــ السنن، بشرح السيوطي وحاشية السندي، ب. تح، ط١، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٣٠م.
١٨١ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين، تح: محمود إبراهيم زايد، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦.
ـ النصر الله: د. جواد كاظم
١٨٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد رؤية اعتزالية عن الإمام علي (ع)، ط١، ذوي القربى، ٢٠٠٤.
١٨٣ ـ فضائل الإمام علي تنسب لغيره، مركز الأبحاث العقائدية، النجف. ٢٠٠٩.
١٨٤ ـ هيئة كتابة التاريخ برئاسة معاوية، مجلة رسالة الرافدين، العدد الخامس، ٢٠٠٨ م.
ـ النعماني: محمد رضا
١٨٥ ـ فاطمة والخلافة: ط١، قم، ب. ت.
ـ أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الاصبهاني ت ٤٣٠هـ.
١٨٦ ـ الامالي: تح عمر غازي، ط١، طنطا، ١٤١٠هـ.
١٨٧ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٨٨ ـ ذكر أخبار اصبهان، ب. محق، بريل، لندن، ١٩٣١.
١٨٩ ـ كتاب الضعفاء، تح: فاروق حمادة، الدار البيضاء، المغرب. ب. ت.
ـ النقوي: السيد حامد الحسيني ت١٣٠٦هـ.
١٩٠ ـ خلاصة عبقات الأنوار، مؤسسة البعثة، قم، ١٤٠٦هـ.
ـ النووي: محي الدين ت ٦٧٦ هـ.
١٩١ ـ رياض الصالحين: صنعه أحمد راتب، ط٢، دار الفكر، ١٤١١هـ.
١٩٢ ـ شرح صحيح مسلم، ط٢، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٩٣ ـ المجموع في شرح المهذب، ب. ط، دار الفكر، ب. مكا، ب. ت.
ـ الهاشمي: السيد هاشم
١٩٤ ـ حوار مع فضل الله حول الزهراء، ط٢، دار الهدايه، ٢٠٠١هـ.
ـ ابن هشام: عبد الملك ت ٢١٨هـ.
١٩٥ ـ السيرة النبوية، ط٢، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
ـ أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهيل ت ٣٩٥هـ.
١٩٦ ـ الفروق اللغوية، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ.
ـ الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧هـ.
١٩٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ب. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
١٩٨ ـ موارد الظمآن، تح: محمد عبد الرزاق، ب. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.
ـ الورداني: صالح.
١٩٩ ـ السيف والسياسة في الإسلام: ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ.
ـ أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ت ٣٠٧.
٢٠٠ ـ المسند، تح: حسين سليم أسد، ب. ط، مط: دار المأمون للتراث، ب. مكا، ب. ت. ❖

فاطمة الزهراء (ع)
سمو المعنى في سمو المثل

د. حسن طاهر ملحم(*)

المقدمة

إننا عندما نقدس أهل البيت (ع) ونعظم شخصياتهم، فلأنهم باعتقادنا المثل الأعلى للبشرية جمعاء. والقيمة المستمرة التي تمد الحياة كلها بالحركة والروح وتملأها بكل المعاني السامية والأخلاق الرفيعة.

فهم في حياتنا كلها لا ينطلقون من صلتهم بالرسول الأعظم (ص) وحسب وان كانت هذه الصلة تمثل أعلى مراتب الشرف الرفيع في مقاييس النسب وطبقة الوراثة. وإنما ينطلقون من واقعهم الأصيل الذي تتمثل فيه كل معاني الرسالة وكل ملامح الرسول (ص) وهم فوق هذا لا يريدون لنا أن نقنع بحبهم وولايتهم عن العمل بسيرتهم والأخذ بتعاليمهم. بل يريدون لنا أن نعمل لنحقق بعملنا أهداف الإسلام الكبرى وغاياته المثلى التي ضحوا من اجلها ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى.

من هنا كان من الواجب أن يكون الإلحاح على استعادة ذكرياتهم. من اجل استعادة القيم التي يمثلونها، والمعاني الحية التي يحملونها، والطهارة الصافية الخالية من كل دنس يشوه وجه الإنسانية ويلوث ضميرها، كما أراد الله لهم أن يكونوا:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1].

وسيرة فاطمة الزهراء البتول المطهرة هي إعادة سيرة امرأة جعلها الله بلسان ابنة المصطفى سيدة نساء العالمين، عاشت مع الله ولله وفي سبيل الله. انطلقت بروحها بعيداً عن ذاتها وعاشت مع الرسالة في فكرها وإحساسها وحركتها فأصبحت قرانا يتحرك في الحياة كأنها حاضر مستمر يزورنا ليدخل علينا دفء ونعيما نتحرك فيه على خطى ثابتة للوصول إلى الهدف المنشود في معرفة الله سبحانه وتعالى.

تمهيد: فاطمة الزهراء (ع)

المرأة التي ورثت كل مفاخر أسرتها وريثة نسل جديد لا ينشأ على الأرض مثله والدم والمال. بل ظاهرة وحي صنيع الإيمان والجهاد والثورة والفكر...نسيج جميل من كل

(*) الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف.

(١) الأحزاب، ٣٣.

قيم الروح المتعالية. من أبيها محمد (ص) وارث إبراهيم ونوح وموسى وعيسى وفاطمة هي وارثه الوحيد.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[1].

يا للعجب ويا لروعة الخطاب عدوك أبتر بما عنده من أولاد عشرة. ونحن أعطيناك الكوثر (فاطمة) هكذا تظهر الثورة في ضمير الزمن.

هذا هو الحق من لدن أصحاب التفاسير الذي روا أن الكوثر مثل فاطمة (ع) بارتباط الآية التالية بالعدو الأبتر. وكان الخير الوفير من فاطمة لتأتي بالحسن والحسين وزينب (ع) ليكونوا أبناء النبي وعترته والعترة عند العرب جميعاً أولاد فاطمة[2].

هكذا أراد الله أن تصبح (البنت) ملاك لمبادئ أبيها وريثة كل مفاخره ومفاخر أسرته. وامتداد لسلسلة كبيرة تبدأ من آدم وتمر على كل قادة الحركة واليقظة في تاريخ البشرية. لقد أراد القدر أن تكون فاطمة وريثة محمد (ص).

فتحرر المرأة من النير الذي أصابها قبل بعثة أبيها رسول الإنسانية. وهكذا أراد الله أن يثبت في فاطمة سلالة النبي (ص) بعد أن كان مجتمع كله يرى أن غسل عار البنت لا يكتمل إلا بوأدها حيّة.

ويقف التاريخ متحرياً مدهوشاً أمام تعامل محمد مع ابنته الصغيرة فاطمة.

بيت فاطمة وبيت محمد متجاوران وفاطمة هي الشخص الوحيد مع زوجها علي الذي يشارك محمد (ص) السكن في المسجد الفاصل بينهما مترين فقط.

كل صباح يحي محمد (ص) ابنته فاطمة.

كلما سافر طرق باب (فاطمة وودعها فتكون هي دائماً آخر مودع، وكلما عاد من سفر كان بيت فاطمة أول بيت يزوره.

وكان يصرح (ص) من لدن عليم خبير بأن فاطمة هي إحدى أربع وجوه نسائية متميزة في تاريخ الإنسانية مريم، آسيه، خديجه، وأخيراً فاطمة.

حلقة متكاملة في سلسلة التكامل على مدى فترات التاريخ فيها فاطمة من بين نساء كل العالم الأخيرة في نموذج حي عظيم حيث مثل الله، كرامة مريم بعيسى، الذي ولدته وربته، وكرامة آسية (زوجة فرعون) بموسى الذي ربته ورعته، وكرامة خديجة بمحمد (ص) الذي نصرته وبفاطمة التي ولدتها وربتها.

وكرامة فاطمة؟ بجديمة عهد بعلي بالحسين بالحسن، ومنهما يولد النسل الطاهر أولاد النبي (ص) من فاطمة (ص) لاغيرها بعد أن أراد الله أن يقطع عقبة من الولد.

---

(١) سورة الكوثر.

(٢) ابن قتيبة، المعارف.

ولادتها (ع)

ورد الاختلاف في السير بأن فاطمة (ع) كانت ولادتها قد سبقت البعثة بخمس سنين. كما ورد عند ابن سعد[١] في طبقاته والطبري[٢] والبلاذري[٣] وابن الاثير[٤] وأبو الفرج في مقاتله[٥].

أما علماء الشيعة ومحدثيهم، تبنوا الرأي الآخر كالكليني[٦] وابن شهر أشوب[٧]، فقد كتبوا أنها ولدت بعد البعثة بخمس سنين.

وتبنى المسعودي[٨] في مروج الذهب أنها ولدت في السنة الخامسة بعد البعثة، أما اليعقوبي[٩] فلا يذكر التاريخ بدقة.

ومهما يكن من المحصلة بين الفريقين هي أن زواج فاطمة في السنة التاسعة أو الثامنة عشر أو إنها توفيت في الثامنة عشر أو بثمانية وعشرين، فأنها تبقى ابنة رسول الله والنموذج الكامل للمرأة التي علت على كل رجل وامرأة.

زواج فاطمة (ع):

إن عمراً وأبا بكر سعيا للزواج من فاطمة لكن النبي (ص) قال لهما إني: انتظر فيها القضاء الإلهي[١٠].

فاطمة ـ ذا جمال منير[١١].

قال النبي (ص): أنت أسرع أهل بيتي لحاقاً بي[١٢].

ثم أضاف ألا تحبين أن تكوني سيدة نساء الجنة؟ فتبسمت (ع).

كانت فاطمة (ع) ذات طبع ملائكي تفضل الارتباط بالله تعالى. تحس بمعاناة الآخرين فتعلمهم الصبر والتحمل، وكثيراً هي ما عانت من الآلام ليعيش الآخرون في راحة، فهي طبيب الهي ينطبق عليها مصداق البيت الآتي:

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٨، ص١١.
(٢) ابن جرير: تاريخ الطبري ١٣.
(٣) البلاذري، ص٤٠٢.
(٤) الكامل في التاريخ، ٣٤١/٢.
(٥) مقاتل الطالبين، ص٤٨.
(٦) أصول الكافي ١٨٦٩/٤.
(٧) ابن شهر اشوب، المناقب، ٣٥٧/٣.
(٨) تاريخ المسعودي، ٧٠/٢.
(٩) تاريخ اليعقوبي، ص١٧٠.
(١٠) ابن سعد: الطبقات ج١١/٨.
(١١) نسب قريش. ص٥١.
(١٢) أنساب الأشراف، ص٤٠٥.

كل يريد رجاله لحياته   يا من يريد حياته لرجاله[١]

وكشفت الروايات الزائفة الموضوعة بحق علي والزهراء (ع) وأنهما تخاصما حتى وصلت الأمور بفاطمة بان تشتكي علياً من أبيها (ص) قائلة: يزعمون انك لا تغضب لبناتك.

ويسردون قصة استئذان هشام بن المغيرة في تزويج علي من ابنة أبي جهل، وكيف أن النبي (ص) صعد المنبر رافضاً ذلك على ملأ من المسلمين.

فلم أجد فيه قدر من حظ. فأمسكت عنه لضعف إسناد الرواية وقائلها واكتفيت برأي الدكتور محمد بكر إسماعيل حيث قال:

ولعلها كانت مكيدة من قبل المشركين. حاكوا خيوطها على النحو الذي ذكره بعض المؤرخين مما كان لمثل علي من رجاحة عقله وصفاء قلبه ونقاء سريرته وحميد سيرته وعظيم حبه لخير البرية أن يخطب لنفسه بنت عدو الله ورسوله مع خير النساء فاطمة البتول.

وما كان أبداً ليفكر مجرد التفكير في أن يقدم على هذا الأمر ومعه من ملكت عليه فؤاده وكانت له نعم الزوج الوفي.

والدليل على ذلك أنه لم يتزوج على فاطمة (ع) في حياتها امرأة أخرى، ولو فعل ما كان ذلك من يأس ولكنه الوفاء الذي تميز به وكان جزءاً من كيانه.

ولا ينبغي أن نقول ما قاله بعض الكتاب من أن خطبته لبنت أبي جهل كانت نزوة. فذلك والله محض افتراء لا يقول به ما عرف قدر علي وقدر فاطمة (ع).

ولاهي كما يقول العقاد: نزعة من نوازع النفس البشرية[٢].

ولو أحسن الظن بعلي لقلنا أنها مكيدة له ولفاطمة وللنبي كما أشرنا حاكها من حاكها.

ولم نقل شيئاً مما قاله بعض الكتاب المعاصرين ولا من سبقهم من الأولين من غير تمحيص ولا نظر ثاقب.

لقد كان زواجه من فاطمة وحدها قدراً مقدوراً وخيراً مُوفوراً وغراً وشرفاً مواتياً لم تشبه شائبة تعكر صفوة أو تكدر جلوته، لقد كان زواجاً مباركاً من فوق سبع سموات دام حتى انبثقت ثمراته بفضل الله وكرمه[٣].

---

(١) ديوان المتنبي، ج٣/١٩.

(٢) العقاد: فاطمة الزهراء والفاطميون، ص٣١.

(٣) محمد بكر إسماعيل، فقيه الأمة ومرجع الأئمة علي بن أبي طالب، ص٦٨ ـ ٦٩.

المبحث الأول: فاطمة (ع) اجتماعياً

مرة ككل الأيام دخل النبي (ص) إلى بيت فاطمة، فجأة يقع نظرة على ستارة مزينة، منقوشة، يقطب حاجبيه فوراً، ويرد من حيث أتى دون أن ينبس ببنت شفة.

لتشعر فاطمة بذلك فتعرف ذنبها، وتعرف كيف تتوب عن ذنبها بسرعة ترفع الستارة عن الحجرة، وترسلها إلى أبيها كي يبيعها وينفق ثمنها على فقراء المدينة.

لماذا هذا التشدد مع فاطمة (ع)، فهذه زينب أختها غارقة في النعيم والثراء في بيت أبي العاصي، وأخواتها كن دائماً في بيوت الثروة والرخاء، ولكن فاطمة لم تسمح أبداً أن تؤنب أخواتها اللاتي يكثرنها بكثير من أهل الثروة والزينة.

ويبدو واضحاً من طريقة وأسلوب تعامل النبي (ص) مع فاطمة حجته في ذلك أن فاطمة شيء وبناته الأخريات شيء آخر.

يا فاطمة اعملي، فإني لست بمغن عنك شيئاً غدا...

ذات يوم فاطمة تطحن بالرحى، تخبز الخبز تعمل بالبيت وتجلب الماء، سألها علياً بلهجة المشفق: (لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك ما أنت فيه في هذا العمل، فأتت النبي (ص) فاستحيت وانصرفت... وقالت لعلي إن استحيت أن أطلب شيئاً[1]..... أعانها علي على ذلك وسأل النبي (ص) ذلك بدلاً منها، كان جواب النبي (ص) حاسماً.

- لا والله، لا أهبكم أسير حرب، وأترك بطون أهل الصفة[2] خاوية، ولا أجد شيئاً أعطيه إياهم، ولكني أبيعه وأهب ماله لأهل الصفة. شكره علي وفاطمة وعادا صفر اليدين.

وهم في سكون الليل دخل النبي (ص) وكان عليا وفاطمة في فراشهما غطيا أنفسهما بلقاع شفاف عندما يسحبانه على وجهيهما تظهر أقدامهما وعندما يغطيان أقدامهما به ينكشف وجهيهما أمرهما بعطف: لا تتحركا؟

ثم قال (ص) أفلا أعطيكما ما هو خير من الخادم؟

إذا أخذتما منامكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين. وأحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فقالت فاطمة (ع) رضيت عن الله ورسوله ثلاثاً.

هذه الدروس تتلقاها فاطمة، بظرف دقيقة، ووصلت من خلالها إلى عمق وجودها.

وهذه الدروس ليس دروس علم بل دروس (صيرورة وتحول) فإن هذه هي مسؤوليات فاطمة ومكانتها. فها هي الكلمة التي نطقها النبي (ص) هي بمثابة العيش ونيل السعادة بها.

---

(١) ابن سعد. الطبقات ١٦/٨.

(٢) أهل الصفة: جماعة من المسلمين السابقين وأنصار النبي الخلق آمثال سلمان، أبي ذر، عمار الذين كانوا ينامون في المسجد ويعيشون العسرة.

واستمرت فاطمة على هذا الدرس إلى شهادتها. واستمر علياً (ع) إلى استشهاده ولما سألوه ذات يوم عنها فأجاب، والله لم أترك هذا الدرس منذ تعلمته.

فيسألونه بدهشة:

- وحتى ليلة صفين؟

فيجيب مؤكداً... وحتى ليلة صفين.

الكلمات السماوية التي كانت تعدها إلى الجنة بديلاً عن الخادم سجلت باسمها وهذه خلدت إلى يومنا هذا باسم (تسبيحات الزهراء).

وهكذا تستمد الدروس من الأيام الأولى وحيث الصعاب فهي سمعت من أبيها مقولة بعد موت أمها السيدة خديجة (ع) يخاطب قريش:

- يا مجمع قريش، عودوا إلى أنفسكم فلست بمغن عنكم شيئاً أمام الله.

- يا أبناء عبد مناف، لست بمغنٍ عنكم شيئاً أمام الله.

- يا عباس بن عبد المطلب، إنني...

- يا صفية ابنة عبد المطلب....

- يا فاطمة لكي من ثروتي ما تشائين، ولكني لست بمغن عنك شيئاً أمام الله، فتجيبه فاطمة بشوق وثبات:

- بلى، بلى، يا أغلى أب، وأفضل داعية.

ذكر صاحب الاستيعاب حين (ص) يعود من السفر كان يبدءا بركعتين في المسجد ثم يذهب لرؤية فاطمة ثم يذهب إلى نسائه بعد ذلك[1].

ذكر الشيخ الصدوق في أماليه: حين يعود الرسول من سفره فإنه يسرع إلى رؤية فاطمة ويجالسها طويلاً، وفي أحد أسفاره، كانت الزهراء قد اشترت أساور من فضة وأقراط وقلادة، ووضعت على باب دارها ستارة، وكعادته مر بها. لكنه لم يمكث طويلاً، وخرج غاضباً، واتجه إلى المسجد ولم تمض الاهنيمات، حتى جاء إليه من فاطمة رسول يحمل الأقراط، والأساور، والقلادة والستارة.

فقال رسول فاطمة: إن ابنتك تقول بع هذه الزينة وأنفقها في سبيل الله.

فقال النبي (ص): فداها أبوها، فعلت ما كان يجب أن تفعل: الدنيا ليست لمحمد وآل محمد[2].

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ص٧٥٠.

(٢) البحار، ح٤٣، ص٢٠، المناقب ح٤٧١/٢، ومسند أحمد الحديث، ٤٧٢٧.

فاطمة كانت (مثال) محمد (ص) ومحمد (ص) أيضاً لم يستثن في نظام العدل الإلهي وقانون الإسلام، فهو مسؤول أيضاً عليه أن يجيب عن كل خطوة من يخطوها. وكل كلام يقوله[١].

مرة، قامت إحدى نساء قريش، والتي كانت قد أسلمت بسرقة، فسمع النبي (ص) بذلك، يجب قطع يدها كثير من الناس أشفقوا عليها، واعتبرت الأسر الكبيرة في قريش هذا العمل وصمة عار لا تمحى. جاءوا إليه يطلبون الشفاعة. سألوه أن يشفع عند رسول الله (ص) لهذه المرأة فلم يرض، توسلوا فقال: لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها.

لماذا اختار (ابنة محمد) من بين كل أقربائه؟

ولماذا باسمها فاطمة، الجواب على هذه الأسئلة واضح، أفلم يختر فاطمة الصغيرة من بين كل أقاربه من بين كل بناته وكل أقاربه ليدعوها إلى[٢] الدعوة وجعلها مخاطبة دعوة الإسلام الكبيرة.

فاطمة (ع) أم أبيها[٣]:

حينما نرى أنه كان يعاملها معاملة إلام فيقبل يدها ويخصها بالزيارة عند كل عودة منه إلى المدينة ويودعها منطلق من عندها إلى أسفاره ورحلاته ومن ناحية أخرى نجد إن إحساس النبي (ص) بالأبوة كان يتجسد في صلاته مع فاطمة (ع)، وحينما يأمر الناس بان يخاطبوا محمداً برسول الله: نفذت فاطمة هذا الأمر، منعها رسول الله (ص) وطلب منها أن تدعوه (يا أبه).

إيثار الزهراء (ع):

يحدث ولدها الحسن (ع):

(رأيت أمي فاطمة، قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتستميحهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها. يا أماه لماذا لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك، فقالت: يا بني الجار ثم الدار[٤].

كانت من أهل البيت الذي يعش العطاء من كل ما يملكه، عطاء العلم والجاه والقوة ويعش العطاء للناس لا على أساس أن يطلب مقابلا لذلك (ويطعمون الطعام على حبه)[٥].

---

(١) شريعي، فاطمة هي فاطمة، ص١٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٢.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/٥٢٠.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص٨١.

(٥) الإنسان، ٨ ـ ١٠.

كانت من أهل البيت الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

تعلمت الدروس من أبيها (ص)

يا ابنتي لو شاء أبوك لاهتدى إلى كنوز الأرض وملكها ولكننا اخترنا رضا الله (عز وجل)[١]: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

المبحث الثاني: الجانب العلمي عند الزهراء (ع)

رغم أن السيدة فاطمة الزهراء (ع) كانت تقوم بأعباء وشؤون البيت من ما هو متعارف عليه كانت تمثل زوجة كأفضل ما تكون الزوجات وكانت أماً أفضل ما تكون الأمهات وكانت تحمل في جنباتها هموم الرسالة المحمدية فهي (ع) كونت حلقة ممتدة في نساء المهاجرين والأنصار حيث كانت تلق عليهم الدروس في جلسات مقدرة حتى ورد عند صاحب دائرة المعارف الإسلامية يروى أنها كانت لديها أوراق مما تلقيه على النساء فافتقدتها وقالت لخادمتها "ابحثي عنها فأنها تعدل عندي حسناً وحسيناً" وإن صحت هذه الرواية فإنها تدل على الأهمية التي تعطيها الزهراء (ع) للمسألة العلمية[٣].

وعلى ما تقدم روي أيضاً صاحب دلائل الإمامة عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى فاطمة (ع) فقال: يا ابنة رسول الله هل ترك أبوك شيئاً تطرفينيه؟ فقالت: يا جارية هات تلك الجريدة، فطلبتها فلم تجدها، فقالت ويحك أطلبيها فإنها تعدل عندي حسناً وحسيناً، فطلبتها فإذا هي قد قمتها في قمامتها.... فأخرجتها وقرأت ما فيها..."[٤].

وتراث الزهراء (ع) كبيراً حسب قياسات ما أحصاه المسلمون الأوائل عن رسول الله (ص) من أفعال وأقوال ولاشك أن عليا (ع) وفاطمة كان الأقرب إليه من غيرهم.

"وكما يجب أن لا نستبعد ما ترويه المصادر الشيعية عن مصحف فاطمة (ع) ذلك الكتاب الذي ورد ذكره على لسان الأئمة من أهل البيت (ع) لان الزهراء لم تفارق أبيها طيلة حياتها، وكانت تراعاه وتتولى خدمته وتسمع حديثة وأخباره وخطبه بنحو لم يتوفر لغيرها من الناس إذا استثنينا ابن عمها علياً (ع)[٥]".

---

(١) جعفر شهيدي: فاطمة الزهراء، ص٨٣، ترجمة عبد الله الفريجي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، سنة ٢٠٠٢م.

(٢) الحشر، ٩.

(٣) محمد حس فضل الله، الندوة، العدد ١٥، ص٩. : الهيثمي: مجمع الزوائد، ص٦٦، ٥٨٦.

(٤) دلائل الإمامة ٢١/١، أعلام الهداية. فاطمة الزهراء، ص١٩٧.

(٥) هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثنى عشر، ٩٦/١.

ومن أراد أن يفهم معنى كلام النبي (ص)، لو لم يكن علي لما كان لفاطمة كفؤ[١].

وهذا المعنى يشير إلى المستوى العقلي الذي تملكه فاطمة ولا يملكه إلا علي (ع)، ما جعلها الكفء الوحيد لها.

ومن الشواهد الكثيرة على تعليم النبي (ص) لفاطمة (ع) ما جاء الحديث الذي رواه الكليني في الكافي سنده عن الصادق (ع).

لما جاءت فاطمة تشكو إلى رسول الله (ص) بعض أمرها أعطاها كربة أصل السعفة وكان يكتب عليها وقال تعلمي ما فيها... فإذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...[٢].

وكانت (ع) أول كاتبة بالإسلام من الرجال والنساء وأول من كتب عن الرسول (ص) بمسمع ومرأى ومنه نفهم أن ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب من منع كتابة الحديث لكي لا يختلط بالقرآن كان أمراً خاطئاً[٣].

والعجب أن يدعى بعضاً من علماء السنة بأن فاطمة الزهراء (ع) عن جميع ما روته من الأحاديث لا يبلغ عشرة أحاديث كما أورده السيوطي في كتابه الثغور الباسمة في حياة سيدتنا فاطمة[٤].

ومنهم أضاف القليل إلى هذا العدد مع علمنا عند التتبع نرى أن أحاديث أبا هريرة والسيدة عائشة زوجة النبي (ص) ما روي عنها ما يفوق الإلفين لكل منهما وإسلام أبا هريرة كان متأخراً أما السيدة عائشة لم تعاشر الرسول (ص) إلا بعد الهجرة بما يقل عن عشر سنوات. بينما عاشت فاطمة (ع) بأقل الرواية ثمانية عشر عاماً بالرواية الشيعية وثمانية وعشرين عاماً بالرواية السنية، ومن المعاصرين من أنصفها بقوله عن ما تقدم ذكره (أخذت الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابته لها وقد أخذ عنها ابناها الحسن والحسين وأبوهما علي (ع) وأم سلمة وعائشة وأنس بن مالك).

وقد ساعدها على ذلك أنها ألمت بالكثير من علوم القرآن وأحاطتها بأمر من الشرائع السابقة. وكانت تعرف القراءة والكتابة، وقد فطمها الله بالعلم. فالسيدة فاطمة من أهل البيت اتقوا الله وعلمهم الله[٥].

ومن الذين عدوا من رواة العلم عنها بعضاً من ذكره العطاردي في مسند فاطمة (ع)[٦]:

---

(١) أصول الكافي، ٤٨٥/١.

(٢) دلائل الزهراء، محي الدين الطبري، ص٢٨، دلائل الإمامة ص٦٥.

(٣) أبو رية محمود، أضواء على السنة المحمدية، ص٥٤.

(٤) أعلام الهداية، فاطمة الزهراء، ص١٩٤.

(٥) توفيق أبو علم: أهل البيت ص١٢٨ - ١٢٩.

(٦) العطاردي، مسند فاطمة، ص٥٩٠ - ٦٠٢.

(١) ابن أبي مليكة (٢) أبو أيوب الأنصاري (٣) أبو سعيد الخدري (٤) أبو هريرة (٥) أسماء بنت عميس (٦) جابر بن عبد الله الأنصاري (٧) زينب بنت أبي رافع (٨) سلمان الفارسي (٩) ابن أبي رافع (١٠) عبد بن عباس (١١) عبد الله بن مسعود (١٢) عوانة بن الحكم (١٣) يزيد بن عبد الملك (١٤) هارون بن خارجة وغيرهم.

مصحف فاطمة (ع):

قال الإمام الصادق (ع): ولكن والله – وأهوى بيده إلى صدره أن عندنا سلاح رسول الله (ص) وسننه ودرعه. وعندنا والله مصحف فاطمة – ما فيه آية من كتاب الله وأنه لإملاء (من إملاء) رسول الله وخط علي بيده[1].

لقد توهم البعض من الناس أن الإمام الصادق (ع) وحاشاه ذلك – يخبر بوجود مصحف (قرآن) غير هذا القرآن، فصار في أفوه البعض بوقاً للدس والتشويه.

إن دراسة ما ورد في الخبر واضحة لأبسط الناس الذين لهم معرفة في اللغة فالإمام الصادق (ع) يقول عندنا والله مصحف فاطمة

إن الصورة إلى كلمة (مصحف) في اللغة العربية تجعلنا نفهم قول الإمام الصادق (ع).

قال الراغب الأصفهاني[2]: (الصحيفة المبسوط عن الشيء، كصحيفة الوجه، والصحيفة التي يكتب فيها، وجمعها صحائف، وصحف، وقال تعالى: (صحف إبراهيم وموسى) يتلو صحفاً مطهر فيها كتب فيه. قيل أراد بها القرآن، والمصحف ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف.

والمصحف اسم لكل كتاب يجمع صحفا (أوراقاً أو جلداً) وسمي القرآن مصحف لأنه جامع لصحف.

وأسماء كتاب الله هي القرآن، الذكر، الفرقان، الكتاب، ولم يسمه الوحي مصحفاً بل اسماه المسلمون حين جمعوه بالمصحف.

فمصدر الخلط هو القضية الاصطلاحية والاستعمال اللغوي في ذلك العصر. ثم يوضح الإمام (ع) معنى المصحف ليرفع الاشتباه المحتمل فيقول: (ليس فيه آية من كتاب الله) أي هو ليس قرآن ليس وحياً إلهياً. وينقل بعض العلماء أنه مجموعة من الأدعية والإرشادات التي أملاها رسول الله (ص) للزهراء لترتيبها وتعليمها ولا مجال للشك في أن هناك قرآن آخر عند الشيعة. لأن الشيعة وعلمائها لا تؤمن بوجود كتاب غير هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

---

(١) حسن ملحم: دراسات في تفسير أهل البيت، (ص٢١٤) عن أهل البيت مقالهم ومنهجهم ومسارهم. ص٦١.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة صحف.

يقول العالم الكبير السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة: (لا يقول أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً أن القرآن مزيد فيه قليل أو كثير...)[١].

المبحث الثالث: فاطمة (ع) (سياسياً)

شاركت فاطمة الزهراء (ع) منذ نعومة أظفارها أبيها النبي (ص) في دعوته إلى الإسلام فرأت بينيها قريش وغلمانها قد وقفت بوجههم بالمرصاد فعاشت (صلوات الله عليها) محن تبليغ الرسالة وحوصرت مع أبيها وأمها وسائر بني هاشم في شعب أبي طالب وما إن رُفع الحصار بعد سنوات[٢] عجاف حتى واجهتها محنة وفاة السيدة خديجة أمها الحنون وعم أبيها[٣] مؤمن قريش. بعد سنة من موت خديجة (رضي الله عنها) وشاء الله بعد هذا أن تكون سلوة النبي (ص) في تحمل الأعباء ومواجهة الصعوبات والشدائد، تؤنسه في وحدته وتؤازره على ما يلم به من شدة وعنت من جبابرة قريش واستمر الحال ليأمر الله تعالى نبيه الكريم بالهجرة بعد موت الناصر[٤] (أبو طالب) فلا مكان له في مكة فهاجرت مع ابن عمها والفواطم إلى مدينة[٥] الرسول (ص) وبقيت إلى جنبه حتى كان ما أراد لها باقترانها بالإمام علي (ع).

وبعد أن أسس الرسول (ص) دولة الإسلام بنى المسجد وأصدر الوثيقة المعروفة دستوراً للمسلمين جاء أمر الجهاد من اجل الحفاظ على دين الإسلام فكانت معركة بدر بعد عامين من الهجرة لتعقبها معركة أحد التي خسر فيها المسلمون وجرح فيها النبي (ص). وعندما وصل خبر جرح النبي(ص) إلى أسماع فاطمة (ع) عجلت مع جمع من النسوة بطعام وماء. حملته إلى المقاتلين، وعملت على تضميد الجراح وشخصت فاطمة (ع) إلى أبيها تغسل جرحه وتضمده [٦] يروى الواقدي: إنها أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رمادا. ثم ألصقته بالجرح فأستمسك الدم، ويقال انها داوته بصوفة محترقة[٧].

وكان لها دوراً كبيراً في الحفاظ على أمر الله الذي حمله النبي (ص) وحافظ عليه بكل ما أوتي من قوة وكان موقفها يوم جاء أبو سفيان إلى النبي (ص) يطلب الاتصال به بعد إن اقترفت قريش خطأ فادحاً بإعانتها بكرا على خزاعة التي حالفت النبي (ص) فجاء مسرعاً

---

(١) أعيان الشيعة، ١٠٣/٣.

(٢) ابن هشام: السيرة، ٣٧٥/١.

(٣) الكليني: أصول الكافي، ٤٤٠/١.

(٤) ابن هشام: السيرة، ٣٧٧/١.

(٥) ابن هشام: السيرة، ص ٣١.

(٦) الواقدي: المغازي، ٢٤٩/١، البلاذري: انساب الأشراف، ص ٣٢٤.

(٧) المغازي: ٢٥٠/١.

ليتدارك الأمر وبما كان منه إلا أن طردته ابنته أم حبيبة ثم طرده أبو بكر وعمر وجاء علياً (ع) ظاناً أنه يعينه على ذلك فلم يرد عليه فالتفت إلى فاطمة (ع) قائلاً: يا ابنة محمد: هل لك أن تأمري بُنيك هذا (الحسن) فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر.

قالت (ع): والله ما بلغ بُني ذاك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله (ص)[1].

وبقيت فاطمة (ع) وفيّة لدين الله مخلصة له مستحقة لقب سيدة نساء العالمين في الأولين والآخرين بما قدمته من تضحية وإيثار فأصبحت أعلى مثلاً وأعظم يقتدي بها الرجال والنساء إلى يوم الدين.

وتمر الأيام ليأمر الله تعالى نبيه الكريم (ص) بحجة الوداع: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[2].

وكان ذلك سنة العاشرة للهجرة، عندما كان جمع المسلمين قد بلغ مائة وعشرين ألفاً.

وأثناء عودته في منزل (الجحيفة)[3] حيث تفرق القوافل أنجز النبي (ص) آخر مهامه فقال: ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي، أيها الناس من كنت مولاه فهذا علي مولاه[4].

عاد النبي (ص) من الحج، ولم يمض وقت طويل حتى أسر إلى ابنته فاطمة (ع) بخبر رهيب.

- يا بنية، إن جبرائيل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني في هذا العام مرتين.

- سألته ما معنى ذلك يا أبتاه!

- قال (ص): أظن أن عامي هذا آخر الأعوام لي معكم.

- ارتعشت سيدة نساء العالمين وترقرقت الدموع بعينيها.

واصل النبي (ص) قوله:

- أنت يا ابنتي أول أهل بيتي لحوقاً بي، فأكتمت شفتاها ببسمة، فتعجب الحضور وتسالوا عن هذا الأمر الذي أبكى فاطمة (ع) وأضحكها[5].

---

(١) ابن هشام: سيرة ابن هشام: ١٣/١، الطبري، ٢٤/٣.

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.

(٣) الجحيفة: مكان قرب غدير خم مفترق القوافل الذي وقف به المسلمون بعد عودتهم من الحج في حجة الوداع قبل أن يتفرقوا إلى أمصارهم، معجم البلدان. ٤٤٠/٢.

(٤) راجع كتاب الغدير للأميني لمعرفة أسانيد مفصلة، المجلد الأول عن ما يزيد من مائة صحابي ومئات عدة من التابعين والمحدثين.

(٥) بتصرف: طبقات أبي سعد ١٧/٨، الطبري: ١٢٤/٣، الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١، ص ٥١.

وفي رواية... إنك أول أهل بيتي لحوقاً بي – ونعم السلف أنا لك!... ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة[1]؟

وجاء أمر الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[2].

وتوفي الرسول (ص) وقد بين قبل موته في خطابه وفي زيارته لأهل البيعة في حجة الوداع. وغيرها... إنه ملاقي ربه. ولكن رغم كل هذا ينطلق صوتا منكراً هذا الأمر بتفاوت الروايات مع اتفاقها بالمعنى[3].

إن عمراً قد أنكر هذا الأمر وأمعن في إنكاره إلى حد التهديد على ما تناقلوه. واصفاً إياهم بالنفاق. متوعداً بالقتل لكل من يقول: إن محمد قد مات.

(فإلى أي مدى جرت بهذا الموقف العمري أسنان الأقلام على صحائف التاريخ[4].

وبعد هذا الإنكار إلى أن عاد أبو بكر من داره في قرية السنح التي تبعد عن المدينة خمس فراسخ أو أكثر.

يكون حواراً بين رجلين

- ما تقول يا عمر؟ ما هذه الأقوال.

- يا أبا بكر أنت أيضاً تريد أن تقول إن محمداً قد مات؟

- نعم أنسيت كلام الله ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[5].

- كأني لم أسمعه قبل الساعة، فما يجب أن أفعل؟

إنها مسرحية أعدت ودبرت في ليل.

عمر يعلم أن محمد (ص) قد مات وأيقن ذلك وإن كلامه الذي زعم فيه أن محمد لم يمت وأنه عرج إلى السماء كموسى ابن عمران. هو كلام لا يمت إلى الواقع بصلة لأن محمداً ذهب بروحه وجسده أمام عين عمر وأمام عيون المسلمين

وما جيش أسامة الذي أمر النبي به (أنفذوا جيش أسامة) وخالفه فيه جل الصحابة وأكابرهم لغاية في أنفسهم فوقعوا تحت طائلة قول النبي (ص) (لعن الله من تخلف عن جيش إسلامه).

قال المغيرة بن شعبة واصفاً عمر بن الخطاب:

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود: السقيفة والخلافة، ص ٤٤.

(٢) آل عمران، ١٤٤.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ٤، ابن كثير: تاريخ ابن كثير، ٣٤٢/٥.

(٤) عبد الفتاح عبد المقصود: السقيفة والخلافة ص ٤٨.

(٥) الزمر: ٣٠.

(والله ما رأيت عمر مستخلياً بأحد إلا رحمته كائناً من كان ذلك الرجل كان عمر والله أعقل من أن يخدع وأفضل من أن يخدع...)[١].

وهذا ما ثبت وأثبته التاريخ على صفحاته.

(إنه جاهر بتهديد الناس ليشغل الناس – حيرة وقلق عن عقد عزمهم على اختيار الأخلق بالأمر بعد الرسول – عن أن يعود أبو بكر في تلك الأثناء ويطفو بالبيعة لنفسه، فقد حق لمن شاء أن يرى تهديده ادعاء[٢].

وفوق هذا كله كانت هناك مؤامرة حدث خطير لم يكتمل لأن فرقاء الأمس (الأنصار) الأوس والخزرج قد تنافسا بالأمر وكان الحسد قد اخذ له مأخذاً كبيراً حيث خرج اثنان من الاجتماع الذي عقد تحت ظل سقيفة بني ساعد إلا وهما معن بن عدي وعويم بن ساعدة: وذهبا مسرعان ليصلوا بالخبر ويهمسوا بأذن عمر قالا: إن سعد بن عبادة وجمعاً من بني قومه ذهبوا إلى السقيفة ليعينوا خليفة رسول الله (ص) وربما اجتمعت مبايعة الناس لسعد ويريدون أن يسبقونا إلى ذلك.

(إن المهاجرين بينما هم في حجرة رسول الله (ص) وقد قبضة الله إليه: إذ جاء معن بن عدي وعويم بن ساعدة فقالا لأبي بكر: باب فتنة أن يغلقه الله حان يغلقه الله بك.

هذا سعد بن عبادة والأنصار يريدون أن يبايعوه جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة)[٣].

وبين روايات المؤرخين تفاوت: يخسر الأنصار المعركة بعد حضور أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف ويحدث ما حدث وتضيع صيحات الأنصار لا نبايع إلا علياً في مهب الريح[٤] ويذهب عمر إلى بيت علي وكان هناك جمع من المهاجرين بينهم طلحة والزبير فقال عمر مهدداً: أقسم بالله إن لم تأتوا لمبايعة أبي بكر سأحرقكم بالنار[٥].

وهنا تورد تساؤلات لماذا كان الجدل بين الأنصار أنفسهم؟

لماذا يراد إحراق بيت فاطمة بالنار؟

وأي جناية جنوا الذين كانوا فيه؟

ما هي الجريمة التي اقترفها بني هاشم ومن صحبوا حتى يحرقوا بالنار؟

أين العدد الذي كان حاضراً والذين عدوا أكثر من مائة ألف يوم الغدير والذين سمعوا بقول النبي (ص) المتقدم ذكره؟ لماذا قال الأنصار لقريش منا أمير ومنكم أمير؟

---

(١) عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، ص ٢٠، عبد الفتاح: السقيفة والخلافة، ص ١٠٧.

(٢) عبد الفتاح: السقيفة والخلافة ص ١٠٧.

(٣) العقد الفريد: ٥/ ١٠، أنساب الأشراف، ص ٥٨٦.

(٤) الطبري: ٤/ ١٨١.

(٥) المصدر نفسه، ٤/ ١٨١.

كل هذه التساؤلات أجاب عليها الشهرستاني فأحسن المقال: (ما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُل من أجل الإمامة في كل زمان)[١].

فدك:

كتب أمير المؤمنين (ع) إلى واليه عثمان بن حنيف جاء فيه: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين[٢].

فدك: قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان، وهي أرض يهودية ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابقة، حيث قرف الله بالرعب في قلوب أهلها. فصالحوا رسول الله (ص) على النصف من فدك وروي: إنه صالحهم عليها كلها[٣].

هكذا ابتدأ تاريخ فدك الإسلامي ملك لرسول الله لأنها مما لم يّوجف عليها بخيل ولاركاب بدليل الآية: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

وتؤكد المصادر التاريخية إنه (ص) قد قدمها لابنته الزهراء (ع) وبقيت عندها حتى وفاته. فانتزعها الخليفة الأول، كما وردت عند ابن حجر[٥] وأصبحت من مصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يوم ذاك، والعجب أن عمر بن الخطاب حين تولى الأمر دفعها إلى ورثة رسول الله (ص). وبقيت عندهم إلى أن تولى عثمان فاقطعها مروان بن الحكم على ما قيل[٦].

ولست بصدد دراسة تاريخ فدك بل بدراسة ثورة السيدة الزهراء بوجه أبي بكر ومطالبتها بفدك التي تحمل في جذباتها المعنى الحقيقي الذي أسلفناه والمعنى الرمزي الذي يتمثل بالخلافة والذي فهمه أبو بكر بمنعه إياها لأنه أدرك إذا سلم فدك للزهراء (ع) ستعود إليه وتطلب ما في يده، فأغلق الأمر على ذلك.

والذي ذكره التاريخ إن ما حدث بين أبي بكر وفاطمة (ع) كان ولا بد أن يكون بعد أن استنفذت فاطمة الزهراء جميع الخيارات فلم تبق لديها خيار سوى أن تحاوره بقولها (ع):

- يا أبا بكر إن مت فمن يرثك؟

- نسائي وأبنائي.

- فما الذي حدث لكي ترث أنت رسول الله ولا أرثه أنا؟

---

(١) الملل والنحل، ج١/١٦.

(٢) نهج البلاغة: ص٤١٧، ٤/٢٣٨.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان؛ البلاذري: فتوح البلدان ٤٢ - ٤٦.

(٤) الحشر: آية ٦.

(٥) الصواعق المحرقة، ٥٣٦.

(٦) ابن أبي الحديد: شرح النهج، ١/١٩٨.

- يا ابنة النبي! لم يترك أبوك درهماً ولا ديناراً.
- لكن سهمينا من خيبر. وصدقتنا من فدك. لم تمنع عنا؟
- سمعت من أبيك (تصرفوا فيها مدة حياتي فإن مت فإنها من مال المسلمين)[1].
- لكن النبي أعطانا إياها في حياته؟
- هنا طلب أبو بكر شاهداً فكانت شهادة الإمام علي (ع) وأم أيمن، فرفضت الشهادة ولم تكتمل إلا إذا اجتمعت امرأة أخرى مع أم أيمن، أو تأتي برجل آخر.

ومن الغرابة تكذب فاطمة الزهراء (ع) التي وصفت بسيدة نساء العالمين وترد وكأنها تدعي ما ليس لها.

يقول العقاد[2]: والحديث في مسألة فدك هو كذلك من الأحاديث التي لا تنتهي إلى مقطع للقول متفق عليه غير أن الصدق فيه: لا مراء أن الزهراء أجلّ من أن تطلب ما ليس لها بحق. وإن الصديق أجل أن يسلبها حقها الذي تقوم به البينة عليه...

هنا يرى أن الأستاذ شاء أن يغير البحث في مسألة فدك ويعطيه لوناً من ألوان النزاع السياسي ليس له قرار. ولا يصل الحديث فيه إلى نتيجة فاصلة.... فإذا كانت الزهراء أرفع من كل تهمة[3]؟

وبين هذا وذاك ما كان دافع الخليفة ليفعل ذلك؟

وما هو أثر شعوره الخافي تجاه السيدة فاطمة (ع) وزوجها علي (ع) باعتباره أول من خطبها من أبيها (ص) فرده حين ذاك.

ثم ما كان بعد الفتح عندما أرسل من قبل الرسول (ص) ليقرأ سورة التوبة على الكافرين، ثم أرسل وراءه - وقد بلغ منتصف الطريق - ليستدعيه ويعفيه من المهمة[4]، لا لشيء إلا أن الوحي شاء أن يضع هذه الخصلة عند الإمام علي (ع) وحده.

وفوق هذا تظهر صورة جديدة في المنافسة التي تحصل بين ابنة الخليفة الأول زوجة الرسول (ص) في مسابقتها مع الزهراء على الأولوية عند النبي (ص) وما أجمل المقارنة التي أعدها الشهيد الصدر(ع) بين ثورة الزهراء ضد الخليفة الأول التي لم تندم عليها بل ذهبت غاضبة مظلومة تطالب من ظلمها وأغضبها بعكس ابنة الخليفة التي ظهرت ثائرة بوجه علي (ع) فخسرت الرهان وندمت على فعلتها بشق عصا الطاعة[5].

---

(١) أنساب الأشراف، ص ٥١٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، ٣٦/١؛ صحيح البخاري، ١٧٨/٥ كتاب المغازي؛ ابن حجر: أسد الغابة، ٢٢٣/٣.

(٢) فاطمة الزهراء والفاطميون: ص٦٠.

(٣) محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ، ص ٤٤.

(٤) مسند أحمد بن حنبل، ٣/١.

(٥) محمد باقر الصدر: فدك بالتاريخ، ص ٤٨.

وهذا قد تبين بعد دراسة النصوص التاريخية والتي تمثل المستندات المادية التي توضح إن إرادة الزهراء (ع) كانت تطمح من خلالها إلى اقتلاع الحجر الأساس الذي بنى عليه التاريخ بعد يوم السقيفة.

هذا ما وضحته بخطبتها في المسجد النبوي أمام الخليفة وبين يديه جمع محتشد من المهاجرين والأنصار، أثبتت فيه مواقف علي (ع) الخالدة في الإسلام وتسجيل حق أهل البيت (ع) الذين وصفتهم بأنهم الوسيلة إلى الله في خلقه وخاصته، ومحل قدسه وحجته وورثة أنبياء في الخلافة والحكم.

وإلفات المسلمين إلى حظهم العاثر واختيارهم المرتجل وانقلابهم على أعقابهم.

مما كان من الخليفة أن يقوم خطيباً ويصعد المنبر بعد انتهاء الزهراء من خطبتها ويقول: (أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قاله؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله (ص)...

كلام يكشف لنا عن جانب من شخصية الخليفة يوضح فيه أن الزهراء في منازعتها إياه لم يكن حول الميراث أو النحلة، وإنما كان حرباً سياسية. هاجم فيها علي (ع)، ووصفه بأنه (ثعالة) أي مٌرب لكل فتنة.

وبعد موت الخليفة الأول جاءت الرواية في صحاح السنة إن علياً والعباس كانا يتنازعان في فدك أيام عمر بن الخطاب ويتخاصمان إلى عمر. فيئبا أن يحكم بينهما ويقول: أنتما اعرف بشأنكما. أما أنا فقد سلمتها إليكما[1].

نفهم من هذه الرواية فهما جليا بان الخليفة الثاني إن حكم الخليفة الأول على فدك حكما سياسيا مؤقتا يتضح من خلال إهمال الخليفة الثاني رواية الخليفة الأول وطرحها جانباً ثم تسليم العباس وعلي إياها.

وقصة المهاجرة بين فاطمة (ع) وأبي بكر أصبحت من الواقع الذي لا جدال فيه ذكره المحدثون والمؤرخون على حد سواء.

كانت أحد الأسباب التي أدت إلى مقاطعة الزهراء لأبي بكر وعمر وهجرتها ووجدت عليها فلم تكلمهما حتى توفيت وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر على بعض الروايات[2]. فدفنها علي ليلا ولم يؤذن بها أبو بكر.

وقضية حديث (لا نورث) مرتبطة بحديث آخر قاله النبي (ص) بحق فاطمة (ع) إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضا لرضاها[3].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ٩٧/٤، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢٧٠/٤ ـ ٢٧١؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج، ٢٢١/١٦.

(٢) البخاري: ١٧٨/٥؛ كتاب المغازي؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٢١/٢.

(٣) الحاكم النيابوري: المستدرك: ١٥٤/٣؛ ابن الجوزي: تذكره الخواص، ص ٢١٠.

وغضب فاطمة كان موجها إلى أبي بكر وعمر، بعد حادثة كشف بيتها وحرمانها من فدك.

فكان الأمر يتطلب كما أرادت السياسة إن غضبت فاطمة (ع) على علي (ع) في قضية زواجه المزعوم من ابنة أبي جهل كما أسلفنا لصرف الأذهان عن قضية غضبها على أبي بكر وعمر. ثم افتعال حديث آخر يبرر تصرف أبي بكر ويكسبه الشرعية اللازمة. فكان حديث (لا نورث) أخرجه ابن عدي في كامله [1] عن أبي خراش غير معترفاً بصحته وقد فطن الفخر الرازي إلى هذا الأمر هو الآخر بقوله: إن المحتاج إلى معرفة المسألة ما كان إلا فاطمة وعلي والعباس وهؤلاء كانوا من أكابر الزهاد والعلى وأهل الدين، وأما أبي بكر فإنه ما كان محتاجا إلى معرفة هذه المسألة لأنه ما كان ممن يخطر بباله انه يورث من الرسول، فكيف يليق بالرسول أن يبلغ هذه المسألة إلى من لا حاجة له إليها، ولا يبلغها إلى مناله إلى معرفتها أشد الحاجة[2].

كشف بيت فاطمة (ع):

ذكر أبو عبيدة في كتاب الأموال: (إن أبا بكر قال قبيل وفاته: إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت إني تركتهن، وثلاث تركتهن وددت إني فعلتهن... إلى قوله لم أكن كذا وكذا تخله ذكرها ولا أريد ذكرها[3].

ولكن المؤرخون ذكروا الشيء الذي فعله أبو بكر ثم ندم على فعله.

ثم قال الطبري: قال أبو بكر أجل إني لا أسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وودت إني تركتهن، وثلاث تركتهن وددت إني فعلتهن وثلاث وددت إني سألت عنهن رسول الله (ص)، فأما الثلاثة اللاتي وددت إني تركتهن. فوددت إني لم أكشف عن بيت فاطمة عن شيء، وان كانوا قد غلقوه على الحرب... الخ[4].

والحادثة ملخصة كما يرويها المؤرخون والمحدثون على حد سواء. إن عمر بن الخطاب أتى منزل علي وفيه الزبير وطلحة ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة! فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر فسقط سيفه من يده فوثبوا عليه فأخذوه .[5]

وفي رواية ابن أبي الحديد عن الجوهري بسنده قال أبو بكر يا عمر؟ أين خالد؟ قال هو هذا، فقال: انطلقا إليهما.. يعني عليا والزبير – فآتياني بهما فانطلقا...

---

(١) الكامل في الضعفاء، ٥١٨/٥.

(٢) التفسير الكبير: ٢١٠/٩.

(٣) كتاب الأموال، ١٣١.

(٤) تاريخ الطبري، ٤٢/٣؛ أسان الميزان، ٣٨٨/١.

(٥) تاريخ الطبري، ٢٠٢/٣، حوادث سنة ١١، شرح النهج، ٤٨/٦؛ الجوهري: السقيفة، ص٨١.

وفي الرواية أن دفع عمر بعد دخول الدار الزبير إلى الخارج ثم علياً دفعاً عنيفاً... ورأت فاطمة وضع عمر فصرخت وولولت واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن.

وفي رواية ابن قتيبة: إن عمر جاء فناداهم وهم في دار علي. فأبوا أن يخرجوا فرما بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقها على من فيها؟ فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة؟ فقال وإن[1].

وأخرج ابن عبد الله الرواية: بكلام آخر حيث ذكر أن عمراً قال: ولان ينبغي لأفعلن ولأفعلن[2].

والبلاذري صرح هو الآخر بروايته: فجاء عمر ومعه فتيلة فتلقته فاطمة على الباب فقالت فاطمة يا ابن الخطاب: أتراك محرقاً علي بابي قال نعم[3]...

وفي تاريخ أبي الفداء: فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار[4].

ويدلو ابن عبد ربه الأندلسي بدلوه ذاكرا فأقبل بقبس من نار على أن يضرم الدار فتلقته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب: أجننت لتحرق دارنا! قال نعم[5].

والقضية أصبحت من المسلمات التاريخية الذي سجلها التاريخ بعقوبة دون تكلف وبان من خلالها لكل عيان أن بنت النبي (ص) قد سلب حقها تحت ظل السياسة الجديدة التي خرجت على السنة والقرآن بآن واحد وبدأت خطى العودة إلى التلون بلون القبلية لتعود قريش إلى المسرح السياسي لأنها لا تزال تعتقد بأفضليتها.

فلابد من إبعاد بني هاشم والأنصار عن المسرح السياسي وهكذا اشتهر التصريح بكراهة قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد وكرهوا أن يتعالى بنو هاشم عليهم تناسوا قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[6].

وما كان لعلي وأهل بيته أن يتعالوا على الناس وقلوبهم من قلب رسول الله، وهم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وآخر المطاف أن أختم البحث بما أورده علي شريف عن السيدة مريم أم عيسى حين قرضوها كل خطباء العالم المسيحي من ولدت عيسى إلى يومنا هذا لم تزد عن أن تكون (مريم هي أم عيسى)[7].

أردت أن أقول: فاطمة هي بنت خديجة الكبرى وجدت إنها ليست فاطمة.

---

(١) الإمام والسياسة: ٣٠/١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٩٧٥/٣.

(٣) أنساب الأشراف، ٥٨٦/١.

(٤) المختصر في أخبار البشر، ١٥٦/١.

(٥) العقد الفريد، ١٣/٥.

(٦) سورة محمد: آية ٩.

(٧) علي شريف: فاطمة هي فاطمة، ص ٢٣٢.

أردت أن أقول: فاطمة هي بنت محمد (ص) وجدت إنها ليست فاطمة.

أردت أن أقول: فاطمة زوجة علي (ع) وجدت إنها ليست فاطمة.

أردت أن أقول: فاطمة هي أم الحسنين، وجدت إنها ليست فاطمة.

أردت أن أقول: فاطمة هي أم زينب (ع) وجدت إنها ليست فاطمة أيضاً.

كلا؟ فهذه كلها هي، وليست هي كلها. فاطمة (هي فاطمة)[1].

الخاتمة:

بعد رحلة ماتعة في حياة الزهراء (ع) وقف الباحث على نتائج منها:

١. إن فاطمة الزهراء هي العطاء الكثير الذي تمثل بالكوثر ومنها جاء الخير الكثير.
٢. إن النبي (ص) كان يعد فاطمة (ع) إعداداً رسالياً وفكرياً لتسليم مهام الرسالة.
٣. إن فاطمة الزهراء مثلت سيدة نساء العالمين وكانت إحدى النساء الأربعة التي عرفن في عالمهن.
٤. إن الزهراء (ع) كانت عالمة في دينها بما قدمته في علوم القرآن والسنة الشريفة.
٥. قامت بالدور الريادي في كشف الانحراف الحاصل بعد موت النبي (ص) والذي تمثل بسلب حق علي (ع)الشرعي الذي أمر به الله ورسوله (ص).
٦. أصبحت الزهراء (ع) القدوة الكاملة للنساء والرجال على حد سواء لما قدمته من تفان وإخلاص في سبيل الدعوة الإسلامية ولما قدمته من نصيحة وإيثار وباعت كل غال ونفيس من أجل ذلك وتمثلت بقولها: ما كان لله خيراً وأبقى.
٧. كشف القناع عن الزيف الحاصل بأن مصحف فاطمة (ع) قرآناً آخر يتداوله الشيعة فيما بينهم وهذا ما بينه البحث من خلال أقوال أئمة الهدى(ع).

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- ابن الأثير: علي بن محمد(ت ٦٣٠هـ):
١. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.
٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
- الأصفهاني: أبو الفرج:
٣. مقاتل الطالبيين، قم المقدسة، (د. ت).
- الأميني: عبد الحسين:
٤. الغدير، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د. ت).
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:
٥. صحيح البخاري، مطبعة دار الفكر، بيروت، (د. ت).

---

(١) علي شريف: فاطمة هي فاطمة، ص ٢٣٣.

- البلاذري: أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩):
٦. انساب الأشراف، تح: باقر المحمودي، قم، ١٢٧٥م.
- توفيق أبو علم:
٧. آهل البيت، منشورات دار المعارف، مصر، ١٩٧٠م.
- جعفر شهيدي:
٨. فاطمة الزهراء، تر: عبد الله الفريجي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٢م.
- ابن حجر:
٩. الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، مصر، (د. ت).
- حسن ملحم:
١٠. دراسات في تفسير أهل البيت، منشورات الجامعة الإسلامية، النجف، ٢٠١١م.
- الحسني: هاشم معروف:
١١. سيرة الأئمة ألاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، (د. ت).
- ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن محمد (ت ٦٥٦هـ):
١٢. شرح نهج البلاغة، تح: ابوالفضل ابراهيم، بيروت، (د. ت).
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ):
١٣. سير اعلام النبلاء، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٤م.
- الرازي محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ):
١٤. التفسير الكبير، القاهرة، (د. ت).
- الراغب الأصفهاني:
١٥. معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: نديم مرعشي، بيروت، ١٩٧٢ م.
- ابن سعد: محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠م):
١٦. الطبقات الكبرى، بيروت، ١٩٥٧م.
- ابن شهر اشوب.
١٧. مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلمية، قم.
- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم:
١٨. الملك والنحل، تح: عبد العزيز الوكيل، القاهرة، ١٩٦٨م.
- الصدر: محمد باقر:
١٩. فدك في التاريخ، مطبعة شريعت، منشورات لجنة التحقيق والدراسات للمؤتمر العالمي للشهيد الصدر، (د.ت).
- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣٠٠):
٢٠. تاريخ الأمم والملوك، المطبعة الحسينية، القاهرة، (د. ت)
- عباس محمود العقاد:
٢١. فاطمة الزهراء والفاطميون، دار الكتاب العربي. (د. ت).
- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف (ت ٤٦٢ هـ):
٢٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجادي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- عبد الفتاح عبد المقصود:
٢٣. السقيفة والخلافة، دار الغريب، الكويت، ١٩٩١ م.
- ابن عبد ربه الأندلسي:
٢٤. العقد الفريد، دار مكتبة الهلال، مصر (د. ت).

- أبو عبيدة: القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ):
٢٥. كتاب الأموال، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.
- العطاردي: عبد الغفور:
٢٦. مسند فاطمة، قم المقدسة، (د. ت).
- علي شريعتي:
٢٧. فاطمة هي فاطمة، منشورات دار الأمير، بيروت، ٢٠٠١م.
- أبي الفدا: عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ):
٢٨. المختصر في أخبار البشر، ط٢، المطبعة الحسينية، (د. ت).
- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦):
٢٩. الإمامة والسياسة، منشورات دار الأندلس، النجف الأشرف، ١٩٨٢ م.
٣٠. المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل (ت ٧٦٤ هـ)
٣١. تاريخ ابن كثر، دار إحياء الكتب العربية، (د. ت).
- الكليني: محمد بن يعقوب.
٣٢. أصول الكافي، إيران، دار الكتب الإسلامية (د. ت).
- المتنبي: أبو الطيب (ت ٣٥٤هـ).
٣٣. ديوان المتنبي، شرح عبد الباقي البرقوقي، دار الكتاب العربي، مصر، (د. ت).
- المجلسي: محمد باقر المجلسي (ت ١١١ هـ):
٣٤. بحار الأنوار، طهران (د. ت).
- المجمع العالمي لأهل البيت:
٣٥. إعلام الهداية فاطمة الزهراء، قم المقدسة، ١٤٢٥ هـ.
- محمد بن إسماعيل:
٣٦. فقيه الأمة ومرجع الأئمة علي بن أبي طالب.
- محمود أبو رية:
٣٧. أضواء على السنة المحمدية، قم المقدسة، (د. ت).
- المسعودي: أبو الحسن، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ):
٣٨. مروج الذهب، معادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، ١٩٦٧م.
- مصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ).
٣٩. نسب قريش، منشورات مكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ابن هشام: عبد الملك (ت ٢١٨هـ):
٤٠. السيرة النبوية، تح: مصطفى العقاد وآخرون، دار الفكر، بيروت، (د. ت).
- ياقوت الحموي:
٤١. معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٥م.
- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح (ت ٢٨٤ هـ).
٤٢. تاريخ اليعقوبي، النجف، ١٩٨٤م.

الدوريات:

- فضل الله: محمد حسين:
٤٣. الندوة، العدد/١٥، دار الملاك، بيروت. ❖

السيدة الزهراء (ع)
قراءة في ضوء المناهج المعاصرة

✍ الشيخ حسن كريم ماجد الربيعي(*)

إن دراسة الشخصية دراسة تفصيلية من عدة جوانب تكشف عن جملة من الكوامن غير الظاهرة في السرد الذاتي المتعارف عليه وذلك لإثارة حالة التأثر في النزعات الإنسانوية والانثربولوجية الثقافية والاجتماعية، إن النظر والتأمل في سيرة الزهراء (ع) نظرة إرجاعيه استهلاكية لا تكاد تنفع الناظر والمنظر ولا السامع والملتقي، وتبدو مملة غير ذات نفع جديد إلا السماع مرة بعد أخرى بلا تفاعل، في حين أن الابتكار والتأصيل يستوجب استنطاق المرويات السردية للخروج برؤية معاصرة متجددة تواكب الثقافة الجديدة والآليات المعرفية المتطورة، لذلك فكرنا بمنهج المعاصرة وأدواتها المعرفية في دراسة تراث الزهراء (ع) وقد رجحنا في دراستنا هذه منهجين هما المنهج الأنسني ونزعته بالمفهوم الإسلامي لا الغربي أثار هذه الشخصية وحركتها الفعلية في فضاءات وجودها، ثم النزعة الانثربولوجية في الثقافة والاجتماع ونتاجات نصية مدوية في الفكر الإسلامي، ما تريده هذه الدراسة هي فتح آفاق البحث العلمي الرصين حول الشخصيات المؤثرة في التراث الإسلامي لقراءة ذلك بمنهج فكري ومعرفي ذا تأثير واقعي تتبناه المؤسسة الفكرية والعلمية التربوية، ان النظرة الكلية غير المجزئة تعطي رؤية ابعد مما نتصور في تفكيك الحدث التاريخي ونقله كأحداث وقعت لا ينفع في الربط والاتصال مع ذلك الحدث ولا فعالية مؤثرة في ديمومته، والذي أريد قوله أن ندرس تراث الزهراء كظاهرة قد تقع في الأزمنة والأمكنة اللاحقة ولمعالجة الأهداف والأغراض والمقاصد من التصدي الحضاري كمفاهيم ليست هي وليدة عصرها وتنتهي بل هي أصول معرفية في حوزة الفكر الإسلامي النابع ن منابع القيم التأسيسية الأولى بل طالما حرص الرسول (ص) إيصال تلك المفاهيم وتحديدها إلى سمع الزهراء (ع) مع معاناتها بعده، ان بيان العلاقة الرفيعة مع الرسالة وصاحبها لهي العلاقة بين الفكر ومصدره الوحياني.

قسمنا البحث إلى مبحثين **الأول**: تناول المنهج الأنسني في أبعاده المختلفة وفق المقاربة الإسلامية، **والثاني**: تناول المنهج الانثروبولوجي الثقافي والاجتماعي في النزعة التعليمية والإرشادية لقيمة المنجز الحضاري والخوف منه مصادرة تلك الجهود التأسيسية لصاحب الرسالة وصحابته فينتج الفرقة والاختلاف عن المسار المرسوم وتفاديا لظاهرة الانقلاب برفض

(*) جامعة الكوفة/كلية الفقه، قسم العقيدة والفكر الإسلامي.

الطاعة والانقياد لخط الرسالة المعصومية، هذا ما جاد به القلم من عونه ورحمته وسداده سبحانه وتعالى هو العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: الزهراء (ع) في ضوء المنهج الأنسني

حاولت الحداثة بمفاهيمها إبعاد مفهوم الإنسانية عن التعاليم الإلهية وأعطت تلك السمة للعقلانية وحدها وفيما يبدو أن طغيان الفعل المعاكس لتعاليم الكنيسة قد سبب القطيعة التراثية معها لامع التراث اليوناني والروماني، وقد انطلت على بعض المفكرين من دعاة المقاطعة مع التراث كعبد الله العروي والطيب تزيني وسلامة موسى ومحمد أركون وغيرهم الذين قرروا بان كل فكر يقدس التراث يقود إلى إخفاق في فهم الحداثة[١]، ويبدو أن التراث يقصد منه الديني، ثم ذكر العودات بان الحداثة الأوروبية لها معاييرها ومفاهيمها ومكوناتها وتطبيقها وعلى رأسها القطيعة مع التراث بمعنى تحييده جانبا ونزع صفة القدسية منه[٢]، وهذا الكلام غير دقيق وبعيد عن الفهم العميق لمرامي السياسة الغربية في إبعاد آثار التصرف الكنسي آنذاك في نصب الأباطرة والملوك والتدخل الكبير في ذلك مع تنامي طبقة البرجوازية الصاعدة التي تقف الكنيسة كحجر عثرة أمام هذا الصعود فظهرت مثل تلك المدارس والتيارات الفكرية التي انصبت على التراث الروحي لتفرغه من تفكير الإنسان الحداثي، فكانت القطيعة ومحاولة تصدير ذلك للشعوب المستعمرة مع أنها لم تقطع صلتها بالتراث اليوناني والروماني إذ بعثت الفكر القديم قبل المسيحية بقوة.

امتلكت الإنسانوية أهميتها القصوى منذ القرن السادس عشر ومع تتبع المفهوم وتطوره لا يقل صعوبة عن تعريفه إلا انه يمكن القول أن المفردة تحيل من الناحية التاريخية والثقافية إلى النهضة الأوروبية التي بدأت في إيطاليا وانتشرت فيما بعد إلى بقية مناطق القارة كانجلترا، وكانت في بدايتها تركز على الآداب والفنون لكنها امتدت إلى حقول الدين والتربية والتعليم فكانت سبباً رئيساً في حركة الإصلاح إذ كانت هذه الاهتمامات محرمة على المسيحيين منذ اعتناق قسطنطين للنصرانية، وهو مما أخاف الكنيسة من هذا المفهوم إذ إن هذه الحركة كشفت عن ميول طبقية ارستقراطية غالت في تأليه العقل لدرجة استبعدت معها ما سواه وفي تأليه الفردانية لدرجة استبعادها روح الجماعة وأفرزت حقداً مغالياً على الموروث المسيحي بأكمله[٣].

---

(١) العودات، حسين، النهضة والحداثة بين الارتباك والإخفاق (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠١م) ص ١٥٤، ص١٥٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٥.

(٣) معجم مصطلحات الحداثة ونقدها، إعداد: قسم التراث والمعاصرة، موسوعة غير منشورة، مركز الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٩٠.

وهذا المفهوم هو ليس من اكتشاف الفكر الغربي كما يدعون إذ هم يرجعوه إلى الفكر اليوناني فهو أمر قد عرفه الناس وآمنوا به منذ آلاف السنين ويكشف ذلك علم التاريخ[١]، فإذا كان قد عرفه الناس وآمنوا به إذاً الحضارة الإسلامية قد آمنت به باعتباره أمر عقلي مجمع عليه، بل ركزته في مصادر معرفتها الرئيسة، القرآن والسنة، قال تعالى في إعلاء شأن الإنسان جملة من الآيات بل منحه ما في الكون بالتخويل والتسخير والتصريف إكراماً لهذا الكائن الأنسي لما يمتلك من قوى كامنة عقلية وروحية تتفجر بأعمال الوسائل العقلية، قد ورد لفظ الإنسان – ٥٩ – مرة في القرآن الكريم بمفهوم هذا الكائن المعرفي الأخلاقي الذي يريد به خالقه الإيمان والعمل الصالح والسير على الحق والدفاع عنه والصبر فإنها صفة هذا الكائن إن أراد المعرفة والأخلاق فعليه بالصبر لنيلها[٢]، وقد علمه ما لم يعلم[٣]، وخلقه في أحسن تقويم[٤]، ثم أكرمه[٥] وجعله سميعاً بصيرا[٦]، وبصره بنفسه[٧]، وعلمه البيان[٨]، وكان التكريم لهذا الكائن الأنسني على أشده في نصوص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٩]، وبهذا النص الموجود في المدونة الوحيدة في العالم والتي وصلت إلينا كاملة بالتدوين لحظة انطلاق النص تعطي لهذا الكائن الإنساني الكرامة وإعلاء الشأن، ومن أوصل لنا هذا الكلام هو أبو الزهراء الرسول الأكرم (ص) فهو الواسطة بين المتكلم والمخاطب وبكل أمانة وإخلاص يصف الإنسان بهذا الشكل المتميز ويشهد بذلك كل متتبع للتاريخ الإسلامي بالصبغة الإنسانية أو العمق الإنساني[١٠].

---

(١) جوتشلك، لويس، كيف نفهم التاريخ، تر: عائدة سليمان عارف واحمد مصطفى أبو حاكمة (بيروت: دار الكتاب العربي، بلا) ص ٤٣.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ سورة العصر/٢ – ٣.

(٣) قال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ سورة العلق/٥.

(٤) قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ سورة التين/٤.

(٥) قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ سورة الفجر/١٥.

(٦) قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ سورة الإنسان/٢.

(٧) قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ سورة القيامة/١٤.

(٨) قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ سورة الرحمن/٣ – ٤.

(٩) سورة الإسراء/٧٠.

(١٠) زكار، سهيل، ندوة نشرتها مجلة المنهاج في حقل منتدى المنهاج حول التاريخ، العدد ٢/السنة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، يصدرها مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ص ٣٠٤.

ولابد من معرفة هذا الإنسان المطلق في النص القرآني بما يصدر منه أو يحصل له من يقيمه تقويماً حقيقياً أو ظاهرياً، فالأول من المطلع اطلاعه حقيقة والثاني من الظاهر المعاملاتي الأخلاقي والاجتماعي يمكن أن يقوم هذا الكائن، وقد قومت فاطمة الزهراء من خالقها ورسوله فقد جاءت نصوص تؤيد الذات الفاطمية بأجلى مراحل الإنسانية وصورها، ذكر عبد الله السبيتي في كتابه (المباهلة) بقوله: (كانت فاطمة بنت محمد عليه و(ع).. قد تجمع في نسويتها نواميس روحية وكمالات نفسية رفعتها في الإنسانية إلى أسمى الدرجات..)[1] وربما يرجع الباحث إلى آية المباهلة ليرى المعاني والمفردات التي تحتاج إلى وقفات وتأملات طويلة لمعرفة البعد الإنساني لشخصية الزهراء وهي تقف مع أهل البيت ـ مصطلح قرآني – في الحوار الحضاري الخاضع للحجة والدليل والبرهان حتى لا يكون الكلام ادعاء أو مغامرة فالرؤية الإنسانية المتمثلة بتصرف شخص الرسول (ص) مع أن الغلبة معه والقوة والحكم بيده، لذا كانت الزهراء مع الجانب القيمي للإنسان سواء في آية المباهلة أو آية التطهير أو آية هل أتى وغيرهما.

كانت الزهراء تتحرك في فضاء الأسرة بالروح الإنسانية المساهمة في هذا البناء والعمل بيديها، ولما دمعت عينا الرسول (ص) وتكلم معها أجابته بكل ثقة: (يا رسول الله الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه)[2]، وهذا النص يؤيد الروح الإنسانية بالرضا والصبر والعمل وهي صفات المؤمنين بدرجة عالية جدا في فهم هذا ويبدو أن التصرف السلوكي القولي والفعلي هو علامة وسمه من السمات المعبرة عن الشخصية الإنسانية فلو تأملنا بخطبة الزهراء التي نقلها الثقات في مصنفاتهم التاريخية فقد عبرت عن النزعة الإنسانية عندها بأجمل ما يكون لرد الحق إلى أهله بالحجة والدليل المقنعين لمن يريد أن يقتنع ويغلب العامل الإنساني والحقوق فهي تربية أبيها فقد قدمت قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3][1]، لقد طالبت بحقها من الإرث والنحلة وأمر الخلافة لأمير المؤمنين (ع)، إن تغليب العامل الإنساني العاطفي يهيئ المسامع لتلقي الخطاب بشكل أفضل لذلك قالت (ع): (فاسمعوا بأسماع واعية وقلوب راعية)[4]، ولما لم يلبى طلبها غضبت على مثل هذه التصرفات وماتت وهي غضبى[5] تتألم من الوضع الاجتماعي بعد وفاة رسول الله (ص) إذ الخذلان والتخلي عن أمير المؤمنين (ع) في أزمة السقيفة وقد صرحت في كلامها لنساء المهاجرين والأنصار

---

(١) السبيتي، عبد الله، المباهلة (طهران: مكتبة النجاح، ١٣٦٦ هـ) ص ٧٥.

(٢) الاسكافي، محمد بن همام، كتاب التمحيص، تحقق: مدرسة الإمام المهدي (قم: مدرسة الإمام المهدي، بلا) ص ٦.

(٣) سورة التوبة/١٢٨.

(٤) الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز برواية عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، السقيفة وفدك، تحقق: محمد هادي الأميني (بيروت: شركة الكتبي للطباعة والنشر، ١٤١٣ هـ) ص ١٠١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٨.

بقولها: (ما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا والله نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله) وفي موضع آخر أشارت إلى نتائج اختيار الإمام: (ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض)[1]، هذه النصوص الخطابية ذات الإشارات الواضحة هي بيان حقيقة الأمر آنذاك وما آلت إليه الأمور والأحداث بعد السقيفة وفدك فقد حذرت الزهراء من تردي الأحوال وزيادة الفتن على أمة الإسلام فقالت: (ويعرف التالون غب ما أسس الأولون.. وابشروا بسيف صارم، وخرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فيكم زهيدا وجمعكم حصيداً فيا حسرة عليكم...)[2].

يستشف الباحث جملة أمور من خطابها الإنساني الذي يؤكد على قضية جدا خطيرة في وضع الأمة في المستقبل الذي يتحول تدريجيا إلى غير أهله إذا فقد أهله أول مرة وهو ما آلت إليه الأمور إلى من هم استسلموا يوم فتح مكة سنة ٨ هـ وكان جلهم من المنافقين إذ دفع إليهم رسول اله (ص) سهم المؤلفة قلوبهم لرد كيدهم للإسلام فكيف بهم إذا وصلوا الحكم على الأمة، وهو ما حذرت منه بقولها متحسرة: (وابشروا بسيف صارم وخرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فيكم زهيدا وجمعكم حصيداً فيا حسرة عليكم).

ولا يشك أحد في أن الزهراء (ع) كانت تنطلق من منطلقات إنسانية وهمها الفكر الإنساني الإسلامي واثر ذلك عليه من الاتجاهات السياسية التي قد تصل بالفكر الإسلامي للأمة بثقافة السطحيات الشكلية وذوبان المحتوى والمضمون القرآني، وفعلا قد تكونت ثقافة جديدة بعد وصول الملك العضوض إلى السلطة فنشأت عند الأمة ثقافة الخوف والركون في أغلب الحقب التاريخية التي مر بها التاريخ الإسلامي ومجد هذا التاريخ السلطة في تدوينه وضاعت الكثير من الحقوق وتراكم السخط من قبل الجماعات المسلمة مما كان يؤدي إلى كثرة الثورات ضد هذا التأسيس ولكنها لم تكن عدوانية وإنما كانت غالباً ذات أهداف اجتماعية وإنسانية[3].

ذكر بعض الباحثين المعاصرين انتقال السلطة من الإخوانيات من المؤمنين إلى أيدي قريش التي حاربتهم في فكرة الدولة[4] وهذه الانتقالة قد حذرت منها الزهراء (ع) في خطبتها فإن الدولة الأموية قد استولت على مقاليد الأمور السياسية بيد من حديد، شاع فيه الظلم والقسوة وانعدام الإنسانية.

---

(١) الجوهري، السقيفة وفدك، ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٣) شمس الدين، محمد مهدي، محاضرات في التاريخ الإسلامي (السيرة النبوية) تحقق: حسن كريم الربيعي، غي منشورة، ص ٨.

(٤) اريك وولف، التنظيم الاجتماعي في مكة وأصول الإسلام، إعداد: أبو بكر أحمد باقادر (بيروت: دار الهاوي، ١٤٢٦ هـ) ص ٢٢٧.

المبحث الثاني: الزهراء (ع) في ضوء المنهج الانثروبولوجي

نشطت الدراسات الانثربولوجية بشكل كبير في العصر الحديث وتطورت كثيرا في عصرنا واتخذت عدة جوانب واتجاهات وأقسام منها الانثربولوجيا الثقافية والاجتماعية في دراسات فكرية إنسانية وميدانية وحتى استعمارية لغرض السيطرة على شعوب بدائية في تطورها الحضاري، فقد درست شعوب العالم الثالث دراسات انثربولوجية اجتماعية لمعرفة العادات والتقاليد والسلوكيات لغرض التمييز بين الشعوب والمدن والثقافات ليسهل التعامل معهم عند الاحتكاك بهم، في حين ظلت الدراسات فقيرة في عالمنا ومحيطنا بشكل ملفت للنظر.

إن كلمة Anthropology عرفها كنت kant بأنها مذهب في معرفة الإنسان وقد ايد هيدجر كنت في نظرته بانها النظر في أحوال الإنسان البدنية والبيولوجية والنفسية وهي اليوم تسعى إلى تحديد ماهية الحقيقة بوجه عام[١].

إذا كانت الانثربولوجيا هي النظر في أحوال الإنسان وتصرفاته وسلوكياته فالأولى في الدراسات الفكرية الإسلامية دراسة الإنسان المتكامل إذ نحن نحتاج ديمومة النماذج وإنتاجها في كل جيل للمحافظة على السمات الإنسانية في الأجيال اللاحقة، وهو بناء فلسفي للحياة تتبناها المؤسسات التعليمية في الدرجة الأولى لصياغة نظرية تعليمية وفق نظرية الأسوة في القرآن الكريم أو نظرية النمذجة التي تقاربها في طرائق التدريس المعاصرة.

ولابد من التخلص من الخطاب الانثربولوجي الغربي المتهاون مع الاستعمار في دراسته للإسلام لذلك عد الوريث الأساسي للاستشراق[٢]، يرى بعض الباحثين التأكيد على البعد التاريخي في المجتمعات الإسلامية كدراسة الإسلام في صورته المثالية[٣]، فقد عد عصر النبوة هو النموذج الذي يجب أن يحتذى[٤] ولدراسة هذه الظاهرة أو التجربة لابد من دراسات للشخصيات التي صنعت الأحداث وأثرها في صناعة الأجيال وذلك لأصالتها وسيرتها وسلوكها ومنها السيدة الزهراء (ع) العنصر القريب والأقرب من نهج الرسالة وحضارتها بل ان كنيتها تدل على ذلك (أم أبيها) وهي كنية يفهمها العربي المنزلة السامية والرفيعة بمدى القرب من الأب ولها ألقاب أخرى ذات مضامين رفيعة جداً[٥]، وقد أعطاها الله عز وجل كرامة العصمة والطهارة لمؤهلاتها الشخصية المتميزة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

(١) للمزيد ينظر: معجم مصطلحات الحداثة ونقدها، إعداد مركز الفكر الإسلامي المعاصر، قسم التراث والمعاصرة، غير منشورة، ص ٢٥٨.

(٢) باقادر، أبو بكر، الإسلام والانثروبولوجيا (بيروت: دار الهادي، ص ١٤٢٥ هـ) ص ١٢٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٠، دراسة عند أكبر أحمد في ستة نماذج مثالية للمجتمع الإسلامي.

(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٥) الحكيم، حسن عيسى، فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب (قم: شريعة، ١٤٣٠ هـ) ص ٣٣.

تَطْهِيرًا ﴾[١]، ولا خلاف ان الزهراء من أهل البيت ذاك المصطلح الخاص الشرعي وقد فسرته السنة الشريفة فلا حاجة للرجوع إلى اللغة أو العرف مثلاً.

إن لدراسة العلاقة الصميمية مع الرسول (ص) يكشف عن التفاعل الروحي مع البناء الحضاري لمجتمع الجزيرة في عصر التأسيس والبناء آي المشاركة الفعلية في الالام والآمال لتكوين امة الإسلام حاولت الدراسات الاستشراقية التقليل من شأن الزهراء كدراسة لا منس[٢]، فله كتاب (فاطمة وبنات محمد) نشر في روما ١٩١٢ م باللغة الفرنسية، وهناك دراسة أخرى بعنوان (فاطمة بنت الرسول) كتبها لويس ماسنيون باللغة الفرنسية[٣].

إن اغلب الدراسات الاستشراقية تحتاج إلى إعادة قراءة وتقويم من ناحية الإحالات إلى المصادر فان الاعتماد على الروايات الصحيحة يفند جملة من أقوالهم المبنية على الروايات الضعيفة أو القدح بالشخصيات الإسلامية لهدف وغرض واضح ولكن يتضح ذلك من معرفة إحالاتهم وكشفها ثم نقدها نقداً موضوعياً لاكتشاف الحقيقة التاريخية وأغراض وأهداف الدراسات الغربية.

أشارت الروايات التاريخية إلى العلاقة بين الزهراء والرسول (ص) وهي أسمى من أن تكون علاقة نسبية فالباحث المنصف يرى أنها أكبر من ذلك الاهتمام لوجود عناصر الامتداد الرسالي والمشاركة في بناء حضارة الإسلام واكتشاف البعد المستقبلي لهذه الحضارة، وكذلك يقرأ التاريخ كعلم نتجاوز به الماضي وأحداثه للحاضر والمستقبل، وتشير دراسات معاصرة الآن إلى دراسات تاريخية ينظر فيها البعد التطوري لعلوم متداخلة مع التاريخ ذات علاقة به فالمعرفة التاريخية قد تداخلت فعلا مع مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية من رصد منهج التطور وهو حقل للتواصل بين هذه العلوم[٤]، إن تصرف الزهراء (ع) بعد وفاة الرسول (ص) يستكشف منه حرصها على الديمومة الحضارية لفكر الإسلام وخوفها من التحول الخطير فكانت خطبتها التي عبرت بها على هذا التخوف وقد حصل، فقد أشارت إلى أهمية المنجز التحولي الذي قام به الرسول (ص) لأنه أنار الظلماء آنذاك وأقام الهداية وأنقذ من الغواية وبصر من العماية[٥]، قالت الزهراء (ع) حول هذا المنجز الحضاري الكبير الذي حول حياة المسلمين بانتقالة ثقافية إلى فكرة الدولة والنظام والتنظيم (الفكرة القانونية)

---

(١) الأحزاب/٣٣.

(٢) الحكيم، الزهراء، ص ٢٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٢.

(٤) وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ اتجاهات مدارس مناهج، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢ م) ص ٣٨٦.

(٥) الحكيم، الزهراء، ص ٢٤٢.

بعدما كانوا ابعد منها واقرب إلى الفوضى في ابسط الأمور الحياتية: (فأنار الله بمحمد (ص) ظلمها، وفرج عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار عممها، وعن الأنفس غممها)[١]، هذا المنجز الحضاري الذي أنار الظلمات في قلب الجزيرة العربية وحول التخلف إلى حضارة كان من صنع النبي وسيرته وسلوكه فيكم فلا يضيع ولا يصادر وهي إشارة إلى التمسك بنور الرسالة الإسلامية والمنجز الحضاري بأسسه وأصوله وقواعده.

كان هذا النص الصادر من الزهراء (ع) يشير إشارة واضحة إلى الإنارة بالشريعة التي بها يكمل الإنسان ويتكامل بها، يقول الوحيد الخراساني: (إن الشريعة التي يكمل بها الإنسان وتصان بها العقول والنفوس والأعراض والأموال وتضمن بها الحقوق وتحفظ بها المصلحة العامة وتدعو إلى الإيمان والعدل والتنزيه والتزكية والعز والعفة، وتسوق المجتمع إلى أحسن نظام بإمامة الأفضل في العلم والأخلاق والأعمال إنما هي شريعة الإسلام)[٢].

ورد النص الفاطمي بتفاوت في بعض الكلمات بين المؤرخين ويمكن عقد مقارنة بين هذه النصوص، فقد ذكره الجوهري (ت ٣٢٣هـ) بعبارة: (فأنار الله بأبي (ص) ظلمها..)[٣]، وذكره ابن طيفور (ت ٣٨٠هـ) بعبارة: (فأنار الله عز وجل بمحمد (ص) ظلمها وفرج عن القلوب...)[٤]، وذكره الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) بعبارة: (كشف عن القلوب..)[٥]، ويمكن الجمع بين هذه الخطب في دراسة الألفاظ وموضع الاختلاف فيها في دراسة مستقلة، لأن كلامنا هو عن الفعل الانثربولوجي الاجتماعي والثقافي في هذه الخطبة وجملة حياتها الشريفة، إذ أن النقطة الأساسية في حياتها الفعل والأفعال الصادرة بعد فقدان النبي (ص) وقد أشارت إلى خطورة المرحلة التاريخية اللاحقة بتأسيس ثقافة الإسلام الشكلي المنزوع والخاوي جوهريا، لذا قالت: (طاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا لما للفرقة)[٦].

ومفهوم هذا الكلام الفوضى والاضطراب والفرقة والاختلاف في الصد عنهم وهو ما وقع في التاريخ الإسلامي اليوم فعنوان التوحد والاعتصام هو الطاعة والود والمودة مع الإمامة لا مع

---

(١) ابن رستم، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الصغير، دلائل الإمامة، تحقق: قسم الدراسات الإسلامية (قم: بعثة، ١٤١٣ هـ) ص ١١٢.

(٢) الخراساني، وحيد، منهاج الصالحين، تعليقة الوحيد الخراساني على منهاج الصالحين للسيد الخوئي، ص٢٩٧.

(٣) الجوهري، السقيفة وفدك، ص ١٤١.

(٤) ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر، كتاب بلاغات النساء (قم: مكتبة بصيرتي، بلا) ص ١٥.

(٥) الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تحقق: محمد باقر الخرسان، النجف الاشرف: مطبعة النعمان، ١٣٨٦ هـ) ص ١٣٣.

(٦) الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة (بيروت: دار الأضواء، بلا) ص ١٠٩.

المخالفة لهم وهو مشروع التوحد الإسلامي في ضوء التمسك بهذا المنهج الإسلامي وهو النظام في الطاعة والوحدة في الإمامة ولكن الذي حصل أن الأمة افترقت، قال الإمام علي (ع): (إلا أن هذه الأمة لا بد متفرقة كما افترقت الأمم قبلهم فنعوذ بالله من شر ما هو كائن)(١)، إنما افترقت لعلة وسبب هو ظاهرة الانقلاب التي أشار إليها النص القرآني وقول الزهراء (ع) وخطبتها لأوائل المسلمين وقد بينت خطورة المرحلة آنذاك باعتبارها مرحلة تأسيس لما بعد النبوة ونص أمير المؤمنين(ع) لما حدث في الواقع مع أن الإشارة القرآنية محذرة من الانقسام والفرقة وظاهرة الانقلاب لعدم الطاعة وترك النظام، وقد بين الرسول بنصه النازل والشارح آثار الانقسام وأوصى بل أمر في التمسك بالطريق من بعده وبينه حفظا للأمة من الاختلاف ولكنهم مع هذا اختلفوا وتصارعوا بالأقوال والأفعال وتأسست ثقافة الشكلية الطقوسية، لذا قال أمير المؤمنين (ع): (إذا انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الأمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل..)(٢) وقال الإمام الحسين (ع): (ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم..)(٣).

إن دراسة هذه الظواهر التاريخية المعبرة عن منهج في رسم الإسلام النظري والعلمي وفق الانثربولوجيا الثقافية والحضارية والاجتماعية بما يلائم الأسس والخطوط القرآنية ينتج بالفعل الواقع الحقيقي للمجتمع الإسلامي الموحد وخاصة ونحن نحاول رسم الصورة التأسيسية الأولى من قلب النبوة فاطمة الزهراء (ع) من خلال أحوالها وأقوالها وأفعالها وسلوكها وأهدافها وغاياتها دون التركيز على الجزئيات الحدثية بل غاية الزهراء (ع) تذكير وتحذير الأمة من أهوال الفرقة والانقسام عن الطاعة والقيادة لأئمة الهدى (ع)، فقد اهتمت الزهراء في خطابها بالنزعة التعليمية التي تروم تقديم نموذج جدير بالاقتداء، وهذه الأبعاد ممكن أخذها من السرد الذاتي للشخصية كما ذكر ذلك في معجم السرديات في دراسة الشخصيات دراسة ذاتية(٤)، ولكن بتحليل واستنتاج.

الخلاصة

بعد هذه الجولة في المنهج الأنسي والانثربولوجي كآليات معاصرة للكشف عن جملة أمور عامة في أحوال الزهراء (ع) توصلنا لما يأتي:

١- العامل الإنساني هو المحرك للسيدة الزهراء (ع) في إرشاد الأمة لأصالة النظرية الإسلامية ووعي مرحلة ما بعد النبوة.

---

(١) صفوت، أحمد زكي جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، مراجعة: محمد جاسم الحديثي (بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٩ م) ص ١٦٨.

(٢) صفوت، جمهرة خطب العرب، ص ١٧٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩٩.

(٤) مجموعة باحثين، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، (بيروت: الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ٢٠١٠ م) ص ٢٥٨.

٢- بينت الزهراء (ع) عمق المنجز الحضاري والثقافي الانثربولوجي محذرة من مصادرة الجهد النبوي وأئمته لصالح من كانوا يكيدون له.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم وهو القول الفصل.
- الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ).

١- كشف الغمة في معرفة الأئمة، (بيروت: دار الأضواء، بلا).

- اريك، وولف.

٢- التنظيم الاجتماعي في مكة وأصول الإسلام، إعداد: أبو بكر أحمد باقادر، (بيروت: دار الهادي، ١٤٢٦هـ).

- الاسكافي، محمد بن همام.

٣- كتاب التمحيص، تحقق: مدرسة الإمام المهدي، (قم: مدرسة الإمام المهدي، بلا).

- باقادر، أبو بكر.

٤- الإسلام والانثروبولوجيا، (بيروت: دار الهادي، ١٤٢٥ هـ).

- جوتشلك، لويس.

٥- كيف نفهم التاريخ، تر: عائدة سليمان عارف واحمد مصطفى أبو حاكمة (بيروت: دار الكتاب العربي، بلا).

- الجوهري، ابو بكر أحمد بن عبد العزيز (ت ٣٢٣ هـ).

٦- السقيفة وفدك، تحقق: محمد هادي الاميني، (بيروت: شركة الكتبي للطباعة والنشر، ١٤١٣ هـ).

- الحكيم، حسن عيسى.

٧- فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب، (قم: شريعة، ١٤٣٠ هـ).

- الخراساني، الوحيد.

٨- منهاج الصالحين، تعليقة على منهاج الصالحين للسيد الخوئي.

- ابن رستم، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الصغير(ت ٤ هـ).

٩- دلائل الإمامة، تحقق: قسم الدراسات الإسلامية، (قم: بعثة، ١٤١٣ هـ).

- زكار، سهيل.

١٠ - ندوة نشرتها مجلة المنهاج في حقل منتدى المنهاج حول التاريخ، العدد ٢/السنة الأولى ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ مم، يصدرها مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

- السبيتي، عبد الله.

١١ - المباهلة (طهران: مكتبة النجاح، ١٣٦٦ هـ).

- شمس الدين، محمد مهدي

١٢ - محاضرات في التاريخ الإسلامي(السيرة النبوية) تحقق: حسن كريم الربيعي، غير منشور.

- صفوت أحمد زكي.

١٣ - جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة) مراجعة: محمد جاسم الحديثي (بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٩م).

- الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨ هـ).

١٤ - الاحتجاج، تحقق: محمد باقر الخرسان، (النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ١٣٨٦ هـ).

- ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر (ت ٢٨٠ هـ).

١٥ - كتاب بلاغات النساء (قم: مكتبة بصيرتي، بلا).

- العودات، حسين.

١٦ - النهضة والحداثة بين الارتباك والإخفاق، (بيروت: دار الساقي، ٢٠١١ م).

١٧ - معجم مصطلحات الحداثة ونقدها، إعداد: مركز الفكر الإسلامي المعاصر. قسم التراث والمعاصرة.

- مجموعة باحثين.

١٨ - تاريخ التاريخ اتجاهات مدارس مناهج، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢١ م). ❖

السيدة فاطمة الزهراء وأحقيّتُها في الإرث

أ. م. د حسين عبد العال اللهيبي(*)

المقدّمة:

في بيئةٍ جاهلية تمخض في عباب الشذوذ والضلال، وتتيه في مفاوز الجهل والهمجية، أطلّ النبي محمد (ص) على الناس بنور الإسلام وهديه؛ ليقيهم طوارىء الشرور، وعوادي الضلال، ويبدّد ظلال الكآبة.

لقد أحدث الإسلام ثورةً كبرى في حياة العرب قاطبة؛ فقد غيّر كثيراً من تقاليدهم وأعرافهم، ونسف جميع معتقداتهم المتوارثة، واستطاع الرسول الأعظم (ص) أن يخضع قبائل العرب، وأن يستظهر عليهم بالسّيف والحجّة القاطعة، وكان للقرآن الكريم أثرُهُ البالغ في إقناع العرب بعبادة الربّ الواحد، بعد أن كانوا يعبدون أرباباً متفرّقة.

اتجه النبي محمد (ص) بعد أن استقرّت به الحال في المدينة المنورة إلى إرساء قواعد دولته، وتثبيت دعائمها، وقد ظلّ وكده وشغله الشاغل فيمن يخلفه من بعده في إدارة شؤون المسلمين الدينية والدنيوية.

لقد أدرك النبي(ص) خطورة الموقف، وما ستئول إليه الأمور من بعده؛ وكان لزاماً عليه أن يستخلف من يمضي على نهجه، ويسير بهديه: ولم يكن غير علي (ع) من ينهض بأعباء الإمامة من بعده فهو أحرص الناس بعد رسول الله (ص) على حفظ شرع الله، وإتباع سنّة نبيّه.

أكد النبي(ص) على استخلاف الإمام علي (ع) من بعده في أكثر من موقف ومناسبة، مصرّحاً تارة، وملوّحاً تارةً أخرى، بحسب النقول المروية عنه. والتي رزقت حظّاً كبيراً من الإثبات والوثاقة.

ولكن ما أسرع ما تبدّد الحلم، وتلاشى الصدى إذ ما إن غمضت عين النبي (ص) والتحق بالرفيق الأعلى حتّى سقطت الأقنعة عن الوجوه المتنكرة، وتقيأت الصدور الموتورة كلّ أحقادها الدفينة.

لقد أرهف التاريخ سمعه، وأمعن بصره فإذا هو يتفرّس في غبار صفحاته آثار مؤامرة كبرى، تلك المؤامرة التي أقصت أهل البيت (ع) وأبعدتهم عن حقّهم الشرعي.

(*) جامعة الكوفة، كليّة الفقه.

ومن ذا الذي يقف بوجه هذا الإعصار المارد الذي أثارته الجاهلية الأولى غير سيدة النساء فاطمة محاولةً في ذلك تصحيح ما اختلج في أذهانهم ما يبرّر لهم إقصاء أهل البيت (ع) عن حقّهم، وتهميشهم؛ لهذا صكّت سمعهم وأثارت شجونهم، وقامت تؤنّب أبا بكر على فعلته حين خاطبته في الجموع الملتفة حوله، فكان ذلك الدليل المقنع، والحجة التي لا تدفع على ما للسيدة فاطمة (ع) من حق استحوذ عليه القوم، وكشّروا عن أنيابهم: لأنّك إذا تأملت ما جرى يوم السقيفة لم يدر في خلدك ما حدث؛ ولأجل ذلك ذهبت دماء بريئة هدراً، وقد ألمع الشهرستاني إلى ذلك بقوله (أعظم خلافٍ بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سلّ على الإمامة في كلّ زمانٍ)[1].

وما يعنيه الشهرستاني بالإمامة هنا الخلافة الدنيوية التي تهافت القوم عليها، واستأثروا بها دون أهل البيت (ع) أما إمامة الحق فهي منصب إلهي يختاره الله عز وجل بسابق علمه، ويأمر النبي (ص) بأن يدلّ الأمة على من يخلفه من بعده في سياسة الدين والدنيا.

ومن هنا فإنّ الإمامة امتداد طبيعي لمسيرة النبوة، وإن أنكرها البعض فهي لا تبطل بمخالفة من خالف من أهل الإسلام، كما لا يبطل الإسلام بمخالفة اليهود والنصارى على ما ظهر للنبي(ص) من معجزات، ولو ثبت بطلانها بشيء من مخالفة المخالفين فهذا دليل على ثبوتها: لأنّه ما من شيءٍ إلاّ وفيه خلاف.

ولا أريد أن أخوض غمار هذا البحر المسجور، أو أضيف عليه قطرةً من زيت فأشعل لهيب النفوس، وأثير مكامن الحقد الدفين.. والمنصف الذي لا يلجُ في الباطل، ولا يجنح إلى النزاع؛ لأنَّ غايته في ذلك أنْ يتوخى الحقيقة مهما كانت آثارها ونتائجها. وقد أمرنا الله بلطف الحوار فهو خير وسيلة لمعرفة الحق، واتباع سبيل الرشاد ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل/١٢٥).

ولم يكن من طبيعة هذا البحث أن يستقصي فضائل السيدة فاطمة الزهراء: لأنّنا إذا أردنا استقصاء فضائلها لطال بنا المقام، واتسع القول، وخرج الموضوع عن حدّه، وإنّما يتركز البحث حول أحقية السيدة فاطمة الزهراء (ع) في إرث والدها (ص) وما يتعلّق في نحلتها منه، وخمس خيبر. وقد وجدت نفسي تدفعني إلى خوض غمار هذا الموضوع الذي تناوله الكثير من الباحثين والدارسين: لعلي أضيف شيئاً جديداً في هذا الميدان الفسيح الذي سيظلّ مفتوحاً أمام الباحثين والدارسين.

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٢٤.

المبحث الأول: منزلة الزهراء

وأهل البيت الذين اصطفاهم الله، وفضّلهم على العالمين، وطهّرهم من كلّ رجس، فقال - جلّ وعلا - ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب/٣٣)، هم سفن النجاة، وغمائم الرحمة، ومعادن البركة، وأعلام الأرض، ومصابيح الإيمان، وأبواب الجنة، أفلح من أحبّهم، وخاب من أبغضهم.

وفضائل أهل البيت ظاهرة معروفة، وطاعتهم لازمة، وحبّهم مفروض، إذ (جعل الله مودّتهم فرضاً على جميع المسلمين؛ لمكانتهم من رسول الله (ص)، وليدلّ بذلك على طاعتهم، واعتقاد إمامة الأئمة منهم، وإكراماً من الله عزّ وجل لرسوله (ص) وإبانة لفضله على من سواه من رسله)[٢].

ولمّا نزل قوله تعالى ﴿يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾(الشورى/٢٣)، قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟، قال (ص) (عليٌّ وفاطمة وابناهما)[٣].

وما ذلك إلاّ تأكيداً على شرف قدرهم، وعظيم منزلتهم، ورفيع مقامهم عند الله تعالى، هذا والرسول (ص) يقرعُ أسماع أصحابه بين الحين والآخر بعبقات حديثه الزاكي، فكان إذا نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، يقول (أنا حربٌ لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم)[٥].

وكان يقول (ص) (مثلُ أهل بيتي مثل سفينة نوحٍ من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق)[٦].

وكان يمرُّ (ص) على باب فاطمة مدّة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت إنّما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[٧].

ولعل امرأة لم تحظ مثلما حظيت به السيدة فاطمة الزهراء من الفضائل والمناقب التي حباها بها الله عز وجل، فقد خصّها الله بعظيم المنزلة: وما ذاك إلاّ لسموّ ذاتها، وقداسة أبيها، وكرامة بعلها وبنيها:

---

(٢) المناقب والمثالب: ١٦.

(٣) المعجم الكبير: ٤٧/٣، رقم الحديث (٢٦٤١).

(٥) سنن ابن ماجة: ٣٤، رقم الحديث (١٤٥)، والمعجم الكبير: ٤٠/٣، رقم الحديث (٢٦٢١)، والمستدرك على الصحيحين: ١٦١/٣، رقم الحديث (٣١٢/٤٧١٤)، وأسد الغابة: ٣٦٧/٥.

(٦) المعجم الكبير: ٤٦/٣، رقم الحديث (٢٦٣٨).

(٧) المستدرك على الصحيحين: ١٧٢/٣، رقم الحديث (٣٢٦/٤٧٤٨)، وأسد الغابة: ٣٦٦/٥.

هي بنتُ من، هي زوجُ من، هي أم من؟ من ذا يداني في الفخار أباها؟

إنّها أسمى امرأة خلقها الله على وجه البسيطة: فهي من (ناسكات الأصفياء، وصفيات الأتقياء، السيدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول، ألوط أولاده بقلبه لصوقاً، وأولهم بعد وفاته لحوقاً، كانت عن الدنيا عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة)[٨]، أمّ الحسنين، وسنا القمرين، و(بنت من نزل عليه (وجمع الشمس والقمر)، ثالثة الشمس والقمر، بنته خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السّداد)[٩].

وأبوها رسول الله محمد (ص) أكرمُ خلق الله، وخاتم الأنبياء والمرسلين: الصادع بما أمره الله، والناهض بأعباء الرسالة، وقد مدحه الله تعالى في كتابه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم/٤)، وفيه يقول حسان بن ثابت[١٠]:

وما فقد الماضون مثل محمدٍ ولا مثلُه حتى القيامة يفقدُ

وقال المتنبي[١١]:

لم يخلُقِ الرحمنُ مثل محمّدٍ ابداً وظنّي انّهُ لا يَخلُقُ

وزوجها علي بن أبي طالب إمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين، ويعسوب الدين أخو رسوله (ص) وابن عمّه، وحامل لوائه في حروبه، وسيفه المسلول على أعدائه، والقائل فيه (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي)[١٢].

وابناها الحسن والحسين ريحانتا رسول الله، وسيّدا شباب أهل الجنة، والقائل فيهما جدّهما رسول الله (ص) (اللهم إنّي أحبّهما فأحببهما، أحب من أحبهما، وأبغض من أبغضهما)[١٣].

ولم يكن من طبيعة هذا البحث أن يستقصي فضائل السيدة فاطمة الزهراء (ع): لأنّنا إذا أردنا استقصاء فضائلها لطال بنا المقام، واتسع القول، وخرج الموضوع عن حدّه. ومهما يكن من أمر فإنّ (مناقبها لا تحصى، ومفاخرها تجلّ عن الحصر والإحصاء)[١٤].

---

(٨) حلية الأولياء: ٤٩/٢.

(٩) الفصول المهمة: ١٣٦.

(١٠) شرح ديوان حسان بن ثابت: ٩٥.

(١١) شرح ديوان المتنبي: ٩٥/٢.

(١٢) صحيح البخاري: ٨١/٥، كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث (٢٢٥) صحيح مسلم: ٢٢٤/٨، كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث (٢٤٠٤/٣٠).

(١٣) صحيح البخاري: ٩٢/٥، كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث (٢٥٨)، الجامع الصحيح: ٣٢٢/٥، رقم الحديث: ٣٨٥٨، والمعجم الكبير: ٤٩/٣، رقم الحديث: ٢٦٥١.

(١٤) الإتحاف بحبّ الأشراف: ٢٥٥.

لقد نالت شخصيتها إعجاب والدها واحترامه لها، فوهبها خالص حبّه وعطفه، وصار اسمها نغمة في فمه يستعذبها ولا يملّ ترديدها، ما يفتأ يذكرها بعبق حديثه الزكي تبياناً لمكانتها، وإشادةً بذكرها، وإعلاءً لمنزلتها؛ لهذا كان رسول الله (ص) إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأول من يدخل عليها إذا قدم فاطمة[١٥].

وكان يقرأ النبي (ص) بين السطور عظيم ما سيجري عليها من الظلم والحيف، فكان يقول فيها تارة (فاطمة بضعةٌ منّي، فمن أغضبها فقد أغضبني)[١٦]، وتارة يقول (إنّ الله يغضبُ لغضبك، ويرضى لرضاك)[١٧]، وثالثة يقول (من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله)[١٨].

وقد أعدّ لها الله ـ عز وجل ـ من جزيل الثواب، ورفيع المنزلة، وعظيم المرتبة في الآخرة، ما لم تظفر به امرأة، فقد ورد في الحديث الشريف: (إذا كان يوم القيامة قيل يا أهل الجمع غضُّوا أبصاركم حتّى تمرّ فاطمة بنت محمد رسول الله (ص) فتمرّ وعليها حلّتان خضراوان، فهي أول من يُكسى)[١٩].

إلى غير ذلك من فضائلها التي لا تملّ روايتها الألسن، ولا تكلّ ريادتها القرائح، ولا تعافُ حكايتها الأقلام، لقد كان لشخصية السيدة فاطمة (ع) حضورٌ واسع في ذاكرة النبيّ، وقد أثنى عليها بأسمى ما اتسمت به هذه الشخصية من قيمٍ ومثل وأخلاق، فقد كانت مثالاً يحتذى به.

وأفضل ما يذكر هنا أن بعض الوعاظ تطرق في وعظه إلى ذكر السيدة فاطمة الزهراء (ع) ومزاياها، وفضائلها، ثمّ ختم مجلس وعظه بقوله[٢٠]:

خجلاً من نور بهجتِها … تتوارى الشمس بالشّفقِ

وحياءً من شمائلها … يتغطّى الغصن بالورقِ

---

(١٥) الإتحاف بحبّ الأشراف: ٢٥٥.

(١٦) صحيح البخاري: ٩٦/٥، كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث (٢٧٩).

(١٧) المستدرك على الصحيحين: ١٦٧/٣، رقم الحديث (٢٢٨/٤٧٣٠)، مجمع الزوائد: ٢٠٣/٩.

(١٨) مسند أحمد: ٣٢٨/٤، الجامع الصحيح: ١٩٨/٥، كتاب المناقب، رقم الحديث (٣٨٦٧).

(١٩) المستدرك على الصحيحين: ١٦٦/٣، رقم الحديث (٣٢٦/٤٧٢٨)، وأسد الغابة: ٣٦٨/٥، وإتحاف الأشراف: ٢٥٦.

(٢٠) كشف الغمة: ١٧٤/٢.

المبحث الثاني: احتجاج الزهراء (ع) وأحقيتها بالإرث

لمّا استوثق الأمر لأبي بكر، وتمّت له البيعة، احتاط على سائر ما كان للنبي من نحلةٍ بالمدينة، وما بقي من خمس خيبر، وهو ما كانت تملكه السيدة فاطمة في حياة أبيها، وكانت فدك مما فاءها الله على رسوله في سنة ٧هـ صلحاً فقد صالحه أهلها على النصف من ثمارها وأموالهم فأجابهم، فكانت خالصة لرسول الله (ص)، وفيها عينٌ فوّارة ونخيل كثيرة، وقد نحلها رسول الله (ص) لفاطمة[٢١].

التحق النبي (ص) بالرفيق الأعلى بعد أن استخلف على الناس علياً من بعده، ولكن من يتأمل ما جرى يوم السقيفة لم يدر في خلده عمق المؤامرة، التي من أجلها ذلك ذهبت دماء بريئة هدراً، وانتهكت حرمات.

وليس من بليّةٍ أضر بالمسلمين من بلية السقيفة، حيث نازع الأمر من ليس له في الأمر نصيب، فانتزع الحق من أهله، لقد كانت جناية القوم في ذلك اليوم لا تحد بوصف، فقد استولوا على الأمور، واستحوذوا على السلطة، وسارت الأمور على وفق ما خطّطوا له، فكان ذلك كفيلاً بأن يقضي على ما خطّط له النبي (ص) الذي تعب في سبيله ثلاث وعشرين سنة، أن يقضى عليه خلال ساعات.

ولكن من ذا الذي يقف بوجه هذا الإعصار المارد الذي أثارته الجاهلية الأولى غير سيّدة النساء فاطمة الزهراء (ع) التي أعلنت رفضها لعظيم ما فعلوه، وقد ألقت خطبتها العصماء في مسجد رسول الله (ص) بحضور جمع غفير من الصحابة من مهاجرين وأنصار فصكّت سمعهم، وأثارت شجونهم.

إنّ لهذه الخطبة قيمتها الفنية، فقد كشفت هذه الخطبة عن مقدرة خطابية للسيّدة فاطمة الزهراء التي كانت من أخطب الناس وأحضرهم جواباً، وأحسنهم بديهة، والقدرة على الارتجال. وأوضح ما يعدّ في المحصول لها من الفضل فصاحتها وحسن منطقها؛ فهي ابنة أفصح من نطق بالضاد (وأحسنهم بياناً، وأسهلهم مخارج للكلام، وأكثرهم فوائد من المعاني؛ لأنه كان من جماهير العرب، مولده في بني هاشم، وأخواله من بني زهرة، ورضاعه في بني سعد بن بكر، ومَنشؤه في قريش، ومتزوّجه في بني أسد بن عبد العزى، ومهاجَرُهُ إلى بني عمرو، وهم الأوس والخزرج من الأنصار، وقد قال النبي (ص): أنا أفصح العرب بيدَ أنّي من قريش)[٢٢].

لقد ساقتها الظروف القاسية إلى صميم الأحداث الجديدة، وقد أعفاها ذهولها من الانهيار والتصدع، فوقفت بجنانٍ ثابت، وعقل راجح يجري البيان على لسانها منقاداً للمعنى الذي تريده في يسرٍ وسهولة، من غير قصد أو تكلّفٍ، بما ينمُّ عن طبعٍ سليم، وفطرة نقية، وذوق صحيح، وذهن ثاقب، وقريحة مطاوعة تستجيب لمقتضى الحال.

---

(٢١) معجم البلدان: ٤١٧/٦.

(٢٢) بلاغات النساء: ٣١، والفاضل في صفة الأدب الكامل: ٢١٣/٢، وشرح نهج البلاغة: ٢١٢/١٦.

ونريد هنا أن نوضّح في هذه الخطبة ما احتجّت به السيدة فاطمة الزهراء (ع) على أبي بكر لنيل حقّها المشروع، فيما يتعلّق بإرثها من رسول الله مما أفاء الله عليه، بعد أن وضع أبو بكر يده على فدك، واحتاط على غلاتها. فلمّا بلغها ذلك وطّنت نفسها على المسير إليه بنفسها، فلاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّةٍ من حفدتها ونساء قومها.. فلمّا دخلت عليه وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء، فارتجّ المجلس ثمّ أمهلت هنيهة حتّى إذا سكنّ نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله أبيها (ص).

ثمّ التفت إلى أهل المجلس، وقالت موبخة لهم، موضحة تخاذلهم، وإعراضهم عن أهل بيت نبيهم، وهو ما أرادت أن تنبّه عليه في قولها لهم: أيُّها الناس: اعلموا أنّي فاطمة، وأبي محمد (ص) ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة/١٢٨). فإنّ تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزّي إليه، فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم، آخذاً بكظمهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسّر الأصنام، وينكث الهام، حتّى انهزم الجمع وولُّوا الدبر، وحتّى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقائق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقدة الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص، في نفرٍ من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرةٍ من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطيء الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القِدّ، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد (ص) بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا﴾ (المائدة/٦٤)، أو نجم قرن للشياطين، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفيء حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله (ص) سيّداً في أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، وأنتم في بلهنية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرُّون من القتال، فلمّا اختار الله لنبيّه (ص) دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ

جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (التوبة/٤٩)، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون، وهذا كتاب الله بين أظهركم: أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تدبرون، أم بغيره تحكمون ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ (الكهف/٥٠) ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران/٨٥)، ثمّ لم تلبثوا إلاّ ريثما تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء نور الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي، تسرّون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله في الخَمَر والضرّاء، ونصبرُ منكم على مثل حزّ المُدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة/٥٠). أفلا تعلمون بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته. ويهاً أيّها المسلمون أأغلب على إرثي.

ولا يفوت المتأمل لهذه الخطبة أن يلاحظ عليها كثرة استشهادها بالقرآن الكريم؛ لأنّها وجدت فيه إقامة الحجة، وقطع النزاع، وإذعان الخصم. فالاستشهاد بالقرآن كما يقول الكلاعي (هو أنجح ما ضمّنه المرتجل، وأرجح ما استعان به المحتفل؛ لأنّه الموعظة الحسنة، والحجة البالغة، والحكمة الباهرة)[٢٣].

لقد عبّرت السيدة فاطمة الزهراء (ع) في هذه الخطبة عمّا كانت تعانيه من قسوة الظلم الذي لحقها، وفداحة الخطب الذي حلّ بها، واندفاعها بهذا الشكل في تقريع القوم على تخاذلهم، وهو ما لا يكاد يُقدم عليه سادة القوم، ولكن كما قيل:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً	ولكن لا حياة لمن تنادي
ونارٍ لو نفخت بها أضاءت	ولكن ضاع نفخك في الرمادِ

والحق إنّ السيدة فاطمة (ع) لم تدّعي ما ليس لها بحقّ، وإنّما طالبت بحقّها المشروع سواء أكان ذلك إرثاً، أم نحلة، أم سهم ذوي القربى، وفي كلّ ذلك لم يجبها أبو بكر إلى شيء مما سألته، واحتجّت به عليه، حتّى أنّها لم تدع له مجالاً يستوعب فيه ما أرادت أن تلقيه إليه، أو يقصر انتباهه عليه، ومضت تحتجّ عليه بالقرآن، مستعينة بكلّ ما تبتغيه منه في تأييد دعواها، ودحض ما ادعاه أبو بكر: لهذا قالت له في سؤالٍ استنكاري: يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النمل/ ١٦)، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا (ع): ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى

(٢٣) إحكام صنعة الكلام: ١٦٩.

﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ (مريم/ ٥ ـ ٦). وقال ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ (الأنفال/٧٥).

ثمّ التفت مرّة أخرى إلى الأنصار وكأنّها تستصرخهم، وتستغيث بهم (إيهاً بني قيلة ـ تريد الأنصار ـ أأهضم تراث أبي، وأنتم بمرأى منّي ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح... حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدّين، فأنّى حرتم بعد البيان؟، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، بؤساً لقوم ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة/١٢). ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وركنتم إلى الدعة، ونجوتم من الضيق بالسّعة، فمججتم ما وعيتم، ووسعتهم الذي تسوّغتم ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (إبراهيم/٨). ألا وقد قلت ما قلت على معرفةٍ مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس، وبثّة الصدر، ونفثة الغيظ، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دَبرة الظهر، نقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء/٢٢٧).وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (هود/ ١٢١، ١٢٢).

كانت صيحتها بوجه القوم تعيد للنفس لواعج الحزن والأسى في إثارةٍ عنيفة، ومن العجب بعد هذا الكلام ان لم ينبس أحد منهم ببنت شفة، بل ظلّوا مطرقين كأنّ على رؤوسهم الطير، ولم يجبها سوى أبي بكر الذي تكلّم معها بكلّ هدوءٍ ولين (يا ابنة رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، فإن عزوناهُ وجدناهُ أباك دون النساء، وأخا إلفك دون الإخلاّء، آثره على كلّ حميم، وساعده في كلّ أمرٍ جسيم، لا يحبّكم إلاّ كلّ سعيد، ولا يبغضكم إلاّ كلّ شقيّ، فأنتم عترة رسول الله (ص) الطيّبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولا مصدودة عن صدقك..)[٢٤].

---

(٢٤) بلاغات النساء: ٣٢، وتذكرة الخواص: ٢/٣٥٢.

بهذا الكلام المعسول حاول أبو بكر أن يعتذر إليها ، فهو يريد أن يتجنب إغضابها؛ لعلمه بمكانتها من النبي(ص) وعظيم منزلتها عند الله، أو لم يسمع قول رسول الله (ص) (فاطمة بضعةٌ منّي ، فمن أغضبها فقد أغضبني)[٢٥]، وقوله (ص) (إنّ الله يغضبُ لغضبك، ويرضى لرضاك)[٢٦].

كان أبو بكر عاجزاً عن إقناع السيدة فاطمة (ع) إذ لم يكن لديه الدليل المقنع، والحة الظاهرة في تفنيد ما احتجّت عليه السيدة فاطمة سوى التمسك بحديث (نحن معاشر الأنبياء)، وقد بلغ به من الإيهام أنّ النبي ما كان له أن يورّث ذهباً ولا فضّة: (والله ما عدوت رأي رسول الله (ص) ولا عملت إلاّ بإذنه، وإنّ الرائد لا يكذب أهله، فإنّي أشهد الله وكفى به شهيداً، أنّي سمعتُ رسول الله(ص) يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضّة، ولا داراً ولا عقاراً، وإنّما نورّث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما لنا من طعمة فلوليّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه)[٢٧].

ومما يسقط هذا الحديث الذي استدلّ به أبو بكر أنّه حديث آحاد تفرد بروايته أبو بكر، ولم يروه أحد غيره من الصحابة والتابعين، وسائر من روى هذا الحديث إنما أخذه عن أبي بكر ورواه سماعاً، ولم يسمعه من رسول الله مباشرة، بل إنّ نساء رسول الله (ص) وهنّ أقرب الناس إلى رسول الله لم يسمعن بهذا الحديث، ولو ثبت هذا الحديث لديهنّ لما أرسلن إلى أبي بكر يطلبن ميراثهنّ من رسول الله (ص)، وقد منعتهن عائشة باعترافها، حيث قالت: (أنا التي رددتهنّ)[٢٨].

ولعلّ من نافلة القول: إنّ كثيراً من علماء أهل السنة ذهبوا إلى عدم جواز تخصيص القرآن بخبر الواحد؛ لأنّ الخبر الواحد لا يفيد إلاّ الظنّ، والظنّ ليس حجة، قال الجصّاص (إذا كانت الآية محكمة لم يجز تخصيصها بخبر الواحد)[٢٩].

وقد ألمح الفخر الرازي إلى هذا الخبر بوصفه خبر آحاد فيما حكاه من أنّ (فاطمة لّما طالبت الميراث ومنعوها منه احتجّوا بقوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، احتجت فاطمة بعموم قوله تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾(النساء/١١)، وكأنّها أشارت إلى عموم القرآن لا يجوز تخصيصه بخبر الواحد)[٣٠].

وعلى افتراض (أنّ الله قد قيّد الإرث بالعلم والحكمة فإنّ كلمة الإرث والميراث تعني لغة وعرفاً وشرعاً وراثة المال فقط، ولم يثبت النقل ولا ادعاه أحد)[٣١].

---

(٢٥) صحيح البخاري: ٩٦/٥، كتاب فضائل الصحابة، رقم الحديث (٢٧٩).

(٢٦) المستدرك على الصحيحين: ١٦٧/٣، رقم الحديث (٤٧٣٠/٢٢٨)، مجمع الزوائد: ٢٠٣/٩.

(٢٧) بلاغات النساء: ٣٣.

(٢٨) المصدر السابق.

(٢٩) أحكام القرآن: ١٥٧/٢.

(٣٠) المستدرك على الصحيحين: ١٧٥/٣، رقم الحديث: (٤٧٥٧/٣٥٤)، وحلية الأولياء: ٥٢/٢.

(٣١) فدك والعوالي والحوائط السبعة: ٤٣٤.

جهدت السيدة فاطمة (ع) بكلّ طاقتها إبطال دعواه، وتفنيد مزاعمه: ليتضح الحقّ لمن أبصره، ويتبيّن الحق في ذلك، ويُدحض الباطل، وتظهر عواري المدّعي، هذا وقد اقتصرت في احتجاجها على تحذيره من مغبة إغضابها، بل أصرّت إلاّ (أن يصرع البغيُ أهله)، وقس على ذلك بقية ما ورد في كلامها فكان دليلاً آخر على صدقها، ولكن العجب من ذلك كلّه أن يردّ قولها، ولا يعطى حقّها، وهي البضعة الطاهرة، الصادقة المصدقة في كلّ ما تقوله وتفعله، وباعتراف السيدة عائشة نفسها، فإنّها قالت وقد ذكرت عندها فاطمة (ما رأيتُ أحداً قطّ أصدق لهجة منها إلاّ أن يكون الذي ولدها)[٣٢].

أصيبت السيدة فاطمة بالإحباط والدهشة حين سمعت هذا الكلام من أبي بكر، فكان جوابها له: (سبحان الله ما كان أبي رسول الله (ص) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويقتفي سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً يقول ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم/٦). ويقول ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النمل/١٦). فبيّن – عزّ وجل – فيما وزّع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذكران والإناث، ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في العابرين، كلا ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف/١٨). وقال: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء/١١). وقال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة/١٨٠). وزعمتم أن لا حظوة لي، ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي (ص) أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثان، أو لست أنا وأبي من أهل ملّةٍ واحدة، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي، فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام/٦٧)، ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (الزمر/٤٠).

انفضّ المجلس بعد هذه الخطبة، ومضت السيدة فاطمة الزهراء إلى منزلها، وقد أمضّ بها الأسى، لقد انصرفت (انصرفت مغضبة متظلّمة متألّمة، والأمر في غضبها وسخطها أجلى من أن يخفى على منصف، فقد رواه أكثر الرواة الذين لا يتّهمون بتشيّع، ولا عصبية فيه من كلامها في تلك الحال، وبعد انصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة ما يدلُّ على ما ذكرناه من سخطها وغضبها)[٣٣].

---

(٣٢) المستدرك على الصحيحين: ١٧٥/٣، رقم الحديث: (٤٧٥٧/٣٥٤)، وحلية الأولياء: ٥٢/٢.

(٣٣) الشافي في الإمامة: ٢٣٠.

ويمكن بلورة امتناع أبي بكر من إعطاء فاطمة حقّها بأمرين:

الأول – يتعلق بالجانب المالي، وذلك بسبب هيجان العرب، وارتداد بعضها على أعقابها، والقوم بحاجة إلى المال، لتغطية تلك نفقات الحرب؛ وهو ما فعله عمر بن الخطاب حينما منع أبا بكر لما تراجع عن قراره وأراد إرجاع فدك إلى فاطمة، فقال له عمر: فماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى؟[٣٤].

والثاني ـ يتعلق بالخلافة، فقد خشي أبو بكر إن هو استجاب لمطالب السيدة فاطمة، فلا مانع من أن تطالبه بالمنصب الذي تولاّه من غير وصيةٍ تذكر، أو مشورة تؤثر.

لقد أدرك أبوكر بعد ما تهدف إليه السيدة فاطمة من وراء مطالبتها بحقّها بالإرث والنحلة وسهم ذوي القربى، وإصرارها على ذلك؛ لهذا أراد أن ينهي الأمر بكلّ حزم، دفعاً لكلّ ما يمكن أن يسبب له حرجاً لا يستطيع أن يتلافى أمره فيما بعد.

لم تتوقف السيدة فاطمة عن المطالبة بحقّها، بل لم تألوا جهداً في استرجاع حقّها المسلوب، وهكذا استمرّت السيدة فاطمة في المطالبة بفدك، ولم تتوان للحظة واحدة عن هذا الحق المضاع، فقالت له وبكلّ صراحة: (إنّ رسول الله (ص) جعل لي فدكاً فأعطني إيّاه، ولم يكن لأبي بكر وسيلة تخرجه من هذه الدائرة الضيقة، ومن هذا الإلحاح المستمر إلاّ أن يطالبها بشهودٍ يشهدون لها، وهذا من العجب العجاب، وهي صاحبة اليد، والصادقة المصدقة، ومع ذلك فقد شهد لها علي (ع) فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أمّ أيمن مولاة النبي (ص) فلم يصدّقها فيما سألته، ولم يقتنع بشهادتهما، فقال لها: قد علمت يا ابنة رسول الله أنّه لا يجوز إلاّ شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، فانصرفت[٣٥].

والحقّ إنّ أبا بكر مدّعٍ، وإنّ هذه الدعوى بحاجةٍ إلى بينة؛ لئنّ (البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر)، وما ساقه أبو بكر لا ينهض دليلاً على صحّة ما يدّعيه، وشرع الله أحقّ أن يتّبع، وحقّ رسول الله أولى أن يعطى لأهله، فلا شرع الله اتبع، ولا حقّ رسول الله أعطي، أو لم يقل النبي محمد (ص) (إنّ الله ليحفظ العبد المؤمن في ولده)[٣٦]، ثمّ ما كان لأبي بكر أن يتأوّل على القرآن، ويعدو إلى غيره، إذ ما ينبغي لأحدٍ أن يقطع بالقول على إبطال شيءٍ من القرآن بتوهم متوهّم، ولا برأي ذي رأي، أو إثبات ذلك يوجد السبيل إليه.

وفي هذا النص ما يثير العجب؛ لأنّ (فاطمة إن كانت مطالبة بميراث فلا حاجة بها إلى الشهود فإنّ المستحقّ للتركة لا يفتقر إلى الشاهد إلاّ إذا لم يُعرف صحة نسبه، واعتزائه إلى الدارج، وما أظنّهم شكّوا في نسب فاطمة، وكونها ابنة النبي (ص) وإن كانت تطلب

---

(٣٤) السيرة الحلبية: ٤٨٨/٣.

(٣٥) معجم البلدان: ٤٧١/٦.

(٣٦) سير أعلام النبلاء: ٣٥٥/٥، الدر المنثور: ٢٣٥/٤.

فدكاً، وتدّعي أن أباها نحلها إيّاها احتاجت إلى إقامة البينة ولم يبق لما رواهُ أبو بكر من وله (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) معنًى، وهذا واضح جدّاً)[٣٧].

حاول أبو بكر أن يعتذر إليها، ويطلب رضاها ففي السيرة الحلبية (إن فاطمة بنت رسول الله جاءت إلى أبي بكر وهو على المنبر فقالت: يا أبا بكر أفي كتاب الله ترث بناتك ولا أرث أبي، فاستعبر أبو بكر باكياً، ثمّ نزل فكتب لها بفدك، ودخل عليه عمر فقال: ما هذا؟، فقال كتابٌ كتبته لفاطمة ميراثها من أبيها، قال: فماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى؟، ثمّ أخذ الكتاب فشقّه)[٣٨].

ولعلّ الذي دفع أبو بكر إلى أن يتراجع عن موقفه السابق أنّه أدرك شدّة غضب السيدة فاطمة الزهراء، وما كان له إلاّ أن يطلب رضها؛ لهذا قال عمر لأبي بكر انطلق بنا إلى فاطمة، فأنا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماهُ فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما فلم ترد عليهما السلام، في حديث طويل، ثمّ سألتهما الزهراء: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعنا من رسول الله؟، قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه!!، فقال أبو بكر: أنا عائذٌ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ عليك في كلّ صلاةٍ أصلّيها. ثمّ خرج باكياً، فاجتمع الناس إليه، فقال: لا حاجة لي ببيعتكم، أقيلوني بيعتي[٣٩].

لم تطل أيام السيدة فاطمة بعد وفاة والدها وإن اختلف في المدة التي عاشتها السيدة فأقلها سبعين يوماً، وأكثرها ستة أشهر وقد عانت الأمرين: من غصب حقّها إلى انتهاك حرمة دارها، لقد عاشت تلك الأيام وهي مكمدة القلب، محزونة النفس، يعتصرها الألم، ويمزّق صدرها الأسى، ترى حقّها يسلب نصب عينيها، وهي عاجزة لا تستطيع أن تستردّه، بل الأكثر من ذلك، وهو ما حزّ في نفسها انقلاب القوم، وقد قالت ذلك صراحة لعمر بن الخطاب يوم قدم وبيده قبسٌ من نار يريد حرق دار فاطمة فلقيته فاطمة من وراء الباب فقالت له بكلّ جرأةٍ موبخة له: (لا عهد لي بقومٍ حضروا أسوأ من محضركم تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّنا)[٤٠].

---

(٣٧) كشف الغمة: ١٩٩/٢.

(٣٨) السيرة الحلبية: ٤٨٨/٢.

(٣٩) الإمامة والسياسة: ١٣/١.

(٤٠) المصدر نفسه: ١٣/١.

ومما أثار شجونها هو تخاذل الأنصار عن نصرتها فإنهم يرون ما لحق بها من الأذى والظلم، ومع ذلك لم يحرّكوا ساكناً، وفيهم العدد والعدّة، بل لاذوا بالصمت فكأنما غشيتهم غاشية من الخوف والرهبة، لهذا كان عتبها لهم شديداً: لأنّها كانت مستغربة من موقفهم الذي يثير الشجون، ويرمض العيون، لهذا قالت لهم: (إيهاً بني قيلة – تريد الأنصار – أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى منّي ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح وتبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلب الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدّين، فأنّى حرتم بعد البيان؟، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان، بؤساً لقوم ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (التوبة/١٣).

وما كان على أبي بكر إلاّ أن يرضي فاطمة، من وجهين: لعلمه بمكانة الزهراء:

١ - أنّه هو لم يفعل فقد باء بغضب الله ورسوله الكريم، إتباعاً لقول الرسول محمد (ص) في السيدة فاطمة: (الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها)، وهذا يعني أن رضا الله من رضاها، وغضبه من غضبها.

٢ - ومن منطلق الحديث الآخر (من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله)[٤١] فإنّ أذى فاطمة هو أذى لأبيها رسول الله (ص)، وأذية الرسول محظورة قطعاً لأنّه أذى لله، ومن آذى الله فقد دخل في الوعيد الوارد في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ (الأحزاب/٥٧)، وجعل نفسه عرضة وهدفاً لقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (التوبة/٦١).

ومع ذلك فإنّ دموع الندم التي ذرفها أبو بكر قد أهاجت فيه شعوراً لاذعاً ممضّاً بالحسرة، يثير الشجون ويرمض العيون، وهو مأخوذٌ بعد بتأنيب الضمير: فما أسرع ما انقضت أيامه، ولكن بقيت آثارها إلى يومنا هذا؛ ولأجل ذلك ذهبت دماء بريئة هدراً.

إنّنا نلحظ مبلغ الصراع النفسي الذي عاشه أبو بكر في أخريات أيامه، فاكتواؤه الباطن، قد ولد فيه شعوراً عميقاً بالذنب والتقصير إزاء سيّدة النساء؛ لهذا نجده حينما نزل به الموت يقول: (فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب)[٤٢].

---

(٤١) مسند أحمد: ٣٢٨/٤، الجامع الصحيح: ١٩٨/٥.

(٤٢) الإمامة والسياسة: ١٤/١، تاريخ الطبري: ٥٥/٤، مروج الذهب: ٢٣٨/٢.

لم تعش السيدة فاطمة بعد وفاة أبيها النبي الأكرم(ص) إلاّ مدّة يسيرة، وقد اشتدّ بها الوجد والشوق إلى لقائه (وكانت تذوب من حزنها، وشوقها إليه)[٤٣]، مما جعلها تندبه أحرّ ندب وأشجاه، حتى لحقت بالرفيق الأعلى مظلومة مهضومة.

خاتمة البحث

والنتيجة التي خلص إليها البحث هي:

أنّ السيدة فاطمة الزهراء (ع) لم تطالب إلاّ بحقّها المشروع الذي فرضه الله لها في محكم كتابه، وكانت في ذلك صادقة مصدقة، وكانت فيما احتجّت به وبحسب القرآن التي ساقتها في إبطال دعوى أبي بكر مستعينة في ذلك بالقرآن في تأكيد حقّها، وإيضاح ما التبس لديه، إن وقع اللبس فعلاً، دون أن يكون المنع بقصد.

إنّ ما سعت إليه الزهراء من طلب ميراثها ونحلتها من رسول الله (ص) هو إثبات حق الإمام علي بالخلافة، وقد أشارت إلى ذلك بوضوح في قولها (ويحهم!، أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين؟، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموه من أبي حسن؟).

وقد أثار شجونها تخاذل الأنصار عن نصرتها وقد رأوا ما لحق بها من الأذى والظلم، ومع ذلك لم يحرّكوا ساكناً، وفيهم العدد والعدّة.

المصادر والمراجع:

- الإتحاف بحبّ الأشراف: عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي، تحقيق: سامي الغريري، مطبعة ستارة، إيران، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- إحكام صنعة الكلام: لأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأندلسي (أحد أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، مطبعة النجوى، بيروت، ١٩٦٦م.
- أحكام القرآن: لأحمد بن علي الجصّاص (ت ٣٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعلي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م
- الإمامة والسياسة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق. طه الزيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة: ليوسف بن قزغلي البغدادي المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) تحقيق: حسين تقي زاده، مطبعة ليلى، إيران، ١٤٢٦هـ
- تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت.
- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرون، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- بلاغات النساء: لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بطيفور البغدادي (ت ٢٨٠هـ)، مطبعة شريعت، قم، ١٣٧٨هـ.

---

(٤٣) البداية والنهاية: ٦/٣٢٩.

- الجامع الصحيح: لمحمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٩٧هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
- ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: لمحبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ)، تحقيق: سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤٢٨هـ.
- رسائل الجاحظ: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تقديم: د. علي آبو ملحم، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٤.
- الزهراء من الوجه الآخر: للدكتور محمد حسين علي الصغير، ككتاب ما زال تحت الطبع، لدى الباحث نسخة منه منضدة.
- سنن ابن ماجة: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون): لعلي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الشافي في الإمامة: للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (٤٣٦هـ)، تحقيق: السيد عبد الزهراء الخطيب، مؤسسة الصادق، طهران، ط٢، ١٤١٠هـ.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة السعادة، مصر، (د. ت).
- شرح ديوان المتنبي، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط٢، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
- شرح نهج البلاغة: لبن أبي الحديد هبة الله بن عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت.
- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الفاضل في صفة الأدب الكامل: لأبي الطيب محمد بن أحمد الوشاء (ت ٣٢٥هـ) تحقيق: د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- فدك والعوالي والحوائط السبعة في الكتاب والسنة والتاريخ والأدب: السيد محمد باقر الجلالي، مطبعة نكارش، إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة: لعلي بن محمد بن أحمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- كشف الغمة في معرفة الأئمة: لعلي بن عيسى الإربلي (ت ٦٩٢هـ) تحقيق: علي الفاضلي، مطبعة ليلى، إيران، ١٤٢٦هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) تحقيق: عبد الله محمد درويش، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: لعلي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، اعتنى به: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- المسند: للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) دار صادر، بيروت.
- المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- معجم البلدان: لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).
- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ): مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٤١٠هـ ❖

فاطمة الزهراء (ع) في النص القرآني
- آية المباهلة أنموذجاً -

د. صالح جبار القرشي(*)

مقدمة البحث

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وخلق الأشياء ناطقة بحمده وشكره، والصلاة والسلام على نبيه المشتق اسمه من اسمه المحمود وعلى آله الطاهرين أولي المكارم والجود وبعد.

القرآن الكريم عربي بنصه عالمي بدلالته وهذه الانتقالة في الشمولية إنما قصد القرآن الكريم بها أن ترتقي المجتمعات الإنسانية حالة من التوازن ونبذ التطرف من خلال التعاون والتقارب من اجل الوصول إلى الأهداف المتوخاة لهذه العملية الحركية التي ترمي إلى إحداث التغيير الشامل في بنية المجتمع الذي كان بأمس الحاجة إلى مثل هذا النمط من التغيير.

وكان من وراء ذلك كله هو (اللطف الإلهي) بالعباد فكان: المُرسِل والرسالة والرسول، أركان ثلاثة اعتمد عليها تطبيق هذه النظرية في خَلْق مستلزمات نجاحها، فالمُرسِل اخذ على عاتقه أن يكون عطوفاً، رحيماً بعباده جلت قدرته، وكانت الرسالة هي المحتوى الذي من أجله بُعثت الأنبياء ودعت الأمم إلى تطبيقها فتصدى الرسول إلى حملها وإفهام الناس للمقاصد الإلهية فيها عن طريق التبليغ بمضامينها، فصار عندئذ من العناصر الأساسية لإجراء التغييرات ونبذ سياسة الغاب وأصبح القوي ضعيفاً حتى يُؤخذ منه حق غيره، وصار الضعيف قوياً حتى يُستَرجَع له حقه المغتصب، وبذلك أصبح القرآن الكريم منطلِقاً بمحتواه على وفق هذه المبادئ وداعياً لإلغاء الطبقية بين شرائح المجتمع.

لذلك كان الأنبياء رحمة من السماء بعثهم لإصلاح المجتمعات وهيئتها لبلوغ أعلى مراتب السمو والرفعة وفق منظور المعاني السامية التي ذكرتها الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1].

فكان النبي الكريم (ص) الأنموذج الراقي لاحتواء هذه المضامين الإصلاحية باعتباره الحصيلة والخلاصة التي تمثل زبدة الأفكار لسفراء كلمة الحق - اعني الأنبياء والرسل - وعلى وفق برامج السماء التي أمر الله سبحانه وتعالى بطاعتها، فكان القرآن الكريم حاكياً لمجمل هذه المصاديق للنهوض بالإرادة الجديدة لعناصر وأسس المجتمع المثالي.

(*) جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية.

(١) الإسراء: ٧٠.

وفي ضوء هذه المعاني خص الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم (ص) بسمات تميز بها عمن سبقه من الأنبياء والمرسلين (ع)، وكان لأهل بيته (ع) أسوة به في هذه السمات، وهذا ما يستفاد وينتزع من النصوص القرآنية الحاكية لهذه المفاهيم.

لقد كرر النبي (ص) مراراً وفي اغلب المحافل وعلى مختلف الأصعدة إبلاغ الناس وإخبارهم بما يَكُنُّهُ من الوِّد والحبِّ والتفاني لهؤلاء النفر من أهل بيته (ع)، ولم يكن هذا السلوك خافياً على أحد، فالنصوص القرآنية عالية المضامين في احتوائها لهذه الجوانب، والسنة المشرفة تطفح بسرد تفاصيل هذا الأمر في كل حدبٍ وصوبٍ حتى أصبح نتيجة هذا الاهتمام بهذا الاتجاه من قِبَله (ص) أمر يجلب الانتباه، فكانت الناس قد كسرت حاجز الصمت الذي سيطر عليها ردحاً من الزمن في قولة الحق فكان (ص) يضمر لابنته الزهراء(ع) وبعلها الإمام علي بن أبي طالب (رض) أعلى المقامات في بلوغ ذلك الحب والإطراء، كما شمل(ص) ابنيه الحسن والحسين (ع) بودٍ وعطف لم تألف الناس مثله من قبل لنبي سابق أو صدّيق لاحق على الإطلاق.

وأصبح الاهتمام بهذه النخبة حديث تتناقله الأوساط منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا نظراً لتواتره عبر الأجيال منذ فجر الإسلام وبزوغ الرسالة.

وحيث أن الزهراء (ع) هي أحد الكواكب الأربعة لهذا التقريب وهي الحوراء الإنسية التي وهبتها الرحمة الإلهية للمصطفى (ص) لتوفر له ما افتقده من حنان الأمومة ومقام الأبوة، فكانت بمثابة الكمال النفسي والاستقرار المثالي لمقامه الشريف (ص)، حيث كان يدعوها بـ(أم أبيها) وكان إذا ودع الناس لأمرٍ خَتَم بها، وإذا استقبلهم في رجوعه إليهم بدأ بها، ويدنيها منه في مجلسه، ويقوم إليها استقبالاً للتشرف بمجيئها، بل ويقّبل يدها سعادةً برؤيتها وابتهاجاً بحسن طلعتها.

وبناءً على هذه المنطلقات السامية فقد انتظم بحثنا المتواضع وفق مبحثين.

الأول: أهل البيت (ع) في القرآن الكريم نصاً ودلالة.

الثاني: الزهراء (ع) في النص القرآني – آية المباهلة أنموذجاً –.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين والصلاة وأتم السلام على أهل بيته الطهر الميامين (عليهم صلوات ربي) أجمعين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المبحث الأول: أهل البيت (ع) في القرآن الكريم بين النص والدلالة

يقول سليمان كتاني (إن الجزيرة العربية كانت تشكو التخمة بفسحة أرضها، كانت تشكو المجاعة إلى شخصية الإنسان التي يمكن ضبط مجالاتها، وكانت تشكو المجاعة إلى مجتمع إنساني تعززه الشخصية الفاهمة)[١].

ولعل كتاني أنصف المجتمع القابع على أصناف من مبررات البقاء على خطى السلف وعدم الإقبال على الحركة التغييرية التي أصبح محمد (ص) رائدا لها في قيادة ذلك المجتمع في وضع الشيء في مكانه المناسب.

لقد ساهم الدين الإسلامي في تمزيق الغشاء الشرنقي الذي أحاطت الجاهلية نفسها به قبل مجيء هذا الدين القويم، فكان لدستوره ونصوصه التي أفصح عنها القرآن الكريم أكبر الأثر في صيانة المجتمع الإنساني ووضعه في المكان اللائق الذي أرادته السماء له.

جسَّ القرآن الكريم نبض المجتمع الذي تقوده عواصف التقهقر آنذاك، وأوضح أن هذه العواصف لابد لها ان تزول بزوال مسبباتها، كما أوضح بان هذه المسيرة لا تكون كما يراد لها ان تسمو وترتقي إلا بتوافر معايير وشروط يقف التعاون على رأس هذه العوامل وبدون البناء والعمل لا يمكن أن يكون للإنسان دور في هذا الوجود لان المطلوب إحداث التغيير في نمطية التفسير الخاطئ لهذه المعايير، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٢] فكان هذا المنحى من الثوابت التي حددها المنهج القرآني وبشكل واضح وجلي.

وكان يدور حول الرسول (ص) رجال ملئوا إيماناً، فوقفوا طودا منيعاً للدفاع عن هذه القيم الجديدة، فَفَدَوا الدين الجديد بأنفسهم، ورُزِئوا بكل ما يتوفر لديهم من وسائل الراحة والاطمئنان في حياتهم دفاعاً عن البديل المنتظر.

فأصبح الجوع والظمأ والجهاد والقتال بل والموت ديدن هؤلاء الرجال إذا تطلب الأمر منهم الإيفاء بهذه المستلزمات التي آمنوا بها.

وكان أهل بيت النبي (ص) بعددهم الذي لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، أوَّلَ تشكيلةٍ تصدَّت لإعلان مضامين هذا المشروع الإلهي بمنظومته الكبرى الذي بصمت السماء على كونه مصداقاً لهذا النوع من الجهاد، بل تصريحاً منها لشد الأحزمة على البطون في دخول ساحات الجهاد تضحيةً وفداءً لنجاح النهج الذي جاء به محمد (ص).

تشكلت هذه المجموعة التي دارت حول الرسول (ص) حينما حاول جمع من الثُلّة المختارة يتقدمهم علي (ع) ليكون قطب الرحى لهذه المعادلة المتوازنة هذا الرجل الذي ضرب

---

(١) سليمان كتاني: الإمام علي (ع) نبراس ومتراس: ٨٤.

(٢) المائدة/٢.

الباطل بسيفه ليخرج الحق من خاصرته، ثم مثلت زوجته الطاهرة الصدّيقة فاطمة الزهراء (ع) محوراً آخراً لهذه الحلقة المتحركة، ثم ابنيهما الحسن والحسين (ع) فكانا صورةً فنيةً رائعةً لتكتمل بهما خُطى المنهج التقريبي بين أهل البيت (ع) وبين أمّتهم وأهليهم، وبذلك تم البناء التكويني لهذه الأمة الذي أرسى أسسه ورصّنها جدهم النبي (ص) ليعمل من اجل مؤانستهم والرواح والمجيء بين ظهرانيهم.

وقد استأنست السماء إن صح التعبير لمؤانسة النبي (ص) إليهم حتى أسمتهم بـ(آهل البيت) الذين أراد فئة من الشواذ إفراغهم من هذا المعنى فكانوا عمالقةً في سماء المعرفة والسمو والرقي بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١].

وتبرز الزهراء (ع) كأحد هؤلاء الأقطاب (الخمسة) إن راق لهؤلاء النفر عدُّ النبي (ص) منهم!!!، و(الأربعة) إن لم يَرُق لهم حسابه (ص)!!!، منهم فإن كان الأول خيارهم فَنِعْمَ، وان كان الآخر فأعوذ بالله من قوم أرادوا لفصل الفضل عن الفضيلة، بل هو الجنون بعينه.

لقد تواتر خبر الكساء لدى جميع الخلائق في التحدُّث عنه وكيف آن النبي (ص) أراد جمعهم تحته فكانوا هم الخمسة لا غير، فكانوا كالشمس التي لا يحجب نورها بغربال، حتى أن النبي (ص) قد أفردهم تحته ورفض أن يكون سادسهم أحد ولو كان أحب الناس إليه، فنفى أن تكون أحب زوجاته إليه معهم ولو أنه اخبرها بأنها على خير وبهذا الصدد قال الشاعر[٢]:

إن النبي محمد ووصيه وابنيه	وابنته البتول الطاهرة
أهل العباء فإنني بولائهم	أرجو السلامةَ والنجا في الآخرة

حيث روى لنا صاحب المنازل[٣] حديث الكساء عن طريق أم سلمة (رضوان الله عليها) قولها بأن آية التطهير نزلت في بيتها حينما أتت فاطمة (ع) إلى أبيها (ص) ببرمة[٤] فيها خزيرة[٥] فدخلت عليه بها، فقال (ص) : ادعي لي زوجك وابنيك قالت: فجاء علي والحسن والحسين (ع) فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامةٍ له على دكان[٦] تحته

(١) الأحزاب/٣٣.

(٢) ابن الصباغ: الفصول المهمة: ٢٥.

(٣) ينظر تفاصيل ذلك في: اسامة بن منقذ: المنازل والديار: ٣٦٧.

(٤) البرمة: القدر من الحجارة.

(٥) الخزيرة والخزير، هو اللحم الذي يقطّع صناراً ويُصب عليه الماء الكثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق، فان لم يكن فيه لحم فهي عصيدة، وقيل: هي حساء من دقيق ودسم، وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة، وإذا كان من نخالة فهي خريزة.

(٦) الدكان: هو الدكة المبنية لغرض الجلوس.

كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١]، فاخذ النبي (ص) فَضْلَ الكساء فغشّاهم به، ثم أخذ بيديه فألوى بهما إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي[٢]، فأذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرا، قالت: فأدخلت رأسي البيت وقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال: انك إلى خير، انك إلى خير.

أقول: أين عكرمة ومقاتل من هذا الإجماع الذي أجمعت عليه الخاصة والعامة[٣]؟، وأين محاولاتهم في إبعاد هذا اللفظ عن فاطمة وعلي والحسن والحسين (ع) حيث قالوا إنها نزلت في نساء النبي (ص) ولم يكتفيا بذلك حيث دفعهم الحقد على آل البيت (ع) فكانوا يجوبون الأسواق، وكان عكرمة يقول (من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي (ص))[٤].

وليس هذا غريباً عن عكرمة لأنه اعتنق مذهب الخوارج[٥]، وموقف الخوارج معروف من أمير المؤمنين (ع)، حيث روي أن عكرمة هذا قد كذب على ابن عباس حتى ذهب كذبه هذا مثلاً، حيث نُقل عن ابن المسيَّب انه قال لمولىً له اسمه برد: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس، وعن ابن عمر انه قال ذلك أيضاً لمولاه نافع[٦].

وقد حاول علي بن عبد الله بن عباس ردع عكرمة هذا عن فعلته بابيه، حيث يروى عن عبد الله بن أي الحرث قوله: (دخلت على ابن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق على باب كنيف، فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: إن هذا يكذب على أبي)[٧].

أقول: يجب التثبت من كل من له دين أن يتعرف على ما فعله عكرمة وأتباعه الذين لا يزالون في عصرنا هذا كثراً من العكارم وعلى ذوي الضمائر الحيَّة أن يعرفوا بأن أهل البيت (ع) قد أقصُوا من أماكنهم في حياة النبي (ص) فكيف الآن وبعد أن غَمِضَت عينا رسول الله (ص) سؤال ليس إلا.

ولم يكن احتواء النبي (ص) لهؤلاء النفر اعتباطاً أو أنه قد انفرد بقراره لصالحهم، ولم يكن النبي (ص) عاطفياً حتى يصل به الأمر أن يعزل أمته ويهمشها لأجلهم.... أبدا أبدا...

---

(١) الأحزاب/٣٣.

(٢) حامتي: خاصتي من أهلي وولدي وقرابتي.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان: ٢٥٧/٨.

(٤) السيوطي: الدر المنثور: ١٩٨/٥.

(٥) ابن خلكان: وفيات الإعلان: ٣٢٠/١ ترجمة عكرمة.

(٦) عبد الحسين شرف الدين: الكلمة الغراء: ٢/٥

وينظر: محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ١٤٧.

(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣٢٠/١.

لم تكن هذه المعايير أساساً لذلك، ولكن الثقل إذا افتقد مركزه سقط وهوى.. ولم يكن هؤلاء الأربعة إلا ارتكازا لامتهم وذوداً عن عرينها الذي بدونهم يستحيل وجود الحياة على مثل هذا الكوكب ضماناً لبقائه حيث لم يتغيب دور الزهراء فاطمة (ع) عن منظور القرآن العظيم أو نظر النبي الكريم (ص) فكلاهما سعى لترصين موقعها ودورها وحيث أن التغيير يشمل المواقع الإستراتيجية والقيادية لمن عميت أبصارهم للنظر إلى الحقيقة، ولكن الثوابت لا تتغير في نمطية الإيمان المطلق لدى الحوراء الإنسية.

إن أهل البيت (ع) مصطلح قراني سماوي نَفَرَ منه البعض وللأسف لخطورته على مواقعهم لأنه سيلغيهم بل وينفي وجودهم على أرضية تتخذ من العقل أساساً لذلك الوجود.

فإننا لا بد أن لا تضيع عن أذهاننا أن فاطمة (ع) التي هي تلك الأحداث الجسام هي ركيزة تلك التسمية – أعني أهل البيت – بل هي البيت الذي ترتكز عليه القضية... إننا لا نريد أن نضع فاصلاً بين أهل البيت (ع) وبين النبي (ص) من جهة، ولا نريد فصل أهل البيت (ع) عن مفهومه الحقيقي من جهة أخرى، وبهذا التوازن نعيد إلى المصطلح القرآني هيبته التي وردت من اجله.

والذي يبدو أن سكوت الأمة عن سؤال النبي (ص) عن هذا المصطلح إنما كان مندرجا تحت عنوان المشاهدة الحقيقية، لان هذا النوع من المشاهدة يغني عن السؤال جملةً وتفصيلاً.

حيث رأى الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) بأم أعينهم ما كان يفعله النبي (ص) من الوقوف المتكرر على باب فاطمة (ع) وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١] تسعة أشهر وهي المدة التي حدَّث بها ابن عباس بكونها كافية لان تعرف الأمة من هم أهل هذا البيت؟ ثم يشاهدونه عياناً، وقد خرج إلى المباهلة وليس غير علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) معه وهو يقول (اللهم هؤلاء أهلي)[٢].

فحديث الأهل تواترت رواته بقدر تواتر مضمونه، فكان تعدد رواته لدى المشتغلين بالحديث من كلا الطرفين في جميع الطبقات.

تقول أم المؤمنين عائشة: (خرج النبي (ص) غداةً وعليه مَرْطٌ مرحل من شعرٍ اسود، فجاء الحسن بن علي، فادخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فادخلها، ثم جاء علي فادخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)[٣].

---

(١) الأحزاب/٣٣.

(٢) مسلم: صحيح مسلم: ١٢١/٧.

وينظر: محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ١٦٩.

(٣) مسلم: صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – الحديث ٤٤٥٠: ٧/ ١٣٠.

كما روي عن أم سلمة (رضي الله تعالى عنها) إنها قالت بخصوص آية التطهير (في بيتي نزلت [﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾] وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهِب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيرا)[١].

وبذلك يكون (هؤلاء قوم نزلت الطهارة في قلوبهم وليس ينزلها إلا الله سبحانه، فإنه تعالى لم يذكرها إلا كذلك.. ولا يوجد من المسلمين من تكون صفته هكذا بمعنى العصمة والطهارة من الله إلا أهل البيت في قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)[٢].

وتبقى أم أبيها رائدة هذا المجد تحوم بين ربى الأفذاذ كالطير الذي يحوم حول بيته وهي ترفل بين أريج النبوة مرةً، وقوامةُ الزوج البُهلول مَرَّةً أخرى، وترانيم النبوة مع السبطين مرة ثالثة، لقد أسخى عليها نَبي الرحمة (ص) عالماً فسيحاً من نهم العلم وسِعَة الصدر وصلابة المواقف، ومنحها كل ما يملك من عطاء ونُبلٍ وطيب وكرامة وسخاء ومروءة فأصبحت قائدة لمجتمع بحاجةٍ إلى قيادة، فما كان إلا أن أولاها امتداداً لم يكن على حدود عصر الرسالة فحسب بل امتد إلى مآثرها من النسب الشريف إلى أحد عشر كوكباً من أولادها الغر الميامين.

ولهذه الأسباب (كانت فاطمة من علي دفئا لقلبه ورباطاً لدنياه، وما إن فصلها الموت حتى أحس بعمق الفراغ وبرودة المتَّكأ، وإذا هو واقعَ الحياة على مجابهة.. جرحٍ وضماد، وكسح وعكّاز، وصدى وسراب، وأين هو المنهل؟)[٣].

نعم لقد نظر إليها علي (ع) كذلك لأنه رأى النبي (ص) عياناً يحيطها بهالةِ من التقديس والتكريم إظهاراً لعظيم شأنها وابتهاجاً بحسن طلعتها[٤].

لقد آملى رسول الله (ص) صحيفةً على ابنته الزهراء فيها علوم الأولين والآخرين ولربما نقف على بعض ما ذكره صاحب كتاب البصائر بما قاله بهذا الخصوص بوصف هذه الصحيفة التي أطلق عليها مصحف فاطمة (ع)، هذا المصحف الذي سمي كذلك ولكنه ليس بمصحف أو قرآن، فاتخذتها أهل الأهواء تسمية يعزفون على أفواههم نغمةً يريدون أن يطفئوا نور الله بها ولكنهم لا يستطيعون، نعم.. لقد كان ذلك المصحف كما أشار إليه إمامنا أبي عبد الله (ع) (فعن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله (ع) فقلت له: إني أسالك – جعلت فداك – عن مسالة، ليس ها هنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله (ع) ستراً بيني

---

(١) السيوطي: الدر المنثور: ١٩٨/٥.

(٢) فاضل الجابري المسوي: وسطع نور الحقيقة: ٤١٤.

(٣) سليمان كتاني: الإمام علي (ع) نبراس ومتراس: ١١٦.

(٤) باقر شريف القريشي: السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام: ١٩.

وبين بيتٍ آخر، فاطّلع فيه ثم قال: يا أبا محمد، سل عما بدا لك.... قلت: هذا والله هو العلم، قال: انه علم وما هو بذاك، ثم سكت ساعة ثم قال: وان عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: قلت: جعلت فداك! وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاه الله عليها وأوحى إليها، ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة)[1] وانتشرت الدنيا بما احتواه هذا المصحف أو اللوح فصرَّحت بأسماءٍ من ستعتمد الدنيا على أفعالهم بعدها (فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله (ص) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء والأئمة من ولدها فعددت اثني عشر اسما آخرهم القائم من ولد فاطمة، ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي)[2].

ولم تغفل السماء عن أن يكون لهذه المحدَّثة كفئ لتكون في عهدته بعد أبيها(ص) وان لم يدم بقائها بعده طويلاً، لم تغفل بان يكون كفئها اصدق الناس وأكرمهم وأسخاهم وأشجعهم وأوفاهم وابلغهم بعد رسول الله فزوَّجَها إليه بدراهم معدودة، بعد أن اقتتل الرجال على التشرُّف بها فبذلوا الأموال وطوَّعوا الرجال ولكن أمر أراده الله لخير الدنيا ومآب الآخرة.

ولقد أصاب الشاعر بوصفها حينما قال[3]:

فإن لم تصدِّق ما أقول ولا تدري ... فسل اية الوسطى وسل ليلة القَدرِ
وسل آية الكبرى وسل سورة الدهر ... وسل آية القربى وسل آية الأجرِ
حباها أبوها بالكرامة والبشر ... ربيبة حجر الوحي والنهي والأمرِ
محدَّثة كانت تحدَّث بالسر ... وتخبرها جهراً ملائكة الغُرِّ

وإيم الله أنها الطاهرة المطهرة والصديقة المختبرة التي ملئت من الكمالات النفسية والمشاعر الملكوتية والفضائل الرحمانية التي تحكي شرف محلِّها وعلو قدرها حتى بلغت أعلى درجات الكمال، إنها فاطمة التي فطرها الله على الشرف والسمو والعلياء وصاغ من أنفاسها شرف السلالات وفخر الرجالات ذوو الهمم الذين حملتهم الأرحام المطهرة جيل بعد جيل[4].

فأهل البيت إذن الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم هم المحجة الكبرى[5]، وهم الذين آواهم الرسول (ص) تحت كسائه ونور فاطمة (ع) يلوح على جباههم، كيف لا ورسول

(١) الصفار: بصائر الدرجات الكبرى: ٣٠٧/١.

(٢) المفيد: الإرشاد: ٣٤٨.

(٣) الحائري: شجرة طوبى: ٢٣٣ وما بعدها.

(٤) ينظر عظمة الزهراء (ع) في البلاغة/محمد سعيد الطباطبائي الحكيم: في رحاب العقيدة: ١٤٨/٢.
وينظر: أحمد الوائلي: مجالس ومحاضرات الوائلي: ١٩.

(٥) ينظر: محمد مهدي الصدر: أخلاق أهل البيت (ع): ٢٧٣ وما بعدها.

الله هو الذي رصد ذلك النور بعينه وهو القائل لها: (يا فاطمة والله ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله (ص) منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك أحب إليَّ منك)[1].

إنه تذكير للأمة من قبله (ص) واستنهاض لمعاني وامتدادات هذا اللفظ - اعني أهل البيت - لتدرك تلك الأمة على مر العصور ما للزهراء (ع) وأولادها من دور في رفعة الإسلام وبناء معالم وأحكام الشريعة.

يقول أبو الحمراء (حفظت من رسول الله (ص) ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة، إلا أتى إلى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب، ثم قال: الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وفي رواية ابن عباس، قال: شهدنا رسول الله تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)[2]، وإجراء رسول الله (ص) هذا بحقهم إنما أورده القرآن الكريم محصورا بهم لان الرحمة الإلهية تقتضي أن يتوجب عليه سبحانه وتعالى أن يجعلهم هكذا لأنهم لطف واللطف من موجبات فيضُ رحمته على عباده وهو جزء من ألطافه على هؤلاء العباد[3].

المبحث الثاني: الزهراء (ع) في النص القرآني- آية المباهلة - إنموذجاً

آية المباهلة واحدة من الآيات الكثيرة من بين النصوص القرآنية التي تحكي مفاخر أهل البيت (ع)، فقد ذكر القرآن الكريم وبإجماع أهل القبلة ذلك حيث ذكروا بآيات كثيرة أخرى وهي لا تخفي على كل فرد فضائلهم، كآية التطهير التي تطرقنا لذكر إيماءات منها، وآية المودة، وآية الاعتصام بحبل الله، وآية أهل الذكر، وآية ولكل قوم هاد، وآية الإطعام، وآية السؤال، وآية الولاية، وآيات الأمر بإتباع الصادقين، وكثير من النصوص القرانية المشرفة الاخرى، كما تطرقنا في المبحث الأول من هذا البحث ماذا تعني لفظة (أهل البيت) وما المقصود بها؟ كما أكدنا على دور الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) بين أهل هذا البيت (ع) الذي شرَّفه الله من خلال هذه النصوص، ولو ان هذا البحث لا يفي سوى باليسير جدا من مقاصد هذا اللفظ وذلك بحكم كوننا مقيدين بهذا التضييق في مجالات

(١) الحاكم النيسابوري: مستدرك الصحيحين: ١٥٥/٣.

(٢) السيوطي: الدر المنثور: ١٩٩/٥.

وينظر: محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ١٥١.

وينظر: أحمد الوائلي: مجالس ومحاضرات الوائلي: ٢٠٦ وما بعدها.

(٣) النيلي: منتخب الأنوار المضيئة: ٨.

البحث لكي نفسح مقاصد الإيضاح لغيرنا من ذوي الاختصاص لاستكمال حلقة الوفاء لهؤلاء العظماء ولو بالقدر الميسور.

وبناء عليه فان دور الزهراء (ع) في هذه النصوص هو دور لا يمكن أن يغمط لأنه إذا أُسدِلَ الستار عليه انطفأ سراج الدنيا وذهب نور الإسلام، لان نور الإسلام هو القرآن الكريم، والزهراء (ع) من أهل البيت (ع)، وأهل البيت (ع) هم عِدْلُ القرآن بلا منازع وان من شك في ذلك فهو لا يمثل روح الإسلام لا من قريب ولا من بعيد.

فالزهراء (ع) إذن عظمة في الأداء، وخلود في التاريخ، وعطاء في الأسس الرصينة لبناء هذا الدين الحنيف.

وتبرز لدينا (آية المباهلة) من بين هذا الكم الهائل من تراث النبوة المطهرة ومفاخر العترة المحمدية الصادقة كأنموذج تم اختياره من قبلنا بتواضع شديد لنبين ما آل إليه الدور الفاطمي في مصداقيته الرائعة وإشراقته العريضة.

فـ (البهل) كون الشيء غير مراعى، والباهل البعير المُخَلّى عن قيده أو المخلّى ضرعها عن صرار، والبهل والابتهال في الدعاء هو الاسترسال فيه والتضرع[١]، نحو قوله تعالى ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٢] ومن هذا المعنى قول لبيد[٣]:

في قروم سادةٍ من قومِهِ ... نَظَرَ الدَهْرُ إليهِم فابتَهَلْ

أي استرسل فيهم فأفناهم.

وذكر صاحب المَجْمَع بان معنى الابتهال هو الدعوة من الله باللعنة على الظالمين[٤].

وعليه يكون معنى المباهلة في لفظ (نبتهل) في النص الشريف أن ينطلق كل من الجانبين المتجادلين حول قضية ما في مكان ما ويتضرعون إلى الله بالدعاء مبتهلين إليه أن يفضح الكاذب منهما ويلعنه وينزل عقابه عليه.

وهو الذي يتضمنه بحثنا بالدقة في هذا النص المشرف – أعني آية المباهلة – في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٥].

---

(١) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القران: ٩٣.

(٢) آل عمران/٦١.

(٣) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ٩٣.

وينظر: راضي الحسيني: معرفة أهل البيت: ٢٤٦/١.

وينظر: القرطبي: جامع الأحكام: ٢/ ٤٧٠.

وينظر: الطبرسي: التبيان: ٤٥١/٢.

(٤) الطريحي: مجمع البحرين: ١٩٨/١.

(٥) آل عمران/٦١.

وحيث أن المقصود من لفظ ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ بالنص المشرف هنا وبالإجماع وكما ذكرنا هي فاطمة الزهراء (ع).

وقد اجمع المؤرخون وأهل التفسير والمشتغلون بالحديث وأهل العلم عامة إلا من شذَّ منهم بان المقصود من لفظ ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ هي فاطمة الزهراء (ع) لأن النبي (ص) لم يذهب للمباهلة مع امرأة إلا مع ابنته فاطمة (ع)[1]، وفي هذه الحادثة المشهورة حينما بأهل النبي (ص) النصارى بعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) حينما كثر جدال النصارى بشأن عيسى (ع) في كونه إلهاً أو ابناً لله أو ثالث ثلاثة لذلك قطعت السماء هذا الجدال والخصام[2] بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ ....﴾[3].

وفي هذا النص المشرَّف أمرٌ سماوي إلى النبي الكريم (ص) بأن يدعو هؤلاء الأربعة وهم علي وفاطمة والحسنان (عليهم الصلاة وأتم السلام) كما أن فيه إشارة مهمة التفت إليها القرطبي بان الحسن والحسين (ع) هما ابنا رسول الله(ص) بما يتطابق وورود النص بلفظ (أبنائنا) ومجيء الحسن والحسين (ع) بمعيته[4]، ويجري التأكيد على السنة أهل العلم بأن المقصود من لفظ (نسائنا) هو فاطمة (ع) فحينما جاء بها النبي (ص) وهي تمشي خلفه وعلي(ع) خلفها ومعها الحسن والحسين (ع) ، وهو يقول لهم: إن أنا دعوت فأمِّنوا[5]، هذا وان حضور فاطمة (ع) بصحبة النبي (ص) بحادثة المباهلة من قبل نصارى نجران أمرٌ له أهميته خصوصاً وان الأسقف، والسيد، والعاقب الذين حضروا المباهلة قد علموا بأنهم إن باهلوه أضطرم عليهم الوادي ناراً، لذلك تركوا المباهلة وانصرفوا عائدين إلى بلادهم على أن يؤدوا في كل عام ألف حلِّة في صفر، وألف مثلها في رجب، فصالحهم رسول الله (ص) على ذلك بدلاً عن إسلامهم[6].

وقد أفاد صاحب التبيان بان مجيء الزهراء (ع) من دون النساء إنما يدل على أنها أفضل النساء، ويستدل على ذلك بما ورد في الخبر عن النبي (ص) قوله: فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها وان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، وكذلك قوله (ص) أتاني ملك فبشَّرني إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أو نساء أمتي، وفي الخبر عنه (ص) انه أسرَّ إلى فاطمة (ع) شيئاً فضحكت، فقال لها (ص) ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو

---

(١) محمد الحسيني الشيرازي: فاطمة الزهراء أفضل أسوة للنساء: ٢٣.
(٢) ينظر ذلك تفصيلاً في: الطبرسي: مجمع البيان: ٢/ ٤٥١.
(٣) آل عمران/٦١.
(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ٤٧٠.
(٥) م.ن: ٢/ ٤٧٠.
(٦) م.ن: ٢/ ٤٧١.
وينظر: الطبرسي: مجمع البيان: ٢/ ٤٥٣.

نساء المؤمنين فضحكت[١]، ويذكر أن النصارى لما رأوا النبي (ص) قد جاء بهم ومعهم (فاطمة (ع)) أرجئوا مباهلتهم إلى اليوم التالي وقالوا له: (نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح، قال لقد عرفتم يا معشر النصارى إن محمداً نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكنّ وفي رواية قال لهم والله ما لا عَنَ قوم قط نبياً إلا هلكوا عن آخرهم فإن أبيتم إلا الإقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم)[٢]، ويؤكد صاحب الميزان بان الاتفاق حصل على صحة مجيء هؤلاء بلا زيادة أو نقصان بقوله (وقد أطبق المفسرون واتفقت الرواية وأيده التاريخ: إن رسول الله (ص) حضر المباهلة ولم يحضر معه إلا علي وفاطمة والحسنان (ع)، فلم يحضر لها الأنفسان وابنان وامرأة واحدة وقد امتثل أمر الله سبحانه فيها)[٣]، ومن خلال هذه الرواية يظهر بان المفسرين ورواة الحديث وأهل السير والتاريخ قد أجمعوا أن المراد من حادثة المباهلة هم هؤلاء المذكورين لا غير، ويلاحظ من سياق النصوص القرآنية المشرفة وأقوال المصطفى (ص) بأن هنالك وحدة في الموضوع بين فعله (ص) وأقوال القرآن الكريم، حيث قام النبي (ص) بنفسه بالتطبيق العملي الفعلي على واقع مقابلة النص بالأداء، فلا تفويت لما يأمر به الله سبحانه وتعالى، حيث نرى أن النبي (ص) وفي كافة الأحكام المتعلقة بتلك النصوص يسارع قبل غيره إلى تطبيقها باعتباره المعوَّل عليه والمخاطب الأول والمبعوث من لدن السماء ليكون تطبيقه هذا تفويتاً لما يتبناه ذوو العاهات والعقول المريضة فلا مكان لعكرمة، ولا طريق لمقاتل، ولا فرصة لا مثالهما في تهميش ما أرساه القرآن الكريم وما نفذه محمد (ص) وما صادق وأمضى عليه العقل الذي كرم الله سبحانه الإنسان به فهو القائل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٤].

وعليه ففاطمة (ع) هي التي فُطمت من الميل والهوى لغير الله سبحانه وسنة أبيها المصطفى (ص) ومنهج القرآن العظيم... إنها دعوة من القرآن الكريم صريحةً بالسير على وفق ما انتهجه أهل البيت (ع) لأنهم السنام الأعظم لدين محمد (ص) وبهم تستقيم الدنيا وبنورهم ينكشف الدجى، لذلك أعلن النبي (ص) حربه على من ابغضهم وناوئهم وعدَّ ذلك بغضاً ومناوئةً لله ورسوله (ص)، ففي الخبر انه (ص) نظر إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال " إنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم"[٥].

---

(١) ينظر تفاصيل ذلت في: الطبرسي: مجمع البيان: ٢/٤٥٣.

(٢) ينظر ذلك في: الشبلنجي: نور الأبصار: ١٢٢

(٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن: ٢٥٨/٣.

(٤) الإسراء/٧٠.

(٥) الطبراني: المعجم الكبير: ٤١/٣.

لقد أدرك نصارى نجران ذلك وأوجسوا خيفة حين رأوا الزهراء (ع) قد اصطحبها النبي الكريم (ص) وهو أمر مريب حقاً في أن تُصطحب امرأة مع بنيها وعباقرة قومها لحوار ومجادلات ومساجلات سيكتب التاريخ لها ولحدثها ذكرٌ لا ينسى وهذا ما لم يدأب عليه نبي أو صدّيق أو وصي سابق سوى محمد (ص) لأنه استند إلى أمر لا يمكن أن يقهر ولو كان الإنس والجن بعضهم لبعض ظهيرا. وإقدام النبي (ص) على هذا الأمر إنما يعني تفعيل الولاء لهؤلاء (ع) من باب الإقرار لأمر السماء حيث (يجب الإقرار بكل ما جاء به النبي (ص)... بوجوب الواجبات وتحريم المحرمات وندب المندوبات والنص على الأئمة وغير ذلك من الأخبار... ويجب الإقرار بذلك اجمع والتصديق به لان ذلك كله أمر ممكن لا استحالة فيه وقد اخبر الصادق بوقوعه فيكون حقاً)[1].

وقد أدرك صاحب الكَشّاف هو الآخر هذا المنحى فقد كرَّس بلاغته المعهودة في كتابه هذا قائلاً على لسان أسقف نجران لقومه: (يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا يا أبا القاسم! رأينا ألا نباهلك، وان نقرك على دينك، ونثبت على ديننا، قال: فإذا أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا. قال: فاني أناجزكم[2]، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على ألا تغزونا ولا تخيفنا، ولا تردَّنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة، ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية[3] من حديد، فصالحهم على ذلك، وقال: والذي نفسي بيده أن الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولأضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا[4]).

أقول: لقد نقل الزمخشري هذا النص الذي تكاد النفوس تبلغ الحناجر عند سماعه.. انه والله صدى الزهراء (ع) يرنُّ في أذان التاريخ وأسماع الخلائق معاً، سواء كانت هذه الخلائق من النصارى أم من اليهود أم من المسلمين وسواء كانت من الجن أم من الأنس بل وحتى لو كانت من الحجر الأصم ولله در من قال[5]:

---

(١) المقداد السيوري: النافع يونس الحشر: ٢٦٦.

(٢) أناجزكم: أي أحاربكم.

(٣) درعا عادية: أي مجربة محكمة عريقة.

(٤) ينظر هذا النص في: الزمخشري: الكشاف: ١/٣٢٥.

(٥) ابن الصباغ: الفصول المهمة: ٢٧ وما بعدها.

وينظر: جواد جعفر الخليلي: محاكمات الخلفاء واتباعهم: ٢٥.

هـم العـروة الـوثقى لمعتـصم بهـا	منـاقبهم جـاءت بـوحي وإنـزال
مناقـب في شـورى وسـورة هـل أتـى	وفي سـورة الأحـزاب يعرفهـا التـالي
وهـم آل بيـت المـصطفى فـودادهم	علـى النـاس مفـروض بحكـم سـجال

لقد كان مجيء الزهراء (ع) مع هذا العدد المقتضب من آل الله ثورة على المناوئين وأهل البغي وقمعٌ لمحاولات الطغاة ومحاولة لإطفاء مكامن الحقد التي ستودي بحياة الإسلام لو لا ذلك المجيء، إنها تصدت (سلام الله عليها) للحيلولة دون تحقق النتائج الخطيرة والمتوقعة من ذوي الصلف والجهل الأعمى[1]، لقد تصدت سيدتي الزهراء بل وأخبرت عن هؤلاء بقولها: (أما لعمر الله لقد لَقُحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوها طلاع العقب دماً عبيطاً.. هناك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أسسه الأولون ثم طيبوا من أنفسكم نفسا، واطمئنوا للفتنة جأشاً وابشروا بسيف صارمٍ، وهرجٍ شاملٍ، واستبدادٍ من الظالمين يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيداً...)[2].

وبهذه الكلمات البليغة التي أطلقتها سيدتنا الزهراء (ع) والتي احتوت مفاصلها المقتضبة بما ستؤول إليها الأحداث بعدها وصفاً ومضموناً لأفعال ستفتعلها الأوباش من سلبٍ وتهميشٍ وتقتيلٍ لفضائل السماء التي جسَّدها رسول الإنسانية(ص) (والتي أدت إلى ان يستلم زمام الحكم غير أهله، وتطبق الشريعة وهي مملوءة بالأراجيف والشبهات، وينقسم الدين الحنيف إلى طوائف ومذاهب، وتمزَّق الوحدة شر ممزق، وتعود الطائفية والعصبية والسخرية التي نهى عنها القرآن)[3].

وتعود المودة التي أمر بها القرآن الكريم لآل رسول الله (ص) عداءً من قبل هؤلاء (وإن التعامل الفظ لساسة المجتمع في صدر الإسلام أدى إلى اعتزال الناس لأهل البيت)[4].

لذلك لم يكن الوصف الذي عبرت عنه سيدتنا الزهراء (ع) صادراً عن فراغ أو مبعوثا عن عاطفة.

لقد أبلغت والله فأوجزت، وأوجزت فصدقت لأنها أومأت إلى (إن الهدى لا ينتشر إلا من حيث ينتشر الضلال)[5] وحدث كما أخبرت، وحق قولها فكانت من الله قريبة

---

(١) محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ: ١٢.

(٢) ينظر قول الزهراء (ع) هذا في: ابن طيفور: بلاغات النساء: ١٢.

(٣) جواد جعفر الخليلي: محاكمات الخلفاء وأتباعهم: ٩.

(٤) رسول جعفريان: الحياة الفكرية والسياسية لائمة أهل البيت (ع): ٣٧.

(٥) عبد الحسين شرف الدين: في مقدمته لكتاب السقيفة لمؤلفه محمد رضا المظفر: ٨.
وينظر: محمد رضا المظفر: السقيفة: ٨.

ولعظمته رقيبة... حيث الحق الذي جرى على السنة النصارى باضطرام واديهم ناراً إن جحدوا حقها، وقول الأسقف بان الجبل سيزول لو سألت من الله ذلك، ولا بد لنور النبوة من أن يملأ الدنيا ليحرق من أضمر بنفسه سوءً وحقداً لهؤلاء الذين اتَّصفوا بكل معايير الاستقامة، فكانت عدالتهم وتقيتهم وقربهم من الله حدا لا يدانيها نبي ولا صديق أو مرسل أو وصي.

لقد ذهبت سيدتنا الزهراء (ع) وهي في أعلى درجات العظمة والشهادة والجهاد والسمو، واقترنت بمن صان الإسلام وحافظ على بيضته ومنع انهياره فيما لو وقع بين أيدي الطغاة والخونة (فالذي منع الانشقاق وحال بين الانقسام هو الإمام علي بن أبي طالب الذي اكتفى بالاحتجاج العلمي والعيش مع البحث العلمي في القرآن وإلى جانبه زوجته بنت النبي محمد (ص) وقد أكل الحزن جسدها النحيل فلم تقاوم سوى تلك الشهور لتبقى حية، وقد فارق والدها (ص) الحياة)[1].

سلام عليك سيدتي يوم ولدت ويم ذهبت شهيدة مجاهدة صابرة ويوم تبعثين حية لنفوز بشفاعتك يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

خلاصة البحث ونتائجه:

١- لا خلاف بين أهل القبلة بأن آل بيت رسول (ص) هم العترة الطاهرة التي لم تنجسها الجاهلية بأنجاسها، ولم يجرؤ أحد أن يتهمهم بأية منقصة أو إشكال، حيث أنهم عدل القرآن وصنوه ما دام رسول الله (ص) عدله وصنوه.

٢- (أهل البيت) مصطلح أرادت قوى البغي إبعاده عن الكواكب الذين طالما شقى رسول الله (ص) وجاهد وسعى من أجل أن يكون هذا اللفظ خاص بهم، ولا يطلق على سواهم مهما كانت الأسباب، حيث وصل أمره بهم إلى احتضانهم بكسائه وضمَّهم إليه تحته وأبعد حتى أعز الناس من نسوته كي يصمد أمام قبح الغادرين والمتمردين والخونة.

٣- (فاطمة ـ ع ـ) هي النبع الصافي، وهي الحوراء الإنسية، وهي من طراز وعبق الجنان ونسيم الطهارة، وهي أم أبيها الذي صدح الصوت المحمدي بأن يجعلها قطعة من بدنه وروحه التي بين جنبيه، وأخبر مناوئيها بأن (لظى) مسكن خلودهم، والجنة المأوى لمن أحبها ونصرها، والنصوص الشريفة بكل الاتجاهات ومن الجميع تشهد بذلك.

---

(١) حسن العلوي: عمر والتشيع: ١١٥.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

١- الأصفهاني (الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الراغب ت ٥٠٢هـ)، مفردات القرآن، منشورات الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، بيروت.

٢- جعفريان، رسول: الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت (ع)، دار الحق للمنشورات، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، بيروت.

٣- الحائري، محمد مهدي، شجر طوبى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م، بيروت.

٤- الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد النيسابوري ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، مطبعة حيدر آباد، الدكن، ١٣٢٤هـ.

٥- الحسيني، راضي، معرفة أهل البيت (ع) في ضوء الكتاب والسنة – دراسة وتحليل – مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الأولى، مطبعة الشريعة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، قم.

٦- الحكيم، محمد تقي، الاصول العامة للفقه المقارن، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، بيروت.

٧- الحكيم، محمد سعيد الطباطبائي، في رحاب العقيدة – حوار مع سماحته – مؤسسة المرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، بيروت.

٨- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، منشورات دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، بيروت.

٩- الخليلي، الدكتور جواد جعفر، محاكمات الخلفاء واتباعهم – دراسة لسيرة عدد من الخلفاء بما فيها من ايجابيات وسلبيات أمام محكمة العدل الإلهي ـ، الإرشاد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، بيروت.

١٠- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق يوسف الحمادي، دار مصر للطباعة.

١١- السيوري (أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف الحلي ت ٨٢٦هـ)، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، تحقيق مشتاق الزيدي، مؤسسة الرافد للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

١٢- السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م، بيروت.

١٣- الشبلنجي (مؤمن بن حسن بن مؤمن من علماء القرن الثالث عشر الهجري) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (ص) ، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، بيروت.

١٤- شرف الدين، عبد الحسين، في مقدمته لكتاب السقيفة لمؤلفه محمد رضا المظفر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الرابعة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م، بيروت.

١٥- الشيرازي، محمد الحسيني، فاطمة الزهراء أفضل أسوة للنساء، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة السابعة، مطبعة النجف الأشرف، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، كربلاء.

١٦- ابن الصباغ (علي بن محمد بن أحمد المكي ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (ع)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، بيروت.

١٧- الصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ، تحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

١٨- الصدر، محمد مهدي، أخلاق آهل البيت (ع)، مراجعة وتصحيح عبد الكريم الزهري، الطبعة الأولى، مطبعة القلم، ١٤٢٧هـ، قم.

١٩- الصفار (أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ ت ٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (ص) تحقيق محمد حسين المعلم، منشورات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ هـ، قم.

٢٠- الطباطبائي (محمد حسين ت ١٤١٠هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢١- الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار احياء التراث العربي، د. ت.

٢٢- الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس)، مجمع البيان في تفسير القرآن ' تحقيق باشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، ١٢٧٩هـ، بيروت.

٢٣- الطريحي (فخر الدين ت ١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، طهران.

٢٤- ابن طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، منشورات الشريف الرضي، قم.

٢٥- العلوي، حسن، عمر والتشيع – ثنائية القطيعة والمشاركة–، منشورات دار الزوراء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، لندن.

٢٦- القريشي، باقر شريف، السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام – عرض وتحليل –، بدون طبعة ومطبعة ودار نشر.

٢٧- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، منشورات دار الحديث، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، القاهرة.

٢٨- الكوفي (أبو القاسم فرات بن إبراهيم من أعلام الغيبة الصغرى)، تفسير فرات الكوفي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٩- كتاني، سليمان، الإمام علي (ع) نبراس ومتراس، تحقيق هاشم محمد الباججي، (بدون طبعة ومطبعة وسنة طبع).

٣٠- مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ)، الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٣١- المظفر، محمد رضا، السقيفة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الرابعة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م. بيروت.

٣٢- المفيد (محمد بن النعمان العكبري البغدادي ت ٤١٣هـ)، الإرشاد، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، بيروت.

٣٣- منقذ (أسامة ت ٥٨٤هـ)، المنازل والديار، تحقيق مصطفى حجازي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م، القاهرة.

٣٤- الموسوي، فاضل الجابري، وسطع نور الحقيقة – مطارحات في الفكر والعقيدة، منشورات دار نصائح، الطبعة الأولى، مطبعة القلم، ١٤٢٦هـ، قم.

٣٥- النيلي (بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النجفي كان حياً سنة ٨٠٢هـ)، منتخب الأنوار المضيئة في ذكر القائم (عج)، منشورات مؤسسة الإمام الهادي (ع)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، قم.

٣٦- الوائلي، الدكتور أحمد، مجالس ومحاضرات الوائلي – سير المعصومين من آل محمد (ع)، منشورات دار المرتضى، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م. ❖

الإمامة في مرويات الزهراء (سلام الله عليها)

م. د. كريم شاتي السراجي[*]

تعد الإمامة من المسائل المهمة التي تشكلت على أساسها فرق ومذاهب، وتعد أيضاً المسألة الأولى التي أدت إلى ظهور وتطور علم الكلام الإسلامي، وقد حظيت بمكانة مميزة عند جميع المسلمين إذ لم يختلفوا في وجوبها، بل اختلفوا في تفاصيلها، وبذلك قال ابن حزم: (اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة).

لقد روى المسلمون الخاصة والعامة عن رسول الله (ص) حديثاً مهماً في الإمامة يدل على أنها لا تقل أهمية عن التوحيد والنبوة والمعاد إذ قال (ص): (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) وقد روي هذا الحديث بالألفاظ المختلفة عند المسلمين إلا أن المعنى واحد، وبما أن الحديث قد ورد عند جميع المسلمين فهو قرينه قاطعة على صدوره عن رسول الله (ص) وصحته.

وعلى الرغم من أهمية هذه المسألة في حياة المسلمين ومركزيتها الدينية التي بينتها الآيات والروايات، إلا أن أعظم الاختلاف بين الأمة قد وقع فيها، وما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُل على الإمامة في كل زمان، كما قال الشهرستاني في ملله.

تميزت الشيعة الإمامية عن بقية المسلمين بهذه المسألة حيث إذ جعلوا الإمامة أصلا من أصول الدين وهي استمرار للنبوة واشترطوا لها شروطاً كالعصمة وأنها واجبة عقلاً على الله تعالى لأنها لطف كالنبوة فيجب على الله تعالى من باب لطفه أن يعين للناس إماماً بعد نبيهم وقد عين اثني عشر إماما أولهم علي (ع) وآخرهم الحجة المنتظر (عج) وهي عندهم زعامة اجتماعية وسياسة مرجعية دينية، ولهذا وردت روايات كثيرة عن الرسول (ص) وأهل بيته الطاهرين.

وفي هذه البحث نتناول الإمامة من خلال ما ورد من روايات وخطب وكلمات عن سيدة النساء فاطمة الزهراء، إذ نتناول هذه الروايات من خلال محورين المحور الأول ما ورد في خصوص إمامة علي بن أبي طالب (ع) والمحور الثاني ما ورد من روايات بحق الأئمة الاثني عشر (ع).

أولاً: مفهوم الإمامة

كلمة الإمام في الأصل واللغة لا تتضمن في حد ذاتها مفهوماً مقدساً، فالإمام هو المؤتم به والمقتدى والمتبع والمقدم في جميع الأمور سواء كان محقاً أم باطلاً، يقود إلى الجنة أم إلى النار، (فكل من قدم في الأمور فهو إمام، والنبي إمام الأمة والخليفة إمام الرعية، والقران إمام المسلمين)[1]

(*) كلية الفقه، جامعة الكوفة.

(١) الفراهيدي: كتاب العين/٥٥.

وجمع إمام أئمة واستعمل في القرآن الكريم لمن يتقدم ويقتدي ويؤتم به في الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾(الإسراء/٧١) أي بمن يقتدون به بغض النظر عن كونه إمام حق أو باطل، وفي الحق قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (الأنبياء/٧٣) وفي الباطل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾(القصص/٤١) فالإمام إذن في الأصل هو المقدم والمقتدى والمتبع والأسوة مع قطع النظر عن كونه محقاً أم باطلاً، وفي الاصطلاح عرف بعده تعريفاً منها:

قال القاضي الإيجي (ت ٦٥٦هـ): (هي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب إتباعه على كافة الأمة)[١].

وقال المحقق نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ): (الإمامة رئاسة دينية مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينية والدنيوية، و زجرهم عما يضرهم بحسبها)[٢].

وقال العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ): (الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي (ص))[٣].

وقال التفتازاني (ت ٧٩٣هـ): (الإمامة رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي(ص))[٤].

وقال الجرجاني (ت ٨١٦هـ): (الإمام هو الذي له رئاسة عامة في الدين والدنيا جميعاً)[٥]

من خلال ملاحظة هذه التعريفات نجد أنها جميعاً تشترك في أن الإمام يمثل القيادة العليا للمجتمع على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي

إلا أن ما تميزت به المدرسة الإمامية عن باقي المسلمين هو في أنها تعتقد أن الإمام هو المرجعية الدينية الوحيدة بعد الرسول (ص) في بيان الدين وان الناس قد أمرت بالرجوع إليه في اخذ معالم الدين الحق لأنه الإنسان الكامل المعصوم المسدد الذي لا يخطأ وهذه العصمة والتسديد قد خص بها الإمام دون غيره من الناس بعد رسول الله (ص) وان الإمام قد اخذ علومه عن طريق الرسول الأكرم (ص) وبطريق غيبي نحن لا نعلمه، وليس عن طريق التعلم والكسب كما هو عند الناس العاديين فعلمه لا يخالطه الخطأ والنسيان فقولهم وفعلهم حجة شرعية كقول وفعل رسول الله (ص) على أن الجمهور من المسلمين لا يعتقدون بهذه العقيدة للخلفاء وكبار الصحابة لذلك يوردون في كتبهم الأخطاء الكثيرة في المسائل الدينية عن أبي

---

(١) المواقف: ٣٩٥.

(٢) كشف الفوائد في شرح قواعد القواعد/٢٩٥.

(٣) الباب الحادي عشر: ٨٢.

(٤) شرح المقاصد ٤٦٩/٣.

(٥) التعريفات: ٢٨.

بكر وعمر وعثمان، فينقلون عن أبي بكر (أنا بشر ولست بخير من أحدكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوموني واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني)[١].

ومع إقراره هذا كيف يكون إماما وهاديا للناس وكيف يجب على المسلمين إتباعه والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ فهل يأمرنا الله بمتابعة من له شيطان يعتريه حاشا الله.

وعن عمر أخطاء كثيرة حتى قال هو عن نفسه حتى النساء أعلم من عمر[٢]، ولولا علي لهلك عمر[٣] الذي أصبح مضرب الأمثال.

ثم أن الإمامية تعتقد أن الإمامة تمثل مرتبة سامية ومهمة وهي مرتبة الإنسان الكامل الذي يمثل الجانب التكويني في نظام الوجود وهذا ما اقتضته الحكمة الإلهية من وجود الوسائل والأسباب فكما إن العطش لا يرتفع إلا من خلال شرب الماء، فكذلك لا يدار نظام الوجود إلا من خلال الإمام. والى هذه الحقيقة أشارت مجموعة من الروايات عن أهل البيت (ع) منها عن أبي عبدالله الصادق (ع) عندما سُئل (أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال (ع) لو بقيت بغير إمام لساخت)[٤] أي انهدمت وانخسفت بأهلها

وعن الإمام الرضا (ع) عندما قيل له: (أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال (ع) لا، قلت فإنما نروي عن أبي عبد لله (ع) إنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى إذا لساخت)[٥].

فالإمام يريد أن يقول من خلال هذه الروايات إن هذا النظام وهذا الوجود يحتاج إلى وجودي كما يحتاج رفع العطش إلى وجود الماء

وهذا المعنى تؤكده روايات أخرى تشير إلى أن الأرض لا تخلو من حجة، وان الله ما ترك أرضا منذ قبض ادم (ع) إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله وهو حجته على عباده، فعن أبي عبدالله الصادق (ع) (لو بقي اثنان لكان أحدهما الحجة على صاحبه)[٦].

والسبب في ذلك إننا نتكلم في الهداية التكوينية، وهي الإيصال إلى المطلوب، فلو كان في الأرض إنسان واحد فقط لكان ينبغي أن يكون له دليل وموصل إلى المطلوب[٧].

---

(١) ابن حجر: الصواعق المحرقة/١٢.
(٢) ابن طاووس: الطرائف/٤٧.
(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ١١٠٣/٣.
(٤) الكليني: أصول الكافي ١٧٩/١ ج ١٠ كتاب الحجة.
(٥) م. ن ١١/١٧٩/١.
(٦) م. ن١/١٠١/ج ٢.
(٧) ظ: كمال الحيدري: بحث حول الإمامة/١٤٥ ـ ١٤٧.

وهذا ما يؤيده الحديث الوارد عن الصادق (ع) في الانتفاع بالإمام ولو كان غائبا حيث يقول (ع) انه كالشمس إذا سترها السحاب فالناس تنتفع بها[١] فالإمامة عند الشيعة الإمامية هي كالنبوة لطف من الله تعالى تقرب الناس إلى الطاعة وتبعدهم عن المعصية وهي زعامة ورئاسة دينية واجتماعية وسياسية معصومة لا تخطأ ولا تسهو مسددة من الله تعالى وهي كالتوحيد والنبوة من جحدها مات ميتة الجاهلية كما جاء في الحديث النبوي الشريف المروي عند الفريقين قال (ص): (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[٢] ولذلك عد الشيعة الإمامية الإمامة من أصول الدين وليست من الفروع، فهي نيابة عن النبي (ص) وهي من شؤون النبوة ومتعلقاتها. بخلاف الجمهور الذين جعلوها من فروع الدين لا من المسائل العقيدية.

وبذلك قال صاحب كتاب المواقف: الإمامة عندنا من الفروع وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسياً بمن قبلنا[٣]. وقال التفتازاني أيضاً: الإمامة من الفروع إلا أنه أدرجت مباحثها في الكلام[٤].

ثانياً: إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في مرويات الزهراء (ع)

إن المتتبع لخطب الزهراء وما ورد في كلماتها ورواياتها المنقولة عنها (س) يجد انها تدور حول قضية المسلمين الكبرى وهي قضية الأئمة الاثني عشر وخصوص إمامة أمير المؤمنين (ع) فقد وقفت إلى جانب الإمام علي (ع) وأحقيته بالخلافة بعد رسول الله (ص) وكانت تلتقي بالمهاجرين والأنصار وتحاورهم في ذلك وقد ذكرت بعض الكتب التاريخية أن عليا (ع) خرج يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابة ليلاً في مجلس الأنصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به فيقول علي كرم الله وجهه أفكنت ادع رسول الله (ص) في بيته لم ادفنه وأخرج أنازع الناس في سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[٥].

وأيضاً ورد فيه أنه عندما جيء بعلي (ع) وأريد إكراهه على البيعة من قبل عمر وجماعته، فقال عمر لأبي بكر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه[٦].

---

(١) الصدوق: إكمال الدين/١٩٩/ب العلة التي من اجلها يحتاج إلى الإمام (ع) ح ٢٢.

(٢) الصدوق: إكمال الدين/٣١٧/ب٣٢/ح٩، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)/المسند ٩٦/٤ دار صادر بيروت.

(٣) الايجي: ٣٩٥.

(٤) شرح المقاصد: ٤٦٩/٣.

(٥) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١٩/١.

(٦) م.ن/٢٠.

فقد كانت له سنداً وعوناً.... وركناً شديداً في محنته بعد رحيل الرسول الأكرم (ص) وبرحيلها قد أنهدم ركناه فقد ورد عن الرسول (ص) إنه قال لعلي (ع) (فعن قليل يذهب ركناك، والله خليفتي عليك، فلما قبض رسول الله (ص) قال (ع): هذا أحد الركنين، فلما ماتت فاطمة (ع) قال: هذا الركن الآخر)[1].

أما ما ورد منها من روايات وكلمات وخطب في حق علي (ع) وإمامته فهي كثيرة منها:

١ ـ روى القندوزي في ينابيع المودة عن فاطمة الزهراء (ع) أنها قالت سمعت أبي رسول الله (ص) في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً يسيراً وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، إلا أني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي ثم أخذ بيد علي (ع) فقال: هذا علي مع القران.

والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألكم ما تخلفوني فيهما[2].

قال القندوزي بعد أن روى هذا الحديث: (وفي الصواعق المحرقة روى هذا الحديث ثلاثون صحابيا وان كثيرا من طرقه صحيح حسن)[3].

ومن المعلوم أن القرآن هو إمام المسلمين وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل فكذلك العترة وخصوص علي (ع) حيث انه مع القرآن لا يفترقان فكما أن القرآن إمام للمسلمين فكذلك علي هو إمام للمسلمين لأنه مع القرآن وهو القرآن الناطق كما ورد في قوله (ع)[4].

٢ ـ عن فاطمة (ع) قالت قال رسول الله (ص) لعلي أما أنك يا علي وشيعتك في الجنة[5].

وقد ورد هذا المعنى في روايات كثيرة عن الفريقين[6].

٣ ـ روى الخزاز القمي الرازي في كفاية الأثر عن فاطمة الزهراء بسند متصل عن محمود بن لبيد قال: لما قبض رسول الله (ص) كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة (رضي الله عنه) فوجدتها صلوات الله عليها تبكي هناك، فأمهلتها حتى سكتت فأتيتها وسلمت عليها.... إلى أن قال: قلت يا سيدتي إني سائلك عن مسألة تلجلج في صدري، قالت (س): سل: قلت هل نص رسول الله (ص) قبل وفاته على علي (ع) بالإمامة؟ قالت:

---

(١) أحمد بن عبدالله الطبري/ذخائر العقبى/٥٦ أحمد بن عبدالله الطبري (ت ٦٩٤هـ) مكتبة القدسي/ القاهرة.

(٢) ينابيع المودة ١٢٤/١ (القندوزي ت ١٢٩٤ هـ) تحقيق سيد علي.

(٣) م. ن ١٢٣/١ جمال اشرف الحسيني ط١ ١٤١٦ هـ دار آسوة.

(٤) م. ن ٢١٤/١.

(٥) دلائل الإمامة/٢ ـ ٣.

(٦) الهيثمي/مجمع الزوائد ١٢١/٩ (ت ٨٠٧ هـ دار الكتب العلمية بيروت) الطبراني المعجم الكبير ٣١٩/١/ج ٩٤٨ (ت ٣٦٠ هـ) دار إحياء التراث العربي.

واعجباه أنسيتم يوم غدير خم. قلت: قد كان ذلك، ولكن اخبريني بما أسر إليك قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: علي خير من اخلفه فيكم وهو الإمام والخليفة بعدي....)[١].

وحديث الغدير من الأحاديث المتواترة عند المسلمين حيث رواه جمع كبير من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين[٢].

٤ - عن علي بن موسى الرضا وعن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله (ص): أن النبي (ص) قال: (من كنت وليُه فعلي وليُه، ومن كنت إمامه فعلي إمامه)[٣].

والحديث بهذا السند الذهبي حيث السلسلة بأجمعها أئمة معصومون مطهرون إلى فاطمة (س) المعصومة المطهرة إلى رسول الله (ص) ودلالته واضحة على الإمامة.

٥ - ما جاء في خطبتها (س) المعروفة بالفدكية التي ألقتها في مسجد رسول الله (ص) في حشد من الصحابة، إلى أن قالت فيها كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان وفغرت فأغرت من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهيبها بسيفه مكدود في ذات الله مجتهد في أمر الله قريب من رسول الله سيد أولياء الله، مشمر ناصح مجد كادح، وانتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار.... إلى أن قالت (ع) فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق وشمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين...)[٤].

ففي هذه الأسطر من الخطبة تتكلم سيدة النساء عن أمير المؤمنين وتصفه بسيد الأولياء وانه المجتهد في أمر الله القريب من رسول الله (ص) وتصف الذين استبدوا بالأمر بعد رسول الله (ص) بالنفاق والتربص بأهل البيت (ع).

٦ - ومن كلام لها سلام الله عليها مع نساء المهاجرين والأنصار عن فاطمة بنت الحسين (ع) قالت لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها يا بنت رسول الله: كيف أصبحت عن علتك؟ فقالت (ع): أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم.. وبئس ما قدمت لهم أنفسهم إن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم غارها، فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين.

---

(١) كفاية الأثر: ٣٠٢/ح ١٢٣.

(٢) ظ: موسوعة الغدير للعلامة الأميني.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا ٦٩/١ ج ٢٧٨ (ت ٣٨١ هـ) الأعلمي/بيروت.

(٤) ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة ٢٧١/١٦. الجوهري/سقيفة وفدك/١٤٣، (ت ٣٢٣هـ) شركة الكتبي/ بيروت ط ٢ ١٤١٣هـ.

ويحهم إنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين إلا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي الحسن نقموا والله منه نكير سيفه وشدة وطئه ونكال وقعته وتنمره في ذات الله عز وجل. والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله (ص) إليه لأعتلقه، ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفتاه ولأصدرهم بطاناً قد تحير بهم الري غير متحل منه بطائل الا بغمر الماء وردعة شرره الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلم فأسمع وما عشت أراك الدهر العجب، وان تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أي إسناد استندوا وبأي عروة تمسكوا، استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل فرغم المعاصي قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس/٣٥).

أما لعمري لقد لقحت فنظرت ريث ما تنتج ثم احتلبوا طلاع القصب دماً عبيطاً، وذعافاً حمقراً، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما سن الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً وطمأنوا للفتنة جأشاً وابشروا بسيف صارم، وهرب شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً فيا حسرتي لكم وإني بكم وقد عميت عليكم إنلزمكموها وأنتم لها كارهون[١].

ففي كلامها (س) ما يبين موقعية أبي الحسن (ع) عند الله والرسول (ص) وإنه الأجدر والإمام الأوحد بعد رسول الله (ص) وإنهم الخاسرون في الدنيا والآخرة والمفسدون بعلمهم هذا وأن الزهراء (س) قد امتلئ قلبها ألما وحزنا لهذا الأمر الفظيع الذي فيه خروج عن إرادة السماء والنبي الأكرم (ص).

وبهذه الروايات والخطب والكلمات كفاية في بيان إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مرويات الزهراء ووقوفها (س) إلى جنبه في حقه ودفاعها عن إمامته (س).

ثالثاً: روايات الأئمة الاثني عشر

اتفقت الإمامية على انه لابد في كل زمان من وجود إمام يحتج الله به على العباد وإنه لا يكون إلا معصوماً عالماً كاملاً في الفضل وان الإمامة لا تثبت إلا بالنص عليه وإنها في علي بن أبي طالب خاصة والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين (ع) بنص رسول الله (ص) وقد وردت روايات بهذا المعنى كثير عن رسول الله (ص) تدل على إمامة الأئمة الاثني عشر رواها الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وخرجتها صحاح المسلمين، وكتبت مؤلفات في ذلك منها على سبيل المثال

---

(١) ظ: الطبرسي: الاحتجاج ١/ ١٣٠ - ١٣٢/ابن أبي حديد/شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٦٠.

كتاب كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر، الذي قال فيه مصنفه: ذكرت الأحاديث التي دلت على إمامة الأئمة الاثني عشر بروايات صحيحة الأسانيد متصلة بأصحاب رسول الله المعروفين مثل عبدالله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وجابر بن سمرة وجابر بن عبدالله الأنصاري وانس بن مالك وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم وأبي إمامة وواثلة بن الأسقع وأبي أيوب أُسيد وعمران بن الحصين وسعد بن مالك وحذيفة بن اليمان وأبي قتادة الأنصاري وعلي بن أبي طالب(ع) والحسن والحسين، ومن النساء أم سلمة وعائشة، وفاطمة (ع)[١].

وقد وردت روايات أخرى كثيرة وبالخصوص في كتب العامة عن الأئمة الاثني عشر ولكن بدون ذكر الأسماء وبألفاظ عدة منها: يكون بعدي اثنا عشر أميراً[٢]، واثنا عشر رجلاً[٣] كلهم من قريش. بهذا الصدد يقول المرجع الشهيد (رض) ـ الذي اعتمد المنهج الاستقرائي في كثير من أبحاثه العلمية وبالخصوص العقائدية ـ: إن أحاديث الأئمة الاثني عشر من الأحاديث الصحيحة التي اتفق المسلمون على روايتها عن رسول الله (ص) ثم ذكرهم واحداً واحداً إلى آخرهم وقائمهم الحجة بن الحسن (ع)[٤].

وكان ممن رووا حديث الأئمة الاثني عشر عن رسول الله (ص) فاطمة الزهراء وأيضاً روت حديث اللوح الذي فيه أسماء الأئمة الاثني عشر وقد ذكر صاحب كتاب كفاية الأثر مجموعة من الروايات عن الزهراء (س) قال باب ما جاء عن فاطمة (س) عن النبي في النصوص على الأئمة الاثني عشر:

١- أخبرنا أبو المفضل قال: حدثنا أبو بكر محمد بن مسعود النيلي قال حدثنا الحسين بن عقيل الأنصاري قال حدثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد قال: حدثنا عبدالله بن موسى عن أبي خالد عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن عمته زينب بنت علي (ع) عن فاطمة (ع) قالت: دخل إلي رسول الله (ص) عند ولادتي الحسين (ع) فناولته إياه في خرقة صفراء (فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء) فلفه فيها ثم قال: (خذيه يا فاطمة فإنه الإمام وأبو الأئمة تسعة من صلبه أئمة أبرار والتاسع قائمهم).

---

(١) الخزاز القمي: كفاية الأثر/٣٢ - ٣٤.

(٢) ظ: مسند أحمد بن حنبل ٨٧/٥، صحيح البخاري ١٢٧/٨، سنن الترمذي ٢٤٠/٣ ح ٢٣٢٣، عمدة القاري/العيني ٢٤/المباركفوري/تحفة الأحوذي ٣٩١/٦ الطبراني/المعجم الأوسط ١٨٩/٤/المتقي الهندي/كنز العمال ٥٨٥/١٤ح ٣٩٦٥٧.

(٣) ظ: صحيح مسلم ٣/٦. سنن الترمذي ٨٧/٥ ح ٢٣٦٥/الحاكم النيسابوري/المستدرك على الصحيحين ٣١/٣.

(٤) ظ: الفتاوى الواضحة/٨٥.

٢- حدثني علي بن الحسين قال: حدثني هارون بن موسى قال: حدثني أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن شيبان القزويني قال: حدثنا أبو عمر أحمد بن علي الفيدي قال: حدثنا علي بن سعد بن مسروق قال: حدثنا عبد الكريم هلال عن اسلم المكي عن أبي طفيل عن أبي ذر قال: سمعت فاطمة (ع) تقول: سألت أبي (ع) عن قول الله تبارك وتعالى (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) قال: هم الأئمة بعدي علي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين هم رجال الأعراف لا يدخل الجنة إلا من يعرفهم ويعرفونه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وينكرونه لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتهم

٣- حدثني الحسين بن علي (ع) قال حدثني هارون بن موسى قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الفزاري قال: حدثنا عبدالله بن صالح ـ كاتب الليث ـ قال: حدثنا رشد بن سعد قال: حدثنا أبو يوسف الحسين بن يوسف الأنصاري ـ من بني الخزرج ـ عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سألت فاطمة بنت رسول الله (ص) عن الأئمة فقالت: كان رسول الله (ص) يقول لعلي (ع): يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى الحسين فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى موسى فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى محمد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا مضى الحسن فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها فهم أئمة الحق والسنة الصدق منصور من نصرهم مخذول من خذلهم حدثنا علي بن انحسين قال حدثنا محمد بن الحسين الكوفي قال حدثنا ميسره بن عبدالله قال: حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبدالله القرشي قال: حدثنا محمد بن سعد صاحب الواقدي قال حدثنا محمد بن عمر الواقدي قال حدثني أبو هارون عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة (ع) وفي يدها لوح من زمرد اخضر وذكر الحديث.

٤- وعنه عن محمد قال: حدثني أبي قال: حدثني علي بن قابوس القمي ـ بقم ـ قال: حدثني محمد بن الحسن عن يونس بن ظبيان عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين قال: قالت لي أمي فاطمة: لما ولدتك دخل إلي رسول الله فناولتك إياه في خرقة صفراء فرمى بها واخذ خرقة بيضاء لفك بها وأذن في أذنك الأيمن وأقام في أذنك الأيسر ثم قال: يا فاطمة خذيه فانه أبو الأئمة تسعة من ولده أئمة أبرار والتاسع مهديهم.

٥- أخبرنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب قال حدثنا أبو أحمد عبيدالله بن الحسين النصيبي قال حدثني أبو العيناء قال حدثني يعقوب بن محمد بن علي بن عبد المهيمن عن عباس بن سهل الساعدي عن أبيه قال سالت فاطمة صلوات الله عليها عن الأئمة فقالت سمعت رسول الله يقول الأئمة بعدي عدد نقباء بني إسرائيل.

٦- حدثنا علي بن الحسن قال حدثنا محمد بن الحسين الكوفي قال حدثنا محمد بن علي بن زكريا عن عبدالله بن الضحاك عن هشام بن محمد عن عبد الرحمن عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال: لما قبض سول الله (ص) كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك فلما كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة رضي الله عنه فوجدتها صلوات الله عليها تبكي هناك فأمهلتها حتى سكتت فاتيتها وسلمت عليها وقلت: يا سيدة النسوان قد والله قطعت نياط قلبي من بكائك فقالت: يا أبا عمر يحق لي البكاء ولقد أصبت بخير الإباء رسول الله (ص) واشوقاه إلى رسول الله (ص) ثم أنشأت (ع) تقول:

إذا مات يوماً ميت قل ذكره وذكر أبي مذ مات والله أكثر.

قلت: يا سيدتي إني سائلك عن مسألة تلجلج في صدري قالت: سل

قلت: هل نص رسول الله (ص) قبل وفاته على علي (ع) بالإمامة؟

قالت: واعجباه، أنسيتم يوم غدير خم؟

قلت: قد كان ذلك، ولكن اخبريني بما اسرَ إليك.

قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: علي خير من أخلفه فيكم وهو الإمام والخليفة بعدي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة.

قلت: يا سيدتي فما باله قعد عن حقه؟ قالت: يا أبا عمر، لقد قال رسول الله (ص) مثل الإمام مثل الكعبة إذ تؤتى ولا تأتي - أو قالت: مثل علي - ثم قالت: أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيه لما اختلف في الله تعالى اثنان ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين ولكن قدموا من آخره الله وأخروا من قدمه الله حتى إذا الحد المبعوث وأودعوه الجدث المجدوث اختاروا بشهوتهم وعملوا بآرائهم تبا لهم أو لم يسمعوا الله يقول ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ هيهات بسطوا في الدنيا آمالهم ونسوا آجالهم فتعسا لهم وأضل أعمالهم أعوذ بك يا رب من الحور بعد الكور.

فهذه فاطمة روت عنها: ابنتها زينب بنت علي وأبو ذر وسهل بن سعد الأنصاري وجابر بن عبدالله الأنصاري والحسين بن علي بن أبي طالب وعباس بن سهل الساعدي.

وقد ورد حديث الأئمة الاثني عشر بأسمائهم في كثير من كتب الإمامية منها كتاب الكافي[١] وكتاب إكمال الدين[٢] والخصائص[٣] للشيخ المفيد والأمالي[٤] للطوسي.

أما حديث اللواح الذي ورد عن الزهراء (ع) الذي فيه أسماء الأئمة الاثني عشر. فعن أبي عبدالله الصادق قال: **قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري لي إليك حاجة أريد أن أخلو بك فيها فلما خلا به في بعض الأيام قال له أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة (ع) قال جابر أشهد بالله لقد دخلت على فاطمة بنت رسول الله (ص) لأهنئها بولدها الحسين (ع) فإذا بيدها لوح اخضر من زبرجدة خضراء فيه كتاب أنور من الشمس وأطيب رائحة من المسك الأذفر.**

فقلت ما هذا يا بنت رسول الله؟ فقالت هذا لوح أهداه الله عز وجل إلى أبي فيه اسم أبي واسم بعلي واسم الأوصياء بعده من ولدي فسألتها أن تدفعه إلي لأنسخه ففعلت فقال له: فهل لك أن تعارضني بها؟ قال: نعم

فمضى جابر إلى منزله واتى بصحيفة من كاغذ فقال له: انظر في صحيفتك حتى أقرؤها عليك فكان في صحيفته مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز العليم انزله الروح الأمين إلى محمد خاتم النبيين يا محمد عظم أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي ولا ترج سواي ولا تخشى غيري إلى أن قال: يا محمد إني اصطفيتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء وجعلت الحسن عيبة علمي من بعد انقضاء مدة أبيه والحسين (ع) خير أولاد الأولين والآخرين فيه تثبت الإمامة ومنه يعقب علي زين العابدين ومحمد الباقر لعلمي والداعي إلى سبيلي على منهاج الحق وجعفر الصادق في القول والعمل.

فالويل كل الويل للمكذب بعبدي وخيرتي من خلقي موسى (ع) وعلي الرضا ومحمد الهادي يخرج منه ذو الاسمين علي والحسن والخلف محمد يخرج آخر الزمان على رأسه غمامة بضاء تضله من الشمس ينادي بلسان فصيح يسمعه الثقلين هو المهدي من آل محمد...

وقد أورد هذا الحديث الصدوق[٥] في إكمال الدين بطرق وأسانيد مختلفة وأورده أيضاً الكليني[٦] في الكافي والشيخ المفيد[٧] والشيخ الطوسي[٨] وغيرهم كثير.

---

(١) الكليني ٣١٧/١ بما جاء في الاثني عشر والنص عليهم.
(٢) الصدوق/٢٩٠ – ٢٩٤.
(٣) المفيد: ٢١٠.
(٤) الطوسي: ٢٩١.
(٥) إكمال الدين: ٢٩٠ ـ ٢٩٤.
(٦) الكافي ٣/٣١٧/١.
(٧) الاختصاص/٢١٠.
(٨) الأمالي/٢٩١.

وأخيراً إن حديث الاثني عشر المروي عند الجمهور ليس له مصداق عندهم. وهو ولا ينسجم مع أطروحتهم في مسألة الإمامة ولذلك اضطربوا في تفسيره إلا انه ينسجم بالتمام مع عقيدة الشيعة الإمامية وهذا ما أكدت عليه النصوص الكثيرة الواردة عن الرسول (ص) وأهل بيته وأصحابه ومنها النصوص المتقدمة عن سيدة النساء فاطمة الزهراء حيث أنها روت أحاديث الأئمة الاثني عشر بأسمائهم عن رسول الله (ص) وحديث اللوح الذي فيه أسماء الأئمة من علي بن أبي طالب إلى قائمهم المهدي المنتظر (عج).

المصادر

- القرآن الكريم

❖ الإيجي، القاضي عبد الرحمن بن أحمد (ت ٦٥٦: هـ)

١ - المواقف، عالم الكتاب، بيروت

❖ البخاري، أبو عبد الله حمد بن إسماعيل (ت: ٢٦٥هـ)

٢ - صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ

❖ الترمذي، أبو عيسى حمد بن عيسى (ت: ٢٧٩ هـ)

٣ - سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت ط ٢ ١٤٠٣هـ

❖ التفتازاني، سعد الدين (ت: ٧٩٣ هـ)

٤ - شرح المقاصد، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٢ ٢٠١١م

❖ الجرجاني، الشريف علي بن محمد (ت: ٨١٦ هـ)

٥ - التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢ ٢٠٠٣م

❖ الجوهري، (ت: ٣٢٣هـ)

٦ - السقيفة، شركة الكتبي، بيروت ط٢ ١٤١٣ هـ

❖ الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)

٧ - المستدرك على الصحيحين

❖ ابن حجر، أحمد الهيثمي (ت: ٩٧٤ هـ)

٨ - الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة

❖ ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين عبد الحميد (ت: ٦٥٦ هـ)

٩ - شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط٢ ١٤٢٥هـ

❖ الحلي، العلامة الحسن بن يوسف المطهر (ت: ٧٢٦ هـ)

١٠ - كشف الفوائد في شرح القواعد، دار الصفوة بيروت ط١ ١٤١٣هـ

❖ ابن حنبل، الامام أحمد (ت: ٢٤١هـ)

١١ - المسند، دار صادر، بيروت

❖ الحيدري، السيد كمال

١٢ - بحث حول الإمامة، دار فراقد، قم ١٤٢٦هـ

❖ الخزار، أبو القاسم علي بن محمد القمي الرازي (ت: القرن الرابع)

١٣ - كماية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر مطبعة قم ط١ ١٤٣٠هـ.

❖ الصدر، محمد باقر
١٤ ـ الفتاوى الواضحة، دار البشير، قم ط٢ ١٤٢٤هـ
❖ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت: ٣٨١هـ)
١٥ ـ إكمال الدين، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٢٤ هـ
١٦ ـ عيون أخبار الرضا (ع) مؤسسة الأعلمي، بيروت
❖ ابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)
١٧ ـ الطرائف، مطبعة الخيام ط١ قم
❖ الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ)
١٨ ـ المعجم الكبير، دار إحياء التراث العربي
١٩ ـ المعجم الأوسط، دار الحرمين، ١٤١٥ هـ
❖ الطبري، أحمد بن عبد الله (ت: ٦٩٤هـ)
٢٠ ـ ذخائر العقبى، مكتبة القدس، القاهرة
❖ الطبرسي، أحمد بن علي
٢١ ـ الاحتجاج، ذوي القربى، قم ط١ ١٤٢٦ هـ
❖ ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)
٢٢ ـ الاستيعاب، دار الجيل، بيروت ط١ ١٤١٢هـ
❖ العيني (ت: ٨٥٥هـ)
٢٣ ـ عمدة القاري، دار إحياء التراث، بيروت
❖ الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)
٢٤ ـ كتاب العين، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ط١ ١٤١٤هـ
❖ ابن قتيبة
٢٥ ـ الإمامة والسياسة، دار المعرفة، بيروت
❖ القندوزي الحنفي (ت: ١٢٩٤)
٢٦ ـ ينابيع المودة، دار أسوة، قم ١٤١٦ هـ
❖ الكليني، حمد بن يعقوب (ت: ٣٢٨)
٢٧ ـ أصول الكافي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط١ ١٤٢٦
❖ المبارك فوري (ت: ١٢٨٢هـ)
٢٨ ـ تحفة الاحوذي، دالا الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٤١٠هـ
❖ المفيد، حمد بن نعمان، (ت: ٤١٣هـ)
٢٩ ـ الاختصاص، دار المفيد، بيروت ط٢ ١٤١٤هـ
❖ المتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)
٣٠ ـ كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ
❖ الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)
٣١ ـ مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، بيروت. ❖

السيّدة فاطمة الزهراء (ع) في التراث الحضاري الإسلامي

د. الشيخ مخلص أحمد الجدة(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمّد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن صفوة صحابته والتابعين.

وبعد

(ولدت أمّنا السيدة فاطمة الزهراء (ع) سنة إحدى وأربعين من مولد النبي (ص) وقال ابن الجوزي: ولدت قبل النبوة بخمس سنين، وروي عن النبي (ص): "إنما سميت فاطمة لأن الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة"، وسميت بتولاً لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله).

تزوجت بسيدنا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) في السنة الثانية بأمر الله سبحانه وتعالى ونبيّه ولها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف، وللإمام علي (ع) إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر، وكانت فاطمة (ع) أحب أهله (ص). روى البخاري أنّ النبي (ص) قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني.. وروى مسلم في صحيحه: أن النبي (ص) قال لها: أو ما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، وفي رواية أحمد: أفضل نساء أهل الجنّة.. وتوفيت بعد أبيها رسول الله (ص) بستة أشهر ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، حسب ما ذكره الإمام والصوفي الكبير الشيخ يوسف النبهاني في: الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية. وولدت لعلي (ع) حسناً وحسيناً ومحسناً، فمات محسن صغيراً، وأمّ كلثوم وزينب (ع) أجمعين، ولم يكن لرسول الله (ص) عقب إلاّ من ابنته فاطمة فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام) فقط.

فقد جعل الله تعالى حياة دينه إلى يوم الدينونة ينبثق من نور أمّنا السيّدة فاطمة الزهراء (ع) ومن نسلها الطاهر الذي يقدسه جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم كافّة وإن اختص تراثها (ع) بمذهب الإمام جعفر بن محمّد الصادق (ع) والذي يعدّ مذهبه الشريف أقدم المذاهب الفقهية الإسلامية، بل هو المذهب الأمّ لبقيّة المذاهب، ومنه انبثقت المذاهب

(*) مؤسس (الأويسكو) المنظمة العالمية لحوار الأديان والحضارات، والرئيس المؤسس لجامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة.

الآخرى وذلك بشهادة أئمتها كالإمام "أبي حنيفة" (رحمه الله تعالى) صاحب المذهب الحنفي والذي يُعَدُّ مذهبه أقدم المذاهب السنيّة، فقد تتلمذ مؤسُّسه "أبو حنيفة النعمان بن ثابت" (رحمه الله تعالى) في مدرسة الإمام جعفر محمّد الصادق (ع) وهو صاحب القول المشهور: "لولا السنتان لهلك النعمان". أي يعني السنتين اللتين تتلمذ فيهما (رضي الله عنه) على يد الإمام الصادق (ع)، كذلك مذهب "الإمام مالك بن أنس" (رحمه الله تعالى) صاحب "الموطأ" الذي أخذ علومه عن الإمام الصادق (ع)، ومن "الإمام مالك" أخذ "الإمام الشافعي" ومن "الإمام الشافعي" أخذ "الإمام أحمد بن حنبل" (رضي الله عنهم جميعاً)، فهؤلاء هم أئمة المذاهب السنيّة الأربعة قد أخذوا علومهم من مدرسة أهل بيت العصمة والطهارة (ع) ونهلوا من ينابيعها الطاهرة والتي انبجست من حوض العلم ومدينة المعارف الكبرى من أمير المؤمنين "الإمام علي بن أبي طالب" (ع) الذي يقول فيه "رسول الله" (ص) في حديث شريف اتفقت كتب الحديث والصحاح على تواتره وصحته ألا وهو قوله (ص): "أنا مدينة العلم وعلي بابها"...

مصحف السيدة فاطمة الزهراء (ع):

حفظ الإمام علي (ع) شريعة سيّد المرسلين (ص) بعد أن دوّن القرآن الكريم بخطه الشريف وكان قد جمعه تنفيذاً لوصيّة رسول الله (ص) وقد أُعتمدت نسخته (ع) وخُطت المصاحف عليها، وإلى يومنا هذا فالمسلمون جميعاً يقرأون القرآن الكريم وفق رواية حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب (ع)، إضافة لتدوينه (ع) للحديث الشريف في عهد رسول الله (ص) في صحيفته الشريفة المشهورة وهو القائل: "ما عندنا كتاب نقرأه عليكم إلاّ كتاب الله وهذه الصحيفة" كما جاء ذلك في كتب الرواة وكتب الصحاح. كذلك صحيفة السيدة فاطمة الزهراء (ع) والتي دونت فيها أحاديث أبيها المصطفى (ص) وإنّ كان البعض ينبز إخواننا لهم في الدين بأنّ لهم مصحفاً يسمّى مصحف فاطمة!! ويا للعجب!! وهو ليس سوى الصحيفة التي دونت فيها (ع) أحاديث أبيها رسول الله(ص)...!!

وهل للمسلمين مصحف غير القرآن الذي يتلى على أبيها الحبيب المصطفى (ص) آناء الليل وأطراف النهار!؟

وقد احتفظ الإمام الحسن السبط (ع) ومن بعده أخوه الإمام الحسين السبط الشهيد (ع) بهاتين الصحيفتين بما فيهما من أحاديث جدّهما رسول الله (ص) في الأحكام والعبادات يبيناها للمسلمين عموماً.. ، كذلك دوّن الإمام علي بن الحسين "زين العابدين" (ع) عدّة رسائل أشهرها: "رسالة الحقوق" والصحيفة السجاديّة"، كذلك روى الإمام "محمّد بن علي الباقر" (ع) وأخوه

"الإمام زيد الشهيد" (ع) رسالة أبيهما "الإمام زين العابدين" (ع) في أحكام الحج وغيرها من الأحكام إضافة إلى المدونات الفقهية الجامعة منها "مسند الإمام زيد بن علي" (ع) وكتاب "الصفوة" وفيه بضع عشرة رسالة في أبواب الفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الشريفة.. وقد أسس أخوه الإمام "محمّد الباقر" (ع) مدرسة الفقه والحديث في المدينة المنورة والتي تخرّج منها عشرات العلماء وأئمة المذاهب الإسلامية، وله (ع) عدّةُ رسائل ومدوّنات وكتابٌ في تفسير القرآن الكريم، أمّا ولده الإمام "جعفر الصادق" (ع) صاحب الجامعة الكبرى في المدينة المنورة والتي درس فيها مئات العلماء والفقهاء والمفسرين وأهل الحديث وأئمة المذاهب الإسلامية، فقد دونوا عنه كتب الفقه والمواريث والحديث والتفسير وعلم الكلام والطب والهندسة والكيمياء وعلم الجفر وغيرها من العلوم الشريفة فقد رووا عنه (ع) قوله: (والله إنّ عندنا لجلديْ ماعز وظأن، إملاءُ رسول الله (ص) وخطّ علي (ع)، وإنّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً أملاها رسول الله (ص) وخطّها عليّ (ع) بيده.. وإنّ فيها لجميع ما يحتاج إليه حتى أرشَ الخَدْش)...

وكذلك أبناء الإمام الصادق (ع) كالإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) والإمام إسماعيل بن جعفر (ع) والإمام علي بن جعفر "العُريضي" (ع) كتبوا ودوّنوا المسائل والأسانيد عن أبيهم الصادق (ع)، كذلك للإمام علي بن موسى الرضا (ع) صحيفةٌ رواها عن آبائه (ع) تسمّى بـ "صحيفة الرضا".. وجاء من بعده ولدُه الإمام محمّد بن علي الجواد (ع) فدوّن مسنداً باسم "مسند الإمام الجواد".. وله (ع) مناظراتٌ ومناقشاتٌ كثيرة ومشهورة مع علماء عصره من سائر الملل والنحل والمذاهب.

وقد ذكر العلامة الإمام السيد محسن الأمين العاملي (قدس سره) كتاباً للإمام علي بن محمّد الهادي (ع) في "أحكام الدين".. وله كذلك مسندٌ باسم "مسند الإمام الهادي" جمعه العلامة عزيز الله العطاردي (رحمه الله). ولولده الإمام الحسن بن علي العسكري (ع) نسخةٌ منسوبة في التفسير أسمها "تفسير الإمام العسكري" كذلك لولده الإمام محمّد بن الحسن المهدي (ع) مدوّناتٌ من خلال توقيعاته ومكاتباته (ع) جُمعت باسم: "المختار من كلمات الإمام المهدي" وهي تبيان لبعض الأحكام الفقهية والعقديّة..

ممّا مضى نرى أهميّة عمليّة وهذه الصحف والمجامع الحديثية هي مفوضات أمنا السيدة فاطمة الزهراء (ع) ومن أنوارها القدسية فقد كانت لها (ع) صحيفة ومدونة دونت فيها أحاديث أبيها الحبيب المصطفى (ص) وكان لها مصحف دونت فيه الوحي الشريف الذي تنزل على أبيها رسول الله (ص) تتلوه آناء الليل وأطراف النهار كما كانت لسيّدات بيت النبوة مصاحف شريفة كمصحف السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) ومصحف السيّدة حفصة أم المؤمنين (رضي الله عنها) ومصحف السيدة أم سلمة أم المؤمنين (رضي الله

عنها) وكذلك لكبار الصحابة مصاحف شريفة يخطونها بأيديهم وكل هذه المصاحف قد وحدت في مصحف واحد هو مصحف سيدنا الإمام علي (ع) الذي جمعه بوصية من رسول الله(ص) وقد أمر الخليفة عثمان بن عفان (رض) بأن تخط جميع المصاحف على نسقه وبذلك تم توحيد المصاحف بمصحف واحد ألا وهو مصحف الإمام علي (ع) الذي هو بين أيدي المسلمين اليوم فلا يوجد اليوم ما يسمّى بمصحف فاطمة (ع) لا عند الشيعة ولا عند غيرهم أبداً. تدوين الأحكام وتفرعاتها وتوضيح المسائل وتشعباتها، فلا بدّ للعالم أن يدوّن علمه ويحفظه من الضياع "لا سمح الله" لا سيّما وأنّ الكتاب العزيز فيه سورة شريفة باسم "سورة العلق" والتي تحثّ المسلمين على القراءة والكتابة والتدوين وفيها قوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (العلق/١ ـ ٥).

حقيقة الاجتهاد في المذاهب الإسلامية

إنّ استمرار عملية "الاجتهاد" في استنباط الأحكام الفقهية لكل مذهب من المذاهب الإسلامية تعطيه الديمومة والحيوية العلميّة وتمنحه تراثاً فقهياً مهماً إضافة إلى المقومات الأخرى للبنية الفكرية والعقدية والتاريخية والسلوكية له.

والاجتهاد إنما ينحصر في الأحكام الفرعية ويكون حكمة كواجب كفائي على جميع المسلمين. أي أنّه إذا قام به شخص أو عدة أشخاص تتوفر فيهم شروط الاجتهاد المطلق سقط عن الآخرين، وهذا لا يعني بأن يترك المسلمون عملية الاجتهاد وتحصيل ملكة استنباط الحكم الفقهي، بل أن الإسلام شجع معتنقيه على ضرورة طلب العلم وتحصيل المعرفة "فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" كما جاء في الحديث الشريف وأوّل سورة نزلت من القرآن الكريم هي "إقرأ". فالإسلام هو دين العلم والمعرفة وليس دين التقليد بلا وعي! وقد ذمّ الوحي الشريف عملية التقليد البحتة بقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا ﴾ (البقرة/١٧٠).

والدين يجب أن يشمل الشريعة والطريقة أي الفقه والسلوك، فإذا اقتصر الدين على الفقه دون السلوك فيعني ذلك أحكاماً جافّة بلا روح، وإذا اقتصر الدين على السلوك دون الفقه فيعني ذلك شطحات بلا ضوابط شرعية، فيجب الجمع بين التشريع والتهذيب..

أمّا "المجتهد" فيجب أن تتوفر فيه شروط هامة فلا يجوز أبداً أن يفتي من لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد وفي ذلك تحذير شديد من رسول الله محمّد (ص) بقوله: "من أفتى بغير علم أكبّه الله على منخريه في نار جنهم يوم القيامة" ومن جملة تلك الشروط الواجب توافرها في المجتهد:

أن يكون ورعاً تقياً عادلاً، وأن يكون حافظاً لكتاب الله وأحكامه، وأن يكون محيطاً بالسنة المطهرة وبروايات أهل البيت (ع) وبعلوم الفقه وأصوله وعلوم اللغة العربيّة، وبتراث المذاهب الإسلامية، لقول الإمام جعفر الصادق (ع): "أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس".. ومتابعاً للثقافة الإنسانية وآخر المستجدات على الساحة العلمية، وأن يكون ذا فكر وقاد وذكاء حاد الخ.. من الشروط المهمة الواجب توافرها في شخص المجتهد.

التقليد في الفروع لا في الأصول:

إنّ عملية "التقليد" تعني الرجوع في معرفة الأحكام الفقهية إلى العالم المجتهد الذي يستطيع استنباط الحكم الشرعي من مضانه ومصادره الأصلية وهذه المصادر هي:

١- القرآن الكريم ومصطلحه: الكتاب وعلومه من تفسير وأسباب نزول وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وخاص وعام.. إلخ..
٢- السنة الشريفة ومصطلحها: الحديث وعلومه كالرواية والدراية وعلم الرجال وحديث متواتر وصحيح ومقبول وإلخ..
٣- المصادر الأخرى وهي المفصلة في علم أصول الفقه من أراد أن يطلع كالعرف والاستصحاب والإجماع وإلخ..

فالمجتهد يقوم ببذل أقصى غاية الجهد في معرفة الأحكام الفقهية وتدوينها وتعريفها للمقلّد الذي يتبعه في آراءه الفقهية تلك والتي لا تتعدى "فروع الدين" وهي:

أحكام "الصلاة" "وأحكام" "الصيام" وأحكام "الزكاة" و"الخمس" وأحكام "الحج" وأحكام "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وغيرها من ممارسات وعبادات يومية..

فهذه في مجملها تسمّى "فروع الدين" والبعض يتبعها بالأحكام الجنائية والجزائية أي ما يسمّى اليوم "قانون العقوبات" وهذه هي من صلب واجبات الدولة وسلطة القانون فلا يجوز للفقيه أن يكون بديلاً عن الدولة ولا يجوز للفقيه مهما كانت منزلته إعلان الحرب أو ما سمي "بالجهاد الابتدائي" بل يكون واجبه إعلان "الجهاد الدفاعي" إذا ماداهم الوطن العدوّ المحتل والغازي المعتدي فالفقيه يجب إلاّ يكون من أئمة النار لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ...﴾، بل هو إمام نور ومحبّة وعلم ومعرفة، واليوم يكون واجب الدفاع منحصراً بسلطة الدولة، بل أنّ ذلك من صلب واجباتها من الناحية النظرية، علماً بأنّ كل الحروب التي خاضها نبيّ الإسلام (ص) إنما هي حروب دفاعية بحتة، فالإسلام ليس ديناً عدوانياً بل هو دين الإقناع والعقل والسلام، "فالجهاد الابتدائي" هو حالة عدوانية صرفة لقول الإمام الحسين (ع) في واقعة كربلاء: "إني أكره أن أبدأهم بقتال"، ويدخل تحت هذا العنوان ما سمي "بالفتوحات"، وهي فاقدة للدليل الشرعي على مشروعيتها، بلّ "الجهاد المشروع"

ما كان دفاعاً عن حياض الوطن ضدّ الغزاة والمحتلين وضدّ المعتدين على الدين والعرض والمال والأنفس.. وليس من الجهاد أبداً قتل الأنفس البريئة ولا الإرهاب ولا يجوز أبداً أن يقتل الإنسان نفسه مهما كانت المبررات، والفقه الإسلامي فقه مرن ومتطور ولا يمكن أن يفرض أحكامه في القصاص والديّات على القوانين والدساتير التي تضعها الدولة لتنظيم شؤونها العامة والخاصة، بل يجب احترام سلطة القانون فبدونها تحلّ الفوضى ويكون الحكم لمن هب ودبّ لا سمح الله..

المواطنة الصالحة:

المواطنة الصالحة هي سنة كل المذاهب الإسلامية وخصوصاً المذهب الجعفري وان وصايا أئمة المذاهب تؤكد هذا المعنى. فقد جاء عن الإمام موسى الكاظم (ع): "لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلاً فاسألوا الله بقاءه، وإن كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه، فإنّ صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم! فأحبوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم"[1]..

فرسالة الأئمة (ع) هي رسالة إصلاح وإبداء النصح للحاكم، وليست رسالة فوضى وإسقاط ومؤامرة، ويجب أن لا يكون لأتباع مذهب معين وخصوصاً للشيعي الجعفري "مشروع خاص" خارج نطاق الوطن كما هي وصايا الإمام محمّد مهدي شمس الدين (رحمه الله).

وحدة أصول المذاهب الإسلامية:

لا تختلف أصول المذهب الجعفري عن غيرها من أصول الدين لدى المذاهب الإسلامية الأخرى إلاّ في بعض الأمور التي جعلها البعض أصلاً من أصول المذهب والبعض الآخر لم يصنفها كأصل، بل هي لا تتعدى النظريات السياسية والعقدية في ظروف تاريخية باتت معلومة للباحث والمتتبع. ويمكن إجمال أصول المذهب الجعفري "بخمسة أصول" وهي:

الأصل الأوّل: التوحيد: فواجب المسلم أن يؤمن بالله تعالى إيماناً راسخاً عن علم ومعرفة ويقين بأنه الإله الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وبأن يوحده تعالى من جميع الجهات فكما يجب توحيده في الذات باعتقادٍ راسخ بأنه واحد في ذاته وبأنه لا شبه له في صفاته الذاتية، فهو تعالى في العلم والقدرة لا نظير له وفي الخلق والرزق لا شريك له وفي كل كمال لا ندّ له.

ويجب توحيده تعالى في العبادة فلا يجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه، ولا يجوز إشراكه في العبادة في أي نوع من أنواع العبادة واجبةً أو غير واجبة..

---

(١) وسائل الشيعة/باب ٢٧.

أمّا "التوسل بالنبي" (ص) و"بالأئمة" (ع) وبالسيدة "فاطمة الزهراء" (ع) و"بالصالحين والرسل والنبيين" فلا يعني ذلك بأن المتوسل يشرك مع الله أحداً والعياذ بالله، بل أن "التوسل عملٌ مشروع واستحبابي" مؤكدٌ والله تعالى يقول: "وابتغوا إليه الوسيلة"، فهل هناك من وسيلة أعظم إلى الله تعالى من رسول الله (ص) ومن أهل بيته (ع)، كذا الأمر في الدعاء عندهم (عليهم السلام أجمعين)، وإحياء ذكرهم والصلاة والسلام عليهم، فذلك من أعظم القربات إليه تعالى، وإحياء ذكرهم يجب أن لا يخرج عن الإفراط والتفريط، وما عدا ذلك لا يعبر بالضرورة عن المذهب، بل قد يكون عبارة عن ممارسات وجدانية وعادات اجتماعية رسخت عند بعض الشعوب. وإنّ من السنن المؤكدة الاحتفال بالعيدين الفطر والأضحى وعيد المولد النبوي الشريف والإسراء والمعراج والمبعث النبوي الشريف وليلة القدر والبدرية وعيد الغدير وميلاد الأئمة (ع) وباقي المناسبات الشريفة التي ترسخ مبادئ الحق والصدق والمحبّة.. وتعظيم شعائر الله تعالى في كل وقت وحين.. ذلك لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج/٣٢).

كذلك يجب "تنزيه" الله تعالى عن كلّ "تجسيم وتشبيه" ولا يجوز أبداً بأن نقول كما تقول "المشبِّهةُ والمجسِّمةُ والحشويّةُ": بأن له وجهاً ويداً ورجلاً!! الخ من الأمور التي تتنافى وعقيدة التوحيد الخالصة والتنزيه المطلق لله تعالى.. وكما يقول مولانا أمير المؤمنين الإمام "علي بن أبي طالب" (ع): "وكمالُ الإخلاصِ له.. نفيُ الصفاتِ عنه، بشهادة كلِّ صفة أنّها غيرُ الموصوفِ، وشهادةِ كلِّ موصوفٍ أنّهُ غَيْرُ الصِفَةِ، فَمَنْ وَصَفَهُ سُبحانُه فقد ثنّاهُ، ومن ثنّاهُ فقد جزّأَهُ، ومن جزّأَهُ فَقَد جَهِلَهُ...".

الأصل الثاني: العدل: والعدل من صفات الله تعالى الثبوتية الكمالية المطلقة وأنه تعالى عدل مطلق لا يجوز عليه الظلم أبداً، لا يجور في قضائه، ولا يحيف في حكمه، ولا يكلف عباده فوق ما يطيقون، وهو الحكيم العليم يثيب من أطاعه وله أن يجازي من عصاه، ولا ينفر لمن ظلم عباده واستضعفهم، وانه تعالى لا يترك الحسن ولا يفعل القبيح..

ولا يمكن أن يعاقب المطيعين ولا يمكن أن يكرم الظالمين. وانه تعالى لا يكلّف عباده إلاّ بعد أن يرسل إليهم الأنبياء والرسل ليبلغوهم بالعلم والدين والمعرفة ولا يشرِّع لهم إلا ما فيه صلاحهم وسعادتهم، ولا يمنعهم من شيء إلاّ فيه شقاؤهم وفسادهم، وهو الرحيم بهم والرؤوف واللطيف والبر الودود، لكنه تعالى مع الظالمين جبّار متكبّر شديد العقاب وقوي البأس والعزيز المنتقم.

وأن قضاءَهُ وقَدَرَهُ تعالى سرّ من أسراره فيه الحكمة المطلقة وكما قال الإمام جعفر الصادق (ع): "لا جبرَ ولا تفويضَ ولكنْ أمرٌ بين أمرين".. فالأوامر الإلهية ليس فيها إكراه

كما تقول "المجبِّرة" وليس فيها اختيار وتفويض مطلق كما تدّعيه "المفوِّضة" بل فيها نوع من التحذير والترغيب والعقاب والثواب فللعاقل أن يختار لقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد/١٠) والله تعالى قادر على محو القَدَر المزبور وكذلك قادر على تثبيت الأمور وذلك لعلمه تعالى بعاقبتها وما تؤول إليه.. لقوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد/٣٩).

و"البداء" يستحيل على الله تعالى كما يقول الإمام جعفر الصادق (ع): "من زعم أنّ الله بدا له في شيء ولم يعلمْهُ أمس فأبرأُ منه"، كذا الأمر في "التقية" وهي عملية سلمية تعني الهدنة والمسالمة والمساكنة بين الحاكم والمحكومين ولا تعني التآمر والخيانة والنفاق أبداً. وكذا الأمر بالنسبة للاعتقاد "بالرجعة" فلا يتوقف عليها كمال الإيمان، سواءً اعتقدنا بالرجعة أم لا، فهذا الاعتقاد ليس شرطاً في صحة الإيمان.

الأصل الثالث: "النبوّة": والنبوة هي من كمال لطف الله تعالى ورأفته بعباده بأن يرسل اليهم رسولاً نبياً من عند أنفسهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه ونسبه، وطهارة مولده من أبويْن موحدْين طاهرْين شريفْين وكذلك آباؤهما فهم مطّهرون موحِّدون لله تعالى فلا يجوز أبداً أن يكون أحد من آباء وأمهات النبي مهما علوْا حتى اتصالهم "بآدم وحواء" (عليهما السلام) إلاّ أن يكونوا على التوحيد الخالص لله تعالى، وهذا الأمر ليس مختصاً بنبيّنا المصطفى (ص) بل هو شرط واجب مشترك بين جميع الرسل والأنبياء عدا "عيسى بن مريم" (ع) فإنّه انتسب إلى سيدة نساء العالمين البتول "مريم" أمّه (ع)، فليس له أبٌ وهذه معجزته (ع)..

فهو مطهّر من مطهرة لأبوين مطهرين إلى سيّدنا "آدم" وأمّنا "حواء" (عليهما السلام)، وقد شهد الحقُ تعالى بطهارة سيّدنا الحبيب المصطفى (ص) وطهارة والديه وطهارة آباءهما.. بقوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ وهده هي عقيدتنا في كلّ الأنبياء والرسل (ع) أجمعين.. فهم معصومون عن الوقوع في المعاصي كبيرها وصغيرها وحتى اللمم ولا يرتكبون مكروهاً ولا يتركون مستحباً وقد عصمهم الله تعالى عصمة مطلقة ولا يجوز عليهم الاشتباه ولا الخطأ ولا النسيان أبداً..

فـ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾..

﴿ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (البقرة/١٥١).

كذلك يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل والكتب والملائكة. كما في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(البقرة/ ٢٨٥).

فيجب على المسلم أن يؤمن بالله تعالى وبنبوّة رسوله نبيّنا "محمّد بن عبد الله" (ص) و"بالقرآن الكريم" الذي أنزله الله تعالى على قلبه وبجميع "الملائكة" وبجميع "الكتب السماوية" التي أنزلها الله تعالى قبل القرآن الكريم وبجميع "الأنبياء" و"الرسل" الذين أرسلهم الله تعالى لهداية البشرية قبل رسوله نبينا محمّد (ص) ولا يجوز للمسلم أن يفرّق أو أن يجزّأ إيمانه بل عليه أن يؤمن بجميع ما جاء به الوحي الشريف "ولا يجوز أبداً للمسلم أن يكفّر أحداً من المسلمين ولا أنّ يكفّر أبداً أتباع الديانات الإبراهيمية الثلاث"، بل أن واجبه يفرض عليه برّهم واحترامهم وتوقيرهم عملاً بكتاب الله تعالى وسيرة النبي (ص). ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة/٨).

وإن الإسلام جاء مكمّلاً للديانات السماوية التي سبقته ومتمماً لها وليس ناسخاً بالمطلق لها، والمسلم عليه أن يؤمن بما جاء به القرآن الكريم من أحكام وعبادات ومواعظ وقصص وثواب وعقاب وأن يؤمن بأنه لا يأتيه الباطل أبداً "ولا يعتريه النقص ولا التحريف" لا بالزيادة أو النقصان وأن القرآن الكريم قد صانه الله عن كل ذلك وحفظه فلا يجوز أن يشكك فيه مشكك أو أن يطعن فيه طاعن، وكما يقول الإمام محمد بن علي "الباقر" (ع): "إنه قرآن واحد نزل من عند الواحد". وأنه كتاب هداية ومعرفة وإيمان وأنه شفاء ورحمة للعاملين جميعاً على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم وهو كتاب حياة لا كتاب موت، وفيه "لما يحييكم" لا لما يميتكم.. والفقه الإسلامي فقه الحياة وليس فقه الموت..

الأصل الرابع: "الإمامة": هي رئاسة دينية وهي لطف من ألطاف الله تعالى على خلقه بأن أمرهم بأن يرجعوا إلى أهل الذكر لقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران/٧).

والأئمة في المذهب الجعفري هم أئمة معلومون ومنصوص عليهم وهم يمثلون عماد البيت النبوي الشريف وهم اثني عشر إماماً أجمعت الأمة بمذاهبها كافة على صدقهم وورعهم وتقواهم وعظيم معرفتهم ومقدار علمهم بالكتاب والسنة والأحكام الفقهية وقد أثنى عليهم علماء الأمة ومحدثوها ورؤساء المذاهب الإسلامية كافة وأكدوا على دورهم العظيم وتمسكهم بالشرع الحنيف وعلى تعففهم وبعدهم عن الأطماع وشهوة السلطان وهذه هي العصمة الحقيقية، ولا يجوز رفعهم إلى الصفات التي تؤلههم أو تعطهم سمات الربوبية أبداً بل

هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بحكمه وشرعه مأتمرون وهم قمة التوحيد وأعلى درجات الطاعة لله تعالى خالقهم الواحد القهار.. ولا يجوز أبداً الغلو فيهم كما لا يجوز أبداً مناصبتهم العداء.. وقد تأسى بهم الصالحون واتبعهم المخلصون من كلّ المذاهب الإسلامية.. لم يطالبوا أبداً بسلطة أو خلافة أو حكم وإنما طالبوا بالإصلاح وحقن دماء المسلمين عرضت عليهم الخلافة فرفضوها وقد تنازلوا عنها بعد أن تقلدوها فهم قد ساووا بين الخلافة وبين شسع النعل فلم يقدسوا الخلافة ولم يجعلوها هدفاً لهم فقد قال الإمام علي (ع) عندما أُكره على قبول الخلافة للمصريين. "والله ما بيعتكم أو خلافتكم هذه تساوي عندي "شسع نعل" إلاّ أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً!!"

يكفيهم أن نزل القرآن الكريم بمدحهم وتطهيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب/٣٣).

وهذا هو أجلى معاني العصمة وأبهى أنوار العفة، فمحبتهم فرض واجب على كل مسلم ومسلمة وكما يقول الإمام الشافعي (رحمه الله):

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الشأن أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

فأئمة أهل البيت (ع) خرج من نسلهم السادة الأشراف الحسنيون والحسينيون وخرج من نسلهم كثير من الملوك والسلاطين والعلماء والفقهاء والصالحون وهم منتشرون في أصقاع العالم كافّة. وهم من نسل "علي" و"فاطمة" (عليهما السلام)..

وفاطمة (ع) هي بضعته (ص) من السيدة "خديجة" (ع) أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين والسيدة خديجة (ع) من أبوين موحدَين على ديانة "إبراهيم" (ع) وكذلك "الإمام علي" (ع) هو من أبوين مسلمين موحدين طاهرين فأبوه "أبو طالب" (ع) "مؤمن قريش" وعمّ رسول الله (ص) وكافله وناصره والمدافع عنه وهو صاحب البيت المشهور والذي يقول فيه: (ولقد علمت بأنّ دين محمّد من خير أديان البريّة ديناً).

ويقول (ع) مفتخراً بابن أخيه محمّد (ص):

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثِمال اليتامى عصمةٌ للأرامِلِ
كذبتم وبيتِ اللهِ نبزى محمّداً ... ولمّا نطاعن دونه ونناضِلِ
ونسلمهُ حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبناءِنا والحلائلِ

وقد شرح هذه القصيدة اللكهنوي وعلي فهمي والسهيلي في الروض الأنف والبغدادي في خزانة الأدب وجعفر النقدي في زهرة الأدباء وشعر أبي طالب والمستدرك عليه للمهزمي وآخرون...

وأبو طالب (ع) هو موضع احترام المذاهب الإسلامية كافة وكلهم يعترفون بفضله في الدفاع عن دين ابن أخيه رسول الله (ص).

صفوة صحابته (ص) والتابعون لهم:

يجب على المسلم أن يترضى عن صفوة صحابة رسول الله (ص) وأن يوقرهم ويجلّهم ويحترمهم لأنهم المهاجرون الأولون والذين نصروا رسول الله (ص) في ساعة العسرة من الأنصار الذين بايعوه البيعتين عند العقبة وقد آخى النبي (ص) بين المهاجرين والأنصار فقد رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم الذين بايعوه تحت الشجرة والبدريّون (رضي الله عنهم)، وقد كان أئمة أهل البيت (ع) يثنون بدعائهم على الصفوة من الصحابة والأنصار والتابعين وقد خصص الإمام زين العابدين (ع) دعاءاً خاصاً في الصحيفة السجاديّة للمهاجرين والأنصار فلا يجوز أبداً الإساءة إليهم ويحرم شتمهم وسبّهم وهذا ما ينهى عنه أئمتنا (ع) فقد نهى أمير المؤمنين (ع) عن شتم من أمر بلعنه من على المنابر، فأول من ابتدع بدعة شتم "الصحابة وآل البيت" ليسوا هم الشيعة! بل هم أعداء الشيعة الذين سنّوا تلك السنّة السيئة التي استمرت أكثر من سبعين عاماً إلى أن منعها عمر بن عبد العزيز.. فكيف يجوز للمسلم أن يشتمهم لا سيّما وهم صفوة صحابته (ص)، وهم كتّاب الوحي الشريف وحفظة القرآن الكريم ورواة الحديث الشريف، كذلك يجب على المسلم توقير واحترام زوجات النبي (ص) فهنّ (رضي الله عنهنّ) أمّهات المؤمنين، فكيف يكون المسلم غير بارٍّ بأمّه فذلك الأمر من الكبائر، فيجب برّهنّ وتوقيرهنّ لقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾.. وأن يتعهدهُنّ بالزيارة والدعاء.. فهذه هي أخلاق أئمتنا (ع) كما يقول الإمام جعفر الصادق (ع): "أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟.. فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه"[١].

الأصل الخامس: المعاد: وهو أن يؤمن المسلم بأنّ الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود وهو القيامة والبعث والنشور، فيثيب المطيعين ويعذب العاصين، ويجب أن نعتقد بما أورده القرآن الكريم في ذلك من وصف الجنة ونعيمها ووصف النار وجحيمها، ويكون المعاد روحياً وجسمانياً كذلك تسبق المعاد حياة البرزخ وهي الحياة ما بين الحياتين حياة الدنيا وحياة الآخرة، وهذا الإيمان مشترك بين الأديان السماوية وهو أصل ثابت في الدين ولا يكتمل إيمان المسلم إلاّ به.

زيارة ضريح السيدة فاطمة الزهراء (ع) وأضرحة الصالحين:

إنّ من أعظم السنن والمستحبات أن يترحم المسلم على من سبقه من الصالحين وهو سنة مؤكدة تعبر عن إيمان مشترك بين المسلمين كافّة وهو يمثل أطهر حالات التصوف

---

(١) أصول الكافي/باب زيارة الإخوان.

والعرفان. والصالحون هم الأنبياء والرسل والأئمة والوالدين والأبناء والأرحام والأصدقاء والعلماء والجيران وغيرهم من صلحاء الناس وأخيارهم وأن يذكر محاسن الأموات وأن يأخذ العِبْرة ويسكب العَبرْة لأنهم هم السابقون ونحن بهم لاحقون، وأن يترهب للموت ويحذر الفوت، ومن محاسن زيارة الصالحين أنك تتأسى بهم وتسير على منهجهم في السلوك والصلاح وطلب العلم والمغفرة، وللزيارة آداب معينة فيستحب لها الوضوء ولبس الثياب الطاهرة والسير بوقار وتسبيح الله وذكره والإكثار من الصلاة على النبي والآل وقراءة سور الفاتحة والإخلاص والقدر ويس والتهليل والحوقلة، وأن تسلم على أهل لا إله إلا الله وأن لا تتخطى القبور، ويستحب أن ترش الماء الطاهر عليها وأن تضع جريداً أخضراً بطول القبر كما كان يفعل رسول الله (ص) لدى زيارته لقبور المؤمنين، وأن تتصدق على الفقراء والمساكين، وإنّ من أعظم الزيارات وأشرفها زيارة قبر رسول الله (ص) في الحجرة النبوية الشريفة وزيارة قبر بضعته فاطمة الزهراء (ع) مما يلي حجرته الشريفة من باب جبريل (ع) وزيارة أئمة البقيع (ع) وهم الإمام الحسن الزكي السبط والإمام زين العابدين والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق (ع) وسيدنا العباس عمّ رسول الله (ص) وزيارة سيدنا إبراهيم بن رسول الله (ص) وقبر آمنة بنت أسد (ع) أم الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي نزل معها رسول الله (ص) في قبرها وخلع عليها بردته الشريفة لعظم منزلتها في الإسلام، وزيارة أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن أجمعين) و"صفوة الصحابة والتابعين" وزيارة سيدنا عقيل بن أبي طالب وسيدنا عبد الله بن جعفر وحليمة السعدية مرضعة النبي (ص) والصالحين والتابعين ومن دفن ببقيع الغرقد وجنته رزقنا الله تربتها ومجاورة مشرفها (ص) وكذلك زيارة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب (ع) وشهداء أحد والحرّة والسيد علي العريضي والسيد إسماعيل ولدي الإمام جعفر الصادق(ع)، هذا ما كان من زيارة المدينة المنورة أمّا مكة المكرمة فزيارة قبر أم المؤمنين "خديجة الكبرى" (ع)، وزيارة سيدنا عبد المطلب (ع) جدّ النبي (ص) وزيارة سيدنا أبي طالب (ع) عم رسول الله (ص) وقبور بقية أهل البيت من العلماء والصالحين (رضي الله عنهم أجمعين)، وكذا زيارة شهداء بدر قرب المدينة المنورة وقبر سيدتنا آمنه بنت وهب (ع) أم النبي (ص) وزيارة قبر أبيه سيدنا عبد الله (ع).. كذلك زيارة سيدنا جعفر بن أبي طالب "الطيار" (ع) في مؤتة الأردن.. وزيارة ضريح الصحابي الجليل سلمان المحمّدي "الفارسي" وحذيفة بن اليمان في المدائن ببغداد وزيارة ضريح حجر بن عدي في مرج عذرا بالشام، وزيارة ضريح أبي أيوب الأنصاري في اسطنبول بتركيا (رضي الله عنهم أجمعين).

أمّا ما كان من زيارة بقية المشاهد المشرفة في العراق فمشهورة هناك وهي قبر أمير المؤمنين (ع) في النجف الأشرف وقبر سيد الشهداء الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي (ع) في كربلاء وأخيه أبي الفضل العباس وزيارة مقام الإمام زيد الشهيد (ع) وسائر أهل البيت والشهداء، كذلك في بغداد زيارة ضريح الإمام موسى الكاظم (ع) وحفيده الإمام محمد الجواد (ع)، أمّا في سامراء فزيارة قبر الإمام علي الهادي (ع) وولده الإمام الحسن العسكري (ع)، وبقية المشاهد الشريفة، كذلك زيارة قبر الإمام علي الرضا (ع) بمشهد المقدسة في خراسان، وزيارة العقيلة زينب (ع) في دمشق الشام وزيارة السيدة رقية (ع) كذلك زيارة مشهد الإمام الحسين (ع) في مدينة القاهرة وزيارة مشهد السيدة زينب (ع) في القاهرة كذلك وبقية آل البيت عليهم السلام أجمعين، كمولاي إدريس الأكبر في زرهون ـ مكناس، وولده مولاي إدريس الأزهر بفاس المغرب، وجميع الأولياء والأنبياء والصالحين أين ما دفنوا فهم أوتاد الأرض ومنارات الهدى والصلاح..

الإيمان بظهور المهدي المنتظر من نسل فاطمة الزهراء (ع):

إنّ الإيمان بظهور الإمام المهدي المنتظر (ع) هو إيمان مشترك بين كل المذاهب الإسلامية سنيّةً كانت أم شيعيّة، إضافة إلى روايات أشراط الساعة والمسيخ الدجال وغيرها من الأمور الإيمانية المشتركة بين المسلمين كافّة، إلاّ أنّ الاختلاف يقع في التفاصيل، كذلك أمر خروج المهدي (ع) مع سيدنا عيسى بن مريم (ع) في آخر الزمان، يعدّ إيماناً مشتركاً بين كل مذاهب المسلمين، وأنّ كل المسلمين مجمعون على ظهوره (ع) آخر الزمان وهو من نسل السيدة فاطمة الزهراء (ع).

أمور خلافية أخرى:

هناك بعض الأمور الفقهية الخلافية بين الشيعة الجعفرية وبين بقية المذاهب الإسلامية منها: الزواج المؤقت أو ما سمي بزواج "المتعة"، فالخلاف حوله هو خلاف فقهي اصطلاحي بحت، وليس خلافاً فقهيّاً حكمياً جوهرياً، فلزواج المتعة ما يقابله عند إخوانهم من المذاهب السنية الأخرى فعند الحنابلة المعاصرين في السعودية والخليج يسمّى "زواج المسيار" وعند الشافعية المعاصرين بمصر يسمّى "الزواج العرفي"، وعند المالكيّة المعاصرين في تونس يسمّى "الزواج القيرواني"، وعند المسيحيين المعاصرين يسمّى "زواج المساكنة"، وكلّ هذه التسميات هي لمعنى واحد هو الزواج المؤقت الذي لا يتعدى عن كونه "زواج الرخصة" فهو ليس زواجاً طبيعياً مستمراً دائماً وإنما هو رخصة قد رخصها القانون الفقهي عند كل المذاهب والديانات

فمن أخذ به أخذ ومن تمنّع عنه تمنّع.. وهو حكم تخفيف وترخيص في حالات معينة وظروف خاصة كالسفر الطويل وغيره من الأمور..

ولكن في كل هذه الزيجات الغير مستقرة والمؤقتة والمرخصة لا يمكن أن تبني عشاً زوجيّاً هانئاً مستقراً لأنّ الزواج الحقيقي هو الذي تنبثق عنه الأسرة الصالحة والتي من سماته الاستقرار والسكن والمودة والرحمة وثمرته الأولاد الصالحون، فهل الزواج المؤقت تكون له مثل تلك الثمار؟؟ على أيّة حال فهو زواج رخصة لا زواج سكن واستقرار، ولكن لا بد لهذا الزواج وإن كان مؤقتاً من إشهارٍ والإشهارُ اليوم هو تسجيل وتوثيق كي لا يقع المكروه لا سمح الله، فيجب الإشهار بتسجيل هذا الزواج "الاستثنائي" ولو بورقة يمضيها الزوجان وهذا هو أضعف الإيمان.. فلا يجوز أبداً إشاعة الفاحشة و"العياذ بالله" في المجتمع تحت مسميّات شتى.

تحريم التبشير داخل الإسلام:

إنّ من المسائل الخلافية التي تثير جدلاً حادّاً هذه الأيام وتوتراً بين المذاهب الإسلامية المختلفة هي قضية التبشير داخل الإسلام والتبشير ما بين المذاهب الإسلامية بعضها البعض! ممّا ينتج عن ذلك عداوة وشحناء واتهامات متبادلة، وتنابز وشتائم وتكفير وتبديع، إضافة إلى ما تحدثه عملية التبشير تلك من تفكك بين الأسرة الواحدة ونبذٍ واستقصاءٍ وتبري وغيرها من المساوئ والسلبيات الأخرى، خصوصاً إذا تمّ تسييس التبشير الداخلي فتلك الطامّة الكبرى والمصيبة العظمى، فما هو الحل برأي الدين والمذهب؟.. الحلّ يكون بعقد مؤتمر فقهي علمي لمختلف المذاهب الإسلامية يُصارُ فيه إلى اتخاذ قرار حاسم يقضي بإصدار فتوى جماعية تحرم عملية التبشير داخل المذاهب الإسلامية (وهي فتوى أصدرها سماحة الإمام الراحل الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان في نهاية القرن الماضي)، فلا يجوز أن نحوّل الشيعي إلى سنيّ والسني إلى شيعي ولا الشافعي إلى حنبلي ولا الحنفي إلى مالكي أو جعفري.. الخ، فيجب احترام المذاهب الإسلامية كافة، واحترام قناعات المسلمين واختياراتهم، كي نقطع السبيل على القوى التي تسيس ذاك المذهب أو تلك الطائفة لأهداف بعيدة عن جوهر الإسلام.. بل أن أعظم عمل يتقرب إليه إلى الله تعالى هو أن يقبل بعضنا الآخر وأن يحترم بعضنا قناعة الآخر فبذلك نزرع المحبّة وروح الإخاء بين المسلمين وبين الديانات كافّة.. ونكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

❖ ❖ ❖

فاطمة الزهراء (ع) في رؤى الإمام علي (ع)

د. محمد نعمة طاهر الصريفي(*)

بعد الاتكال على الله سبحانه وتعالى تم تسليط الضوء في هذا البحث على جانب من الحياة الزوجية لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) ودورها في ميادين الحياة العامة.

وفي حديث لرسول الله (ص): (لولا أن الله تعالى خلق فاطمة لعليٍ ما كان لها على وجه الأرض كُفوٌ آدمُ فمن دُونَه).

ولو تمعنا في الحديث أعلاه نجد من هنا الكشف عن الوجه المضيء للسيدة فاطمة الزهراء(ع) وبيان أبعاد شخصيتها الرفيعة لم يتيسر إلا من خلال الإمام علي (ع) فهو وحده الذي وقف على حقيقتها واطلع على ما يموج في أعماقها من فيض حنان وحبّ علي (ع) هو الذي وحده يعرف مجدها وإجلال الملائكة لها، وهو الذي شهد صلابتها وإيمانها العظيم، ومن أجل هذا كان يفخر بزواجه منها.

لقد تربى علي (ع) في أحضان رسول الله (ص) ونهل من فيض حنانه ورحمته، فهو يعرف مدى فرحة سيدنا محمد (ص) وخديجة الكبرى بميلاد فاطمة الزهراء(ع)، فهذه الولادة الطاهرة تختلف عن سائر الولادات التي عرفت ذلك مما كان يتألق من آمال في عيني رسول الله (ص) وهما تنظران إلى مستقبل مشرق لهذه البنت (سلام الله عليها) وأيقن بالخير الكثير الذي ستأتي به فاطمة(ع) عندما بشر الله سبحانه وتعالى رسوله (ص) وأنزل عليه سورة الكوثر.

وقد شهد علي (ع) نموها وترعرعها فكانت المثال في الحياة والعفة والوقار والسكينة

فكانت فاطمة المثال الرفيع للمرأة المسلمة المؤمنة برسالتها رسالة الإسلام الخالدة

ويرى علي (ع) إن زواجه من السيدة الزهراء(ع) لم يؤثر سلباً على حجم الجهد الذي يبذله من أجل نصرة الإسلام ورسالته الكبرى، كما ان الزهراء(ع) ظلت كما هي في حمل مسؤوليتها في نشر الدين الحنيف وقد أوقفت حياتها من أجل ذلك.

يرى علي (ع) كل ذلك فيشعر بالفرحة تغمر وجوده لأنه لا يفكر إلا بتقدم الإسلام والمسلمين ولا يشعر بالحزن والمرارة إلا عندما يرى الجهل المتمكن في كثير من شؤون الناس يومئذ.

(*) كلية الفقه، جامعة الكوفة.

وقد بدأت حياتهما الزوجية المشتركة فيما كانت أبواب الجهاد مشرعة وكان ذو الفقار سيف علي (ع) يتألق في دنيا الجهاد والفروسية والبسالة، وكانت فاطمة(ع) في طليعة المجاهدات حيث (جهاد المرأة حسن التبعّل) وكانت إلى جانب ذلك حاضرة في سوح الجهاد إلى جانب بطل الإسلام وسيفه الذي لا يقهر، تعالج جراحه وجراح أبيها النبي (ص).

ويتضح أن علي (ع) وحده يعرف حجم جهاد فاطمة(ع) وما قدمته في ميادين الصراع في أحد والخندق وخيبر وغيرها.

والمشاهد علي (ع) وحده الذي سجل تلك اللحظات الخالدة لوقوف فاطمة في المحراب تصلّي لله عز وجل، وهو وحده الذي يسمع مناجاتها مع ربها في الأسحار.

وهو وحده الذي يرى فاطمة(ع) وكيف تتألق في الدنيا الحب الإلهي وكيف تنعكس أنوار السماء على وجهها وتكسّرات النور السماوي في عينها ورفرفات الملائكة في محرابها.

وعلي (ع) هو وحده الذي يرى فاطمة في أمومتها وفي تربيتها للجيل الجديد، وكيف كانت تتغذوه إيماناً وإخلاصاً وإحساساً بالمسؤولية إزاء دين الله، وكيف كانت تعلّم أبناءها القيم الإنسانية الخالدة في الدفاع عن المظلومين والمقهورين ورفع لواء العدالة عالياً والإقدام في دنيا التضحية والإيثار والفداء.

المبحث الأول: فاطمة الزهراء (ع) وحياتها الزوجية

اتسمت حياة السيدة فاطمة الزهراء(ع) الزوجية بالبساطة مع التحولات الكبرى في تاريخ الإنسان وكانت صفة من صفات أبيها رسول الله (ص)، وعندما شرع حياتهما الزوجية، علي (ع) وفاطمة (ع) كانت فاطمة(ع) مثال الزوجة في علاقاتها مع زوجها في إدارة الشؤون المنزلية[1].

لقد تربى الإمام علي (ع) في أحضان رسول الله (ص) ونهل من فيض حنانه ورحمته، فهو يعرف مدى فرحة سيدنا محمد(ص) وخديجة الكبرى (رضوان الله تعالى عليها).

فكانت (ع) زواجها مثالاً، فلقد تقدم إليها الخاطبون، وكان فيها أثرياء وتجار كبار ولكنها رفضتهم[2].

وعندما تقدم الإمام علي (ع) وهو الفتى الذي لا يمتلك من دنياه شيئاً، وعرض عليها النبي (ص) ذلك أطرقت وسكتت، وقال النبي (ص) الله أكبر، سكوتها رضاها، وارتسمت على شفتيه ابتسامة أشرقت لها وجهه[3].

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف، (النجف الأشرف – ١٣٧٨هـ)، ج٣، ص٣٩٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، (طهران – ١٤٢٨هـ)، ج٢٤، ص٢٢١؛ الطريحي، الشيخ فخر الدين، مجمع البحرين، المطبعة العالمية، (بيروت – ٢٠٠٣)، ج١، ص٩٥.

كان بإمكانها وهي ابنة النبي (ص) وزعيم الدولة الفتية أن تنعم بحياة رغيدة لا كدح فيها ولا عناء، ولكن النور الذي سطع في قلبها أضاء لها طريقها في الحياة الطيبة، فأعرضت عن بريق الدنيا الخادع وزخرفها الكاذب، وقد رأى الإمام (ع) في عيني زوجته كل هذا المجد، ولم يكن مهر فاطمة (ع) سوى درع لعلي (ع) باعه، وكان من ثمنه الوليمة[١].

أما بيتها فكان عبارة عن حجرة من الطين إلى جانب المسجد حتى ثوب العرس أهدته فاطمة(ع) إلى من يحتاج إليه[٢].

بهذه البساطة بدأت فاطمة(ع) حياتها الزوجية مع شريكها في الحياة، أجل بدأت فاطمة(ع) حياتها الزوجية مع التحولات الكبرى في تاريخ الإنسان، فكانت المثال الرفيع للمرأة المسلمة المؤمنة برسالتها رسالة الإسلام الخالدة[٣].

ويرى علي (ع) أن زواجه من السيدة الزهراء(ع) لم يؤثر سلباً على حجم الجهد الذي يبذله من اجل نصرة الإسلام ورسالته الكبرى[٤].

إن الزهراء(ع) ظلت كما هي في حمل مسؤوليتها في نشر الدين الحنيف وقد أوقفت حياتها من اجل ذلك[٥].

ويرى الإمام علي (ع) كل ذلك فيشعر بالفرحة تغمر وجوده لأنه لا يفكر إلا بتقدم الإسلام والمسلمين ولا يشعر بالحزن والمرارة إلا عندما يرى الجهل المتمكن في كثير من شؤون الناس يومئذ[٦].

لم يكن في بيت علي (ع) وفاطمة(ع) من أثر لمظاهر الترف، وكانت همومهما تتمحور حول مساعدة المحتاجين والبائسين ونشر معارف الدين بين المسلمين[٧].

ومائدة الطعام لم تكن هي الأخرى مليئة بأنواع الأغذية والأشربة، كانت بسيطة غاية البساطة ولربما آثار الجائعين بها واضحاً، ولم يكن الإمام علي (ع) فقيراً أو عاجزاً عن توفير

---

(١) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٣٩٦.

(٢) محمديان، محمد، فاطمة (ع) في رؤى الإمام علي (ع)، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، (قم - ١٤٢٥هـ)، ص٧.

(٣) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، مطبعة الحيدري، (قم - ١٣٧٩هـ)، ج١، ص٤٣١.

(٤) الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء للطباعة، ط٢، (بيروت - ١٩٨٥)، ج١، ص٤٧٣.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٢.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الطبري، عماد الدين أبي جعفر، بشارة المصطفى، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف - ٢٠٠٢م)، ص٢٤٣.

مستلزمات المنزل من طعام ولباس وفراش، كان يفيض حيوية وكان يسعى ويعمل ويكدح وكان إضافة إلى ذلك يحصل على سهمه من الغنائم، ولكن كان هو وزوجته ينفقان على المساكين والفقراء والبائسين ويؤثران على نفسيهما ولو كان بهما خصاصة، كانا يتسابقان في عمل الخيرات[١].

هذه هي ثقافتهما التي ورثتها عنهما أبناؤهما، بساطة في العيش وقناعة بما رزقهما الله، وحب ومودة بينهما، جعلتهما يشعران بالسعادة بما وهبهما الله من ذرية صالحة، كان بيت فاطمة(ع) يفيض سعادة ومحبة وصفاءٌ ودفءٌ[٢].

وبدأت حياتهما الزوجية المشتركة فيما كانت أبواب الجهاد مشرعة وكان ذو الفقار سيف علي (ع) يتألق في دنيا الجهاد والفروسية والبسالة، وكانت فاطمة(ع) في طليعة المجاهدات حيث (جهاد المرأة حسن التبعّل) وكانت إلى جانب ذلك حاضرة في سوح الجهاد إلى جانب بطل الإسلام وسيفه الذي لا يقهر، تعالج جراحه وجراح أبيها النبي (ص)[٣].

ويتضح من ذلك إن الإمام علي (ع) وحده يعرف حجم جهاد فاطمة(ع) وما قدمته في ميادين الصراع في أحد والخندق وخيبر وغيرها[٤].

والإمام علي (ع) وحده الذي سجل تلك اللحظات الخالدة لوقوف فاطمة(ع) في المحراب تصلي لله عز وجل، وهو وحده الذي يسمع مناجاتها مع ربها في الأسحار، وهو وحده (ع) الذي يرى فاطمة كيف تتألق في الدنيا الحب الإلهي وكيف تنعكس أنوار السماء على وجهها وتكسرات النور السماوي في عينها ورفرفات الملائكة في محرابها[٥].

وعن مدى تلك القرون الأربعة عشر لم تجد بيتاً في دنيا الإسلام قدم ما قدم وأعطى ما أعطى مثل بيت علي وفاطمة (ع)[٦].

---

(١) ابن شهراشوب، مشير الدين أبي عبد الله محمد، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الأضواء، ط٢، (بيروت – ١٩٩١م): الموسوي، عباس حسين، دار البحار في سيرة النبي وآله الأطهار، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، ط٢، (قم – ١٤٣٠هـ)، ص١٠٧.

(٢) الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد العكبري، المقنعة، دار صادر، ط٢، (بيروت – ١٩٩٨م)، ص٢٠١.

(٣) الموسوي، درر البحار في سيرة النبي وآله الأطهار، ص١١٥.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر العربي للطباعة، (بيروت – ١٩٩٦م)، ج٢، ص٩٧.

(٥) الطبرسي، أبو الفضل بن الحسن، أعلام الورى بإعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت، (قم – ١٤١٧هـ)، ص١٦١.

(٦) الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ص١٦٣.

المبحث الثاني: مناقب السيدة فاطمة الزهراء (ع)

أولاً حيائها:

قال الإمام علي (ع): (استأذن أعمى على فاطمة (ع) فحجبته، فقال رسول الله (ص) لها لم حجبته وهو لا يراك، فقالت (ع) أن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشمّ الريح، قال رسول الله (ص) (أشهد أنك بضعة مني)[١].

قال الإمام علي (ع): (كنا عند رسول الله (ص) فقال: أخبروني أي شيء خير للنساء، فعيينا بذلك كلنا حتى تفرقنا، فرجعت إلى فاطمة (ع) فأخبرتها الذي قال لنا رسول الله(ص)، وليس أحد منا علمه ولا عرفه، فقالت: ولكني أعرفه، خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال.

فرجعت إلى رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله سألتنا أي شيء خير للنساء، خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال.

قال (ص): من أخبرك، فلم تعلمه وأنت عندي.

قلت: فاطمة. فأعجب ذلك رسول الله (ص) وقال: (إن فاطمة بضعة مني)[٢].

وهذه الدلائل الحقيقية التي تدل على حياء فاطمة الزهراء(ع).

ثانياً: فاطمة الزهراء (ع) وشؤونها المنزلية:

قال الإمام علي (ع): (لا أحدثك عني وعن فاطمة، إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه، إنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها وكسحت البيت حتى أغبرت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضرر شديد)[٣].

وفي رواية أن فاطمة(ع) عندما مرض الحسن والحسين (ع) طحنت فاطمة(ع) صاعاً واختبزت خمس أقراص لكي تقدمها إلى العائلة، فلم يذوقوا وذلك لمرور فقير جائع طلب منهم ذلك فقدموه إليه، وان العلماء أخرجوا هذه الرواية وذيلوا بها الآية الكريمة:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٤].

---

(١) أبي حنيفة، النعمان، دعائم الإسلام، مؤسسة آل البيت، (قم – ١٣٣٨هـ)، ج٢، ص٢١٤.

(٢) الأربلي. كشف النمة، ج١، ص٤٦٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٥٤.

(٣) الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، علل الشرائع، تحقيق: الشيخ محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، (بيروت – ١٤٠٣هـ)، ج٢، ص٣٦٦؛ الأميني، الشيخ عبد الحسين أحمد، الزهراء (ع) أم أبيها، تحقيق: محمد شعاع فاخر، مطبعة شريعت، (قم – ١٤١٢هـ)، ص٣٩.

(٤) سورة الأحزاب، آية ٧٢.

ثالثاً: أقوال الإمام علي (ع) بحق فاطمة(ع):

لو تمعنا في حديث لرسول الله (ص) بحق فاطمة(ع) وعلي (ع) (لولا أن الله تعالى خلق فاطمة لعلي ما كان لها على وجه الأرض كفوٌ آدمْ فمنْ دُونه).

نجد من هذا الحديث الشريف هو الكشف الحقيقي للوجه المضيء للسيدة فاطمة الزهراء وبيان أبعاد شخصيتها الرفيعة لن يتيسر إلا من خلال الإمام علي (ع)[1].

ومن هنا يتضح أقوال الإمام علي (ع) بحق فاطمة الزهراء(ع)، ومن كلامه (ع) (والله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتكشف عني الغموم والأحزان بنظري إليها)[2].

ومن كلام أمير المؤمنين (ع) في جوانب سيدتنا فاطمة(ع) حين أوصت له وقالت: (يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني).

فقال أمير المؤمنين (ع): (معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله أن أوبخك غدا بمخالفتي فقد عز عليَّ بمفارقتك وبفقدك إلا انه أمر لابد منه والله جدد عليّ مصيبة رسول الله (ص) وقد عظمت وفاتك وفقدك فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها هذه والله مصيبة لا عزاء عنها ورزية لا خلف لها)[3].

خاتمة البحث

لقد كتب الكثير من المؤرخين والمؤلفين عرباً وأجانب مسلمين وغير المسلمين على شخصية الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء(ع)، وإن هذا بحثي الموسوم (فاطمة الزهراء(ع) في رؤى الإمام علي (ع)) قد تحدد في موضوع جانب من حياة الزهراء(ع) مع الإمام علي (ع) والتضحية التي قدمتها هذه المرأة العالمية الفاضلة سواء في ميدان الحياة الزوجية أو في الميادين الأخرى التي سجل لها التاريخ الإسلامي سجلاً حافلاً ومثالاً للزوجة المخلصة، واتضح في البحث الجانب العقائدي والروحي التي تحملها سيدة نساء العالمين والوقوف جنباً بارزاً في دعم الإمام علي (ع) ومسيرته الجهادية في ميادين القتال كما أشار إليها مؤرخو التاريخ الإسلامي وممن كتبوا بالحديث الشريف.

وكشف البحث بساطة الزهراء(ع) في الحياة العائلية وإدارتها للشؤون المنزلية، وبعض أقوال الإمام علي (ع) بحق فاطمة(ع) والعلاقات الحميمة التي لم يسجل بعدها التاريخ مثل ما سجل لهذه الشخصية، والتي اتصفت بصفات كثيرة: (فاطمة، والصديقة، والبتول، والمباركة،

---

(١) الأربلي، كشف الغمة، ج١، ص٣٦٣.

(٢) القاضي، الحافظ محمد بن سليمان الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المعموري، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (قم – ١٤١٢هـ)، ص٣٥٢.

(٣) النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين، تحقيق: غلامحسن المجيدي، منشورات الرضي، (قم – ١٤٢٣هـ)، ج١، ص١٥٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩١.

والطاهرة، والزكية، والرضية، والمحدثة، والزهراء، وبضعة الرسول (ص)، والحوراء، والمعصومة، والرضية) والكثير من الألقاب المباركة، ونختم بحثنا في نزول الآية المباركة على بيت النبوة بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم (خير ما يبتدأ به).
ـ الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ).
١ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء للطباعة، ط٢، (بيروت – ١٩٨٥م).
ـ الأميني، الشيخ عبد الحسين أحمد.
٢ ـ فاطمة الزهراء أم أبيها، تعريب وتحقيق: محمد شعاع فاخر، مطبعة شريعت، (قم – ١٤١٢هـ).
ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).
٣ ـ أنساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر العربي للطباعة، (بيروت – ١٩٩٦م).
ـ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي القمي، (ت ٣٨١هـ).
٤ ـ من لا يحضره الفقيه، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف، (النجف الأشرف – ١٣٧٨هـ).
٥ ـ علل الشرائع، تحقيق: الشيخ محمد باقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، (بيروت ـ ١٤٠٣هـ).
ـ الطبري، عماد الدين أبي جعفر (ت ٥٢٥هـ).
٦ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى (ع)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم – ١٤٢٢هـ).
ـ الطبرسي، أبو الفضل بن الحسن.
٧ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع)، (قم – ١٤١٧هـ).
ـ الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد العكيري، (ت ٤١٣هـ).
٨ ـ المقنعة، دار صادر، ط١، (بيروت – ١٩٩٨م).
ـ ابن شهراشوب، أبو جعفر محمد بن علي المازندراني، (ت ٥٨٨هـ).
٩ ـ مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الأضواء، ط٢، (بيروت – ١٩٩١م).
ـ الطريحي، الشيخ فخر الدين.
١٠ ـ مجمع البحرين، المطبعة العالمية، (بيروت – ٢٠٠٣م).
ـ المجلسي، محمد باقر، (ت ١١١١هـ).
١١ ـ بحار الانوار، دار الكتب الإسلامية، (طهران – ١٤٢٨هـ).
ـ الموسوي، عباس حسين.
١٢ ـ درر البحار في سيرة النبي وآله الأطهار، مؤسسة أنصاريان للطباعة، ط٢، (قم – ١٤٣٠هـ).
ـ محمديان، محمد.
١٣ ـ فاطمة(ع) في رؤى الإمام علي (ع)، مؤسسة أنصاريان، (قم – ١٤٢٥هـ).
ـ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ).
١٤ ـ الكافي، مطبعة الحيدري، (قم – ١٣٧٩هـ).
ـ النيسابوري، محمد بن الفتال، (ت ٥٠٨هـ).
١٥ ـ روضة الواعظين، تحقيق: غلامحسن المجيدي، منشورات الرضي، (قم ـ ١٤٢٣هـ).
ـ النعمان، أبي حنيفة (ت هـ)
١٦ ـ دعائم الإسلام، مؤسسة آل البيت (ع)، (قم – ١٣٣٨هـ). ❖

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

مناقب سيدة النساء فاطمة الزهـراء

✍ الشريف الشيخ المصطفى ولد الشيخ الطالب أخيار (موريتانيا)

في البداية لا يسعني إلا أن أعبر لكم عن إعجابي الكبير بهذا اللقاء التاريخي المتميز، واعتذر مقدما عن هذه المداخلة المتواضعة لضيق الوقت المخصص لإعدادها..

وسأركز فيها على تناول شخصية السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها، أم سيدا شباب أهل الجنة، وهي بالفعل شخصية نادرة في التاريخ، من المهم استلهام الدروس والعبر من سيرتها ومسار حياتها، وذلك للإفادة وتمثُّلِ خصالها الحميدة، وهي خصال النبوة الصادقة..

فاطمة الزهـراء بنـت **محمـد بـن عبـد الله رسـول الإسـلام**. عليـه الـصلاة والـسلام، أمهـا **خديجـة بنـت خويلـد**، وفي بعض المرويـات المتداولـة أنهـا ولـدت يـوم الجمعـة ٢٠ جمـادى الآخرة في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية بعد حادثة **الإسـراء والمعراج** بثلاث سنين، أو في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية في **مكـة المكرمـة**، والنبي المكرم لـه مـن العمـر خمسة وثلاثين عاماً (حسب روايات أخرى أيضاً). زوجها هو أمير المؤمنين، وإبن عمها، علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه).

و لفاطمة بنت محمد (ص) مكانة عظيمة عند المسلمين بشتى طوائفهم؛ فتجمع على آن لها شأن عند الله يفوق كل نساء العالم، وأنها سيدة نساء العالمين كما جاء في السيرة النبوية الشريفة.

ولا يشاركها تلك المكانة الاستثنائية سوى القليل من النساء في التاريخ، مثل **مريم بنت عمران** التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

وتستمد فاطمة مكانتها من أنها أم الأئمة المعصومين بحسب أتباع مدرسة أهل البيت، ولديهم الكثير من الروايات التي تبين مكانتها وأفضليتها عن كل النساء، فبعض المصادر تروي أنها ولدت بعد أن أكل والدها عليه أفضل الصلاة والسلام، تفاحة من الجنة فصارت نطفة في صلبه وكانت هي من هذه النطفة، وروايات أخرى تذكر أن أفضل نساء العالمين - طبقاً للمنظور الإسلامي - أتين لتوليد خديجة من العالم الآخر تكريماً للزهراء، ويعتقد هذا الاتجاه، أيضاً، كذلك بعصمتها، وهي في المرتبة الثالثة من حيث المكانة بعد أبيها محمد النبي المكرم، وعلي بن أبي طالب.

أما من منظور مدرسة الصحابة (أو أهل السنة والجماعة)، ففاطمة بنت نبيهم وسيدة نساء العالمين، وترجع أفضليتها لأنها من أكثر من عانى وقاسى مع أبيها أيام محنة الدعوة إلى الله في المجتمع الجاهلي في مكة، حيث شنت قبائل قريش وبطونها حرباً لا هوادة فيها على هذا الداعي إلى الله المبشر النذير بنداء التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؛ وكانت فاطمة الزهراء، هي الراعية له على الرغم من صغر سنها وقسوة الظروف المحيطة بها.

غير أن أصحاب هذا الاتجاه الإسلامي لا يعتقدون بعصمتها أو إمامة زوجها وذريتها وإن كانوا جميعاً ذوي مكانة عظيمة لا يماري فيها إلا جاهل بالجهل المركب..

لقد ورد في حديث عائشة أنها قالت، قال رسول الله (ص): "**يا فاطمة، الا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمّة، وسيدة نساء المؤمنين..**" **(الحديث – كتاب المستدرك للحاكم النيسابوري).**

وعن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله (ص): "**حسبك من النساء أربع سيدات نساء العالمين: فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران**" **(كتاب الإصابة في حياة الصحابة جزء ٤، ص ٣٧٨...).**

عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه، قال: كان أحبّ النساء إلى رسول الله (ص) فاطمة، ومن الرجال علي بن أبي طالب (المستدرك على الصحيحين..)

وعن أُسامة بن زيد - في حديث - قال: سألت رسول الله (ص): أي أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: « **أحبّ أهلي إليّ فاطمة** (سنن الترمذي الجزء الخامس – ٦٧٨)

أجمع الكثير من المفسرين والمحدّثين وكتّاب السيرة أنّ فاطمة الزهراء، وبعلها، وبنيها (ع) كانوا المعنيين في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾ (الأحزاب/٦١)، الذي نزل على أثر مناظرة النبي (ص) لوفد نصارى نجران: إذ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهما للمباهلة بهم، وقال: «**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي**» فـ(أبناءنا) الحسن والحسين و(نساءنا) فاطمة و (أنفسنا) رسول الله وعلي (ع)، فكانت بضعة الرسول هي التي تفرّدت من بين نساء الأُمّة بشرف الاصطفاء الإلهي لهذه المنزلة العظيمة.. (انظر تفاسير الزمخشري والقرطبي.. و غيرهما)..

وتعتبر فاطمة الزهراء بضعة من الرسول الكريم، كما ورد، على سبيل المثال في كتاب المناقب في صحيح البخاري..

لقد ورد في الأثر أن النبي (ص) وعلى مدى ستة أشهر أو تسعة كان يأت كل صباح ويقف عند باب بيت علي وفاطمة (رضي الله عنهما) وينادي الصلاة يا أهل البيت ثم يتلو الآية

الكريمة: مخاطبا لهما بها، وهذا دليل أيضاً على أنهم المعنيون والمخاطبون بهذه الآية المباركة.

ففي المستدرك على الصحيحين قال الحاكم النيسابوري: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرني حميد وعلي بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة (رضي الله عنها) ستة أشهر

إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ثم قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (يعني الصحيحين البخاري ومسلم). كما أورده الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٣٥٢/٥ حديث رقم: ٣٢٠٦، كما ورد في مسند أحمد ٢٥٩/٣ حديث رقم: ١٣٧٥٤ و٢٨٥/٣ حديث رقم: ١٤٠٧٢، وكذلك حبهم (يعني أهل البيت)، ومودتهم، مسألة واجبة شرعاً، كما جاء في سورة الشورى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ صدق الله العظيم..

مع العلم أنه لم يُسمع من الرسول ذلك الثناء المتواصل الرفيع ولا معشاره في حق بقية بناته، ولم يكن ثناؤه عليها اندفاعاً للعاطفة والحب النفسي فقط، بل ما كان يسع له السكوت عن فضائل ابنته ودرجتها السامية عند الله تعالى. ولو لم يكن لها عند الله تعالى فضل عظيم لم يكن رسول الله (ص) يفعل معها ذلك إذ كانت ولده وقد أمر الله بتعظيم الولد للوالد، ولا يجوز أن يفعل معها ذلك، وهو بضدّ ما أمر به أمته عن الله تعالى، وكان ذلك كله لأسباب منها: كشفاً للحقيقة، وإظهاراً لمقام ابنته عند الله وعند الرسول، وكان الرسول يعلم ما سيجري على ابنته العزيزة من بعده من أنواع الظلم والاضطهاد والإيذاء وهتك الحرمة، ولهذا أراد الرسول أن يتمّ الحجة على الناس، حتى لا يبقى لذي مقالٍ مقالٌ أو عذر، وإليك هذه الأحاديث التي تدل على ما كانت تتمتع به السيدة فاطمة من المكانة في قلب الرسول (ص):

في العاشر من البحار(بحار الأنوار): روى القاضي أبو محمد الكرخي في كتابه عن الإمام الصادق (ع) قالت فاطمة (ع): لما نزلت ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ هِبتُ رسول الله أن أقول له: يا أبة. فكنت أقول: يا رسول الله. فأعرض عني مرة أو اثنتين أو ثلاثاً، ثم أقبل عليَّ فقال: يا فاطمة إنها لم تنزل فيكِ ولا في أهلكِ ولا في نسلكِ، أنت مني وأنا منك، إنما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر، وقولي: يا أبة. فإنها أحيى للقلب وأرضى للرب.

وأيضاً عن عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله (ص) من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقبّل يديها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحبَّت به وقبّلت يديه.. الخ.

وسأل بزل الهروي للحسين بن روح قال: كم بنات رسول الله (ص)؟ قال: أربع. فقال: أيتهن أفضل؟ قال: فاطمة، قال: ولِمَ صارت أفضل وكانت أصغرهن سناً، وأقلهن صحبة لرسول الله (ص)؟ قال: لخصلتين خصّها الله بهما:

١ - أنها ورثت رسول الله (ص).

٢ - نسل رسول الله منها، ولم يخصّها الله بذلك إلاّ بفضل إخلاص عرفه من نيّتها.

قال السمهودي - بعد إيراده حديث فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما أرابها: فمن آذى شخصاً من أولاد فاطمة أو أبغضه جعل نفسه عُرضة لهذا الخطر العظيم، وبضده (وبالعكس) من تعرَّض لمرضاتها في حبّهم وإكرامهم.

وقال السهيلي: هذا الحديث يدل على أن من سبّها كفر، ومن صلّى عليها فقد صلّى على أبيها، واستنبط أن أولادها مثلها لأنهم بضعة مثلها، وفكّ الفرع من أصله هو فكّ الشيء من نفسه وهو غير ممكن ومحال، باعتبار أن ذلك الفرع هو الشخص المعمول من مادة ذلك الأصل ونتيجته المتولدة منه - انتهى كلامه -.

أقول: لعل المقصود من الخطر العظيم الذي ذكره السمهودي هو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

أيها القارئ الذكي: بعد الانتباه لهذه الآيات، وبعد الإمعان والتدبير في هذه الأحاديث والروايات ما تقول فيمن آذى فاطمة الزهراء؟؟!!!

ومن المهم التذكير بمدى حب النبي (ص) لابنته السيدة فاطمة الزهراء:

ولا بد من الإقرار بداية إلى أنه من الصعب إحصاء الأحاديث التي تصرّح بأن رسول الله(ص) كان إذا أراد سفراً كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة (ع) وأول مَن يدخل عليها (بعد رجوعه من السفر) فاطمة، فقدم من غزاة، وقد علّقت مسحاً أو ستراً على بابها، وحلّت (من التحلية) الحسن والحسين قلبين من فضة، فقدم ولم يدخل، فظنت أن ما منعه أن يدخل دارها ما رأى، فهتكت الستر، وفكّت القلبين من الصَّبيين، وقطعته منهما، فانطلقا إلى رسول الله (ص) وهما يبكيان، فأخذه منهما فقال: يا ثوبان اذهب بهذا إلى فلان، إن هؤلاء أهلي أكره أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج.

روى هذا الحديث الخطيب العمري في (مشكاة المصابيح) والطبري في (ذخائر العقبى) والنويري في (نهاية الأرب) والقندوزي في (ينابيع المودة) والطبراني في (المعجم الكبير) والزبيدي في (إتحاف السادة) وغيرهم.

وقد روى هذا الحديث من علمائنا: الشيخ الكليني في (الكافي) والطبرسي في (مكارم الأخلاق) أكثر تفصيلاً وتوضيحاً مع اختلاف يسير:

عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: كان رسول الله (ص) إذا أراد سفراً سلم على أهله، ويكون آخر من يسلّم عليه فاطمة (ع) فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها (أي يزورها قبل كل أحد) فسافر مرَّة وقد أصاب علي (ع) شيئاً من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة فخرج، فأخذت سوارين من فضة، وعلّقت على بابها ستراً، فلما قدم رسول الله (ص) دخل المسجد، فتوجَّه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صبابة وشوقاً إليه، فنظر فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله (ص) حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها.

فدعت ابنيها، فنزعت الستر عن بابها، وخلعت السوارين من يديها ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي، فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا، فشأنك به، فجاءاه، فأبلغاه ذلك عن أُمّهما، فقبَّلهما رسول الله (ص) والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينك السوارين فكسرّهما وجعلهما قطعاً، ثم دعا أهل الصُّفة وهم قوم من المهاجرين، لم يكن لهم منازل ولا أموال فقسّمه بينهم قطعاً.. الخ.

هذا الحديث الذي تراه مشهوراً عند أغلب الطوائف الإسلامية، ومروياً بطرق عديدة لعله يحتاج إلى شرح وتعليق، مع العلم أن رواة هذا الحديث لم يتطرقوا إلى شرح ما يلزم:

ليس المقصود من هذا الستر هو الستر المرخى على مدخل البيت عند فتح باب البيت، لأن هذا الأمر مستحب للمبالغة على التستر والحجاب، وحاشا رسول الله (ص) أن يغضب من سترٍ قد عُلّق على مدخل بيت فاطمة.

بل المقصود أن السيدة الزهراء كانت قد علّقت على باب البيت (لا مدخل البيت) ستراً يستر الباب الخشبي، للزينة، المسمّى في زماننا بـ(الديكور) تجملاً أو تجميلاً للباب وبعبارة أخرى: ألبست الباب ثوباً - أي ستراً -، وليس هذا بحرام بل لأنه لا يتفق مع التزهد أو الزهد المطلوب من آل محمد (ع) والمواساة المترقبة المتوقعة منهم، ونفس هذا الكلام يأتي في موضوع السوار والقلادة.

وبناءاً على صحة هذا الحديث كان الأفضل للسيدة الزهراء أن تنفق ذلك الستر في سبيل الله بسبب الحاجة الماسَّة إليه، لكثرة الفقراء، وشدَّة الفقر المدقع عند فقراء المهاجرين - من باب المواساة والإيثار -.

وروى ابن شاهين في (مناقب فاطمة) عن أبي هريرة وثوبان هذا الحديث مع تغيير يسير، إلى أن قال: قال رسول الله (ص): فعلتْ، فداها أبوها - ثلاث مرات - ما لآل محمد وللدنيا؟ فإنهم خلقوا للآخرة، وخُلقت الدنيا لهم.

وفي رواية أحمد بن حنبل: فإن هؤلاء أهل بيتي، ولا أُحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

ويستفاد من هذا التعليل أن رسول الله (ص) لا يحب أن ينقص حظ ابنته فاطمة الزهراء من الأجر والثواب في الآخرة، لأن مرارة الحياة وخشونة العيش في الدنيا لهما تعويض في الآخرة، وبهذا الحديث الآتي يتضح ما قلنا:

في العاشر من البحار عن تفسير الثعلبي عن جعفر بن محمد (ع) وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قالا: رأى النبي (ص) فاطمة وعليها كساء من أجلّه الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (ص) فقال: يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه، فأنزل الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾.

وختاماً، وبناء على ما تم استعراضه من شواهد مهمة يتضح أن السيدة فاطمة الزهراء كانت أقرب إنسانة إلى رسول الله (ص)، وكان اتصالها وارتباطها بالنبي الكريم هو اتصال وارتباط الجزء بالكل، وارتباط بعض الشيء بالبعض الآخر، فالحب والعطف والانسجام والعلاقات الودّية قد بلغت إلى أقصى درجة، فلا عجب إذا كان رسول الله (ص) يعلم ابنته أفضل الأعمال، ويرشدها إلى أحسن الأخلاق، ويفيض عليها أحسن المعارف وأرقاها...

وحري بالمسلمين اليوم، وغدا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أن يستذكروا شمائل فاطمة الزهراء ومحامدها هداية ربانية وعناية إلهية تحقق مضمون الآية الكريمة "ولكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.." صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم.

❖ ❖ ❖

مقتبسات من التراث الفكري للزهراء (ع) دراسـة موضوعيـة

م. د. مياس ضياء باقر القزويني (*)

المقدمة

إن الله سبحانه وتعالى ومن خلال تعريفه ووصفه للكمالات الإنسانية يذكر صفات الرجل إلى جانب صفات المرأة، بشكل واحد منسجم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ (الأحزاب/٣٥)، وكما أنه عندما اصطفى وزكى عدداً من الرجال للرسالات تحقيقاً لإرادته، فإنه اختار أيضاً مجموعة من النساء بهدف تحقيق كلمة الله وظهور المشيئة الإلهية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران/٤٢)، وأنه سبحانه ينتقي بعض الرجال المتميزين في آفاق التوحيد، ومقاومة الظلم في نفوس الرجال وتقديمهم بصفتهم أسوة للآخرين، فإنه قد يختار أيضاً بعض النساء الساميات في مجال التوحيد ويعدّهن أنموذجاً للمجتمع الإسلامي فيما قاله الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ (التحريم/١١)، ويبدو أن الباري عز وجل أراد أن يتمم الأمثال النسوية الفائقة في السلوك فاختار الزهراء (ع) فأولى الكتاب الكريم عنايته الخاصة بها وأبرز قيمتها ومعالم شخصيتها في كثير من آياته المباركة منها ما قاله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب/٣٣)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (آل عمران/٦١). وغيرها من الآيات.

فتلك الآيات الكريمة التي نزلت لتبيان معالمها تجلى لنا بوضوح مقام الزهراء (ع) عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله (ص) حيث وصفتها الآية بـ(نساءنا) وهي على هذا الأساس أنموذج العنصر النسائي في المفهوم الإسلامي الكريم لا نظير لها في النساء على الإطلاق ولذا باهل بها رسول الله (ص) بأمر السماء فهي التي طهرها الله سبحانه وتعالى من الرجس فارتقت إلى المستوى الذي جعل منها ممثلة للنساء في مضمار المجتمع الإنساني السوي لكي يقتدين بها.

وحين تشكل الزهراء (ع) المدرسة الإسلامية الكبرى في حياة الرسالة والأمة بصفتها غرس النبوة الوحيد الذي تولى إنجاب خلفاء الرسول (ص) الشرعيين المتمثلين بأئمة أهل البيت (ع)،

(*) جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد.

وحين تكون النافذة الوحيدة التي يطل منها القادة الحقيقيون على الإنسانية حيث قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ (الكوثر: ١ - ٣).

فلا بد للإسلام من أن يولي مدرسته تلك كثيراً من الاهتمام والعناية ليجعل أمته أكثر قدرة على سلوك السبيل الأمثل الذي وطنته فاطمة الزهراء (ع) التي نهجت سبل الأنبياء وعاشت من أجل المبدأ الإسلامي القويم، حيث أخضعت كل متطلبات حياتها لصالح منهج الله سبحانه وتعالى وانطلقت تتحدث باسم المنهج القرآني، وسلكت ما رسمه وفكرت في حدود معالمه القويمة، فأوقفت حياتها الروحية والفكرية والجسدية خدمة للرسالة وذوداً عن حياضها، وقد ضربت في ذلك أروع الأمثلة وأنصعها.

لذلك فالرجوع إلى تراثها الفكري الضخم الذي خلفته لأجيال الأمة الإسلامية قد تجلى وتجسد في الذود عن الرسالة الإسلامية، فقد رسمت (ع) بأفعالها وأقوالها وآرائها المنهج الذي استقته من منهل الوحي المقدس والذي ينبغي أن نسير عليه، ومن خلال تسليطنا الضوء على بعض أقوالها (ع) يمكن أن نتعرف على أبعاد شخصيتها الفذة ومدى إدراكها العقلي الذي تسامى بأقوالها وأفعالها في سيرتها المقدسة لمنهج السماء المبارك لنستقي منها أروع المفهومات الإسلامية في الحكم والمجتمع ومعالم التشريع الإسلامي الهادف.

المبحث الأول: الجانب العقائدي

يعد جانب العقيدة في كل رسالة سماوية الحجر الأساس الذي تبنى عليه معالم الرسالة وتحدد على ضوئها مقوماتها وأبعادها.

لذا فإن تثبيت جانب العقيدة في نفوس المسلمين من أهم جوانب الدعوة الإسلامية، وقد نبض بهذا العمل القرآن الكريم وخاصة في السور والآيات التي نزلت في مكة إذ كان الإيمان بالله واليوم الآخر من أهم القواعد التي أراد القرآن الكريم تثبيتها في نفوسهم، وبعد تثبيت هذه القواعد أنطلق الوحي المقدس لرسم معالم التشريع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيره، لكي تكون هذه الجوانب قد امتلكت قاعدتها الصلبة التي تستند عليها في تحقيق أهدافها في حياة الإنسان[1].

وإبرازاً لهذه الحقيقة فقد بدأت الزهراء (ع) حديثها في خطبتها عن المفهوم العقائدي في الإسلام والذي سأسلط عليه الضوء من خلال مقتبسات من تلك الأقوال العظيمة التي بينتها الزهراء (ع) فقالت: (الحمد لله على ما انعم، وله الشكر على ما الهم، والثناء بما قدم من عموم نعم ابتداها..... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، كلمة جعل الإخلاص تأويلها،

---

(١) ينظر: الزهراء فاطمة بنت محمد (ص)، عبد الزهرة عثمان محمد، ١٦٧، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

وضمّن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها..... وأشهد أن أبي محمداً (ص) عبده ورسوله..... فرأى (ص) الأمم فرقاناً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمد ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها..... فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك....).

فالباحث المتتبع حين يستقرئ هذه الكلمات الوضاءة يستنبط مفهوماً إسلامياً رائعاً، فالزهراء (ع) رسمت حقيقة كبرى امتاز بها الإسلام عن سواه في الشرائع في كونه عقيدة ونظاماً ومنهجاً فهرس الحياة الإنسانية برمتها، فهي (سلام الله عليها) أكدت على الشهادة بعد أن حمدت الله سبحانه واثنت عليه، استهدفت إقناع مخاطبيها في أن الإسلام نظاماً يهذب الفرد، وينظم الجماعة، لذا فقد بينت (ع) حال العرب قبل أن يصدع أبوها القائد العظيم (ص) برسالته السماوية المباركة، فهناك الذين فرقوا دينهم شيعاً وأخضعوه لمتطلبات شهواتهم ورغباتهم كاليهود والنصارى، وهناك العاكفون على الأوثان الخاضعون للأصنام التي صنعوها بأيديهم واتخذوها آلهةً من دون الله سبحانه وتعالى فجاءهم نور الهدى على يد أباها محمد (ص) الذي لم يأت برسالته السمحاء إلا عن طريق الوحي المقدس لا عن طريق بلورة وتفاعل للمفاهيم الدينية السائدة، وصبها في قالب جديد، لأن المفاهيم الدينية السابقة قد انحرفت عن منطق الحق والاستقامة، وهذا ما يجعل العقول البشرية تطمئن إلى كون رسالة محمد (ص) وتعاليمه قد تلقاها من السماء بعيداً عن أوضار الجاهلية وآفاق الأرض وانحرافاتها[1].

ثم تتحدث (ع) عن الإيمان وفلسفته بصفته الركيزة الأولى التي يقوم عليها المبدأ الإسلامي الحنيف فهي (ع) تؤكد لنا أن الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر الذي اوجب الله الالتزام به كعقيدة رصينة للمسلم يمثل المناعة الطبيعية التي يمتلكها المسلم لدرء وباء الشرك الذي يزلزل العقيدة ويهدد كيانها بالانهيار، لأن الشرك والإيمان لا يمكن أن يجتمعا في كيان إنسان واحد أبداً، لان للكل منهما معالمه التي تسيطر على العقل والروح.

فهي بذلك ألزمت الأمة والأجيال القادمة بالسير على منهج الله سبحانه وتعالى بعيداً عن المتاهات والزيغ والانحراف عن النهج الإلهي الذي جاء به رسول الله محمد (ص) حيث برمج متطلبات الإنسان بهيكل تشريعي ضخم وضع الحلول لكل مشاكل الحياة الإنسانية، وبما يتناسب والمصلحة الفردية والعامة التي أغفلها الكثيرون من أبناء الأمة الإسلامية، متأثرين بالحضارة الغربية التي فصلت الدين عن الحياة، فالدين بزعمهم ليس بمقدوره أن ينشئ أمةً، أو ينظم مجتمعاً لان وظيفته عندهم محصورة في أطار المسجد والطقوس العبادية، لذا أكدت الزهراء (ع) في حديثها عن فلسفة الإسلام وإطاره العام ان في الإسلام نظاماً يهذب الفرد، وينظم الجماعة، ويقيم الدولة.

---

(١) ينظر: الزهراء فاطمة بنت محمد (ص)، ١٦٢.

المبحث الثاني: الجانب التشريعي

بعد أن بينت الزهراء (ع) في حديثها الجانب العقائدي من خلال التحليل الدقيق لمفهوم الإيمان ومقوماته، انطلقت (ع) لتبيان الهيكل العام للمذهب الإسلامي بصفته البناء الخارجي لهذا الإيمان الرصين والذي ينسجم مع قاعدته فتنهل من معينه لكي تنشئ الفرد الصالح والمجتمع السعيد والإنسان العزيز، وفقاً لمناهج علمية تنسجم مع الفطرة وتلائم الميول النفسية والروحية والجسدية، فالإسلام بصفته رسالة كبرى تقوم على فلسفة الكون والحياة ودستور للمجتمع وطريقة في الحكم والسياسة ومنهج للعمل والتفكير ومبدأ ثابت تبنى عليه الحياة الإنسانية للفرد والأسرة والمجتمع والدولة، هذه حقيقة الدين الإسلامي وهذه الرسالة الخاتمة التي اعتمدتها الزهراء (ع) وهي تقدم دليلاً عملياً لمن يجهل حقيقة الإسلام ليتضح له بصفته ديناً وتشريعاً، وعقيدة، ومنهجاً، ونظاماً.

ونحن عندما نستعرض أقوال الزهراء (ع) نبين للأمة وأجيالها القادمة حقيقة الرسالة الإسلامية، ومن هذه الأقوال:-

١- **قولها (ع) (والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر)**[1]

فالصلاة هي صلة روحية بين الإنسان وخالقه فحين يقف المرء أمام خالقه العظيم يعلن اعترافه بربوبيته، والاعتراف بالعبودية لله سبحانه وتعالى يرسم للمسلم صورة حياة مثالية متعددة الجوانب، مطبوعة بطابع الخضوع المطلق للعزيز الحكيم يسأله العون والهداية، وهذه العملية تتكرر خمس مرات في كل يوم لتكون مصدراً لتربية النفس والوجدان على الخضوع المستمر لله سبحانه وتعالى، هذا التكرار يشكل أيضاً مناخاً لصقل نفسية المسلم ومشاعره بما ينسجم وأوامر الله ونواهيه لينطلق المسلم وهو أكثر قدرة على تطبيق منهج السماء وحمله والتبشير به.

وقد رسم القرآن الكريم هذه الحقيقة فقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، فالصلاة تخلق لون خاص من السلوك بعيد عن الانحرافات والطيش، وتخلق مناعة طبيعية لمواجهة الفواحش ما ظهر منها وما بطن[2].

لذا فالزهراء (ع) تقف أمام هذه الحقيقة الكبرى لترسم للأجيال الإسلامية المتعاقبة قيمة الصلاة في خلق الشخصية الإسلامية، حيث جعلت الفريضة الأولى التي تعقب الإيمان بالله تعالى في برمجتها لمعالم الرسالة الإسلامية، وتؤكد للأمة بامتدادها التاريخي: إن

---

(١) فاطمة الزهراء (ع) سيدة النساء، ابن عاشور، ١٢٧، ط١، المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٢) ينظر: الزهراء فاطمة بنت محمد (ص).

الصلاة تنزه الفرد والمجتمع من الغرور والاختيال انطلاقاً مما تبثه الصلاة من إشعاعات روحية واجتماعية في نفسية الإنسان المسلم ومجتمعه.

٢- **وقولها (ع) (والحج تشييداً للدين.....).**

هناك سؤال يتبادر إلى الذهن، لماذا تعلن الصديقة الزهراء (ع) كون الحج تشييداً للدين دون غيره من الفرائض؟

والجواب على هذا السؤال يكمن في أن الحج يضم الكثير من مختلف الشعوب الإسلامية في اشرف بقعة على وجه الأرض (الكعبة المشرفة) يبذل المال والوقت والجهد فيعيش واقعاً إسلامياً يشع بالوحدة وتسوده المساواة المطلقة والتقارب الروحي والتعارف والإخاء، يحملون هدفاً واحداً هو رضوان الله تعالى، فتلغى الفوارق كما أراد لها الإسلام في واقع الحياة، فتتحقق الإخوة بأجلى مظاهرها، فلا اغتياب، ولا جدال، فينشأ التفاهم والتعارف والتقارب بين الشعوب الإسلامية، فيستفيد كل شعب من أخوانه، ولتطلع الشعوب الأخرى على هذا التلاحم والتماسك بين المسلين لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ونشرها بين الناس، فهذه الفوائد الجليلة وغيرها التي شرع الحج من اجلها لتحقيق واقع إسلامي مصغر ينكشف لنا المغزى الرصين الذي حمل الزهراء (ع) لتعدّ الحج تشييداً للدين.

٣- **وقولها (ع) (وطاعتنا نظاماً للملة..........).**

أبرزت (ع) المفهوم التطبيقي إلى جانب المفهوم التشريعي، لأن المفهوم التطبيقي يمتلك السلطة التي تمونه بالتشريع والأحكام التي تستند الدولة عليها في أمورها وقوانيتها، كما انه يمتلك القوة الفاعلة التي تتولى مهمة التنفيذ لعنصر التشريع.

وقد عبرت الزهراء (ع) عن العنصر الأول وهو التشريع بقولها (وطاعتنا نظاماً للملة) حيث أعلنت (ع) أن طاعة أهل البيت (ع) سيحفظ الشرع المقدس من كل اختلاف أو تصدع بعيداً عن الآراء والظنون المرتجلة التي تبعد الشرع عن حقيقته، فهي (ع) لم تقل محبتنا، أو مودتنا، وإنما قالت (طاعتنا) فاعطت بهذا المفهوم جانبه الثابت غير الخاضع للجدل والتأويل، إذ أنها (ع) لو استعملت لفظة المودة، أو المحبة، لأمكن صرف اللفظ هذا إلى غير معناه، فيقال إن محبة أهل البيت (ع) واجبة، ولكن لا يعني عدم جواز إتباع غيرهم والخضوع لهم سياسياً أو إدارياً.

والزهراء (ع) حين تعلن أن طاعة أهل البيت (ع) على الصعيد التشريعي، أمر فرضه الله سبحانه وتعالى كما فرض الصلاة، والصوم، وغيرها من التشريعات، فهي (سلام الله عليها) تقرر بذلك حقيقة منطقية ثابتة نطق بها الرسول الأكرم محمد (ص) عن الله سبحانه وتعالى، وأكدته الآيات القرآنية، وعشرات المواقف بشهادة كبار الصحابة والتابعين، وآخرها يوم أعلن الرسول (ص) بصورة إلزامية أمام الألوف المحتشدة بعد عودته من حجة الوداع عن إمامة

علي (ع) بقوله (ص): (أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حقّ، وأن ناره حقّ، وان الموت حقّ، وأن البعث حقّ بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟).

قالوا: نشهد بذلك.

قال: اللهمّ أشهد.

ثم قال: (أيّها الناس، إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، الهم وال من والاه وعاد من عاداه)[١].

٤- **بيانها (ع) أن محبة الآخرين من الإيمان.**

إن منهج أهل البيت (ع) في الزهد والعبادة، هو منهج الإسلام بصفاته وأصالته، وليس الزهد والعبادة في منهجهم انقطاعاً عن الحياة أو عن مسؤوليات الإنسان الاجتماعية، بل هو تعالٍ عن متع الحياة، وتسامٍ على متعلقاتها الفانية، لذا نجد الزهراء (ع) التي سميت بالبتول لكثرة عبادتها وتبتلها ودعائها للمؤمنين والمؤمنات تعطينا درساً في تفضيل الآخرين على أنفسنا وان نحب ونتمنى لهم ما نحب ونتمنى لأنفسنا[٢]، حيث قال عنها الإمام الحسن (ع): (رأيت أمي فاطمة في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى أتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسّميهم بأسمائهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك، كما تدعين لغيرك، فقالت يا بني: الجار ثمّ الدار)[٣].

٥- **قولها (ع) عن المرأة: (أن لا ترى الرجل المحرم، ولا الرجل المحرم يراها)[٤]:**

ربما يجد البعض أن في هذا القول مبالغة في الحجاب بالنسبة للمرأة، وحصرها في إطار البيت، ولكن هذا التصريح من الزهراء (ع) ليس قولاً تطبعه الهواية أو الصفة النظرية، وإنما حقيقة يقرها الواقع الإنساني الفسيولوجي والاحتماعي، فالزهراء (ع) تعلن هذا المفهوم الإسلامي الأصيل، لأن الإسلام هو دين العفة والفطرة أراد أن ينزه مجتمعه من كل الآثار التي

---

(١) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب فضائل أصحاب الرسول، ١٢، دار الفكر للنشر، بيروت – لبنان، د. ت، والمستدرك على الصحيحين، محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف المرعشلي، ٣، ١١٦، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.

(٢) ينظر: النفحات القدسية في الأنوار الفاطمية، عبد الرزاق كمونة الحسيني، ٤٥، منشورات مكتبة مسجد زين العابدين، الكويت، د. ت، ونفحات من السيرة موجز لسيرة الرسول (ص) وآهل البيت (ع)، لجنة التأليف ك مؤسسة البلاغ، ١٨٥، ط٤، مطبعة الصدر، ١٤٢٥ هـ: ٢٠٠٤ م.

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ٦٣/١٨، ط١، دار التعارف للمطبوعات، لبنان _ بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

(٤) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ٦٥/١٨.

تؤدي إلى إثارة الغريزة بين الرجل والمرأة لأنها تثار من محيط الإنسان من خلال الأحاديث والقصص المغرية والأفلام الخليعة والمجلات والأغاني وغيرها، لذلك أرادت الزهراء (ع) التزام جانب الوقاية بين الجل والمرأة بغية حفظ التوازن في المجتمع من خلال منع التبرج والاتصال غير المشروع بين الرجال والنساء، ويجب أن تقوم العلاقات على أساس حفظ الموازين الأخلاقية، فالرجل والمرأة الحق أن يرى بعضهما الآخر ويمارسا نشاطهما في إطار شرعي نظيف، بعيد عن منطق الشهوات والغرائز، ولهذه العلة عينها تنطلق الزهراء (ع) لتوضيح مفهوم الإسلام عن العلاقات بين الرجال والنساء في المجتمع الإسلامي الرشيد.

المبحث الثالث: الجانب السياسي

بعد أن ثبت الرسول محمد (ص) أركان العقيدة، وأوضح معالم الرسالة مجملها وتفصيلاتها حيث أعلن ذلك المشروع الأعلى سبحانه وتعالى فقال في محكم كتابه العزيز (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً...)، ورغم إعلانه نبأ إكمال التشريع وإتمام النعمة وارتضاء الإسلام منهجاً للأرض وانه (ص) أوشك أن يفارق هذه الدنيا إلا أن تعاليمه التي غرسها، ومدرسته التي أسسها باقية تعمل عملها وتؤدي مهمتها وفاعليتها في بناء الإنسان الرسالي المؤمن، وقد أكد (ص) على هذا المضمون بقرائن شتى كان بضمنها خطبته (ص) الجامعة التي ألقاها بعد عودته من حجة الوداع وأكد فيها على إمامة علي (ع) ليقوم بمهمة التنفيذ لهذه الرسالة على الصعيد الاجتماعي والسياسي.

لذا فأن الضرورة التي دعت الزهراء (ع) لإلقاء خطبتها تلك الخطبة التوحيدية في ذلك الحشد ليس فقط لاسترداد الخلافة وفدك، وإنما الغرض أيضاً هو التعليم والتوضيح والتذكير، ولأجل المناقشة السياسية والحضور في الساحة لتكون نبراساً يهتدي به أصحاب الحقوق المهدورة والمصادرة دونما أي حق شرعي كان أو وضعي[1].

ومن أقوالها (ع) في هذا الجانب:-

١- (وإمامتنا أماناً من الفرقة.....): بعد أن بينت الزهراء (ع) الجانب التشريعي انتقلت بهذا الحديث إلى الجانب السياسي، فأعلنت إمامة أهل البيت (ع) وقيادتهم لهذه الأمة مفروضاً من الله سبحانه وتعالى كسائر الواجبات، فأهل البيت (ع) هم معدن الحكمة وخريجو مدرسة الوحي، القادرين على تولي مركز القيادة، ومخلصي الأمة من التمزق

---

(١) ينظر: المرأة في مرآة الجلال والجمال، آية الله جواد آملي، تحقيق: محمد عبد المنعم الخاقاني، ترجمة: خليل العاصمي، ٥١٨، ط١، دار الإسراء للنشر، ١٣٨٧ هـ.

والانقسامات المصلحية ومنعهم من قيام أي صراع سياسي على الحكم، لمعرفتهم التامة للشريعة الإسلامية، ولعصمتهم التي عصمهم الله بها من ارتكاب أي خطأ في أحكامهم وقراراتهم ومن كل إثم في سلوكهم وتصرفاتهم وبكل هذه الامتيازات التي يمتازون بها أصبح بمقدورهم أن يقودوا الأمة الإسلامية إلى ما أراد الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة من الابتعاد عن الفرقة والاختلافات على الصعيد السياسي والاجتماعي[1].

٢- وفي خطبتها الثانية لوفد نساء الأنصار عززت (ع) حديثها عن الجانب السياسي فقالت: (... وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه – والله – نكيرَ سيفه، وقلة مبالاته بحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله..... ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، واطمئنوا للفتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم وهرج شامل واستبداد من الظالمين...).

حيث بينت في خطبتها (ع) موقفها من الذين سلبوا حقها وحق أمير المؤمنين (ع) بكلمات قبس من نور النبوة الساطع، وثمرة من ثمار الوحي التي تلقاها بيت الرسالة، ففاطمة (ع) وهي في آخر أيامها، والمرض قد استبد بها ما نسيت دروس الجهاد، فقد أعلنت رأيها الصريح في الواقع المر الذي آلت إليه الأمة بعد افتقادها قائدها الرسول الأعظم محمد (ص)، وذلك من خلال إعلانها عن سخطها على الذين استسلموا لواقع يجب استنكاره وتغييره، وإعلانها أن الإمام علي (ع) هو الخليفة الشرعي لأبيها (ص)، مع تبيانها لصفات علي (ع) تلك الصفات التي جعلته أهلاً لقيادة الأمة، ثم شرحت الأسباب التي دعت الجاحدين وذوي المصالح لإقصاء الإمام علي (ع) عن مقامه القيادي، ثم ذكرت واقع غيبي تصير إليه الأمة من تفرق لجمعها واستبداد الظالمين بأمورها هذه الحالة التي صار ويصير إليها الناس بعد أبيها (ص).

الخاتمة

من خلال ما ذكرناه عن الزهراء (ع)، وأن كان قليلاً جداً بحقها سلام الله عليها، لأنها أعظم من أن تستوعبها الكلمات، أو تفي حقها المجلدات، لأنها غرس النبوة وشجرة الإمامة، كشفت لنا أبعاد الرسالة الإسلامية بطابع تجسيدي نلمسه في كل جانب من جوانب شخصيتها (ع)، فتتجلي لنا الصورة الحية التي رسمها الإسلام للمرأة من حقوق وواجبات ومن فاعليتها في بناء المجتمع الإسلامي من خلال مواقفها البطولية وخاصة بعد استشهاد ابيها (ص)، والتي تتلخص بما يأتي:-

---

(١) ينظر: الزهراء فاطمة بنت محمد، ١٨٧.

١- العمل على تحقيق أهداف الرسالة الإسلامية الخالدة، وتثبيت القيم العقائدية في نفوس الناس وأركان المجتمعات البشرية.

٢- صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع بعد استشهاد الرسول الأعظم محمد (ص)، وهذه المهمة تتطلب الكفاءة الدينية، والعلمية، والنفسية، لأن إدارة شؤون الأمة على أساس الرسالة الربانية تتطلب قيادة حكيمة، وشجاعة فائقة، وصموداً كبيراً، ومعرفة تامة بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، فضلاً عن العصمة التي تعبر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كل سلوك منحرف أو عملٍ خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على مسيرة القيادة وانقياد الأمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها.

٣- الاستمرار بعملية التربية الصحيحة للأجيال القادمة، من خلال تطبيق تعاليم الرسالة الإسلامية وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر، لتكوين أمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول (ص) قائداً، وبالشريعة الإسلامية قانوناً للحياة، وبأهل البيت (ع) إعلاماً للهداية، وقادةً للمؤمنين بعد رسول الله (ص).

٤- أن فاطمة الزهراء (ع) هي الأسوة التي نسير على دربها ونسلك سلوكها، فقد مثلت في حياتها كل جوانب الشريعة روحاً وعملاً وسلوكاً، فهي سيدة نساء العالمين، كانت وستبقى مثلاً أعلى، ونبراساً مضيئاً، يشع إيماناً وطهراً.

المصادر

القرآن الكريم

١- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ط١، دار التعارف للمطبوعات، لبنان - بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١.

٢- الزهراء فاطمة بنت محمد (ص)، عبد الزهرة عثمان محمد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٣- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب فضائل أصحاب الرسول، دار الفكر للنشر، بيروت – لبنان، د. ت.

٤- فاطمة الزهراء (ع) سيدة النساء، ابن عاشور، ط١، المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٥- المرأة في مرآة الجلال والجمال، آية الله جواد آملي، تحقيق: محمد عبد المنعم الخاقاني، ترجمة: خليل العاصمي، ط١، دار الإسراء للنشر، ١٣٨٧ هـ.

٦- لمستدرك على الصحيحين، محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.

٧- النفحات القدسية في الأنوار الفاطمية، عبد الرزاق كمونة الحسيني، منشورات مكتبة مسجد زين العابدين، الكويت، د. ت،

٨- نفحات من السيرة موجز لسيرة الرسول (ص) وأهل البيت (ع)، لجنة التأليف ك مؤسسة البلاغ، ط٤، مطبعة الصدر، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م. ❖

الطفولة وحقوق الطفل عند فاطمة الزهراء (ع)

أ. م. د. هاشمية حميد جعفر

المقدمة

إن فاطمة الزهراء هي ابنة النبي الأكرم (ص) الذي هز أركان الفكر الإنساني، وهي زوجة رجل هو ركن من أركان الحق، وامتداد لأعظم نبي في التاريخ.

وقد حازت الزهراء (ع) على كمال العقل وطيب الصفاء، وكرم المحتد وعاشت في جو شعت عليه وامتدت به وعبرت عنه فكراً وإنتاجاً وغدت خطاً في الرسالة التي انطلقت ثورتاً فكانت ركناً من أركانها.

قد مثلت الزهراء (ع) اشرف ما في المرآة من إنسانية وصيانة وكرامة وقداسة ورعاية وعناية، فضلاً عن ما كانت عليه من ذكاء وقاد وفطنة حادة وعلم واسع وكفاها فخراً أنها تربت في مدرسة النبوة وتخرجت من معهد الرسالة وتلقت عن أبيها الرسول الأمين (ص) ما تلقاه عن رب العالمين.

ومما لاشك فيه إنها تعلمت في دار أبويها ما لم تتعلمه طفلة غيرها في مكة[1].

لقد سمعت القرآن من الحبيب المصطفى وسمعته من علي المرتضى وصلت به وعبدت به ربها بعد أن وعت أحكامه وفرائضه وسننه وعياً لم يحصل عليه غيرها من ذوي الشرف والمكرمات.

ونشأت الزهراء نشأة إيمان ويقين ووفاء وإخلاص وزهد وعلمت مع السنين إنها سليلة شرف لا منازع لها فيه من واحدة من بنات حواء.

لقد نشأت الزهراء وهي تحذو حذو أبيها في كل كمال حتى قالت عنها عائشة: (ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله (ص) من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه اخذ بيدها فقبلها ورحب بها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلته)[2].

المحور الأول: طفولة فاطمة الزهراء (ع)

كانت لفاطمة الزهراء (ع) طفولة مميزة تختلف عن غيرها من الأطفال فهي خلقت بأمر رباني، فقد روية عن أن النبي محمد (ص) بينما كان جالساً بالأبطح إذ هبط عليه

(١) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١١٦

(٢) المصدر السابق

جبرئيل (ع) فناداه: (يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمر كان تعتزل خديجة أربعين صباحاً) فبعث إلى خديجة بعمار ابن ياسر واخبرها بالأمر اللاهي وأقام النبي (ص) أربعين يوماً يصوم نهاراً ويقوم ليلاً فلما كان تمام الأربعين هبط جبرائيل (ع) فقال: (يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته).

فبينما النبي (ص) كذلك إذ بط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، فوضعه بين يدي النبي (ص) واقبل جبرائيل (ع) وقال: (يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام فأكل النبي (ص) شبعاً وشرب من الماء رياً ثم قام ليصلي فأقبل عليه جبرائيل وقال: (الصلاة محرمة[1] عليك في وقتك حتى تأتي منزل خديجة فان الله – عز وجل – إلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة) فوثب رسول الله (ص) إلى منزل خديجة (رضي الله عنها). قالت خديجة (رض): (وكنت قد الفت الوحدة فكان إذا جنني الليل غطيت رأسي وأسجفت ستري وغلقت بابي، وصليت وردي، وأطفأت مصباحي، وأويت إلى فراشي فلما كان تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمنتبهة، إذ جاء النبي فقرع الباب فناديت: (من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد (ص)؟ قالت خديجة: فنادى رسول الله (ص) بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: (افتحي يا خديجة فاني محمد) وفتحت الباب ودخل النبي المنزل، فلا والذي سمك السماء وانبع الماء ما تباعد عني النبي (ص) حتى أحسست بثقل فاطمة في بطني[2].

فلما حملت بالزهراء فاطمة (ع) كانت إذا خرج رسول الله (ص) من منزلها تكلمها فاطمة الزهراء في بطنها من ظلمة الأحشاء، وتحدثها وتؤانسها، فدخل يوم رسول الله (ص) وسمع خديجة تحدث فاطمة فقال لها: (يا خديجة من تكلمين؟ قالت: يا رسول الله إن الجنين الذي أنا حامل به إذا أنا خلوت به في منزلي كلمني وحدثني من ظلمة الأحشاء فتبسم رسول الله (ص) ثم قال: (يا خديجة هذا أخي جبرئيل (ع) يخبرني إنها ابنتي، وإنها النسمة الطاهرة المطهرة وان الله تعالى أمرني أن أسميها (فاطمة) وسيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون)[3].

وروي انه لما سأل الكفار رسول الله (ص) انه يريهم انشقاق القمر وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر – قالت خديجة: (وا خيبة من كذب محمداً وهو خير رسول ونبي فنادت فاطمة من بطنها: يا أماه لا تحزني ولا ترهبي فإن الله مع أبي)[4].

---

(١) قد يكون المراد هو الصلاة النافلة.

(٢) بحار الأنوار: ١٦ ـ ٨٠/٧٩ وروى هذا المضمون الذهبي في ميزان الاعتدال: ٣/٥٤٠والخطيب البغدادي في تاريخه: ٨٧/٥ ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى: ٥٥/٥٤.

(٣) عن الثاقب في المناقب للطوسي: ١٨٧.

(٤) عن الروض الفائق: ٣١٤، والجنة العاصمة: ١٩٠، ينظر مسند فاطمة (ع) لتويسر كاني: ٧٧.

واقترب موعد الولادة ولم تزل خديجة تأنس بجنينها وتعيش الأمل على الفرحة بالولادة فلما حضرتها الولادة أرسلت إلى نساء قريش ونساء بني هاشم.. فأرسلن إليها: عصيتينا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب، فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمركِ شيئاً، فاغتمت خديجة لذلك فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهن، فقالت أحداهن: لا تحزني يا خديجة فأنا رسل ربك إليكِ، ونحن أخواتك، انا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران بعثنا الله تعالى إليكِ لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء.. فوضعت فاطمة (ع) طاهرة مطهرة فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها نور حتى دخل بيوتات مكة فتناولتها المرأة التي بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية ثم استنطقتها فنطقت فاطمة (ع) بالشهادتين ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة منهن باسمها واقبلن يضحكن إليها، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدر عليها[1].

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته لمن يرضعه، فلما ولدت فاطمة (ع) لم يرضعها أحد غير خديجة (ع)[2].

وقد وصفها الرسول (ص) بما رواه ابن عباس إن الرسول (ص) قال: (ابنتي فاطمة حوراء أدمية، لم تحض ولم تطمث، وإنما سماها فاطمة لان الله فطمها ومحبيها من النار[3] (٩) وعنه (ص): (إن فاطمة حوراء إنسية كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها)[4] وقالت أم انس ابن مالك: (كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر.. بيضاء مشربة حمرةً، لها شعر اسود، من أشد الناس برسول الله (ص) شبهاً)[5].

وكانت فاطمة اصغر بنات النبي (ص) عاشت شطراً من أيام الرضاعة في شعب أبي طالب حيث الظروف الصعبة والقاسية، ثم فاطمة من اللبن وهناك درجت تمشي على رمضاء الشعب وتعلمت النطق وهي تسمع أنين الجياع وصراخ الأطفال المحرومين، وبدأت تأكل في زمن الحرمان والفاقة، وبقيت هذه الحال ثلاث سنين تقريباً والزهراء (ع) في هذا السجن لا يربطها بالعالم الخارجي أي شيء حتى أدركت سن الخامسة.

---

(١) دلائل الإمامة: ٨ و٩، نزهة المجالس: ٢٢٧/٢، بحار الأنوار: ٨٠/١٦ - ٨١، أمالي الصدوق: ٤٧٥.

(٢) عوالم العلوم: ٤٦/١١، عن البداية والنهاية لابن كثير: ٣٠٧/٥طبعة مصر.

(٣) تاريخ بغداد: ٣٣١/١٢، الحديث: ٦٧٧٢، وكنز العمال: ١٠٩/١٢.

(٤) تاريخ الخطيب البغدادي: ٨٧/٥ والغدير: ١٨/٣.

(٥) مستدرك الحاكم: ١٦١/٣.

ثم انتقلت السيدة خديجة (ع) إلى جوار ربها الكريم حتى أصبحت الطفلة الصغيرة مسؤولة عن رعاية أبيها والسهر عليه ولكنه لم يكن أباً عادياً، فتحملت الزهراء (ع) مسؤولية بيت ورعاية أسرة وهي طفلة صغيرة بعد إن رزءت بوفاة والدتها تلك الأم الحنون وذلك في عام الحزن، ويحس الأب الرسول (ص) بوطأة الحزن على نفس فاطمة (ع) ويرى دموع الفراق تتسابق على خديها، فيرق قلبه الرحيم وتفيض مشاعر الود والأبوة الصادقة فيحنوا رسول الله (ص) على فاطمة يعوضها من حبه وحنانه ما فقدته من أمها من حب ورعاية وحنان وهذا حق من حقوق الطفولة على الوالدين عند فقدان احدهما إن يعوض الآخر ما فقده الطفل من رعاية ومحبة وحنان واهتمام. فلم يكن أحب إلى قلب الرسول (ص) ولا اقرب إنسان إلى نفسه من فاطمة وكان يؤكد هذه العلاقة ويوضح مقامها ومكانتها في أمته وهو يمهد لأمر عظيم وقدر خطير يرتبط بها وبذريتها.

وتكبر فاطمة (ع) وتشب ويشب معها حب أبيها لها، ويزداد بره وحنانه عليها، وتبادله هي هذا الحب وتملأ قلبه بالعطف والرعاية فكلاهما أصبحا يتيمي الأم فيسميها (أم أبيها).

إنه النموذج القدوة من العلاقة الأبوية الطاهرة التي تساهم في بناء شخصية الأبناء، وتوجه سلوكهم وحياتهم، لقد كانت هذه العلاقة هي المثل الأعلى في رعاية الإسلام للطفولة والعناية بها.

وتشاهد فاطمة أباها والصفوة المؤمنة من دعاة الإسلام السابقين بالإيمان يخوضون ملحمة الجهاد والبطولة ويؤثر هذا الجو الجهادي في نفسها ويساهم في تكوين شخصيتها وإعدادها لحياة التحمل والمعاناة. لقد عايشت فاطمة (ع) كل ذلك وهي لم تزل صبية صغيرة.

المحور الثاني: حقوق الأطفال عند فاطمة الزهراء (ع)

حينما أصبحت أماً لخمسة أطفال هم (الحسن، الحسين، زينب، ام كلثوم في حين اسقط جنينها المحسن قبل ولادته)[1].

وعملت فاطمة الزهراء (ع) على تطبيق كل ما تعلمته من والديها والحقوق التي تمتعت بها في ظلهما على تربية أبناءهما وكان من تلك المبادئ ما يأتي:

١- **حق الطفل في عبادة الله:**

إن سيدتنا فاطمة الزهراء (ع) جعلت من نفسها قدوة صالحة لأولادها كي تمنحه حقهم في عبادة الخالق تعالى فهي التقية النقية الورعة التي شهد لها القرآن الكريم – سورة الدهر – على كمال إخلاصها وخشيتها لله سبحانه وعظيم إيمانها به وباليوم الآخر، وشهد

---

(١) لان المحسن ولد ميت من ضربة المهاجمين على دار الزهراء (ع) بعد امتناع علي (ع) من البيعة بعد وفاة الرسول (ص) وقد عد ابن عساكر في تاريخه في ترجمة الإمام الحسن أولاد السيدة الزهراء وأورد المحسن قائلاً مات في حياة أبيه.

الرسول (ص) لها قائلاً: (إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارها إيماناً إلى مشاشها ففرغت لطاعة الله)[١].

واخبر عن عبادتها: إنها متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله ـ عز وجل ـ لملائكته:

(يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائسها عن خيفتي وقد أقبلت بقلبها عن عبادتي، وأشهدكم إني قد آمنت شيعتها من النار)[٢].

وكانت (ع) تخصص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء كما كانت لا تنام الليل في العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك وكانت تحرض جميع من في بيتها بإحياء الليل بالعبادة والدعاء. حتى قال ولدها الحسن بن علي (عليهما السلام): (رأيت آمي فاطمة (ع) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: (يا أماه لما لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار)[٣].

وقال الحسن البصري عنها: (ما كان في هذه الأمة اعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورمت قدماها)[٤].

وكانت تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى[٥] إن فاطمة (ع) لم تخرج في حياتها كلها عن المحراب فما كانت حياتها إلا السجود الدائم لله فهي في البيت تعبدو الله في حسن التبعل وفي تربية أولادها، وهي في قيامها بالخدمات العامة كانت تطيع الله وتعبدوه أيضاً كما أنها في مواساتها للفقراء كانت تقوم بعبادة الله بنفسها وأهل بيتها مؤثرة على نفسها.

فكل ما قامت به سيدتنا من عبادة الله وطاعته كان أمام أولادها ليرتسم في أذهانهم ما تقوم به وتعلو في صوتها كي تسمع آذانهم، وتحثهم على القيام به ليطبقوه فتفرح بهم وهذا حق من حقوقهم.

٢ **حق الأطفال في الحب والمودة:**

وتجلى هذا المبدأ عند سيدتنا (ع) في علاقتها الطيبة الودودة مع الحسن والحسين (عليهما السلام) حيث كانت واعية إن مناغات الطفل في المرحلة الأولى ضرورية فهي تؤثر على نموه اللغوي والعاطفي، فكانت (ع) تناغي الحسن (ع) وتقول له: (أشبه أباك يا حسن واخلع عن الحق الرسن وأعبد إلهاً ذا منن ولا توالِ ذا الأحن).

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦/٤٣، والمشاش: رأس العظم اللين.

(٢) آمال الصدوق: ١٠٠/٢٤.

(٣) بحار الأنوار: ٨١/٤٣ ـ ٨٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أعلام الدين: ٢٤٧؛ وعدة الداعي: ١٥١.

وكانت تناغي الحسين (ع) وتقول: (أنت شبيه، بابي لست شبيهاً بعلي)[1] بهذه الكلمات التي تنمو عن مدا ثقافتها الإسلامية وأسلوبها الرصين المهذب كانت تناغيهم لتعبر عن حبها لهم.

٣- **حق الطفل في تربيته على أسس الإيمان:**

فكانت (ع) ترضع أولادها من لبن الإيمان الخالص، فقد غذتهم بالقيم الروحية الإسلامية العالية وجعلت بيتها المتواضع مناراً للإيمان.

٤- **حق الطفل في تعليمه الأخلاق الحسنة:**

حرصت (ع) على تنشئة أولادها على الاستقامة وعودتهم على الصراحة والصدق والوفاء بالعهد والتحلي بمكارم الأخلاق.

٥- **حق الطفل في منحه الاحترام:**

وكانت الزهراء ر تحترم شخصية أطفالها وتعاملهم معاملة الرجال مما جعلهم يشعرون بمنزلتهم ويطلعون على مكانتهم ويبنون شخصيتهم.

٦- **حق الطفل في تعليمه كيفية الاعتماد على النفس:**

فمن الشروط الأساسية لتكامل الفردي والاجتماعي اعتماد الفرد على نفسه وعدم الاتكال على الغير، ونرى ذلك واضحاً في شخصية الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) فالزهراء ربيبت الوحي والنبوة تعرف جيداً مناهج التربية الإسلامية فأعدت الحسن ليتحمل مسؤولية قيادة المسلمين ويتجرع الغصص في أحرج اللحظات من تأريخ الرسالة، ويصالح معاوية على مضض حفاظاً على سلامة الدين الإسلامي فيسقط ما في يد معاوية ويفشل كل خططه.

والزهراء (ع) ربت الحسين (ع) الذي اختار التضحية بنفسه وجميع أهله وأعز أصحابه في سبيل الله ومن اجل مقارعة الظلم والظالمين وربت (ع) زينب وأم كلثوم، وعلمتهن دروس التضحية والنداء والصمود أمام الظالمين، حتى لا يذعن ولا يخضعن للظالم وقوته، ويقولن الحق، أما جبروت بني أمية بكل جرأة وصراحة، لتتضح خطورة المؤامرة على الدين وعلى امة سيد المرسلين[2].

٧- **حق الطفل في توفير الطعام:**

فكانت (ع) تقوم بخدمة أطفالها وتوفر لهم الغذاء وترعاهم وهذه حادثة تثبت ذلك فقد جاءت فاطمة (ع) يوم الخندق ورسول الله (ص) منهمك مع أصحابه في حفر الخندق لتحصين المدينة وحماية الإسلام، جاءت وهي تحمل كسرة خبز فرفعتها إليه فقال (ص): (ما هذه يا فاطمة؟) قالت: (من قرص اختبزته لابني، جئتك منه بهذه الكسرة) فقال (ص): (يا بنية أما إنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث)[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٨٦/٤٣.

(٢) المصدر السابق: ٩٦/٢٠.

(٣) ذخائر العقبى: ٤٧، وفضائل الخمسة للفيروز آبادي: ١٦١/٣.

وهذه الرواية تؤكد أن الزهراء (ع) كانت تخبز لأولادها لتطعمهم وتغذيهم فلم تكن أم عابثة لاهية.

٨- حق الطفل في توفير الجو الهادئ في الأسرة:

فقد عاش الزوجان النموذجيان فاطمة وعلي (عليهما السلام) في الإسلام وأديا واجباتهما وضربا المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية، والعلاقة الزوجية المتينة التي يسودها الحب والتفاهم، فعن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي ابن أبي طالب (ع) ذات يوم ساغباً فقال: (يا فاطمة هل عندك شيء تغذينيه؟) قالت: (لا، والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيئاً طعمناه مذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين (الحسن والحسين) فقال علي (ع): (يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئاً؟) فقالت: (يا أبا الحسن إني لاستحي من الهي أن أكلف نفسك ما لا تقدر عليه)[1](٢١) وقال رسول الله (ص) عنهما في ليلة زواجهما لعلي (ع): (يا علي، نعم الزوج فاطمة) وقال لفاطمة (ع): يا فطمة، نعم البعل بعلك)[2] وقال (ص): لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ)[3].

فلا تنحصر مسؤولية الزوجين اتجاه بعضهما البعض بلا إنها تشمل دائرة أوسع من ذلك بكثير فهما مسؤولان عن أبناءهما، فالطفولة لها حق كبير، وتربيتهما تربية صالحة هي مسؤولية كبرى تقع على عاتق الوالدين.

فالأطفال بحاجة إلى محيط أسري هادئ يشعرهم بالطمأنينة والأمن، أما النزاع والاختلافات فهي بمثابة عاصفة عاتية تدمر مشاعر الطفل وتقذف في قلبه الخوف والقلق.

وإذا كانت هناك هموم تعكر صفو الحياة فينبغي على الوالدين معالجتها بعيداً عن الأطفال.

فالابتسامة والحنان والمحبة والرعاية هي حق الطفولة وهي من واجبات الوالدين وبالأخص الأم لأنها تقضي وقتاً طويلاً مع أولادها. وهذا ما نراه لدى سيدتنا فاطمة الزهراء (ع) فكانت توفر الجو اللازم والدفء والحنان المطلوب في البيت المشترك وبهذا كانت تشترك في جهاد علي (ع) أيضاً فان جهاد المرأة حسن التبعل كما ورد في الحديث الشريف[4]. هذه لمحة عابرة عن الطفولة وحقوق الأطفال عند الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء البتول (ع).

نرجو من الله أن يجعلنا وإياكم في خدمة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها. ❖

---

(١) بحار الأنوار: ٥٩/٤٢.

(٢) المصدر السابق: ١١٧/٤٢.

(٣) كشف الغمة: ٤٧٢/١.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٢١/٢٠، طبعة مؤسسة آل البيت (ع) وأعلام الهداية، سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع) المجمع العالمي لأهل البيت قم المقدسة.

الكتب المؤلفة في السيدة الزهراء (ع)

✍ اختيار: محمد علي محمد كاظم الطريحي

قال الأستاذ علي محمد علي دخيل: ما أكثر الكتب المؤلفة في ابنة المصطفى (ص): وما أكثر الكتب التي تحدثت عنها بتفصيل، وسجلت حياتها بإكبار! ففي عام ١٣٨٧هـ أعلنت مكتبة العلمين العامة في النجف الأشرف مباراة كتابية عن الزهراء (ع)، وجعلت للفائزين جوائز تبرع بها الوجيه الكبير السيد حسن الصراف - حفظه الله -، وإسهاماً مني في المباراة جمعت بعض المصادر التي تترجم للزهراء (ع)، فكانت زهاء ثلاثمائة مصدر، طبعتها المكتبة. وأذكر الآن الكتب المؤلفة فيها (ع) مطبوعة ومخطوطة، والكتب التي ألفت للمباراة.

١ - الكتب المخطوطة

١ - إتحاف السائل بما لفاطمة رضي الله عنها من الفضائل محمد حجازي الشافعي.
٢ - أخبار فاطمة (ع) أبو علي الصولي.
٣ - أخبار فاطمة (ع) عبد الله بن أبي زيد الأنباري.
٤ - أخبار فاطمة (ع) محمد بن أحمد بن عبد الله (ابن أبي الثلج).
٥ - أخبار فاطمة (ع) ومنشأها ومولدها محمد بن زكريا بن دينار.
٦ - أربعون حديثاً في فضائل السيدة فاطمة (ع) نجم الدين الشريف العسكري.
٧ - الأربعين في فضائل الزهراء (ع) أحمد بن عبد الملك المؤذن.
٨ - أضواء الدرر الغوالي لإيضاح غصب فدك والعوالي لبعض الأعلام.
٩ - تزويج فاطمة (ع) عبد العزيز بن يحيى الجلودي.
١٠ - تفسير خطبة فاطمة (ع) ابن عبدون.
١١ - الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة جلال الدين السيوطي.
١٢ - خطبة فاطمة (ع) أبو محنف لوط بن يحيى الأزدي.
١٣ - الدرة البيضاء في أحوال فاطمة الزهراء السيد جمال الدين محمد بن الحسين الواعظ.
١٤ - الدرة البيضاء في تاريخ حياة فاطمة الزهراء (ع)، جزءان نجم الدين الشريف العسكري.
١٥ - الروضة الزهراء في مناقب فاطمة الزهراء محمد بن أحمد بن أحمد الخزاعي.
١٦ - زهد فاطمة (ع) الشيخ الصدوق.
١٧ - شرح خطبة الزهراء (ع) السيد عبد الله شبر.
١٨ - شرح الخطبة خليل الكمرئي.
١٩ - شرح الخطبة فضل علي القزويني.
٢٠ - شرح الخطبة السيد علي محمد تاج العلماء.
٢١ - شرح الخطبة هادي البنابي.

٢٢ . شرح خطبة الزهراء محمد نجف المشهداني الكرماني.
٢٣ . الصوارم الحاسمة في مصائب الزهراء فاطمة السيد أبو القاسم الحلي.
٢٤ . الظلامة الفاطمية الناصر للحق إمام الزيدية.
٢٥ . الظلامة الفاطمية محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي.
٢٦ . الفاطميات أبو الحسن المدائني.
٢٧ . الفتح والبشرى في مناقب فاطمة الزهراء محمد الجفري.
٢٨ . فدك إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي.
٢٩ . فدك الحسن بن علي بن الحسن (أبو محمد الأطروش).
٣٠ . فدك مظفر بن محمد أبو الجيش البلخي.
٣١ . فدك عبد الرحمن بن كثير الهاشمي.
٣٢ . فدك عبيد الله بن أبي زيد الأنباري.
٣٣ . فدك يحيى بن زكريا الزماشيري.
٣٤ . فضائل الزهراء (ع) أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.
٣٥ . فضائل فاطمة عمر بن شاهين.
٣٦ . فضائل فاطمة الزهراء (ع) الحاكم النيسابوري.
٣٧ . كتاب ذكر فاطمة عبد العزيز بن يحيى الجلودي.
٣٨ . كلام في فدك طاهر غلام أبي الحبيش.
٣٩ . كلام فاطمة (ع) أبو الفرج الأصفهاني.
٤٠ . مباحثة إمامي وسني في أفضلية الزهراء على مريم عليهما السلام نجم الدين الشريف العسكري.
٤١ . مباحثة علوي وإمامي في تفضيل فاطمة الزهراء (ع) على سائر النساء نجم الدين الشريف العسكري.
٤٢ . من روى عن فاطمة (ع) من أولادها أحمد بن محمد بن سعيد (ابن عقدة).
٤٣ . مولد فاطمة (ع) وفضائلها وتزويجها وظلامتها ووفاتها الشيخ الصدوق.
٤٤ . وفاة فاطمة (ع) أبو الحسن البكري.

٢ - الكتب المطبوعة

١ . احتجاج الزهراء فاطمة (ع)/حجة الله النجفي الرضوي/صفحة ٢٢٤، القطع الكبير/ إيران ١٢٧٦.
٢ . البتول العذراء/محمد حسين شمس الدين/تقديم العلايلي/صفحة ٩٦، قطع الكف/لبنان.
٣ . بيت الأحزان/عباس القمي/صفحة ٨٢، القطع الكبير/إيران.

٤ . تزويج فاطمة بنت الرسول (ص)/الإمام محمد الباقر (ع)/تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد/صفحة ١٠، القطع الكبير/بيروت.
٥ . خطب فاطمة الزهراء (ع)/شرح وتحقيق الشيخ مسلم الجابري/صفحة ٢٤، قطع الكف/النجف.
٦ . الدرة البيضاء في شرح خطبة فاطمة الزهراء/محمد تقي السيد إسحاق الرضوي القمي/صفحة ١٩٠، القطع الكبير/إيران ١٣٥٤.
٧ . الزهراء/محمد جمال الهاشمي/الكتاب التاسع من حديث الشهر/صفحة ١٣٤، قطع الكف.
٨ . الزهراء (ع) في السنة والتاريخ والأدب/محمد كاظم الكفائي/الجزء الأول صفحة ٢٢٥، قطع الربع، الجزء الثاني صفحة ٤٠٦/النجف.
٩ . سيرة فاطمة الزهراء (ع)/محمد سلطان مرزا دهلوي/أردو/صفحة ٢٨٤، القطع الكبير/ كراجي.
١٠ . شرح خطبة فاطمة (ع)/أحمد بن عبد الرحيم/فارسي/صفحة ٤٣٩، القطع الكبير/إيران.
١١ . فاطمة البتول/وآية تاريخية اجتماعية/معروف الأرناؤط/صفحة ٣٧٦، القطع الكبير.
١٢ . فاطمة بنت محمد أم الشهداء وسيدة النساء/عمر أبو النصر/صفحة ٧١، قطع الربع/ مصر ١٣٦٦.
١٣ . فاطمة زهراء سلام الله عليها/جواد فاضل/فارسي/صفحة ٢٢١، قطع الربع/إيران.
١٤ . فاطمة الزهراء/توفيق أبو علم/صفحة ٣٠٢/مصر.
١٥ . فاطمة الزهراء والفاطميون/عباس محمود العقاد/ط٢/صفحة ٢٢٦، القطع الكبير/ بيروت ١٩٦٧.
١٦ . فاطمة الزهراء وقصائد أخرى/يوسف محمود عمرو/قطع الكف/١٠٧/لبنان ١٣٩٧.
١٧ . فدك في التاريخ/محمد باقر الصدر/صفحة ١٦٨، قطع الربع/النجف.
١٨ . في بيت فاطمة/عبد الصمد تركي/صفحة ٢٠٢، قطع الربع/الكويت.
١٩ . الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (ع)/عبد الحسين شرف الدين الموسوي/طبع ملحقاً بكتابه الفصول المهمة/النجف.
٢٠ . اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء/محمد علي الأنصاري/صفحة ٤٧٠، القطع الكبير/إيران ١٢٨٩.
٢١ . مجمع النورين وملتقى البحرين/أبو الحسن الزيدي النجفي/صفحة ٢٨٢، القطع الكبير/ إيران ١٣٢٨.
٢٢ . مصادر الدراسة عن الزهراء (ع)/علي محمد علي دخيل/صفحة ٥٨، قطع الكف/النجف.
٢٣ . مظهر الأشجان عن مهج الأخزان/جعفر بن محمد البحراني/صفحة ١٣٢، قطع الربع/١٣٢٠.

٢٤ . مناقب الفاطمية/إبراهيم بن محسن الكاشاني/صفحة ٤٧ ، قطع الربع/دمشق.
٢٥ . النار الحاطمة لقاصد إحراق بيت فاطمة/السيد مقرب علي النقوي الحسيني/صفحة ٩١ ، القطع الكبير/الهند ١٢٨١.
٢٦ . النفحات القدسية في الأنوار الفاطمية/عبد الرزاق كمونة الحسيني/صفحة ١٤٢ ، القطع الكبير/بيروت ١٩٧٠.
٢٧ . وفاة الصديقة الزهراء (ع)/عبد الرزاق الموسوي المقرم/صفحة ١٥٢ ، قطع الربع/النجف ١٣٧٠.
٢٨ . وفاة فاطمة الزهراء/حسين بن شيخ محمد البحراني/صفحة ٩٦ ، قطع الربع/النجف ١٣٧٢.
٢٩ . وفاة فاطمة الزهراء/علي الشيخ حسين البلادي/صفحة ٧٢ ، قطع الربع/النجف.

أقول: وقد ظفرنا على عدة كتب ورسائل أخر، قد ألفت فيها سلام الله عليها وهي مطبوعة، وإليك أسماؤها دون أي ترتيب:

٣٠ . مسند فاطمة الزهراء/الحافظ عبد الرحمن السيوطي/حيدر آباد دكن ١٤٠٦.
٣١ . فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد/السيد محمد كاظم القزويني/بيروت ١٣٩٧.
٣٢ . الصديقة فاطمة الزهراء/لجنة التأليف/الكويت ١٤٠٠.
٣٣ . فاطمة الزهراء أحمد الكاتب.
٣٤ . فاطمة الزهراء قدوة وأسوة/السيد محمد تقي المدرسي/١٤٠٤.
٣٥ . مولود الصديقة فاطمة الزهراء/الشيخ أبو عزيز الخطي/النجف ١٣٨٥.
٣٦ . مناقب الزهراء/السيد غلام رضا الكسائي/قم ١٣٩٨.
٣٧ . الزهراء/مجموعة مقالات من عدة أساطين/طهران.
٣٨ . حياة فاطمة الزهراء وابنتيها زينب وأم كلثوم (زند كانى فاطمة زهرا ودخترانآنحضرت زينب وأم كلثوم)/السيد هاشم الرسولي المحلاتي/طهران.
٣٩ . حياة فاطمة الزهراء (زند كانى فاطمة زهرا)/السيد جعفر الشهيدي/طهران ١٣٦٣ هـ.
٤٠ . فاطمة الزهراء، بهجة قلب المصطفى/أحمد الرحماني الهمداني/وهو الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم.

أقول: بعدما أخرجنا الفهرس من كتاب الأستاذ دخيل وأضفنا ما ظفرنا عليه، وصلنا نشرية (تراثنا) القيمة البالغة في التحقيق، وقد أخرج فيه معجم كامل لكل موضع ذكرت فيه فاطمة (ع) وترجمتها، فأدرجناه في هذا الكتاب بطوله مع حذف ما جاء في فهرس الأستاذ دخيل، حتى يكون سهل التناول لمن ليست عنده هذه النشرية. وأيضاً قد خلط فيها بين المخطوط والمطبوع.

٤١ . أحاديث فاطمة بنت رسول الله (ص)/في مسند الإمام أحمد بن حنبل، مجلد ٦، صفحة ٢٨٣.٢٨٢. /بيروت، دار الفكر.

٤٢ . أخبار الزهراء (ع)/للشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفى ٣٨١هـ. /انظر: الذريعة ٣٣١/١ و٣٤٤.

٤٣ . أخبار فاطمة (ع)/لأبي عبد الله المرزباني، المتفى ٣٧٨هـ. /انظر: الذريعة ٣٤٤/١.

٤٤ . أخبار الفاطميات/لأبي الحسن علي بن عبد الله بن جعفر المدني البغدادي الحافظ، المعروف بابن المديني (١٦١ـ ٢٣٤هـ). /وهو غير أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني، صاحب كتاب: (الفاطميات) الذي سيأتي. /انظر: إيضاح المكنون ٤٤/١، الذريعة ٣٩/١١. انظر ترجمته في: أعلام الزرلي ٣٠٣/٤، الكنى والألقاب ٤٠٥/١، تذكرة الحفاظ ١٥/٢، تهذيب التهذيب ٣٤٩/٧، ميزان الاعتدال ٢٢٩/٢، تاريخ بغداد ٤٨٥/١١.

٤٥ . الأربعون حديثاً في مناقب سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع)/للشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، المتوفى ٥٨٨هـ. /انظر: الذريعة ٤٢٦/١.

٤٦ . أرجوزة في مناقب سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع)/وفي فضلها وعصمتها وسائر أحوالها التاريخية إلى وفاتها. /للشيخ هادي بن عباس آل كاشف الغطاء/انظر: الذريعة ٤٩٧/١ - ٤٩٨.

٤٧ . إزالة الرين في مناقب فاطمة والحسنين/إسلام بول، طبعة حجرية.

٤٨ . الأسرار السياسية في التاريخ الإسلامي. /والبحث في حياة الزهراء البتول وأبنائها (ع). /فارسي، بعنوان: أسرار سياسي تاريخ إسلام وبر رسي زند كي زهراي بتول وفرزندانش. /لنعمت الله قاضي (شكيب). /طهران، بيروز، سنة ١٣٤٩هـ. ش. ٦٢٤ صفحة، القطع الكبير.

٤٩ . إشراق الإصباح في مناقب الخمسة الأشباح/(محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم عليهم الصلاة والسلام). /لإبراهيم بن محمد بن نزار الصنعاني (القرن الثامن الهجري). /نسخة بقلم المؤلف سنت ٧٥٣هـ، في ١٦٥ورقة، في إحدى المكتبات الخاصة بصنعاء، ومصورة عنها في معهد المخطوطات العربية. /انظر: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ٤١٤.

٥٠ . أم الأئمة/في فضائل سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع) ومناقبها ومصائبها، والجواب عن (أمهات الأئمة) الذي ألفه نذير أحمد الدهلوي. /للقاضي السيد محمد محسن الهندي. /الهند، ١٣٢٩هـ. /انظر: الذريعة ٣٠٢/٢.

٥١ . أنوار الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان أنوار زهرا (ع). /للسيد حسن الأبطحي. /مشهد، سنة ١٣٦٦هـ. ش/١٩٨٧م، الطبعة الثانية، ٢٢٠ صفحة، القطعة الكبير.

٥٢ - الأنوار اللامعة في تواريخ سيدتنا الصديقة الطاهرة فاطمة (ع)/للشيخ محمد رضا الطبسي. /انظر: الذريعة ٢/٤٣٩.

٥٣ - أنوار الهداية في مبحث فدك والقرطاس ودفع بعض شبهات الناس/للمولوي محمد أنور بن نور الدين محمد الأكبر آبادي، فرغ منه سنة ١١٩٢هـ. /انظر: الذريعة ٢/٤٤٧.

٥٤ - البتول فاطمة الزهراء/لعبد الفتاح عبد المقصود المصري. /الكويت، مكتبة المنهل، ١٩٨٢م.

٥٥ - البتول فاطمة الزهراء/للدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. /طبعة الكويت، مكتبة المنهل.

٥٦ - بحرا الرحمة: علي مظهر العدالة، وفاطمة مظهرة التقوى/فارسي بعنوان: دو درياي رحمت: علي مظهر عدل وفاطمة مظهر تقوا. /مجموعة شعرية. لمحمد علي مرداني. طهران، مؤسسة أمير كبير، سنة ١٣٦٦هـ. ش/١٩٨٧م، ٣٨٤ صفحة، القطع المتوسط.

٥٧ - بعض مناقب فاطمة الزهراء (ع)/في: سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، المجلد٢، صفحة ٣٧٥-٢٧٤. /للشيخ عباس القمي. /بيروت، دار المرتضى، أوفسيت.

٥٨ - البلاغة الفاطمية/في خطبها (ع) مع تعليقات عليها في بيان معانيها. /لعبد الرضا بن محمد علي المطبعي. النجف الأشرف، مطبعة الغري الحديثة.

٥٩ - البلاغة الفاطمية/مجموعة خطب فاطمة الزهراء (ع). /النجف الأشرف، ١٩٥٢م، الطبعة الثالثة.

٦٠ - بنات النبي يتحدثن/شرح حياة وخطب فاطمة الزهراء (ع)، زينب الكبرى (ع)، أم كلثوم، سكينة. /فارسي، بعنوان: دخترانبيغمبر سخن مي كويند. /لجواد فاضل. /طهران، سنة ١٣٢٧هـ. ش، ١٠٤ صفحة، القطع المتوسط. طهران، سنة ١٣٤٠ هـ. ش. ٩٥صفحة، القطع المتوسط.

٦١ - بيت الأحزان في مصائب سادات الزمان الخمسة الطاهرين من ولد عدنان (ع). /فارسي. /لملا عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي المشهدي، المتوفى ١٢٦٨هـ. /تبريز، ١٢٧٥هـ، حجرية. /إيران، ١٢٣٥هـ، حجرية.

٦٢ - تاريخ سيدة نساء العالمين وبضعة سيد المرسلين/في: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلد ٤٣. /طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى. /بيروت، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م، ٣٧٣ صفحة، أوفسيت على طبعة طهران.

٦٣ - تحرير النقول في مناقب أمنا حواء وفاطمة البتول/لابن الصباغ المالكي، نور الدين علي بن محمد بن أحمد المكي (٨٥٥-٧٨٤). /نسخة في دار الكتب الوطنية في باريس، برقم ١٩٢٧.

٦٤ - التحفة الفاطمية/في أحوال سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع) ومناقبها ومصائبها. /فارسي. /لميرزا عبد الحسين بن محمد علي الأصفهاني، الشهير بخوش نويس. /تفريظ:

المولى محمد حسين بن جعفر الفشاركي. /أصفهان: ١٣٢٨هـ، حجرية. /انظر: الذريعة ٤٦٠/٣.

٦٥ ـ تحفة المؤمنات في أحوال فاطمة الزهراء سلام الله عليها /باللغة الكجراتية. /للمولوي غلام علي البهاونكري. مطبوع في ٤٠٠ صفحة. انظر: الذريعة ٤٧٣/٣.

٦٦ ـ التحفة النورانية /في مناقب الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس، المتوفى سنة ٨٦٥هـ، ضمنه استطرادات في مناقب السيدة والإمام علي عليهما السلام. /لعبد الله بن عبد الرحمن باوزير (القرن التاسع الهجري). /نسخة في مكتبة الحسيني، بتبريم بحضر موت. /انظر: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ٤٢٦.

٦٧ ـ ترجمة أحوال الصديقة (ع) من كتاب (العوالم) /للحاج مولى حسن بن إبراهيم بن عبد الغفور اليزدي. /انظر: الذريعة ١٨٩/٢٦.

٦٨ ـ ترجمة حديث لوح فاطمة (ع) /فارسي. /ترجمة: أحمد البروجردي الجواهري. /كرمنشاه، سنة ١٣٢١هـ. ش، ١٦ صفحة، القطع الصغير.

٦٩ ـ تزويج فاطمة رضي الله عنها /لابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي الأموي مولاهم البغدادي (٢٠٨ـ٢٨١). /انظر: أهل البيت ـ (ع) ـ في المكتبة العربية، في: (تراثنا) العدد الثاني، السنة الأولى، ١٤٠٦هـ، صفحة ٦٢، معجم المؤلفين ١٣١/٦، معجم رجال الحديث ٣٠٤/١٠.

٧٠ ـ تسبيح فاطمة (ع) /فارسي/. للآقا مهدي اللكهنوي. /طبعة كراجي، ١٣٧٧هـ، ٢١ صفحة، القطع المتوسط.

٧١ ـ تعزية فاطمة الزهراء /للشاعر عبد الجواد الخراساني، المتخلص بجودي، المتوفى ١٣٠٢هـ. /فارسي، بعنوان: تعزية فاطمة زهراء. مجموعة شعرية. /مطبوع في إيران في ٣٢ صفحة. /انظر: الذريعة ٢٠٩/١.

٧٢ ـ تفنيد أكذوبة خطبة الإمام علي على الزهراء عليهما السلام /للشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني. /طهران، مؤسسة البعثة، ضمن كتاب المؤلف (لمحات في الكتاب والحديث والمذهب) الجزء١، صفحة ٢٥٧ـ٢٧٠.

٧٣ ـ ثمرة النبوة /أو: الزهراء (ع). /فارسي. للسيد نياز حسين العابدي الهندي. /حيدر آباد الدكن. /انظر: فهرست خانبار مشار: ١٤٧٦، الذريعة ١٦/٥.

٧٤ ـ جزء فيه تزويج فاطمة بنت رسول الله (ص) بعلي بن أبي طالب عليهما السلام. /للحافظ أبي بكر محمد بن هارون الروياني، المتوفى ٢٠٧هـ. /نسخة في المكتبة الظاهرية برقم ١٢٩ تصوف، من الورقة ١٤٢ـ ١٤٤ عليها سماع سنة ٧١٧هـ. بيروت، نشرة الدكتور صلاح الدين المنجد.

٧٥ـ الحاشية على عاشر بحار الأنوار/ في أحوال سيدة النساء فاطمة وولديها الحسن والحسين (ع). /لمحمد مهدي الحجار، المتوفى سنة ١١٩٥ هجرية. انظر: الذريعة ٢٧/٦.

٧٦ـ الحماسة الكبرى/يتضمن خطبة الزهراء (ع) التاريخية وعظم شخصيتها بعد وفاة الرسول (ص). /فارسي، بعنوان: حماسة بزرك. للشيخ ناصر مكارم الشيرازي. /مشهد، سنة ١٣٦٤هـ، ش، ١٠٤ صفحة، القطع المتوسط.

٧٧ـ حياة السيدة خديجة والسيدة فاطمة والسيدة زينب والسيدة سكينة/فارسي، بعنوان: زندكي حضرة خديجة وحضرت فاطمة وحضرت زينب وسكينة. /الحسين عماد زادهـ. /طهران، شركتسهامى طبع كتاب، ١٣٧٧هـ، ٧١٨ صفحة، القطع الكبير.

٧٨ـ حياة السيدة فاطمة (ع)/فارسي، بعنوان: زندكاني حضرت فاطمة (ع). /الحسين حماسيان (صابر كرماني). /طهران، سنة ١٣٤٤هـ. ش، ٤٨ صفحة.

٧٩ـ حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان: زندكاني حضرت فاطمة زهراء (ع). /لعبد الحسين المؤمني. /طهران، منشورات جاويدان، سنة ١٣٥٠هـ. ش، ٣٠٤ صفحة، القطع المتوسط.

٨٠ـ حياة السيدة فاطمة والسيدة خديجة مع الرسول (ص)/فارسي، بعنوان: زندكي حضرت فاطمة وحضرت خديجة با حضرت محمد (ع). لبدر الدين نصيري. /طهران، سنة ١٣٥١هـ. ش، الطبعة الثانية، ١٣٨ صفحة، القطع المتوسط.

٨١ـ حياة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان: زندكاني صديقه كبرى فاطمة زهرا (ع). للسيد الشهيد عبد الحسين دستغيب. /شيراز، مكتبة المسجد الجامع القديم، ١٣٤٣هـ. ش، ١٤٣ صفحة، القطع الصغير. قم، منشورات باقر العلوم، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٦٤هـ. ش، ٢٤٠ صفحة، القطع المتوسط.

٨٢ـ حياة فاطمة (ع)/لمحمود شلبي. /بيروت، دار الجيل، ١٤٠٣هـ.

٨٣ـ حياة فاطمة الزهراء (ع)/للشيخ الميرزا نجم الدين جعفر بن محمد الطهراني العسكري، المولود في حدود سنة ١٣١٣هـ. /انظر: الذريعة. ١٢١/٧.

٨٤ـ حياة فاطمة الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان: زندكاني فاطمة الزهراء (ع). /للشيخ ناصر مكارم الشيرازي. /مشهد، سنة ١٣٦٦هـ. ش، ٢٣٢صفحة، القطع الكبير.

٨٥ـ حياة فاطمة الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان: زهره زهرا زندكي فاطمة زهرا سلام الله عليها. /للسيد مهدي الرضوي. /طهران، سنة ١٣٥٠هـ. ش، ١١٢ صفحة، القطع المتوسط. /طهران، سنة ١٣٦٤هـ. ش/١٩٨٥م، الطبعة الثانية، ١١٦ صفحة، القطع المتوسط.

٨٦ـ خبر فاطمة وعلي عليهما السلام وقد شكوا إلى النبي (ع)…/لعلي بن عبد العزيز محمد الدولابي من أصحاب الطبري (٢٢٤ـ ٣١٠هـ). /انظر: الفهرست ـ للنديم ـ: ٢٩٢.

٨٧ ـ خصائص الزهراء (ع)/في شرح أربعين حديثاً، في كل حديث بيان تأويل آية من آيات القرآن المؤولة بالصديقة فاطمة (ع)، وتفسير تلك الآية. /للشيخ محمد علي بن حسن علي الهمداني، المولود بكربلاء في سنة ١٢٩٣ هجرية. /انظر: الذريعة ١٦٦/٧.

٨٨ ـ الخصائص الفاطمية/فارسي. /يحوي على مائة وخمس وثلاثين خصيصة. /للشيخ باقر بن إسماعيل بن عبد العظيم بن محمد باقر الكجوري (١٢٥٥ـ١٣١٣هـ). /طهران، ١٣١٨هـ، ٤٧٣ صفحة، طبعة حجرية. /انظر: الذريعة ١٧٣/٧ـ ١٧٤، معارف الرجال ١٤٠/١، فهرست خانبار مشار: ١٨٨٩.

٨٩ ـ خطبة الزهراء سلام الله عليها/إيران، سمنان، مؤسسة فاطمية، سنة ١٣٦٥هـ. ش، ٤٠ صفحة، رقعي. /

٩٠ ـ خطبة السيدة فاطمة أمام الصحابة/فارسي، بعنوان: سخنراني حضرت فاطمة جلوه كاه ايد آل إسلام. /لتوران أنصاري. /طهران، سنة ١٣٤٥هـ. ش، ٨٤ صفحة، القطع الصغير.

٩١ ـ خطبة اللمة/وهي خطبة الصديقة الزهراء (ع)، تسمى خطبة اللمة لأنها خرجت إلى المسجد في لمة من نسائها. /رماها أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه (السقيفة) بأسانيد كثيرة، ونقلها عنه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عند شرح كتاب الإمام علي (ع) إلى عثمان بن حنيف، وهي مروية في: الشافي، والاحتجاج، وكشف الغمة، والطرائف، وبلاغات النساء. /انظر: الذريعة ٢٠٤/٧ـ ٢٠٥.

٩٢ ـ الداهية الحاطمة على من أخرج من أهل البيت فاطمة/للشيخ حيدر علي الهندي الفيض آبادي. /رد فيه على من أنكر شمول آية التطهير لفاطمة (ع) وأخرجها من البيت وأهله في آية التطهير. انظر: الثقافة الإسلامية في الهند: ٢١٩، أهل البيت ـ (ع) ـ في المكتبة العربية، القسم المخطوط.

٩٣ ـ درر اللآلي في حجة دعوى البتول لفدك والعوالي/للحسين بن يحيى بن إبراهيم بن علي الديلمي (١١٤٩ـ ١٢٤٩هـ). /نسخة في جامع الغربية، رقم ٩٦ مجاميع. /انظر: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ٢٤١.

٩٤ ـ الدرة الحيدرية/باللغة الأوردية. /في البحث عن مسألة فدك وما يتعلق بها. /للسيد محمد حسين بن حسين بخش، الزيدي نسباً، النوكانوي الهندي بلداً، المولود في ١٢٩٠هـ. /طبع في الهند. /انظر: الذريعة ٩٧/٨.

٩٥ ـ الدرة الغراء في وفاة الزهراء (ع)/للشيخ حسين بن محمد آل عصفورالبحراني، المتوفى ١٢١٦هـ. /نسخة في تستر عند الشيخ مهدي آل شريف الدين، ضمن مجموعة، وهي نسخة عصر المؤلف. /طبع في النجف الأشرف، ١٣٧٢هـ، ٩٦ صفحة، القطع المتوسط. انظر: الذريعة ١٠٤/٨ و١١٩/٢٥.

٩٦ . الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة/في مناقب البضعة البتول فاطمة الزهراء (ع). /لأبي السيادة عبد الله بن إبراهيم بن حسن ميرغني الحنفي المكي، المتوفى ١١٩٣ هجرية. /تحقيق: محمد سعيد الطريحي. /طبع في بيروت، مؤسسة الوفاء ١٤٠٥ هجرية.

٩٧ . ذكر بنات رسول الله (ص)/فاطمة بنت رسول الله (ص)ـ. /في: الطبقات الكبرى، المجلد٨، الصفحة ١٩. ٣٠. /لابن سعد. /بيروت، دار صادر.

٩٨ . ذكر فاطمة ابنته . (ص) . ووصيتها ووفاتها ومن غسلها وولدها/في: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، الجزء ١، صفحة ٢٧٧.٢٨٠. /للشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري. /بيروت، مؤسسة شعبان.

٩٩ . ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله (ص)/في: المستدرك على الصحيحين في الحديث، الجزء٣، صفحة ١٥١. ١٧٦، للحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله الحافظ، المتوفى ١٤٥هـ. /بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ه/١٩٧٨ ميلادية.

١٠٠ . الرسالة الباهرة في تفضيل السيدة فاطمة الزهراء الطاهرة (ع)/للسيد أبي محمد الحسن بن طاهر القائني الهاشمي. /انظر: الذريعة ١٥/٢.

١٠١ . الرسالة الفاطمية/لمحمد أمين بن محمد تقي الخراساني. /انظر: الذريعة ٩٧/١٦.

١٠٢ . الرسالة في تحقيق الخبر المنسوب إلى النبي: نحن معاشر الأنبياء لا نورث. /للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ). /النجف الأشرف، دار الكتب التجارية، مع المسائل الجارودية وغيرها. /قم، مكتبة المفيد، بضمن (عدة رسائل للشيخ المفيد).

١٠٣ . رسالة في فدك/للسيد علي بن دلدار علي الرضوي النصير آبادي (ت١٢٥٩هـ). /انظر: الذريعة ١٢٩/١٦.

١٠٤ . رسالة في قصة الفدك/فيها حكاية فدك وخطبة الزهراء (ع). /لجعفر بن بكير بن جعفر الخياط. /انظر: الذريعة ١٢٩/١٦.

١٠٥ . رسالة في وفاة الزهراء (ع)/للسيد محمد علي الشاه عبد العظيمي. يأتي بعنوان: وفاة الزهراء صلوات الله عليها.

١٠٦ . روضة الزهراء (ع)/في المديح والمراثي. /فارسي. /لمحمد باقر البروجردي. نسخة في مكتبة السيد عبد الحسين الحجة بكربلاء.

١٠٧ . زبدة نظامية/في أحوال السيدة فاطمة (ع) فارسي. /للشيخ نظام الدين اليزدي. /يزد، ١٣٢٨هـ. ش، ١٩٦ صفحة، رقعي.

١٠٨ . الزهراء (ع)/بحث مشبع. للشيخ محمد حسين بن يونس المظفر (١٢٩٣ـ ١٣٧١هـ). /انظر: شعراء الغري ٩٠/٨.

١٠٩ - الزهراء (ع)/مجموعة مقالات. /فارسي. /للشيخ عباس القمي وآخرين. /طهران، سنة ١٣٦٤هـ. ش. /١٩٨٥م، ٤٢٢صفحة، القطع المتوسط.

١١٠ - الزهراء (ع)/في سوانح فاطمة الزهراء (ع) وأحوالها. /بالأوردية. /للسيد أولاد حيدر البلكراميالهندي. /مطبوع. /انظر: الذريعة ١٢/٦٧.

١١١ - الزهراء (ع) وقضية فدك المؤلمة/فارسي، بعنوان: حضرت زهرا سلام الله عليها وما جراي غم انكيز فدك. للشيخ ناصر مكارم الشيرازي. /مشهد، سنة ١٣٦٥هـ. ش/١٩٨٦م، ٦٨صفحة، القطع المتوسط.

١١٢ - السبول في مناقب فاطمة الزهراء البتول/لعماد الدين ادريس بن علي بن عبد الله بن حمزة (ت ٧١٤هـ). /انظر: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن: ٤١٢.

١١٣ - كتاب السقيفة وفدك/لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، المتوفى سنة ٣٢٣هـ. /رواية عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، المتوفى سنة ٦٥٦هـ. /تقديم وجمع وتحقيق: الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني. /طهران، مكتبة نينوى الحديثة، د. ت ١٥٢ صفحة، القطع الكبير. /تنظر: الذريعة ١٢/٢٠٦.

١١٤ - سلسلة كلمات أثوة الدين عن فاطمة (ع)/فارسي، بعنوان: سلسلة سخنان كوتاه ازبيشوايان دين از فاطمه (ع). للشيخ هادي الفقيهي. /طهران، سنة ١٣٤٨هـ. ش، ٣٩ صفحة، القطع الصغير.

١١٥ - السيدة في سيرة سيدتنا فاطمة سلام الله عليها. للشيخ حسن بن سليمان القادري البلهواروي. /انظر: الثقافة الإسلامية في الهند: ٩٣.

١١٦ - السيدة فاطمة (ع)/فارسي، بعنوان: حضرت فاطمة (ع). /لجلال الدين فارسي. /طهران، سنة ١٣٤٩هـ. ش، ٢٤ صفحة.

١١٧ - سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان: بانوبيانوان حضرت فاطمة زهراء (ع). /لجنة التأليف في مؤسسة (في طريق الحق). قم، مؤسسة في طريق الحق، سنة ١٣٦٣هـ. ش، ٤٨ صفحة، القطع المتوسط.

١١٨ - سيرة فاطمة الصديقة (ع)/بالأوردية. /للسيد ذاكر حسين أختر. /طبع في الهند. /انظر: الذريعة ١٢/٢٨٠.

١١٩ - شرح حديث: فاطمة بضعة مني/للمولى محمد رضا ابن صدر المتأهلين الشيرازي. /انظر: الذريعة ١٣/٢٠٤.

١٢٠ - شرح حديث: لو كان فاطمة لقطعتها/للمولى محمد رضا ابن صدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي. /انظر: الذريعة ١٣/٢٠٥.

١٢١ ـ شرح حديثين في فضائل فاطمة (ع)/فارسي، ضمن كتاب: رد شبهات نسبت بشيخيه در باب معاد. /لمحمد بن محمد كريم خان الكرماني. /بومبي، مطبعة ناصري، ١٣١٣هـ، ١٥٣ صفحة، القطع المتوسط.

١٢٢ ـ شرح خطبة الزهراء (ع)/للميرزا محمد علي بن أحمد القره داغي، المتوفى ١٣١٠هـ. /انظر: مرآة الكتب ٢/٢٠٦.

١٢٣ ـ شرح خطبة الزهراء (ع)/فارسي. /طبع في النجف الأشرف. /انظر: فهرست خانبار مشار: ٣٢٢٨.

١٢٤ ـ شرح خطبة السيدة الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان: شرح خطبة حضرت زهرا (ع). /للسيد عز الدين الحسيني الزنجاني. /قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٦٤هـ. ش/١٩٨٥م، ٥١٢ صفحة، القطع المتوسط.

١٢٥ ـ شرح خطبة فاطمة الزهراء (ع)/للشيخ نزيه قميحة. /بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٥هـ، ١٩٢ صفحة، ١٤×٢٠ سم.

١٢٦ ـ شرح الخطبة الكبيرة للزهراء البتول (ع)/للشيخ مسلم بن محمد بن جاسم الجابري (١٩١٣ـ ١٩٦٣م). طبع في النجف الأشرف د. ت.

١٢٧ ـ شرح خطبة اللمة/لمحمد علي الأنصاري. /يأتي بعنوان: اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (ع).

١٢٨ ـ شرح خطبة اللمة/سميت باللمة لأن الزهراء (ع) خطبتها في لمة من النساء في المسجد. /لابن عبدون. /تقدم بعنوان: كتاب تفسير خطبة فاطمة (ع).

١٢٩ ـ الشواهد الفدكية/فارسي. /في نقض الكلام في فدك المذكور في كتاب (تبصرة المسلمين) الذي ألفه سلامت علي خان البنارسي الهندي. /للسيد أكرم علي، فرغ منه سنة ١٢٣٧هجرية. /مطبوع. /انظر: الذريعة ١٤/٢٤٤.

١٣٠ ـ الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان: صديقه كبرى فاطمه زهراء. /للسيد الشهيد عبد الحسين دستغيب. /مر بعنوان: حياة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (ع).

١٣١ ـ ضوء اللآلي في غصب فدك والعوالي/انظر: الذريعة ١٥/١٢١.

١٣٢ ـ طعن الرماح/فارسي. /رد فيه على صاحب التحفة الاثني عشرية في مبحثي فدك والقرطاس وحرق الباب. /للسيد محمد بن دلدارعلي النصيرآبادي (١١٩٩ـ ١٢٨٤هـ). /الهند، ١٣٠٨هـ. /انظر: الذريعة ١٥/١٧٢.

١٣٣ ـ عدة قصائد في رثاء الزهراء/في ديوان الشيخ كاظم بن حسن بن علي السهلاني، الشهير بسبتي (١٢٥٨ـ ١٣٤٢هـ). /انظر: شعراء الغري ٧/١٥٤.

١٣٤ ـ عذراء يثرب/يشبه الرواية أدرج فيه جميع ما في الجزء الثاني من كتاب (الزهراء) للسيد محمد كاظم الكفائي. /انظر: الذريعة ٢٤١/١٥.

١٣٥ ـ العرى العاصمة في تفضيل الزهراء فاطمة (ع)/للشيخ محمد رضا بن قاسم الغراوي النجفي، ألفه سنة ١٣٢٩هـ. /انظر: الذريعة ٢٦٠/١٥ـ ٢٦١، شعراء الغري ٤٠١/٨.

١٣٦ ـ عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال/أحوال الزهراء (ع). /للشيخ عبد الله بن نور الله البحراني. /تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع) في قم. /قم، مدرسة الإمام المهدي (ع)، ١٤٠٥هـ.

١٣٧ ـ عين اليقين في بحث فدك وغصبها/طبع في الهند. /انظر: الذريعة ٣٧٤/١٥.

١٣٨ ـ فاطمة (ع)/فارسي. /لمحمد رضا نصيري. /مطبوع. /انظر: الذريعة ٩٦/١٦.

١٣٩ ـ في: المعارف، ص٨٤، ١٤١، ١٤٢، ١٥٨، ٢٠٠. /لابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ). /طبع في بيروت.

١٤٠ ـ فاطمة/فارسي. /لرئيس العلماء جلال الدين رياستي/شيراز: مطبعة مصطفوي، سنة ١٣٥١هـ. ش، ٩٩ صفحة.

١٤١ ـ فاطمة (ع)/فارسي. /لنصير الدين مير صادقي طهراني. /طهران، سنة ١٣٤٧هـ. ش، ٤١٠ صفحة.

١٤٢ ـ فاطمة رضي الله عنها/في: تلخيص المستدرك، صفحة ١٥١ـ ١٧٦، للإمام الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي. /بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، بهامش كتاب (المستدرك على الصحيحين) للحاكم النيسابوري، المجلد٣.

١٤٣ ـ فاطمة رضي الله عنها/في/كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الجزء ١٣، صفحة ٦٧٤ـ ٦٨٧. /للمتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، المتوفى ٩٧٥هـ. /ضبطه وفسر غريبه: الشيخ بكري حياني. /صححه ووضع فهارسه: الشيخ صفوة السقا. /بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٤٤ ـ فاطمة ابنة النبي (ص)/في: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، صفحة ٣٥٩ ـ ٣٦١. لزينب بنت علي بن حسين بن عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن يوسف فواز العاملي، السورية مولداً والمصرية موطناً/القاهرة، بولاق، ١٣١٢هـ. /بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، أوفيست.

١٤٥ ـ فاطمة ابنة النبي (ص)/في: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الجزء٣، صفحة ٤٢١ـ ٤٣٢. /للإمام الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ). /بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣/١٩٨٣م.

١٤٦ ـ فاطمة أره/فارسي. /طهران، ٤٠ صفحة، طبعة حجرية. /انظر: الذريعة ٩٦/١٦.

١٤٧ ـ فاطمة بنت الرسول (ص)/في: قاموس الرجال، المجلد١١، صفحة ٩ ـ ٢٨. /للشيخ محمد تقي التستري. /طهران، مركز نشر الكتاب، ١٣٩١ هجرية.

١٤٨ ـ فاطمة بنت رسول الله (ص)/في: تهذيب التهذيب، صفحة ٤٤٠ ـ ٤٤٢. /لابن حجر العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، المتوفى ٨٥٢هـ. /حيدر آباد الدكن، ١٣٢٧هـ، الطبعة الأولى.

١٤٩ ـ فاطمة بنت رسول الله (ص)/في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المجلد٢، صفحة ٣٩ ـ ٤٣. /للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، المتوفى ٤٣٠هـ. /بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥/١٩٨٥م.

١٥٠ ـ فاطمة بنت رسول الله (ص)/في: أسد الغابة في معرفة الصحابة: الجزء٥، صفحة ٥١٩ ـ ٥٢٥. /لابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المتوفى ٦٣٠ هجرية. /طهران، المكتبة الإسلامية، أوفست.

١٥١ ـ فاطمة بنت رسول الله (ص)/في: سير أعلام النبلاء، الجزء٢، صفحة ١١٨ ـ ١٣٥. لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ/١٣٧٤م/بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. /حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط.

١٥٢ ـ فاطمة بنت رسول الله (ص)/في: تراجم أعلام النساء، الجزء٢، صفحة ٣٠١ ـ ٣٣٨. /للشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري. /بيروت، مؤسسة الأعلمي الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٥٣ ـ فاطمة بنت محمد (ص)/في: مروج الذهب ومعادن الجواهر، الفقرات: ١٤٧٥ ـ ١٤٨٦ ـ ١٤٨٧ ـ ١٤٨٩ ـ ١٤٩٦ ـ ١٤٩٧، ١٥١٧ ـ ١٥١٩ ـ ١٥٢٣ ـ ١٦١٢ ـ ١٧٥١ ـ ١٧٥٨ ـ ١٧٦٤ ـ ١٨٤٤، ١٩٠٨ ـ ١٩٥٠ ـ ٢٠٨٩ ـ ٢٢٢١ ـ ٢٢٨٠ ـ ٢٣٧٧ ـ ٢٤٠١ ـ ٢٤١٠، ٢٨٩٦. /للمسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، المتوفى ٣٤٦هـ. /طبعه بربيه دي مينا رو باقيه دي كرتاي. /عني بتنقيحها وتصحيحها وصنع فهارسها: شارل بلا. /بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٩م.

١٥٤ ـ فاطمة بنت محمد رضي الله عنها/في: جامع الأصول، من أحاديث الرسول، الجزء٩، صفحة ١٢٥ ـ ١٣٢. /لابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ). /حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد القادر الأرناؤوط. /بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٥٥ ـ فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (ص)/في: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، الجزء٤، صفحة ١٠٨ـ ١٣٢، لعمر رضا كحالة. /بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٥٦ ـ فاطمة بنت النبي (ص)/في: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، السيرة النبوية، صفحة ٦٦، ٧٥، ٨٨، ١٤٤، ٢١٦، ٢١٧، ٥٩١. /للحافظ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ. /تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري. /بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٥٧ ـ فاطمة الزهراء (ع)/في: أنساب الأشراف، صفحة٥، ٥٣، ٩٧، ١٨٦، ١٨٨، ١٩١. /للبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (القرن الثالث الهجري). /بيروت، دار التعارف، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. /حققه وعلق عليه: الشيخ محمد باقر المحمودي.

١٥٨ ـ فاطمة الزهراء (ع)/في: الأعلام، الجزء٥، صفحة ١٣٢. /لخير الدين زركلي، المتوفى ١٩٧٦م. /بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

١٥٩ ـ فاطمة الزهراء (ع)/في: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، الجزء٢، صفحة ٥ـ١٤. /لحسن الأمين. /بيروت، دار التعارف، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٦٠ ـ فاطمة الزهراء (ع)/فارسي. /في: لغت نامه، حرف (ف)، صفحة ٢٨ـ٢٩. /لعلي أكبر دهخدا (١٢٥٨ـ١٣٣٤هـ. ش). /طهران، سنة ١٣٤١هـ. ش.

١٦١ ـ فاطمة الزهراء (ع)/وقصائد أخرى. /ليوسف محمد عمر. /بيروت ١٣٩٧هـ، ١٠٧ صفحة، القطع الصغير.

١٦٢ ـ فاطمة الزهراء/لمحمد كامل حسن المحامي. /بيروت، المكتب العالمي للطباعة والنشر، سنة ١٩٨٥م، ١٢٥ صفحة، القطع المتوسط، سلسلة: عظماء الإسلام.

١٦٣ ـ فاطمة الزهراء/لعبد الفتاح عبد المقصود. /٣مجلدات، ربما هو نفس كتابه (البتول فاطمة الزهراء).

١٦٤ ـ فاطمة الزهراء (ع) (فارسي. /لحسين عماد زاده الأصفهاني. /طهران، سنة ١٣٣٦هـ. ش، ٧٠٣ صفحة، القطع الكبير.

١٦٥ ـ فاطمة الزهراء (ع)/لعلي محمد علي دخيل. /بيروت، مؤسسة أهل البيت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٧٦صفحة، القطع المتوسط، أعلام النساء ـ٢.

١٦٦ ـ فاطمة الزهراء سلام الله عليها/فارسي. /للشيخ ناصر مكارم الشيرازي. /مشهد، سنة ١٣٦٢هـ. ش/١٩٨٤م، ٦٠ صفحة، القطع المتوسط.

١٦٧ ـ فاطمة الزهراء/لحسين بن محمد بن أحمد بن عصفور الدرازي، المتوفى ١٢١٦هـ. /نسخة في المكتبة المركزية لجامعة البصرة، برقم ٢٢٧، تاريخ النسخ ١٢١٩هـ، ٣٨ ورقة، ٢٠×١٢سم.

١٦٨ ـ فاطمة الزهراء أم أبيها/في: بنات النبي، صفحة ١٥٩ ـ ٢١٩. /للدكتورة بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن. /بيروت، دار الكتاب العربي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٦٩ ـ فاطمة الزهراء أم أبيها/فارسي. /لعبد الحسين الأميني. /تقرير وصياغة: حبيب جايجيان. /طهران، منشورات أمير كبير، سنة ١٣٦٦هـ. ش/١٩٨٧م، الطبعة الثالثة، ١٢٠ صفحة، القطع الكبير.

١٧٠ ـ فاطمة الزهراء أم أبيها/لشاكر الأنصاري. /بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٤هـ، ١٢٤ صفحة ١٤×٢٠سم.

١٧١ ـ فاطمة الزهراء أم الإمامة وسيدة النساء/للشيخ محمد حسن النائيني. /بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٤هـ، ٣٣٤ صفحة.

١٧٢ ـ فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين/في: الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء٤، صفحة ٣٧٧ ـ ٣٨٠. /للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي، المعروف بابن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢هجرية). القاهرة مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

١٧٣ ـ فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص)/في: تهذيب الأسماء واللغات، الجزء الثاني من القسم الأول، صفحة ٣٥٢ ـ ٣٥٣. /للحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، المتوفى ٦٧٦هـ. /بيروت، دار الكتب العلمية.

١٧٤ ـ فاطمة الزهراء بنت رسول الله سيدة نساء العالمين/في: أعيان الشيعة، المجلد١، صفحة ٣٠٦ ـ ٣٢٣. /للسيد محسن الأمين. /تحقيق وإخراج: السيد حسن الأمين. /بيروت، دار التعارف، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٧٥ ـ فاطمة الزهراء في نظرروايات أهل السنة/فارسي، بعنوان: فاطمة زهرا از نظر روايات أهل سنت. للشيخ محمد واصف. /قم/دار النشر، سنة ١٣٥١هـ. ش، ٩٦ صفحة، القطع الصغير.

١٧٦ ـ فاطمة الزهراء قدوة المرأة المسلمة/كاظم السباعي. /طهران، ١٩٨٥م، الطبعة الثانية، ٤٤ صفحة، القطع الصغير.

١٧٧ ـ فاطمة الزهراء القلعة التي لا تهزم أبداً/فارسي، بعنوان: فاطمة زهرا دُژ شكست نابذير وحي در طول زمان. /لحسن سعيد. /طهران، مدرسة جهل ستون، سنة ١٣٦٤هـ. ش، ٤٣٨ صفحة، القطع الصغير.

١٧٨ - فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام/فارسي، بعنوان: فاطمة زهرا، بانوى نمونة إسلام. /للشيخ إبراهيم أميني. /قم، منشورات شفق، الطبعة الخامسة عشر، ٢٤٧ صفحة، القطع المتوسط. عربه السيد علي جمال غفار الحسيني. /تحت الطبع في قم، سيصدر عن منشورات شفق.

١٧٩ - فاطمة (ع) زواجها وولادتها للحسن والحسين عليهما السلام ووفاتها/في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء١، صفحة ٩ و١٠، ١٥. /لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، المتوفى ١٠٨٩هـ. /بيروت، دار الآفاق الجديدة.

١٨٠ - فاطمة سيدة النساء/لمحمد محمود زيتون المصري، مؤلف كتاب (الحافظ السلفي) المطبوع بالإسكندرية، قال فيه (صفحة ٣١٤) أن كتابه (فاطمة سيدة النساء) تحت الطبع. /انظر: أهل البيت - (ع) - في المكتبة العربية، القسم المخطوط.

١٨١ - فاطمة الصديقة الكبرى (ع)/فارسي. /من: ناسخ التواريخ، المجلد٤ من الكتاب الثاني/لمحمد تقي سبهر. /طهران، منشورات أمير كبير، سنة ١٣٢٨هـ. ش، ٣٥٢ صفحة. /انظر: طبعات الكتاب في: فهرست خانبار مشار: ٥١١٧. ٥١١٨.

١٨٢ - فاطمة عند الجمهور/للميرزا نجم الدين جعفر بن محمد الطهراني العسكري، المولود سنة ١٣١٣ هجرية. /انظر: الذريعة ٩٦/١٦.

١٨٣ - فاطمة هي فاطمة/فارسي، بعنوان: فاطمة فاطمة است. /للدكتور علي شريعتي. /طهران، حسينية الإرشاد، سنة ١٣٥٠ هـ. ش.

١٨٤ - الفاطميات/أو: الأقوال في عظمة سيدة نساء العالمين (ع). /فارسي، بعنوان: الفاطميات يا سخنان موزون در بزر كواري سيده زنان عاليان حضرت زهرا (ع). /للسيد حسين الواعظي السبزواري. /مشهد، سنة ١٣٥١هـ. ش، ١٩٢ صفحة، القطع الصغير.

١٨٥ - فاطمي دعوة إسلام/في بيان من دعا إلى دين الإسلام وشيد أركانه من بني فاطمه (ع). /بالأوردية، مجلدان. /للخواجة حسن نظامي الدهلوي الحيدر آبادي. /انظر: الذريعة ٩٦/١٦. ٩٧.

١٨٦ - فدك/في: معجم البلدان، ٢٣٨/٢. ٢٤٠. /لياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي. /بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٨٧ - فدك/في: دائرة المعارف، الجزء ٢٣، صفحة ١٧٩. ١٨٢. /للشيخ محمد حسين سليمان الأعلمي. /قم، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٨٨ - الفدك/لجعفر بن بكير الخياط. /مر بعنوان: رسالة في قصة الفدك.

١٨٩ ـ كتاب فدك والكلام فيه/للشيخ طاهر، غلام أبي الجيش. /انظر: الذريعة ١٦/١٢٩، رجال النجاشي: ٢٠٨، قال في ذكر كتبه: كان الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يذكر منها كتاباً له كلام في فدك.

١٩٠ ـ فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين/مجلدان. /لأبي عبد الله الحموي، إبراهيم بن سعد الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن حمويه بن محمد الجويني، فرغ منه سنة ٧١٦هجرية. /تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي. /بيروت، مؤسسة المحمودي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٩١ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة/٣مجلدات. للسيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي. /النجف، مطبعة النجف، ١٣٨٣. ١٣٨٤هـ. بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٩٢ ـ فضائل فاطمة/للحافظ أبي القاسم البغوي، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ابن بنت أحمد بن منيع، المتوفى ٣١٧هـ. /انظر: أهل البيت ـ (ع) ـ في المكتبة العربية، القسم المخطوط.

١٩٣ ـ فضائل فاطمة بنت محمد (ص)/في: الجامع الصحيح وهو من سنن الترمذي، الجزء٥، صفحة ٦٩٨ـ٧٠٢. /لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (٢٠٩ـ ٢٩٧هـ). /تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض. /بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٩٤ ـ فضائل فاطمة الزهراء (ع)/للحافظ أبي حفص عمر بن أحمد البغدادي، المعروف بابن شاهين (٢٩٧ـ ٣٨٥هـ). /تحقيق: محمد سعيد الطريحي. /بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٩٥ ـ فضائل فاطمة الزهراء في نظر الآخرين/فارسي، بعنوان: فضائل فاطمة زهراء از ديدكاهديكران. /للشيخ ناصر مكارم الشيرازي. /مشهد، سنة ١٣٦٦هـ. ش/١٩٨٧ميلادية.

١٩٦ ـ فضائل فاطمة الزهراء/لأبي عبد الله الحاكم النيشابوري، الحافظ محمد بن عبد الله الضبي، المعروف بابن البيع (٣٢١ـ٤٠٥هـ). /انظر: الذريعة ١٦/٢٥٨ و٢٦١، كشف الظنون ٢/١٢٧٧، هدية العارفين ٢/٥٩، الكنى والألقاب ٢/١٧٠، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٩٤. ٢٩٥.

١٩٧ ـ فضل فاطمة بنت رسول الله (ص) وتزويجها/في: موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، صفحة: ٥٤٩ـ ٥٥١. /للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. /حققه ونشره: محمد عبد الرزاق حمزة. /بيروت، دار الكتب العلمية.

١٩٨ - فهرس مصادر الدراسة عن الزهراء (ع)/لعلي محمد علي دخيل. /يأتي بعنوان: مصادر الدراسة عن الزهراء (ع).

١٩٩ - قران السعدين في أحوال البتول وأبي الحسنين عليهما السلام. /بالأوردية. /طبعة الهند. /انظر: الذريعة ٦٦/١٧.

٢٠٠ - القصيدة الفاطمية/مرت باسم: (البتول العذراء).

٢٠١ - قرة الأبصار ودرة الأبرار/اسم للمجلد الأول من كتاب (سحاب الدموع) وهو في أحوال النبي والأمير والبتول والإمام المجتبى (ع). /للشيخ مولى محمد بن مشهدي بابا النخجواني. /مطبوع في سنة ١٣١٦هـ. /انظر: الذريعة ٧١/١٧.

٢٠٢ - قواعد العمل في حل المعمي عن اسم فاطمة (ع)/فارسي. /وهو من معميات الشيخ شرف الدين علي اليزدي المعمائي (ت ٨٣٠هـ). /وهذا الشرح والحل لمعاصره السيد محمد بن علي الحسيني. /نسخة في المكتبة الرضوية، ناقصة الآخر. /انظر: الذريعة ١٨٦/١٧.

٢٠٣ - كحل الناظرين في تفضيل الزهراء على الأنبياء والمرسلين. /للسيد محمد مرتضى الحسيني الجونفوري، المتوفى في حدود ١٣٣٢هـ. /مطبوع في سنة ١٣٠٢هـ. /انظر: الذريعة ٢٨٥/١٧.

٢٠٤ - كشف الظلمات في مبحث فدك والرد على (آيات البينات). /بالأوردية. /انظر: الذريعة ٤١/١٨.

٢٠٥ - كشف المحجة في شرح خطبة اللمة لفاطمة الزهراء (ع)/للسيد عبد الله بن محمد رضا الشبر الحسيني الحلي النجفي الكاظمي المسكن والمدفن (١١٨٨-١٢٤٢هـ). /نسخة في المكتبة المركزية لجامعة البصرة، ضمن مجموع برقم ١٥٩. /وأخرى في التسترية في النجف. /وأخرى عند حفيد المؤلف السيد محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله شبر، تاريخها ١٢٢٥هـ. /انظر: الدريعه ٥٨/١٨ و٢٢٤/١٢، معارف الرجال ١٠/٢.

٢٠٦ - كلام فاطمة (ع)/لأبي الفرج الأصفهاني. /يأتي بعنوان: كتاب كلام فاطمة (ع) في فدك.

٢٠٧ - الكوثر في مناقب ومصائب الزهراء (ع)/فارسي، بعنوان: كوثر، مناقب ومصائب حضرت فاطمة الزهراء سلام الله عليها. /فرهنك نخعي. /مشهد، سنة ١٣٦٤هـ. ش، ١٢٠ صفحة، القطع المتوسط.

٢٠٨ - الكوكب الدري في أحوال النبي والبتول والوصي/لمحمد مهدي الحائري. /النجف الأشرف، المطبعة العلمية، ١٩٥١م. /النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٥م، جزءان، ٥٩٣ صفحة.

٢٠٩ ـ مباحثة الجعفري والأشعري في تفضيل فاطمة الزهراء على مريم بنت عمران/للشيخ نجم الدين جعفر بن محمد الطهراني العسكري. /انظر: لذريعة ١٩/ ٤٠.

٢١٠ ـ مثنوي فرخنامة فاطمي في أحوالات فاطمة (ع)/في قسمين: الأول ما نظمه محب علي خان حكمت، والقسم الثاني ما نظمه الحكيم كاظم حاذق الملك. /انظر: الذريعة ١٩/ ٢٥٦.

٢١١ ـ مجالس الأبرار/ترجمة عاشر البحار، الجزء الأول منه في أحوال فاطمة (ع). /للسيد حامد حسين بن حسين الفيض آبادي الجنفوري، وعليه تقريظ للسيد أبي الحسن محمد بن علي بن صفدر الرضوي الكشميري، المعروف بالسيد أبي صاحب. /مطبوع سنة ١٣١١هـ. /انظر: الذريعة ١٩/ ٣٥٧.

٢١٢ ـ مجلس في مناقب فاطمة (ع)/للحافظ السيوطي، جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، المتوفى ٩١١هـ. /نسخة في المكتبة السليمانية في إسلامبول، برقم ١٣/ ١٠٣٠. /انظر: معجم ما ألف عن رسول الله (ص): ٢٢٥.

٢١٣ ـ مختصر الكلام في وفيات النبي والزهراء والأئمة (ع). /لمحمد علي الحسيني الشاه عبد العظيمي. /النجف الأشرف، مطبعة حبل المتين، ١٣٣٠هـ/١٩١١م، ١٤٨ صفحة.

٢١٤ ـ مصباح الأئمة في تاريخ أم الأئمة/لميرزا أحمد، المتخلص بـ(منظور). /انظر: الذريعة ٢١/ ١٠٠.

٢١٥ ـ المعصوم الثالث: فاطمة الزهراء/فارسي. /لجواد فاضل. /طهران، سنة ١٣٣٦هـ. ش، ٢٢١ صفحة، القطع المتوسط. /طهران، سنة ١٣٤٦هـ. ش، الطبعة الثانية، ١٩٩ صفحة، القطع الكبير.

٢١٦ ـ المقلة العبراء في تظلم الزهراء (ع)/للشيخ عبد علي بن الحسين الجزائري. /انظر: الذريعة ٢٢/ ١٢٠، إيضاح المكنون ٢/ ٥٤٧.

٢١٧ ـ ملتقى الأصفياء في مناقب الإمام علي والسبطين والزهراء/للشيخ عبد الصاح بن حسين راوه المكي، من طلبة العلم بالمسجد الحرام. طبعة مطبعة المدني، ١٣٨٧هـ. /انظر: أهل البيت (ع) في المكتبة العربية، القسم المخطوط.

٢١٨ ـ ملحمة في الزهراء البتول/وضعها على طريقة الموشح الذي يتكون من ثلاث قواف ورابعة. /للشيخ محمد بن إبراهيم المظفر، المولود في النجف الأشرف، سنة ١٣١٩هـ. /انظر: شعراء الغري ٧/ ٢٧٥، شعراء النجف المخطوط: ٣٤١.

٢١٩ ـ ملكة الإسلام/في احتجاج الصديقة (ع) في أول مجلس بينها وبين الخليفة. /فارسي، بعنوان: ملكه إسلام. للميرزا خليل الكمرهاي. /طهران، سنة ١٣٢٧هـ. ش. /طهران، سنة ١٣٤٨هـ. ش، ٣١٢ صفحة، الطبعة الثانية القطع الكبير.

٢٢٠ ـ ملكة الإسلام فاطمة الزهراء في المسجد النبوي/فارسي. /الحسين حق شنوا. /طهران/سنة ١٣٤٨هـ. ش.

٢٢١ ـ ملكة الإسلام فاطمة الزهراء/فارسي. /للشيخ محمد جواد النجفي. /طبع في طهران. /انظر: فهرست خانبار مشار: ٣٣٢٨.

٢٢٢ ـ ملكة الإسلام فاطمة الزهراء/القسم الأول: أول محكمة قضائية بعد النبي (ص) وسلم. /القسم الثاني: منبع ماء الحياة. مطهران، المكتبة الإسلامية، سنة ١٣٤٨هـ. ش.

٢٢٣ ـ مناقب علي والحسنين وأمهما فاطمة الزهراء (ع)/لعبد المعطي أمين قلعجي. /حلب، ١٩٧٩م.

٢٢٤ ـ مناقب فاطمة/لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، المتوفى سنة ١٠٣١هـ. /انظر: أهل البيت (ع) في المكتبة العربية، القسم المخطوط.

٢٢٥ ـ مناقب فاطمة/لأبي صالح المؤذن، أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري الحافظ، المتوفى سنة ٤٧٠ هجرية. /انظر: أهل البيت (ع) في المكتبة العربية، القسم المخطوط.

٢٢٦ ـ مناقب فاطمة بنت رسول الله (ص) وفضلها وتزويجها بعلي/في: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الجزء٩، صفحة ٢٠١. ٢١٢. /للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى ٨٠٧هـ، بتحرير الحافظين: العراقي وابن حجر. /بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٢٧ ـ مناقب فاطمة الزهراء (ع)/للسيوطي. /تقدم بعنوان: الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة.

٢٢٨ـ مناقب فاطمة الزهراء (ع)/للحاكم النيسابوري أبي عبد الله محمد بن عبد الله، المتوفى ٤٠٥هـ. /انظر: الذريعة ٢٢/٣٣١.

٢٢٩ ـ مناقب فاطمة الزهراء وحالاتها/نسخة منه عند الميرزا هادي الروضة خوان الخراساني في النجف الأشرف. /انظر: الذريعة ٢٢/٣٣١.

٢٣٠ ـ مناقب فاطمة الزهراء وولدها (ع)/لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم بن جرير الآملي الطبري ـ صاحب (دلائل الإمامة) المعاصر للشيخ الطوسي. /انظر: الذريعة ٢٢/٣٣٢.

٢٣١ ـ المودة في القربى في فضائل فاطمة الزهراء/للسيد خلف بن عبد المطلب بن حيدر بن محمد بن فلاح الموسوي الحويزي، كان معاصراً للشيخ البهائي. /انظر: إيضاح المكنون ٢/٦٠٤.

٢٣٢ ـ كتاب مولد فاطمة الزهراء (ع)/للشيخ أبي عزيز الخطي، محمد بن عبد الله بن محمد. /انظر: الذريعة ٢٣/٢٧٥.

٢٣٣ ـ نخبة البيان في تفضيل سيدة النسوان/في حياة الزهراء (ع) وفضائلها. /للسيد عبد الرسول الشريعت مداري الجهرمي. /قم، مكتب الهادي، سنة ١٣٦٦هـ. ش، ٢٨٠ صفحة، القطع المتوسط.

٢٣٤ ـ نداء الشيعة/بحث عن شخصية الزهراء (ع) فارسي، بعنوان: نداي شيعهـ. /لمير سيد أحمد الروضاتي. /طهران، سنة ١٣٥١هـ. ش، ١٢ صفحة.

٢٣٥ ـ نظم رواية ورقة في مصائب الزهراء (ع)/للحسن بن الحسين بن عبد النبي. /نسخة في مكتبة الطهراني بسامراء، ضمن مجموعة كتابتها في حدود ١٠٠٠هـ. انظر: الذريعة ٢٤/٢١٢.

٢٣٦ ـ النفحات القدسية في حالات فاطمة المرضية (ع)/فارسي. /لعبد الأمير بن محمد البادكوبي، ألفه سنة ١٣٥٧هـ. /انظر: الذريعة ٢٤/٢٥٠.

٢٣٧ ـ الهدى/في إثبات الإرث للأنبياء، ورد الخبر الموضوع المشهور (نحن معاشر الأنبياء لا نورث)/بالأوردية. /للسيد علي بن أبي القاسم الرضوي القمي اللاهوري. /طبعة الهند. /انظر: الذريعة ٢٥/٢٠٢.

٢٣٨ ـ هدي الملة إلى أن فدك من النحلة/لحسن بن أبي المعالي محمد باقر الحائري القزويني (١٢٩٦ـ ١٣٨٠هـ/١٨٧٩ـ ١٩٦٠م). /النجف الأشرف، ١٣٥٢ه ٧٦ صفحة، الطبعة الأولى. /القاهرة، الطبعة الأولى المحققة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، مطبوعات النجاح ـ١٦، ٢٣٢ صفحة. /قم، أوفسيت.

٢٣٩ وفاة الزهراء (ع)/ليحيى بن الحسن بن عنترة بن ناصر البحراني، تلميذ المحقق الكركي. /انظر: الذريعة ٢٥/١١٩.

٢٤٠ ـ وفاة الزهراء/للشيخ حسين آل عصفور. /تقدم بعنوان: الدرة الغراء في وفاة الزهراء.

٢٤١ ـ وفاة الزهراء (رسالة في...)/للسيد محمد علي بن ميرزا محمد بن هداية الله الحسيني الرازي الشاه عبد العظيمي النجفي (١٢٥٨ـ ١٣٣٤هـ. /انظر: معارف الرجال ٢/٣١٨.

٢٤٢ ـ وفاة الزهراء/لأبي الحسن البكري المصري، المتوفى ٩٥٢هـ، أستاذ الشهيد الثاني. /انظر: الذريعة ٢٥/١١٩.

٢٤٣ - وفاة الزهراء (ع)/للسيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الكتكاني البحراني، المتوفى ١١٠٧هـ. /انظر: الذريعة ١٩/٢٥.

٢٤٤ - وفاة الصديقة (ع)/للشيخ حسين ابن مؤلف (أنوار البدرين). /انظر: الذريعة ٢/٤٢٠.

٢٤٥ - وفاة فاطمة/في: العبر في خبر من غبر، الجزء١ صفحة ١١. /للحافظ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ). /تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول. /بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٤٦ - وفاة فاطمة وفضائلها رضي الله عنها/في: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الجزء١، صفحة ٦١ـ ٦٢. /حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧هـ، الطبعة الأولى. /بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٠هـ، الطبعة الثانية أوفيست.

٢٤٧ - اليد البيضاء في مناقب الزهراء (ع). /نكت من الأخبار الواردة فيها، الجزء الثاني من (أنوار المواهب). لعلي أكبر بن الحسين النهاوندي. /طبع سنة ١٣٦٠هـ. /انظر: الذريعة ٢/٤٤٥ و٢٥/٢٧٧.

٢٤٨ - يوميات فاطمة الزهراء (ع)/حياتها الشخصية ودورها الاجتماعي والسياسي/لأحمد الكاتب/طهران، سنة ١٣٦٦هـ. ش/١٩٨٧م، ١٥٦ صفحة، القطع المتوسط.

٣ - كتب المباراة

١ - أم الشهداء فاطمة بنت محمد/مهدي عبد الحسين/المسيب.

٢ - رائدة فخر النساء/حيدر علي/السعدي/المسيب.

٣ - الزهراء سيدة الكساء ونساء اليوم/كريم أحمد الصائغ/النجف.

٤ - الزهراء فاطمة بنت محمد/عبد الزهراء عثمان محمد/القرنة.

٥ - الزهراء في محراب الألم الخالد/عبد الكريم توفيق الطائي/شقلاوه.

٦ - الصديقة فاطمة الزهراء/محمد رضا الحساني/النجف.

٧ - الصديقة فاطمة الزهراء بنت الرسالة المحمدية/عبد المجيد سماوي الجلوب/الحلة.

٨ - فاطمة الزهراء أم أبيها/فاضل الميلاني الحسيني/النجف.

٩ - فاطمة بضعة المصطفى/حيدر الشديدي/الناصرية.

١٠ - فاطمة الحوراء الإنسية/جاسم هاشم العبادي/العمارة.

١١ - فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب/حسن عيسى الحكيم/النجف.

١٢ ـ فاطمة الزهراء نداء الملايين/السيد محمد تقي الخراساني/كربلاء.

١٣ ـ فاطمة الزهراء وتر في غمد/سليمان كتاني/لبنان.

١٤ ـ فخر النساء فاطمة/خليل رشيد/العمارة.

١ ـ فاطمة الزهراء: مؤسسة أهل البيت، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٠، ص١٤٩.

٢ ـ مقدمة ينابيع المودة، ص٦، ط النجف.

٣ ـ معالم العلماء، ١٩، ووصف الكتابأنه كبير.

٤ ـ رجال النجاشي ١٦٢.

٥ ـ رجال النجاشي، ٢٧٠.

٦ ـ رجال النجاشي، ٢٤٥.

٧ ـ ذكره المؤلف في كتابه المطبوع (علي والوصية).

٨ ـ معالم العلماء، ٢٥.

٩ ـ بحار الأنوار، ٢١/١.

١٠ ـ رجال النجاشي، ١٦٨.

١١ ـ رجال النجاشي، ٦٤. الكنى والألقاب، ٣٥٣/١.

١٢ ـ نسخة منه بدار الكتب المصري، رقم ١٢٣، وأخرى بمكتبة أسعد أفندي، سليمانية، رقم ٣٥٥٣، وثالثة في مكتبة جامعة برنستن بالولايات المتحدة، ذكرها صلاح الدين المنجد في تحقيقه كتاب تزويج فاطمة (ع).

١٣ ـ معالم العلماء، ٩٤.

١٤ ـ الذريعة، ٩٣/٨.

١٥ ـ ذكره في كتابه المطبوع (علي والوصية).

١٦ ـ الذريعة، ٢٩٤/١١.

١٧ ـ رجال النجاشي، ٢٧٧.

١٨ ـ نسخة في المكتبة الشبرية/النجف.

١٩ ـ الذريعة، ٢١٦/١٣.

٢٠ ـ الذريعة، ٢١٦/١٣.

٢١ ـ الذريعة، ٢١٦/١٣.

٢٢ ـ الذريعة، ٢١٧/١٣.

٢٣ - الذريعة، ٢١٦/١٣.
٢٤ - نسخة منه في المكتبة الحسينية/النجف.
٢٥ - معالم العلماء، ١٢٦.
٢٦ - رجال النجاشي، ٢٧٥.
٢٧ - الكنى والألقاب، ١٦٨/٣.
٢٨ - مقدمة ينابيع المودة، ١٤/ط النجف.
٢٩ - الفهرست، ٢٧.
٣٠ - رجال النجاشي، ٤٢.
٣١ - رجال النجاشي ٢٩٩.
٣٢ - رجال النجاشي، ١٦٣.
٣٣ - رجال النجاشي، ١٦٢.
٣٤ - رجال النجاشي، ٣٠٩.
٣٥ - الكنى والألقاب، ٤٤٥/٢.
٣٦ - ينقل عنه في المناقب، ١٠٢/٢ نسخة منه في الظاهرية، دمشق، مجموع رقم ١٧، ذكرها الدكتور صلاح الدين المنجد في تحقيقه كتاب تزويج فاطمة الزهراء (ع).
٣٧ - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ٢٩٥، كشف الظنون، ١٢٧٧/٢، الكنى والألقاب، ١٧٠/٢.
٣٨ - رجال النجاشي، ١٦٨.
٣٩ - رجال النجاشي، ١٤٦.
٤٠ - الفهرست، ٢٢٤.
٤١ - ذكره في كتابه المطبوع (علي والوصية).
٤٢ - ذكره في كتابه المطبوع (علي والوصية).
٤٣ - الفهرست، ٥٣.
٤٤ - ورد ذكره في كتبه المطبوعة، وذكره الإربلي في كشف الغمة، ١٣٧.
٤٥ - بحار الأنوار، ٢٢/١.
٤٦ - حصل على الجائزة الثانية، وطبع بالنجف ب ٢٢٤ صفحة
٤٧ - طبع في النجف في ١٧٥ صفحة.
٤٨ - حصل على الجائزة الثالثة.
٤٩ - حصل على الجائزة الأولى طبع بالنجف ب ١٧٦ صفحة. ❖

من فضائل الزهراء (ع)

✍ **هانس حسن كاتب** (هولندا)

لا يخفى ما لسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها من فضائل جمّة، ومناقب وافرة في مجالاتٍ شتّى، فهي وليدة أحضان الرسالة، وربيبة بيت النبوّة.. هذا إلى جانب ما اختصّها الله تبارك وتعالى من المزايا الفريدة والخصائص العجيبة في العلم والعبادة والبيان، وما حباها من الزلفى بأن جعلها من الخمسة أهل الكساء (ع)، واختصّها بقوله تعالى في آية المباهلة: ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾، وجعل من نسلها الذريّةَ الطيّبةَ الطاهرة من آل الرسول صلّى الله عليه وعليهم، وما إلى ذلك من مناقب لا تُحصى، وفضائل لا تُعدّ.

وقد عني المحدثون والمؤرخون والمفسرون والباحثون بهذه الصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها، فكان لها النصيب الأوفى من المصنّفات والمؤلَفات القديمة والحديثة. وممّن أفرد لها مصنَّفاً خاصّاً:

ابن شاهين، والحافظ أبو القاسم البغوي، والحاكم النَّيسابوري، والشيخ أحمد بن علي الطبرسي، ومحمّد الحجازي الشافعي، وعبدالله بن أبي زيد الأنباري، ومحمّد بن زكريّا بن دينار، ومحمّد بن أحمد بن أبي الثلج، وأحمد بن عبدالملك المؤذّن، وعبدالعزيز بن يحيى الجَلودي، وأبو مِخْنَف، وابن عُقدة، وغيرهم.

وهذه ثلاث رسائل مختصّة بتعداد شيء يسير من روايات فضائل سيدة النساء ومناقبها الشريفة، هي على التوالي:

فضائل فاطمة الزهراء (ع):

١ ـ تأليف الحافظ أبي حفص عمر بن أحمد البغدادي، المعروف بـ «ابن شاهين» (ت ٣٨٥ هـ)، كان سمع كثيراً من مشايخ الشام والعراق وفارس، وتُوفّي في بغداد فدُفن في مقبرة باب حرب عند قبر أحمد بن حنبل، له نحو ثلاثمائة مصنَّف..

ومن مصنّفاته هذه الرسالة الحاوية ٣٧ حديثاً في فضائل سيّدة النساء فاطمة الزهراء(ع) في مواضيع مختلفة، والتي حققها الشيخ محمد سعيد الطريحي معتمداً في إخراجها على نسخة دار الكتب الظاهريّة بدمشق ـ ضمن المجموعة ١٧ من الورقة ١٠٤ ـ ١١١، المنسوخة سنة ٦٦٣ هـ. وقد اخترنا منها ثلاث روايات:

١ ـ عن أنس بن مالك، أنّ رسول الله (ص) كان يمرّ ببيت فاطمة بعد أن بنى بها عليٌّ رضي الله عنه، بستةِ أشهر، يقول: الصلاة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب/٣٣).

٢ ـ عن أبي سعيد الخُدْري قال: لمّا دخل عليٌّ بفاطمة، جاز النبيُّ (ص) أربعين صباحاً على بابها يقول: أنا حربٌ لِمَن حاربْتُم، وسلمٌ لِمَن سالَمتُم.

٣. عن ابن بُريدة، أنّ أبا بكر خطب إلى النبيّ (ص) فاطمة، فقال: أنتَظِرُ بها القضاء. ثمّ خطب إليه عمر، فقال: أنتَظِرُ بها القضاء. ثمّ خطب إليه عليّ، فزوَّجَها منه.

وفي رواية أبي أيوب الأنصاري أنّه (ص) قال لعليٍّ (رض): أُمِرتُ بتزويجك من السماء. (كتَبَ نسخة الكتاب: عبدالرحيم بن عبدالخالق بن محمّد بن أبي هاشم القُرشي الأموي الشافعي).

٢ ـ **الثغور الباسمة في مناقب السيّدة فاطمة (ع)**، تأليف: الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، المؤرّخ الأديب. نشأ في القاهرة، ولمّا بلغ أربعين سنةً اعتزل الناس فألّف ما يقرب من ستّمائة مصنَّف ورسالة، منها: (الثغور الباسمة في مناقب الصدّيقة الطاهرة فاطمة (ع)، ذاكراً فيها عدّة أحاديث في: تزويجها، وخصائصها، ومناقبها، ثمّ عقد فصلاً في سِنّها ووفاتها، بعدها ذكر فائدتين، تلاهما بذكر ما يُنسَب إليها من الشعر في رثاء أبيها المصطفى (ص)، وهي أيضاً مما حققه وأخرجه الشيخ محمد سعيد الطريحي عام ١٩٨٤ م. معتمدا على مخطوطتين: الأُولى ـ نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ ضمن المجموعة ٥٢٩٦ من الورقة ١٠٣ ـ ١٠٨، والثانية ـ نسخة مكتبة پير محمّد شاه في كَجَرات الهند. ونحن هنا اخترنا هذه الشذرات الباهرة:

• أخرج الترمذي عن بُريدة وعائشة، قالا: كان أحبَّ الناس إلى رسول الله (ص) فاطمة.
• وأخرج البزّار عن عليّ، أنّ النبيّ (ص) قال لفاطمة: أمَا ترضَينِ أن تكوني سيدةَ نساء أهل الجنّة، و(أنّ) ابنَيكِ سيّدا شباب أهل الجنّة؟! وفي روايةٍ أخرى: يا بُنيّة، أما ترضين أن تكوني سيّدةَ نساء العالمين؟!
• وأخرج الطبراني، أنّ رسول الله (ص) قال لفاطمة: إنّ الله يرضى لرضاكِ، ويغضب لغضبكِ.

فائدة: انقرض نَسَبُ رسول الله (ص) إلاّ فاطمة رضي الله عنها.

قال ابن عبدالبَرّ: هي أوّل مَن غُطّيَ نعشُها في الإسلام على تلك الصفة. (صُنع من جرائد نخل رطبة مَحنيّة، ثم طُرح عليه ثوب).

٣ ـ **إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل**: تأليف: محمّد حجازي بن محمّد بن عبدالله المصري الشافعي، المعروف بالواعظ القلقشندي (ت ١٠٣٥ هـ). أصله من قَلقَشَنده، وُلد بأكرى في طريق الحاج المصري سنة ٩٥٧ هـ، وتُوفّي في القاهرة. له تصانيف عديدة، منها هذه الرسالة كتبها استجابةً لأحد الفضلاء وقد سأله أن يجمع ما تيسّر من مناقب الصدّيقة الزهراء (ع)، فضمّنها هذه الأبواب:

الباب الأوّل: في ولادتها وتسميتها، ومحبّة النبيّ (ص) لها، ومتعلّقات ذلك.

الباب الثاني: في تزويجها بعليٍّ (ع)، ومتعلّقات ذلك.

الباب الثالث: في فضائلها، واهتمام النبيّ (ص) بشأنها، وتنويهه بذكرها، وتحذيره من إيذائها وبغضها، وتعليمه إيّاها.

الباب الرابع: في خصائصها ومزاياها على غيرها.

الباب الخامس: ما روته من الأخبار، وأنشأته من الأشعار.

وقد حُقّقت هذه الرسالة بالاعتماد على نسختَين خطيّتَين:

الأولى ـ مصوَّرة نسخة المكتبة الأحمديّة بجامع الزيتونة بتونس، فهرسها ٤٥٥: ١، ضمن المجموعة ٥٦٨٨ من الورقة ٤٥ ـ ١٦٤.

الثانية ـ مصوَّرة دار الكتب المصريّة/الرقم ٢٠٩، ميكرو فيلم ٢٧٣٩٥.

وقد جاء في هذه الرسالة عشرات الأحاديث الشريفة، اخترنا هذه الباقة العاطرة منها؛ من قول رسول الله (ص):

- فاطمةُ أحَبُّ أهلي إليّ.
- يا بُنيّة، لكِ رِقّة الولد، وعليٌّ أعزُّ عَلَيّ منكِ.
- فاطمةُ بَضْعةٌ منّي، فمَن أغضبَها فقد أغضبني.
- فاطمةُ بَضعةُ منّي، فمَن آذاها فقد آذاني.
- يا فاطمة، زوجُكِ سيّدٌ في الدنيا، وإنّه في الآخرة لَمِن الصالحين.
- كلُّ بني آدمَ ينتمون إلى عُصبة، إلاّ وُلدَ فاطمة؛ فأنا وليُّهم، وأنا عُصبتُهم.
- يا فاطمة، أما ترضَين أن تكوني سيّدةَ نساء العالمين، وسيّدةَ نساء المؤمنين؟!
- إنّ أوّلَ مَن يَدخُلُ الجنّةَ أنا وفاطمة.

وأخيراً

المختار من مسند فاطمة الزهراء (ع). تأليف: الحافظ السيوطي الشافعي، الذي جمع في مسنده هذا ٢٨٤ حديثاً، فاختير منها ٢٣١ حديثاً.

وقد اعتُمِد في إخراج هذا المسند على المطبوع منه في الهند سنة ١٤٠٦ هـ، نشر: الحافظ عزيز بك مدير لجنة المعارف في حيدرآباد. ومن هذه المجموعة أحببنا الإشارة إلى شيءٍ ممّا جاء فيها:

- عن ابن مسعود، قال رسول الله (ص): إنّ الله تعالى أمرني أن أُزوِّج فاطمة مِن عليّ.
- وقال (ص) لها: زوّجتُكِ خيرَ أهلي، أعلمُهم علماً، وأفضلُهم حِلماً، وأوّلُهم سِلماً. (الخطيب في المتّفق والمفترق، عن بُرَيدة).
- روى الخطيب البغدادي وابن عساكر، عن أنس قال: كنتُ عند النبيّ (ص) فغَشِيَه الوحي، فلمّا سُرِّي عنه قال: يا أنس، أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟! قال: إنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمةَ مِن عليّ.
- عن أبي هريرة أنّ النبيّ (ص) قال لعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين: أنا حربٌ لِمَن حاربكم، وسِلمٌ لمن سالمكم.
- عن حذيفة، أنّ رسول الله (ص) قال: عَرَضَ لي مَلَكٌ استأذن أن يُسلّم عَلَيّ، ويُبشّرَني ببشرى أنّ فاطمة سيّدةُ نساء أهل الجنّة، وأنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة.
- وروى ابن عساكر قوله (ص): أبشِري يا فاطمة، فإنّ المهديَّ منكِ. ❖

فضـة

دراسة تحليلية لسيرة الصديقة الزهراء من نافذة خادمتها

✍ كريم جهاد الحسّاني(*)

إن مشروع دراسة حياة خدام أئمتنا الطاهرين (ع) ومواليهم المقربين من حياتهم ربما لو تهيأ لباحثٍ مجد لكشف عن جوانب خفية ودقيقة من حياتهم صلوات الله عليهم أجمعين، فإنهم عليهم السلام كانوا يختارون النخبة وأصحاب الطِيَن النورية المقربين منهم في العالم الأول في هذا العالم.

وتاريخ حياة السيدة (فضة) رضوان الله عليها جارية أو خادمة الزهراء(ع) إنما هي دراسة لسيرة الصديقة الزهراء(ع) من نافذة خادمتها هذه المرّة، وإلا فإن المرأة ليس لها استقلال من دون مولاتها(ع) وبعلها وبنيها من آل محمد (ص)، واغلب الأخبار التي وصلتنا عنها تُشير إلى تشرّفها بخدمة البتول(ع) في أمرٍ ما أو تأديب وتعليم مولاتها لها

وقد حاولتُ في هذه الدراسة أن أُسلط الضوء على بعض الجوانب الخفيّة من حياة هذه المرأة الجليلة وسيرتها، وإطلاعها رضوان الله عليها على أسرار آل محمد صلوات الله عليهم مع شيء من البسط عند ذكر الأخبار التي لها ارتباطٌ وثيقٌ أو جزئيٌ بها.

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في خدمة خادمة الزهراء(ع) وأتمنى أن يحذو جميع خدام أهل البيت (ع) على خطى الخادمة الجليلة (فضة) التي عاشت وماتت على نهج آل محمد(ص) لم تمل من حقٍ إلى باطل بل سارت على نهج مولاتها الذي هو نهجها القويم في الدنيا والآخرة.

الفصل الأول: فضة في التاريخ

لقد أُقفل باب التاريخ الإسلامي ومع الآسف أمام بعض الشخصيات التي كان لها دورٌ مهم في قراءتنا لسيرة أئمة الهدى والرشاد أئمة أهل البيت (ع)، وقد أدى هذا التهاون إلى ضياع تاريخ تلك الشخصيات وإهمال ودورهم الريادي مع أهل البيت (ع).

ومن تلك الشخصيات التي أهملها أهل التاريخ والسير السيدة (فضة) خادمة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء(ع) تلك الخادمة الجليلة التي وصلت إلى المراتب العليا في الزهد والتقوى والتي أوقفت حياتها لخدمة بيت محمد وآل محمد (ص).

فإذا أهمل كُبّار المؤرخين ذكر فضّة إلاّ نُتفاً قليلة فلا عجب من إهمال المتأخرين لها كالزركلي صاحب الأعلام وكحاله صاحب أعلام النساء فإنهما لم يذكرا لها ترجمة

(*) مدير مدرسة وليد الكعبة (ع) للبنين التابعة للوقف الشيعي، النجف الأشرف.

أصلاً..وهذا مما أدى مع الأسف إلى ظلم حقها وعدم معرفة جوانب مختلفة ومهمة من حياتها التي كانت تستحقها.

فلذلكَ آثرتُ الكتابة عنها رغم صعوبة البحث، وتشتت موارد ذكر هذه المرأة الجليلة في بطون الكتب وإن كان ذكرها لا يعدو عن أن يكون كلماتٍ هنا وكلماتٍ هناك.

المبحث الأول: هوية فضة

اسمها ولقبها:

عندما تتصفح كتب التأريخ والسير ترى الذي ورد في تسميتها بأنها (فضة) لكن الذي ظهر لنا بعد التحقيق والتدقيق من بعض الكتب إن اسمها الأصلي (ميمونة)[1] لكن رسول الله(ص) سمّاها فضة[2].

والوارد من تبديل أسماء الموالي والخدم المماليك كان من الأمور المهمة والأولى التي قام بها النبي محمد(ص) فكانَ صلوات الله وسلامه عليه يُغيّر الاسم غير المناسب من الرجال والنساء وحتى البلدان، وهذا ما ذكره ابن داود، إذ قال:

وغيّرَ النبي(ص) اسم العاص، وعقله، وشيطان، والحكم، وغراب، وحباب، وشهاب، فسمّاهُ هشاماً، وسمى حرباً سلماً، وسمى المضطجع المنبعث، وأرضاً تسمى عَفِرَة سمّاها خَضِرَة، وشعب الضلالة سمّاه شعب الهدى، وبنو الزنية سمّاهم بني الرشدة، وسمى بني مغوية بني رشدة[3].

إذن كان أول وسام يجعله في عنق خادمه هو اختيار الاسم الجديد ومن ثم كان هذا المنهاج قد سارَ عليه أئمة الهدى صلوات الله عليهم، فصارَ تغيير اسم العبد أول وقت شرائه سُنّة مستحبّة يذكرها الفقهاء في باب العبيد والإماء في كتب الفقه، ولعلَّ ذلك يعود إلى إشعارهم بحالة التغيير والتعبير الحي عن الممارسة العملية في سبيل تحرير الإنسان من عبوديته لله عز وجل.

---

(١) السابقي، محمد حسنين، حضرة فضة، لغة اوردو، ط باكستان، ص٤.

(٢) ابن شهر اشوب، محمد بن علي، مناقب لأبي طالب، ط النجف الأشرف - ١٣٧٦هـ، ج٣، ص٣٤٢؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط بيروت - ١٩٨٣م، ج٤٣، ص٨٥؛ وقال الطهراني: إن النبي صلوات الله وسلامه عليه هو الذي نحلها هذا الاسم (فضة). الطهراني، محمد باقر، الخصائص الفاطمية، ط طهران - ١٣١١هـ، ج٢، ص١٨٨.

(٣) السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط دار الفكر - ١٩٩٠، ج٤، ٢٨٩.

أبوها:

اختلف المحققون في تحديد والد فضة وهذا دليل على أن الذي وصل إلينا عن هذه المرأة هو قليل في حقها، فقد قال المحدث البرسي: إن فضة هي بنت ملك الهند[١]، وشاركه في هذا الرأي العلامة المجلسي[٢].

وذكر الطهراني في الخصائص[٣]: إن فضة كانت من بين الجواري التي أهداها ملك الحبشة إلى رسول الله (ص)، وإنها كانت من بين الغنائم التي حصل عليها من حروبه مع الهند.

أما العلامة النقدي فقد خالفهم في هذا الرأي قائلاً: إنها كانت بنت ملك من ملوك الحبشة[٤]. وقد وافقهُ السابقي[٥] في ذلك.

وبين هذا الرأي وذاك يبدو لنا إنّ الهند التي وردَ ذكرها ليست هذه البلاد الكبيرة المعروفة حالياً والتي تقع ضمن القارة الآسيوية، وإنما هي بعض المناطق التي كانت ضمن القارة الأفريقية وتسمى بـ (الهند الأفريقية)، وكذلك بلاد الحبشة فإنها قريبة من هذه المناطق وضمن هذه القارة، لذلك فإن الحروب التي وقعت كانت لإخضاع هذه المناطق تحت سلطة ملك الحبشة، والهند الآسيوية هي بعيدة المسافة، ولا يذكر التاريخ إن حروباً وقعت بين الهند الآسيوية وبلاد الحبشة.

لقبها:

لُقبت هذه المرأة العفيفة بـ (النوّبية) نسبة إلى المنطقة التي عاشت فيها كما ورد في أكثر كتب التاريخ والسير[٦].

والنوّبة: هم شعوب المناطق الحارة التي تقع بين مدار السرطان ومدار الجدي جنوباً وينصفها خط الاستواء، وهي بلاد واسعة تُطلق على المنطقة التي تمتد من أسوان في مصر من شمالاً حتى مدينة (الدّبة) في السودان جنوباً ما بين قطبي العرض (٢٠) و(١٥) درجة مئوية ومن الشرق البحر الأحمر ومن الغرب ليبيا وتشاد. ولا تزال هناك منطقة تُعرف بصحراء النوبة جنوب مصر وشمال السودان في الوقت الحاضر.

---

(١) البرسي، رجب بن محمد، مشارق أنوار اليقين، ط بيروت – ١٣٧٩هـ، ص ٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤١، ص٢٧٣.

(٣) الخصائص الفاطمية، ص٢٥٢.

(٤) النقدي، جعفر بن محمد، الأنوار العلوية، ص١٤٧.

(٥) حضرة فضة، ص٤.

(٦) العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة، ط بيروت – ١٤١٥هـ، ج٤، ص٣٨٧؛ الذهبي، محمد بن أحمد، تجريد أسماء الصحابة، تحقيق: عبد الكريم شرف الدين، ط الهند – ١٩٧٠م، ج٢، ص٢٩٧؛ العاملي، زينب فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط مصر – ١٣١٢هـ، ص٤٣٩؛ بحار الأنوار، ج٩، ص٥٧٥.

وقد أطلق المصريون القدماء أسماء كثيرة عليها، لعلَ من أقدم هذه الأسماء هو (كينست) إلاّ إن الاسم الشائع كان (تاستى) أي بلاد حاملي الأقواس[١].

أما اللغة النوبية فهي إحدى اللغات الحامية، تأثرت على مر العصور بمؤثرات خارجية، ولذلك نجد فيها عناصر مصرية قديمة ويونانية كما تحوي الكثير من الكلمات العربية.

أما الجنس البشري فهو معروف بأنه متجانس الصفات الظاهرية والباطنية لم يتناولهم مزيج الأمم واختلاف الشعوب إلا في السواحل، فهم يمتّون بصلاتهم إلى أعماق التاريخ، وقد اتخذوا من الإسلام ديناً لهم، ونبغ منهم رجال ونساء تركوا بصمات على صفحة التاريخ فكانوا رؤساءً وأتباعاً وموالي أُمناء وصاروا ملوكاً وعظماء.

وأشتهر بعضٌمنهم بأعمالهم الجبارة ومزاياهم الأدبية، وأدركوا مقامات عالية وتمتعوا بشهرة واسعة، ونذكر هنا من أشتهر منهم عند العرب وعرفه التاريخ على إطلاقهم من أحباش أو زنوج أو نوبيين فمنهم: لقمان الحكيم، ومنهم سعيد بن جبير، وبلال الحبشي، وغيرهم[٢].

شمائلها:

عُرفت فضة بأنها كانت سمراء حنطيه اللون، وكانت مليحة الوجه جميلة الشكل، عذبة اللسان، فصيحة البيان[٣]. وقيل[٤]: كانت سوداء اللون.

وهذه الشمائل تؤكد لنا ما ذكرناه آنفاً من صفات الجنس البشري في هذه المناطق، وتأثر هذه المرأة بمحيطها، إذ الظاهر إنها عاشت طفولتها فيها بعد أن جيء بها أسيرةً إليها كما مرَّ سابقاً.

إسلامُها:

لما ظهر أمر النبي محمد(ص) وكثُرَ أصحابه وأشتد ذلك على قريش وأنكر بعضهم على بعض، وقالوا: قد أفسد محمدٌ بسحره أولادنا وأخرجهم عن ديننا، مما أدى بهم إلى ملاحقة المسلمين والقيام بتعذيبهم وأشتد الأمر على رسول الله(ص) وأصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[٥]، فهاجر جماعة من المسلمين إلى الحبشة

---

(١) ينظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، ط بيروت – ١٩٧٩م، ج٥، ص٣٧.

(٢) كاشف الغطاء، محمد رضا، تقريع العصا، ط النجف الأشرف – ١٩٩٩م، ص١٩٨.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٣؛ المحلاتي، ذبيح الله، رياحين الشريعة، فارسي، ط طهران، ج١، ص٣٥؛ العاملي، محمد حسين، ماذا في التاريخ، ط بيروت – ١٢٩٥هـ، ج١، ص٣٠٥.

(٤) الشبستري، عبد الحسين، ارشاد الاذهان إلى أعلام القرآن، ط دار القران الكريم – قم ١٤١٤هـ، ج٢٢، ص٢.

(٥) النساء، ٩٧.

يقدمُهم جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه والملقب بالطيار، فنزلوا على النجاشي ملك الحبشة وآقاموا عنده في كرامة ورفيع منزلة وحسن جوار مدةً من الزمن.

هذا وقد كانت هناك علاقة وثيقة جداً بين النبي(ص) والنجاشي: إذ كانت بينهما المراسلات والهدايا المتبادلة، ومنها انه بعث إليه بعض الطيب والثياب والجواري خلال وجود جعفر الطيار رضوان الله عليه في الحبشة، وهذه تكشف جانباً من جوانب المودة والمحبة بينهما[١].

فكانت فضة من بين الجواري التي أرسلها ضمن هداياه إلى رسول الله (ص)، وإنها كانت من بين الغنائم التي حصل عليها من حروبه، وعندما عَلِمَ أنها لائقة باعتبارها بنت الملك ومناسبة لخدمة الرسول (ص) فقد أهداها إليه[٢].

لقد نوّرَ الإسلام قلب هذه الجارية على يد النبي(ص) وأسماها بهذا الاسم المعروف (فضة) كما مر سابقاً، وقد رأت بأُم عينها كيف إن الإسلام لم يُميّز الجنس البشري من ناحية اللون وانه لا فرق بين أسودٍ وأبيض إلاّ بالتقوى، وما رواهُ ابن عمر عن النبي (ص) هو خير دليل على ذلك، إذ قال:

جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله (ص) سائلاً، فقال له رسول الله (ص): (سل واستفهم)، فقال: يا رسول الله فُضلتم علينا بالألوان والصور والنبوة، أفرأيت إن آمنت به ـ أي الإسلام ـ وعملت بمثل ما عملتَ به إني لكائنٌ معكَ في الجنة؟

قال: نعم، والذي نفسي بيده، انه ليرى بياض الأسود في الجنة مسيرة ألف عام[٣].

وبقيت رضوان الله عليها بعد إسلامها في بيت النبي محمد (ص) تقوم بخدمته مدة من الزمن ثم أرسلها إلى بيت أبنته سيدة نساء العالمين الزهراء (ع) تقوم في خدمتها.

أخلاقها وعبادتها:

توصف فضة من الخادمات المواليات لهذه الأسرة – أُسرة آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم – الرفيعة الدرجات العالية المقامات، قضت عمراً طويلاً في خدمة الخمسة أصحاب الكساء الطيبين عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين من دون إغفال أو إهمال وكان جُل اهتمامها وسعيَها في إرضاء خاطر هؤلاء السادة قدَر ما تستطيع وتُرّجح راحتهم ورضاهم على راحتها ورضاها.

---

(١) ينظر: بحار الأنوار، ج١٨، ص٤١٦.

(٢) ينظر: الكربلائي، عامر الخطيب، منية الزائر، ط النجف الأشرف، ص٤٦٢؛ الخصائص الفاطمية، ص٢٥٢.

(٣) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ج١، ص٢٩٧.

ونظراً لإلحاقها بخدمة هذه العائلة فقد نأت بنفسها عن الرذائل والصفات الدنيوية السيئة تخلّقت بمكارم الأخلاق النبوية بحسب ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] فعُرفت بصفاء العقيدة وكمال الإخلاص، وامتازت بفخرٍ في خدمة بيت الرسول (ص) بكل تلّطفٍ وعطف ولم تسمح لنفسها أبداً أن تتهاون في خدمتهم.

وكانت تعرف حقّ المعرفة إن ساعةً في خدمة النبي وآله أفضل من الدنيا وما فيها بألف درجة.

وقد اتصفت بصفاتٍ أخرى تُميّزها عن أقرانها وأترابها هي الحلم والصبر وتحمُّل البلايا ثم الشكر لله تعالى على كل شيء يمر بها[2].

واستلهمت من سيدتها فاطمة الزهراء (ع) بعض الصفات العبادية منها ولعها بقراءة القرآن وتدبر معانيه وأسراره، ولم تتكلم بعد وفاة سيدتها البتول إلا بالقرآن لمدة عشرين سنة كما سنذكره إنشاء الله.

المبحث الثاني: قالوا في فضة

قال ابن حجر: ذكر ابن صخر في فوائده، وابن بشكوال[3] في المستغيثين من طريقه، بسند له من طريق الحسين بن العلاء[4]، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن علي، أن رسول الله(ص) أخدم فاطمة أبنته جارية، اسمها فضة النوبية، وكانت تشاطرها الخدمة[5].

---

(١) الأحزاب، ٢١.

(٢) الخصائص الفاطمية، ج٢، ص١٨٦.

(٣) هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي، أبو القاسم، مؤرخ، من أهل قرطبة، ولد سنة ٤٩٤هـ، ولي القضاء في بعض جهات أشبيلية، له زهاء خمسين مؤلفاً أشهرها الصلة في تاريخ رجال الأندلس والفوائد المنتخبة. وكتاب المستغيثين بالله تعالى، والمحاسن والفضائل وغيرها، توفي في قرطبة سنة ٥٧٨هـ. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٠م، ج٢، ص٣١١.

(٤) الحسين بن العلاء: هو الحسين بن أبي العلاء الخفاف، أبو علي الأعور مولى بني أسد، ذكر ذلك ابن عقدة، وعثمان بن حاتم بن منتاب، وقال أحمد بن الحسين: هو مولى بني عامر وأخوه علي وعبد الحميد، روى الجميع عن أبي عبد الله (ع) وكان الحسين أوجههم، وعدّهُ أبو داود من أصحاب الإمام الباقر (ع) أيضاً له عدة كتب منها كتاب يُعد في الأصول.

ينظر: النجاشي، أبي العباس أحمد، رجال النجاشي، تحقيق: موسى الزنجاني، ط قم – ١٤١٦هـ، ص٥٢؛ الحلي، تقي الدين، رجال أبي داود، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، ط النجف الأشرف – ١٣٩٢هـ، ص ٧٩؛ العاملي، حسن بن زيد الدين، التحرير الطاووسي، تحقيق: فاضل الجواهري، ط قم – ١٤١١هـ، ص ١٤٨.

(٥) ينظر: الإصابة، ج٨، ص٢٨٢.

وذكرها ابن الأثير قائلاً: فضة النوبية، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص)[١].

وقال الكجوري[٢] في الخصائص: فهي من خادمات ومواليات هذه الأسرة الرفيعة الدرجات العالية المقامات، قضت عُمراً في خدمة الخمسة الطيبة، وكانت دائبة في خدمتها، لم تغفل لحظة عن القيام بواجبها، مقدمة رضاهم على رضاها، ساهرة على تطييب خاطرهم وتنفيذ مرادهم، مهتمة غاية الاهتمام بالعبادة وإطاعة الرب المتعال، مستقيمة على امتثال أوامر سيدة العصمة وأميرة العفة الصديقة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها، مُتميّزة عن أقرانها وأترابها بالحلم والصبر والتحمل والثبات في البلايا والشكر والخلوص، حتى مدحها الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد في سورة «هل أتى»، فغمرتها الألطاف الإلهية والأفضال الرحمانية، وحُشرت مع علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسنين (ع)، فنزعت عنها ذمائم النفس الدنية والرذائل الأخلاقية بإتباع السيدة المطهرة المصطفوية، وتحلّت بمكارم الأخلاق النبوية[٣].

وقالت عنها الكاتبة الدمشقية زينب الفوازية: إن فضة كانت من النساء العاقلات الصادقات وقد اشتهرت بالفضيلة، وفي ذكر كونها ممن نزلت فيهم سورة «هل أتى» ساوت نفسها بسيدتها الزهراء(ع) فنالت بذلك فخراً لم تنله غيرها من نساء العرب[٤].

وأما السابقي فقد وصف فضة بأنها وقفت حياتها لخدمة الرسول محمد وآله (ص)[٥].

وأوردَ الشبستري فضة ضمن أعلام القرآن فقال فيها: هي فضة النوبية، المصرية، جارية فاطمة الزهراء وخادمتها، وكانت صحابية جليلة القدر، عظيمة المنزلة، على درجة كبيرة من العبادة والتهجد والتفقه في الدين[٦].

---

(١) ابن الأثير، محمد بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة. ط دار الكتاب العربي - بيروت. ج٥. ص٥٢٠.

(٢) هو الحاج مولى محمد باقر بن إسماعيل بن عبد العظيم بن محمد باقر الكجوري الطهراني المشهور بالواعظ. ولد بطهران سنة ١٢٥٥هـ وتوفي في مشهد سنة ١٣١٣هـ ودفن في مقبرة الشيخ البهائي، من آثاره: جنة النعيم، والخصائص.

ينظر: الطهراني، اغابزرك محمد حسين، الذريعة، ط دار الأضواء – بيروت ١٩٨٣م، ج١، ص٤٠٦؛ وج٢، ص٥٠٤ وج٧، ص١٧٣.

(٣) الخصائص الفاطمية، ج٢، ص١٨٥.

(٤) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص٤٤.

(٥) حضرة فضة، ص١.

(٦) أعلام القرآن، ج٣٢، ص٢.

الفصل الثاني: في بيت الزهراء(ع)

لقد استقبلت الزهراء(ع) بعد عامها التاسع حياتاً جديدة، فلم نعرف أحداً من رواة المسلمين حاول أن ينفي عنها ما كانت تجده من شظف العيش، لاسيما وان زوجها أمير المؤمنين (ع) لم يجلب لها ذلك المهر الكبير، وقد بعث معها أبيها رسول الله(ص) جهازاً بسيطاً يتكون من خملة ووسادة حشوها ليف، ورحائين وسقاء وجرتين، وشيء من العطر والطيب.

ولم يتمكن الإمام أن يستأجر لها خادمة بسبب ما عُرف عنه من الزهد والبُعد عن الدنيا؛ فإنَّ جُلّ اهتمامه كان مُنصباً على الوقوف مع النبيّ (ص) في تشييد دعائم الإسلام الحنيف وأنفقَ في سبيل ذلك دمه وماله....[1]. لذلكَ أمضت فاطمة (ع) السنين الأولى لزواجها وهي تنهضُ بمفردها بهذا العبء الثقيل في إدارة الأعمال البيتية لوحدها، لا يعينها إلاّ رفق زوجها الحاني عليها، فحاول أن يساعدها في بعض أعمال البيت ما مكنته ظروفه من ذلك، إذ كان يخشى أن يستنفذ العبء ما بقي لها من قوة جسدية بعد الذي كابدته منذ عامها الخامس من محنة الحصار ومشقة الهجرة ومتاعب الجهاد.

وهنا يحدثنا أمير المؤمنين (ع) عن ما كانت تُلاقيه فاطمة الزهراء (ع) من العناء حيث قال لأبن أعبد[2]: ألا أُحدّثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله (ص) وكانت من أحب أهله إليه وكانت عندي؟ قلت بلى. قال: إنها جرَت بالرحى[3] حتى أثرت في يدها واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وكنست بالبيت حتى اغبرت ثيابها، فأتى النبي (ص) خدم، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك؟ فأتته فوجدت عنده حُداّثاً[4] فرجعت، فأتاها من الغد فقال: ما حاجتك؟ فسكتت. فقلت: أنا أُحدثك يا رسول الله: جرت بالرحى حتى أثرت في يدها، وحملت القربة حتى أثرت في نحرها، فلما أن جاء الْخدم أمرتُها أن تأتيك فتستخدمك خادماً يقيها حرَ ما هي فيه. قال: أتقي الله يا فاطمة وأدي فريضة ربك وأعملي عمل أهلك، وإذا

---

(١) ينظر: الثقفي، إبراهيم بن محمد، الغارات، تحقيق: عبد الزهراء الحسني، ط دار الأضواء – بيروت، ج٢، ص٧٣٩.

(٢) ابن اعبد: هو علي بن اعبد، روى عن الإمام علي (ع)، روى عنه أبو ثمامة القشيري عن عبد الرحمن عن محمد بن أحمد بن البراء قال: قال علي ابن المديني: ابن اعبد ليس بمعروف ولا اعرف له غير حديثه عن علي انه قال لفاطمة: ائتي أباك فسليه خادماً.

الرازي، عبد الرحمن بن محمد، الجرح والتعديل، ط الهند – ١٣٧١هـ، ج٩، ص٢١٦؛البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، ط بيروت – ١٤٠١هـ، ج٨، ص٤٣٠.

(٣) الرحى: الآلة التي تطحن الحبوب.

(٤) حداّثا: أي جماعة يتحدثون، وهو جمع على غير قياس، حملاً على نظيره نحو سامر وسمار وهم المحدثون. ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ط بيروت – ١٤٠٥هـ، ج٢، ص١٣٢، مادة (حدث).

أخذت مضجعك فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين، واحمدي الله ثلاثاً وثلاثين وكبري أربعاً وثلاثين فتلك مئة، فهي خير لك من خادم. قالت: رضيت عن الله ورسوله[١].

وفي رواية: إن الزهراء(ع) لما ذكرت حالها وسألته جارية بكى رسول الله (ص) فقال: يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن في المسجد أربعمائة رجل مالهم طعام ولا ثياب، ولولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت. يا فاطمة: إني لا أُريد أن ينفكَ عنك أجرك إلى الجارية وأني أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي الله عز وجل إذا طلب حقه منك، ثم علّمها صلاة التسبيح، فقال أمير المؤمنين (ع) : مَضَيتِ تُريدين من رسول الله(ص) الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة[٢].

قال أبو هريرة: فلما خرج رسول الله(ص) من عند فاطمة أنزل الله على رسوله (ص) ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾[٣]، يعني عن قرابتك وأبنتك فاطمة، ابتغاء: يعني طلب رحمة من ربك، يعني رزقا من ربك ترجوها ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ يعني قولاً حسناً، فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول الله (ص) جارية إليها للخدمة وأسماها فضة - كما مر سابقاً - فَفَهِم النبي(ص) من القول الميسور الرخصة في استرضاء فاطمة (ع) ، بل يكون ابتغاء رضوان الله ورجاءَ رحمته في قضاء حاجة الصديقة الكبرى[٤].

---

(١) ورد أيضاً بألفاظٍ أُخر، نقلاً عن ابن أبي ليلى، عن علي(ع)، عن البخاري في صحيحه، ج٤، ٢٠٨، ومسلم في صحيحه، ج٨، ص٨٤؛ والترمذي في سننه، ج٥، ص١٤٢، وأبي داود في سنه، ج٢، ص٢٩، والجزري في جامع الأصول، ط السنة المحمدية – مصر ١٣٧١هـ، ج٥، ص٦٩.

وفي بعضها زيادة: قال علي(ع): (فما تركته منذ سمعته من رسول الله)، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. وفي رواية أُخرى قال الإمام أمير المؤمنينXبعد أن طلب من الزهراءالذهاب إلى أبيها صلوات الله وسلامه عليه قال: أنا والله أُخبرك يا رسول الله: إنها استقت بالقربة حتى أثرّت في صدرها، وحرت بالرحى حتى مجلت يدها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فقلت لها: لو أتيت أباكِ فسألتيه خادماً يكفيك ضرّ ما أنتِ من هذا العمل؟ قال(ص): أفلا أُعلمكما ما هو خير لكما من الخادم: إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربع وثلاثين، قال: فأخرجت رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله.

ينظر: الصدوق، محمد بن علي، من لايحضره الفقيه، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، ط قم، ج١، ص٣٢١؛ الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، ط الشريف الرضي – ١٩٧٢م، ص٢٨٠؛ أيضاً الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف في الحديث، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ط بيروت – ١٤٠٣هـ، ج١١، ص٣٣.

(٢) مناقب لأبي طالب، ج٣، ص٣٤٢.

(٣) الإسراء، ٢٨.

(٤) الخصائص الفاطمية، ج٢، ص١٨٧.

وما وردَ من طلب الإمام أمير المؤمنين (ع) من زوجته الزهراء (ع) الذهاب إلى أبيها صلوات الله وسلامه عليه لعله يهبها خادمة؛ إنما جاء هذا الطلب لإعانتها على تلك الأعمال المجهدة، والذي يبدو لنا إن ذلك تمَّ بعد فترة من زواجها؛ لأن وضع المسلمين بدأ يتحسن بعد تلك الحروب التي خاضوها فظفروا بالغنائم[١]، ومن جانب آخر اضطلاع السيدة الزهراء (ع) بمهمة تربية أولادها والاهتمام بهم وقد لاحظَ ذلك النبي (ص): إذ يروي صاحب المناقب: إن النبي(ص) رأى فاطمة يوماً وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله فقال: يا بنتاه! تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة.

فقالت: يا رسول الله! الحمد لله على نعمائه، وأشكره على آلائه[٢].

ولقد كان في وسع النبي(ص) أن يعطي أبنته الكريمة من الرقيق والخدم الأسرى من غنائم الحروب، وقد جعل الله تعالى الخمس حقاً خالصاً لرسوله وذوي قرباه وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكيف بأموالهم، فكان له أن يُخفف بشيء منها عند كريمته بعض ما كانت فيه من ضيق العيش ومرارة الدنيا، وكذا كان في وسعه أن يستأجر لأولادها مرضعة من أهل المدينة أو ممّن حولها بأجرة أو بلا أُجرة؛ فإن الناس كانوا يتفاخرون ويسارعون إلى خدمة آل محمد(ص) بل هم أعز عليهم من أولادهم، ومن هنا يمكن أنْ نشير إلى أُمور:

١ - أن النبي (ص) أراد أن تكون بضعته الطاهرة مثالاً كاملاً للشخصية العظيمة في الزهد وتحمل المشاق والقيام بأعباء المنزل والأسرة بنفسها.

٢ - أرادها أن تكون مثالاً في الإخلاص لله تعالى والتبتل إليه بالعبادة.

٤ - إنّه (ص) كانَ يتخيّر لها أنّ من تخدمها تكون نقية الأصل طاهرة الذيل، يُلتَمَسُ منها الوفاء والنزاهة والصبر في سبيل الله على تحمّل المصائب التي ترد على آل محمدّ، وكانت فضّة نِعم الاختيار فقد وفت وصبرت..

---

(١) روي إن إحدى بنات الزبير - آم الحكم أو ضباعة - جاءت برفقة السيدة فاطمة (ع) يسألان النبي (ص) خادماً وذكرت ذلك بقولها: أصاب رسول الله (ص) سبيّاً فذهبتُ أنا وأختي وفاطمة بنت النبي (ص) فشكونا إليه ما نحن فيه وسألناه أن يأمر لنا بشيء من السبي، فقال رسول الله (ص): سبقتكن يتامى بدر.

ينظر: سنن أبي داود، ج٢، ص٢٩؛ العسقلاني، شهاب الدين، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط بيروت، ج١١، ص١٠٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٩٠.

المبحث الأول: الزهراء (ع) تشارك فضة الخدمة

حين أتت فضة إلى بيت السيدة الزهراء(ع) ولتفتخر بشرف الخدمة بعد أن نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[١] وينفذ الرسول (ص) فضة إلى ابنته بمقتضى هذه الآية حسب ما ورد في بعض الروايات.

إذن لنتعرف على العلاقة التي كانت بين فضة وربة البيت؟ هل جعلتها الزهراء(ع) فرداً من العائلة، أم أنها غريبة في البيت؟ هل أجهدتها في عمل البيت وغضبت عليها وضربتها في يوم من الأيام؟.

لقد كانت السيدة الزهراء(ع) تأبى أن تتعامل معها، كما كانت سيدات العرب تُعامل الخادمة، حيث إحداهن تأمر وتنهى وما على الخادمة إلا أن تطيع سيدتها بكل خضوع، بينما السيدة الزهراء(ع) كانت مثالاً في التعامل الحسن والذي أخذته من أدب أبيها رسول الله(ص) المعلم والمربي الأول قائلاً لها: يا فاطمة هذه لك خادمة فلا تضربيها، فإني قد رأيتها تُصلّي، وإنّ جبرائيل قد نهاني أن أضرب المصلين، فجعل يوصيها بها، فلما رأت فاطمة ما يوصيها بها التفتت إلى رسول الله(ص) فقالت: يا رسول الله عليَّ يوم وعليها يوم. ففاضت عينا رسول الله بالبكاء وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢] و﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣][٤].

لذلك فقد قسّمت صلوات الله وسلامه عليها الأيام بينها وبين فضة دون أن تُرّجح نفسها على فضة بأيّة ميزة. فعندما بدأت الخدمة في البيت قالت لها الزهراء(ع): أتعجنين أم تخبزين؟

فقالت: بل أعجن يا سيدتي. فذهبت - أي فضة - واحتطبت وبيدها حزمة وأرادت حملها فعجزت فدعت بالدعاء الذي علّمها رسول الله (ص) تدعو به عند العمل وهو:

(يا واحد ليس كمثله أحد تميت كلَ أحد وتفني كلَ أحد وأنت واحدٌ لا تأخذك سنةٌ ولا نوم)[٥]. فجاء أعرابي كأنه من أزدشنؤه[٦]فحمل الحطب إلى باب فاطمة(ع)[٧].

---

(١) الإسراء، ٢٨.

(٢) الأنعام، ١٢٤.

(٣) آل عمران، ٢٤.

(٤) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين، ط قم - ١٤١٤هـ، ج١، ص٦٩.

(٥) ينظر: الحلي، علي بن طاووس، المجتبى من الدعاء، ط بمومبي ١٣١٧هـ، ص٧.

(٦) أزدشنؤه: منطقة في اليمن بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً تنسب إليها قبائل من الازد يقال أزدشنوه. معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٨.

(٣) الإصابة، ج٨، ص٢٨٢.

وللتعرف مرة أخرى على المعاملة بين ربة البيت وخادمتها فضة نورد ما رواه الصحابي الجليل سلمان المحمدي (رض) في ذلك حيث قال: خرجت ذات يوم مع رسول الله (ص) وأنا أريد الصلاة فحاذيت بيت علي بن أبي طالب (ع) فإذا بهاتف من داخل الدار وهو يقول: (أشتد صداع رأسي، وخلا بطني، ودَبرت[١] كفاي من طحن الشعير) يقول: فمضّني[٢] القول مضاً شديداً فدنوت من الباب فقرعته قرعاً خفيفاً، فأجابتني فضة جارية فاطمة(ع).

فقالت: من هذا؟ فقلت: أنا سلمان ابن الإسلام. فقالت ـ فضة ـ: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فإن ابنة رسول الله وراء الباب عليها قليل من الثياب.

فأخذت عباءتي[٣] فرميت بها داخل الباب فلبستها فاطمة(ع)، ثم قالت (ع): يا فضة قولي لسلمان يدخل، فإن سلمان منا أهل البيت ورب الكعبة.

قال سلمان: فدخلتُ فإذا أنا بفاطمة جالسة وقدّامها رحى تطحن بها الشعير وعلى عمود الرحى دم سائل قد أفضى إلى الحجرة فحانت مني التفاته، فإذا أنا بالحسن بن علي (ع) (وفي رواية الحسين (ع))[٤] في ناحية من الدار، يتضوّر من الجوع.

فقلت: جعلني الله فداكِ يا ابنة رسول الله، قد دَبُرت كفّاكِ من طحن الشعير وفضة قائمة![٥]

فقالت(ع): نعم يا أبا عبد الله أوصاني حبيبي رسول الله أن تكون الخدمة لها يوم ولي يوم، فكان أمس يوم خدمتها، واليوم خدمتي. قال سلمان: قلت: جعلني الله فداكِ، أني مولى عتاقة. فقالت: أنت منا أهل البيت. قلت: فاختاري إحدى الخصلتين: إما أن أطحن لكِ الشعير، أو أسكت لك الحسن؟ فقالت: يا أبا عبد الله، أنا أسكته فإني أرفق، وأنت تطحن الشعير. قال: فجلستُ حتى طحنت جزء من الشعير، فإذا أنا بالإقامة[٦]، فمضيت وصليت مع رسول

---

(١) دبرت: تشققت.

(٢) مضني: احرقني وشق عليّ. والهمُ يمض القلب أي يحرقه.
لسان العرب، ج٧، ص٢٣٣، مادة: (مضض).

(٣) القول هنا إشارة إلى فضة فهي المتكلمة، والظاهر أن هناك سقط في نقل الرواية، إذ أن الراوي هو سلمان المحمدي فكيف يرد في النص – فأخذت عباءتي – بدون ذكر الضمير. فلاحظ.

(٤) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٨.

(٥) ما وردَ من قيام فضة على هذه الأحداث داخل بيت السيدة الزهراء(ع) – فالطفل يبكي ودماء الكف تسيل على عمود الرحى – وهي واقفة دون آن تُحرك ساكناً!! إنَّ ذلك لا يُصور لنا فضة إنها كانت بلا رحمة وبلا قلب: لانَّ الرواية لا تُبين لنا وقوفها على هذه الأحداث مدةً من الزمن إلاّ لحظة مجيء سلمان المحمدي إلى الدار إذ قد يكون قد أُنيطت لها من قِبل سيدتها(ع) بعض المهمات الأخرى مع الأخذ بنظر الاعتبار بوصية رسول الله(ص) للزهراء(ع) من تقسيم الأعمال داخل الدار.

(٦) إشارة إلى إقامة الصلاة في المسجد وسماع الآذان.

الله(ص) فلما فرغت قلت لعلي (ع) ما رأيت فبكى وخرج ثم عاد فتبسم فسأله عن ذلك رسول الله(ص) قال: دخلت على فاطمة وهي مستلقية لقفاها والحسين نائم على صدرها وقدّامها رحى تدور من غير يد. فتبسم رسول الله(ص) وقال: يا علي أما علمت إن لله ملائكة سيّارة في الأرض يخدمون محمد(ص) وآل محمد إلى أن تقوم الساعة[1].

منزلتها عند آل البيت (ع):

لقد ثبتت منزلة فضة عند مخدوميها من البيت المحمدي الطاهر وذلك من خلال خلقها المتواضع في خدمتهم فكانوا صلوات الله عليهم يحملون لخدّامهم كثيراً من الوفاء والود والمحبة وأداء الواجب تجاه الخدمة حيث أنه أجرٌ ليس له مثيل وفيض بعيد عن التصور فهذه المعية أنتجت ثمار يانعة.

فقد روي أن أمير المؤمنين علياً (ع) دعا رسول الله (ص) في ليلة من ليالي شهر رمضان، فَقَبِلَ رسول الله (ص) دعوة علي (ع)، كذلك في اليوم الثاني دعت الزهراء (ع) رسول الله (ص) بأن يتناول الإفطار عندها كما تناول عند علي بن أبي طالب (ع)[2]؟

عندما خرج رسول الله (ص) من بيت الزهراء (ع) بعد الإفطار دعاه الحسن (ع) وقال: يا جدي تُشرّفني وأقبل دعوتي كما قبلت دعوة أبي علي وأُمي فاطمة، فَقَبِلَ رسول الله (ص) دعوة الإمام الحسن وأفطر عنده، في اليوم الثالث وكذلك الإمام الحسين (ع) دعا رسول الله (ص) ليوم الغد فَقَبِلَ دعوته وأكل عند الإمام الحسين (ع)، عندما أراد النبي أن يخرج من بيت أهل بيته (ع) جاءت فضة لرسول (ص) وقالت: إني فداءٌ لكم يا رسول الله كما قبلتم دعوة ساداتي وشرّفتموهم بمجيئكم تُشرّفوني وتقبلون دعوتي؟

أجابها النبي(ص) بالفرح والسرور وقال: نعم يا جارية ابنتي فاطمة.

فلما فرغ النبي من صلاة المغرب لليوم الخامس أراد أن يذهب إلى بيته قبل أن يذهب عند فضه فنزل جبرائيل (ع) وقال: بعد إبلاغ السلام من الله عز وجل: إن الله يأمرك أن تذهب إلى بيت فضة فوراً قبل أن تذهب إلى بيتك لأنها تنتظرك على باب الزهراء (ع) بقلب حزين.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط قم - ١٤١٢هـ، ص١٤٠وفيه قال الطبري: حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن مالك الفزاري، قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن بحر الجندي النيشابوري، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أبي، عن المفضل بن عمر، قال: حدثني أبو عبد الله جعفر بن محمد(ع)، قال: قال سلمان: وذكر الرواية بطولها.

(٢) ما وردَ في الرواية من دعوة الزهراء (ع) للنبي (ص) للإفطار عندها بعد دعوة الإمام علي (ع) ليس دليلاً على إن لكل منهم بيت منفصل عن الآخر وإنما الدعوة هنا دعوة الشرفية كما وردت من بعدهم من دعوة ولديهما الحسن والحسين (ع).

ولمّا عَلِمَ بذلكَ توّجه رسول الله (ص) إلى بيت الزهراء(ع) فاستقبلوه قياماً، وكان عندهم من الأكل بمقدار ضرورتهم، فقال النبي(ص) : إني لست ضيفاً لكم في هذه الليلة؛ بل دعتني فضة فأنا ضيفها. فقال أمير المؤمنين (ع) مخاطباً لفضة: لِمَ لم تُخبرينا حتى نساعدك على ضيافة رسول الله (ص). فقالت فضة: يا سيدي ومولاي إني جاريتك وخادمتك وبفضل وجودكم وبركتكم تسهّلَ لي أمر هذه الضيافة.

فدخلت فضة في غرفة وشرعت بالصلاة ثم رفعت يديها وقالت: إلهي إني جارية فاطمة الزهراء(ع) دعوت حبيبك وإني فقيرة وليس عندي شيء، إلا يسّرتَ لي هذا الأمر، فنزل من السماء طعام الجنة بأنواع النعم.

فضة قدّمت هذا الطعام في خدمة النبي (ص) وتناول مع النبي المرتضى وفاطمة والحسنان (ع)، عندها سأل النبي (ص) : يا فضة من أين حصلت على طعام الجنة؟

قالت: ألستُ شُرِّفْتُ بخدمة سيدة نساء الجنة سيدتي الزهراء (ع)! ألستُ خادمة بيت قسيم الجنة والنار وأكنس بيته!

قال النبي(ص) : الحمد لله جارية ابنتي الزهراء وصلت إلى مرتبة مريم(ع) ويأتيها طعام من الجنة[1].

المبحث الثاني: فضة في القرآن ببركة سيدتها الزهراء(ع)

لقد غمرت هذه المرأة الجليلة الألطاف الإلهية والأفضال الرحمانية، وذلك بمدح الله تبارك وتعالى لها في كتابه المجيد في سورة «الإنسان» أو «الدهر»، وحصلت على وسام الأجر مع الإمام مولاتها الزهراء(ع) إلى جانب أمير المؤمنين علياً وابنيهما الحسن والحسين (ع)، ويروي لنا القصة الثعلبي في تفسيره بعد أن يذكر سلسلة الرواة قائلاً:

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الشيباني العدل قرأه عليه في صفر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن بن الشرقي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الخوارزمي ابن عمّابن الأحنف بن قيس في سنة ثمان وخمسين ومائتين أخبرنا أحمد بن حماد المروزي أخبرنا محبوب بن حميد البصري، وسأله عن هذا الحديث روح بن عبادة أخبرنا القاسم بن بهرام عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس.

---

(١) ذكر هذه الرواية السابقي في كتابه (حضرة فضة)، ص٥ - ٦ نقلاً عن صاحب كتاب (مصابيح القلوب)/ فارسي، ٥٣ وقد نقلت بتصرف، وهي غير مذكورة في المجاميع الحديثية: إذ لا يخفى على المتتبع إن ما في الرواية إثبات منقبة لخادمة الزهراء (ع) والرسول يقول: إن الجارية بمنزلة مريم (ع)، لكن لا غرابة من أنها اكتسبت تلك المنزلة من سيدتها كما أشارَ سبحانه وتعالى في كتابة العزيز في نزول سورة (الدهر) في حقها وحق مولاتها بالدرجة الأولى.

وأخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن سهل بن علي بن مهران الباهلي بالبصرة أخبرنا أبو مسعود، وعبد الرحمن بن مسهر بن هلال حدثنا القاسم بن يحيى عن أبي علي العنبري عن محمد بن السائب عن أبي صالح[١] عن أبن عباس. وقال الحسن بن مهران، وحدثني محمد بن زكريا البصري حدثني شعيب بن واقد المزني أخبرنا أبو القاسم بن بهرام عن الليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٢] قال: مرضَ الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدّهما محمد (ص)، ومعه أبو بكر، وعمر، وعادهما عامة العرب، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك نذراً[٣]، وكل نذر لا يكون له وفاء فليس بشيء. فقال علي (ع): إن برأ ولداي مما بهما صمتُ للهِ تعالى ثلاثة أيام شكراً.

وقالت فاطمة (ع): إن برأ ولداي مما بهما صمتُ للهِ ثلاثة أيام شكراً. وقالت جاريةٌ يقال لها فضة نوبية: (إن برأ سيداي مما بهما صمتُ لله ثلاثة أيام شكرا)[٤].

فلبسَ الغلامان العافية وليس عند آل محمد (ص) قليل ولا كثير، فانطلق عليٌّ إلى شمعون بن جابا الخيبري وكان يهودي، فاستقرض منه ثلاثة أصواع من شعير، وفي حديث المزني عن أبي مهران الباهلي: انطلق عليٌّ إلى جارٍ له من اليهود يُعالج الصوف يقال له شمعون بن جابا فقال له: هل لك أن تُعطيني جزةً من صوفٍ تغزلها لك بنت محمد (ص) بثلاثة أصواع من شعير[٥]؟ قال: نعم، فأعطاه، فجاء بالصوف والشعير، فاخبر فاطمة بذلك، فقبلت وأطاعت. قالوا: فقامت فاطمة[٦] إلى صاع فطحنتهُ فاختبزت منه خمسة أقراص لكل واحد

---

(١) أبو صالح: السمان أو الزيات واسمه ذكوان مولى غطفان، ثقة كثير الحديث، سكن الكوفة، سمع أباه وأبا هريرة، وزيد بن خارجة، وزاذان، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عياش الزرقي، وأبا سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، وجابر، وعائشة، روى عنه ابنه سهيل، وعبد الله بن دينار، والقعقاع بن حكيم، وزيد بن أسلم، والحكم بن عتبة، وعاصم بن أبي النجود، وسليمان الاعمش، توفي سنة ١٠١هـ.
ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ط دار صادر - بيروت، ج٥، ص٣٠٢، الجرح والتعديل، ج٣، ص٤٥٠.

(٢) الإنسان، ٧.

(٣) وفي القرطبي، عن جابر الجعفي عن قنبر مولى علي قال: فقال أبو بكر: يا أبا الحسن لو نذرت عن ولديك شيئاً. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط دار إحياء التراث الإسلامي - بيروت ١٩٨٤م، ج١٩، ص١٣٠.

(٤) وفي الشواهد: وقالت جاريتهم فضة: وعليَّ للهِ نذرٌ لئن بريء سيداي من مرضهما لا صومن ثلاثة أيام.
الحسكاني، عبيد الله بن أحمد، شواهد التنزيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط إيران - ١٩٩٠م، ج٢، ص٣٩٤.

(٥) وهو الأصح لأن الإمام علي (ع) لا يمكن أن يُقدّم القرضة على أن يعمل بكد يمينه.

(٦) وفي القرطبي: فقامت الجارية - أي فضة - إلى صاع من شعير فخبزت منه خمسة أقراص.
الجامع لأحكام القران، ج١٩، ص١٣٠.

منهم قرص[١]، وصلى علي مع النبي (ص) المغرب ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم مسكين، فوقفَ بالباب، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد (ص) مسكينٌ من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعهُ عليٌّ، فأنشأ يقول[٢]:

فــــاطم ذاتَ المجـــــد والـــــيقين ... يـــا بنــت خـــير النـــاس أجمعـــين

أمـــا تـــرينَ البـــائس المـــسكين ... قـــد قـــام بالبـــاب لـــه حـــنين[٣]

يـــــشكو إلى الله ويـــــستكين ... يـــشكو إلينـــا جائعـــاً حـــزين

كـــلُ أمـــرئ بكـــسبه رهـــين ... وفاعـــلُ الخـــيرات يـــستبين[٤]

موعـــدنا جنـــةُ علـــيين[٥] ... حرّمهـــا الله علـــى الـــضنين

وللبخيــــل موقـــف مهـــين ... تهـــوى بـــه النـــار إلى ســـجين

شـــرابها الحمـــيم والغـــسلين[٦] ... ومـــن يفعـــلُ الخـــير يُقـــم سمـــين

ويدخل الجنة إلى حين، فأنشأت فاطمة (ع) تقول:

أمـــركَ يـــا بـــن العـــم سمـــعُ طاعـــة ... مـــا بـــي مـــن لـــؤمٍ ولا وضـــاعة

هـــديتُ في الخـــير لـــه صـــناعة ... أطعمـــوهُ ولا أبـــالي الـــساعة

أرجـــو إذا أشـــبعتُ ذا مجاعـــة ... أن الحـــقَ الأخيـــار والجماعـــة

وادخـل الخُلـد ولـي شـفاعة[٧]

---

(١) وقد أورد القمي في تفسيره بصيغةٍ أخرى، مرفوعة إلى أبيه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله (ع) قال: كان عند فاطمة (ع) شعيرة فجعلوه عصيدة (شعير يلتّ بالسمن ويطبخ).
القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، صححه وعلق عليه: طيب الموسوي، ط قم – ١٤٠٤هـ، ج٢٠، ص١٤٦.

(٢) وفي رواية الخوارزمي: عندها رفع الإمام علي ورفعت فاطمة الزهرا(ع) ورفع الحسنان(ع) وفضة أيديهم عن الطعام. الخوارزمي، الموفق بن أحمد، المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط قم – ١٤١٤هـ، ص١٨٨.

(٣) وفي آمالي الصدوق ورد عجز البيت هكذا: "جاء إلى الباب له حنين".
الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط قم – ١٤١٧هـ، ص٣٣٠

(٤) وفي الأمالي ورد: "من يفعل الخير يقف سمين".

(٥) وفي الأمالي ورد صدر البيت: "موعده في جنة رحيم".

(٦) وفي الأمالي ورد: "شرابه الحميم والغسلين".

(٧) وفي الأمالي وردت الأبيات هكذا:

أمرك يا بـن العـم طاعـة ... مـا بـي مـن لـؤم ولا وضاعـة

غـذيت باللـب والبـراعـة ... أرجـو إذا شـبعت مـن مجاعـة

أن ألحـق الأخيـار والجماعـة ... وادخـل الجنـة في شفاعـة

لم يرد في الأمالي وغيره ذكر "العقبة" كما أورده الثعلبي. وهذا ما أورده الصدوق: "أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة".

وفي الأمالي ورد: "بنت نبي ليس بالزيم". وفي الأمالي ورد: "حرمها الله على اللئيم".

وفي الأمالي ورد البيت: "وصاحب البخل يقف ذميم – تهوي به النار إلى الجحيم.

قال: فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح، فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته وصلى علي كرم الله وجهه مع النبي (ص) المغرب، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاهم يتيم فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد (ص)، يتيمٌ من أولاد المهاجرين، استشهد والدي يوم العقبة[1]، أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة فسمع عليٌ (ع) فأنشأ يقول:

فاطمٌ بنت السيد الكريم	**بنتُ نبيٍ ليس بالذميم[2]**
قد جاءنا الله بذا اليتيم	**من يرحم اليوم فهو رحيم**
موعده في جنة النعيم	**قد حُرم الخُلد على اللئيم[3]**
يزل في النار إلى الجحيم	**شرابه الصديد والحميم[4]**

فأنشأت فاطمة (ع) تقول:

إني لأعُطيه ولا أُبالي	**وأوثر الله على عيالي**
أمسوا جياعاً وهم أشبالي	**أصغرهم يقتلُ في القتال**
بكربلا يُقتلُ باغتيال	**للقاتل الويل مع الوبال**
تهوى به النار إلى السفال	**مُصفدُ اليدين بالأغلال**

كبولةٌ زادت على الأكبال[5]

قال: فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح. فلما كان في اليوم الثالث قامت فاطمة (ع) إلى الصاع الباقي فطحنته وخبزته، وصلى عليٌ (ع) مع النبي (ص) ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا، أطعموني فإني أسير محمد (ص) أطعمكم الله على موائد الجنة، فسمعه عليٌ (ع) فأنشأ يقول:

فاطمُ يا بنت النبي أحمد	**بنتُ نبيٍ سيدٍ مسوّد**

---

(١) لم يرد في الأمالي وغيره ذكر "العقبة" كما أورده الثعلبي، وهذا ما أورده الصدوق: "أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة".

(٢) وفي الأمالي ورد: "بنت نبي ليس بالزيم".

(٣) وفي الأمالي ورد: "حرمها الله على اللئيم".

(٤) وفي الأمالي ورد البيت: "وصاحب البخل يقف ذميم – تهوي به النار إلى الجحيم".

(٥) الكبل: جمعها كبولة، يقال: كبلت الأسير وكبلته إذا قيدته. لسان العرب، ج١١، ص٥٨٠، مادة (كبل).

هـــذا أســـيرٌ للـــنبي المهتـــد[١] مُكبـــلٌ في غلـــهِ مُقيـــد
يـــشكو إلينـــا الجـــوع قـــد تمـــدد[٢] مـــن يُطعـــمُ اليـــوم يجـــدهُ في غـــد
عنـــد العلـــي الواحـــد الموّحـــد مـــا يـــزرعُ الـــزارعُ ســـوف يحـــصد
فـــاطعمي مـــن غـــير مـــن أنكـــد حتـــى تُجـــازي بالـــذي لا ينفـــد

فأنشأت فاطمة (ع) تقول:

لم يبـــقَ ممـــا جئـــت غـــيرَ صـــاع قـــد دميـــت كفـــي مـــع الـــذراع
ابنـــاي والله مـــن الجيـــاع يـــا رب لا تتركهمـــا ضـــياع[٣]
أبوهمـــا للخـــير ذو اصـــطناع يـــصطنعُ المعـــروف بابتـــداع
عبـــلُ الـــذراعين طويـــلُ البـــاع ومـــا علـــى راســـي مـــن قنـــاع

إلاّ قناع نسجهُ تساع

قال: فأطعموه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح. فلما كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ علي بيده اليمنى الحسن، وبيده اليسرى الحسي رضي الله عنهم أجمعين، وأقبلَ نحو رسول الله (ص)، وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر به النبي (ص) قال: (يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم انطلق إلى ابنتي فاطمة)، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد ألصقَ بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناها. فلما رآها النبي (ص) قال: (وآغوثاه أهل بيت محمد يموتون جوعاً)[٤] فهبط جبريل (ع)، فقال: يا محمد خذها هنأك الله في أهل بيتك، قال: (وما آخذ يا جبريل؟) فاقرأه

---

(١) وفي الأمالي ورد: "قد جاءك الأسير ليس يهتد".

(٢) وفي الأمالي ورد: يشكو إلينا الجوع قد تقدد.

(٣) وفي الأمالي وردت الأبيات هكذا:

لم يبـق ممـا كـان غـير صـاع قـد دبـرت كفـاي معـه الـذراع
شـبلاي والله همـا جيـاع يـا رب لا تتركهمـا ضيـاع

ينظر: الأمالي، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢.

(٤) وفي رواية: قالت: يا أبتاه ما طعمت أنا ولا أولادي ولا [فضة] منذ ثلاثة أيام. فرفع النبي (ص) يده ثم قال: (اللهم أنزل على آل محمد كما أنزلت على مريم بنت عمران). ثم قال: أدخلي مخدعك فانظري ماذا ترين؟ فدخلت ومعها علي (ع) وولداها ثم تبعهم رسول الله (ص)، فإذا جفنه تفور مملوءة وعراقاً مكللة بالجواهر يفوح منها رائحة المسك الأذفر فقال: (كلوا بسم الله) فأكلوا منها جماعتهم سبعة أيام ما انتقص منها لقمة. ينظر: الكنجي، محمد بن يوسف، كفاية الطالب، ط النجف الأشرف – ١٣٥٦هـ، ص٢٠١.

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ إلى آخر السورة[١].

وزاد ابن مهران الباهلي في هذا الحديث: فوثبَ النبي (ص) حتى دخل على فاطمة، فلما رأى بهم ما بهم انكبَّ عليهم يبكي وقال لهم: (أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافلٌ عنكم). فهبط جبريل (ع) بهذه الآيات: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾ قال: هي عينٌ في دار النبي (ع) تفجر إلى دور الأنبياء (ع) والمؤمنين.

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ يعني علياً، وفاطمة والحسن، والحسين، وجاريتهم فضة ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ ﴾ يقول على شهوتهم للطعام، وإيثارهم به مسكيناً من المساكين المسلمين، ويتيممن يتامى المسلمين، وأسيراً من الأسرى المشركين، يقول إذا أطعموهم: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ ﴾ قال: والله ما قالوا لهم هذا بألسنتهم ولكنهم أضمروه في نفوسهم، فأخبر الله عزوجل بإضمارهم، يقولون لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً، فتمنون عليه به ولكنا أعطيناكم لوجه الله وطلب ثوابه.

قال الله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً ﴾ في الوجوه ﴿ وَسُرُورًا ﴾ في القلوب ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً ﴾ يسكنونها ﴿ وَحَرِيرًا ﴾ يلبسونه ويفترشونه ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾.

قال ابن عباس: بينا أهل الجنة في الجنة إذ رأوا ضوءاً كضوء الشمس، وقد أشرقت الجنان له، فيقول أهل الجنة: يا رضوان ليست هذه شمسٌ ولا قمر، ولكن هذه فاطمة وعلي ضحكا ضحكاً أشرقت الجنان من نور ضحكهما، وفيهما أنزل الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ الى قوله: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإنسان/٢٢) وقد أنشد فيه:

أنا مولى لفتى نزلت فيه هل أتى[٢]

(١) أوردت بعضهم هذه الرواية بدون ذكر الأبيات الشعرية التي جاءت فيها، منهم: ابن البطريق، يحيى بن الحسن: العمدة، ط قم – ١٤٠٧هـ، ص٣٤٦؛ والخوارزمي في المناقب، ص٢٦٧.

(٢) الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان في تفسير القران، تحقيق: سيد كسروي حسن. ط العلمية – بيروت ٢٠٠٤م، ج٦، ص٣٤٣ – ٣٤٧. وقد وردت هذه القصة بأنحاء أُخر اختلافها لا يؤثر في المعنى المطلوب منها والمذكور أشهر فقد ذكر بتمامه في: أسد الغابة، ج٥، ص٥٣؛ الإصابة، ج٨، ص١٦٧؛ مناقب الخوارزمي، ص ١٨٨؛ تفسير الرازي، ج٨، ص٣٩٢؛ روح البيان، ح١، ص٢٦٨؛ كفاية الطالب، ص٣٤٥ـ ٣٥٦ وفيه ذكر سند الحديث فقال: أخبرنا أبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن القطبي البغدادي، أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان، أخبرنا الحافظ محمد بن أبي نصر الحميدي. =

ومن ذلك يُعلم إن فضة قد شَهِدَ لفضلها نزول سورة « هل أتى » ونزول جبرئيل في ثلاثين آية كريمة في شأنها وشأن أمير المؤمنين وفاطمة والحسنين (ع)، ولم تُستَثنَ في آية من آياتها، إذ يقول صاحب روح البيان عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[1]: (ولا يلزم من هذا أن يكون المراد من الأبرار أهل البيت فقط لأنَّ العِبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل فيه غيرهم بحسب الاشتراك في العمل)[2].

لذلك فإن فضة قد شاركتهم في هذا العمل فكانت ضمن دائرة الأبرار، وما ذلك إلا من فوائد وعلامات متابعتها وإخلاصها في مودتها. وقد نزلت الآيات في صبرها على الجوع - حسب الظاهر - لمدة ثلاثة أيام تأسياً بمواليها وإطعامهم الخبز للمسكين واليتيم والأسير، فلم تُحرم ثواب هذا الإنفاق، ودخلت في قرى ولي النعم الحقيقي وحماه، وتناولت من طعام الجنة، وجلست الخادمة والمخدومة على مائدة واحدة، وتنعمّت بالنعم الأخروية الباقية، وما أكثر العباد الذين تجرّعوا الجوع وأطعموا الخبز وألوان الطعام للفقراء ولم يصلوا إلى هذه المنزلة العظمى والموهبة الكبرى.

رواية المتكلمة بالقرآن:

حَفِلَ تاريخ المرأة في الإسلام بظهور نماذج مميّزة لها، ففي المراحل الأولى للرسالة النبوية الإسلامية، شغلت المرأة المسلمة مهام عدة إلى حد المشاركة في الحروب بالقيام بأعمال

= أخبرنا أبو علي الحسن بن عبد الرحمن المعروف بالشافعي بمكة، أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد السقطي أخبرنا أبو عمر بن أحمد بن عبد الله الدقاق المعروف بابن السماك، أخبرنا عبد الله بن ثابت حدثنا أبي عن هديل بن حبيب عن عبد الله السمرقندي عن محمد بن كثير الكوفي عن الأصبغ بن نباته قال: وذكر الحديث بطوله. كما نقله ابن الجوزي في التذكرة، ص٣١٢ وقال: عن أبو المجد محمد بن أبي المكارم القزويني بدمشق سنة اثنين وعشرين وستمائة عن أبو منصور محمد بن اسعد بن محمد العطاري عن الحسين بن مسعود عن أحمد بن إبراهيم الخوارزمي عن أبو إسحاق أحمد بن محمد ابن إبراهيم الثعلبي عن أبي عبد الله بن حامد عن أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني قال حدثنا محمد بن أحمد بن سهيل الباهلي حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن هلال عن القاسم بن يحيى عن أبي علي العربي عن محمد بن السايب عن أبي صالح عن ابن عباس قال: وذكر الحديث. أما الواحدي فقد ذكره في أسباب النزول، ص٣٣١ والبغوي من رواية عطاء عن ابن عباس، وأورده السيوطي في الدر المنثور، ج٦، ص٢٩٩ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله(ص). وقال صاحب تفسير روح البيان: ونحن لا نشك في صحة القصة.

البروسوي، اسماعيل حقي، تفسير روح البيان، ط اسطنبول – ١٣٠٦هـ، ج١٠، ص٢٦٩.

(١) الإنسان، ٥.

(٢) تفسير روح البيان، ج١٠، ص٢٦٩.

التمريض، وجاءت المرحلة الثانية والتي مثّلتها سلسلة الإمامة لتُخرّج هذه المرحلة ثُلة من النساء اللواتي أنجبنَ خيرة الرجال وعلّمنَ أجيالاً إيمانية إضافة إلى التربية الصالحة، وفي ذلكَ يُحدّثنا التاريخ عن أثر التربية الفاطمية على خادمتها فضة أثراً كبيراً، إذ كانت تلميذةً للزهراء (ع) فضلاً عن قيامها بالخدمة المنزلية، فقد جعلت فاطمة (ع) منها رمزاً للمرأة الصالحة وكيف كان منطقها القرآن الكريم؛ ولذلكَ اشتهرت فضة (ع) في كتب التاريخ وكتب الأدب من بين نساء العرب التي تكلّمت وحفظت القرآن، وأنها كانت ذات لسان انحصر نطقهُ في الآيات الكريمة، فحفظ القرآن لا يكفي للاستشهاد بآية منه؛ بل يجب معرفة المناسبة التي نزلت بها الآية في موضع الاستشهاد، والوارد من الأخبار أنها بعد وفاة سيدتها بقيت تتكلم وتُحدّث الناس بالآيات القرآنية، وهي مُنحة إلهية ثمينة ومن البركات التي أُكرمت بها فضة ببركة سيدتها الزهراء (ع)، وقصتّها يوم انقطعت عن القافلة في ذهابها لحج بيت الله الحرام وملاقاتها لشخص كلما سألها بسؤال عن أحوالها أجابته بجواب من القرآن الكريم خير دليل على ذلك، فقد ذكر الشيخ القمي نقلاً عن أبي القاسم القشيري[1]، قال: قال بعضهم: انقطعتُ في البادية عن القافلة فوجدت امرأة سألتها من أنت؟ قالت: ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[2]. بعد ذلك سلّمتُ عليها وقلتُ لها: ماذا تفعلين في هذه الصحراء؟ قالت: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾[3]. قلت: أمن الجن أنت أمن الإنس؟ قالت: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[4].

قلت: من أين أتيت؟ قالت: ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[5]. قلت: أين مقصدك؟ قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[6]. قلت: كم مضى لك منذ مفارقتك قافلة الحجاج؟ قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[7]. قلت: هل

(١) عبد الكريم بن هو ازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم شيخ خراسان في عصره ولد سنة ٣٧٦ هجرية من علماء الشافعية وله في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر وعلم التصوف له مصنفات عديدة منها التيسير في التفسير، لطائف الإشارات، الرسالة القشيرية، توفي عام ٤٦٥ هـ.

الأعلام، ج٤، ص٥٧؛ سركيس، يوسف اليان، معجم المطبوعات العربية، ط قم – ١٤١٠هـ، ج٢، ص١٥١٤.

(٢) الزخرف. ٨٩.

(٣) الزمر، ٣٧.

(٤) الأعراف، ٣١.

(٥) فصلت، ٤٤.

(٦) آل عمران، ٩٧.

(٧) ق، ٣٨.

ترغبين في تناول الأكل والطعام؟ قالت: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾[١]. فأعطيتها طعامي الذي كان معي فأكلت، عندها رجوتها بأن تسرع في ذلك. قالت: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٢]. فاضطررت أن أسير وأركبها الدابة. قالت: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾[٣]. وعندما وصلت القافلة سألتها: هل لديك أحد في هذه القافلة؟ قالت: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٤]. ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[٥]. ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[٦]. ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[٧].

ثم جئتُ إلى القافلة وناديت بأعلى صوتي بهذه الأسماء فرأيت أربعة رجال من الشباب، ثم دنوت من هذه المرأة فسألتها من يكون هؤلاء الشباب؟ قالت: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[٨]. ثم خاطبتهم قائلة: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[٩]. بعد ذلك قام هؤلاء الشباب بمكافأتي وتقديم الإحسان لي، وعندها قالت: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١٠]. ثم قامت بزيادة الإحسان لي زيادة على إحسانهم. وفي هذا الوقت سألتهم من تكون هذه المرأة؟ فقالوا: إنها أُمنا جارية فاطمة الزهراء(ع) التي كانت تتحدث بالقرآن الكريم لمدة عشرين سنة[١١].

---

(١) الأنبياء، ٨.

(٢) البقرة، ٢٨٦.

(٣) الزخرف، ١٣.

(٤) ص، ٢٦

(٥) آل عمران، ١٤٤.

(٦) مريم، ١٢.

(٧) القصص، ٣٠.

(٨) طه، ١١. ١٤.

(٩) الكهف، ٤٦.

(١٠) البقرة، ٢٦١.

(١١) وذكر الهاشمي رواية أخرى نقلاً عن عبد الله بن المبارك وهي مطابقة لما رويناه في النص المتقدم مع اختلاف بسيط في السرد الروائي ولم يذكر اسم المرأة المتكلمة بالقرآن وأنها بقيت تتكلم لمدة أربعين سنة وليس عشرين سنة كما هو المروي. وعليه فمن المرجح أن تكون هي نفسها الخادمة فضة (ع).

ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ط مصر – ١٩٦٠م، ص٣٢٤ –٣٢٦.

الفصل الثالث: متابعة فضة لمصائب أهل البيت (ع)

إن معنى المتابعة والمعية هو أن العبد ينتسب إلى مولاه ويكون في مقام التسليم والرضا له مثلاً إن سيداً اشترى غلاماً فسأله: ماذا تريد؟

فقال: كل شيء تريده أنت لي، ثم إذا سأله: ماذا تأكل؟

قال: كل شيء تريد أنت أن تطعمه لي، وإذا سأله أين تنام؟

قال: في أي مكان أنت ترغبه لي، كذلك إذا قال له: ماذا تلبس؟

قال: أي شيء تريد أن ألبسه.

ثم قال: أنا ليس لدي رأي فأنت تأمرني وأنا أطيعك ولا أريد سوى رضا مولاي والخادم يؤمر ولا يأمر.

هكذا كانت الخادمة فضة، تجوع إذا جاعوا وتظمأ إذا ظمئوا ولا تنام عندما لا ينامون، تصوم عندما يصومون وعندما يتصدقون برغيفهم إلى الفقراء والمساكين تتصدق هي كذلك، وبصورة عامة تكون مشاركة لهم ومساهمة معهم في أحزانهم وأفراحهم.

لذلك فقد شاركت مولاتها الزهراء (ع) جميع مصائبها، ورأت بأم عينها تلك المآسي وروتها بلسان صدقٍ، فكانت إحدى الوسائل الإعلامية لنقل ما جرى على بيت سيدتها من العدوان عليه وسلب الحق المغصوب.

المبحث الأول: تُشارك الزهراء (ع) في مصابها

وهكذا كانت ملازمة لفاطمة الزهراء (ع) في كل مصائبها ونوائبها، وتبذل همّتها في حفظ ووقاية تلك النفس الطاهرة بكل شجاعة وبطولة، وكانت رضوان الله عليها تبكي دائماً على مصيبة الزهراء (ع) وكلما تسمع أسم مولاتها فاطمة يتردد على ألسن الناس تدمع عيناها.....

فهذا ورقه بن عبد الله الأزدي يروي لنا قصته مع فضة وذكرها بالتفصيل مصيبة مولاتها الزهراء (ع) حيث قال:

خرجتُ حاجاً إلى بيت الله الحرام، فبينا أنا أطوف وإذا بجارية سمراء جميلة الوجه، عذبة الكلام تناجي بمنطقها الفصيح:

(اللهم رب البيت الحرام والحفظة الكرام، وزمزم والمقام والمشاعر العظام ورب محمد وآله خير الأنام، البررة الكرام، أن تحشرني مع ساداتي الطاهرين وأبنائهم الغر المحجلين الميامين، ألا فاشهدوا يا جماعة الحجاج والمعتمرين إن موالي خير الأخيار، وصفوة الأبرار، الذين علا قدرهم على الأقدار، وارتفع ذكرهم في سائر الأمصار المرتدين بالفخار).

قال ورقة بن عبد الله، فقلت لها: يا جارية إني أظنك من موالي أهل البيت (ع).

فقالت: أجل. قلت لها: ومن أنت من مواليهم؟ قالت: أنا فضة أَمة فاطمة الزهراء (ع) ابنة محمد المصطفى صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها.

فقلت لها: مرحباً بك وأهلاً وسهلاً، فلقد كنتُ مشتاقاً إلى كلامك وسؤالك، فإني أُريد منك الساعة أن تجيبيني عن مسألة أسألك عنها. فإذا أنت فرغت من الطواف قفي لي عند سوق الطعام حتى آتيك، وأنت مُثابة مأجورة.

ثم افترقنا في الطواف وأردت الرجوع إلى منزلي جعلت طريقي على سوق الطعام، وإذا بها جالسة في معزل من الناس، فأقبلت إليها، وأهديت إليها هدية، ثم قلت لها: يا فضة أخبريني عن مولاتك فاطمة الزهراء (ع)؟ وما الذي رأيتِ منها عند وفاتها بعد موت أبيها (ع).

قال ورقة بن عبد الله: فلما سمعت ذكر فاطمة (ع) تغرغرت عيناها بالدموع ثم انتحبت باكية، وقالت: يا ورقة هيّجت عليَّ حُزناً كان ساكناً، وأشجاناً في فؤادي كانت كامنة، فأسمع الآن ما شاهدت منها (ع).

اعلم إنه لما قبض رسول الله (ص) إفتجع له الكبير والصغير والأحباب والغرباء، ولم تلق إلاّ كُلَ باكٍ وباكية ونادب ونادبة – إلا أهل السقيفة قاتلهم الله تعالى كأنهم لا يعرفون رسول الله(ص) ولا يعرفهم فقد أسرعوا إلى رياستهم ليحكموا عقدها.

ولم يكن في أهل الأرض أجمعْ أشد حُزناً وأعظم بكاءً وانتحاباً من مولاتي فاطمة الزهراء (ع)، وكان حزنها يتجدد ويزيد وبكاؤها يشتد ويقوى في كل وقت طيلة سبعة أيام، لا يهدأ لها أنين ولا يسكن منها حنين، وكل يوم جاء كان بكاؤها أكثر من سابقه.

فلما كان اليوم الثامن أبدت مما كتمت من الحزن فلم تطق صبراً إذ خرجت صارخة فكأنها تنطق عن فم أبيها صلوات الله عليه وعلى آله، فبادرت النساء إليها وخرجت من خدورها، وضجت الناس بالبكاء والنحيب، وجاءوا من كل مكان. وأُطفئت المصابيح لكيلا تتبين صفحات النساء، وخُيِّلَ إلى النسوان إن رسول الله (ص) قد قام من قبره وصار الناس في دهشة وحيرة لما قد رهقهم من الأسى والزهراء(ع) تندب يا أبتاه يا محمداه، يا ربيع الأرامل واليتامى. ثم أقبلت تتعثر في أذيالها حتى دنت من قبر أبيها فوقفت عليه وأغميَ عليها فتبادرت النساء إليها ينضحن الماء على وجهها حتى أفاقت وهي تقول:

وهنت قوتي، وخانني جلدي، وشمت بي عدوي يا أبتي يا رسول الله، فقد أنقطع ظهري، وتنغص عيشي، وتكدر دهري، فلم أجد يا أبتاه بعدك أنيساً لوحشتي، ولا راداً لدمعتي، ولا معيناً لضعفي فقد فنى بعدك محكم التنزيل ومهبط جبرائيل، ومحل ميكائيل

وانقلبت يا أبتاه بعدك الأسباب، وتغلّقت دونيَ الأبواب، فأنا للدنيا بعدك قالية، وعليك ما ترددت أنفاسي باكية، لا يتغاور[1] شوقي إليك ولا حزني عليك، ثم قالت:

إن حزني عليك حزن جديد … وفؤادي والله صب عنيد

كل يوم يزيد فيه شجوني … واكتآبي عليك ليس يبيد

جلَ خطبي فبان عني عزائي … فبكائي كلَ وقت جديد

إن قلباً عليك يألف صبراً … أو عزاء فانه لجليد

ثم نادت الزهراء (ع): يا أبتاه انقطعت بك الدنيا بأنوارها وزهت زهرتها بألوانها وكانت ببهجتك زاهرة، يا أبتاه مَنْ للأرامل والمساكين؟ ومنْ للأُمة إلى يوم الدين؟ يا أبتاه أمسينا بعدك مستضعفين فأي دمعة لفراقك لا تنهل؟ وأي حزن بعدك لا يتصل؟ وأي جفن بعدك بالنوم يكتحل؟ وأنت حياة الدين ونور النبيين فكيف للجبال لا تمور؟ وللبحار بعدك لا تغور؟ والأرض كيف لا تتزلزل؟ رميت يا أبتاه بالخطب الجليل، ولم تكن الرزية بالقليل فمنبرك بعدك مستوحش ومحرابك خالٍ من مناجاتك، وقبرك فرح بمواراتك فيه، فوا أسفاه عليك، إلى أن أقدم عاجلاً عليك، يبقى أخوك أبو الحسن المؤتمن وحيداً فريداً للمصائب والرزايا، وحبيبك الحسن والحسين والثكل شاملنا، والبكاء قاتلنا، والأسى لازمنا، ثم زفرت زفرة وأنتْ أنة وقالت:

قلَ صبري وبان عني عزائي … بعد فقدي لخاتم الأنبياء

عيني يا عين اسكبي الدمع سحباً … ويك لا تبخلي بفيض الدماء

يا رسول الإله يا خيرة الله … وكهف الأيتام والضعفاء

قد بكت الجبال والوحوش جمعا … والطير والأرض بعد بكاء السماء

وبكاك الحجون[2] والركن … والمشعر يا سيدي مع البطحاء

وبكاك المحراب والدرس … للقرآن في الصبح معلنا والمساء

وبكاك الإسلام إذ صار في … الناس غريبا من ساير الغرباء

فلو ترى المنبر الذي كنت تعلوه … علاه الظلام بعد الضياء

يا إلهي عجّل وفاتي سريعا … قد نغصت الحياة يا مولائي

(١) لا يتغاور: أي لا يذهب ولا يترك.

(٢) الحجون: موضع بمكة.

قالت فضة: ثم رجعت مولاتي فاطمة إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعويل ليلها ونهارها وهي لا ترقى دمعتها ولا تهدأ زفرتها.

ثم قالت فضة: واجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين (ع) فقالوا له:

يا أبا الحسن إن فاطمة (ع) تبكي الليل والنهار، ولا يقر لها بالنهار قرار وإنما نُخيّرك أن تسألها، إما أن تبكي ليلا أو نهارا فقال: حُباً وكرامة.

فأقبل أمير المؤمنين (ع) حتى دخل على فاطمة(ع) وهي لا تهدأ لها حال من البكاء، فلما رأته سكنت هنيهة له. فقال لها: يا بنت رسول الله (ص) إن شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكين ليلاً أو نهاراً. فقالت (ع): يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبتي من بين أظهرهم. فوَ الله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله (ص).

فقال علي (ع): افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك.

ثم إنه (ع) بنى لها بيتا في البقيع نازحاً عن المدينة سُميَ بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين (ع) أمامها وخرجت إلى البقيع باكية نادبة، فلا تزال بين القبور باكية حتى يأتي الليل. فيأتي أمير المؤمنين (ع) فيرجعها إلى البيت، ولم تزل على ذلك الحال إلى أن مضى لها بعد أبيها سبعة وعشرون يوماً فاعتلت العلة التي توفيت فيها. فبقيت إلى يوم الأربعين وقد صلى أمير المؤمنين (ع) صلاة الظهر وأقبل يريد المنزل، إذ استقبلته الجواري باكيات حزينات فقال لهن: ما الخبر؟ فقلت له: يا أمير المؤمنين أدرك بنت عمك الزهراء وما نظنك تدركها.

فأسرعَ أمير المؤمنين (ع) حتى دخل عليها، وإذا بها مُلقاة على فراشها وهي ساكنة فألقى عليها الرداء وأخذ برأسها فتركه في حجره وناداها: يا زهراء فلم تُكلّمه، فناداها يا بنت رسول الله فلم تُكلّمه. فناداها يا فاطمة كلميني فأنا ابن عمك علي بن أبي طالب.

فقالت فضة: ففتحت عينيها في وجهه ونظرت إليه وبكت وبكى علي (ع)، ثم قال لها (ع): ما الذي تجدينه يا زهراء. فقالت (ع): يا ابن العم إني أجد الموت الذي لا بد منه ولا محيص عنه فإني أوصيك بولدي الحسن والحسين فلا تصح في وجوههما فإنهما سيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمهما: فالويل لأمة تقتلهما وتظلمهما وتغصبهما حقهما.

ثم قالت (ع):

أبكي إن بكيت يا خير هادي	وأسبل الدمع فهو يوم الفراق
يا قرين البتول أوصيك بالنسل	فقد أصبحا حليف اشتياق
أبكي وابك لليتامى ولا	تنس قتيل العدى بطف العراق
فارقوا فأصبحوا يتامى حيارى	يخلف الله فهو يوم الفراق

قالت فضة: فقال علي (ع): من أين لكِ يا بنت رسول الله هذا الخبر والوحي قد أنقطع عنا؟ فقالت (ع): يا أبا الحسن رقدتُ الساعة فرأيت حبيبي رسول الله (ص) في قصر من الدر الأبيض، فلما رآني قال: هلّمي إليّ يا بنية فإني إليك مشتاق، فقلت: والله إني أشد شوقاً منك إلى لقائك. فقال لي: أنت الليلة عندي وهو الصادق لما وعد والموفي لما عاهد. فإذا أنت قرأتَ سورة يس، فأعلم إني قضيت نحبي، فغسلني ولا تكشف عني فإني طاهرة مطهرة وصل عليَّ وادفني ليلاً بهذا أخبرني أبي وحبيبي رسول الله (ص).

ثم قالت (ع): يا علي لا تخبر أحداً ممن ظلمني وغصب حقي ولا يحضروا جنازتي حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين. قالت فضة: فلما جاء أمر الله وقضت الزهراء (ع) أخذ أمير المؤمنين (ع) في تجهيزها ثم حنطها ببقية حنوط رسول الله (ص) وأدرجها في أكفانها ثم نادى يا زينب يا أم كلثوم يا حسن يا حسين هلّموا وتزودوا من أمكمُ الزهراء فهذا الفراق الذي لا لقاء بعده إلا في الجنة.

فأقبل الحسن والحسين وهما يناديان واحسرتاه لا تنطفئ أبداً فقد فقدنا بالأمس جدنا محمد (ص) واليوم فقدنا أُمنّا فاطمة (ع). ثم ناديا: يا أمُنّا إذا لقيت جدنا المصطفى (ص) فأقرئيه عنا السلام، وقولي له: إنا بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا، وأحاطت بنا المصائب والرزايا من كل ناحية من أعداء الله.

قالت فضة: وإذا هاتف من السماء ينادي يا أبا الحسن ارفعهما عن أمهما فلقد والله ابكيا ملائكة السماء، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب.

قالت: فرفعهما (ع) عن صدر أمهما وجعل يعقد الرداء وهو ينشد هذا:

فراقك اعظم الأشياء عندي	وفقدك فاطمٌ ادهى الثكول
سأبكي حسرة وانوح شجواً	على خلٍ مضى اسنا سبيل

ثم حملها وأقبل بها إلى قبر أبيها ونادى: السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا حبيب الله. السلام عليك يا نور الله. السلام عليك يا صفوة الله. عليك السلام مني السلام والتحية واصلة إليك مني ومن ولديك الحسن والحسين ومن أبنتك الزهراء النازلة بفنائك.

وهذه الوديعة قد استردت والرهينة قد أخذت، فوا حُزناه عليك وعلى أبنتك من بعدك، ولقد اسوّدت عليَّ الغبراء، وبعدت عن الخضراء. فوا حُزناه ثم وآ أسفاه، ثم عدل بها إلى الروضة فصلّى عليها في أهله وأصحابه وأحبائه ثم أرجعها إلى المنزل. حتى إذا جاء الليل أنزلها في القبر خاصته ولم يحضر دفنها أحد ممن ظلمها وغصبها حقها كما أوصت (ع) بذلك، فلما واراها علي (ع) وألحدها ضريحها أنشأ بهذه الأبيات:

أرى علل الدنيا عليَّ كثيرةً وصاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقة وان بقائي عندكم لقليل

وان افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل[١]

موقفها من إحراق بيت الزهراء (ع):

وقد بذلت هذه الخادمة الجليلة جهداً كبيراً وهمّةً شديدة في وقاية تلك النفس القدسية لتلك الحوراء الإنسية، وبذلتْ كل ما لديها من قوة في منع إحراق باب سيدتها (ع) وسعيها اللامحدود في خدمته، وإنها رضوان الله عليها كانت من ضمن الجماعة الذين أُريد بهم الهلاك داخل البيت الفاطمي؛ فقد روى الخصيبي[٢] عن محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان عن أبي شعيب محمد بن نصير عن ابن الفرات عن محمد بن المفضل عن الإمام الصادق (ع) قوله: (إن - القوم جمعوا - الحطب الجزل[٣] على النار لإحراق أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب ورقية وأم كلثوم وفضة)[٤].

ويؤكد هذا ما صرّح به عمر بن الخطاب لمعاوية بن أبي سفيان، إذ قال: وعندما جئتُ إلى بيت علي خَرَجت أولاً خادمتهم المُسماة فضة وبدأت معي الحديث بلهجة صارمة وبصورة احتجاج ثم أغلقت الباب، ثم قمتُ بدفع الباب على فاطمة الزهراء فقامت بالأنين فتصورت أن المدينة قد انقلبت رأساً على عقب، ثم نادت الخادمة فضة، وقالت:

(آه يا فضة إليك فخُذيني، فقد قُتل - والله - ما في أحشائي من حمل، وسمعتُها تمخّض وهي مستندة إلى الجدار)[٥].

---

(١) ينظر: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٩؛ التبريزي، محمد علي، اللمعة البيضاء، تحقيق: هاشم الميلاني، ط قم ١٤١٨هـ، ص٨٥٩، النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت(ع) لاحياء التراث، ج٢، ص١٣٧؛ الشاهرودي، علي غازي، مستدرك سفينة البحار، ط خراسان – ١٣٨١هـ، ج٨، ص٢١٢؛ المرندي، أبو الحسن، مجمع النورين، ط قم - ١٣٢٨هـ، ص١٣٨؛ ماذا في التاريخ، ج١٠، ص٣٠٥ - ٣١١.

(٢) هو الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلائي أو الجنبلاني، آبو عبد الله، مصري الأصل، رحل إلى جنبلا في العراق، وانتقل إلى بغداد، ثم استقر في حلب إلى أن توفي سنة ٣٥٨هـ وقبره في شمالها، له: الهداية الكبرى، وأسماء النبي، وأسماء الأئمة، والإخوان، والمائدة.

ينظر: الأعلام، ج٢، ص٢٣٦؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٤، ص٥.

(٣) أي غليظاً قوياً.

(٤) الخصيبي، الحسين حمدان، الهداية الكبرى، ط بيروت – ١٩٩٩م، ص٤٠٦.

(٥) الخصائص الفاطمية، ج٢، ص١٨٨ نقلاً عن عوالم العلوم، ج١١، ص٦٠٦.

وفي رواية قال عمر بن الخطاب: فأتيتُ دار علي لإخراجه منها، فقالت الأمةُ فضة، وقد قلت لها: قولي لعلي يخرج إلى بيعة أبي بكر فقد أجتمع عليه المسلمون.

فقالت: إن أمير المؤمنين عنكم مشغول. فقلت: خلّي عنك هذا وقولي له أن يخرج وإلا دخلنا عليه وأخرجناه كرهاً فخرجت فاطمة فوقفت وراء الباب[1].

تَتَشرّف بدفن المُحسن السقط:

لقد كان من نتائج الأحداث المريرة والمصائب القاسية على الزهراء (ع) وما صاحبَ وقائع السقيفة وخاصة الهجوم على البيت الفاطمي والتي كانت فضة شاهدة على ذلك، أن يكون أول ضحايا هذا العنف من تلك الأحداث إسقاط المحسن السبط الابن الثالث من أولاد الإمام علي (ع)، وقد أُجهزَ عليه وهو جنينٌ في بطن أُمه الزهراء (ع).

وقد تشرّفت فضة رضوان الله عليها بدفن المحسن السقط في البيت الفاطمي، إذ يقول المحقق العلاّمة السيد محمد مهدي الخرسان في كتابه: (المحسن السبط مولودٌ أم سقط) بإشارةٍ إلى قبره المفقود قائلاً: (فلم يُعرف له قبر، وأنّى وقد دفنته فضة في ناحية البيت)[2].

والظاهر انه اعتمد في قوله هذا على كلام طويل للإمام الصادق (ع) للمفضّل ورد فيه قائلاً: (فصاح أمير بفضة إليكِ مولاتكِ فاقبلي منها ما يقبل النساء وقد جاءها المخاض من الرفسة وردّة الباب فسقطت محسناً عليه قتيلاً وعرفت أمير المؤمنين إليه التسليم فقال لها: يا فضة لقد عرفه رسول الله (ص) وعرفني وعرف فاطمة وعرف الحسن والحسين اليوم بهذا الفعل ونحن في نور الأظلة أنوار عن يمين العرش فآويه بقعر البيت فإنه لاحق بجده رسول الله (ص))[3].

وروى الملا إسماعيل السبزواري في كتابه بعد ذكر أحوال الزهراء (ع) قائلاً: (وجاء أمير المؤمنين (ع) وجلس عندها ـ أي الزهراء ـ، وقال: (يا فضة! عليك بها فقد جاءها المخاض)، ثم جاءت فضة بعد ساعة وهي تحمل لفافة، فقال لها (ع): (ما معك يا فضة؟ قالت: يا سيدي! ولدك المحسن الذي أُسقط! قال: وآريه في فناء البيت)[4].

يتبين مما وردَ من تشرّف هذه المرأة الجليلة (فضة) بدفن المحسن السقط أمور:

أولاً: إيكال أمر القيام بأمور الدفن من قبل الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى غيره، في الوقت الذي كان من المفترض قيامه بهذه المراسيم؛ لأنه الأب والإمام في الوقت نفسه، فما

---

(١) ينظر: الهداية الكبرى، ص٤٠٦؛ بحار الأنوار، ج٣٠، ص٢٩٣؛ مجمع النورين، ص١١٠؛ القمي، عباس محمد، بيت الأحزان، ط قم – ١٤١٢هـ، ص١٢٠.

(٢) الخرسان، محمد مهدي، المحسن السبط مولود أم سقط، ط قم – ٢٠٠٩م، ص٦٠٤.

(٣) الهداية الكبرى، ص٤٠٦.

(٤) مجمع النورين، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

ذاك إلا دليل المحنة التي كان يعيشها الإمام (ع) في تلك الأجواء الإرهابية من الهجوم على البيت الفاطمي مما أدى إلى إيكال بعض الأمور إلى غيره.

ثانياً: تكليف (فضة) رضوان الله عليها من قِبل الإمام (ع) بالقيام بهذه المهمة، فإنَّ أذن الولي أمر واجب للقيام بالدفن، وعليٌّ (ع) لا يأذن لكل أحد بدفن سبط رسول الله فيالها من منقبة لفضة أن تدفن الطاهر ابن الطاهرين.

ثالثاً: إذنُ الإمام أمير المؤمنين (ع) لها يدلُ معرفتها بالأحكام الشرعية الخاصة في الدفن.

رابعاً: معرفتها أيضاً بأحكام غُسل الميّت خاصةً ونحن إذا عرفنا بأن فاطمة الزهراء (ع) أسقطت المحسن وله من العمر ستة أشهر، وما وردَ في أحكام السنن بأن السقط إذا تمَّ له أربعة أشهر غُسّل وحُنّط وكُفّن ولم يُصلّ عليه، فإذا كان كذلك فليس غريباً على تلميذة الزهراء (ع) معرفتها بتلك الأحكام. ولكن هل يحتاج المحسن إلى غُسل وهو أول شهيد من ضحايا العنف السياسي.

خامساً: ما جاء في الخبر من مواراة المحسن من قِبل فضة يُدلل تعيين قبره الشريف وذلك في بيت الزهراء (ع).

المبحث الثاني: وفاة سيدتها الزهراء (ع)

بعد أن عانت الزهراء (ع) هذه المصائب والآلام وأصبحت طريحة الفراش من المرض الذي أصابها من ظلم القوم لها ولأمير المؤمنين (ع) أوصت الإمام (ع) بعدة وصايا، منها:

(إذا توفيت لا تُعلم أحداً إلا أم سلمة وأم أيمن وفضة، ومن الرجال أبني الحسن والحسين والعباس وعبد الله بن عباس وسلمان وعمار والمقداد وأبا ذر وحذيفة)[١].

ثم أجابت صلوات الله عليها نداء ربها عز وجل والتحقت بأبيها النبي محمد (ص) الذي طالما كان يقول لها: (أنت أول منْ يلحقني من أهلي)[٢]، وقد توفيت بعد وفاة الرسول الأعظم(ص) بخمسة وأربعين يوما أو ثلاثة أشهر، أو ستة أشهر على اختلاف الروايات[٣].

---

(١) دلائل الإمامة، ص٤٤: القمي، عباس محمد، الأنوار البهية، ط قم - ١٤١٧هـ، ص٦٢: مستدرك سفينة البحار، ج٨، ص٢١٢ وفيه ورد: قال أمير المؤمنين (ع): آخذت عليَّ فاطمة عهد الله ورسوله إنها إذا توفت لا أعلم أحداً إلا أم سلمة زوج رسول الله (ص) وأم أيمن وفضة، ومن الرجال ابنيها.

(٢) وردَ الحديث بألفاظ مختلفة في: ابن عساكر، علي بن الحسين، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، ط دار الفكر - بيروت ١٤١٥هـ، ج١٧، ص٧٢؛ الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد، ط بيروت - ١٩٨٨م، ج٩، ص١٦٥: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: إبراهيم الحسيني، ط دار الحرمين - ١٩٩٥م، ج٦، ص٣٢٨: الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال، ظبطه وصححه: بكري حياني وصفوة السفا. ط بيروت - ١٩٨٩م، ج١٢، ص١٠٨.

(٣) ينظر: الفاضلي، حسين محمد، أم أبيها في صحاح المسلمين ومسانيدهم، ط دار بيروت - ٢٠٠١، ص٢٧٩ - ٢٨٤.

مشاركتها في تغسيل الزهراء (ع):

اشتركت فضة رضوان الله عليها مع أمير المؤمنين (ع) في تغسيل سيدتها فاطمة الزهراء (ع) بعد وفاتها، إذ يقول المؤرخ الطبري: (فغسلّها أمير المؤمنين (ع) ولم يحضرها غيره والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس)[١].

وتقول الرواية: إن أمير المؤمنين (ع) أمرَفضة (ع) عندما أراد تغسيل الزهراء وتكفينها، أمرها أن تُدخلمع أبنائه على السيدة الزهراء (ع)، وهو ما ذكر في رواية ورقة قال علي (ع): والله أخذت في أمرها وغسلّتها في قميصها ولم أكشفه عنها، فلما هممت أن أعقد الرداء ناديت: يا أم كلثوم! يا سكينة! يا زينب! يا فضة! يا حسن! يا حسين! هلمّوا وتزوّدوا من أُمكما فهذا الفراق واللقاء في الجنة[٢].

ويظهر من الروايات أن أمير المؤمنين (ع) كان يهتم بفضة كما يهتم بأولاده (ع) فقد نادى فضة كما نادى أولاده (ع) لتوديع الزهراء (ع).

المبحث الثالث: وفاتها

من المأسوف عليه أن حملة التاريخ على توّسعهم في سرد الأحداث والقصص والأحوال في أشياء كثيرة ربما يكون القارئ في غنى عنها أهملوا حقائق في التاريخ تمس إليها حاجة المنقب، وتساق إليها طلبة الباحث والمحقق ولسنا الآن في صدد الأسباب الباعثة على ذلك ولعلها لا تخفى على الناقد البصير، غير أن المهم في خلاصة هذا الكتاب هو البحث عن وفاة ومدفن هذه السيدة الجليلة، فلم يذكر لنا التاريخ سنة وفاتها بالتحديد، ولكن ذكر أصحاب السير، أن العقيلة زينب (ع) بعد رجوعها من أسر بني أمية إلى المدينة أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية فخاف عمرو بن سعيد الأشدق والي المدينة انتقاض الأمر فكتب إلى يزيد بالحال فأتاه كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس فأمر الوالي بإخراجها من المدينة إلى حيث شاءت فخرجت مُتّجه إلى الشام وخرج معها من نساء بني هاشم فاطمة بنت الحسين وسكينة وكذلك رافقتها فضة لأنها خادمتها وكانت ملازمة لها، وبقيت معها إلى أن توفيت العقيلة زينب (ع) سنة ٦٢ هجرية وقيل سنة ٦٥ هجرية على رواية. فلم تزل فضة مجاورة لقبر العقيلة زينب (ع) بالشام بسنين قليلة حتى توفيت رضوان الله عليها[٣].

---

(١) دلائل الإمامة، ص١٣٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧١؛ بيت الأحزان، ص١٩٦؛ اللمعة البيضاء، ص٨٥٢.

(٣) ينظر: حضرة فضة، ص١٥؛الديباجي، أبو القاسم، زينب الكبرى، ط بيروت – ١٩٩٧م، ص٦٠؛الشاطئ، عائشة، زينب بطلة الحرية، ط بيروت، ص٢١٩.

والظاهر إن سنة وفاتها سنة ٦٤ هجرية تقريباً وليس بالتحديد أو سنة ٦٧ هجرية على اختلاف الروايات في وفاة سيدتها زينب (ع)، وقد خالفَ الشبستري في الأعلام[1] رأينا هذا بقوله أنها توفيت حدود سنة ٨٠ هجرية ولم يُشر إلى الأصل في هذا القول. وفي كل الأحوال فإنها توفيت رضوان الله عليها بعد أن طال بها العمر في خير وصلاح وتقى وفوق ذلك خدمة آل محمد.

وهكذا انطوت صفحة حياة هذه المرأة الصالحة صاحبة المآثر الجميلة والجليلة وهنيئاً لها هذه السعادة العظمى.

مرقدها:

قبر فضة معروف بالشام ويقع في الباب الصغير للجامع الأموي بدمشق تستجاب عنده الدعوات، ولم يختلف في قبرها اثنان حتى اليوم[2].

الخاتمة:

السيدة فضة جارية سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع)، من النساء الخالدات في دنيا الشرف والفضيلة والإيمان، وكانت إنموذجاً مشرّفاً للمرأة المسلمة في طهارتها وعفافها فقد أفاضته عليها بضعة الرسول (ص) أشعة من روحها الطاهرة، وغذّتها بمثلها وكمالها حتى عدتهُ المثل الأعلى للسيدات المسلمات بما تملك من المواهب، وسمو النفس وطهارة الضمير، وحسبُها فخراً أنّها ما تكلّمت إلاّ بالقرآن الكريم في كثير من فترات حياتها فقد وعت القرآن وانطبع في دخائل نفسها، وأعماق ذاتها، وهي تحكي بذلك عمق التربية الإسلامية وسموّها وأصالتها.

وبعد أن وصلنا إلى خاتمة المطاف عن بعض الأنوار من سيرة الصديقة الطاهرة الزهراء (ع) من نافذة خادمتها وجاريتها المرأة الجليلة فضة رضوان الله عليها، فهي نافذة جديدة طرقناها في هذا البحث يختلف عما سبقنا في طرح سيرتها عليها أفضل الصلاة والسلام، فأخذنا جانب الرفقة، تلك الرفقة التي اتخذت خطواتها هذه المرأة العفيفة مع سيدتها (ع) بعد أن أفردنا عن هوية تلك الخادمة الرائعة فصلاً كاملاً، ثم أشرنا إلى رفقتها مع سيدتها في البيت العلوي ومشاطرتها الخدمة....... ثم معاصرتها لتلك المصائب والمحن التي مرّت بها سيدتها البتول (ع) من إحراق البيت وغير ذلك، مما يشير إلى أنها شاركتهم وشاهدت بأعينها كل تلك الصور الحزينة والمؤلمة فكانت لهم خير رفيقٍ وخادمٍ مخلص. ❖

---

(١) أعلام القرآن، ج٣٢، ص٢.

(٢) ينظر: الهروي، أبي بكر، الإشارات في معرفة الزيارات، ط دمشق – ١٩٥٣م، ص١١: شداد، محمد علي، الاعلاق الخطيرة، ط بيروت – ١٩٧٥م، ج١، ص١٨٤؛البدري، عبد الله، نزهة الأنام، ط مصر – ١٣٤١هـ، ص٢٨٥: كمونة، عبد الرزاق، مشاهد العترة، ط النجف الاشرف – ١٣٨٧هـ، ص٨٤.

فاطمة الزهراء(ع) ومصحفها
أصله، حقيقته ورد الافتراءات عليه

د. إسماعيل طه الجابري(*)
محمد إياد جواد هبة الدين(**)

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا الأعظم محمد وعلى وآله الهداة الميامين سيّما قرة عين المصطفى، وبهجة قلب المرتضى، ثمرة النبوة، ووعاء الإمامة، أُمّ الحسنين، وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع).

تعد حياة فاطمة الزهراء(ع) صفحة مضيئة من صفحات التاريخ، إذ إنها لم تكن مخلوقاً اعتيادياً كباقي البشر، بدليل إنها تميزت بمزايا عديدة سمت بها على جميع الخلق، فكانت من أبرز تلك المزايا إنها بنت المصطفى(ص) سيد الكائنات وخاتم الأنبياء والمرسلين، وأمها خديجة الكبرى ذات الشرف الأصيل، وسيدة نساء عصرها والتي لم تضارعها امرأة من قريش في مكانتها علواً ومنزلةً، أما الزهراء(ع) فقد حظيت بعناية الله سبحانه وتعالى إذ حباها بكرامات خاصة قبل أن تولد فكانت على هيئة نور، ثم انعقدت نطفتها من ثمر الجنة، حتى ولدت حوراء إنسية وعاشت تحظى بكرامات من عند الله حتى وفاتها.

تحلّت الزهراء (ع) بفضل العناية الإلهية بخصال وفضائل بوّأتها مكانةً عظيمة في الدنيا والآخرة، فهي سيدة النساء وأفضلهن في العلم والأدب والفصاحة والبيان والخلق الرفيع والعبادة ومكارم الأخلاق فعنها قالت عائشة (رضي الله عنها): **"ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها (ص)"**[1] وكما أثبتت الروايات وباليقين القاطع أنها مخلوق استثنائي، وما هذا البحث إلا محاولة جادة في تأكيد ذلك.

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، فجاء المبحث الأول ليسلط الضوء على بعض الدلالات والأبعاد الإعجازية في حياتها من خلال مكانتها عند الله تعالى ليكون مرتكزا يعتمده الباحثين في تعزيز ما سيوردانه في المبحث الثاني.

(*) معهد الجوادين للمعلمين/بغداد الحسيني الشهرستاني.

(**) مكتبة الجوادين العامة.

(١) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ)، ج٣، ص١٣٧.

أما المبحث الثاني فهو قراءة أولية لمصحفها من خلال البحث والتحليل في أصله وحقيقته ومن ثم رد الافتراءات عليه، والتي كانت وما تزال سببا لخلاف طويل ومعقد بين مذاهب المسلمين، سيعمل الباحثان على مناقشة هذه القضية دون تعصب أو تحيز لإماطة اللثام عن كثير من الحقائق التي تخص هذا الموضوع، بالاستعانة بمصادر الفريقين وصحاح أهل السنة وأسانيدهم بقدر الإمكان، أما الخاتمة فستعرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول: الزهراء(ع) نور حول العرش قبل أن يخلق الأرض والسماء

إن الله سبحانه وتعالى خلق نور الزهراء قبل أن يخلق الأرض والسماء فعندما اخرج نورها للكون ازدهر وأضاء فقد روي عن النبي (ص) قوله: **خلق نور فاطمة (ع) قبل أن يخلق الأرض والسماء فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال: فاطمة حوراء إنسية قالوا: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله (عز وجل) من نوره قبل أن يخلق** آدم...[1]، وقال أيضاً (ص) "**لما خلق الله الجنة خلقها من نور عرشه ثم اخذ من ذلك النور فقذفه فأصابني ثلث النور، وأصاب فاطمة ثلث النور وأصاب عليا وأهل بيته ثلث النور...**"[2]، والمتأمل في ابرز ألقابها وهو"الزهراء"يجد إن معناه اللغوي إنها مؤنث الأزهر ويعني النور أو النير المشرق الذي يتمتع بلمعان خاص، إذ إن اللون لأبيض زهر أو زاهر بمعنى النور[3]، لهذا لقبت بالزهراء لنورها ولبياضها قد أكدت روايات عدة على ذلك فمنها، إن أبي عبد الله (ع) سئل عن فاطمة لم سميت زهراء؟ فقال، **لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض**[4]، ولعل امتداد هذه الروايات موجودة في بعض الزيارات كالزيارة الجامعة التي ورد فيها: "**خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين**" وكذلك في زيارة الإمام الحسين (ع) "**أشهد انك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة**" وفي زيارة الإمام موسى بن جعفر (ع) "**السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض**"، وهذا يعني إن نور الله جل جلاله قد تمثل في خاتم الأنبياء والمرسلين محمد(ص) وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين(ع) ثم ينحدر النور بعد ذلك من صلب النبي (ص) فكانت الزهراء(ع)، وهذه الروايات قد أثبتت بأن الزهراء خلقت من نور الله في السماء ومثلت النور الإلهي في الأرض والتي تميزت بها عن جميع الخلائق.

---

(١) محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ)، بحار الأنوار، (قم: مركز إحياء الكتب الإسلامية، د. ت)، ج٤٣، ص٤.

(٢) أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، الخصال، (النجف الأشرف: منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٧١م)، ص١٧٢.

(٣) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)، باب زهر، ج٤، ص٣٣١.

(٤) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (٣٨١هـ)، علل الشرائع، المصدر سابق، ص١٨١.

ميلاد الزهراء (ع) والعنايات الإلهية

أكدت العديد من الروايات إن نطفة الزهراء(ع) قد انعقدت من ثمار الجنة، وعلى الرغم من اختلاف الروايات حول نوع الثمر هل هي تفاحة أم رطب أم سفرجل أم عنب فان المتفق في هذه الروايات المختلفة إنها من ثمار الجنة. أما كيفية وصول هذه النطفة إلى رسول الله فهناك روايات عدة رغم تنوعها فأنها توكد الحقيقة الثابتة وهي إن العناية الإلهية قد راعت تلك النطفة. فمن تلك الروايات على سبيل المثال لا الحصر ما روته عائشة (رضي الله عنها) عن الرسول قوله: "**إنه لما كان ليلة أسري بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من شجر الجنة لم أر في الجنة شجرة هي أحسن منها حسنا ولا أبيض منها ورقة ولا أطيب منها ثمرة فتناولت من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة**"[١]، وفي رواية أخرى عن النبي (ص) قال"**أتاني جبريل بتفاحة من الجنة فأكلتها وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فقالت أنى حملت...**"[٢]، ورواية ثالثة تقول "**هبط جبرائيل (ع) في صورته العظمى وناده يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً...**" وهناك العشرات من الروايات المتفق عليها من قبل علماء المذاهب الإسلامية التي أشارت ومن دون أدنى شك بانعقاد نطفة الزهراء(ع) قد اقترنت بطوابع إعجازية.

وحينما قربت ولادة الزهراء (ع) قال رسول الله (ص) للسيدة أمّ المؤمنين خديجة" **يا خديجة، هذا جبرائيل يبشرني أنّها أُنثى، وأنّها النسمة الطاهرة الميمونة، وانّ الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة في الأمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه**"[٣]، ووضعت خديجة فاطمة (ع) طاهرة مطهرّة، وعندما سئل أبي عبد الله (ع): كيف كانت ولادة فاطمة (ع)؟ فقال (ع) وساق الحديث إلى أن قال "**إذ دخل عليها أربع نسوة عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف فقالت لها إحداهن أنا أمك حواء وقالت الأخرى أنا آسية بنت مزاحم وقالت الأخرى أنا كلثم أخت موسى وقالت الأخرى أنا مريم بنت عمران أم عيسى جئنا لنلي من أمرك ما يلي النساء، فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة من بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت خديجة فاطمة (ع) طاهرة مطهرة، فلما سقطت وقعت على الأرض**

---

(١) جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ ـ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: مركز هجر للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣م)، ج٩، ص٢١١ ـ ص٢١٢.

(٢) محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (٦١٥ ـ ٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق سامي الغريري الغراوي، (قم: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٧م)، ج١، ص١٩٨.

(٣) محمد باقر المجلسي (ت ١١٠هـ)، بحار الأنوار، المصدر السابق، ج١٦، ص٨٠.

ساجدة رافعة أصبعها"[١]، فجبرائيل يبشر نبينا المصطفى بالولادة، وسيدات نساء أهل الجنة تلي أمرها، هكذا تدرجت هذه الأنوار وانتقلت من صلبٍ شامخ إلى رحم طاهر وببركة ذلك النور، فهذا دليل على كرامتها وسموّ منزلتها، وعظيم مكانتها عند الله جل وعلا.

زواج الزهراء

لم تذق الزهراء طعم الحياة بعدَ أن فُجِعَت بوفاة والدتها خديجة، ولشدة تعلقها بأبيها كناها رسول الله بأم أبيها، فالرسول لا يهب الألقاب عبثاً ولا يمنح الكنى جزافاً، كانت (عليها السلام) تمتاز من صغر سنّها بالنضج الفكري، والرشد العقلي، وقد وهب الله تعالى لها عَقلاً كاملاً وذهناً وقَاداً، وذكاءً حاداً وحسناً وجمالاً في إشراقه محياها النورانية، وعندما أدركت (ع) مدرك النساء بدأ يخطبها أكابر مسلمي قريش من أهل الشرف والفضل والمال، فتقدم أبو بكر لخطبتها فكان جواب النبي (ص) له**"انتظر بها القضاء"**[٢]، وتقدم عمر لخطبتها أيضاً، فلم يكن جواب النبي له يختلف عن جواب صاحبه من قبل، ثم تقدم لها عدّة من رجال قريش أمثال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي الوقاص وطلحة والزبير وغيرهم من الأنصار، فكان الجواب لجميعهم لم ينزل القضاء، بينما كان رسول الله (ص) يرغب في تزويجها لابن عمه علي بن أبي طالب، لأنه مأمور أن يزوّج النور من النور، وهنا ينزل جبريل ويبلّغ نبينا الأعظم بالأمر الإلهي ويقول **"يا محمد إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة ابنتك من علي"**[٣]، وهكذا تزوجت الزهراء (ع) بأمر الهي لتنتقل من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والوصاية، والخلافة والولاية، ذلك البيت البسيط المتواضع في الظاهر، والعظيم عند الله ورسوله في الباطن.

هكذا شاءت حكمة الباري وجلّت قدرته لينشطر النور الإلهي إلى قسمين، نور أُودِعَ في صلب عبد الله، والنور الثاني أُودعَ في صلب عبد مناف «أبي طالب»، لينبثق من النور الأول سيد الكائنات، وأشرف المخلوقات محمد بن عبد الله المصطفى (ص) لينتقل ويستقر ويُكوِّن تلك النسمة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) وينبثق النور الثاني ويستقر في مولى الموحدين علي بن أبي طالب (ع)، ليلتقيا ثانيةً ويتّحدا في عليّ وفاطمة (عليهما السلام) وهنا يكمن السرّ، وتنزل الآية المباركة ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١

---

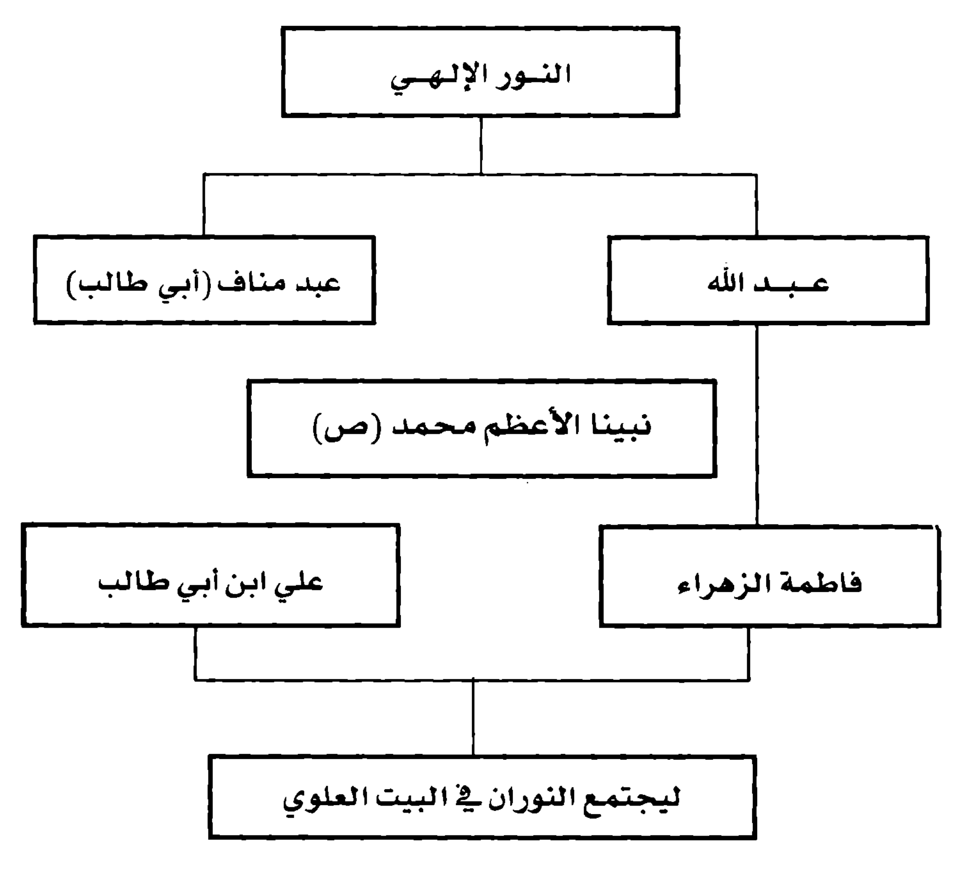
(١) المصدر نفسه، ص٧٨.

(٢) ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ)، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م)، ج٢، ص٢٠٠.

(٣) وللمزيد من المعلومات عن تزويج فاطمة لعلي (عليهما السلام)، ينظر: ذخائر العقبى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، المصدر سابق، ج١، ص١٤٥.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾(١)، وهذا ما أكده رسول الله (ص) إلى علي (ع) قال" **يا علي خلقني الله وخلقك من نوره، فلما خلق آدم (ع) أودع ذلك النور في صلبه، فلم نزل أنا وأنت شيء واحد، ثم افترقنا في صلب عبد المطلب، ففي النبوة والرسالة، وفيك الوصية والإمامة**"(٢)، وهنالك الكثير من الروايات أثبتت بان الملائكة احتفلت بذلك الزواج في السماء، وان زواجهما في السماء كان قبل زواجهما في الأرض.

إنّ المتأمل لمفردات زواج الزهراء (ع) يلمس فيه أعلى معاني الكمال الإنساني، فالله سبحانه وتعالى هو الذي اختار الكفء للزهراء (ع) وفق موازين الحكمة الإلهية، فكان علياً(ع) دون غيره، وهذا ما أكده الحديث النبوي الشريف" **لو لم يُخلَق علي ما كان لفاطمة كفؤ**"(٣) وكما موضح في المخطط الآتي:



---

(١) سورة الرحمن، آية: ١٩ - ٢٢.

(٢) سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ)، ينابيع المودة، ط٢، (قم: أمير، ١٤٧١ هـ)، ج١، ص٣٠٥.

(٣) مصدر سابق، ص٣٠٥.

عصمة الزهراء (ع)

العِصْمة لغةً أو في كلام العرب المَنْعُ، وعِصْمةُ الله عَبْدَه أن يَعْصِمَه مما يُوبِقُه، عَصَمَه يَعْصِمُه عَصْماً أي منَعَه ووَقَاه[1]، والمعصوم هو الممتنع عن جميع محارم الله، وفي الاصطلاح تطلق على من لا يخطئ ولا يسهو ولا يذنب، وعرف الشيخ المفيد العصمة في الاصطلاح الشرعي بأنها: لطف الهي بالمكلف يمنع وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما[2]، وهذه الصفات كلها تنطبق على الزهراء هي ليست بكثيرة عليها وهي بضعة الرسول الأكرم، والله جل وعلا يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، وهنالك ثمّة أدلة أخرى على عصمتها:

الدليل الأول

قوله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3]، وهي آية التطهير أو ما أطلق عليه العلماء والمحدثون اسم (حديث الكساء)، ورد في أحاديث كثيرة وروي بطرق عدة من قبل العامّة والخاصة حتى جاوز حدّ التواتر، وبلغ من الشهرة والثبوت بحيث لم يُبْقِ سبيلاً أمام أي عالم، أو باحث، أو محقق منصف إلاّ وقال أنها نزلت في أهل البيت (ع) والذين هم النبي (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وهذا يعني إن الله سبحانه وتعالى أراد إذهاب الرجس والتطهير عن أهل البيت حصراً وفق منظور الآية الكريمة.

الدليل الثاني

قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[4]، وقد نزلت آية المباهلة هذه في واقعة من أشهر الوقائع والحوادث التي مرت على المسلمين في حياة الرسول الأعظم، وتعد هذه الآية واحدة من أكثر الآيات التي اتفق عليها اغلب المفسرين والمحدثين في تفاسيرهم، وصحاحهم، وأسانيدهم بعد أنّ اتفقت كلمتهم على نزولها في أهل البيت إلاّ من شذّ وندر، ولا أجد حاجة إلى ذكر مصادرها، وقد أجمع المفسرون على أنّ المراد من (نِسَاءَنَا) هي فاطمة الزهراء (ع)، لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء، وهذا يدل على تفضيلها على جميع النساء، وتعضيداً لكلام رسول الله عندما أقبل إليه الأسقف قائلاً: بمن تباهلنا يا أبا القاسم؟ قال "بخير

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، المصدر سابق، ج١٢، باب عصم، ص٤٠٢.

(٢) محمد بن محمد النعمان المفيد (ت٤١٣هـ)، النكت الاعتقادية، ط٢، (بغداد: المطبعة العصرية، ١٣٤٣هـ)، ص٤٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦١.

أهل الأرض وأكرمهم على الله عز وجل"[1]، وأشار إلى أهل بيته، وفضلاً عما تقدم فهنالك آية القربى وسورة الدهر والكثير من الآيات كلها توضح وتؤكد بمعانيها، وسبب نزولها في عصمة الزهراء (ع)، وعلو مكانتها.

إن الدلالات الأنفة الذكر لم تكن لتجتمع في امرأة قط غير الزهراء(ع)، إذ لم تكن بين أهل الكساء امرأة قط غير الزهراء (ع)، ولم يطهّر الله امرأة من نساء العالمين من الرجس غير الزهراء (ع)، ولم يخرج النبي (ص) بمسلمة إلى مباهلة وفد نصارى نجران غير الزهراء (ع)، ولم تكنى بنت نبي بأُمّ أبيها غير الزهراء (ع)، ولم يكن لامرأة اجتمعت فيها هذه الخصال من كفء غير يعسوب المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، هكذا حكمت السماء، وما بقي لنا إلا أن نحتكم إلى الآية المباركة ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2]، فإذا كان الله تعالى يتقبل مريم بقبول حسن وينبتها نباتا حسن وهي سيدة نساء زمانها وعالمها، فكيف بمن اختارها الله وحباها بعناية خاصة لتكون سيدة نساء العالمين؟

المبحث الثاني: مصحف الزهراء (ع): أصله، حقيقته ورد الافتراءات عليه

الحديث عن مصحف فاطمة أمر واضح ومحسوم عند أتباع مذهب أهل البيت، ولكن هناك بعض التساؤلات والإشكالات عند المذاهب الإسلامية الأخرى، عن أصل المصحف وحقيقته الذي كثيراً ما أثار جدلاً محتدماً بين مذاهب المسلمين ولا زال سبباً لخلاف طويل ومعقد، وإن هذا الاختلاف والجدل فيه يتمحور:

أولاً: إن مصحف فاطمة هو قران الشيعة؟

ثانياً: إن نزول الوحي أو الملك (جبرائيل) على فاطمة بعد وفاة رسول الله هو نوع من ادعاء النبوة بحق فاطمة؟

ثالثاً: هناك تضارب في روايات مدرسة أهل البيت (ع) حول ما اشتمل عليه مصحف فاطمة ما بين إخبارات مستقبلية بما هو كائن ويكون إلى قيام الساعة؟ أو أحكام فقهية حتى ارش الخدش؟ أو مشتمل على وصية فاطمة (ع)؟

إن مناقشة الاعتراضات أعلاه سيتم من خلال الروايات التي بلغت أكثر من ثمانية عشر رواية[3]، سنكتفي بعرض بعضها:

---

(١) محمد باقر المجلسي (ت١١١٠)، بحار الأنوار، المصدر السابق، ج٢١، ص٣٢١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٧.

(٣) انتصار عدنان عبد الواحد العواد، السيدة فاطمة الزهراء دراسة تاريخية، (بيروت: مؤسسة البديل، ٢٠٠٩م)، ص٦٢٩.

الرواية الأولى: عن الإمام الصادق(ع): "... وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما «مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرانكم هذا ثلث مرات والله ما فيه من قرانكم حرف واحد إنما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها"[١].

الرواية الثانية: عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: "تظهر الزنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأني نظرت في مصحف فاطمة (ع): قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟ فقال إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه (ص) دخل على فاطمة من وفاته من الحزن مالا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل إليها ملكا يسلي عنها غمها ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: لها: إذا أحست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا، قال: ثم قال: أما إنه ليس من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون"[٢].

الرواية الثالثة: عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله (ع) قال: "إن فاطمة (ع) مكثت بعد رسول الله (ص) خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرائيل(ع) يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي (ع) يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة (ع)"[٣].

الرواية الرابعة: عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) قال: للإمام علامات: "يكون عنده مصحف فاطمة (ع)"[٤].

وقبل دراسة واستعراض هذه التساؤلات والإشكالات والتي سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه المرويات، وقبل الرد على النقطة الأولى التي تتهم الشيعة بان مصحف فاطمة هو قران الشيعة، لابد من تعريف المصحف، فالمصحف لغة: الجامع للصُّحُف سُميَّ المُصْحَفُ مُصْحفاً لأنه أُصْحِف أي جعل جامعاً للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفَّتَيْن[٥]، وفي تفسير الدفتين، الدفة: الجنب من كل شيء وصفحته، ومنه دفتا المصحف: جانباه وضماماته من جانبيه أي ما تضم به شيئاً إلى شيء[٦]، يقال حفظ مابين الدفتين أي حفظ الكتاب من الجلد إلى الجلد، فالمصحف هو اسم لكل كتاب مجلد، سواء قرانا كان آم غير قرآن. وعندما نبحث في أسماء القرآن الكريم في كتاب الله المجيد نجد إن هناك أكثر من (٥٥) اسماً للقران مثل: قرأنا وكتاباً وفرقاناً وبياناً

---

(١) محمد بن حسن الصفار، بصائر الدرجات في مناقب آل محمد، ط٢، (قم: طليعة النور، ١٤٢٩هـ)، ج١، ص٢١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٥.

(٣) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، (قم: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ)، ج١، ص٢٤١.

(٤) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا، (قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٢٦هـ)، ج١، ص١٩٢.

(٥) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، باب صحف، ٩ج، ص١٨٦.

(٦) المصدر نفسه، باب دفف، ص١٠٤.

وتذكرةً وبشيراً.. الخ[1]، فلا يوجد بضمنها اسم مصحف وبناء على هذا فان المصحف ليس اسما مختصا بالقران الكريم، وهذا ما جاء في الروايات إن فاطمة ابنة رسول الله (ص) كان لها كتاب اسمه **المصحف** فيه أخبار بالمغيبات[2]، وعندما نبحث في تاريخ هذه التسمية (المصحف) نجد إنها جاءت بعد رحيل رسول الله(ص) إلى الرفيق الأعلى أي في زمن أبي بكر الصديق عندما أمر بجمع القرآن في مصحف واحد، ولكن اشتهر إن عثمان هو أول من جمع المصاحف **"فَأَرْسَلَ إلى حَفْصَةَ أَنْ أرسلي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إلى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِى الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِى شَىْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِى الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إلى حَفْصَةَ"**[3]، فالتسمية إذن في زمن الخلفاء، وهذا دليل آخر على إن مصحف فاطمة أصله كتاب، وان من يدعي بأنه قران فهو واهم، وهذا ما يردّ الإشكال الأول من إن المصحف هو كتاب وليس قرآن، وينطبق مع مضمون الرواية الأولى عن الإمام الصادق (ع): **والله ما فيه من قرانكم حرف واحد.**

أما بالنسبة للإشكال الثاني فلا نرى أية مغالاة أو ادعاء للنبوة بحق فاطمة(ع) (للأسباب التالية):

أولاً: إنها كانت محدثة والمُحَدَّث: من تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، وأكيد هو نوع خاص من البشر، خصهم الله تعالى من دون خلقه لعظيم الصلة بين الله تعالى وبينهم، كونهم من الألطاف الربانية في الأرض، وهذه كرامة يخص الله بها من شاء من صالح عباده، والزهراء(ع) حظيت بهذه المنزلة المباركة وهذا ما أثبتناه في المبحث الأول.

ثانياً: إن أحد ألقابها (ع) "محدّثة"، لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء، وتحدثها كما فعلت مع نساء قبلها وهذا ما تؤيده الرواية الآتية عن الإمام الصادق (ع) بقوله: **"إنّما سميت فاطمة(ع) محدّثة، لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين. يا فاطمة، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها. فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله عزّ وجلّ جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها، وسيدة نساء الأولين والآخرين"**[4].

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن أسماء القرآن، ينظر: بدر الدين محمد عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشي، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٠م)، ج١، ص٢٧٠.

(٢) مرتضى العسكري (ت٢٠٠٧هـ)، المصطلحات الإسلامية، (د. م: كلية أصول الدين، ١٩٩٨م)، ص٩٦.

(٣) بدر الدين محمد عبد الله الزركشي(ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج١، ص٣٣٠.

(٤) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (٣٨١هـ)، علل الشرائع، المصدر سابق، ص١٨٢.

ثالثاً: إن مسألة نزول الوحي وتحدّث الملائكة مع البشر ليس امرأ غريباً ولا مرفوضاً كما يدعيه البعض، كما انه لم يكن مختصا بالأنبياء بدليل إن القرآن الكريم صرح بذلك في عدة مواضع منها:

تحدثت الملائكة مع سارة زوجة نبي الله إبراهيم كما تذكره الآية القرآنية وسارة لم تكن نبي ما نصه ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

وخاطبت الملائكة مريم بنت عمران وهي الأخرى لم تكن نبي بالقول ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[2]، وفي المعنى ذاته خاطبت الملائكة أم نبي الله موسى (ع) بقوله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3]، وأن أم موسى لم تكن نبي، الم يكن هذا دليل قطعي إن الملائكة تحدثت مع نساء لم يكونوا أنبياء فالله سبحانه وتعالى قادر على إرسال الوحي، مع من يشاء، وحيث شاء، وأنى شاء، فالوحي لا يقتصر على الأنبياء بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾[4].

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾[5].

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[6].

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[7].

فليس السماوات ولا الحواريين ولا الملائكة ولا النحل (الحشرات التى لا تعقل) أعظم وأفضل من الزهراء سيّدة نساء العالمين الأوّليين والآخرين.

وبعد استعراض هذه الأدلة يبرز أمام الباحث المنصف السؤال الآتي: لماذا يستكثرون على الزهراء (ع) أن يوحى لها ويعتبرون ذلك هو ادعاء للنبوة، في حين يكون لزاماً علينا أن نصدق نزول الوحي على محبيهم؟![8].

---

(١) سورة هود، آية: ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) سورة القصص، آية: ٧.

(٤) سورة فصلت، آية: ١٢.

(٥) سورة المائدة، آية: ١١١.

(٦) سورة الأنفال، آية: ١٢.

(٧) سورة النحل، آية: ٦٨.

(٨) مما يدل على ما ذهبنا إليه الحديث الذي روته عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ص) "**إِنَّهُ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**" وهذا الحديث مروي في معظم الصحاح والسنن وأسانيد أهل السنة ينظر: محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق علي حسين البواب، ط٢، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٢م)، ج٤، ص١٥٨.

أما بالنسبة للإشكال الثالث فلا يوجد أي تضارب في الروايات، فقد أجمعت العديد من المصادر على إن المصحف عبارة عن أخبار بالمغيبات بما كان وما يكون حتى قيام الساعة وهذه بعض منها:

- سمعت أبا عبد الله (ع) يقول**"إن عندي لصحيفة فيها أسماء الملوك، ما لولد الحسن فيها شيء"**[1].
- قال الإمام الصادق (ع)**"وأما مصحف فاطمة (ع) ففيه ما يكون من حادث، وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة"**[2].

وفي الرواية الثانية يشار إلى تاريخ ظهور الزندقة سنة ١٢٨هـ، كما في نفس الرواية إثبات آخر **قال: أما إنه ليس من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون**"هذه الأدلة تثبت بأن المصحف هو أخبار بما كان وما يكون، وتقودنا إلى استبعاد احتوائه على أحكاماً فقهية أو على وصيتها.

وبعد أن انتهينا من بيان أصل المصحف، وإثبات حقيقته، ودحض الافتراءات عليه من خلال الأحاديث والروايات، لابد من الإشارة إلى إن الروايات أكدت بأن المصحف توارثه أئمة أهل البيت(ع) وأنه يعد من علامات كل إمام معصوم، ومن تلك العلامات[3].

- أبا عبد الله (ع) **يقول "ما مات أبو جعفر الباقر (ع) حتى قبض مصحف فاطمة (ع)"**.
- عن الإمام موسى بن جعفر(ع) قال **"عندي مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن"**.

الخاتمة

بعد انجاز هذه الدراسة المتواضعة في رحاب السيرة العطرة للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء(ع)، والتي خرجت بعدة نتائج كان أهمها:

١ - ولم تنل فاطمة (ع) مرتبة السيادة السامية كونها بنت الرسول (ص) وأمها خديجة الكبرى سيدة نساء العالمين وحسب ولكن الله تعالى اختارها وفضّلها على نساء العالمين. فقد حظيت (ع) بمناقب فذّة ومزايا عجيبة ومكانة سامية عند الله ورسوله وملائكته وكتبه المقدسة، فخلقها الله من نوره قبل أن يخلق الأرض والسماء، ثم انعقاد نطفتها من ثمار الجنة، وولادتها على يد نساء أهل الجنة، فكان زواجها بأمر الله تعالى، لهذا فهي لم تكن مخلوقاً اعتيادياً كباقي البشر.

٢ - كان لها في كتاب الله نصيب كبير:

- إذ لم تكن بين أهل الكساء امرأة قط غيرها.
- ولم يطهّر الله امرأة من نساء العالمين من الرجس غيرها.

---

(١) محمد باقر المجلسي (ت١١٠هـ)، بحار الأنوار، المصدر السابق، ج٢٦، ص١٥٦.

(٢) محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ط٢، (قم: دار الانتصار، ٢٠٠٦م)، ص٦٠.

(٣) محمد باقر المجلسي (ت١١٠هـ)، بحار الأنوار، ج٢٦، المصدر السابق، ص٤٧.

- ولم يخرج النبي (ص) بمسلمة إلى المباهلة بغيرها، فتفرّدت بنيل ذلك الشرف من دون نساء الأمة.

٣ - بعد دراسة الروايات المتناولة لمصحف فاطمة دراسة معمقة وقد تبين أنه:

- إن الزهراء(ع) محدثة، وأصل مصحفها هو كتاب عن أخبار المغيبات بما كان وما يكون حتى قيام الساعة وليس قران كما يدعى البعض، محاولين الإساءة لها من جهة والدس والتشويه من جهة أخرى.
- يعد المصحف من علامات كل إمام معصوم.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

١ - ابن الجوزي، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكار، ج٢، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م).

٢ - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، باب زهر، ج٤، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م).

٣ - الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق علي حسين البواب، ط٢، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٢م)، ج٤.

٤ - الزركشي، بدر الدين محمد عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشي، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٠م).

٥ - السيوطي، جلال الدين (٨٤٩هـ - ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: مركز هجر للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣م).

٦ - الصدوق القمي، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (٣٨١ هـ)، الخصال، النجف الأشرف: منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٧١م.

٧ - ـــــ، علل الشرائع، ط٢، (نجف: المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦هـ).

٨ - ـــــ، عيون أخبار الرضا، (قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٢٦هـ)، ج١.

٩ - الصفار، محمد بن حسن، بصائر الدرجات في مناقب آل محمد، ط٣، (قم: طليعة النور، ١٤٢٩هـ)، ج١.

١٠ - الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ).

١١ - الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله (٦١٥-٦٩٤هـ). ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى. تحقيق سامي الغريري الغراوي، (قم: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٧م).

١٢ - العسكري، مرتضى المصطلحات الإسلامية، (د. م: كلية أصول الدين، ١٩٩٨م).

١٣ - انتصار عدنان عبد الواحد العواد، السيدة فاطمة الزهراء دراسة تاريخية، (بيروت: مؤسسة البديل، ٢٠٠٩م).

١٤ - القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ط٢، (قم: دار الانتصار، ٢٠٠٦م).

١٥ - القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة، ط٢، (قم: أمير، ١٤٧١ هـ).

١٦ - الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، (قم: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ)، ج١.

١٧ - المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط٢، المصححة، (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م).

١٨ - المفيد، محمد بن محمد النعمان (٤١٣هـ)، النكت الاعتقادية، ط٢، (بغداد: المطبعة العصرية، ١٣٤٣هـ). ❖

مصحف السيدة فاطمة الزهراء (ع)
(دراسة تحليلية)

م. د. حيدر لفته مال الله
م. د. نبيل جواد الخاقاني(*)

إن تلقي السيدة الزهراء (ع) للعلم منذ طفولتها عن أبيها رسول الله (ص) واطلاعها على نزول الآيات القرآنية وأسبابها، ومعرفتها بتفسير الآيات وتأويلها واطلاعها على السنة النبوية ومعرفتها بالعقائد والأحكام الإسلامية الصحيحة، وما تسنى لها الاطلاع عليها من أمور غيبية مستقبلية مجاورتها لأبيها (ص) حتى بعد زواجها (ع) فضلاً عما امتازت به بكونها محدّثة (تحدثها الملائكة)[١] أن جعلها رائدة في مجال الفكر والعلوم الإسلامية واللدنية، فكان بيتها المدرسة الأولى في المدينة لتعليم النساء اللاتي يقصدنها معالم الدين والعبادة والأمور الخاصة بالشريعة، بل إنها كانت تجيب عن بعض المسائل التي كان يعجز بعض الصحابة عن الإجابة عليها[٢].

لقد عبّرت السيدة فاطمة الزهراء (ع) عن رؤاها الفكرية تارةً بصورة عملية خلال لقاءاتها مع نساء المدينة كما أسلفنا وبعضها من خلال خطبها[٣]، وأخرى من خلال مدّوناتها التي اصطلح عليها بـ (اللوح)[٤]، والكريسة[٥]، والمصحف موضوع بحثنا.

ولعل الذي دفعنا للخوض في الأخير هو الرغبة الجادة في توضيح معنى المصحف، ومصدريته وفحواه، وكشف النقاب عن الملابسات التي أحاطت بهذا الموضوع لدى من تصدى للكتابة عنه سيّما من العلماء والباحثين، والخروج بدراسة موضوعية تحليلية.

لقد حاء البحث بمقدمة وأربعة نقاط وخاتمة، درست الأولى معنى المصحف، فيما تصدت الثانية لمصدريته، وعالجت الثالثة مسألة تدوينه فيما اهتمت الرابعة بحقيقة محتواه عارضة لأهم الروايات الواردة بهذا الشأن واختتمنا البحث بأهم النتائج التي توصلنا إليها.

أولاً: معنى المصحف:

المصحف لغة يعني الكتاب الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين[٦] وقيل هو ما جمع بين دفتي المشدود[٧]، وعليه فالمصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن الكريم بل هو الكتاب

(*) تدريسي في كلية الآداب تدريسي في كلية الفقه.

الذي يحتوي على صحائف مرتبة، إلا أن كثرة استعماله للقرآن واقتران الكلمة بالقران لاسيما من الصدر الأول في الإسلام أوجبت انصراف الأذهان إليه[٨].

ولدى الحديث عن المعنى المحدد لمصحف السيدة فاطمة الزهراء (ع) فإننا نلحظ اختلافاً في الرؤى حوله فتارةً يعبر عنه بأن كلام الله (عز وجل) أملاه عن طريق رسوله على السيدة فاطمة الزهراء (ع) بعد وفاة أبيها (ص)[٩]، وتارة يوصف بأنه كتاب يشتمل على علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وهو ليس بقرآن ولا بتفسير له[١٠]، وأخرى يعّبر عنه بأن يعِدل القرآن ثلاث مرات وأنه بإملاء رسول الله (ص) وخط علي (ع)[١١] فيما أوضح السيد الحكيم عند تعريفه للمصحف "بأنه الكتاب الذي جمعت فيه العلوم التي تلقتها السيدة فاطمة الزهراء (ع) عن رسول الله (ص)"[١٢]، والواقع أن هناك تداخلاً بين هذه المفاهيم تحتاج إلى توضيح سيتم التطرق إليها بين طيات البحث.

ثانياً: مصدريته:

لقد أظهرت الروايات عن الإمام الصادق (ع) بأن مصف السيدة فاطمة الزهراء (ع) تم تنزيله عليها بعد وفاة والدها رسول الله (ص) (ذلك إن الله تبارك وتعالى لما قبض (ص) دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعمله إلا الله (عز وجل)، فأرسل إليها ملكاً يسّلي عنها غمها ويحدّثها...)[١٣]، وفي خبر آخر إن هذا المَلكَ هو جبرائيل (ع) وكان يأتيها بعد فقد أبيها (فيحَسن عَزائُها... ويطّيب نفسها، ويخبرها عن أبيها، ومكانه، و...بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي (ع) يكتب ذلك)[١٤].

من هذا نفهم إن وقت تنزيل المصحف كان بعد وفاة رسول الله (ص)، وكانت الغاية من إلقائه على السيدة الزهراء (ع) هو لمواساتها، وتخفيف وطأة فقد أبيها عليها بل كانت بمثابة الإكرام لها بإنبائها بأخبار ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة[١٥]، وهي مكانة سامية لا يبلغها إلا المقربين من الله تعالى.

غير أن هنالك رواية مفادها إن السيدة الزهراء (ع) (خلفّت مصحفاً ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله (عز وجل) انزل عليها إملاء رسول الله (ص) وخط علي (ع))[١٦]، وأكد هذه الرواية الإمام الصادق (ع) بأخرى قائلاً (وعندنا مصحف فاطمة، إما والله ما فيه من القرآن، ولكنة إملاء الرسول (ص)، وخط علي (ع))[١٧].

وإمام هذه الروايات تثار لدينا عدة تساؤلات؟...

١ - هل يمكن القول بان الكلام الذي أوحاه الله تعالى إلى السيدة الزهراء (ع) قرآناً؟

٢ - أليس نزول الوحي كان مختصاً بالأنبياء فكيف إذاً ينزل على السيدة الزهراء (ع)؟

٣ - هناك روايات تُشير إلى أن مصدر مصحف الزهراء (ع) هو رسول الله محمد (ص)؟

عند الإجابة على الطروحات المتقدمة يجدر بنا أن نناقش كل تساؤل على حده. فأما بالنسبة للأول فيصح أن يكون الكلام الموجّه من الباري (عز وجل) عن طريق أحد ملائكتِه أو جبرائيل (ع) كلاماً مقدساً كالأحاديث القدسية فهي أيضاً من كلام الله تعالى (عز وجل) لكنه لا يمكن إن يكون قراناً لان الله تعالى قد ختم النبوة برسوله محمد (ص) وختم الكتب المُنزلة على أنبيائه بالقران الكريم[١٨].

أما كون الذي نزل مَلكَ أو جبرائيل (ع) فلا ضير في ذلك لان نزول الوحي أو تحدّث الملائكة لم يكن مختصاً بالأنبياء فقط بل أن هنالك أدله من القرآن والسُنة تؤكد نزولهم على آخرين من عباد الله لا سيّما من النساء، ويتضح ذلك عند ذكره تعالى لقصة السيدة مريم (ع) بقولة تعالى:

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[١٩].

ونلحظ ذلك في قضية أم نبي الله موسى (ع) بقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[٢٠]، وايضاً في قصة زوجة نبي الله إبراهيم (ع) إذ تحدثت مع الملائكة بدلالة قوله تعالى ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾[٢١].

والمعلوم أن البضعة الطاهرة هي أفضل منهن فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين[٢٢]، فما المانع أن تختص بهذه الكرامة[٢٣].

أما في السُنّة النبوية، فأننا لا نجد ما يخالف هذا المعنى خاصة، وإن السيدة الزهراء (ع) كانت محدثة. والمحدّث هو من تكلّمه الملائكة بلا نبوة، ولا رؤية أو صورة، أو يلهم له ويُلقى في روعه من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى أو أنيطت في قلبه حقائق تخفى على غيره[٢٤] وهذه كرامة حُضيتَ بها السيدة الزهراء (ع) فكانت الملائكة تهبط عليها من السماء فتحدّثها، حتى ورد عن الإمام الصادق (ع) (إنما سُمّيت فاطمة (ع) محدّثة لأن الملائكة كانت تَهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنُت عمران فتقول: يا فاطمة: ان الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك، واسجدي، واركعي مع الراكعين...)[٢٥].

أما الإشكال الثالث المتعلق بان مصدرية مصحفها هو رسول الله (ص) فهو رأي مردود، ولعل الذي يدفعنا إلى ذلك:

١- لقد صّرحت بعض الروايات المتقدمة أن زمن تدوين المصحف إنما كان بعد رحيل النبي (ص) وكان تنزيله عليها لتسليتِها بفقد أبيها فكيف يكون من إملائه (ص) وقد فارق الحياة.

٢ - إن النبي (ص) كان قد خص ابنته (ع) في حياته ببعض العلوم والإملاءات التي دونتها عنه أثناء معاصرتها له (ص) وقد أثر عن السيدة فاطمة (ع) إملاءها عن أبيها (اللوح) والكريسة والحريرة[٢٦] إلا أن هذه المدونات لا علاقة لها بالمصحف الذي خصت به السيدة الزهراء (ع) بعد وفاته (ص).

٣ - إن لفظ الرسول (ص) في المرويات أعلاه جاء بمعنى الوحي أو المَلَك، وقد مرت في مواضع عديدة في القرآن الكريم أمثلة على ذلك منها قوله تعالى على لسان جبرائيل ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[٢٧]، وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ... ﴾[٢٨]، وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا ... ﴾[٢٩].

٤ - أما ورود لفظة (ص) مع كلمة رسول الله فقد يكون خطأ ارتكبه الناسخ في أثناء نسخ الرواية.

ثالثاً: تدوينه:

وفيما يتعلق بشخصية مدونه فأن، هناك ثلاث مرويات حول ذلك:

الأولى: وتؤكد أن كاتبه هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع).

الثانية: وتذهب انه انزل مدوناً من السماء كاملاً وقد اهدي إليها (ع).

الثالثة: وتفيد بأن السيدة فاطمة الزهراء (ع) هي من قامت بتأليفه وكتابته.

وعند الرجوع إلى المرويات الخاصة بهذا الأمر فأنها تتفق مع الأثر الأول، إذ ورد عن الإمام جعفر الصادق (ع) عدة روايات بهذا الشأن – كلها – تجزم بأن مدون المصحف هو الإمام علي (ع) منها (إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه (ص) دخل على فاطمة من وفاته الحزن... فأرسل إليه ملكاً يسلي عنها غمها ويحدّثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (ع) فقال لها اذا أحسست بذلك، وسمعتِ الصوت فقل اي فأعلمته فجعل يكتب ما سمع حتى اثبت من ذلك مصحفاً)[٣٠]، وقوله (ع): (وكان جبرائيل يأتيها فيحسن عزائها على أبيها... ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة)[٣١]، وقوله (ع): (وخلفّت فاطمة مصحفاً...أنزل عليها إملاء رسول الله وخط علي)[٣٢].

وعنه أيضاً (ع)، (وعندنا مصحف فاطمة، إما والله ما فيه من القرآن، ولكنه إملاء رسول الله وخط علي)[٣٣].

فهذه الروايات تؤكد بما لا يقبل الشك إن مدون المصحف هو الإمام علي (ع).

أما الرواية التي تذهب انه نزل مكتوباً وكاملاً فأنه لا منافاة بين كتابة أمير المؤمنين (ع) لما كان جبرائيل يمليه على السيدة الزهراء (ع) وبين نزول المصحف من السماء إليها،

إذ لعله كان مكمّلاً لما كتبه أمير المؤمنين (ع)، وربما كان مطابقاً لما كتبه (ع) انزله الله (عز وجل) عليها بيد ملائكته[٣٤] إتحافاً وإكراماً لتقرأه بصورة مجموعة[٣٥]، وربما إن نزول جبرائيل (ع) منجّماً على السيدة الزهراء (ع) طوال خمسة وسبعين يوما على وفاة أبيها، يكون قد أتى ومعه – في إحدى المرات – المصحف مكتوباً بعد الانتهاء من الأخبار به مشافهة[٣٦] سيمّا، وإنها كانت غير قادرة على تدوينه بنفسها لذا وردت لفظة الشكاية في أحد النصوص ربما لعدم قدرتها على الإحاطة بما يذكره المَلك من معلومات لعظم مصابها بابيها (ص) وحرصها على تدوين كل ما يُلقى عليها لذا نُجدها استعانت بالأمام (ع)، وربما قد فاتها منه شيء لذا نجد ربما ما دوّنه الإمام علي (ع) كان ناقصاً بلحاظ انه (ع) قد عرض عليها أن تخبره بمجيء المَلك أو جبرائيل (ع) لكي يحضر ويدون كلام الله تعالى، لذا كان إنزالُه مكتوباً لتعويض ما فقد منه إكراماً للسيدة الزهراء (ع) أما أمر الشكاية فهو أمر مستبعد من الزهراء (ع) خاصة وإنها كانت تحدث من الملائكة ولا تستغرب من ذلك ولعل في اللفظة إقحام من النساخ.

أما القول بأن السيدة الزهراء (ع) هي من كتبت المصحف وقضية التلازم بين تدوين المصحف ونسبته إليها، فلا يعد شرطاً أن تكون هي من دونته حتى وإن سلمنا بأنها أول مؤلفة من نساء الإسلام بلحاظ الموروثات الفكرية التي بقيت عند أولادها (ع)[٣٧] فالباري (عز وجل) قد نسَب إلى نفس النبي المرسل بأن الصحف تعود إليه بملاحظة أنه من عِنده (عز وجل) وكلامه بدلالة قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[٣٨]، وهذا الأمر ينطبق على عصرنا الراهن فأن محاضرات المتحدث وخطاباته قد يقوم شخص آخر بتدوينها لكنها تنسب إلى المحاضر أو الخطيب مع أنه ليس مدونها الأصلي، وهذا ما صّرح به الإمام الصادق (ع) بقوله (وعندنا مصحف فاطمة)[٣٩] فالمصحف ينُسب إلى السيدة الزهراء (ع)، وتأليفها، لكنه في الواقع من تدوين الإمام علي (ص) بدلالة الأدلة المتقدمة.

رابعاً: محتواه:

لقد اختلفت الروايات حول محتويات مصحف فاطمة (ع) وقبل التطرق إليها لابد من عرض النصوص الخاصة بذلك:

١- عن الإمام الصادق (ع) (ان فاطمة مكثت بعد رسول الله (ص) خمسة وسبعين يوماً، وكان يداخلها حزن شديد على أبيها (ص)، وكان جبرائيل (ع) يأتيها فيحسن عزائها... ويخبرها عن أبيها، ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي (ع) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة)[٤٠].

٢- عن أمير المؤمنين (ع) قال: (... ولقد أعطيت زوجتي مصحفاً فيه من العلم ما لم يسبقها إليه أحد خاصة من الله ورسوله)[٤١].

٣- عن الصادق (ع) إنه قال: (مصحف فاطمة (ع) ما فيه شيء من كتاب الله، هو شيء القي اليها بعد موت أبيها)[٤٢].

٤- عنه (ع) قال: (تظهر الزنادقة[٤٣]، في سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأني نظرت في مصحف فاطمة (ع)... أما والله انه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون)[٤٤].

٥- وفي معرض احتجاج الإمام الصادق (ص) على بني عمه أبناء الحسن المثنى[٤٥] قال (إن في الجفر[٤٦] الذي يذكرونه ما يسوءهم... وليخرجوا مصحفاً فيه وصية فاطمة (ع) وسلاح رسول الله (ص)...)[٤٧].

٦- عن الإمام الصادق (ص) (وعندنا مصحف فاطمة (ع)، وما يدريهم ما مصحف فاطمة!...قال – محدثاً أحد أصحابه – فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاه الله (عز وجل)...)[٤٨].

٧- في معرض إجابته (ع) لأحد أصحابه مستفهماً عن مصحف فاطمة (ع) (الذي أملى جبرائيل على علي (ع) أ قرآن (هو)؟ قال: لا)[٤٩].

٨- عن أبي عبدالله الصادق (ع) مخاطباً أحد أصحابه قائلاً (يا وليد[٥٠] إني نظرت في مصحف فاطمة (ع) قبيل، فلم أجد لبني فلان فيها إلا كفبار النعل)[٥١].

٩- عنه (ع) انه قال: (كنت انظر في كتاب فاطمة (ع)، وليس مَلك يملك إلا وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه فما وجدت لولد الحسن (ص) فيه شيئاً)[٥٢].

١٠- عنه (ع) قال: (وأما مصحف فاطمة صلوات الله عليها ففيه ما يكون من حادث أو أسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة)[٥٣].

١١- عنه (ع) أنه قال: (إن عندي الجفر الأبيض... وفيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم... ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة وربع الجلدة وارش الخدش)[٥٤].

١٢ - عنه (ع) (أنه سُئل عن تأويل قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾[٥٥] إنه بولاية علي ليس له دافع [وأضاف] هكذا هي في مصحف فاطمة)[٥٦].

١٣ - ورد أن الإمام الصادق (ع) أجاب أهل المدينة حول خمس زكاة المائتين كيف صارت وزن سبعة [دراهم] ولم يكن الأمر كذلك على عهد رسول الله (ص) بأن (رسول الله جعل في كل أربعين أوقية أوقيةً، فإذا حسبت ذلك كل على وزن سبعة، وقد كانت على وزن ستة، وكانت الدراهم خمسة دوانيق)[٥٧].

وعلى ما يبدو أن الإجابة كانت مقنعة للسائلين، ولدى سؤاله (ع) عن مصدرية إفتاءه بذلك، وخاصة من ابن عمه عبد الله بن الحسن المثنى[٥٨] أجاب (قرأتُ لذلك] في كتاب أمكَ فاطمة)[٥٩].

١٤ ـ أما الرواية الأخيرة ففيها تفصيل ملفت حول محتوى مصحف السيدة فاطمة الزهراء (ع) بالاستناد إلى قول الإمام الصادق (ع) (فيه خبرٌ ما كان، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماءُ سماء وعدد ما في سماء من الملائكة وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلاً وغير مرسلاً وأسماؤهم وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أصاب منهم وفيه أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض، وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدو ما فيها من الكافرين وصفة كل من كذب من القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت، ومدة ملكهم وعددهم، وفيه أسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك واحد واحداً، وفيه الأدوار، قال: خمسون ألف عاماً، وهي سبعة، وفيه أسماء جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وآجالهم، وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد)[٦٠].

- وأما الروايات المتقدمة يمكننا توضيح ما يلي على محورين.

أ- ما يحتويه المصحف.

ب ـ ما لا يحتويه المصحف.

أما بالنسبة لـ (أ) فإن ما يحتويه المصحف يندرج كالتالي:

١- الأخبار الغيبية. وقد دلل الإمام أمير المؤمنين (ع) على ذلك بقوله (بأن فيه علم لم يسبقها إليه أحد)[٦١]. وما اخبرها به جبرائيل (ع) بمكان أبيها وما يجري على ولدها وما يكون من حادث وأسماء من يتولى الحكم حتى قيام الساعة[٦٢]. كما أن فيه أخبار غيبية (نادرة) عن السماوات العلا والأرض، وأسماء جميع الخلائق مع تمييز المؤمنين منهم من الكافرين – حتى الذين لم يخلقوا بعد – والأدوار التي تمر بها الخلائق والتي عبر عنها بسبعة، وصفه أهل الجنة والنار وإعداد من يدخل كلا الموضعين من العالمين مع احتوائه على أسرار النزول المتعلقة بالكتب السماوية دون تحريف لاسيما التوراة والإنجيل والزبور والقرآن[٦٣].

٢- احتوائه على مادة تاريخية تتعلق بأخبار الزنادقة وزمن خروجهم المحدد بعام ١٢٨هـ فضلاً عن أخبار الأمم السالفة وقصصهم، وذكر صفة من كذب منهم، والأخبار عمن يملك

من أول الخلق إلى نهايته، وهذا ما دعا الإمام الصادق (ع) إلى التأكيد بعدم تسنّم أبناء الحسن (ع) للحكم بحسب ما جاء في مصحف فاطمة[٦٤]. وربما قصد الإمام (ع) ببني فلان الذين شبّه مدة حكمهم بغبار النعل[٦٥] بأنهم بني أمية كناية عن قصر المدة التي حكموا فيها بالمقارنة مع حكم بني العباس[٦٦].

٣- احتوائه على مادة جغرافية بدلالة قول الإمام الصادق (ع) (وفيه أسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين..وعدد كل شجرة ومدرة – أي مدينة – في جميع البلاد)[٦٧]. وهذا يعني أن في المصحف وصفاً ديموغرافياً وطبوغرافياً للعوالم الأرضية منذ بدء الخليقة وحتى يوم القيامة.

ب ـ ما لا يحتويه المصحف وهو كالآتي:

١- عدم احتوائه على آيات قرآنية بدلالة قول الإمام الصادق (ع) في أكثر من موضع[٦٨] على عدم احتوائه على قرآن.

أما ما قصده الإمام (ع) (بأن فيه مثل قرآنكم ثلاث مرات فلعله قصد حجم المصحف مبيناً بأنه ضعف حجم القرآن ثلاث مرات، أما التأكيد على انه ليس بقرآن في أكثر من مناسبة فلعل التأكيد والتكرار متأتٍ من جدل أُثير في عصره (ع) بأن مصحف فاطمة هو مصحف ثانٍ، فعالج الإمام (ع) هذه الشبهة بنفي كونه قرآناً خصوصاً في معرض رده على أحد أصحابه[٦٩].

أما عما تطرقت إليه الرواية ذات الرقم (١٢) والتي تُشير بوجود سورة المعارج في المصحف فإن وجودها لا يعني أن المصحف قرآناً بقدر ما يتعلق الأمر بأن ما ورد في المصحف تأويل لهذه الآية سيما وان المصحف فيه الروايات الأكيدة حول أسباب نزول القرآن[٧٠].

٢- عدم احتوائه على مسائل الحلال والحرام. والواقع أن الروايات التي تؤيد احتواء المصحف على مسائل الحلال والحرام هما روايتان فقط تحملان الرقم (١٢، ١١) ويمكن رد الأول بما ذهب إليه العلامة المجلسي بقوله (لعل الضمائر تؤكد كلها أو الآخرين – يعني في الرواية رقم ١١ – راجعة إلى الجفر لا المصحف، فلا ينافي الأخبار الدالة على أنه ليس في مصحفها الأحكام)[٧١].

ولعل ما يؤكد قول المجلسي الأدلة التالية:

أ- إن الجفر كما اتفقت دلالات الأخبار هو وعاء يحتوي على مجموعة من الكتب التي يتوارثها الأئمة ومن ضمنها مصحف فاطمة وكتاب الجامعة المنسوب إلى أمير المؤمنين (ع) وعليه فأشار الإمام (ع) (فيه ما يحتاج الناس إلينا...)[٧٢] إنما يقصد به الجفر وليس الجامعة.

ب- إن عبارة (كل شيء يحتاج الناس إليه حتى آرش الخدش)[٧٣] نجدها ملازمة للحديث عن كتاب الجامعة الذي يُنسب لأمير المؤمنين (ع) بدلالة الأحاديث التالية:

- عن أبي بصير[٧٤] قال: (دخلت على أبي عبد الله [الصادق] (ع)... فقال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة... صحيفة طولها سبعون ذراعاً... فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الآرش في الخدش)[٧٥].
- عنه (ع) قال: (تلك ـ أي الجامعة ـ صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية ألا وهي فيها حتى ارش الخدش)[٧٦].

أما ما يتعلق بالمسألة الفقهية (رواية رقم ١٣)، ونسبه الإمام الصادق (ع) الاستعانة بالإجابة من كتاب فاطمة فيحتمل أن يكون المراد بالحكم انه ليس أصالةً، ولا ينافي ذلك استنباط بعض الأحكام إذ ما من خبر إلا ويستفاد منه حكماً في الغالب[٧٧].

كما وان أحد الباحثين طرح بعض الافتراضات لمعالجة هذا الأمر بقوله[٧٨]:

أ- إن الإشارة إلى ما أسماه بـ (كتاب فاطمة) قد لا يعني بالضرورة أن يكون المقصود مصحفها (ع) فربما يكون المقصود كتاب آخر، وقد دللت الأحاديث إن للسيدة الزهراء (ع) الكريسة واللوح وما شابه.

ب ـ يلاحظ أن الإمام الصادق (ع) قد نسب الكلام إلى ام المخاطب وهو عبد الله ابن الحسن (ع) فقال كتاب (أمك فاطمة) ولم يقل كتاب أمك فاطمة الزهراء (ع)، والمعروف أن والدة عبد الله ابن الحسن هي فاطمة بنت الإمام الحسين (ع) ولا يبعد أن يكون لديها كتاباً فيه مسائل الحلال والحرام نقلته عن أبيها أو أخيها خاصة وان الإمام الحسين (ع) قبل استشهاده في كربلاء سنة ٦١ هـ قد أودع كتاب الجامعة المختص بالحلال والحرام عندها[٧٩].

٣- عدم احتوائه على وصية السيدة فاطمة الزهراء (ع) رغم أن الرواية رقم(٥) قد أكدت على ذلك. ويمكن دفع هذه الرواية بالاستناد إلى المعطيات التالية:

أ- انفراد هذه الرواية بذكر احتواء المصحف على وصية السيدة الزهراء (ع).

ب- عدم انسجام وجود الوصية مع المحتويات الاخرى للمصحف ذلك ان فيه علم ما كان وما يكون، وأنه يحتوي على كلام الله تعالى فهل يجوز أن ينزل الله (عز وجل) وصية على شخص ما مع العلم إن الوصية هي من اختصاص الشخص نفسه، وعلى ذلك حث القرآن فكيف يناقض الباري (عز وجل) ما نص عليه في كتابه الحكيم؟

ج- من المحتمل أن يكون الضمير هنا عائداً على الجفر بلحاظ حديث الإمام (ع) إنما كان عن الجفر ومحتوياته والذي أكد أن فيه (سلاح رسول الله والكتب ومصحف فاطمة)[٨٠] إذن الحديث هنا مطلق عن الجفر وليس عن مصحف فاطمة (ع).

د- يلحظ أن الإمام (ع) أشار بقوله (مصحف) ولم يحدد انه مصحف فاطمة وقد يكون قد قصد مصحفاً أو كتاباً آخر يحتوي وصيتها[٨١].

أما ما أورده الحكيم بقوله حول مصحف فاطمة (ع) بأنه (الكتاب الذي جمعت فيه العلوم التي تلقتها [الزهراء (ع)] عن رسول الله (ص)[٨٢]، وما طرحه العالم شرف الدين بأن المصحف (تضمن أمثالاً وحكماً وأخباراً وقضايا توجب العزاء بسيد الأنبياء)[٨٣]. وما إشارة إليه الحسني بأن (الجامعة ومصحف فاطمة والجفر لا تتعدى ما جاء به النبي (ص) من أحكام وتشريعات وإرشادات...)[٨٤] فهي كلها نصوص بعيدة عن الصواب بلحاظ ما أثبتنا في بحثنا حول محتويات مصحف السيدة الزهراء (ع).

الخاتمة:

بعد الانتهاء من كتابة السطور الأخيرة من هذا البحث ظهر لنا ما يلي:

١- إن لفظة المصحف تعني الصحائف المجموعة بين الدفتين وعليه فلا يشترط ان يكون المصحف قرآناً وهذا ما أكده علماء اللغة.

٢- إن مصدرية المصحف هي الله تعالى وليس النبي محمد (ص) بدلالة أن نزوله جاء بعد وفاته (ص).

٣- أظهر البحث إمكانية نزول الملائكة أو جبرائيل (ع) على السيدة الزهراء (ع) لنقل كلام الباري (ص) وعدم اقتصار ذلك على الأنبياء (ع) طالما أن جبرائيل (ع) سبق ونزل على السيدة مريم العذراء وأم إبراهيم (ع) وأم موسى (ع) فلم لا ينزل على السيدة الزهراء (ع) وهي سيدة نساء العالمين وكانت ممن تنزل عليها الملائكة في حياة أبيها.

٤- أكد البحث أن مدّون المصحف هو الإمام علي (ع) ولا يبعد أن يكون الله تعالى قد أرسل بيد ملائكته مصحفاً مكتوباً كاملاً إلى السيدة الزهراء (ع) اتحافاً لها وإتماماً لما كتبه الإمام علي (ع).

٥- أظهر البحث أن محتويات المصحف توزعت على ثلاثة محاور، أخبار غيبية وحقائق تاريخية وأخرى جغرافية فضلاً عن الأمور المتعلقة بأسباب النزول المتعلقة بالكتب المقدسة الأربع.

٦- أثبت البحث أن هناك موارد أخرى لم يحتويها المصحف رغم ورود بعض المرويات الدالة على احتوائه لها لاسيما مسائل الحلال والحرام والآيات القرآنية ووصية السيدة الزهراء (ع).

الهوامش:

(١) الصدوق، علل الشرائع، ١٨٢/١؛ الطبرسي، اعلام الورى، ص١٤٨؛ الكعبي، سيدة النساء، ص٣٢.

(٢) ينظر: القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ٢١٥/٢؛ النوري، مستدرك الوسائل، ١٨٢/١٤ ـ ١٨٣.

(٣) تنظر الخطب في: ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٢٣ ـ ٣٢؛ الجوهري، السقيفة وفدك، ص ١٣٩ ـ ١٤٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢١١/١٦ ـ ٢١٣، ٢٢٣ ـ ٢٣٤، ٢٤٩ ـ ٢٥٣؛ الطبرسي، الاحتجاج، ١١٩/١ ـ ١٣٢.

(٤) عنه ينظر: الكليني، الكافي، ٥٢٧/١.
(٥) ينظر: م. ن، ٦٦٧/٢؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٢٨/٤.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، ٢٩٠/٧ ـ ٢٩١؛ الزبيدي، تاج العروس، ٣١٦/١٢.
(٧) معلوف، المنجد في اللغة، ص ٤١٧.
(٨) الحكيم، فاطمة الزهراء(ع)، ص ٦٧.
(٩) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٧، الكليني، الكافي ٢٤٠/١:.
(١٠) الكليني، الكافي، ٢٣٩/١؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص ٤٥٦.
(١١) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٦؛ الحسيني، سيرة الأئمة، ص٩٧.
(١٢) ينظر: فاطمة الزهراء (ع)، ص ٦٧.
(١٣) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٣ ـ ١٧٤، الكليني، الكافي، ٢٤٠/١.
(١٤) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.
(١٥) الكليني، الكافي، ٢٤٠/١، ٢٤٢؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص ٤٥٠.
(١٦) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢٢٥.
(١٧) م. ن، ص ١٧٣؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص٤٤٨.
(١٨) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٣٠/١؛ اليعقوبي، تاريخ ٢٢/٢ ـ ٢٣.
(١٩) سورة مريم، آية ١٧ ـ ١٩.
(٢٠) سورة القصص، آية ٧.
(٢١) سورة هود، آية ٧١.
(٢٢) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ١٦٤/٣؛ النفيس، نفحات من السيرة، ص٦٦.
(٢٣) العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص٤٥٠.
(٢٤) الاميني، الغدير، ٤٢/٥؛ الكعبي، سيدة النساء، ص ٣٢.
(٢٥) الصدوق، علل الشرائع، ١٨٢/١؛ الطبري، دلائل الإمامة، ص ٨٠.
(٢٦) ينظر: الكليني، الكافي، ٦٦٧/٢؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص٤٥٣.
(٢٧) سورة مريم، آية ١٩.
(٢٨) سورة الحج، آية ٧٥.
(٢٩) سورة الأنعام، آية ٦١.
(٣٠) الكليني، الكافي، ٢٤٠/١.
(٣١) الصفار، بصائر الدرجات، ص١٧٣ ـ ١٧٤؛ عاشور، فاطمة بنت محمد ص١٥٦
(٣٢) الصفار بصائر الدرجات، ص١٧٦.
(٣٣) م. ن، ص ١٧٣.
(٣٤) ورد إن الله (عز وجل) أمر جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يعملوا المصحف وينزلوا به على السيدة فاطمة الزهراء (ع) عن تفصيل ذلك. ينظر: الطبري، دلائل الزهراء، ص٦٧ ـ ٦٨.
(٣٥) ورد في صفة المصحف آن له دفتان من زبرجدين على طول الورقة وعرضه من مرادين، ورقه در أبيض. ينظر: م. ن؛ العواد، ينظر: م. ن؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص٤٥٠.
(٣٦) ينظر: الهاشمي، حوار مع فضل الله، ١٤٨ ـ ١٤٩؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء ص٤٥٤.
(٣٧) العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص٤٥٥.
(٣٨) سورة الأعلى، آية ١٨ ـ ١٩.
(٣٩) الصفار بصائر الدرجات، ص١٧٣.
(٤٠) الصفار، بصائر الدرجات، ١٧٧.

(٤١) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٤٣/٣٩؛ عاشور، فاطمة بنت محمد، ص ١٥٦.
(٤٢) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٩.
(٤٣) الزنادقة جمع زنديق وهي لفظة معربة عن الفارسية أطلقها الفرس قديماً على الخارج على دين الدولة ببدع معينة أهمها القول بأزلية العالم، واستعمله المسلمين للدلالة على الدهريين والملحدين. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٤٧/١٠؛ غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ٩٢٩/١.
(٤٤) الكليني، الكافي، ٢٤٠/١.
(٤٥) هو أبي محمد الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين علي (ص)، أمه خولة بنت منظور، شهد الطف مع عمه الإمام الحسين (ص)، وأثخن بالجراح، استوهبه أسماء بن خارجة، كان أشبه الناس برسول الله (ص). ينظر: ابن عتبة، عمدة الطالب، ص٩٠ ـ ٩٢؛ مال الله، أساليب الدولة الأموية، ص٢٣، هامش رقم ٤.
(٤٦) هو وعاء من جلد أشبه بالخرج فيه علم النبيين وعلم العلماء وعلم الذين مضوا من بني إسرائيل. ينظر: الكليني، الكافي، ٢٣٩/١.
(٤٧) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٨.
(٤٨) الكليني، الكافي، ١٣٩/١؛ الحسني، سيرة الأئمة، ص ٩٧؛ عاشور، فاطمة بنت محمد، ص١٥٦.
(٤٩) الصفار، بصائر الدرجات، ص١٧٧.
(٥٠) هو أبو العباس الوليد ابن صبيح، كوفي، ثقة، روى عن أبي عبد الله الصادق (ص)، وقد ترحم عليه الإمام (ص) وله كتاب ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٤٣١.
(٥١) الصفار، بصائر الدرجات، ص١٧٨: المجلسي، بحار الأنوار، ٤٧/٢٦.
(٥٢) ابن بابويه، الإمامة والتبصرة، ص٥٠؛ الكليني، الكافي، ٢٤٢/١.
(٥٣) الفتال، روضة الواعظين، ص٢١١؛ ينظر أيضاً: الكليني، الكافي، ٢٤٠/١.
(٥٤) الصفار، بصائر الدرجات، ص١٧٠؛ الكليني، الكافي، ٢٤٠/١.
(٥٥) سورة المعارج، آية ١.
(٥٦) المجلسي، بحار الأنوار، ١٧٦/٣٧.
(٥٧) ينظر نص الرواية في: الكليني، الكافي، ٥٠٧/٣، ابن شهر اشوب، المناقب، ٣٨٩/٣.
(٥٨) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، امه فاطمة بنت الحسين (ع)، كان شيخ بن هاشم والمقدم فيهم، كان فاضلاً، عالماً، كريماً، قتل في سجن الهاشمية بأمر من المنصور العباسي سنة ١٤٥هـ. ينظر: الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٦٦ ـ ١٧١.
(٥٩) ينظر: الكليني، الكافي، ٥٠٧/٣؛ ابن شهر اشوب، المناقب، ٣٨٩/٣.
(٦٠) ينظر: الطبري، دلائل الزهراء، ص٦٧ ـ ٦٨؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص٤٥٠ ـ ٤٥١.
(٦١) الصفار، بصائر الدرجات، ص ٢٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٤٣/٣٩.
(٦٢) الفتال، روضة الواعظين، ص ٢١١.
(٦٣) الطبري، دلائل الزهراء، ص٦٨؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص٤٥٠ ـ ٤٥١.
(٦٤) ابن بابويه، الإمامة والتبصرة، ص٥٠؛ الكليني، الكافي، ٢٤٢/١.
(٦٥) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٨/٢٦.
(٦٦) دامت الدولة الأموية إحدى وتسعون عاماً بينما بقيت الدولة العباسية قرابة الستة قرون. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٧٣/٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٦٥.
(٦٧) العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص ٤٥٠.
(٦٨) ينظر: الصفار، بصائر الدرجات، ص١٧٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩؛ الكليني، الكافي، ٢٣٩/١ ـ ٢٤٠.
(٦٩) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٢؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

(٧٠) العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص ٤٥٦.
(٧١) ينظر: مرآة العقول، ٥٧/٢؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص ٤٥٧.
(٧٢) ينظر: الكليني، الكافي، ٢٤٠/١.
(٧٣) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٣.
(٧٤) هو ليث ابن البختري المرادي، اسمه أبو يحيى، ويكنى بـ (أبو بصير) له مرويات كثيرة عن الإمام الصادق (ص) وكان من معاصريه، ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص ٢٧٥؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ٤٩/٢٢.
(٧٥) الكليني، الكافي، ٢٣٩/١.
(٧٦) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٣.
(٧٧) المجلسي، الأربعون حديثاً، ص ٥٥٩؛ الهاشمي، حوار مع فضل الله، ص ١٨١.
(٧٨) الهاشمي، حوار مع فضل الله، ص ١٨١ ـ ١٨٢.
(٧٩) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٦٨، ١٨٤؛ ابن شهر اشوب، المناقب، ٢٠٨/٣؛ العواد، السيدة فاطمة الزهراء، ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩.
(٨٠) الصفار، بصائر الدرجات، ص ١٧٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/٢٦.
(٨١) ينظر: الكليني، الكافي ٢٤١/١.
(٨٢) فاطمة الزهراء، ص٦٧.
(٨٣) ينظر: مؤلفو الشيعة، ص ١٥.
(٨٤) ينظر: سيرة الأئمة، ص ٩٨.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأولية:

- خير ما نبتدئ به القرآن الكريم
- الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦ هـ).

١- مقاتل الطالبين، تحقيق: أحمد صقر، مطبعة عترت، (قم – ١٤٢٥ هـ).

- ابن بابويه، القمي (ت ٣٢٩ هـ).

٢- الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عج)، (قم – د. ت).

- الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز(ت ٣٢٣ هـ).

٢- السقيفة وفدك، تحقيق. محمد هادي الأميني. ط٢. (بيروت – ١٤١٣ هـ)

- الحاكم النيسابوري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ).

٤- المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٢ م).

- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦ هـ).

٥- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، (بيروت – ١٩٧٨م).

- الزبيدي، محب الدين أبي الفيض محمد (ت ١٢٠٥ هـ).

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الجديد، (بيروت ـ ١٩٩٤م).

- ابن شهر أشوب، أبو عبد الله محمد بن علي السروري (ت ٥٨٨ هـ).

٧- مناقب آل أبي طالب، تحقيق: (لجنة من أساتذة الحوزة العلمية في النجف، (النجف – ١٩٥٦م).

- السيوطي، جلال الدين أبي بكر (ت ٩١١ هـ).

٨- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة أوفسيت منير، (بغداد – ١٩٨٦م).

- الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ).

٩- علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية (النجف الأشرف – ١٩٦٦م).

- الصفار، أبي جعفر بن الحسين بن فروخ الصفار (ت ٢٩٠ هـ).

١٠- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (ص)، تصحيح: ميرزا حسن (كوجه باغي، منشورات الأعلمي) (طهران – ١٤٠٤ هـ).

- الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٦٠ هـ).

١١- الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي الخرساني، مؤسسة ذي القربى، (قم – ١٤٢٦ هـ).

- الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ).

١٢- أعلام الورى بإعلام الهدى، قدم له: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، المطبعة الحيدرية، ط٣ (النجف – ١٩٧٠م).

- الطبري، محمد بن جرير بن رستم الإمامي (من أعلام القرن الخامس الهجري).

١٣ - دلائل الإمامة، تحقيق: مؤسسة البعثة، (قم – ١٤١٣ هـ).

١٤- دلائل الزهراء، تحقيق: مؤسسة البعثة، (قم – ١٤١٥ هـ).

- الطريحي، فخر الدين (ت ١٠٨٥ هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة الثقافة الإسلامية، ط٢، (قم – ١٤٠٨ هـ).

- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ).

١٣- رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي(قم – ١٤١٥ هـ).

- ابن طيفور، أبي الفضل أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠ هـ).

١٤- بلاغات النساء، انتشارات المكتبة الحيدرية، مطبعة شريعت (قم – ١٣٧٨ هـ).

- ابن عتبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني(ت ٨٢٨ هـ).

١٥- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، مؤسسة أنصاريات للطباعة والنشر (طهران – ١٩٩٦ م).

- الفتال، محمد بن الفتال الشهيد النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ).

١٦- روضة الواعظين، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، (قم – د. ت).

- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣ هـ).

١٧- دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي الاصغر فيضي، دار المعارف للنشر، (القاهرة – ١٩٦٣ م).

- الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ).

١٨- الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، ط٢، (طهران – ١٩٦٨م).

- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ).

١٩- الأربعون حديثاً، تحقيق: فارس حسون كريم، مطبعة وفا، (قم - ٢٠٠٩ م).

٢٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، ط٢، (بيروت – ١٩٨٣ م).

٢١- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، إخراج ومقابلة وتصحيح: هاشم المولى، دار الكتب الإسلامية، (طهران – ١٩٧٩م).

- المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ).

٢٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصحيح: شارل بلا منشورات الشريف الرضي، (طهران – ٢٠٠١م).

- ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ).

٢٣- لسان العرب، دار احياء التراث العربي، (بيروت - د. ت).

- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠ هـ).

٢٤- رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم – د. ت).

- النوري، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ).

٢٥- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع)، ط٣، (بيروت – ١٩٩١م).

- ابن هشام، عبد الملك الحميري المعافري (ت ٢١٨ هـ).

٢٦- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٥، (بيروت – ٢٠٠٦م).

- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢ هـ).

٢٧- تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، ط٢، (بيروت – ٢٠٠٢ م).

ثانياً: المراجع الثانوية:

- الأميني، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي.

٢٨- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتب الإسلامية، (طهران – د. ت).

- الحسني، هاشم معروف.

٢٩- سيرة الأئمة الاثني عشر (ع)، مطبعة روح الأمين، ط٢، (قم – ١٤٣٠ هـ).

- الحكيم، محمد باقر.

٣٠- فاطمة الزهراء (ع)، مطبعة شريعت، ط٢، (قم – ٢٠٠٤ م).

- الخوئي، أبو القاسم الموسوي.

٣١- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، (د. م – ١٩٩٢م).

- شرف الدين، عبد الحسين.

٣٢- مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام تقديم السيد أحمد الحسيني، مطبعة النعمان، (النجف الأشرف – ١٣٨٥ هـ).

- عاشور، علي.

٣٣- فاطمة بنت محمد (ص) قدوة النساء، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، (بيروت – ٢٠٠٢ م).

- غربال، محمد شفيق وآخرون.

٣٤- الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، (بيروت – ١٩٨٧م).

- الكعبي، علي موسى.

٣٥- سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع)، إصدار مركز الرسالة، (قم – ١٤٢٠ هـ).

- معلوف، لويس.

٣٦- المنجد في اللغة، مطبعة اميران، ط١٧، (قم – ١٤٢٢ هـ).

- النفيس، أحمد راسم.

٣٧- نفحات من السيرة (موجز لسيرة الرسول (ص) وأهل البيت)، مؤسسة البلاغ، (بيروت – ٢٠٠١م).

- الهاشمي، هاشم.

٣٨- حوار مع فضل الله حول الزهراء، دار الهدايا، ط٢، (د. م - ٢٠٠١م).

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

- العواد، انتصار عدنان عبد الواحد.

٣٩- السيدة فاطمة الزهراء (ع) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٧م.

- مال الله، حيدر لفتة سعيد.

٤٠- أساليب الدولة الأموية في تثبيت السلطة، دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة البصرة، ٢٠١١م. ❖

مصحف السيدة فاطمة (ع)
(دراسة تاريخية)

أ. م. د. عماد هادي عبد علي(*)
م. د. وسيم عبود عطية

المقدمة:

عندما يطرح عنوان (مصحف فاطمة ع) قد يذهب البعض إلى أنه يعني قرآناً خاصاً بالسيدة فاطمة الزهراء (ع) وقد استغل البعض تسمية الكتاب بـ (مصحف) ليتهم المسلمين الشيعة بأن عندهم قرآناً خاصاً غير القرآن المعروف عند المسلمين باعتبار أن لفظ (مصحف) خاص بالقرآن الكريم، لكن مراجعة كتب اللغة والآثار تغيير منهم العنوان المطروح ليصبح المعنى المفهوم منه غير منحصر بالقرآن الكريم، بل هو كتاب منسوب للسيدة فاطمة الزهراء (ع).

وألصق البعض لهذا الكتاب باعتبار أن لفظة (مصحف) مختصة بالقرآن وعليه فمصحف فاطمة (ع) يعني قرآن فاطمة وبما أن بعض الروايات التي وردت عن هذا الكتاب (بأن فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات)[1] فإن هذا يعني أن الشيعة يعتقدون بكون القرآن الموجود قد نقص فيه الكثير من الآيات وهكذا ألصقت تهمه تحريف القرآن بالمسلمين من أتباع أهل البيت (ع) رغم ورود العديد من الروايات التي تنفي اشتمال مصحف فاطمة (ع) على أي آية من آيات القرآن الكريم، وعليه يتعين كونه منسوباً للسيدة فاطمة وليس بقرآن، وهنا يفهم من العنوان أنه من تأليفها ولهذا نسب إليها، لكن هذا الفهم ليس صحيحاً إذ أن الروايات واضحة وصريحة في عدم انتساب المصحف إلى السيدة فاطمة الزهراء (ع) لا كتابةً ولا إملاءً، إنما باسمها لكونه منحة إلهية وعطاءً سماوياً[2].

أثر البحث تسليط الضوء على هذا المصحف الذي أثيرت حوله الشبهات فتارة (قرآن الرافضة الشيعة الإمامية المنتظر) وتارة (العثور على قرآن الشيعة) ومرة (قرآن فاطمة الشيعي) وأخرى (تحريف القرآن) وغيرها من هذه الأقاويل، ورغم العديد من الكتابات التي تناولت هذا الموضوع منها ما كتبه الشيخ أكرم بركات بعنوان (حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة) وأيضاً الدراسة التي كتبتها انتصار عدنان عبد الواحد العواد بعنوان السيدة فاطمة (ع)،

(*) جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات.

(١) أكرم بركات، حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، دار الصفوة، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٧ - ١٨.

(٢) عبد الجبار ناجي، المستشرقون وإشكالية (قرآن علي)، مجلة المصباح، العدد الخامس، ٢٠١١، ص٥٥.

دراسة تاريخية، إلاّ أننا حاولنا أن نسلط الضوء على هذا الموضوع في هذا المؤتمر لعل فيه ما ينفعنا وينفع الأمة الإسلامية.

قسّم البحث إلى ثلاثة مباحث اعتمد الأول على ذكر الروايات الكثيرة وعددها ثمانية عشر رواية التي ورد فيها ذكر مصحف فاطمة (ع) مع التدقيق والأقوال بصحتها وأسانيدها، ثم ركز المبحث الثاني على كاتب مصحف فاطمة (ع) وممليه، في حين سل المبحث الثالث الضوء على محتوى هذا المصحف وما فيه من معلومات والتي تم تصنيفها إلى معلومات غيبية ومعلومات احتوت على وصية السيدة فاطمة الزهراء (ع) فضلاً عن التأكيد على عدم احتواء المصحف على أي آية من آيات القرآن. وفي الختام نسأل الله العلي القدير القبول والتوفيق.

المبحث الأول: الروايات التي ذكرت مصحف فاطمة (ع)

أشارت الروايات التاريخية إلى وجود مصحف فاطمة (ع) وكان من جملة ما خلفته من تراثها العلمي وسأورد جملة من الروايات التي تناولت وتحدثت عن مصحف فاطمة (ع):

الرواية الأولى:

عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأني نظرت في مصحف فاطمة (ع) قال: فقلت: وما مصحف فاطمة (ع)؟ فقال إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه (ص) دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجل، فأرسل إليها ملكاً يسلي عنها غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (ع) فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت فقولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كل ما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً قال: ثم قال: أما أنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون[1].

الرواية الثانية:

عن أبي عبيدة عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: (أن فاطمة مكثت بعد رسول الله (ص) خمسة وسبعين يوماً، وكان بداخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرائيل (ع) يأتيها فيحسن عزائها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي (ع) يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة)[2].

---

(١) الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٨هـ/٣٢٩هـ)، أصول الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥، ١/ ٢٤٠.

(٢) الكليني، الكافي، ٢٤١/١.

الرواية الثالثة:

عن أمير المؤمنين (ع) قال: (ولقد أعطيت زوجتي مصحفاً فيه من العلم ما لم يسبقها إليه أحد، خاصة من الله ورسوله)[١].

الرواية الرابعة:

عن الإمام الصادق (ع) قال: (وخلفت فاطمة مصحفاً ما هو القرآن، ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها إملاء رسول الله (ص) وخط علي (ع))[٢].

الرواية الخامسة:

من علي بن حمزة، عن أبي عبد الله الصادق (ع): (... وعندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه من القرآن، ولكنه إملاء رسول الله وخط علي (ع))[٣].

الرواية السادسة:

عن الصادق (ع) قال: مصحف فاطمة (ع) ما فيه شيء من كتاب الله وإنما هو شيء ألقي بعد موت أبيها (ص)[٤].

الرواية السابعة:

في معرض احتجاج الإمام الصادق (ع) على بني عمه أبناء الحسن المثنى قال (... وليخرجوا مصحفاً فيه وصية فاطمة (ع) وسلاح رسول الله (ص))[٥].

الرواية الثامنة:

عن الإمام الصادق (ع) (أن عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة (ع) قال فيه مثل قرآنكم ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاه الله وأوحي إليها)[٦].

---

(١) المجلسي: محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٦هـ، ٣٤٢/٣٩.

(٢) الصفار: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي (ت٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، تعليق: الحاج ميرزا محسن التبريزي، قم، ١٤٠٤، ص١٧٦.

(٣) الصفار، بصائر الدرجات، ص١٧٣.

(٤) الصفار، بصائر الدرجات، ص١٧٩؛ انتصار عدنان عبد الواحد العواد، السيدة فاطمة الزهراء (H) دراسة تاريخية، مؤسسة البديل، بيروت، ٢٠٠٩، ص٦٣٠.

(٥) انتصار العواد، ص٦٣٠.

(٦) الكليني، الكافي، ٢٤١/١.

الرواية التاسعة:

عن عمر بن يزيد قال: (قلت لأبي عبد الله (ع) الذي أملى جبرائيل على علي (ع) أقرآن؟ قال: لا)[١].

الرواية العاشرة:

عن الإمام الصادق (ع) (ما مات أبو جعفر (ع) حتى قبض مصحف فاطمة (ع))[٢].

الرواية الحادية عشر:

عن الوحيد بن صبح، قال: قال لي أبو عبد الله (ع): يا وليد إني نظرت في مصحف فاطمة (ع) فلم أجد لبني فلان فيها إلاّ كغبار النمل[٣].

الرواية الثانية عشر:

عن فضيل بن سكرة: قال دخلت على أبي عبد الله (ع): يا فضيل أتدري أي شيء كنت انظر فيه قبل: قال: قلت: لا، قال: كنت انظر في كتاب فاطمة (ع) فليس ملك يملك إلاّ وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً[٤].

الرواية الثالثة عشر:

عن أبي عبد الله (ع): (وأما مصحف فاطمة صلوات الله عليها ففيه ما يكون من حادث وأسماء كل من يملك إلى تقدم الساعة)[٥].

الرواية الرابعة عشر:

عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول (أن عندي الجفر الأبيض، قال: قلت فأي شيء فيه قال (ع) زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام، ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وارش الخدش)[٦].

الرواية الخامسة عشر:

عن حبيب الخثعمي عن أبو عبد الله (ص) (... إني أخبرتك إني قرأته ولم أخبرك أنه عندي)[٧].

---

(١) الصفار، بصائر، ص١٧٧.

(٢) المجلسي، بحار، ٤٧/٢٦.

(٣) الصفار، ص١٨٧.

(٤) ابن بابويه القمي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٢٩): الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٤، ص٥٠.

(٥) الصفار، بصائر، ١٧٠.

(٦) الصفار، بصائر الدرجات، ص١٧٠.

(٧) الكليني، الكافي، ٥٠٧/٣.

الرواية السادسة عشر:

عن الإمام الرضا (ع) قال (للإمام علامات... ومن جملة علاماته ذكر (ع) يكون عنده مصحف فاطمة (ع))[١].

الرواية السابعة عشر:

عن أبي بصير قال سألت أبا جعفر محمد بن علي (ع) عن مصحف فاطمة (ع) فقال: أنزل عليها بعد موت أبيها فقلت ففيه شيء من القرآن؟ قال: ما فيه من القرآن...)[٢].

الرواية الثامنة عشر:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع): ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ بولاية علي ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ ثم قال هكذا هي في مصحف فاطمة (ع)[٣].

نلاحظ في سند الروايات الأسماء التالية:

١ - عدة من أصحابنا: وقد طرح الكليني أسماء هذه العدة وفيهم الثقاة قطعاً مثل علي بن إبراهيم بن هاشم[٤].

٢ - أحمد بن محمد: وهو لا يخلو من اثنين قطعاً أما أحمد بن محمد بن عيسى وأما أحمد بن محمد بن خالد البرقي وهما من أعلام الشيعة وثقاتها[٥].

٣ - عبد الله بن الجمال وهو من قال فيه النجاشي ثقة ثقة[٦].

٤ - أحمد بن عمر الحلي، وهو من ثقة النجاشي أيضاً[٧].

٥ - أبو بصير أو المتصرف منه ثقة، كما لا يخفى على أهل التتبع والتحقيق[٨].

ومما تقدم يلاحظ أن روايات هذا المصحف صحيحة ومعتبرة وقد تسالم على الأخذ بها ولا أعلم أحداً ممن معنى منهم قد ناقش وهذا ما يدعم الوثاقة، ولا قيمة لبعض الاستبعادات

---

(١) الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، الخصال، تحقيق: علي اكبر الغفاري، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، طهران، ١٤٠٣، ص٥٦٨.

(٢) امتياز أحمد، دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، ترجمة: منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، ١٩٩٠، ص٦٧ - ٦٨.

(٣) المجلسي، بحار، ١٢٦/٢٧.

(٤) أكرم بركات، حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٠، ص٧٠.

(٥) أكرم بركات، ص٧٠.

(٦) النجاشي: أحمد بن علي النجاشي الكوفي الأسدي (ت٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، تحقيق: محمد جواد النائيني، منشورات دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨، ج٢، ص٢٠٤ - ٢٠٥.

(٧) النجاشي، ج١، ص٢٤٨.

(٨) المحسني، بحوث في علم الرجال، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣، ص٢٣٩، ٢٤٠.

المطروحة في موضوع هذا المصحف لذا فإن جملة روايات مصحف فاطمة صحيحة السند، رواها ثقات[1].

المبحث الثاني: تدوين المصحف وكاتبه

إن مجمل الروايات حول مصحف فاطمة (ص) جاءت صريحة بأن الزهراء (ع) وقفت به بعد رحيل أبيها (ص)، ويبدو أن نزول الملائكة عليها قد استمر حتى وفاتها، وقد نصت الروايات الكثيرة أن مصحف فاطمة (ع) كتب بيد الإمام علي (ع) ففي أحد الروايات عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله (وعندنا مصحف فاطمة..وخط علي (ع)) وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (وخلفت فاطمة مصحفاً..وخط علي (ع))[2].

وقد تفرد ابن رستم الطبري في دلائل الإمامة بنقل رواية تدل على أن مصحف فاطمة (ع) قد أنزلته الملائكة مكتوباً من عند الله، ولم يمل إملاءً ليكتبه أمير المؤمنين علي (ع) وظاهر عبارة وضعوا المصحف في حجرها أن المنزل الكتاب لا المحتوى فقط، وهذا يعارض الروايات الكثيرة الدالة على أن علياً هو الذي كتب المصحف لذا ينصرف الرأي عن ظاهر الرواية إلى أن معنى وضعوا المصحف في حجرها أي أملوه عليها وحين لا مانع من كون الإمام علي (ع) موجوداً وقت الإملاء يكتب ذلك ولا يخفى أن هذا الاحتمال غاية في البعد[3].

وفي الرواية الأولى في المبحث الأول يحسن الالتفات إلى شيئين مهمين:

أ - كون الإمام علي (ع) كان يكتب ما يسمع من جبرائيل مباشرة لا أن السيدة فاطمة هي وحدها التي تسمع ثم تملي ذلك على أمير المؤمنين كما يبدو من البعض قد فهم بأن الإمام علي قال للسيدة فاطمة (ع) (فإذا سمعتيه فأمليه عليّ فصارت تمليه وهو يكتبه)[4].

وهناك رواية ثانية توضح أن علياً (ع) كان يسمع مباشرة من جبرائيل أو الملائكة وهي الرواية التاسعة في المبحث الأول عن عمر بن يزيد قال (قلت لأبي عبد الله (ع) الذي أملى جبرائيل على علي (ع) أقرآن؟ قال لا)[5].

ومما سبق يفهم أن المملي هو جبرائيل أو أحد الملائكة وأن الكاتب هو الإمام علي (ع).

---

(١) أكرم بركات، ص٧١.

(٢) المجلسي، بحار، ٤١/٢٦.

(٣) أكرم بركات، ص٧٩.

(٤) أكرم بركات، ص٨٣.

(٥) المجلسي، بحار، ٤٣/٢٦، حديث ٧٥.

ب - وهناك بعض الروايات التي أشارت إلى أن المملي رسول الله ولتوضيح هذه المسألة يفهم أن المتصرف من لفظة رسول الله هو النبي محمد (ص) فالمقصود برسول الله لا النبي محمد (ص) بل رسول من الله وهو أحد الملائكة أو جبرائيل.

فقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة عبر عن الملائكة بأنها رسل الله ومن تلك الآيات:

١ - ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[1].

٢ - ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[2].

٣ - ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[3].

٤ - ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾[4].

٥ - ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾[5].

٦ - ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا ﴾[6].

٧ - ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾[7] أي حين جاءت الملائكة يبشرون بغلام.

٨ - ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾[8].

٩ - ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ ﴾[9].

لذلك أن استخدام كلمة رسول الله ليس رسول الله (ص) وإنما المعنى اللغوي الذي يطلق على الملائكة وكذلك ورد بنفس الروايات[10].

وبعد معرفة كاتب المصحف وممليه قد يتساءل البعض بأنه إذا لم تكن السيدة فاطمة الزهراء (ع) هي التي كتبته وليست هي التي أملته فلماذا سمى باسمها ونسب إليها.

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٥.

(٢) سورة فاطر: الآية ١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٦١.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٣٧.

(٥) سورة هود: الآية ٦٩.

(٦) سورة هود: الآية ٧٧.

(٧) سورة الحجر: الآية ٥٧.

(٨) سورة الحجرات: الآية ٦١.

(٩) سورة هود: الآية ٨١.

(١٠) أكرم بركات، ص٨٩ - ٩٠.

والجواب يعلم مما سبق فإن سر سنة المصحف إلى السيدة فاطمة (ع) هو أن الإلهام كان لها والخطاب موجه إليها وهذا ما له نظائر في تسميات الكتب فقد نسبه إلى الأنبياء جملة من الكتب الموماة إليهم والمحلاة عليهم ولم يكتبوها بل سميت بأسمائهم لأن الإيماء والإلهام لمن لهم دون سواهم لذلك سميت بأسمائهم[1].

المبحث الثالث: محتوى المصحف

تثبت الروايات أن محتوى مصحف فاطمة (ع) تضمن:

١ ـ الأخبار الغيبية:

أشارت الروايات إلى أن فيه علم ما يكون عبر الإمام أمير المؤمنين (ع) عن ذلك العلم بأنه (لم يسبقها إليه أحد) ومن ذلك ما أخبرها به جبرائيل (ع):

أ ـ بمكان أبيها أي مقامه في الجنة.

ب ـ أخبار ما سيجري على ذريتها وما يكون فيهم من بعدها.

جـ ـ أسماء الملوك الذين يحكمون الأرض.

د ـ تاريخ ظهور الزنادقة[2].

٢ ـ ليس فيه شيء من القرآن:

اقترن اسم مصحف فاطمة في أغلب الروايات مع نفي كونه قرآناً أو احتوائه آيات من القرآن، ومن الملفت نفي القرآنية عن مصحف فاطمة ورد بتعابير مختلفة وذلك لدفع ما قد يتوهم من لفظ مصحف بأنه قرآناً، وسنعرض بعض التعابير المختلفة فقد جاء في الروايات:

١. ما هو قرآن.

٢. ما أزعم أنه قرآن.

٣. ما هو بالقرآن.

٤. ما أزعم فيه قرآناً.

٥. ليس منه شيء من القرآن.

٦. ما فيه شيء من كتاب الله.

٧. ما فيه آية من آيات الله.

٨. ما فيه حرف من القرآن.

٩. ما فيه من قرآنكم حرف واحد[3].

---

(١) أكرم بركات، ص٩١.

(٢) انتصار عدنان، ص٦٤٠.

(٣) أكرم بركات، ص٩٣ ـ ٩٤.

ومما يلفت النظر تأكيد الإمام الصادق (ع) على أن مصحف فاطمة (ع) ليس بقرآن، وصاحب ذلك التأكيد والتكرار منه (ع) لنفي الشبهة[1] بصورة قاطعة وأكيدة ورغم ذلك أثيرت الكثير من الشبهات حول ذلك كما مر بنا.

٣ ـ عدم احتواء مصحف فاطمة على المسائل الشرعية.

أشارت الروايات إلى عدم احتواء مصحف فاطمة على مسائل الحلال والحرام، إلاّ أن الرواية الخامسة عشر والسادسة عشر في الروايات السابقة أشارت إلى وجود هذه المسائل في الصحيفة، فقد ورد في الحديث الخامس عشر إلى أن مسائل الحلال والحرام إنما هي في الجفر لا في المصحف وقد اتفقت الأخبار الواردة إلى أن الجفر هو الدعاء الذي يحتوي على مجموعة الكتب ومنها كتاب الجامعة المنسوب إلى الإمام علي (ع) ولذا فيكون أن مسائل الحلال والحرام موجودة في الجفر لا في المصحف[2].

٤ ـ وصية فاطمة (ع):

ورد عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله (ص) (وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة)[3]، والظاهر أن وصية السيدة فاطمة كانت ضمن المصحف حيث كانت تتعلق:

أ ـ البساتين السبعة التي كانت وقفاً على الزهراء (ع).

ب ـ وصية سياسية تتعلق بموقف الزهراء السياسي[4].

الخاتمة:

١ ـ إن كل ما ورد من تخرصات استهدفت الشيعة كانت من وحي المستشرقين الذين نشروا كتاب وفيات الملل والنحل الذي وجد في الهند والذي تحدث عن مصحف فاطمة وأكثروا الترجمة وإعادة الطباعة بكل الملفات الأوربية المحكمة إنما استهدف نشر الفرقة بين المسلمين والإساءة إلى المذهب.

٢ ـ إن كلمة المصحف في الاستعمال اللغوي هي الجامع للصحف المكتوبة بين دفتين كما ورد عند ابن منظور في لسان العرب وغيره من اللغويين وبناءً على ذلك فإن المصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن الكريم، بل يطلق على كل كتاب أصحف وجمع بين دفتين ولكن كثرة استعماله للقرآن، أوجبت انصراف الأذهان إليه، فدعوة أن مصحف فاطمة

---

(١) انتصار عدنان، ص٦٤١.

(٢) انتصار عدنان، ص٦٤٢.

(٣) الكليني، أصول، ٢٤١/١.

(٤) آكرم بركات، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

قرآناً لا يمكن التمسك لها بمعنى المصحف لغةً، ومما لا شك فيه أن كثرة استعمال معنى المصحف للقرآن الكريم بعد نزوله لا يلغي استعماله في معناه اللغوي الواسع بل بقيت كلمة مصحف استعماله في معناه اللغوي الواسع بل بقيت كلمة مصحف تستخدم في معانٍ أخرى غير القرآن الكريم.

٣ ـ لم ترد لفظة المصحف في آيات القرآن الكريم رغم وجود عدة تسميات للقرآن فيه، فقد ورد خمس وخمسون اسماً للقرآن منها الكتاب والقرآن والفرقان وغيرها من الأسماء التي ذكرها السيوطي في الإتقان ولم يكن بينها لفظة المصحف.

٤ ـ من المهم الإشارة إلى أن معظم الروايات التي أكدت على وجود مصحف فاطمة (ع) هي روايات صحيحة ومعتبرة في أسانيدها ورجالها وقد تسالم على الأخذ بها وهذا ما يدعم وثاقتها.

٥ ـ أن معظم الروايات التي ذكرت مصحف فاطمة عن أهل البيت من الروايات الصحيحة والتي أكدت وبشكل قاطع ففي القرآنية عن مصحف فاطمة وبأساليب مختلفة ومتنوعة فمرة (ما هو بقرآن) ومرة أخرى (ما فيه حرف من القرآن) ومرة (ما فيه حرف واحد من قرآنكم) وكأن الأئمة عليهم السلام كانوا يقصدون نفي الشبهة عن المصحف إزاء المتشككين فيه.

قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. المحسني: بحوث في علم الرجال، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣.

٣. عبد الجبار ناجي: المستشرقون وإشكالية (قرآن علي)، مجلة المصباح ن العدد الخامس، ٢٠١١.

٤. الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٨هـ/٣٢٩هـ)، أصول الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥.

٥. المجلسي: محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٢٩٦هـ.

٦. الصفار: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي (ت٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، تعليق: الحاج ميرزا محسن التبريزي، قم، ١٤٠٤.

٧. الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، طهران، ١٤٠٣.

٨. امتياز أحمد: دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، ترجمة: منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، ١٩٩٠.

٩. أكرم بركات: حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، دار الصفوة، بيروت، ٢٠٠٩.

١٠. انتصار عدنان: انتصار عدنان عبد الواحد العواد، السيدة فاطمة الزهراء (ع) دراسة تاريخية، مؤسسة البديل، بيروت، ٢٠٠٩.

١١. النجاشي: أحمد بن علي النجاشي الكوفي الأسدي (ت٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، تحقيق: محمد جواد النائيني، منشورات دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨. ❖

صورة الزهراء فاطمة
في قصيدة (مدح فاطمة الزهراء) للشاعر محمد إقبال(١)

✍ م. د بشار نديم أحمد الباججي(*)

يقوم العمل الأدبي على مجموعة من العناصر التي تتآلف لتشكل في النهاية عملاً أدبياً مكتملاً، وتعدُّ الصورة واحدة من هذه العناصر التي يوليها الشاعر الاهتمام والعناية، فهي التي تمنحه الفرصة ليعبِّر بها عما يدور بخاطره وما يدور حوله بشكل يمكنه من نقل تجربته الشعورية إلى المتلقي بأفضل الطرق.

وقد عُني الشعراء بصورهم منذ القدم وبرعوا في التشكيل الصوري لأشعارهم. وتُعدُّ الصورة الشعرية وسيلة من الوسائل التي تمنح خصوصية للمعنى فتكسبه القدرة على التأثير، وهذا التأثير يضفي نوعاً من الخصوصية على هذا المعنى، ويرى عز الدين إسماعيل (أنَّ الصورة وسيلة الشاعر للتعبير عن شعوره، والشعور يظل مبهما في نفس الشاعر فلا يتضح له إلا بعد أنْ يتشكل في صورة، ولا بد أنْ يكون للشعراء قدرة فائقة على التصور تجعلهم

---

(١) وُلد ببلدة سيالكوت بإقليم البنجاب سنة ١٢٨٩ هـ = ١٨٧٣م. ، نشأ في آسرة متوسطة الحال ملتزمة بالدين. حفظ إقبال القرآن وتلقى تعليمه الابتدائي في بلدته، والتحق بمدرسة البعثة الاسكتلندية للدراسة الثانوية، ودرس في هذه المدرسة اللغتين العربية والفارسية. التحق بجامعة لاهور، واتصل بالمستشرق الإنجليزي توماس أرنولد. سافر إلى لندن وعمل بها فترة سنة "١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥م"، ثم سافر إلى ألمانيا وحصل على درجة الدكتوراه "من جامعة ميونخ". وبعد عودته إلى بلاده اشتغل بالسياسة والفلسفة، وانتخب عضواً بالمجلس التشريعي بالنبجاب، وأخيراً رئيساً لحزب مسلمي الهند. يُعد محمد إقبال أول من نادى بضرورة انفصال المسلمين في الهند عن الهندوس، وتأسيس دولة خاصة بهم. دعا محمد إقبال إلى تجديد الفكر الديني وفتح باب الاجتهاد، وتقدير الذات الإنسانية ومحاربة التصوف السلبي الاتكالي. ترك محمد إقبال تراثاً فكرياً وادبياً، تُرجم معظمة إلى اللغة العربية. تُوفي محمد إقبال في "٢٠ من صفر ١٣٥٧ هـ = ٢١ من إبريل ١٩٣٨م".

أهم مؤلفاته: ترك تراثاً أدبياً وفلسفياً احتل به مكانة مرموقة بين كبار الشعراء والفلاسفة في النصف الأول من القرن العشرين، ومن أهم مؤلفاته بالإنجليزية: تطور الفكر الفلسفي في إيران، وقد ترجمه إلى العربية حسن الشافعي ومحمد السعيد جمال الدين، ونشر بالقاهرة سنة ١٩٨٩م. تجديد الفكر الديني في الإسلام، وترجمه عباس العقاد إلى العربي ومن أشهر دواوينه: ـ ديوان أسرار إثبات الذات، ـ ديوان رموز نفي الذات، وديوان: رسالة المشرق، ديوان ضرب الكليم، (ينظر: مقدمة ديوان محمد إقبال/إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ٢٠٠٥).

(*) الكلية التقنية الهندسية ـ الموصل.

قادرين على استكناه مشاعرهم واستجلائها)[1] وتؤدي الصورة الشعرية دوراً هاماً في العمل الشعري لأنها وثيقة الصلة بين نفسية الشاعر وتجاربه والمتلقي حين تعرض الانفعالات، لأنَّ النص الشعري يعتمد الإيحاء والرمز اللذين يحققان انزياحاً عن اللغة التقليدية نحو لغة شعرية تثير انفعالات المتلقي وتخلق فيه فورة عاطفية.

وتحليل الصورة وكشف جمالياتها طريقة يتوسل بها الناقد الحصيف للكشف عن أصالة التجربة الشعرية، وطريقة المبدع في صياغة أعماله الفنية. ولما كانت الصورة بهذه الأهمية.

إنّ الصورة الشعرية ركن أساس من أركان العمل الأدبي، ووسيلة الأديب الأولى التي يستعين بها في صياغة تجربته الإبداعية، وأداة الناقد المثلى التي يتوسّل بها في الحكم على أصالة الأعمال الأدبية، وصدق التجربة الشعرية.

والذي عليه أكثر الدارسين، أنّ الصورة الشعرية، بوصفها مصطلحا نقدياً حديثاً، ظهرت في ظلّ المذهب الرومانسي، ومع نظرية (كولردج) في الخيال الإنساني والخيال الشعري؛ لكنْ هل يعني هذا أنّ نقدنا العربي القديم كان خُلواً من مباحثها؟، أو أنّ نقدنا العربي القديم – وإنْ جهل مفهوم الصورة الفنية – لم يعرف مباحث الخيال التي لها صلة مباشرة بهذا المصطلح الذي نزعم أنّه حديث النشأة؟

لا نجد المصطلح بهذه الصياغة الحديثة في التراث البلاغي والنّقدي عند العرب، لكنَّ المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها، موجودة في التراث، وإنْ اختلفت طريقة العرض والتناول، أو تميّزت جوانب التركيز ودرجات الاهتمام. إنَّ معنى الصورة قريب ممّا تصوّره الجاحظ قديماً عندما ذهب إلى أنَّ "الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[2]، فمصطلح التصوير يحيل هنا إلى ثلاثة مبادئ: أولاها: أنَّ للشعر منهج خاصّ في تحديد المعاني والأفكار و صياغتها، وتكمن وظيفة هذا المنهج في إثارة الانفعال واستمالة المتلقّي، وثانيها: أنَّ قوام أسلوب الشعر في الصياغة - غالباً - هو عرض المعنى بطريقة حسّيّة، وهذا المبدأ يعادله في النقد الحديث مصطلح (التجسيم)، أما ثالثها: أنَّ هذا العرض الحسّي للمعنى الشعري يقرّبه من مفهوم الرسم.

ومن أجل أنْ تكون الصورة الشعرية ناضجة لا بدَّ أن يكون الشاعر واسع الخيال فالخيال هو الذي يمنح للصورة شعريتها، ولا بدَّ من توفر خزين من التجارب الحياتية والعاطفية للشاعر يستمد منه، فهي نتاج ملكة الخيال، وديناميـة الخيال لا تعني محاكاة

---

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الكتاب العربي، القاهر، ١٩٦٧، ١٣٦.

(٢) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٢٠/٣.

العالم الخارجي، وإنّما تعني الابتكار والإبداع، وإبراز علاقاتٍ جديدة بين عناصر متضادّة، أو متنافرة، أو متباعدة، وعلى هذا الأساس لا يمكننا قصر الصورة الفنية في الأنماط البصرية فقط، بل إنها تتجاوز هذا إلى إثارة صور، لها صلة بكلِّ الإحساسات الممكنة التي يتكوّن منها الإدراك الإنساني ذاته، ومما لا شك فيه أنَّ الخيال هو التربة الخصبة لكل إبداع شعري مدهش.

وقد أقرَّ علماء النّفس المحدثون هذا الأمر، إذ قدّموا للدارسين والباحثين أنماطا متعدّدة من الصور في الشعر،

إنَّ اللغة والإيقاع ليسا كافيين لإنتاج شعر جيد، وإنما يجب تضفيرهما بالصور الشعرية الطازجة لكي يرتقي الإفراز الإبداعي إلى لغة الشعر الحقيقية، وسوف ينصب اهتمامنا في هذا المبحث حول الصورة الشعرية وخصوصيتها في قصيدة محمد إقبال في مدح الزهراء فاطمة تاركين اللغة والإيقاع لمناطق بحثية أخرى.

يبتدئ النص بالإشادة بالنسب الطاهر للزهراء فاطمة، وهو أمر يستحق الذكر فالقضية ليست نسب دم فقط بل الأمر يتعدى ذلك إلى ما تلقته الزهراء من أنوار نبوية، فقد كانت علاقتها متميزة وفريدة مع والديها وبالخصوص علاقتها المتميزة بوالدها سيد الكائنات الرسول محمد (ص) وبعد وفاة والدتها السيدة خديجة حيث صارت له أما رحيمة رغم صغر سنها، تحن عليه وتداويه عندما يتعرض للأذى من قبل أعداء الرسالة، وكانت مصدر الفرح والسعادة والبهجة لوالدها الذي يخصص لها الوقت رغم انشغاله بمسؤولية الرسالة، وإدارة أوضاع الأمة، حيث كان يستأنس برؤيتها، ويمر على منزلها بشكل يومي رافعا صوته قائلاً السلام عليكم يا آل البيت، والاطمئنان عليها، وكانت الزهراء هي أول شخصية يراها عند دخوله المدينة وآخر شخصية يودعها.

ويلجأ الشاعر إلى إجراء مقاربة بين نسب الزهراء ونسب مريم (ع):

نسب المسيح بني لمريم مسيرة ... بقيت على طول المدى ذكراها

والمجد يشرق من ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها

هي بنت من؟هي زوج من؟ هي أم من؟ ... من ذا يداني في الفخار أباها

هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب إذا تروم هداها

هو رحمة للعالمين وكعبة الـ ... ـمال في الدنيا وفي آخرها[1]

---

(١) الديوان، ١/٢٢٧.

إنَّ الشاعر في خلقه لصورة التقابل بين الزهراء ومريم (يعيد تشكيل الزمان والمكان، وفق حالته الشعورية الخاصة التي يمكن للمتلقي أنْ يستشعرها من خلال الإرث النفسي الذي لا يمكن للمتلقي أنْ يستشعرها من خلال الأثر النفسي الذي لا يمكن للشاعر أنْ يخفيه وهو يشكل صورته)[1] وهذه الصورة تساعد في كشف الحقيقة من خلال الإيحاء الذي تقدمه.

والعلاقة بين فاطمة وأبيها المصطفى تُفهم من خلال قراءتنا لما ورد عن النبي (ص) أنه كان يقوم لفاطمة حين تدخل عليه ويقبلها في رأسها ذكر النووي حديثا روته أم المؤمنين عائشة (رضي الله) عنها يبين فضلها ومكانتها عند النبي (ص) (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودَلاً وهدياً من فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي الله عنها، قالت: وكانت إذا دخلت على النبي (ص) قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها)[2]، وحين تزوجت من (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) وسكنت في بيت بعيد كان النبي (ص) يزورها حبا لها واطمئنانا عليها، فهي الشخصية الأحب إلى قلبه، روى البخاري في صحيحه قال: "جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ إلى بيت فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيّاً فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: أين ابْنُ عَمِّكِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لإِنْسَانٍ: انْظُرْ أين هُوَ، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ "فالرسول كان يتابع كل أمور حياتها الجديدة وكانت زياراته ذات فائدة عظيمة على البيت الجديد فقد كان وسيط خير ومحبة يصلح ما قد يشوب العلاقة الزوجية من أمور، فنراه فرح لفرحها، ويغضب لغضبها، قال الرسول (ص) بحقها" فاطمة بضعة مني"[3].

---

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ١٦٣.

(٢) الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام، شيخ الإسلام الإمام محيي الدين أبي زكريا النووي، تحقيقك أحمد راتب حموش، دار الفكر، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م ٤٢، قال النووي عن الحديث (هذا حديث صحيح رواه الأئمة أعني أبا داؤود والترمذي والنسائي بأسانيدهم)

(٣) روى البخاري ومسلم عن المسور بن مخرمة أنه قال: " إنَّ عليا خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله (ص) فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله (ص)، فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله (ص) وبنت عدو الله عند رجل واحد، فترك علي الخطبة " وفي رواية للبخاري " فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، وينظر: علل الشرائع لابن بابويه القمي ص ١٨٥، ١٨٦ مطبعة النجف

وإذا أوغلنا في شعر الشاعر الكبير محمد إقبال نجد أنَّ صُوره الشعرية تمزج بين البساطة والتكثيف، وبين الإطلاق والتحديد في توافق رائع جعل من شعره الملاذ الجميل لجمهور عريض من عشاق الشعر.

من أيقظ الفطر النيام بروحه   وكأنه بعد البلى أحياها

وأعاد تاريخ الحياة جديدة   مثل العرائس في جديد حلاها

يسير محمد إقبال ليقدمَ الزهراء في فخر جديد، يذكر زواجها بسيدنا علي، إنه الفخر الذي ما بعده فخر، وقصة زواج السيدة الزهراء من أعجب القصص، حيث تستقبل كل فتاة زواجها بمظاهر البهرجة والترف لكنَّ فاطمة الزهراء (دخلت بيت زوجها بخميلة ووسادة أَدَم حشوها ليف ورحائين وسقاتين وجرتين وشيء من العطر والطيب)[1].

ولزوج فاطمة بسورة هل أتى   تاج يفوق الشمس عند ضحاها

أسد بحصن الله يرمي المشكلا   ت بصقيل يمحو سطور دجاها

إيوانه كوخ وكنز   وسيف غدا بيمينه تياها

في هذا البيت صورة تشكلت من التشبيه (والعلاقةَ بين طرَفي التشبيهِ تُمَيِّزُ الصورةَ التشبيهيَّةَ، لكنَّ فَهمَها وتأويلَها موصولٌ بالمشبهِ بهِ الذي يمثِّلُ القوةَ التصويريَّةَ الفاعلةَ في الصورةِ والأساسَ المعوَّلَ عليهِ في كشفِها واستنطاقِها؛ لأنَّهُ "صورةٌ من الصورِ احتفظتْ بها النَّفسُ فإذا ما أثارها شيء استجابتْ، ووثبتْ إلى اللسانِ)[2] والشاعر في استخدامه الصورة للتعبير عن تجربته وإيصالها إلى الناس، إنما يعمد إلى تجسيد ما هو تجريدي، وإعطائه شكلاً حسياً تجسَّد، فيشبه بيت الرسول المتواضع البسيط بالإيوان، ويشبه ثروته بالسيف الذي يحمله دفاعا عن عقيدته.

نلاحظ أنَّ الأمر الذي جعله إقبال موضعاً الثناء على الزهراء فاطمة وزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زهدهما، وهو أمر لا يتحقق إلا لأصحاب المباديء اللذين تصغر الدنيا في أعينهم ولا يجدون سعادتهم إلا في تحقيق العدالة الاجتماعية لجميع الناس، وهو أمر سعى من أجله جيل المؤمنين الذين تربوا في كنف الرسول المصطفى، وزهد الزهراء ينبع أيضاً من شدة التحامها بسيرة أبيها العطرة الذي كان يمضي الأيام والليالي الطوال وقد شدَّ على بطنه الحجر من شدة جوعه.

---

(١) نساء خالدات في ظل الإسلام، د. نوال نوري عزت، مطبعة الانتصار، الموصل، ٢٠١٠، ٨٥.

(٢) التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان): د. محمد أبو موسى، دار التضامن، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٣٢.

وتتابع الصور في هذه الأبيات، وتحقق الصورة مفارقة تمنح الأبيات شعريتها حين يقارن بين الإيوان والكوخ، والصورة على غناها وعمق فاعليتها تخدم المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله إلى المتلقي (إنها لا تشغل الانتباه بذاتها إلا لأنها تريد أنْ تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه، وتُفاجئنا في تقديمه)[١].

ثم ينتقل الشاعر إلى مزية أخرى للزهراء في تتابع سريع لخصالها الرائعة، إنها أم للحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، يبلغ التعبير الانفعالي للشاعر مداه، حين يتم الربط الواجب بين أفراد عائلة سارت على الخطى النبوية الشريفة كما في قوله:

في روض فاطمة نما غصنان لم ... ينجبهما في النيرات سواها

فأمير قافلة الجهاد وقطب دا ... ئرة الوئام والاتحاد إبناها

حسن الذي صان الجماعة بعدما ... أمسى تفرقها يحل عراها

ترك الخلافة ثم أصبح في الديا ... ر أمام الفتها وحسن علاها

وحسين في الأحرار والأبرار ما ... أزكى شمائله وما أنداها

الزهراء الأم الرؤوم والمربية الفاضلة صاحبة القلب الكبير الذي يفيض حبا ورحمة على العالمين، فكيف بأقرب الناس إليها أفراد أسرتها، فقدمتْ أفضل نموذج في العلاقة الأسرية والتربوية، وهذا طبيعي لأنها ابنة مربي الأمة والبشرية، وأخذت منه الهدي والسمت النبوي الذي ارتقى بها حتى صارت مثالاً في العفة والزهد والعلم والورع، فكانت هي كما كان والدها قدوة وأسوة ومدرسة ومنبعا للعلوم لأفراد أسرتها، ولتقدمَ للعالم أفضل تجربة في فن العلاقة الأسرية والتربوية، وصناعة أفراد يملكون القدرة على البناء ومواجهة التحديات، إنَّ كون الصورة تتمتع بمثل هذه الأهمية في الشعر، وكونها جوهر الإبداع الشعري، يعني بالتالي أنّ أيّة دراسة للشاعر لا يمكنها أنْ تكون كاملةً إلا إذا قامت على أساس دراسة الصورة الشعرية عنده.

وقد تنبّه جاكبسون في عصرنا الحاضر لهذا الأمر، فأشار إلى "دور الصورة الشعرية في عملية الخلق الفني"، وبيّن لنا مكانتها من النص الشعري، "فهي عنصر حيوي في النص الشعري"؛ لهذا "يجب أنْ تُحلَّل في إطاره".

وقد أولى هذا الناقد "الأهمية الكبرى للسياق والتجربة الشعرية الكلّية في تحليل الصورة الشعرية، وفَهْم أبعادها، فعلاقتها بالسياق والموقف الشعري ذات تأثير في فهم النص وبنيته الكلية، كما أنَّ لعلاقات الصور بعضها ببعض أثراً في هذه البنية". ومما دفع

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ٣٢٨.

جاكبسون إلى إعطاء الصورة في النص الشعري هذه الأهمية، كونها "تحمل إلينا رؤية الكاتب للعالم، وهي عنده واسطة للتعبير عن المعنى، تخرج باللغة من مستوى إلى آخر، وتصبّ فيها مواقفه النفسية والفنية والاجتماعية. لذلك كانت دراسة هذه الصورة أمراً هاماً في التحليل البنيوي للنص"[١].

إنَّ التشكل الصوري للنص أساسي ومحوري فيه، والملاحظ تنوع مرجعيات الصورة فيه فهناك مرجعيات تاريخية حاضرة استدعاها الشاعر من وحي تعلقه بتاريخ آل البيت الكرام وسيرتهم العطرة:

وتعلموا حرية الإيمان من	**صبر الحسين وقد أجاب نداها**
فتعلموا ري اليقين من الحسين	**ن إذا الحوادث أظلمت بدجاها**
الأمهات يلدن للشمس الضيا	**ء وللجواهر حسنها وصفاها**

وشعر إقبال فيه الكثير من اللمحات التاريخية (إنَّ دراسة شعر إقبال تزودنا بمعلومات وحقائق جديدة إذا تفحصنا في غضون دراساته التاريخية، ورأينا إلى أي مدى تستطيع هذه الومضات التاريخية في شعره الحي أنْ تسعف رواد مناهل العلم والبحث الذين يريدون الاستفادة من التجارب الحضارية التاريخية في النص الشعري يمكن أنْ يشكل عقبة أمام الانطلاق في شعرية النص، لأنَّ النص الشعري بطبيعته ينحو نحو الانزياح عن لغة الكتابة الاعتيادية وهذا يحقق للنص اتساعا في المعنى، ولكنَّ إقبال اقتحم التاريخ ليُشكل من سيرة الزهراء قصيدة، لأنَّ الزهراء ليست شخصيةً اعتيادية مألوفة، ولا هي شخصية تقليدية، إنها شخصية تحتل العمق الروحي والفكري الذي مكّنها من التأثير في حركة التاريخ.

إنَّ علينا التوسع في قراءة النص الشعري لإقبال في ضوء النظريات النقدية الحديثة وأعتقد أنَّ الباحث سيرى في نظرته إلى الزهراء أبعادا تربوية وتوجيهية قيمة، إنَّ إقبال لم يستدعِ التاريخ ليقع في أسره إنه يجعل التاريخ في رأس المسيرة نحو الإحياء الشامل لمسيرة الأمة الإسلامية التي أُصيبت بالوهن، وهو في دعوته الإحيائية جعلت الباحثين في شعره يقولون: (إنَّ الثورة والتمرد يحتلان مركز تفكير إقبال)[٢].

---

(١) طريقة جاكبسون في دراسة النص الشعري لعبد الفتاح المصري، مجلة الموقف الأدبي، العدد ١٢٢، حزيران، ١٩٨١، ٣٨

(٢) ديوان محمد إقبال، مقدمة الدارس، ٤٤/١

(٢) ديوان محمد اقبال، ٧٣/١

صورة السيدة المثالية:

واشتهر عن الرسول (ص) قوله: (كَمُلَ من الرجال كثير، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلاّ أَرْبَعٌ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وآسْيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ")[1]. فالرسول قدَّم فقاطمة للمجتمع الإسلامي على أنها امرأة كاملة فما وجه الكمال في شخصيتها التي رصدها شاعر إسلامي لديه القدرة على استكشاف مواطن الجمال والقوة في الشخصية الإنسانية؟.

إنَّ المرأة وفق المنظور الإسلامي تكون في شخصيتها وفي هويتها شخصية مستقلة وجسدت النصوص هذه الاستقلالية وعبّرت عنها. وانطلاقاً من هذا الفهم لشخصية المرأة وفق المنظور الإسلامي يمكن أنْ نقول بأنَّ المرأة تتحمل المسؤوليات العامة في المجتمع الإنساني، كما يتحملها الرجل على حد سواء. وقد يختلف الحال في تقسيم الأدوار، فيكون لشخص ما دور ما ولشخص آخر دور آخر وهكذا، لكن من حيث الأساس في حركة المجتمع تكون الواجبات واجبات مشتركة.

إنَّ إقبال يرى أنَّ فاطمة قدوة، والقدوة لا تكون إلا لمن تهيَّأت لديه قدرات نفسية وعقلية وسيرة صالحة للاقتداء، وقد قدَّم إقبال صورة لفاطمة مستوحاة من تأثيرها في بيئتها الإسلامية، فالبيئة (تمثل مصدراً رئيساً لدى المبدع، فعبرها يكوّن صوره وأخيلته التي تعتمد بالكلية على التأثر الفعلي بما هو حوله، وبما يتلقفه أو قد تلقفه عقلهن ليتفاعل الواقع مع ما هو عقلي، فيمتزجان ليكونان صورة بديعة ترجمتا كلمات خاصة عبرت عن أحاسيس خاصة، ولتميز هذا المبدع عن ذلك)[2] يقول:

مـــا ســـيرة الأبنـــاء إلا الأمهـــا ... ت فهـــم إذا بلغـــوا الرقـــى صـــداها

هـــي أســـوة للأمهـــات وقـــدوة ... يتـرســـم القمـــر المـــنير خطاهـــا

وصورة أخرى يقدمها إقبال من وحي حبه وتعلقه بالزهراء، هي تعلقها بالمجتمع الإسلامي، وخدمته بكل ما أوتيت بالرغم من شظف العيش وحياة الزهد التي اتسمت بها حياتها، ويمكننا القول أنَّ الزهراء كانت في بيت الزوجية قدوة لمن جاء بعدها من الزاهدات العابدات اللواتي امتلأت كتب الرقائق والزهد بذكرهن، يقول:

لمـــا شـــكا المحتـــاج خلـــف رحابهـــا ... رَقَـــتْ لتلـــك النفـــي في شـــكواها

---

(١) الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين إمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، ٨٥.

(٢٠) عامريات ابن دراج القسطلي، وسام قباني، وزارة الثقافة، دمشق، الهيئة العامة للكتاب، د.ت، ٤٨٤.

جـــادت لتنقـــذه بـــرهن خمارهـــا ... يـــا ســـحب أبـــن نـــداك مـــن جـــدواها

وتتابع الصور بشكل متدفق في النص وهذه ميزة واضحة في النص حتى أنَّ هذه الصور هي التي شكلت معظم البناء الفني للنص. وهو يتواصل بتشبيه الزهراء في تقديم الزهراء بالتقية العابدة الزاهدة التي هجرت الدنيا وارتضت العيش الكفاف، وهي في ذلك تقتبس من هدي النبوة وتسير على خطى أبيها المصطفى وتقتدي أيضاً بسيرة زوجها الذي كانت سيرته شكلاً من أشكال التجسيد الفعلي للتعاليم الإسلامية يقول:

نـــور تهـــاب النـــار قـــدس جلالـــه ... ومنـــى الكواكـــب أن تنـــالَ ضـــياها

جعلـــت مـــن الـــصبر الجميـــل غـــذاءها ... ورأت رضـــا الـــزوج الكـــريم رضـــاها

فمهـــا يـــردد أي ربـــك بينمـــا ... يـــدها تـــدير علـــى الـــشعير رحاهـــا

بلَّـــتْ وســـادتها لآلـــئ دمعهـــا ... مـــن طـــولِ خـــشيتها ومـــن تقواهـــا

جبريـــل نحـــو العـــرش يرفـــع دمعهـــا ... كالطـــل يـــروي في الجنـــان رباهـــا

إنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تؤكدان أنَّ المرأة من حيث هويتها الإنسانية تحظى وتتصف بهوية كاملة في ولا يوجد فيها أي جانب من جوانب النقص في هذه الهوية يعيق حركتها الإنسانية التكاملية، وسيرة الزهراء فاطمة بما تحمله من قيم إسلامية وإنسانية راقية تجسيد حي لها، لقد وقفت فاطمة مع أبيها في محنة دعوته، وتحملت معه وهي طفلة صغيرة أهوالاً لا تحتملها الجبال الراسيات، كانت تشاهد كفار مكة وهم يلقون القاذورات على رأس المصطفى الشريف مستهزئين به وبدعوته، فينتابها البكاء وما أصعب أن ترى البنت أباها بهذا الموقف فتتجه إليه لتزيح ما ألقى الكفار على رأسه الشريف.

كانت الزهراء مشاركة فعالة في الدعوة منذ أن وعت الحياة وتعلمت أنْ تتحمل كلَّ أشكال الأذى في سبيل هذه الدعوة وما استكانت بل بقيت ثابتة رابطة الجأش.

وعندما استقرت الأمور للمسلمين في المدينة وصار الرسول المصطفى الحاكم الفعلي للمدينة وصار زوجها علي بن أبي طالب قائداً لسرايا المسلمين ونائبا للرسول أحيانا أُخر على المدينة، لم تُنسِ هذه المناصب فاطمة حقيقة الدعوة وعاشت زاهدة قانعة بالقليل من القوت، وما عرف عنها أبدا أية قصة تشير إلى استغلال السلطة أو النفوذ كما يقال في عصرنا الحاضر.

لغة النص:

إنَّ نسيج المعاني عند إقبال ليِّن الملمس، مألوف الألوان، يرسم الأفكار الواضحة في صورة وألفاظ وتراكيب تتفق وطبيعة هذه الأفكار، إنَّ معاني النص عميقة الغور جاءت

بصياغة موائمة لها، بمعنى إنها تخلو من الجزالة والفخامة ولكنها صياغة عذبة رشيقة تعتمد في تأثيرها على مجموع النص لا على جزئياته فقط، وصوره في النص تُكمل بعضها بعضاً ومن مجموع الصور التي صاغها تتشكل صورة كلية للزهراء فاطمة.

إنَّ البساطة هي السمة الغالبة على النص، بساطة المفردات، وبساطة التراكيب، وبساطة الصور، مع رقة الألفاظ وعذوبتها، وقد أكثر من الاستفهام في قوله:

هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي أم من؟ من ذا يداني في الفخار اباها

وكأنه في حالة حوار دائم مع نفسه ومع الآخرين للإجابة عن سؤال يدور في النص (ما هو وجه العظمة في شخصية الزهراء؟) وكأنه في تعدد الاستفهام يقول لنا إنَّ العظمة ليست محصورة في جانب واحد، وجاءت بعض أبيات القصيدة مدورة لتعطي دلالة على الاستمرارية في تشكل المعنى أو المعاني، إنها أوجه للعظمة مستمرة خالدة بخلود ذكرها وخلود تأثيرها في محبيها.

وقد تمكن الشاعر من صياغة القصيدة بهذه السلاسة وبهذا الرقة والنعومة لتناسب رقة الحديث عن امرأة، وكأنه يحاول أيضاً أن يُعزيها بشظف العيش وشدة معاناتها منذ كانت طفلة وقفت مع أبيها المصطفى (ص) بهذه الألفاظ الرقيقة النابعة من قلب شاعر محب يميل كثيرا إلى حب المتصوفة ووجدهم، ولا غرابة في ذلك فهو في معظم شعره ينطلق من رؤى صوفية متأتية من تواصله مع الأدب والفكر الصوفي لا سيَّما جلال الدين الرومي.

ونلاحظ القدرة الفائقة لإقبال في اختيار الألفاظ المناسبة وبناء العبارة المسبوكة مما أدى إلى توليد الموسيقى الداخلية في النص المتفاعلة مع الموسيقى الخارجية. وقدرته الفائقة على توليد الموسيقى تنبع من طبيعته الشاعرة المرهفة التي عشقت الجمال وتربيت في أكنافه، وعلى هدا الأساس تندمج الموسيقى الداخلية مع الموسيمى الخارجية للنص بالأبعاد الإيحائية داخل النص.

إنَّ الدلالة الإيحائية لصوره المتكررة تشحن فضاءات النص بثراء وجداني وحرارة عاطفية محدثة تحولا آخر للدلالة حين يصير معادلاً رمزيا للتضحية.

إنَّ النص يستند إلى تتابع مفرط للأفعال بانتقالةٍ سريعة من الماضي إلى المضارع والأمر بحركة داخلية سريعة التغير تَعبر الإحالة إلى سلسلة من الإحالات التي تُسهم في تعميق دلالات النص، ومحدثة هزات نفسية متتابعة عبر سلسلة الانتقالات التي تحدث أثرها في المتلقي، فثمة ذات يخاطبها الشاعر هي ذات الزهراء وينقل عبر الحديث عنها صوتها إلى الأمة عبر طرح الأسئلة والإجابة عنها.

الحضور الحاشد للأفعال وتراكماتها تشكل ملمحا أسلوبياً يؤدي دوره الدلالي بما يصاحب ذلك من انتقالات تُجسد الحركة التي يريد إقبال للأمة أنْ تنهض بها فهو لم يبق مأسوراً بالماضي بل تنوعت انتقالاته الزمانية إلى الحاضر والمستقبل فـ (الأفعال مادة لغوية ضرورية في تكوين الجمل والأساليب وهي أحداث تتضمن أزمنة مختلفة . في الأعم الأغلب . تناسب المعاني التي يقصدها المتكلم عند التعبير عن الماضي أو الحال، أو الاستقبال الذي تتضح وظيفته في السياق)[1].

المصادر والمراجع:

١- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين إمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦.

٢- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ن. ت.

٣- الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام، شيخ الإسلام الإمام محيي الدين أبي زكريا النووي، تحقيقك أحمد راتب حمّوش، دارالفكر، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م

٤- التصوير البياني(دراسة تحليلية لمسائل البيان): د. محمد أبو موسى، دار التضامن، القاهرة، ١٩٨٠م.

٥- الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د. علي الجابري، مطبعة الجامعة بغداد، ١٩٩٨.

٦- ديوان محمد إقبال إعداد سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥.

٧- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

٨- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور.

٩- صحيح الامام البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري دار ابن كثير، اليمامة – بيروت لطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كليه الشريعه جامعه دمشق

١٠- عامريات ابن دراج القسطي، وسام قباني، وزارة الثقافة، دمشق، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

١١- علل الشرائع، جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي المشهور بالصدوق، مطبعة النجف، د. ت.

١٢- طريقة جاكبسون في دراسة النص الشعري لعبد الفتاح المصري، مجلة الموقف الأدبي، العدد ١٢٢، حزيران، ١٩٨١، ٣٨.

١٣- نساء خالدات في ظل الإسلام، د. نوال نوري عزت، مطبعة الانتصار، الموصل، ٢٠١٠. ❖

---

(١) الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د. علي الجابري، مطبعة الجامعة بغداد، ١٩٩٨، ٤٥.

أين تكمن قيمة المطالبة بفدك
أمام عظمة الزهراء (ع)

✍ م. م علي إبراهيم الموسوي (البصير)
د. هناء كاظم خليفة(*)

لقد تفاوتت أحداث التاريخ الإسلامي فيما تركته من الأثر على مجريات الأمور في عمر هذه الأمة، فمنها ما كان تأثيره وقتياً بغض النظر عن مدى قوته، وأخر ظل تأثيره حتى يومنا هذا فاختلفت الآراء في التفاعل معه والحكم عليه كقضية (فدك) واختلاف الحكومات الإسلامية المتعاقبة في التعاطي معها والتعامل مع نتائج ذلك التعاطي، ومن هنا جاءت رؤيتنا لتسليط الضوء على هذه القضية المهمة والحساسة ولكن ليس على أساس سرد وقائع قصة فدك وأحداثها وإنما لإيضاح جوانب معنوية من خلال بيان قيمة فدك أمام عظمة الزهراء، فبعد التعريف بفدك وتبيين موقعها وما ذكره المؤرخون في حجم مزارعها أشرنا إلى كيفية تعامل الخلفاء مع قضية فدك فمنهم من حجبها عن أهل البيت (ع) ومنهم من ردها لهم حيث أنتها المحور الأول الذي حمل عنوان (فدك بين البداية والنهاية)، أما المحور الثاني فقد جاء تحت عنوان (أهم الدوافع في مطالبة الزهراء بفدك) أوضحنا فيه أن رفعة الزهراء وعلو مقامها يتسامى بها عن المطالبة بفدك من أجل وارداتها المادية فقط بالرغم من أنه حق من حقوقها، لكن سمو هذه النفس وطهارة ذاتها أعلى من أن تتحدد في أطار الجانب المادي الضيق فقط حيث أوضحنا أن هنالك جوانب دينية وسياسية واجتماعية دفعت سيدة نساء العالمين للمطالبة بهذا الحق، أما المحور الثالث الذي جاء بعنوان (أهم الاستنتاجات عن قضية المطالبة بفدك) فقد أوضحنا فيه أهم ما توصّلنا إليه من استنتاجات عن هذه القضية التي شغلت حيزاً واسعاً في التاريخ الإسلامي وأخيراً نقول بأننا لا ندّعي الكمال فيما قدمناه لأنه فوق كل ذي علم عليم ولكننا فتحنا منافذ جديدة لترى العقول والقلوب قبل العيون أن ماضي الزهراء (ع) قد سبق حاضر اليوم المتمثل بإعطاء الشعوب حقها في مناهضة الحاكم عن طريق الاحتجاجات السلمية من خلال الحجج المنطقية، هذا الشعار الذي تفتخر به اليوم الدول المتحضرة وضعت أساسهِ سيدة نساء العالمين قبل أكثر من أربعة عشر قرناً تقريباً، وفي الختام نسأل الباري سبحانه أن نكون قد وفقنا في خدمة أهل البيت (ع) وبلوغ شفاعتهم من خلال أحياء تراثهم المجيد.

(*) الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم التاريخ.

المحور الأول: (فدك بين البداية والنهاية)

الموقع:

قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاث[١] حيث تبعد عن المدينة بما يقرب من ١٤٠كم[٢]، وهي منطقة زراعية خصبة أعتبرت منطقة ارتكاز هامة لليهود بعد خيبر، حيث تكثر فيها العيون والينابيع ونخيلها يقدر بنخيل الكوفة في القرن السادس الهجري وكان جماعة من اليهود يسكنون فدك ويستثمرونها حتى السنة السابعة للهجرة، فلما حارب النبي محمد (ص) يهود خيبر لنقضهم العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله (ص) وفتح حصونهم وبقي حصنان أو ثلاث منها لم تفتح حاصرهم الرسول فلما اشتد بهم الحصار راسل أهلها رسول الله (ص) أن يؤمنهم على حياتهم وينزلوا له عن حصونهم وأرضهم، فقبل النبي بعرضهم هذا وما حدث يوم خيبر أرعب أهل فدك، ولكن اتفاقية أهل الحصون المحاصرة، مع النبي فتحت أمام أهل فدك باباً للأمل، فلما جاءهم رسول النبي يدعوهم إلى الإسلام أبوا أن يدخلوا الإسلام ولكنهم عبّروا عن استعدادهم عن تقديم نصف أرضهم للنبي مع الاحتفاظ لأنفسهم بالنصف الآخر على أن يعملوا في أرضهم وارض رسول الله (ص) ومتى شاء النبي أن يَجليهم عن أرضهم فَعَلَ شريطة أن يعوضهم عن أتعابهم وأرضهم، فصارت ملكاً لرسول الله[٣] بنص القرآن الكريم ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤]. فلما دخل رسول الله (ص) المدينة بعد استيلاءه على فدك دخل على فاطمة (ع) فقال: - يا بنية إن الله قد أفاء على أبيك بفدك، واختصه بها فهي له خاصة دون المسلمين، افعل بها ما أشاء، وإنه قد كان لأمك خديجة على أبيك مهر، وإن أباك قد جعلها لك بذلك، وإن حلكها لك ولولدك بعدك فدعا بأديم ودعا بعلي بن أبي طالب وقال اكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله، فشهد على ذلك علي بن أبي طالب ومولى لرسول الله وأم أيمن[٥]

مصير فدك بعد رسول الله:

ظلت فدك بيد السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) حتى وفاة رسول الله(ص)، إلا إن الخليفة الأول انتزع فدك من يد الزهراء (ع)[٦] وأصبحت من المصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يوم ذاك[٧] وقد اجتهدت الزهراء في المطالبة بحقها في فدك واحتجت بجملة من الاحتجاجات على الخليفة ولكن دون جدوى[٨]، ولكن عندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة أعاد فدك إلى ورثة رسول الله (ص)[٩] وبقيت فدك في حوزة أهل البيت (ع) حتى تولى عثمان بن عفان الخلافة فأسترجعها إلى ملكية الدولة ومن ثم أقطعها إلى مروان بن الحكم[١٠] وبعد ذلك اختلفت روايات المؤرخين في شأن فدك فبعضهم ذكر بأن أمير المؤمنين (ع) لم يطالب

بفدك حيث اتبّع فيها سيرة أبي بكر، ولو كان يعلم بصواب الزهراء وحقها في المطالبة بها ما انتهج ذلك النهج[١١] إلا إن أكثر المؤرخون نقلوا رسالة أمير المؤمنين إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف والذي جاء في بعضها "بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما ظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين"[١٢]، وهذا أوضح دليل على رأي أمير المؤمنين في مسألة فدك وعلى ما يبدو إن عدم التعرض لقضية فدك في خلافة أمير المؤمنين راجع إلى تولي الإمام (ع) مهام الخلافة وبذلك رجع الحق إلى أهله الشرعيين، ومن الممكن أن يكون أهل البيت اختصوا بحاصلات فدك آنذاك وليس في هذا التخصيص ما يوجب إشاعة الخبر حيث أن المال في حوزة أهله الشرعيين أو إن أهل البيت كانوا ينفقون واردات فدك في مصالح المسلمين، لذلك لم يصرح التأريخ بوضوح عن التجاذبات في شأن فدك خلال هذه الفترة.

وعندما استولى معاوية على الخلافة قسم فدك مثالثة بين مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان وابنه يزيد وقد خلصت لمروان أيام حكمه واقطعها إلى ابنه عبد العزيز الذي أورثها بدوره إلى أولاده ومنهم عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) الذي اشتراها من أخوته ثم كتب لعامله على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم إن يرد فدك على أولاد الزهراء فعاتبوه بني أمية على ذلك فرد عليهم قائلاً "إنكم جهلتم وعلمت، ونسيتم وذكرت إن رسول الله (ص) قال (فاطمة بضعة مني يسخطني ما يسخطها ويرضيني ما يرضيها)[١٣] وعندما صار أمر فدك إلى مروان وهبها إلى عبد العزيز أبي فورثتها أنا وإخوتي فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها فمن بائع وواهب حتى استجمعت لي، فرأيت أن أردها على ولد فاطمة"[١٤].

ثم انتزعها يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ) من أولاد فاطمة فصارت عند بني مروان حتى هلكت دولتهم[١٥].

فلما قام أبو العباس السفاح بالأمر(١٣٢-١٣٦هـ) ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين ثم قبضها المنصور في خلافته (١٣٦ ـ ١٥٨هـ) من بني الحسن، ثم ردها المهدي (١٥٨ ـ ١٦٨هـ) على الفاطميين ثم قبضها موسى بن المهدي منهم (١٦٩هـ) وظلت في أيدي العباسيين حتى تولى المأمون الخلافة (١٩٨ ـ ٢١٨هـ) فردها إلى أولاد الزهراء وعندما بعث برسالة إلى عامله على المدينة قثم بن جعفر جاء في بعضها "...إن أمير المؤمنين رأى رد فدك إلى ورثة فاطمة بنت رسول الله بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها وما فيها من الرقيق والولاة وغير ذلك وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب..."[١٦].

ولما بويع المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ) انتزعها من الفاطميين واقطعها عبد الله بن عمر البازيار وكان فيها إحدى عشر نخلة غرسها رسول الله بيده الكريمة فوجه عبد الله بن عمر بن البازيار رجل يقال له بشران بن أمية الثقفي إلى المدينة فصرم تلك النخيل ثم عاد إلى البصرة ففلج[١٧].

هذا باختصار هو حال فدك بعد رسول الله حيث لم ترد فدك إلى أولاد الزهراء بعد عهد المتوكل العباسي وقد رأينا هذا الاضطراب الواضح في تعامل أكثر الخلفاء مع قضية فدك وهذا أوضح دليل على إن فدك أخذت حيزاً سياسياً ودينياً واقتصادياً تراوح بينها فعل الخلفاء فبين إقدام وتردد نرى إن احدهم يرجعها إلى أبناء الزهراء وسرعان ما يأتي الآخر فتكون قضية فدك القضية الأولى في جدول أعماله بل يذهب إلى الانتقام بأولئك النفر التي رُدت إليهم ففي عين الله ما عاناه أهل البيت من قتل وتشريد وتنكيل واهتضام ومحاسبة على أمر لم يكن لهم يداً فيه سوى إن ذلك الخليفة شعر بنوع من الذنب أو سعى مجتهداً ليخلد في التاريخ فأمر بإرجاع فدك فتكون بعد ذلك وبالاً على أهلها الشرعيين فأنا لله وأنا إليه راجعون.

المحور الثاني: (أهم الدوافع في مطالبة الزهراء بفدك)

إن أي إنسان له أدنى درجات الاطلاع على السيرة العطرة للسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) يستطيع أن يستنتج من مقارنة بسيطة، وهو إن سمو نفس الزهراء وبلوغها أتم درجات الزهد، وارتقائها قمة التقوى، وتربعها على عرش الأخلاق، وغيرها من الخصال والصفات التي يعجز العقل السليم عن الإحاطة بها قد سمت بها إلى أسمى منازل الرفعة وأعلى درجات الكمال، إن لا يكون الجانب المادي هو الدافع الأساس لسعي الزهراء المتواصل في المطالبة بفدك حتى وان كان حقاً من حقوقها، لان هذه الذات الطاهرة وما عرف عنها من الزهد عن هذه الدنيا وزخارفها، كانت تماماً بمعزل عن جميع مغريات الدنيا، إذن فما الذي دعاها إلى هذه المبادرة والى هذا السعي المتواصل والجهود المستمرة في طلب حقوقها، وما سبب هذا الإصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأراضي والنخيل مع ما كانت تتمتع به السيدة فاطمة (ع) من علو النفس وسمو المقام وما الداعي إلى طلب الدنيا التي كانت عندهم ازهد من عفطة عنز[١٨] وأحقر من عظم خنزير في فم مجذوم، واهون من جناح بعوضة[١٩]، إذن لابد إن تكون هنالك جملة من العوامل والأسباب التي دفعت بالزهراء للقيام بهذه النهضة وتجشم الصعوبات المجهدة للمطالبة بأراضيها وهي تعلم إن مساعيها سوف تبوء بالفشل وإنها لا تستطيع التغلب على الموقف، لكن محاولتها كانت من باب إلقاء الحجة الظاهرة ليس إلا، وبعد هذه المقدمة البسيطة يمكن أن يتبادر لأذهاننا جملة من التصورات مع يقيننا إن هذه التصورات أيضاً ليست هي كل الأسباب التي دفعت بالزهراء للقيام بهذه الثورة.

١ ـ الجانب الديني:

لقد أخبرنا التأريخ عن الموقع الريادي لأهل البيت (ع) في كيفية التعامل مع الفقراء والمساكين وسد حاجة المعوّزين بحيث كانوا يصلون بعطائهم لمن يسألهم حد الغنى، بل كانوا يعطون كل ما يملكون، وهنا فأن التبرع ببعض حاجات الإنسان ومستلزمات حياته اليومية دليل قاطع على كرم نفسه خاصة إذا كانت تلك الحاجات ثمينة نوعاً ما، ولكن على ماذا يدل تبرع الإنسان حتى بقوت يومهِ ، فهذه سورة الإنسان تخبرنا عن كيفية تصدّق أهل البيت (ع) بقوتهم لثلاث أيام متتالية لمسكين واليتيم والأسير ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾[٢٠].

فإن القرآن الكريم إذا خلد هذه الحادثة إنما خلدها لصفاء وصدق نية المتصدق والانقطاع المطلق في هذه الصدقة لله سبحانه وتعالى حتى إنهم لا يريدون من المتصدّق عليهم أدنى درجات الشكر والعرفان عن الجميل المزدى إليهم، فهل إن مثل أهل البيت (ع) يستطيعون إن يعيشوا دون أن يكون لهم مورداً اقتصادياً خاصاً بهم يدّر عليهم مقداراً معيناً وان كثر فأنه يقيناً لا يصل إلى مقدار قصد الناس إليهم، والى رغبة أهل البيت (ع) العالية في عدم إرجاع أي سائل يطرق بابهم، فضلاً عن إن الصدقة تحرم على أهل البيت(ع)[٢١]، فبالتأكيد كان المنظار الأول للزهراء في مطالبتها بفدك من هذه الزاوية فهي التي سجلت رقماً قياسياً بالتبرع بأحسن ما عندها وفي أجمل أيام عمرها المبارك عندما تبرعت بثوبها الذي أهداه لها أباها الكريم في ليلة زفافها فامتنعت عن إعطاء السائل اقل من أحسن وأفضل شيء عندها وتسامت إلى درجة الكمال لتبلغ مصداق الآية المباركة ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٢٢] فيقيناً إن الجانب الديني هو الدافع الأول الذي دفع الزهراء للمطالبة بفدك لما لهم من الصدارة في هذا الجانب.

٢ ـ الجانب السياسي:

إن الزهراء في مطالبتها بفدك أرادت فضح السلطة وإظهارها على حقيقتها للرأي العام الموجود آنذاك والأجيال اللاحقة فهي لا تتورع عن سلب واغتصاب فيء رسول الله (ص) حتى وهو في يد ابنتهِ وبضعتهِ التي قال عنها "فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن سرها فقد سرني ومن أغاظها فقد أغاظني"[٢٣]، فما قيمة الادعاء بالخلافة أمام وضوح هذا الحق خاصة وان هنالك من يؤيد عدم ترشيح أمير المؤمنين للخلافة لمواقف سياسية وعصبيات جاهلية يطول المقام في ذكرها، فلو استجابت السلطة لدعوة الزهراء في فدك لكانت في موقف لا تحسد عليه فيما إذا تقدمت الزهراء بعد ذلك ودعت بأحقية أمير المؤمنين في خلافة رسول الله (ص) فالتسليم بصدق الزهراء بدعوى فدك يعني إن السلطة قد سجلت على نفسها إن الزهراء صادقة فيما تدعيه من غير

الحاجة إلى بينة أو شهود، فالزهراء في هذه المبادرة جعلت السلطة بين أمرين أما الاستجابة لمطلب الزهراء والاعتراف لها بأحقية فدك ومن ثم الوقوع بالمحذور بالنسبة للسلطة والتسليم بالتنازل لأمير المؤمنين عن حقه بالخلافة أو منع الزهراء عن حقها في فدك وقطع الطريق عليها في الوصول إلى مبتغاها الحقيقي من خلال مطالبتها الظاهرية بفدك.

٣ ـ الجانب الاجتماعي:

إن حملة المبادئ الذين يستندون على أسس عقائدية رصينة يتشبثون بشتى الوسائل الصحيحة لإيصال صوتهم إلى العقول والقلوب السليمة، فالزهراء جعلت من الأخلاق والأسلوب المنطقي والاحتجاج بالأدلة والبراهين الشرعية والاجتماعية والاحتجاج السلمي والتظلم أساساً لها في أدعائها بفدك لذلك كان أسلوب الزهراء أكثر تأثيراً في النفوس السليمة والعقول الناضجة بحيث أخذت مسألة فدك حيزاً واسعاً جداً في التأريخ الإسلامي بسبب ذلك الأسلوب حيث توفرت فيه جميع عوامل النجاح فهوا يستند على أساس ديني وقانوني وأنساني بحيث استجاب له قسماً وأيده قسماً وتعاطف معه قسماً أخر، وبين هذه الأحوال اشمئزت نفوس أغلب الطبقات من أي ظالم كائن من كان، ففطرة الإنسان تدفعه للاستجابة للمنطق السليم والتعاطف مع المظلوم أيضاً كائن من كان فالزهراء في دعواها بفدك سجلت نجاحاً اجتماعياً على مختلف الصعد وفي نفوس مختلف طبقات المجتمع.

٤ ـ الجانب الاقتصادي:

أن مثل الزهراء بكل ما تحمل من معاني وقيم ومبادئ سامية تعرفها العقول وتأيد أنها زاهدة عن زخارف الدنيا وزينتها، لكن ما يجب معرفته أن فدك ليست أرضاً صغيرة أو مزرعة متواضعة كما يعتقد البعض، أنما كانت مورداً مهماً وكبيراً جداً تدر على صاحبها أموال طائلة تشكل ثروة مهمة ونحن لسنا بصدد تحديد حاصلها السنوي، فقد تفاوتت الروايات في دلك، ولكن أهم ما يوضح قيمتها المادية ما يأتي:

أ ـ إن السلطة منعت الزهراء من فدك لضعف المالية العامة للسلطة وحاجتها للقوة والتسليح لما يتهدد الموقف من حروب الردة ومواجهة التمردات والتعامل مع المستجدات والمتغيرات المتوقع حدوثها يوضح لنا بشكل جلي عن واردات فدك بحيث يُستعان بها على ما ذكرنا فضلاً عن تقوية ميزانية الدولة ومواجهة المتغيرات في تلك الظروف الحرجة فلا بد إن تكون فدك ذات نتاج عظيم.

ب ـ قول الخليفة لفاطمة في محاورة له معها حول فدك أن هذا المال لم يكن للنبي وإنما كان مالاً من أموالاً المسلمين يحمل به النبي الرجال وينفقه في سيل الله[٢٤]، فأن تحميل الرجال لا يكون إلا بمال كثير يتناسب وإعداد الجيش ونفقاته آنذاك.

ج - ما سبق من تقسيم معاوية فدك أثلاث وإعطائه لكل من يزيد ومروان وعمرو بن عثمان[٢٥] فأن هذا يدل على مدى الثروة المجناة من تلك الأرض فأنها بلا شك ثروة عظيمة تصلح لأن توزع على أولئك الأشخاص الثلاثة فهم من أصحاب الثراء العريض والأموال الطائلة.

د - التعبير عنها بقرية كما في معجم البلدان [٢٦] وتقدير بعض نخيلها في القرن السادس الهجري بنخيل الكوفة [٢٧]، وهذا لا يعني أن مطالبة الزهراء بفدك لما لها من قيمة مادية كما أسلفنا بقدر ما تبغي الزهراء من استخدام قيمة فدك وتسخيرها في مرضاة الله من خلال مساعدة الفقراء والمساكين ولا داعي للإطالة فكلامنا لا يضيف على ما عُرفت به الزهراء في هذا الجانب ولكن ما أريد بيانه أن لهذه الأسباب ولغيرها قامت الزهراء وتوجهت نحو مسجد أبيها رسول الله (ص) لأجل المطالبة بحقها، أنها لم تذهب إلى دار الخليفة أبا بكر (رض) ليقع الحوار بينها وبينه فقط، بل اختارت المكان الأنسب وهو المركز الإسلامي ومجمع المسلمين يوم ذاك، وهو مسجد رسول الله (ص) كما وأنها اختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصّاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار ولم تخرج وحدها للمسجد، بل خرجت في جماعة من النساء، وكأنها في مسيرة نسائية، وقبل ذلك تقرر اختيار موضع من المسجد لجلوس بضعة رسول الله وروحه التي بين جنبيه، وعلّقوا ستراً لتجلس السيدة الطاهرة (ع) خلف الستار، إذ هي فخر المخدرات وسيدة المحجبات، وقد استعد كل من حضر لاستماع ما تريد طرحه سيدة نساء العالمين، فخطبت السيدة فاطمة الزهراء خطبة ارتجالية منضمة منسقة، بعيدة عن الاضطراب في الكلام ومنزهة عن المغالطة والمراوغة، والتهريج والتشنيع، بل وعن كل ما لا يلائم عظمتها وشخصيتها الفذة فتحدثت وكانت مسلحة بسلاح الحجة الواضحة والبرهان القاطع، والدليل القوي المقنع، ولكن دخولها في ذلك اليوم كان لأول مرة بعد وفاة أبيها العظيم (ص) فلا عجب إذا هاجت بها الإحزان وأنّت أنة، أعجز أنا عن معرفة كنهها حيث تأثيرها البالغ في نفوس جميع من حضر، حيث أجهشوا بالبكاء بمجرد إن سمعوا صوت الزهراء (ع) فهل إن بكائهم كان حسرتاً على شيء مضى أم ندماً لأمراً اقترفوه أم لوماً على حقاً أضاعوه أم شعوراً بالذنب والتقصير لما أوصى به نبيهم الكريم حيث استودعهم ابنته الطاهرة وذريتها الكرام وتبقى جميع الاحتمالات مفتوحة في تفسير بكاء القوم ولعله الأجيال تجد أسباباً أخرى لذلك البكاء الذي لم نقف نحن عليه فإنا لله وإنا إليه راجعون.

المحور الثالث: (أهم الاستنتاجات عن قضية المطالبة بفدك)

كما أسلفنا في ما مضى إن عظمة الزهراء تسمو عن المطالبة بفدك لقيمتها المادية فقط، بل أرادت بعد جملة من الدوافع التي دفعتها لتلك النهضة المباركة إن تعطي للأجيال دروس ومعاني يعتبر منها أولي الألباب لان هذا من حق الأجيال عليها لما لها من رفعة المقام وعلو المنزلة ومن هذه الدروس ما يأتي:

١ - إن الإنسان وان كان زاهداً في الدنيا وراغباً في الآخرة فانه مع ذلك يحتاج إلى المال ليصلح به شأنه ويحفظ به ماء وجه ويصل به رحمه وينفقه في سبيل الله كما تقضيه الحكمة، أما ترى رسول الله وهو أزهد الزهاد كيف انتفع بأموال خديجة في سبيل تقوية الإسلام[٢٨].

٢ - إن الحقوق تؤخذ ولا تعطى فلا بد للإنسان المغصوب منه ماله إن يطالب بحقه لأنه حقه حتى وان كان مستغنياً عنه وزاهداً فيه وذلك لا ينافي الزهد وترك الدنيا، ولا ينبغي السكوت عن الحق.

٣ - قد تقتضي الحكمة إن يطالب الإنسان بحقه المغصوب فالأمر لا يخلو من أحد الوجهين إما إن يفوز الإنسان ويظفر بما يريد وهو المطلوب وبه يتحقق هدفه من المطالبة، وإما إن لا يفوز في مطالبته فلن يظفر بالمال فهو حين ذاك قد أبدى ظلامته وأعلن للناس انه مظلوم وإن أمواله غصبت منه، هذا وخاصةً إذا كان الغاصب ممن يدعي الصلاح والفلاح ويتظاهر بالديانة والتقوى فان المظلوم يعّرفه للأجيال انه غير صادق فيما يدعّي.

٤ - أرادت الزهراء (ع) إن تعرّف الأجيال كيفية المطالبة بالحقوق حتى إذا كان الخصم أعلى سلطة في الدولة وبذلك وضعت أساساً للاحتجاج السلمي الذي تنادي به اليوم الشعوب المتحضرة فإذا حصل الإنسان على مطاليبه فقد وصل مبتغاه وإذا حصل العكس فانه يكشف اللثام عن الوجه الحقيقي للخصم وخاصةً إذا كان الخصم يدّعي التقوى والورع كما أسلفنا فهو بذلك يضع الخصم أمام أمرين لا ثالث لهما إما إن يسلم ويعطي المظلوم حقه كي يحتفظ بصورة الورع والتقوى المعروف بها بين الناس، وإما إن يضطهد الخصم ويمنعه حقه وبذلك ينتهك بعض من حقوق الإنسان والتي تحتل اليوم مساحة واسعة في افق الشعارات التي تتظاهر اغلب الدول برفعها نظرياً لا عملياً، فهذا الشعار الذي له من الصدى المرتبة الأولى في هذا الزمان والذي تدّعيه الدول المتزّينة بزيّ الديمقراطية وضع أساسه أهل البيت (ع) منذ أربعة عشر قرناً تقريباً وطبّقوه عملياً من حيث احترام هذه الحقوق مع سائر الناس حتى مع أعدائهم، وعلى العكس حيث لم يعطى لهم أدنى درجة من هذه الحقوق، فتلك النفوس الطاهرة هم اللذين قابلوا الإساءة بالإحسان على مدى الزمان ولله في خلقه شؤون حيث يعلم أين يضع رسالته.

٥ - إن السلطة حينما صادرت أموال السيدة فاطمة الزهراء (ع) وجعلتها في ميزانية الدولة في الاصطلاح الحديث كان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت مادياً، وأرادوا أن يحاربوا علي محاربة اقتصادية، أرادوا إن يكون عليّ فقيراً حتى لا يلتف الناس حوله ولا يكون

له شأن على الصعيد الاجتماعي وهذه السياسة أراد المنافقون تنفيذها بحق رسول الله(ص) حيث قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢٩).

الخاتمة:

إن الكلام عن أي قضية أو شخصية يتطلب ولو معرفة أولية عن ظروف تلك القضية ومقام تلك الشخصية وكلامنا عن الزهراء الطاهرة (ع) يشعرنا بأننا نغوص في بحار لا نهاية لحدودها وأعماقها، وبمجرد تبادر هذا الشعور يقف العقل والقلم عاجزاً أمام أدنى درجات المعرفة بكنه هذه الشخصية الفذة، ولكن مبالغة بعض المصادر في جعل الجانب الاقتصادي الأساس المعتمد للزهراء في مطالبتها بفدك دفعنا لتسليط الضوء على أن الزهراء (ع) قد سبقت وقتها بمئات السنين حينما وضعت أساساً لمخاصمة أعلى سلطة في الدولة، وتعليم الأجيال عدم السكوت عن المطالبة بحقوقها بشرط التدرج في هذه المطالبة حيث يفضل الإنسان المصلحة العامة على مصلحتهِ الشخصية، فعندما أدركت الزهراء ما يهدد الأمة الإسلامية من مخاطر داخلية وخارجية عمدت على المطالبة بحقها بالوسائل السلمية ولم تدعو بنو هاشم وغيرهم ممن كانوا يذودون عن أهل البيت (ع) للأخذ بحقها ولأنها كانت تشعر بمسؤوليتها الكبيرة تجاه فقراء ومساكين الأمة كونها ابنة خاتم النبيين (ص) سعت للمطالبة بفدك لسد حاجة أولئك المحرومين فضلاً عن النقطة الرئيسية التي كانت الزهراء تسعى لبلوغها وهي جعل السلطة بين أمرين الأول الاعتراف بحق الزهراء بفدك بعد طرح الحجج والبراهين ومن ثم المطالبة بحق أمير المؤمنين في الخلافة بنفس الوسائل فإذا استسلمت السلطة للمطلب الأول فأن موقفها سيكون ضعيفاً أمام المطلب الثاني وما ستبلغه الأمة من الخير العميم إذا عاد الحق لأهله الشرعيين، وأما الأمر الثاني فأن السلطة أذا أدركت غاية الزهراء في مطالبتها الظاهرية بفدك للوصول إلى المقصد الحقيقي فأنها ستمنع هذا الحق المادي من خلال حجبها ومنعها للحق المعنوي الذي تقصده الزهراء (ع) وبهذا فأن الزهراء(ع) قد عرّفت الأجيال بماهية أولائك النفر، وقبل هذا كله وبعده إن الموقع الريادي لأهل البيت يفرض عليهم عدم السكوت عن أي ثغرة من شأنها إحداث صدعاً في الإسلام الذي جاؤوا به أهل البيت(ع) من خلال امتدادهم الطبيعي لسيد المرسلين وخاتمهم(ص)، وبهذا تكون مسؤولية الحفاظ على هذا الدين ونشره تقع على عاتق أهل البيت(ع) الذين لم يذخروا من جهدهم جهداً في حماية هذا الدين وتعاليمه، ولكن في عين الله ما عاناه أهل البيت (ع)، جميعاً في سبيل حفظ الرسالة وأداء الأمانة فجزاهم الله عن امة الإسلام خير جزاء المحسنين.

قائمة الهوامش:

١ ـ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي، ت (٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ل. ط، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٧٩م)، ج٤، ص٢٣٨.

٢ ـ السبحاني، الشيخ جعفر، السيرة النبوية، تعريب جعفر هادي، ط٢، مؤسسة الإمام الصادق(ع)، (قم، ١٤٢٥هـ)، ص١٨٥.

٣ ـ سعد أيوب، معالم الفتن، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (قم، ١٤١٦هـ)، ج١، ص٢١٤.

٤ ـ القرآن الكريم، سورة الحشر، آية ٦.

٥ ـ الراوندي، أبو الحسين قطب الدين سعيد بن عبدالله الحسيني، ت(٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق وإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط١، مؤسسة الإمام المهدي (قم، ١٤٠٩هـ)، ج١، ص١١٢؛ المجلسي، محمد باقر، ت(١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ل. ط، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت)، ج٢٩، ص١١٥؛ القزويني، السيد لطيف، رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ، ل. ن، (ل. م، د. ت)، ص١٠٠؛ القزويني، محمد كاظم، علي وفاطمة من المهد إلى اللحد، ط١، ل. ن، (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص١٨٦.

٦ ـ الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصري البغدادي، ت(٣٢٣هـ)، السقيفة وفدك، تحقيق د. الشيخ محمد هادي ألأميني، ط٢، شركة الكتبي للطباعة والنشر، (بيروت، ١٤١٣هـ)، ص١١٠؛ المجلسي، بحار لأنوار، ج٢٩، ص٣٩٣؛ المسعودي، الشيخ محمد فاضل، الأسرار الفاطمية، تقديم السيد عادل العلوي، ط٢، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة، (قم، ١٤٢٠هـ)، ص٤٦٩.

٧ ـ الصدر، السيد الشهيد محمد باقر، ت(١٤٠٠هـ)، فدك في التاريخ، تحقيق اللجنة التابعة للمؤتمر العالمي للأمام الشهيد الصدر، ط١، مركز الأبحاث والدراسات التخصّصية للشهيد الصدر، (قم، ١٤٢٣هـ)، ص٢٥.

٨ ـ بيومي، محمد، السيدة فاطمة الزهراء (ع)، ط٢، مؤسسة سفير أصفهان، (قم، ١٤١٨هـ)، ص١٧٢؛ القزويني، السيد لطيف، رجال تركوا بصمات، ص٩٧.

٩ ـ ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة اللهّ المدائني، ت(٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، (قم، ١٣٨٧هـ)، ج١٦، ص٢٥٢؛ ألأميني، الشيخ عبدالحسين احمد النجفي، ت(١٣٩٢هـ)، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٩٧هـ)، ج٧، ص١٩٤؛ الصدر، فدك في التاريخ، ص٢٦

١٠ ـ المغربي، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي، ت(٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرم والقضايا والأحكام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، ط٢، دار المعارف، (القاهرة، ١٣٨٣هـ)، ج١، ص٣٨٥؛ الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، ت(٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، ل. ط، دار النعمان للطباعة والنشر، (النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ)، ج١، ص١١٩؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، ت(٨٥٢هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ل. ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، د. ت)، ج٦، ص١٤١؛ الأميني، الغدير، ج٨، ص٢٣٧.

١١ ـ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٥٢؛ الصدر، فدك في التاريخ، ص٢٦.

١٢ ـ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٩، ص٣٥٠؛ العسكري، السيد مرتضى، معالم المدرستين، ل. ط، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٠هـ)، ج٢، ص١٤٩.

١٣ - المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ت(٤١٣هـ)، الأمالي، تحقيق حسين الأستاذوي وعلي أكبر غفاري، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٤هـ)، ص٢٦٠؛الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، ت(٤٦٠هـ)، الأمالي، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، (قم، ١٤١٤هـ)، ص٢٤؛ ابن شهر آشوب، مشير الدين أبي عبدالله محمد بن علي المازندراني، ت(٥٨٨هـ)، مناقب ال أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ل. ط، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ)، ج٣، ص١١٢؛ الحلي، الشيخ عز الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد، ت(ق٨هـ)، المحتضر، تحقيق حسين علي اشرف، ل. ط، منشورات المكتبة الحيدرية، (قم، ١٤٢٤هـ)، ص٢٤٠.

١٤ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٧٨؛ القزويني، السيد لطيف، رجال تركوا بصمات، ص١٠٠.

١٥ - ابن شعبة الحراني، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، ت(ق٤هـ)، تحف العقول عن ال الرسول (ص)، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٤هـ)، ص٣٤٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص١١٩.

١٦ - ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٤٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص١١٩؛ الأميني، الغدير، ج٧، ص١٩٦؛ المرعشي، السيد نور الله الحسيني التستري، ت(١٤١١هـ)، شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تحقيق السيد شهاب الدين المرعشي، ل. ط، منشورات مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، (قم، د. ت)، ج٢٥، ص٥٤٢.

١٧ - الجوهري، السقيفة وفدك، ص١٧؛ الشريف المرتضى، السيد أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين، ت(٤٣٦هـ)، الشافي في الإمامة، حققه وعلق عليه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ومراجعة السيد فاضل الميلاني، ط٢، مؤسسة إسماعيليان، (قم، ١٤٠٧هـ)، ج٤، ص١٠٢؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص١١٩؛ بيومي، السيدة فاطمة الزهراء (ع)، ص١٤٩؛ العسكري، معالم المدرستين، ج٢، ص١٦٥.

١٨ - الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت(٣٨١هـ)، علل الشرائع، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، ل. ط، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ)، ج١، ص١٥١؛ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة أهل البيت (ع) لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٢٨٩؛ الطوسي، الأمالي، ص ٣٤٧؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٢٨١.

١٩ - ؛المسعودي، الأسرار الفاطمية، ص٥١٢.

٢٠ - القرآن الكريم، سورة الإنسان، آية٨ - ٩.

٢١ - الطبرسي، ميرزا حسين النوري، ت(١٣٢٠هـ)، نفس الرحمن في فضائل سلمان، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مؤسسة الأفاق، (ل. م، ١٤١١هـ)، ص٦٠؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج٢، ص٣١٢.

٢٢ - القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية ٩٢.

٢٣ - البخاري، أبي عبدالله محمدبن اسماعيل، ت(٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ل. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤٠١هـ)، ج٤، ص٢١٠؛ النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن القشيري، ت(٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، ل. ط، دار الفكر، (بيروت، د. ت)، ج٧، ص١٤١؛ الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت(٢٩٧هـ)، سنن الترمذي، تحقيق عبدالرحمن محمد

عثمان، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، د. ت)، ج٥، ص٣٦٠؛ الصدوق، الأمالي، ط١، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، (قم، ١٤١٧هـ)، ص١٦٥، الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص١٨٦؛ الفتال النيسابوري، أبو علي محمدبن الحسن بن علي أحمد الفارسي، ت(٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق العلامة محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ل. ط، منشورات الرضي، (قم، د. ت)، ص١٥٠؛ النووي، أبي زكريا محيي الدين بن شرف، ت(٦٧٦هـ)، المجموع، ل. ط، دار الفكر للطباعة والنشر، (ل. م، د. ت)، ج١٧، ص٢٩٦.

٢٤ - الجوهري، السقيفة وفدك، ص١٠٤؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٩، ص٣٢٨؛ القمي، الشيخ عباس بن محمد بن رضا، ت(١٣٥٩هـ). بيت الأحزان، ط١، دار الحكمة، (قم، ١٤١٢هـ)، ص١٥٤.

٢٥ - الجوهري، السقيفة وفدك، ص١٠٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١٦؛ العسكري، معالم المدرستين، ج٢، ص١٦١؛ القزويني، السيد لطيف، رجال تركو بصمات، ص١٠٣.

٢٦ - الحموي، ج٤، ص٢٣٨.

٢٧ - الطبري، العلامة محمد بن جرير بن رستم الآمامي، ت(ق٤هـ)، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، تحقيق الشيخ أحمد المحمودي، ط١، مؤسسة الثقافة الإسلامية (قم، ١٤١٥هـ)، ص٥٠١؛ الصدر، فدك في التاريخ، ص٣١؛ سعد أيوب، معالم الفتن، ج١، ص٣١٤؛ المسعودي، الأسرار الفاطمية، ص٥.

٢٨ - ابن شهر آشوب، المناقب، ج١، ص٣٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤١، ص٢٥؛ الحائري، محمد مهدي، ت(١٣٦٩هـ)، شجرة طوبى، ط٥، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ)، ج٢، ص٢٣٢؛ العاملي، السيد محسن أمين، ت(١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج حسن الأمين، ل. ط، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص٢٢٠؛ البحراني، عبد العظيم المهتدي، من أخلاق الأمام الحسين، ط١، منشورات الشريف الرضي، (قم، ١٤٢١هـ)، ص٢٦١.

٢٩ - القرآن الكريم، سورة المنافقون، آية ٨.

قائمة المصادر:

١ - القرآن الكريم.

٢ - البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل، ت(٢٥٦هـ)،
صحيح البخاري، ل. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤٠١هـ).

٣ - الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت(٢٩٧هـ)،
سنن الترمذي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، د. ت).

٤ - الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصري البغدادي، ت(٣٢٣هـ)،
السقيفة وفدك، تحقيق د. الشيخ محمد هادي الأميني، ط٢، شركة الكتبي للطباعة والنشر، (بيروت، ١٤١٣هـ).

٥ - ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، ت(٨٥٢هـ)،
فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ل. ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، د. ت).

٦ - ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني، ت(٦٥٦هـ)،
شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، (قم، ١٣٨٧هـ)،

٧ - الحلي، الشيخ عز الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد، ت(ق٨هـ)،
المحتضر، تحقيق حسين علي اشرف، ل. ط، منشورات المكتبة الحيدرية، (قم، ١٤٢٤هـ).

٨ - الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي، ت (٦٢٦هـ)،
معجم البلدان، ل. ط، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٧٩م).

٩ - الراوندي، أبو الحسين قطب الدين سعيد بن عبدالله الحسيني، ت(٥٧٣هـ)،
الخرائج والجرائح، تحقيق وإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط١، مؤسسة الإمام المهدي (قم، ١٤٠٩هـ).

١٠ - الشريف المرتضى، السيد أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين، ت(٤٣٦هـ)،
الشافي في الإمامة، حققه وعلق عليه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ومراجعة السيد فاضل الميلاني، ط٢، مؤسسة إسماعيليان، (قم، ١٤٠٧هـ).

١١ - ابن شعبة الحراني، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، ت(ق٤هـ)،
تحف العقول عن آل الرسول (ص)، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٤هـ).

١٢ - ابن شهر آشوب، مشير الدين أبي عبدالله محمد بن علي المازندراني، ت(٥٨٨هـ)،
مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ل. ط، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ).

١٣ - الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت(٣٨١هـ)،
آ - الأمالي، ط١، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، (قم، ١٤١٧هـ).
ب - علل الشرائع، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، ل. ط، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ).

١٤ - الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، ت(٥٤٨هـ)،
الاحتجاج، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، ل. ط، دار النعمان للطباعة والنشر، (النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ).

١٥ - الطبري، العلامة محمد بن جرير بن رستم الأمامي، ت(ق٤هـ)،
المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، تحقيق الشيخ أحمد المحمودي، ط١، مؤسسة الثقافة الإسلامية (قم، ١٤١٥هـ).

١٦ - الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، ت(٤٦٠هـ)،
الأمالي، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع (قم، ١٤١٤هـ)

١٧ - الفتال النيسابوري، أبو علي محمد بن الحسن بن علي أحمد الفارسي، ت(٥٠٨هـ)،
روضة الواعظين، تحقيق العلامة محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ل. ط، منشورات الرضي، (قم، د. ت).

١٨ - المجلسي، محمد باقر، ت(١١١١هـ)،
بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ل. ط، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت)،

١٩ - المغربي، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي، ت(٣٦٣هـ)،
دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرم والقضايا والأحكام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، ط٢، دار المعارف، (القاهرة، ١٣٨٣هـ).

٢٠ - المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ت(٤١٣هـ).
١ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة أهل البيت (ع) لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٤هـ).

ب - الأمالي، تحقيق حسين الأستاذوي وعلي أكبر غفاري، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٤هـ).

٢١ - النووي، أبي زكريا محيي الدين بن شرف، ت(٦٧٦هـ)،
المجموع، ل. ط، دار الفكر للطباعة والنشر، (ل. م، د. ت).

٢٢ - النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن القشيري، ت(٢٦١هـ)،
الجامع الصحيح، ل. ط، دار الفكر، (بيروت، د. ت).

قائمة المراجع:

١ - الأميني، الشيخ عبدالحسين أحمد النجفي، ت(١٣٩٢هـ)،
الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٩٧هـ).

٢ - بيومي، محمد،
السيدة فاطمة الزهراء (ع)، ط٢، مؤسسة سفير آصفهان، (قم، ١٤١٨هـ).

٣ - الحائري، محمد مهدي، ت(١٣٦٩هـ)،
شجرة طوبى، ط٥، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ).

٤ - السبحاني، الشيخ جعفر،
السيرة النبوية، تعريب جعفر هادي، ط٢، مؤسسة الإمام الصادق(ع)، (قم، ١٤٢٥هـ).

٥ - سعد أيوب،
معالم الفتن، ط١، مجمع احياء الثقافة الإسلامية، (قم، ١٤١٦هـ).

٦ - الصدر، السيد الشهيد محمد باقر، ت(١٤٠٠هـ)،
فدك في التاريخ، تحقيق اللجنة التابعة للمؤتمر العالمي للأمام الشهيد الصدر، ط١، مركز الأبحاث والدراسات التخصّصية للشهيد الصدر، (قم، ١٤٢٣هـ).

٧ - الطبرسي، ميرزا حسين النوري، ت (١٣٢٠هـ)،
نفس الرحمن في فضائل سلمان، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مؤسسة الأفاق، (ل. م، ١٤١١هـ).

٨ - العاملي، السيد محسن أمين، ت(١٣٧١هـ)،
أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج حسن ألأمين، ل. ط، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٤٠٣هـ).

٩ - العسكري، السيد مرتضى،
معالم المدرستين، ل. ط، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٤١٠هـ).

١٠ - القزويني، السيد لطيف،
رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ، ل. ن، (ل. م، د. ت).

١١ - القزويني، محمد كاظم،
علي وفاطمة من المهد إلى اللحد. ط١، ل. ن، (بيروت، ٢٠٠٥م).

١٢ - القمي، الشيخ عباس بن محمد بن رضا، ت(١٣٥٩هـ)،
بيت ألأحزان، ط١، دار الحكمة، (قم، ١٤١٢هـ).

١٣ - المرعشي، السيد نور الله الحسيني التستري، ت(١٤١١هـ)،
شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تحقيق السيد شهاب الدين المرعشي، ل. ط، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، (قم، د. ت).

١٤ - المسعودي، الشيخ محمد فاضل،
الأسرار الفاطمية، تقديم السيد عادل العلوي، ط٢، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة، (قم، ١٤٢٠هـ). ❖

الزهراء في الشعر العربي

✍ علي بن سعيد

أفاض الشعراء في ما تعرضت له الزهراء، من ظلم، واضطهاد، منذ القرون الأولى، وإلى يومنا هذا. وبعض هؤلاء الشعراء معاصر للأئمة (ع)، ونحن نذكر هنا باقة من الشعر في تلك العصور المتلاحقة، وإلى يومنا هذا.

١ ـ السيد الحميري (ت ١٧٣ هـ): إن السيد الحميري رحمه الله معاصر للإمامين الصادق والكاظم (ع) وهو يقول:

ضربت واهتضمت من حقها	**وأذيقت بعده طعم السلع[1]**
قطع الله يدي ضاربها	**ويد الراضي بذاك المتبع**
لا عفا الله له عنه، ولا	**كف عنه هول يوم المطلع**

٢ ـ البرقي: (ت ٢٤٥ هـ): وقال البرقي، وهو عبد الله بن عمار:

وكَلّلا النار من بيت ومن حطب	**والمضرمان لمن فيه يسبان**
وليس في البيت إلا كل طاهرة	**من النساء وصديق وسبطان**

فلم أقل غدرا الخ...

٣ ـ القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ): وقد نظم القاضي النعمان ـ وهو إسماعيلي النحلة ـ ما جرى بعد وفاة رسول الله (ع) في ضمن أرجوزته الجامعة في العقائد فقال:

فبايعاه جهرة وقالا ❖ بل أنت خير من نراه حالا، وقام منهم أهل قتلى بدر ❖ وغيرها وأهل حقد الأسر فبايعوا، وهم رؤوس قومهم ❖ فبايع الناس له من يومهم إلا قليلاً منهم قد علموا ❖ ما كان من نبيهم فاعتصموا وقصدوا إمامهم عليا ❖ فقال: لستم فاعلين شيا قالوا: بلى نفعل، قال: انطلقوا ❖ من فوركم هذا إذن فحلقوا رؤوسكم كلكم لتعرفوا ❖ من بينهم بذلكم وانصرفوا إلي كيما أنصب القتالا ❖ حتى يكون ربنا تعالى يحكم فينا بيننا بحكمه...❖ ففشلوا لما رأوا من عزمه ولم يكن يأتيه إلا سبعة ❖ واستحسن الباقون أخذ البيعة وكنت قد سميتهم فقالا ❖ لست أرى عليكم قتالا لأنكم في قلة قليلة ❖ ليس لكم بجمعهم من حيلة فجلسوا إليه حتى ينظروا ❖ ماذا يرى في أمرهم ويأمر فجاءهم عمر في جماعة ❖ إذ لم يروا لمن أقام طاعة حتى أتوا باب البتول فاطمة ❖ وهي

---

(١) لعل الصحيح: من.

لهم قالية مصارمة فوقفت عن دونه تعذلهم ❖ فكسر الباب لهم أولهم فاقتحموا حجابها فعولت ❖ فضربوها بينهم فأسقطت فسمع القول بذاك فابتدر ❖ إليهم الزبير ـ قالوا ـ فعثر فبدر السيف إليهم فكسر ❖ وأطبقوا على الزبير فأسر، فخرج الوصي في باقيهم ❖ إذ لم يروا دفاعهم ينجيهم فاكتنفوهم ومضوا في ضيق ❖ حتى أتوا بهم إلى عتيق إلى أن قال: يا حسرة من ذاك في فؤادي ❖ كالنار يذكي حرها اعتقادي وقتلهم فاطمة الزهراء ❖ أضرم حر النار في أحشائي لأن في المشهور عند الناس ❖ بأنها ماتت من النفاس وأمرت أن يدفنوها ليلا ❖ وأن يعمى قبرها لكي لا يحضرها منهم سوى ابن عمها ❖ ورهطه ثم مضت بغمها صلى عليها ربها من ماضية ❖ وهي عن الأمة غير راضية فبايعوا كرها له تقية ❖ والله قد رخص للبرية لأنه الرؤوف بالعباد ❖ في الكفر للكره بلا اعتقاد إلى أن قال: وقد روي في ذاك فيما ثبتا ❖ بأنه قال له لما أتى: بايع: فقال: إن أنا لم أفعل ❖ قال: إذن آمرهم أن تقتل فاشهد الله على استضعافه ❖ وبايع الغاصب في خلافه خوفا من القتل، وبايع النفر ❖ له على الكره لخوف من حضر فإن يكونوا استضعفوا الأمينا ❖ فقبله ما استضعفت هارونا أمة موسى إذ أرادوا قتله ❖ فقد أرادت قتل ذاك قبله وسلكوا سبيلها في الفعل ❖ في الأوصياء مثل حذو النعل بالنعل والقذة إذ تمثلوا ❖ كمثل ما قال النبي المرسل[1].

٤ ـ **مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ)**: وقال الشاعر الفذ مهيار الديلمي رحمه الله في جملة قصيدة له: كيف لم تقطع يد ❖ مد إليك ابن صهاك فرحوا يوم أهانوك ❖ بما ساء أباك[2].

٥ ـ **علي بن المقرب (ت ٦٢٩ هـ)**: وقال الأمير علي بن مقرب الأحسائي، وهو من الأدباء البلغاء المعروفين:

يا ليت شعري فمن أنوح منهم ❖ ومن له ينهل فيض ادمعي

أللوصي حين في محرابه ❖ عممه بالسيف ولما يركع

أم للبتول فاطم إذ منعت ❖ عن إرثها الحق بأمر مجمع

وقول من قال لها يا هذه ❖ لقد طلبت باطلا فارتدعي

أبوك قد قال بأعلى صوته ❖ مصرحا في مجمع فمجمع

نحن جميع الأنبياء لا نرى ❖ ابناءنا لإرثنا من موضع

---

(١) الأرجوزة المختارة: ص ٩٢/٨٨.

(٢) ديوان مهيار: ج٢ ص ٣٦٧ و٣٦٨. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي: ج ١٦ ص ٢٣٥ و٢٣٦.

ومـــا تركنـــاه يكـــون مغنمـــا	فارضـــي بمـــا قـــال أبـــوك واسمعـــي
قالـــت فهـــاتوا نحلـــتي مـــن والـــدي	خـــير الأنـــام الـــشافع المـــشفع
قـــالوا فهـــل عنـــدك مـــن بينـــة	نـــسمع معناهـــا جميعـــاً ونعـــي
فقالـــت ابنـــاي وبعلـــي حيـــدر	أبوهمـــا أبـــصر بـــه وأسمـــع
فـــأبطلوا إشـــهادهم ولم يكـــن	نـــص الكتـــاب عنـــدهم بمقنـــع
ولم تـــزل مهـــضومة مظلومـــة	بـــرد دعواهـــا ورض الأضـــلع
أم للـــذي أودت بـــه جعـــدتهم	يومئـــذ بكـــأس ســـم منقـــع[1]

٦ ـ **الخليعي (ت ٧٥٠ هـ)**: وقال الشيخ علي بن عبد العزيز الخليعي الحلي في جملة قصيدة له:

يـــا رب مـــن نوزعـــت مـــيراث والـــدها	مثلـــي ومـــن طولبـــت بالحقـــد والإحـــن
ومـــن تـــرى جرعـــت في ولـــده اغـــصص	كـــابن مرجانـــة الملعـــون جـــرعني
ومـــن تـــرى كـــذبت قبلـــي وقـــد	علمـــوا أن الإلـــه مـــن الأرجـــاس طهرنـــي
وهـــل لبنـــت نـــبي أضـــرمت شـــعل	كمـــا أطيـــف بـــه بـــيتي ليحـــرقني[2]

٧ ـ **علاء الدين الحلي (المقتول سنة ٧٨٦ هـ)**: وقال العالم الفاضل والأديب الكامل علاء الدين الشيخ علي بن الحسين الحلي الشفهيني المعاصر للشهيد الأول، وقد شرح الشهيد رحمه الله بعض قصائده: وأجمعوا الأمر فيما بينهم وغوت لهم أمانيهم، والجهل، والأمل أن يحرقوا منزل الزهراء فاطمة فيا له حادث مستصعب جلل بيت به خمسة جبريل سادسهم من غير ما سبب بالنار يشتعل وأخرج المرتضى من عقر منزله... الخ[3].

٨ ـ **مغامس الحلي (أواخر المئة التاسعة)**: وقال الشيخ مغامس الحلي، في جملة قصيدة له:

والطهـــر فاطمـــة زوى ميراثهـــا	شـــر الأنـــام ودمعهـــا مـــسكوب
مـــن بعـــدما رمـــت الجـــنين بـــضربة	فقـــضت (بـــذاك)[4] وحقهـــا مغـــصوب[5]

---

(١) أدب الطف: ج ٤ ص ٣٢ عن إثبات الهداة.
(٢) المنتخب المطريحي: ص ١٦١.
(٣) الغدير: ج ٦ ص ٣٩١.
(٤) زدنا هذه الكلمة ليستقيم الوزن.
(٥) المنتخب للطريحي: ص ٢٩٣.

٩ ـ مفلح الصيمري (ت ٩٠٠ هـ): وقال العلم العلامة الفقيه الكبير والأديب الجليل الشيخ مفلح الصيمري في جملة قصيدة له:

وقادوا علياً في حمائل سيفه ... وعمار دقوا ضلعه وتهجموا

على بيت بنت المصطفى وإمامهم ... ينادي ألا في بيتها النار أضرموا

وتغصب ميراث النبي محمد ... وتوجع ضربا بالسياط وتلطم[١]

١٠ ـ الحر العاملي: (ت ١١٠٤ هـ): وللمحدث الفقيه العلامة الشيخ الحر العاملي صاحب الموسوعة الحديثية المعروفة بوسائل الشيعة منظومة يقول فيها: أولادها خمس حسين والحسن وزينب من أم كلثوم أسن ومحسن أسقط في يوم عمر من فتحه الباب كما قد اشتهر ونالها بعد النبي إذ مضى وانقاد طوعاً راضياً عن القضا لذاك ما يوجع كل قلب ويستهان منه كل خطب حزن وذل واضطهاد ظالم ووحشة لاحت على المعالم إلى أن قال عن سبب موتها: سببه قيل[٢]: حضور الأجل وقيل: من ضربة ذاك الرجل إذ سقطت لوقتها جنينها ولم تزل تبدي له أنينها[٣].

١١ ـ الصالح الفتوني العاملي (ت ١١٩٠ هـ. ق): وقال الشيخ محمد مهدي الفتوني النباطي العاملي، وهو عالم شاعر إمام في الفقه والحديث والتفسير:

يا سيدي يا رسول الله قم لترى ... في الآل فوق الذي قد كنت تخبره

هذا علي نفوا عنه خلافته ... وأنكر النص فيه منه منكره

قادوه نحو فلان كي يبايعه ... بالكره منه وأيدي الجور تقهره

من أجل ذاك قضى بالسيف مضطهدا ... شبيره وقضى بالسم شبره

كأنه لم يكن صنوا النبي ولم ... يكن من الرجس باريه يطهره

وتلك فاطمة لم يرع حرمتها ... من دق ضلعا لها بالباب يكسره

وذا حسينك مقتول بلا سبب ... مبضع الجسم داميه معفره[٤]

---

(١) المنتخب للطريحي: ص ١٣٧.

(٢) في المخطوطة: وسنة بعد حضور الأجل.

(٣) أرجوزة في تواريخ النبي والأئمة: ص ١٣ و١٤. (مخطوط) في مكتبة المركز الإسلامي للدراسات. راجع: تراجم أعلام النساء: ج ٢ ص ٢١٦ و٢١٧.

(٤) أدب الطف ج ٥ ص ٣٢٩ و٣٣٠ عن المجموع الرائق: ج ٢ ص ٣٢٢ (مخطوط) في مكتبة الإمام الصادق في الكاظمية ـ العراق.

١٢ ـ السيد حيدر الحلي (ت ١٣٠٤ هـ): وقال الشاعر المفلق والأديب المحلق، طليعة شعراء العراق في عصره، السيد حيدر الحلي في جملة قصيدة له:

فلا وصفحك إن القوم ما صفحوا ... ولا وحلمك إن القوم ما حلموا

فحمل أمك قدما أسقطوا حنقا ... وطفل جدك في سهم الردى فطموا[1]

١٣ ـ السيد باقر الهندي (ت ١٣٢٩ هـ): وقال العالم الجليل والشاعر الكبير السيد باقر بن السيد محمد الهندي:

لست تدري لم أحرقوا الباب بالنار أرادوا إطفاء ذاك النور

لست تدري ما صدر فاطم ما المسمار ما حال ضلعها المكسور

ما سقوط الجنين ما حمرة العين وما بال قرطها المنثور

دخلوا الدار وهي حسرى بمرأى من علي ذاك الأبي الغيور

واستداروا بغيا على أسد الله فأضحى يقاد قود البعير

والبتول الزهراء في إثرهم تعثر في ذيل بردها المجرور

بأنين أورى القلوب ضراما وحنين أذاب صم الصخور

ودعتهم: خلوا ابن عمي عليا أو لأشكو إلى السميع البصير

ما رعوها بل روعوها ومروا بعلي ملببا كالأسير

إلى أن قال:

وعلي يرى ويسمع والسيف رهيف والباع غير قصير

قيدته وصية من اخيه حملته ما ليس بالمقدور أفصبرا

يا صاحب الأمر والخطب جليل يذيب قلب الصبور

كم مصاب يطول فيه بياني قد عرى الطهر في الزمان القصير

كيف من بعد حمرة العين منها يا ابن طه تهنى بطرف قرير

فابك وازفر لها فإن عداها منعوها من البكا والزفير

---

(١) أدب الطف: ج ٨ ص ٢٦، وديوان السيد حيدر الحلي.

وكـأني بـه يقـول ويبكـي بـسلو نـزر ودمـع غزيـر لا تراني
اتخـذت لا وعلاهـا بعـد بيـت الأحـزان بيـت الـسرور
فمتى يـا ابـن فـاطم تنـشر الطـاغوت والجبـت قبـل يـوم النـشور[١]

١٤ ـ **العلامة القزويني (ت ١٣٣٥ هـ. ق)**: قال الفاضل العلامة السيد محمد بن السيد مهدي القزويني الحلي النجفي.

قـال سـليم قلـت يـا سـلمان — هـل دخلـوا ولم يـك استئذان
فقـال إي وعـزة الجبـار — لـيس علـى الزهـراء مـن خمـار
لكنهـا لاذت وراء البـاب — رعايـة للـستر والحجـاب
فمـذ رأوهـا عـصروها عـصرة كـادت بروحـي أن تمـوت حـسرة
تـصيح يـا فـضة أسـنديني — فقـد وربـي قتلـوا جنـيني
فأسـقطت بنـت الهـدى واحزنـا — جنينهـا ذاك المـسمى محـسنا[٢]

١٥ ـ **حافظ إبراهيم (ت ١٣٥١ هـ. ق)**: وقال حافظ إبراهيم شاعر النيل:

وقولـة لعلـي قالهـا عمـر اكـرم بـسامعها أعظـم بملقيهـا
حرقـت دارك لا أبقـي عليـك بهـا إن لم تبـايع وبنـت المـصطفى فيهـا
مـا كـان غـير أبـي حفـص يفـوه بهـا أمـام فـارس عـدنان وحاميهـا[٣]

قال آية الله العظمى العلامة المظفر رحمه الله: ظن هذا الشاعر أن هذا من شجاعة عمر. وهو خطأ. ولم يعلم: أن عمر لم تثبت له قدم في المقامات المشهورة، ولم تمتد له يد في حروب النبي الكثيرة!! فما ذاك إلا لأمانه من علي (ع)، بوصيه النبي (ص) له بالصبر. ولو هم به لهام على وجهه الخ..."[٤].

١٦ ـ **المحقق الأصفهاني (ت ١٣٦١هـ)**: وقال الفيلسوف الكبير والمرجع الديني والمحقق الشيخ محمد حسين الأصفهاني في أرجوزة من ديوانه المعروف بـ "الأنوار القدسية":

---

(١) رياض المدح والرثاء: ص ١٩٧ و١٩٨.

(٢) رياض المدح والرثاء: ص ٦.

(٣) ديوان حافظ إبراهيم: ١/ ص ٧٥ (ط دار الكتب المصرية ـ مصر).

(٤) دلائل الصدق: ج ٢ ق ١ ص ٥٤.

وما أصابها من المصاب مفتاح بابه حديث الباب

إن حديث الباب ذو شجون بما جنت به يد الخؤون

أيهجم العدا على بيت الهدى ومهبط الوحي، ومنتدى الندى

أيضرم النار بباب دارها وآية النور على منارها

وبابها باب نبي الرحمة وباب أبواب نجاة الأمة

بل بابها باب العلي الأعلى فثم وجه الله قد تجلى

ما اكتسبوا بالنار غير العار ومن ورائه عذاب النار

ما أجهل القوم فإن النار لا تطفئ نور الله جل وعلا

لكن كسر الضلع ليس ينجبر إلا بصمصام عزيز مقتدر

إذ رض تلك الأضلع الزكية رزية لا مثلها رزية

ومن نبوع الدم من ثدييها يعرف عظم ما جرى عليها

وجاوزوا الحد بلطم الخد شلت يد الطغيان والتعدي

فاحمرت العين، وعين المعرفة تذرف بالدمع على تلك الصفة

ولا تزيل حمرة العين سوى بيض السيوف يوم ينشر اللوا

وللسياط رنة صداها في مسمع الدهر فما أشجاها

والأثر الباقي كمثل الدملج في عضد الزهراء أقوى الحجج

ومن سواد متنها اسود الفضا يا ساعد الله الإمام المرتضى

ووكز نعل السيف في جنبيها أتى بكل ما أتى عليها

ولست أدري خبر المسمار سل صدرها خزانة الأسرار

وفي جنين المجد ما يدمي الحشا وهل لهم إخفاء أمر قد فشا

والباب والجدار والدماء شهود صدق ما بها خفاء

لقد جنى الجاني على جنينها فاندكت الجبال من حنينها

أهكذا يصنع بابنة النبي حرصا على الملك فيا للعجب

أتمنـــع المكروبـــة المقروحـــة عـن البكـا خوفـا مـن الفـضيحة
بـالله ينبغـي لهـا تبكـي دمـا مـا دامـت الأرض ودارت الـسما
لفقـد عزهـا، أبيهـا الـسامي ولاهتـضامها وذل الحـامي
أتـستباح نحلـة الـصديقة وإرثهـا مـن أشـرف الخليقـة
كيـف يـرد قولهـا بـالزور إذ هـو رد آيـة الـتطهير
أيؤخـذ الـدين مـن الأعرابـي وينبـذ المنـصوص في الكتـاب
فاسـتلبوا مـا ملكـت يـداها وارتكبـوا الخزيـة منتهاهـا
يـا ويلـهم قـد سـألوها البينـة علـى خـلاف الـسنة المبينـة
وردهـم شـهادة الـشهود أكـبر شـاهد علـى المقـصود
ولم يكـن سـد الثغـور عرضـا بـل سـد بابهـا وبـاب المرتـضى
صـدوا عـن الحـق وسـدوا بابـه كـأنهم قـد أمنـوا عذابـه
أبـضعة الطهـر العظـيم قـدرها تـدفن لـيلا ويعفـى قبرهـا
مـا دفنـت لـيلا بـستر وخفـا إلا لوجـدها علـى أهـل الجفـا
مـا سمـع الـسامع فيمـا سمعـا مجهولـة بالقـدر والقـبر معـاً
يـا ويلـهم مـن غـضب الجبـار بظلمهـم ريحانـة المختـار[1]

١٧ ـ كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣ هـ): وقال العالم العلم الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله في جملة قصيدة له:

وفي الطفوف سقوط السقط منجدلا من سقط المحسن خلف الباب منهجه
وبالخيام ضرام النار من حطب بباب دار ابنة الهادي تأججه[2]



(١) الأنوار القدسية ص ٤٢ ـ ٤٤.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ص ٣٨٩.

مظلومية فاطمة(ع) بين سقيفة وفدك

م. م سعد طعمه بليل الخفاجي(*)

فاطمة الزهراء (ع)

شخصية إنسانية تحمل طابع المرأة لتكون أية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب فأن الله تعالى خلق محمد (ص) ليكون أية قدرة في الأنبياء ثم خلق منة بضعته وأبنته الزهراء لتكون علامة وأية على قدرة الله في أبداع مخلوقه من الفضائل والمواهب، فلقد أعطى الله تعالى إلى فاطمة الزهراء(ع) أوفر حظ من العظمة وأوفى نصيب من الجلالة بحيث لا يمكن لأية امرأة أن تبلغ تلك المنزلة فهي من فصيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل إن يعرفهم أهل الأرض ونزلت في حقهم آيات محكمات في الذكر الحكيم تتلى أناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا والى أن تقوم الساعة.

إذا شخصية كلما أزداد البشر نضجا وفهما للحقائق واطلاعا على الأسرار الكون ظهرت عظمة تلك الشخصية بصورة أوسع وتجلت معانيها ومزاياها بصورة أوضح.

إنها فاطمة الزهراء(ع)؛ الله سبحانه وتعالى يثنى عليها؛ ويرضى لرضاها ويغضب لغضبها ورسول الله (ص) ينوه بعظمتها وجلالة قدرها وأمير المؤمنين (ع) ينظر أليها بنظرة الإكبار والإعظام وأئمة أهل البيت (ع) ينظرون أليها بنظرة التقديس والاحترام، وبالرغم من ذلك كله إلا أن التاريخ ظلمها ولم يعر لحياتها وترجمت شخصيتها اهتماماً لائقاً بها فالتحدث عن عبقرية الزهراء (ع) يعتبر تحدثا عن المرأة في الإسلام من حيث جميع المعاير المثلى التى وضعها الإسلام في حفظ الكرامة والاعتراف بالاحترام والشخصية وتسلح بالمبادئ التى لها دوراً متميزاً في تنشئة المجتمع وغيرها من الأمور الأخرى كما ويشمل الحديث عن شخصها النير نموذجها من المرأة بصفتها بنتا في دار أبيها وزوجة في دار بعلها وأماً ومربية في بيت الزوج.

حياتها ونشأتها

هى الحوراء الصديقة فاطمة بنت رسول الله (ص) وريحانة النبوة، ومثال العصمة، وهالة النور المشعة، وبقية الرسول بين المسلمين.

لقد فتحت السيدة فاطمة (ع) عينها في وجه الحياة في وجه أبيها الرسول (ص) ترضع من أمها السيد خديجة اللبن بالفضائل والكمائل وكانت تنمو في بيت الوحى نمواً متزايداً ونباتاً حسناً يزقها أبوها الرسول الأكرم (ص) العلوم الإلهية ويفيض عليها المعارف الربانية

(*) جامعة ميسان، كلية التربية.

ويعلمها أحسن دروس التوحيد وارق علوم الإيمان وأجمل حقائق السلام ويربيها أفضل تربيه وأحسنها آذ وجد الرسول في ابنته ألمثاليه كامل الاستعداد لقبول الإيمان والعلوم والوعى ووجد في نفسها تهيئه روحانية ونورانية لصعود مدارج الكمال إلى جانب هذا شاءت الحكمة الإلهية للسيدة فاطمة الزهراء (ع).

لكن حياتها كانت ممزوجة بالكاره مشفوعة بالآلام والماسى منذ صغر سنها فأنها فتحت عينها في وجه الحياة وإذا بها ترى أباها يحاربه الأقربون والأبعدون ويناوئونه الكفار والمشركون فربما حظرت فاطمة الزهراء (ع) في المسجد الحرام فرأت أباها جالسا في حجر إسماعيل (ع)يتلو القرآن وترى بعض المشركين يوصلون بة أنواع الأذى ويحاربونه محاربة نفسية قبل المحاربة المادية وحظرت يوما فنظرت إلى بعض المشركين وهم يفرغون سلال الناقة (هو الكيس الذي يتكون فيه الجنين) على ظهر أبيها الرسول الأعظم (ص) وهو ساجد للباري عز وجل، كانت الزهراء تشاهد تلك المنظر المؤلم وتمسح ذلك من ظهر أبيها وثيابه، ومما كان يجبر خاطر السيدة فاطمة الزهراء (ع) ويقر عينها أنها كانت ترى ذلك البطل الشهم أبا طالب يقف ذلك الموقف المشرف في نصرة أبيها الرسول الأكرم (ص).

حياتها الزوجية

انتقلت السيدة فاطمة الزهراء(ع) إلى البيت الزوجى، وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والعصمة والخلافة والولاية وحصل تطور في سعادة حياتها، فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوة صارت تعيش مع زوجها الإمام على (ع) كانت حياتها في البيت الزوجى تزداد إشراقاً وجمالاً إذ كانت تعيش في جو تكتنفه القداسة والنزاهة، وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش، وكانت تعين زوجها على أمور دنياه وآخرته وتتجاوب معه في اتجاهاته الدينية وتتعاون معه في جهوده وجهاده.

وما احلى الحياة الزوجية أذا حصل الانسجام بين الزوجين في الاتجاه والمبدأ ونوعية التفكير مبنيا على أساس التقدير والاحترام من الجانبين. وليس ذلك بعجيب، فان السيدة فاطمة الزهراء تعرف لزوجها مكانته العظمى ومنزلته العليا عند الله تعالى وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة أمامها بل أكثر وأكثر فان السيدة فاطمة كانت عارفه بحق على حق المعرفة وتقدره حق قدره وتطيعه كما ينبغى لأنه اعز الخلق إلى رسولَ الله لأنه صاحب الولاية العظمى والخلافة الكبرى والإمامة المطلقة لأنه اخو رسول الله وخليفته ووارثه ووصيه لأنه صاحب المواهب الجليلة والسوابق العظيمة، وهكذا كان على (ع) يحترم السيدة فاطمة الزهراء احتراماً لائقاً بها لا لأنها زوجته فقط بل لأنها سيدة نساء العالمين لأن نورها من نور رسول الله لأنها من الذين بهم فتح الله كتاب الإيجاد والوجود لأنها كتله من العظمة لأنها مجموعه من الفضائل بل الفضائل كلها

متوفرة في امرأة واحده، حيث كانا زوجين سعيدين في حياتهما الطيبة السعيدة التى كانا يتمتعان بها حياة لا يعكرها الفقر ولا تغيرها الظروف ولا تضطر بها الحوادث.

وفي البحار عن المناقب قال على (ع) فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتنى ولا عصت لى امرأ لقد كنت انظر أليها فتنكشف عنى الهموم والأحزان.

قصة فدك

قال ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) عن فدك:

فدك، قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله تعالى على رسوله في سنة سبع صلحاً، وذلك أن النبى لما نزّل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا الثلث، واشتد بهم الحصار راسلوا رسل الله يسألونه أن يُنزلهم الجلاء وفعل، وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله أن يصالحهم على النصف من ثمارها وأموالهم فأجابهم إلى ذلك. فكانت خالصة لرسول الله، وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة، وهى التى قالت فاطمة أن رسول الله نحلنيها، فقال أبو بكر أريد لذلك شهوداً، ولها قصة.

قال ابن أبى الحديد: جاءت فاطمة (ع) إلى أبى بكر وقالت انه أبى أعطانى فدك وعلى وأم أيمن يشهدان فقال: ما كنت لتقولى على أبيك إلا الحق قد أعطيتكها ودعاء بصحيفة من ادم فكتب لها فيها فخرجت فلقيت (عمر) فقال: من أين جئت يا فاطمة. قالت جئت من عند أبى بكر أخبرته أن رسول الله (ص) أعطانى فدك وان عليا وأم أيمن يشهدان لى بذالك فعاينها وكتب لى بها فاخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبى بكر فقال: أعطيت فاطمة فدك وكتبت بها لها. قال: نعم فقال: إنه عليا يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأة وبصق في الكتاب فمحاه وخرقة، أن فدك ملك للزهراء (ع) من ثلاثة وجوه:

أولاً: النحلة

ثانياً: الميراث

ثالثاً: سهم ذوي القربى.

وعن عائشة إن فاطمة (ع) سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله (ص) إن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: أن رسول الله قال: لا نورث، ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر.

قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك.

والعجيب في الأمر أن أبا بكر يوصي ابنته عاشه أن تدفنه في حجرتها في بيت رسول الله (ص) رغم انه ادعى أن رسول الله لا يورث، فكيف ورث الرسول الحجرة لعائشة ولم يورث فدك لابنته؟!!!

السر في مطالبة الزهراء (ع) بفدك

أن السيدة فاطمة الزهراء (ع) الزاهدة عن الدنيا وزخارفها، والتى كانت بمعزل عن الدنيا ومغريات الحياة ما الذي دعاها إلى هذه النهضة والى هذا السعى المتواصل والجهود المستمرة في طلب حقوقها؟ وما سبب هذا الإصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأراضى والنخيل مع ما كانت تتمتع به ألسيده فاطمة (ع) من علو النفس وسمو المقام.

ما الداعى إلى طلب الدنيا التى كانت أحقر من عظم خنزير في فم مجذوم واهون من جناح بعوضه؟

ما الدافع بسيدة نساء العالمين أن تتكلف هذا التكليف، وتتجشم هذا الصعوبات المجهدة للمطالبة بأراضيها وهى تعلم أن مساعيها تبوء بالفشل وأنها لا تستطيع التغلب على الموقف ولا تتمكن من انتزاع تلك الأراضى من المغتصبين؟

هذه تصورات يمكن أن تتبادر إلى الأذهان حول هذا الموضوع.

أولاً: إن السلطة حينما صادرت أموال السيدة فاطمة الزهراء(ع) وجعلتها في ميزانية الدولة (بالاصطلاح الحديث) كان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت(ع)، أرادوا أن يحاربوا الإمام على(ع) محاربة اقتصادية، أرادوا أن يكون على فقير حتى لا يلتف الناس حوله، وهذه السياسة أراد المنافقون تنفيذها في حق رسول الله حين قالوا: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله.

ثانياً: لم تكن أراضى فدك قليلة الإنتاج، بل كان لها وارد كثير يعبا به.

ثالثاً. أنها كانت تطالب (من وراء ألمطالبه بفدك) بالخلافة والسلطة لزوجها أمير المؤمنين (ع) تلك السلطة العامة والولاية الكبرى التى كانت لأبيها رسول الله (ص).

رابعاً: الحق يطلب ولا يعطى فلا بد للإنسان المغصوب منه ماله أن يطالب بحقه، لا أنة حقه حتى وان كان مستغنيا عن ذلك المال وزاهدا فيه، وذلك لاينا في الزهد وترك الدنيا، ولا ينبغى السكوت عن الحق.

خامساً: إن الإنسان وان كان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة فانه مع ذلك يحتاج إلى المال ليصلح به شانه، ويحفظ به ماء وجهه ويصل به رحمه ويصرفه في سبيل الله كما تقتضيه الحكمة.

سادساً: قد تقتضي ألحكمه أن يطالب الإنسان بحقه المغصوب فان الأمر لا يخلو من أحد الوجهين.

هـذا وخاصـة أذا كـان الغاصب ممـن يـدعى الـصلاح والفـلاح، ويتظـاهر بالديانة والتقوى فان المظلوم يعرفه للأجيال انه غير صادق فيما يدعي.

سابعاً: أن حملة المبادئ يتشبثون بشتى الوسائل الصحيحة لجلب القلوب أليهم فهناك من يجلب القلوب بالمال أو بالأخلاق أو بالوعود وأشباه ذلك ولكن أفضل الوسائل لجلب القلوب (قلوب كافة الطبقات) هو التظلم وإظهار المظلومة فان القلوب تعطف على المظلوم كائنا من كان وتشمئز من الظالم كائنا من كان وهذه خطه ناجحة لتحقيق أهداف حملة المبادئ الذين يريدون إيجاد الوعي في النفوس عن طريق جلب القلوب إليهم. لهذه الأسباب قامت السيدة فاطمة الزهراء وتوجهت نحو مسجد أبيها رسول الله (ص) لأجل المطالبه بحقها.

غضب الزهراء (ع) على أبي بكر

روى بسنده عن عروة عن عائشة: أن فاطمة بنت النبى (ص) أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقيه من خمس خيبر فقال أبو بكر: أن رسول الله قال: لا نورث ما تركناه صدقة.

فوجدت فاطمة على أبى بكر في ذالك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وفي حديث الذهبى قال الزهري عن عروة عن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله (ص) أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه فقال لها: أن رسول الله (ص) قال لا نورث ما تركناه صدقة.

فغضبت وهجرت أبا بكر حتى استشهدت في سبيل الله وهنا نجد أن فاطمة الزهراء (ع) استشهدت وهى غاضبة على أبا بكر في سلب حقها والغريب أن أبا بكر كيف يتجرأ على فاطمة الزهراء(ع) ويطلب منها الشهود والأدلة ويقوم بإغضابها (ع) ألم يسمع قول رسول الله(ص) في حقها فقد جاء في المستدرك على الصحيحين روى بسنده عن على (ع) قال: قال رسول الله (ص) لفاطمة: أن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. فهنا نجد أن الله سبحانه وتعالى قد غضب على الذين ظلموا فاطمة الزهراء (ع).

قصة السقيفة وهجوم القوم على الدار

وذلك عندما قادوا علياً (ع) في يوم سقيفة بنى ساعده للبيعة فخرجت نفسى لها الفداء تجر أذيالها خلف ابن عمها وهى تقول خلو ابن عمى أو لأكشفن رأسى للدعاء، حيث يقول سلمان فخرجت فاطمة (ع) فقالت: يا أبا بكر أتريد أن ترملنى من زوجى ـ والله ـ لئن لم تكف عنه لأنشرن شعري ولأشقن جيبي، ولآتين قبر أبي، ولأصيحن إلى ربي: فأخذت بيد الحسن

والحسين عليهما السلام، وخرجت تريد قبر النبى (ص)، فقال على(ع) لسلمان: أدرك ابنة محمد (ص) فإنى أرى جنبتى المدينة تكفيان، والله أن نشرت شعرها، وشقت جيبها، وأتت قبر أبيها، وصاحت إلى ربها لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها.

فأدركها سلمان (رضى الله عنه) فقال، يا بنت محمد، أن الله بعث أباك رحمة فارجعى فقال: يا سلمان، يريدون قتل على، ما على عليٍّ صبر، فدعنى حتى آتى أبى فأنشر شعري، وأشق جيبى، وأصبح إلى ربى، فقال سلمان أنى أخاف أن تخسف بالمدينة، وعلى(ع) بعثنى إليك ويأمرك أن ترجعى إلى بيتك. فقالت: إذا أرجع وأصبر، وأسمع له وأطيع.

وهكذا تضافرت الروايات الكثيرة في إثبات هذه المأساة للزهراء من بعد أبيها، أما من الذي يظلمها حقها؟ فهذا ما ترويه قصة سقيفة بنى ساعده وإليك ما جرى في تلك الواقعة الأليمة لأهل بيت النبوة والتى كانت مفتاح الظلم الذي سنه الخليفة الأول والثانى على أهل البيت (ع).

عن عبد الله بن عبد الرحمان قال: ثم إن عمر احتزم بإزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادي: ألا إن أبا بكر قد بويع له فهلموا إلى البيعة، فينثال الناس يبايعون، فعرف أن جماعة في بيوت مسترون، فكان يقصدهم في جمع كثير ويكبسهم ويحضرهم المسجد فيبايعون، حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل على (ع) فطالبه بالخروج فأبى، فدعا عمر بحطب ونار وقال: والذي نفس عمر بيده ليخرجنّ، أو لأحرقنّه على ما فيه.

فقيل له: إنّ فاطمة بنت رسول الله، وولد رسول الله، وآثار رسول الله (ص) فيه؛ وأنكر الناس ذلك من قوله، فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم أترونى فعلت ذلك؟

إنما أردت التهويل؛ قال: وخرجت فاطمة بنت رسول الله (ص) إليهم فوقفت خلف الباب ثم قالت: لا عهد لى بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله (ص) جنازةً بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم، ولم تؤمّرونا، ولم تروا لنا حقاً، كأنّكم لم تعلموا ما قال يوم غدير. والله، لقد عقد له يومئذ الولاء ليمطع منكم بدلك منها الرجاء ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيّكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة.

عن سلمان الفارسى (رضى الله عنه) أنه قال: وكان على بن أبى طالب (ع) لما رأى خذلان الناس له، وتركهم نصرته، واجتماع كلمة الناس منع أبى بكر، طاعتهم له، وتعظيمهم له، جلس في بيته؛ فقال عمر لأبى بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنّه لم يبق أحد إلا وقد بايع، غيره وغير هؤلاء الأربعة معه: وكان أبو بكر أرقّ الرجلين، وأرفقهما، وأدهاهما، وأبعدهما غوراً: والآخر أفظّهما وأغلظهما، وأخشنهما، وأجفاهما، فقال: من نرسل إليه؟

فقال عمر: أرسل إليه قنفذاً ـ وكان رجلاً فظّاً غليظا جافياً من الطلقاء، أحد بنى تيم ـ فأرسله وأرسل معه أعواناً، فانطلق فاستأذن، فأبي عليّ (ع) أن يأذن له.

فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر، وهما في المسجد والناس حولهما فقالوا: لم يأذن لنا، فقال عمر: هو إن أذن لكم وإلا فادخلوا عليه بغير إذنه، فانطلقوا، فاستأذنوا، فقالت فاطمة (ع): أخرّج عليكم أن تدخلوا بيتي بغير إذن؛ فرجعوا، فثبت قنفذ، فقالوا: إنّ فاطمة قالت: كذا وكذا، فحرجتنا أن ندخل عليه البيت بغير إذن منها، فغضب عمر، وقال: ما لنا وللنساء؛ ثم أمر أناساً حوله، فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزل، وفيه علي وفاطمة وابناهم (ع)، ثم نادى عمر حتى اسمع علياً(ع): والله لتخرجنّ ولتبايعنّ خليفة رسول الله، أو لأضر منّ عليك بيتك ناراً، ثم رجع فقعد إلى أبي بكر، وهو يخاف أن يخرج علي بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدّته.

ثم قال لقنفذ: إن خرج وإلاّ فاقتحم عليه، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم ناراً: فانطلق قنفذ، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وبادر علي إلى سفيه ليأخذه، فسبقوه إليه فتناول بعض سيوفهم فكثّروا عليه فضبطوه، وألقوا في عنقه حبلاً أسود؛ وحالت فاطمة(ع) بين زوجها وبينهم عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط على عضدها، فبقى أثره في عضدها من ذلك مثل الدملج من ضرب قنفذ إيّاها؛ فأرسل أبو بكر إلى قنفذ: اضربها؛ فألجأها إلى عضادة باب بيتها، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها، وألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة (صلوات الله عليها).

وفاة الصديقة الزهراء (ع)

عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: (قبضت فاطمة (ع) في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشر من الهجرة وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ولم تدع أحداً ممن آذاها يدخل عليها).

عن أم سلمى امرأة أبي رافع قالت: مرضت فاطمة فلما كان اليوم الذي ماتت فيه قالت: هيئي لي ماءً فصببت لها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم قالت: ائتيني بثياب جدد فلبستها ثم أتت البيت الذي كانت فيه فقالت: أفرشي لي في وسطه ثم اضطجعت واستقبلت القبلة ووضعت يدها تحت خدّها وقالت أني مقبوضة ألان فلا اكشفن فاني قد اغتسلت قالت وماتت .

عن جابر الأنصاري قال سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي بن أبي طالب (ع) قبل موته بثلاث سلام عليك يا أبا الريحانتين أوصيك بريحانتي من الدنيا فعن قليل ينهد ركناك والله خليفتي عليك. فلما قبض رسول الله (ص) قال علي (ع): هذا أحد ركنيَّ الذي قال لي رسول الله (ص) فلما ماتت فاطمة (ع) قال علي (ع): هذا الركن الثاني .

عن الحسن (ع) إن علياً غسل فاطمة (ع) وعن علي انه صلى على فاطمة وكبّر عليها خمساً ودفنها ليلاً .

ولدت فاطمة (ع) بعد مبعث رسول الله (ص) بخمس سنين وتوفيت ولها ثمان عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً وبقيت بعد أبيها (ص) خمسة وسبعين يوماً

سُئل الرضا (ع) عن قبر فاطمة (ع) فقال: دفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد، وقيل أنها دفنت في البقيع.

مرضت فاطمة (ع) مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت (صلوات الله عليها وسلم) فلما نعيت أليها نفسها دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس ووجهت خلف علي وأحضرته وقالت: يابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني فقال (ع): معاذ الله أنت اعلم بالله وأبر واتقى وأكرم واشد خوفاً من الله والله جددت علي مصيبة رسول الله (ص) وقد عظمت وفاتك وفقدك فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها هذه والله مصيبة لا عزاء لها ثم بكيا ساعة وأخذ عليٌ رأسها وضمها إلى صدره ثم قال أوصيني بما شئت فاني اختار أمرك على أمري قالت أوصيك: أن تتزوج بعدي بابنة أختي إمامة فإنها تكون لولدي مثلي وان تتخذ لي نعشاً رأيت الملائكة صوروا صورته قال صفيه لي فوصفته له فاتخذه لها وهو أول نعش عمل على وجه الأرض ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني واخذوا حقي فأنهم عدوي وعدوّ رسول الله (ص) ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم، وادفني في الليل أذا هدأت العيون ونامت الإبصار ثم توفيت (صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها.

قال أمير المؤمنين (ع) بعد أن دفن الزهراء (سلام الله عليها) من كلامٍ له مخاطباً رسول الله (ص) السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك .

قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورقّ عن سيدة نساء العالمين تجلّدي ألا أنّ في التأسي لي بسنتك في فرقتك موضع تعز فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك وفاضت نفسك بين نحري وصدري. بلى وفي كتاب الله لي أنعم القبول. إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة واختُلِست الزهراء فما أقبح الخضراء والغبراء.يا رسول الله أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهّد وهمٌ لا يبرح من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيّح وهم مهيّج، سرعان ما فرق بيننا، وإلى الله أشكو.

وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين والسلام عليكما سلام مودِّع لا قالٍ فان أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين.

واهاً واهاً والصبر أيمن وأجمل ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية.

فبعين الله تدفن ابنتك سراً، وتهضم حقها قهراً، ويمنع ارثها جهراً ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يا رسول الله المشتكي وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلى الله عليك و(ع) والرضوان.

الاختلاف في وفاة الصديقة الزهراء (ع)

اختلفت الروايات في وفاة الصديقة فاطمة (ع) وهي على الأقوال التالية:

١ - أنها بقيت بعد أبيها (ص) خمسة وسبعين يوماً وهو المشهور.

٢ - أنها بقيت أربعون يوماً.

٣ - توفيت لثلاث خلون من جمادى الآخرة أي أنها بقيت بعد أبيها (ص) ثلاثة أشهر، وهناك أقوال أخرى.

حينما أُخبر أمير المؤمنين (ع) بوفاتها وقع على وجهه وهو يقول: بمن العزاء يا بنت محمد كنت بك أتعزى ففيم العزاء من بعدك.

روى صاحب البحار عن الطبري أن الذي صلى على فاطمة (ع) بعد وفاتها هو أمير المؤمنين والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وبرير.

وبعد أن واراها في ملحودة قبرها (سلام الله عليها) استبد به الحزن وأرسل دموعه على خديه ثم أنشد:

لكل اجتماع من خليلين فرقة	**وكل الذي دون الممات قليل**
وأن افتقادي فاطما بعد أحمد	**دليل على أن لا يدوم خليل**

سلام الله عليكِ مولاتي يا بضعة وحبيب رسول الله (ص).

يا ممتحنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة، وزعمنا أنا لك أولياء ومصدقون وصابرون لكل ما أتانا به أبوك (ص)، وأتى به وصيه، فإنا نسألك إن كنا صدقناك إلا ألحقتنا بتصديقنا لهما لنبشر أنفسنا بأنا قد طهرنا بولايتك.

المصادر والمراجع

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة الأمير مطبعة النبراس/ النجف الأشراف /العراق /١٣٩٢هجري.

(٢) معجم البلدان، الحموي.

(٣) فدك في روايات أهل السنة، كاظم يوسف عبد مهدي الجبوري، تقديم الشيخ باقر شريف القرشي.

(٤) صحيح البخاري.

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد.

(٦) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

(٧) كامل الزيارات، الانترنيت http://defendingfatima.wordpress.com (الدمعة الساكبة: ٦٩: ٣٣٢).

(٨) الاحتجاج، الطبرسي.

(٩) الإمامة والسياسة، ابن قتية الدينوري.

(١٠) بلاغات النساء، المرزباني.

(١١) الانترنيت http://www.ansarh.cc/showthread.php (المصدر: فاطمة الزهراء الحوراء الإنسية). ❖

الصديقة الطاهـرة فاطمة الزهراء (ع) والموسوعة الروسية العلمية (الأنسكلوبيديا)

✍ محمد عبد علي حسين القزاز(*)

ملخص البحث

فاطمة الزهراء (ع) بضعة النبى الأكرم (ص) وصحبه وسلم... تلك المرأة العظيمة المفتداة. امرأة استطاعت الفرز بين شخصيتين لا تستغنى عنهما كل بنات حواء السويات، شخصية المرأة العاطفية الحنونة واللينة، وشخصية المرأة الواثقة والقوية والصلبة في مواقفها.

الشخصية الأولى هى للمرأة مع زوجها وأولادها وأسرتها الصغيرة في البيت، حيث يغذى هذا السلوك كلاً من الزوج والأولاد، ويوفّر لهم حاجات نفسية ومعنوية مهمة، والشخصية الثانية هى شخصية المرأة حين تقودها الحياة إلى خارج البيت الأسري أو تضطرها الظروف لتكون في معمعة تحديات وضغوطات صعبة التحمل.

قدرة الفصل بين الشخصيتين حسب المواقف والضرورات عملية ليست سهلة مع أنها مهمة وضرورية، ففى إحدى خطب الزهراء (ع) نلاحظ كيف أنها تتعمد أن تغذيها بتلك الشخصية والروح المفعمة بالثقة بنفسها وبنسبها وبأقوالها وأفعالها. ثقة تعطى لصاحبها القوة، وتجلّله بالهيبة والجلال، حيث تقول: «أيها الناس اعلموا أنى فاطمة وأبى محمد، اقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططا».

فالكلام لواثق جازم مُصرّ، لا تردد عنده، ولاشك أو ريب يخالجه، بل اليقين هو المهيمن عليه بصحة أقواله وأفعاله وتصرفاته دون خوف أو وجل.

أما شخصية العطف والحنان فالكلام عنها يملأ الآفاق بعد أن قال عنها رسول الله «أم أبيها»، وبعد أن انسابت الكلمات من قلب على (ع) وهو يعبّر عن رضاه عنها، وتحسّره عليها بعد وفاتها، ولنا في نضج شخصية ابنيها الحسنين (ع) ما يدل على ذلك.

إن عدم القدرة على الفصل والفرز بين الشخصيتين، وعدم الوعى بالمكان والظرف الذى تنهض فيه تلك الشخصية أو الشخصية الأخرى، هو الذي يسبب التيه والضياع للمرأة، ويحرمها من تكامل شخصيتها ومن ثم نجاحها في مختلف شئون وتحديات الحياة.

إذا استحضرت المرأة عاطفتها في حضورها العام خارج المنزل، وأعملت كامل أنوثتها خارج النطاق المسموح به شرعاً، فإنها ستكون إلى الميوعة أقرب، ولن تقف عند حد معين،

(*) جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة.

وستفقد الكثير من قدرتها على الفعل والعطاء والتأثير الذي أراده الله سبحانه وتعالى من استخلاف الإنسان في الأرض (وإذ قال ربُك للملائكةِ إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً). كما أنها لن ترقى إلى مشاركتها في المسئولية إلى إعمار الأرض الذي أراده الله من الناس «هو أنشأكُم مِن الأرض واستعمركُم فيها».

العكس كذلك يمكن أن يقربه الإنسان في صورة المرأة التى تخوض غمار الحياة كالمرأة العاملة والموظفة والمديرة إلى آخر المهن والأعمال، فإنها لو تبلورت شخصيتها العملية التى تفرض عليها الصرامة والجد والتعامل بعيداً عن العاطفة، وأرادت أن تعكس كل ذلك على زوجها وأسرتها وأولادها فإنها ستحطم كل شىء أمامها وستتحطم هى.

إن المتابع لمواقف الزهراء يدرك العمق والمعنى الدقيق للمرأة الكاملة، وهى التى تجمع شخصيتين، الأولى شخصية أنثوية عاطفية ناعمة، والثانية شخصية إنسانة واثقة قوية بحجم تحديات الحياة وأعبائها، مع القدرة على التوفيق والانسجام بين تلك الشخصيتين، والوعى بالمكان والظرف المناسب لكل شخصية.

انطلاقاً من كل الصفات انطلقنا في كتابة بحثنا المتواضع هذا عن سيدتى فاطمة الزهراء(ع) بترجمة ما كتب عنها لدى الروس مباشرة في الأنسكلوبيديا الروسية (الموسوعة العلمية). البحثُ يتكون من مبحث واحد هو إبراز هذا الجانب العلمى من هذه الدراسة الخاصة بالزهراء (ع).

المقدمة

السلام على الطهر والصفاء، السلام على نور الضياء، السلام على ابنة سيد الأنبياء، السلام على السبب المتصل بين الأرض والسماء، السلام على سيدة النساء، السلام على الزهراء (ع). هامت روحي بين أنوارك ِومعاجزكِ الخالدة، سيدتي، التي تعجز النفوس عن استيعابها والعقول على فهمها وحصرها، وكيف لا وأنت سيدة للعالمين من الأولين والآخرين. وهاهو الغرب يسبقنا للتكرم بأنوارك القدسية وتتشرف أمه المسيح بتقديس أنفاسك الزكية التي منّت عليهم بالسكينة والسلوان وأسسّت النورانية والطهر على ارض أصبحت ببركتك من بقاع الله المقدسة. بينما نحن نقف عاجزين أمام كيانك المحمدي ومن ترابك محرومين وعن رياضك مهجّرين.

سيدتي كم عانيت كثيراً وأنا أمسك بقلمي هذا من أجل التشرف بالكتابة عنكِ لا لشيء سوى من أجل أن يكون عملي البسيط هذا شيئاً نذيراً أضعه بين يديكِ لحظة الوقوف أمام ربي العظيم ويسألني عما كتبته عنكِ، ماذا أكتب عنكِ؟ وأنا لست برجل دين أو مؤرخ أو أستاذ تاريخ، فرق كبير وشاسع بين التاريخ والترجمة الروسية.... ضاق صدري

واعتصرت وبحثت كثيراً في أقوال المستشرقين وغيرهم، فلم أجدُ أكثر فائدةً من ترجمة ما ذكر عن سيدتي ومولاتي مباشرة في الأنسكلوبيديا الروسية (الموسوعة العلمية).

في عملنا هذا سنترجم ما ذُكر عن سيدتي لدى الروس في الأنسكلوبيديا الروسية. وقبل البدء بالترجمة نرغبُ بذكر هذه الرواية التي خصت بها دولة البرتغال دون غيرها. وأكرر سابق القول بان الغرب قد تكرم بأنوار سيدتي القدسية وتشرفت أمه المسيح بتقديس الأنفاس الزكية التي منّت عليهم بالسكينة والسلوان، وأسسّت النورانية والطهر على ارض أصبحت ببركتها من بقاع الله المقدسة. بينما نحن نقف عاجزين أمام كيانها المحمدي ومن ترابها محرومين وعن رياضها مهجّرين.

"فاطمة" أو "فاتيما" اسم أطلق على مدينه بأسرها كرامة لسيدة نساء العالمين (ع) في بلاد تدين بدين غير دين محمد عليه وآله خير الصلاة والسلام، وليس هذا بالكثير عليها روحي فداها ولكن العجب كل العجب من أن يكون الغرب سباقاً لتجسيد هذا المقام المحمود لها (ع) ونحن نقف مكتوفي الأيدي أمام القلوب الحاقدة التي تحاول إطفاء نورٍ يأبى الله له إلا أن يكون وضاءاً وأكثر إشراقاً.

فهذه هي نفسها الزهراء المحمدية التي انبثق نورها في البرتغال ليتعدى حدود الأديان والزمان والمكان ليبقى رمزاً لسمو الروح وتزكيتها. فأصبحت منارة وركيزةً يحج إليها آلاف القلوب والأبدان من كل مكان في بقعه يجلها أهل البرتغال جميعاً وسموها باسم سيدة الإسلام الأولى (فاطمة) (ع).

في الثالث عشر من مايو في كل عام، آلاف من البشر يهرعون قاصدين قرع أبواب السيدة الجليلة، التي يطلقون عليها اسم (السيدة ذات المسبحة). منهم طالب للشفاعة والغفران ومنهم طالب للشفاء وتقديم النذور والقربان تيمناً بابنة نبي الإسلام!! قد تتساءل كيف يجلونها هذه الجلالة!! وهم من الكاثوليك الذين ينكرون آساساً الإسلام، بل كيف يتوافدون إليها كل عام زاحفين على ركبهم وكيف يعتقدون بها ويعلمون إنها عقيدة راسخة لا يشوبها عابثين ويلقنوها أجيالهم جيلاً تلو جيل!! إن هذا لا يلقي الضوء إلا على عظمة سيدة العالمين التي لم يقتصر نورها على دين أبيها المطهر فحسب، إنما تعدى ليشمل كل الأقطار.

وتعود هذه العقيدة الراسخة إلى واقعة تاريخية حدثت في عام١٩١٧م كما يرويها أهل البرتغال قاطبة. ففي تراثهم أن ثلاثة أطفال رأوا سيدة جليلة أسمها فاطمة، ووصفوها بأنها السيدة ذات المسبحة، وقالوا أنها ابنة نبي الإسلام. وبذا أصبحت هذه الرواية مصدراً تاريخياً لاعتقاد عميق وشفاف في حياة شعب البرتغال.

والقصة كما يرويها الأطفال الثلاثة وهم (جاستا البالغة من العمر ٧ سنوات، فرانسيسكو البالغ من العمر ٩ سنوات ولويسيان ذات العشر سنوات) وقد كانت لويسيان الشاهدة الرئيسية لهذه لواقعة كما نقلها الأطفال الثلاثة. حيث يروون:

في عام١٩١٦م وقبل عام واحد من لقاءنا بالسيدة تجلى أمامنا ملك قال لنا هذه الكلمات الثلاثة: «لا تخافون فأنا ملك السلام، يا إلهي إنني أؤمن بك، وأعتقد بك وأعشقك، وإني أستغفر لؤلئك الذين لا يصدقون ولا يعشقون ولا يؤمنون». وقد تجلى أمامنا هذا الملك مرتين في الصيف والخريف، وفي كل مرة يطلب منا شيئاً، كأن نقدم قرباناً، ونستغفر للمذنبين وندعو له. وحقيقة كانت هذه المرات الثلاث بمثابة تهيئة لنا للقاء السيدة ذات المسبحة، وفي الثالث عشر من مايو عام ١٩١٧م. شاهدنا نوراً وضاء، ثم شاهدنا فوق شجرتي الزيتون والبلوط نوراً عظيماً وظهرت لنا سيدة أكثر وهجاً من نور الشمس، تسمى فاطمة، بنت النبي، قالوا لها: من أين جئت؟ قالت: جئت من الجنة. قالوا لها: ماذا تريدين؟ قالت: جئت لأطلب منكم الحضور لهذا المكان مرة أخرى، ثم أخبركم فيما بعد ماذا أريد منكم. وقد كانت هذه السيدة ذات المسبحة تظهر في كل شهر منذ مايو وحتى أكتوبر وفي آخر لقاء حصلت المعجزة الكبيرة أمام أنظار سبعين ألف مشاهد اجتمعوا لرؤية السيدة ذات الم سبحة، فقد وقفت هذه السيدة أمام الحشد الكبير وأدارت الشمس في كبد السماء، ثم أوقفتها ثم أدارتها من جديد حتى خالها الناس ستقع عليهم، ثم أعادت الشمس كما كانت.

إلى هنا تقف الرواية لتي تداولها البرتغاليون، وقد كان لهذه الواقعة صدى كبير في الأوساط السياسية والدينية والاجتماعية، حيث طبعت أول صورة لهذا الحدث في صحيفة (لشبونة) في العام نفسه، وقد لفتت هذه الحادثة أنظار الناس إلى صدق دعوى هؤلاء الأطفال الذين لم يعرفوا الكذب في حياتهم. أما الأطفال فقد غيّب الموت اثنين، وقد كان لهذا الحدث دعم لصدق كلامهم، حيث إنهم بينوا سلفا أن هذه السيدة قادمة مرة أحرى لأحدهم للجنة، أما لويسيان الي ما زالت على قيد الحياة فقد نذرت نفسها من أجل الحياة الدينية وخدمة هذه السيدة العظيمة، خصوصاً بعد ما أوكلت إليها هذه المهمة وحملتها مسؤولية هداية الناس.

لقد غيّرت هذه الحادثة العديد منن معالم الحياة في البرتغال، ففي عام ١٩١٩م بني معبد في مدينة فاطمة يختص بالسيدة العظيمة وبذكرها ورغم تدمير بعض المبغضين له عقب ثلاث سنوات من بنائه، إلا أن أهل هذه القرية أعادوا ترميمه وإصلاحه، وفي عام ١٩٣٠م آجاز الأسقف الأكبر وضع مراسم خاصة لهذا المعبد، وأخيراً في عام ١٩٥٣م سمحت الكنيسة بإقامة عبادة خاصة وطقوس معينة لهذا المعبد وكما وضع الإطار الرسمي لهذا المزار وأصبح مكانا تحج إليه أفواج من البشر كل عام.

ولم تكن زيارة قادة كنائس الكاثوليكية بأمر عجيب فها هي قرية فاطمة أضحت بقعة مباركة قد لا تختلف عن أي مزار مقدس آخر. وها نحن نرى الناس وهم يتوافدون أفواجا إلى هذا المزار جاثمين على ركبهم صابرين رغم الجروح والقروح، ممسكين بمسبحة بيضا ء، يخالونها تقربهم من السيدة المتألقة، وهم موقنون ومعتقدون أشد الاعتقاد أن مسعاهم لن يذهب أدراج الرياح، أليس عجيباً هذا الجسد، وهذه الإرادة وهذا الاستعداد للاحتفاء بذكرى رؤية السيدة العظيمة؟

ملاحظة: نخص بالذكر والتأكيد أن المصدر الوحيد لعملنا هذا هو (الموسوعة العلمية الروسية الأنسكلوبيديا). أرجو من المولى أن يتقبل عملنا هذا بقبولٍ حسنٍ أنشاء المولى، ويجعله في ميزان حسناتنا.

فاطمة (ابنة النبي)

فاطمة ابنة النبي محمد، الواعظة والموحدة للدين الإسلامي، أبنته الوحيدة التي عاشت حتى مماته. أن المسلمين يبجلون فاطمة ويحتذون بها كمثال للصبر والتقوى، وكقدوة لأفضل الصفات الأخلاقية.

أسماءها:

- فاطمة (من الفطم) ـ وهو الحماية من الشر وجحيم النار.
- الزهراء (هي الزهرة) ـ أي الإضاءة.
- الصديقة (أي الصادقة) ـ نفسها.
- الكبرى (كبرى) ـ من التضخيم.
- المباركة (مباركة) ـ أي طوبى لها.
- الطاهرة (أي طاهرة) ـ الصافية
- الزكية (زكية) ـ العفيفة.
- الراضية (راضية) ـ مسرورة المصير سلفاً من قبل الله.

العلاقة بين فاطمة ووالدها علاقة حب كبيرة ومعاملة ود دافئة بينهم. يعامل بعضهم بعضاً بمحبة كبيرة ودفئ كبير، وكانت فاطمة أول من رحب بالنبي محمد عند عودته من رحلته الأخيرة، ومعه راحلته. وإلى جانب ذلك لم يُعرف رجلاً بهذه الجدية وبهذه المكانة مثلما كان عليها النبي. وفي كل مرة عندما يهبط الوحي تدخل فاطمة على أبيها، فيسرع لها النبي ويقبلها وأحياناً ترتفع من مجلسها لتجلس إلى جنب رسول الله (صحيح الترمذي، الفصل الثاني صفحة ٢١٩).

ولدت فاطمة في السنة الخامسة أو السنة الأولى وفقاً لبعض المصادر بعد بداية البعثة النبوية للنبي محمد في مكة المكرمة. ولادتها كانت في الفترة التي بدأت بها قريش تتعامل بقمع عنيف مع المسلمين. في تلك الفترة تركت خادمة السيدة خديجة العمل مع السيدة مما أَوجب على السيدة أن تلد لحالها من تلقاء نفسها. ووفقاً لتقاليد العرب أن الأطفال يُعطون منذ الولادة إلى المرضعات من أجل إرضاعهم وتعليمهم اللغة العربية الفصحى.أما فاطمة فمنذ ولادتها قد تربت في حضن السيدة خديجة. خديجة فاطمة وتربت من الولادة.تزامنت السنوات الأولى من حياة فاطمة مع فترة من الحصار الاقتصادي المفروض من قريش ضد المسلمين، وأنه قد تم حظر الحصول على الغذاء وممارسة التجارة، استمر المسلمون ثلاث سنوات، يعانون من الجوع في شعب أبي طالب. في السنة العاشرة للبعثة النبوية توفيت والدة فاطمة وتوفي جدها أبو طالب وكانت فاطمة تشهد سوء المعاملة والعنف والقمع المكثف ضد والدها وأتباعه المسلمين.

بعد ما بلغت فاطمة سن الزواج، تقدم لخطبتها الكثير من الخاطبين النبلاء والأغنياء، كان من بينهم من الصحابة أبو بكر وعمر. زوج محمد أبنته من ابن عمه علي بموافقة أبنته فاطمة. حدث هذا في عام ٦٢٢ أو ٦٢٣. قيمة مهرها كان ٤٨٠ (وتقول بعض المصادر أنه كان ٥٠٠ دينار)، وأن هذا المبلغ قد حصل عليه الأمام من بيع درعه. كان زواجهما زواجاً متواضعاً كما شجع بذلك الإسلام. واستمر زواجهما ١٠ سنوات انتهت بوفاة فاطمة. وعلى الرغم من سماح الإسلام بتعدد الزوجات إلا أن علياً لم يتخذ زوجة ثانية له خلال حياة فاطمة.

أطفالُ فاطمة:

- زينب
- أم كلثوم
- (الإمام الحسن)
- محسن
- (الإمام الحسين)

توفيت فاطمة بعد أشهر قليلة من وفاة والدها، كما أسربها ذلك قبل وفاته، في السنة الحادية عشر للهجرة غادرت الحياة وأوصت زوجها بتغسيلها. ولأسباب سياسية دفن علياً فاطمة سرا ليلاً، ولا يزال مكان قبرها مجهولا. هذه هي روح ابنة النبي محمد (فاطمة). والجدير بالذكر أن يحظى مكان في البرتغال باحترام وتوقير الناس لظاهرة مرتبطة بروح السيدة فاطمة حدثت هناك في محيط هذه البلدة Fatima.

النبي محمد وريث لشرف عائلة طاهرة، أنه كنزُ كبير، وهذا الكنز الكبير لا يستند على الدم ولا على الأرض، ولا على القيم المادية وإنما على ظاهرة الوحي التي ولدت

من الإيمان، والفكر الثوري والإنساني، كل ذلك توحد في روح النبي حيثُ جمع النبي أعلى القيم الروحية في تأريخ البشرية قاطبة. ينحدُرُ محمداً من روح التأريخ البشري فهو ليس فقط من عبد المطلب أو عبد مناف، أو قريش أو من العرب، أنما ينسل من نسل إبراهيم، ونوح وموسى وعيسى وفاطمة وريثة هذا النسل الوحيدة. جاءت سورة الكوثر لتعزز للنبي ذلك حيثُ سورة الكوثر، يا محمد أنا أعطيناك فاطمة نكايةً بعدوك الذي له عشرة أبناء وهو يدعي أنك الأبتر بل هو الأبتر نحنُ أعطيناك فاطمة الكوثر بالوقت الذي عدوك لا يملك شيئاً. فاطمة ثورة في عبق التأريخ، حيثُ تدافع فاطمة عن مبادئ والدها وحامية لشرف العائلة. إنها استمرار لسلسلة من الأجداد العظام التي تبدأ مع آدم وتمر بجميع قادة الحرية والضمير الإنساني من خلال إبراهيم ومروراً بموسى وعيسى وتُختم بمحمد حيثُ تختم هذه السلسلة. كانت فاطمة البنت الوحيدة في هذه الأسرة وهي منتظرةً ولادة أبنها.ومحمد يعلم جيداً كيف ستصل إليها يد الأقدار وهي سلسلة العدل، وكانت فاطمة تعرف من هي. نعم! وتعلم مع من تعيش وأي مدرسةٍ ثورية تنتمي لها. هذا هو الدين وهذه هي ثورية أحفاد إبراهيم.

لم يكن لأحد الحق أن يدفن في المسجد الأكبر في العالم، وهو المسجد الحرام في مكة المكرمة قرب (الكعبة). هذا البيت هو بيت لله. هذا الموقع مخصص للرب. وهذا هو الاتجاه الذي يسترشد إليه جميع المصلين. بناهُ إبراهيم وأطلق فيه نبي الإسلام الحريات وحرره من الأصنام واوجد فيه حرية الطواف من حوله وحرية العبادة والتأمل. وجميع الأنبياء العظماء خلال التاريخ خدموا هذا البيت ولكن لم يمتلكوا الحق في أن يدفنوا فيه. النبي إبراهيم بناهُ ولكن لم يُدفن فيه، والنبي محمد حررهُ من الأصنام ولكن لم يُدفن فيه. على مر التأريخ البشري لم يمتلك أحداً هذا الحق أو هذا الشرف في أن يُدفن في الكعبة سوى امرأة أُعطيت هذا الحق الله أنعم عليها هذا الشرف، إنها هاجر زوجة إبراهيم الثانية، والدة إسماعيل. أمر الله إبراهيم لبناء المعبد الكبير ليبني إلى جنبه قبر هاجر.لتستمر البشرة إلى الأبد تمر حل قبرها ومن خلاله. الله أختار امرأة عظيمة من بين نساء العالم لتكون كالجندي المجهول وهي امرأة من الرقيق بعبارة أخرى اختار الله المرأة التي منها خلق أنبياء البشرية العظماء.

نعم، في هذه المدرسة كانت هناك عالمة كانت كالثورة مثل هذه الشخصية أصبحت محررة، هكذا قيم الإسلام حال المرأة. فرب إبراهيم قد أختار فاطمة. وأصبحت فاطمة وريثة مجد الأنبياء داعمة للقيم النبيلة لأسلافها واستمرار شجرة النبوة لعائلتها.

في المجتمع الذي تدفن فيه البنت وهي حية عند ولادتها، في المجتمع الذي يتمنى الأب أن يجد قبراً لأبنته هذا هو المجتمع الذي كان. النبي محمد كان يعلم حقاً ما سيجري على فاطمة بعد وفاته.أنه تكلم معها وأسرَ لها. ممكن أن نرى أن بيت فاطمة بني إلى جوار بيت النبي. فاطمة وزوجها علي هم الوحيدين الذين عاشوا بجوار المسجد النبوي. وهم من بيت واحد وهناك

ممر من مترين يفصل هاتين الدارين. شباكين أحداهما مقابل للآخر يفتحون من بيت النبي إلى بيت فاطمة. كان الرسول يفتح الشباك في كل يوم ويحيي أبنته الصغيرة فاطمة.

كان النبي عندما يتوجه في أمر ما خارج المدينة يتوجه أولاً إلى بيت فاطمة يطرق الباب عليها ُيسلمُ عليها ويتوجه في أمره إلى رحلته، وكانت فاطمة هي الشخص الأول التي تستقبل أبيها عند عودته. بعض المصادر التاريخية تشير إلى أن النبي محمد كان ُيقبل يد فاطمة، وأن هذه العلاقة الحميمة بين النبي وأبنته أثارت انتباه الكثير من المسلمين والعظماء ومؤرخي التأريخ إلى المكانة العظيمة التي تحتلها فاطمة في قلب الرسول. إن الإسلام يشجع على تحرير البشرية من العادات والتقاليد البالية ويربي عند الرجل التواضع بالانحناء إجلالاً وإكباراً للمرأة العظيمة.

فهو يأخذ بيد المرأة في السعي من أجل المجد والجمال الإنساني، والتخلص من عادات مجتمع الجاهلية الموروثة من شعور بالنقص والحقارة. لهذا السبب فإن النبي لا يشير بذلك فقط إلى الحنان الأبوي اتجاه البنت بل يعطي للمرأة مبدأ تحمل مسؤولياتها. النبي يتكلم عنها بكل فخر واعتزاز، وتحدث عن ذلك كما يلي: "في التاريخ كانت هناك أربع نساء عظيمات: مريم وآسية (زوجة فرعون)، الذي ربى موسى (النبي موسى) وخديجة، وفاطمة". يقول النبي "يرضى الله لرضى فاطمة ويغضب لغضبها". ويقول أيضاً من أرضى فاطمة أرضاني ومن أغضبها أغضبني. ويقولُ أيضاً من أحب أبنتي فاطمة أحبني. ويقول أيضاً يرضى الله لرضى فاطمة ويغضب لغضبها ويقول أيضاً فاطمة بضعة مَني ما أصابها أصابني وما آلمها آلمني وما آلمني يؤلم الله. لماذا كل هذا التكرار؟ ولماذا النبي يشيدُ دائما بابنته الصغيرة؟ لماذا هذا دائماً وأمام الآخرين؟ لماذا يريدُ من الناس أن تعرف كل شيء عن علاقة الاحترام التي يكنها النبي لأبنته؟ وأخيراً، لماذا النبي يؤكد دائماً على الفرح والغضب من فاطمة؟ لماذا يكرر دائماً كلمة 'ألم' فيما يتعلق بفاطمة؟ الجواب واضح فالتأريخ قد أجاب عن كل تلك الأسئلة. وقد أجاب التأريخ عن كل تلك الأسرار بعد بضعة أشهر من وفاة أبيها محمد. والدها النبي كان يحمل ولاية وعي البشرية على كتفيه، وواجه عِداء أعدائه، وأمها كرست نفسها لهموم زوجها النبي. قضت السيدة فاطمة طفولتها بالألم والحزن والسخط من الحياة، لم تعش السيدة فاطمة طفولتها كبقية الأطفال. كانت كثيراً ما ترافق والدها، وهي تعلم جيداً أن والدها لا يملك الحياة الحرة، حتى لا يملك حرية مرافقة أبنتهُ لهُ في الأسواق. يسير دائماً وحيداً في عاصفة من الحقد والكراهية في المدينة فقد عبر الأهوال والمخاطر التي كانت تنتظره على كل الجوانب. كانت الطفلة تعرف مصير والدها، لذا فهي لم تسمح له بالسير لوحده. مرات عديدة شاهدت والدها واقفاً بين حشد من الناس. يتحدث بلطف مع الناس، وأنهم يردون عليه بوقاحة وخشونة. وكانت نيتهم الوحيدة هو أن يسخروا منه، والتي توضح

كل ما لديهم من عداوة اتجاهه. رأى النبي محمد نفسهُ وحيداً ولكن بهدوء وصبر استطاع أن يجمع فريق هنا وفريق هناك من الناس الراغبين في الانتماء إلى الإسلام وأكثر في دعوتهم بالدخول في الإسلام. هناك قصة مذكورة مفادها أن النبي محمد دخل يوماً المسجد الحرام وهناك شتموا النبي وانهالوا عليه بالضرب. كانت أبنته فاطمة طفلة صغيرة، وكانت واقفة على مسافة قصيرة من مكان أبيها، وبألم وبعصره في قلبها شاهدت أن والدها لا حول ولا قوة له، فهرعت مسرعةً له وبيديها أزاحه عن وجه أبيها ما عمله الكفار بالنبي وأخذت بيدهِ وعادوا إلى البيت. كان الناس الآخرين القريبين منهم ينظرون كيف دافعت فاطمة عن أبيها وهي الفتاة الضعيفة الصغيرة النحيلة. واستمرت فاطمة تساند أبيها في كل ما مر به من محن ومعاناة وبسبب كل هذا الإسناد لأبيها سميت فاطمة بأم أبيها.

بدأت السنوات السوداء الصعبة، سنوات الجوع الصعبة في شعب أبي طالب. بنو هاشم وبنو عبد المطلب نفوا إلى ذلك المكان، حيثُ سُجن الرجال والنساء والأطفال في هذا الوادي الحار الجاف، ووضعت على جدار الكعبة وثيقة وُجهت إلى جميع الأغنياء من قريش. أن يلتزموا بهذه الوثيقة المعلقة على جدار الكعبة. ورد فيها "أن تقطع العلاقات مع بنوها شم وبنو عبد المطلب ماعدا أبو لهب، ولا يحق لأحد أن يشتري منهم شيئاً، أو يبيعَ لهم شيئاً، أو يتزوج منهم. اجبروا على العيش في هذا السجن من الحجر، ومعاناة الشعور بالوحدة والفقر والجوع. وأجبروا على تحمل العذاب والألم فخُيروا بين الطاعة لأصنام أو الموت الذي كان ينتظرهم، فتحملوا أنواع التعذيب. كان على جميع المسلمين أن يحملوا فكرة الدين الجديد وأن يُسَخروا مبادئ الحرية واختلاف الأفكار في توحيد جبهة الوقوف ضد الأعداء. دافع هؤلاء عن النبي محمد ودافعوا عن الإسلام إيماناً منهم بمبادئه، كانوا يعلمون أن النبي لا يسعى لتحقيق مكاسب شخصية. وإيماناً منهم بصدق النبي وشرف النبي وأيمانهم بأنهُ يريد بإخلاص تحرير الناس. وانخفض ظلال الموت على منزلهم خلال فترة الحصار. الصمت والحزن العميق يملئ حديجه، أم كلثوم وفاطمة. فجأة، كان هناك ظهر النبي تنيره قوة الأمل والإيمان النصر. كما لو أن ثلاث سنوات من الجوع والوحدة والزهد الروحي الشديد لم يؤثر على جسد وروح النبي، علاوة على ذلك زيادة شجاعته وقوة الإرادة والإيمان.

عاشت فاطمة وماتت بهذه الشخصية. بعد وفاتها بدأت حياة جديدة في التاريخ.تعتبر فاطمة تاج ينوّر حياة كل المؤمنين المظلومين. نوراً لكل المتواضعين والمظلومين الشهداء وكل الذين خُدعوا وظلموا في الحياة. نمت ذكرى فاطمة مع حب وإيمان وإلهام الرجال والنساء العظماء في التأريخ الذين كافحوا وقاتلوا من أجل الحرية والعدالة. هؤلاء خلدوا خلال التأريخ بالرغم من نوائب وصدمات المستبدين فلماذا تعتبر السيدة فاطمة مصدراً للمظلومية والتحرر على مدى التأريخ الإسلامي. ماذا أقول لك عن ذلك؟ كيفية معرفة ذلك؟ أود أن أكرر

ما ذكرهُ كاتب فرنسي، الذي تحدث مرة واحدة في مؤتمر حول مريم. حيثُ ذكر أن خلال ١٧٠٠سنة تحدث الكثير عنها الفلاسفة والمفكرين من مختلف بلدان الشرق والغرب تحدثوا حول قيمة مريم.خلال ١٧٠٠سنة الكتاب والشعراءِ أبدعوا في مؤلفاتهم بقوة في التعبير عن روح مريم. خلال ١٧٠٠ سنة الكثير من الفنانين الذين جسدوا خلال نتاجاً تهم الفنية عن شخصية مريم، فكل هذه الإبداعات لا يمكن أن تجسد شخصية مريم العظيمة كاملةً، بكلمة واحدة يمكن القول أن مريم هي مريم أم السيد المسيح "يسوع".

بهذه الصورة وددت أن أبدأ مع فاطمة ولكنني توقفت وودت أن أقول أنها فاطمة ابنة خديجة العظيمة وشعرت أنها ليست فاطمة، وودت أن أقول أنها فاطمة ابنة النبي محمد وشعرت أنها ليست فاطمة، وودت أن أقول أنها فاطمة زوجة علي وشعرت أنها ليست فاطمة، وودت أن أقول أنها فاطمةُ أمُ الحسنِ والحسين وشعرت أنها ليست فاطمة، وودت أن أقول أنها فاطمة'أمُ زينب وشعرت أنها ليست فاطمة، كلا إنْ كلُ ذلك صحيح، ولكن أيا من هذا لا يمكن أن تعبر تماماً عن عظمة شخصية فاطمة. فاطمة هي فاطمة.

خاتمة البحث:

وهكذا أوصي في خاتمة البحث بما يلي:

١. ضرورة تتبع أعمال المستشرقين الحديثة والتي يدعون بعلميتها، بكل ما يكتبونه عن سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء بالكتب أو المقالات الصادرة باللغات الأجنبية من مختلف الجامعات الأوربية والمراكز البحثية المختلفة.
٢. إظهار مظلومية سيدتي الزهراء ع) في كافة المناسبات والمحافل الأدبية.
٣. نشر فكر آل البيت إلى الرأي العالمي، من خلال توسيع عمليات الترجمة لهذا الفكر النير بمختلف اللغات العالمية الأخرى.
٤. إنشاء مراكز للبحوث العلمية، والتوسع في إنشاء أقسام الاستشراق والدراسات العربية الإسلامية، بالجامعات العربية ومدها بأحدث وسائل التقنية المعاصرة، لتهيئ مستشرقين متخصصين في الدراسات الإسلامية والإقليمية، من الغربيين الأجانب. وإعداد جيش من الباحثين المتمرسين، في اللغات الأوربية الحديثة وغيرها، وتزويدهم بالدراسات التأصيلية وتوفير المصادر والمراجع الاستشراقية.

المصادر:

١ ـ الأنسكلوبيديا الروسية الموسوعة العلمية.

٢ ـ صحيح أبو داود.

٣ ـ بلوغ المرام، كتاب أبن حجر العسقلاني.

٤ ـ صحيح البخاري، كتاب الحملات العسكرية. ❖

مريم العذراء... وفاطمة الزهراء محاور لقاء بين المسيحية والإسلام

✍ د. لويس صليبا(*)

في طريقي لزيارة بلدة فاطمة في البرتغال[1] أشهر محجّات السيدة العذراء في العالم، كنت جالساً في القطار أقرأ في كتاب عن تاريخ تلك البلدة الصغيرة في وسط البرتغال والتي أطبقت شهرتها الآفاق بعد ظهورات متوالية لمريم أم المسيح فيها العام ١٩١٧ (من ٥/١٣) إلى ١٩١٧/١٠/١٣). وكنت أتساءل عن اسم هذه البلدة. فإذا بي أقع على عبارة للكاتب حفرت من ذلك الوقت في الذاكرة يقول: «ليس الأمر مجرّد صدفة أن تختار السيدة العذراء بلدة تحمل اسم ابنة رسول الإسلام فاطمة لتظهر فيها وتنشر رسالة سلام إلى الخلق في ذروة احتدام الحرب العالمية الأولى».

وهكذا اقترن اسما مريم وفاطمة برسالة للسلام العالمي في صلب التقليد المسيحي.

تلك الملحوظة اللافتة جعلت من زيارتي زيارة مزدوجة لمريم وفاطمة في آن. ومذاك طفقت أتأمل وأتفكّر وأبحث بما يجمع بين هاتين المرأتين من صفات وفضائل. وليس ما أقدّمه في هذه المقالة خاتمة البحث ولا محصّلته، وإنما خطوة أولى خارطة طريق.

وما لفتني بداية هو أن صورة فاطمة ارتبطت في التقليد الإسلامي، ولا سيما الإمامي منه، ومنذ البداية بمريم العذراء.

وسنلاحظ في الأحاديث تدرّجاً في التقديم والتأخير.

أخرج الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١هـ)، وابن عبد البرّ (٣٦٨ ـ ٤٣٦هـ)، في الاستيعاب عن أبي سعيد الخدري: قال النبي: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلاّ ما كان من مريم بنت عمران»[2].

وأخرج أبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ) في حلية الأولياء وابن عبد البر في الاستيعاب عن عمران بن حصين: «أن النبي عاد فاطمة وهي مريضة، فقال لها: كيف تجدينك يا بنيّة. قالت إني لوجعة، وإنه ليزيدني أنّ مالي طعام آكله، قال: يا بنيّة، أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت: يا أبت فأين مريم بنت عمران؟ قال تلك سيدة نساء عالمها، وأنتِ سيدة نساء عالمك[3]».

(*) أستاذ وباحث في الدراسات الإسلامية والأديان المقارنة، باريس ولبنان.

(١) انظر البحث الموسوم "القديسة فاطمة في البرتغال (نقطة للتلاقي الإسلامي المسيحي) الذي كتبه الأستاذ محمد سعيد الطريحي والمنشور في مجلته (الموسم) العددان ٣٧ ـ ٣٨ لسنة ١٩٩٨م ـ ١٤١٩هـ ص٩ إلى ص١٨".

(٢) ابن عبدالبرّ، أبو عمر يوسف (ت ٤٣٦ ت)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق خليل شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٦، ص ٩١٠.

(٣) م. ن.

نلاحظ تدرّجاً في إيلاء المرتبة بين الحديثين الأول والثاني. وسيزداد ذلك وضوحاً في المصادر المتأخرة، ولا سيما في الإمامية منها ففي معالم الزلفى مثلاً للمحدث هاشم البحراني (ت١١٠٧) نقرأ الحديث التالي: «ابن بابوية[1] بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قلت لأبي عبدالله (ع)، أخبرني عن قول رسول الله (ص)، في فاطمة "إنها سيدة نساء العالمين" هي سيدة نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم، كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»[2].

وحديث آخر يندرج في سياق المقارنة عينها بين فاطمة ومريم، أخرجه الزمخشري في الكشاف في تفسيره لآية آل عمران ٣٧/٣ والتي تقول عن مريم: «قالت هو من عند الله إن الله يرزق مَن يشاء».

وجاء في حديث الزمخشري: «وعن النبي أنه جاع في زمن قحط، فأهدت له فاطمة، رغيفين وبضعة لحم آثرته بها، فرجع بها إليها، وقال هلمّي يا بنيّة، فكشفت عن الطبق، فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً، فبهتت، وعلمت أنها نزلت من عند الله، فقال لها (ص)، أنى لك هذا؟ فقالت: هو من عند الله إن الله يرزق مَن يشاء بغير حساب، فقال (ص): الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل»[3].

نلاحظ من القراءة الأولى للحديث أنه مفصّل على قياس الآية، وما يهمّنا منه ما يرسمه من لوحة لوجه فاطمة، ع، تستوحي ملامح مريم[4] ومعجزاتها.

وستزداد الملامح شبهاً والوجهان تشابهاً مع الزمن. وسنبيّن ذلك عبر محورين:

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن بابويه العمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ). صاحب مَن لا يحضره الفقيه.

(٢) البحراني، العلامة المحدّث السيد هاشم (ت١١٠٧)، معالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى، تحقيق مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم/إيران، مؤسسة أنصاريان، ط١، ٢٠٠٢، ج٣، ص ١٦١.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر (٤٦٧ - ٥٣٨هـ). تفسير الكشاف، تحقيق خليل شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩، ص ١٧٠ — ١٧١.

(٤) في مصدر إمامي متأخر نجد رواية مفصّلة للحديث تجمع بين آيتين ومعجزتين آية المائدة ومعجزتها (المائدة ١١٤/٥). إضافة إلى آية عمران ٣٧/٣ المذكورة في المتن نقلاً عن الزمخشري يورد المحدّث عبدالله بن نور الدين الأصفهاني (القرن ١٢هـ) في عوالم العلوم الرواية التالية عن ابن عبّاس: «قالت [فاطمة] إلهي أنزل علينا مائدة كما أنزلتها على بني إسرائيل أكلوا منها وكفروا بها. اللهم أنزلها علينا فإنا منها مؤمنون قال ابن عباس والله ما استتمت الدعوة فإذا هي بصحفة من ورائها يفور قتارها، فاحتضنتها، ثم أتت بها إلى النبي (ص)، وعلي والحسن والحسين، ع، (...)، قال لها علي: من أين لك هذا؟ ولم أكن أجد عندك شيئاً. فقال له النبي (ص)، كل يا أبا الحسن ولا تسأل، الحمد لله الذي لم يمتني حتى رزقني ولداً، مثلها مثل مريم بنت عمران كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقاً الآية... عمران ٣٧/٣». (البحراني الأصفهاني، المحدّث الشيخ عبدالله بن نور الدين، عوالم العلوم والمعارف والأحوال، سيدة النساء فاطمة الزهراء، قم/إيران، مؤسسة الإمام المهدي، ج٢، ص ٨٦١.

١ – أسماء مريم وألقابها في المسيحية مقابل أسماء فاطمة وألقابها في الإعلام ولا سيما الإمامي.

٢ – السيرة التقوية: أجيوغرافيا agiographie لمريم في التقليدَين المسيحي والإسلامي مقابل أجيوغرافيا فاطمة في المصادر الإمامية، علماً أن المحورَين متداخلان في كثير من الأحيان فأسماء مريم وألقابها مستوحاة من سيرتها وفضائلها وهي حال فاطمة.

في الاسم: مريم اسم مصري الأصل ثم آرامي له نحو ٦٧ معنى أبرزها السيدة المحبوبة من الله، المشيرة العابدة[١] والرائية[٢].

وفي القرآن: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، (آل عمران/٣٦) يقول الزمخشري مفسّراً: «فإن قلت: فلم ذكرت تسميتها مريم لربّها. قلت: لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرّب والطلب إليه أن يعصمها، حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها وأن يصدق فيها ظنّها بها»[٣].

وهكذا يرتبط اسم مريم بمعناه ومدلولاته اللغوية بالعبادة ولا سيما العصمة (معصومة) فمريم معصومة من مسّ الشيطان في المفهوم الإسلامي وكما يقول الحديث النبوي[٤] الذي سنورده لاحقاً. أما الإيمان المسيحي فيعبّر عن ذلك بأنها معصومة من الخطيئة الأصلية ولنذكر هنا أن المعصومة أحد أبرز ألقاب فاطمة. وسنعود إلى كل ذلك.

ماذا عن اسم فاطمة؟!

أخرج الكليني (ت ٣٢٩هـ/٩٤١) في الكافي حديثاً عن الإمام الباقر (أبو جعفر)[٥]. قال: «لما ولدت فاطمة أوحى الله إلى ملك فأنطق به لسان محمد (ص)، فسمّاها فاطمة، ثم قال إني فطمتك بالعلم، وفطمتك من الطمث. ثم قال أبو جعفر: والله لقد فطمها الله بالعلم، وعن الطمث في الميثاق»[٦].

---

(١) أثناسيو، متري هاجي، السلام عليك يا مريم الموسوعة المريمية، دمشق، ط١، ١٩٨٢، ص.

(٢) الفغالي، بولس، المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم، بيروت، المكتبة البولسية، ط٢، ٢٠٠٩، ص ١١٨٣.

(٣) الزمخشري، م. س، ص ١٧٠.

(٤) م. ن.

(٥) حديث مسند إلى محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن يزيد بن عبدالملك عن أبي جعفر.

(٦) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق صادق بزرك بفرويي، قم/إيران، مؤسسة أنصاريان، ط٢، ٢٠٠٧، باب مولد الزهراء، ص ١١٣، ح ١٢٤٣.

وأخرج الشيخ الصدوق ابن بابوية القمّي (ت٣٨١هـ) حديثاً عن يونس عن الإمام الصادق (أبي عبدالله) أنه قال: أتدري أي شيء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرني يا سيّدي، قال: فطمت من الشرّ[١].

وأخرج الصدوق في كتاب ثانٍ له حديثاً آخرَ جاء فيه: «بطرف معتبرة أن النبي (ص)، قال: إنما سمّيت فاطمة لأن الله عزّ وجلّ فطم مَن أحبّها من النار»[٢].

وهكذا تظهر في اسم فاطمة معاني البتولية وأيضاً الشفاعة ولا سيما من الهلاك. وفي التقليد المسيحي عن القدّيس برنردس[٣] «مَن كان للعذراء عبداً لن يدركه الهلاك أبداً».

كما يظهر معنى العصمة من الشرّ، فهي ومريم معصومتان كما سنورد.

والخلاصة فإن ملامح الشبه بين السيدتين تظهر حتى من الاسمين، فكيف إذا استعرضنا الألقاب؟

وسنعرض في ما يلي أبرز ما حبا التقليد الإسلامي والإمامي فاطمة (ع)، من ألقاب، ونقارنها بما في التقليد المسيحي من أسماء وألقاب.

نقل الشيخ الصدوق في الأمالي بعضاً من ألقاب فاطمة وأبرزها: الصديقة، المباركة، الطاهرة، الزكية، الرضية، المرضية المحدّثة، الزهراء، البتول[٤].

ونقل ابن المغازلي (ت٤٨٣هـ) في المناقب ألقاباً أخرى منها: الحوراء، الحرّة، السيّدة، العذراء، مريم الكبرى، الصدّيقة الكبرى. ومن الكنى (جمع كنية): أم أبيها وأم الأئمة[٥].

لنستبصر بداية في لقب لافت: البتول. وهو من أشهر ألقاب مريم.

ففي طلبة العذراء، وهي من أشهر الصلواتَ وأدعية المؤمنين لمريم[٦] نجد أن عبارة بتول من أكثر الألقاب المكرّرة في الطلبة:

---

(١) ابن بابوية القمّي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، علل الشرائع، بيروت، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ، ج١، ص ١٧٨، ب ١٤٢، ج٣.

(٢) ابن بابوية القمّي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، معاني الأخبار، تحقيق علي أكبر الغفاري، قم/إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٣٦١هـ. ش، باب معاني أسماء محمد وعلي وفاطمة، ح ص ٦٤، ح ١٤.

(٣) القدّيس برنار أوبرنردس Bernard de Claiwaux (١٠٩١ – ١٧٥٣)، من كبار المتخصّصين في لاهوت مريم العذراء. صليبا، د. لويس، قاموس فلسفة المسيحية، ط١، ٢٠١٢، ص ٨٧ - ٨٨.

(٤) ابن بابوية، القمّي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، أمالي الصدوق، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٠هـ، مجلس ٨٦، ص ٥٩٢، ح ١٨.

(٥) ابن المغازلي، أبو الحسن علي بن محمّد بن محمد الواسطي الشافعي المعروف بابن المغازلي (ت٤٨٣هـ)، المناقب، تحقيق محمد باقر البيهودي طهران، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٢.

(٦) طلبة العذراء وضعها الكاردينال بولس شانسلي عام ١٤٨٣ م. واشتهرت بطلبة سيدة لورات. وهي مدينة إيطالية يكرّم فيها بيت العذراء التي بشرها فيه الملاك وحبلت من الروح القدس.

١ – يا بتولاً حكيمة،

٢ – يا بتولاً مكرّمة،

٣ – يا بتولاً ممدوحة،

٤ – يا بتولاً قادرة،

٥ – يا بتولاً حنونة،

٦ – يا بتولاً أمينة[١].

وبتول كلمة آرامية سريانية أي لغة المسيح وتعني بكر وعذراء[٢].

وجذر الكلمة الأساسي بَتَرَ ثم قلبت الراء لاماً. ما يعني البتر. وفي العربية الجذر عينه: بتل: قطع وفي كتاب العين أقدم المعاجم العربية يشرح الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ): «أصله القطع والبتول كل امرأة تنقطع عن الرجال فلا حاجة لها فيهم ولا شهوة ومنه التبتل وهو ترك النكاح[٣].

ولا نجد عند هذا العالِم الذي عرف بتشيّعه أي أثر لـ(بتول) لقباً لفاطمة. ونجده عند الأزهري (٢٧٢ ـ ٣٧٠هـ) في تهذيب اللغة. فيشرح لقب مريم ويبرّر لِمَ أطلق على فاطمة. يقول: سمّيت مريم البتول لتركها التزوّد. وسئل أحمد بن يحيى عن فاطمة بنت رسول الله (ص)، لِمَ قيل لها البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً وديناً وحُسناً»[٤].

وفي اللسان لابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) «البتول وبها سمّيت مريم أم المسيح (...) وقالوا لمريم العذراء البتول والبتيل لذلك»[٥].

وواضح مما ذكره الأزهري وابن منظور أن هذا اللقب مخصّص في العربية لمريم، أما إطلاقه على فاطمة فيعود برأينا إلى تماهي صورتها في الوجدان الإسلامي مع صورة البتول أم المسيح وهو ما سنعود إليه.

---

(١) صفير، يوسف، كتاب زياحات وتراتيل روحية، بيروت، مكتبة صفير، ط١٢، ١٩٥٥، طلبة العذراء المجيدة ص ٦٢.

(٢) صليبا، د. لويس، النساطرة والإسلام جدلية علاقة، دراسة وتحقيق للمجدل، جبيل/لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ط٢، ٢٠١٢، ص ٤٥٢.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٥هـ)، كتاب العين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ٢٠٠٥، ص ٥٥، ج١.

(٤) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد(٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ)، معجم تهذيب اللغة، تحقيق رياض قاسم، بيروت، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠١، ص ٢٧١.

(٥) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٦٣٠ ـ ٧١١هـ)، لسان العرب تحقيق يوسف البقاعي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ٢٠٠٥، ج١، ص ٢٢١.

المباركة لقب مريمي بامتياز نجده في الإنجيل. تقول أليصابات والدة النبي يوحنا (يحيى) ونسيبة مريم لها: «مباركة أنتِ في النساء»، لوقا ١/٤٢. وفي الآرامية ـ السريانية اللغة التي تكلّم بها المسيح م بَ رَ خـ تُ. إنها اللفظة عينها في اللغتين العربية والسريانية. وفي السريانية تلفظ الكاف أو تقلب غالباً إلى خاء.

وهذا اللقب المريمي أطلق على فاطمة لذرّيتها المباركة، تماماً كما أطلق على مريم للسبب عينه، تقول أليصابات: «مباركة أنتِ في النساء ومبارك ابنك ثمرة بطنك»، لوقا ١/٤٢.

ومن ألقاب فاطمة الصدّيقة. يقول العلاّمة محمد باقر المجلسي صاحب البحار (ت ١١١١هـ): الصدّيقة بمعنى المعصومة[1] والصدّيقة لقب آرامي ـ توراتي قديم لمريم ولِمَن سبقها من الصديقات. ونكتفي بالتوقف عند لقب: المعصومة الذي اشتهرت به فاطمة كما عرف به الأئمة من بيتها.

والمعصومة هو الآخر لقب مريمي قديم. ويشير إلى عقيدة مهمّة في اللاهوت المريمي المسيحي، وقد سمّاها اللاهتيون المشرقيون "المعصومة من الخطيئة الأصلية" وتحدّثوا عن عصمة العذراء مريم من الخطيئة الأصلية وتبعاتها والتي حُبل بها بلا دنس أي بدون الخطيئة الأصلية[2]، يقول القدّيس صفرونيوس (ت٦٣٨م) بطريرك أورشليم عند الفتح العربي: «ولج المسيح أحشاء مريم المتألقة طهراً، المعصومة من كل لوثة في النفس والجسد والعقل، البريئة من كل دنس»[3].

ونجد في الإسلام ما يوازي هذه العقيدة في الحديث الذي اتفق على تخريجه الشيخان البخاري ومسلم.

ففي لفظ البخاري[4]: «سمعت رسول الله يقول: ما من بني آدم مولود إلاّ يمسّه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان غير مريم وابنها»[5].

وفاطمة معصومة لأنها فطمت من الشرّ كما مرّ معنا في حديث الإمام الصادق، فمفهوم عصمتها شبيه بمفهوم عصمة مريم في حديث الشَيْخَين البخاري ومسلم الآنف الذكر.

---

(١) عقيل محسن، من أروع ما قالته السيدة فاطمة الزهراء، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٦.

(٢) أثناسيو، م. س، ص ٢٥٠.

(٣) م. ن، ص ٢٧٠.

(٤) أخرج البخاري الحديث عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن الرسول.

(٥) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق خليل شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٤، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله واذكر في الكتاب مريم، ص٨٨١، ح٣٤٣١.

فمريم وفاطمة معصومتان بالمفهوم والتعبير الإسلامي، كما أن مريم معصومة في التعبير اللاهوتي المسيحي الشرقي والغربي.

وفاطمة هي "الزهراء" لأنها إذا قامت في محرابها تزهر لأهل السماء ويزهر وجهها لأمير المؤمنين[١].

وفي المسيحية لقب مشابه لمريم: إنها الوردة السرّية[٢] والشهر المخصّص لإكرامها هو أيار شهر الزهور والورود.

ومن ألقاب فاطمة "المحدّثة" ويشرح المجلسي (ت١١١١هـ) في البحار: بمعنى أن الملائكة تحدّثها[٣].

ومريم هي الأخرى محدّثة جبريل وسنعود إلى وجه الشبه هذا في سيرتَي العذراء والزهراء.

ومن أبرز كنى الزهراء: "أم أبيها" أخرج ابن عبد البرّ (ت٤٦٣هـ) الآنف الذكر في الاستيعاب عن جعفر بن محمد (الإمام الصادق): «كانت كنية فاطمة بنت رسول الله (ص)، أم أبيها»[٤].

وفاطمة أمّ أبيها لحنوّها وعطفها عليه، وهو مَن ذاق يُتْم الأم والأب باكراً.

ومريم تكنّى بأم المسيح. كل تكنّى بأمومة الأنبياء.

ونجد في المصادر المتأخرة عن الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، ألقاباً للزهراء تمثل مزيداً من التقرّب من الوجه المريمي لدرجة التماهي بين الصدّيقتين. فابن المغازلي (ت٤٨٣هـ)، وكما أسلفنا يورد ألقاباً مثل: السيدة، العذراء، مريم الكبرى.

إذا جمعنا اللقبَين الأولين حصلنا تحديداً على التسمية المألوفة والمتداولة مريم في المسيحية: السيدة العذراء.

وإذا كانت الزهراء بتولاً بالمعنى المجازي إذا صحّ التعبير، فكيف لنا أن نشرح عذريتها؟!

لقب مريم مستمدّ من التوراة في آية سِفر أشعيا الشهيرة والتي تكرّرها الأناجيل مراراً «ها إن العذراء تحبل وتلد ابناً وتسمّيه عمانوئيل»، (أشعيا ١٤/٧).

---

(١) ابن بابوية القمّي، أمالي الصدوق، م. س، ص ٥٩٢.

(٢) صفير، طلبة، م. س، ص ٦٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بن محمد تقي(ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، دار إحياء التراث، ط١، ١٤١٢، ج ٤٣، باب ٢، ص ١٨ – ١٩.

(٤) ابن عبدالبرّ، الاستيعاب، م. س، ص ٩١٢.

فماذا عن الزهراء العذراء؟ يشرح البعض عذريتها بأنها فطمت عن الطمث. وسبق وأوردنا حديث الإمام الباقر الذي أخرجه الكليني في ذلك، وثمة آخر في الكافي عن أبي الحسن (الكاظم): «محمد بن يحيى عن العَمْرَكي بن عليّ عن عليّ بن جعفر عن أخيه أبي الحسن قال: إن فاطمة صدّيقة شهيدة وإن بنات الأنبياء لا يطمثن»[1].

ولن نفهم أبعاد لقب العذراء، المسبغ على الزهراء في حقيقته وأبعاده، إلاّ متى تفكّرنا باللقب الآخر الذي نجده عند ابن المغازلي في المناقب: فاطمة هي مريم الكبرى، فيه تظهر محاولة تقريب صورة فاطمة وشخصيتها ودورها من صورة مريم جليّة واضحة.

لقد رسم التشيّع المتأخر لوحة للصدّيقة الزهراء مستعيراً قسمات وبعض ملامح من صورة السيدة العذراء. تلك بضع تأملات وأفكار عمّا نجد من قربى وتقريب بين الصدّيقتَيْن الزهراء والعذراء. فلنلقِ الآن بعض الأضواء على نقاط الشبه أو التقريب في سيرتيهما التقوية agiographic.

تتقاطع هاتين السيرتين في نقاط ومحاور عديدة:

في ولادة العذراء يروي إنجيل يعقوب المنحول (القرن الثاني): «ولم يظهر يواكيم (والد مريم) قط لعيني زوجته. بل شخص إلى القفر، وضرب هناك خيمته، وصام أربعين يوماً أربعين ليلة وهو يقول في نفسه: لن أقرب البتة طعاماً أو شراباً إلى أن يتنازل الرب وينظر إليّ، فالصلاة وحدها تكون طعامي وشرابي»[2].

يروي المجلسي (ت١١١١هـ) في "حياة القلوب" الحديث التالي عن تباشير الحمل بفاطمة: «بينما النبي جالس بأبطح ومعه عمار وأبو بكر وعمر وعلي وحمزة إذ هب عليه جبرائيل في صورته العُظمى وقد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه: يا محمد العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً، فشقّ ذلك على النبي (ص)، وكان محبّاً لها، وبها واقعاً قال: فأقام النبي أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مراراً لفقد رسول الله»[3].

المشهد عينه يتكرّر إذاً قَبْل الحمل بالصدّيقتين:

صوم الوالد أربعين يوماً وتحنثه في الصلاة المتواصلة.

---

(١) الكليني، الكافي، م.س، ص ١١٣، باب مولد الزهراء فاطمة، ح ١٢٣٩.

(٢) إنجيل يعقوب، نقلاً عن أثناسيو، م.س، ص ٥٩ – ٦٠.

(٣) المجلسي، حياة القلوب، نقلاً عن: الناصري، أم حيدر، مواليد المعصومين الأطهار، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٩، ص ٦٦ – ٦٧.

أما عن الحمل بمريم فيواصل إنجيل يعقوب المنحول روايته: وإذا بملاك الرب يقف بها ويقول لها: حنة، حنة، إن الرب سمع صلاتك، ستحبلين وتلدين، وثمرة أحشائك ستكون عظيمة في الأرض كلها. فقالت حنة: حيّ الرب إلهي. إن أنا وضعت في الدنيا ولداً ذكراً كان أم أنثى، أقدّمه للرب إلهي. ويكون وقفاً على خدمته جميع أيام حياته.

«عندئذ اقترب منها ملكان يقولان: هوذا يواكيم رجلك يأتي بقطعانه، لأن ملاك الرب انحدر إليه قائلاً إن الرب سمع صلاتك، فاذهب من هذا المكان. وها هي امرأتك حنة ستحبل في أحشائها»[1]، ويتابع المجلسي الرواية عن الحمل بفاطمة، فبعد مضي الأربعين يوماً من الصيام والقيام، هبط جبريل إلى الرسول بما يفطر به. وبعدها، يقول: «ثم قام النبي (ص)، ليصلّي، فأقبل عليه جبريل، فقال: الصلاة محرّمة عليك في وقتك، وحتى تأتي إلى منزل خديجة، فإن الله عزّ وجل إلى على نفسه أن يخلق من صلبك هذه الليلة ذرّية طيبة»[2].

يلاحظ تدخّل الملاك عند الوالدين يواكيم ومحمد ومباركة النظيفة التي ستولد منها الصديقة.

وهكذا يتطهّر الأب بالصوم والصلاة والتحنّث، ثم يبارك الملاك نظفته ليتمّ الحمل بوالدة الذرّية المباركة، روايتان تتقاطعان في المحاور الأساسية، وكأن واحدة مستوحاة من الأخرى.

ذكرنا أن مريم وفاطمة كلاهما "محدّثة للملائكة"، وبالأخصّ جبرائيل وسنتبصّر هنا في دور جبرائيل والبشارات والنبوات في أجيوغرافيا (السيرة التقوية) لكل منهما.

جبرائيل في التقليد المسيحي هو ملاك البشارة المرسل خصّيصاً إلى مريم جاء في إنجيل لوقا ٢٦/١ – ٢٣: «أرسل الله الملاك جبرائيل إلى بلدة في الجليل اسمها الناصرة، إلى عذراء اسمها مريم، كانت مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف.

فدخل إليها الملاك وقال لها: السلام عليك يا مريم يا ممتلئة نعمة الرب معك، فاضطربت مريم لكلام الملاك وقالت في نفسها: ما معنى هذه التحية؟ فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، نلت حظوة عند الله. فستحبلين وتلدين ابناً تسمّيه يسوع. فيكون عظيماً، وابن الله العليّ يدعى، ويعطيه الرب الإله عرش داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه انقضاء». وبشارة جبرائيل لمريم معروفة في التقليد المسيحي ومشهورة وراسخة في الوعي واللاوعي الجماعي.

---

(١) أثناسيو، م. س، ص ٦٠ – ٦١.

(٢) المجلسي، نقلاً عن الناصري، م. س، ص ٦٧ – ٦٨.

وجبرائيل كما نعرف جميعاً هو ملاك الوحي القرآني في الإسلام وناقل هذا الوحي للرسول. ولكن يبقى له في التقليد الإمامي دور في تعزية فاطمة وبشارتها يذكر بدوره مع مريم.

فجبريل هو ملاك البشارة بزواج فاطمة من الوصيّ.

أخرج الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) صاحب التهذيب والاستبصار في أماليه عن أستاذه الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) الحديث التالي[1]: عن الضحّاك بن مزاحم سمعت عليّ بن أبي طالب (ع) يقول فأتاه جبريل فقال: يا محمد، زوّجها عليّ بن أبي طالب فإن الله قد رضيها له، ورضيه لها.

قال عليّ: فزوجني رسول الله (ص)، ثم آتاني فأخذ بيدي حتى أقعدني عندها ثم قال: اللهم إنهما أحبّ خلقك إليّ فأحبهما وبارك في ذرّيتهما»[2].

وجبرائيل هو الملاك المعزّي لفاطمة والمنبئ بما سيكون في ذرّيتها، أخرج الكليني (ت٣٢٩هـ) في الكافي/باب مولد الزهراء الحديث الشهير واللافت التالي عن الإمام الصادق: «محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن أبي عبيدة عن أبي عبدالله (ع) قال إن فاطمة (ع) مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان يأتيها جبرائيل (ع) فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها. وكان علي (ع) يكتب ذلك»[3].

إنه حديث مصحف فاطمة الشهير. وما يهمّنا منه في بحثنا هنا دور جبريل. رأيناه في حديث الطوسي وشيخه المفيد المبشر بزواج فاطمة. وهو هنا المعزّي والمنبئ. إنه ينبئ بما يشبه النبوءة لمريم في الإنجيل: «هذا الطفل اختاره الله لسقوط كثير من الناس، وقيام كثير منهم في إسرائيل. وأما أنتِ فسيف الأحزان سيفذ في قلبك» (لوقا ٢/٣٤ – ٣٥).

ولفاطمة سيف أحزان لا يقلّ إيلاماً. سيفان وذبيحان واحد على الجلجة وأخر في كربلاء. وجبريل يحكي قصّة الذبح والفداء.

---

(١) سند الحديث المفيد عن محمد بن الحسين عز الحسين، بن محمد الأسدي، عن جعفر بن عبدالله العلوي عن يحيى بن هاشم الغساني عن محمد بن مروان عن جوير بن سقد عن الضحّاك بن مزاحم عن علي بن أبي طالب.

(٢) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، أمالي الطوسي، تحقيق مؤسسة البعثة، قم/إيران، دار الثقافة، ط١، ١٤١٤هـ، ج١، ص ٣٧.

(٣) الكليني، الكافي، م. س، باب مولد الزهراء، ص ١١٢، ح ١٢٣٨.

تروي آية التزيل عن ذبح إبراهيم وذبيحته: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (الصافات/١٠٧).

أيمكن أن تكون الفدية/الذبح العظيم مجرّد كبش؟ كبش الفداء في التقليد المسيحي هو ابن مريم المذبوح/المصلوب على الجلجة.

يقول هذا التقليد الراسخ في الوجدان المسيحي: «ما ذنب هذا الكبش حتى مات لكي يفدي إسحاق؟ لا ذنب له. وما ذنب المسيح حتى أنه فدانا بموته على الصليب؟ مات بلا ذنب وهذا هو معنى الفداء أن يموت بارٌّ بريء عن خاطئ أثيم فبموت البارّ يحيا الأثيم. هذا ما فعله المسيح لأجلنا. وكما صار هذا الكبش فداءً لإسحاق... هكذا مات المسيح فداءً عن الجميع»[1]، ماذا عن التقليد الإسلامي الإمامي؟

أخرج الشيخ الصدوق ابن بابوية القمّي (ت٣٨١هـ) عن الإمام أبي الحسن الرضا (ع) الحديث التالي: «قال الرضا (ع) لما أمر تعالى إبراهيم أن يذبح مكان ابنه الكبش تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب. فأوصى الله إليه: يا إبراهيم مَن أحبّ خلقي إليك؟ قال: محمد (ص)، فأوحى الله إليه: هو أحبّ إليك من نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أو ولدك؟قال: بل ولده. قال فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال يا إبراهيم إن طائفة تزعم أنها من أمة محمد (ص)، ستقتل الحسين، ع، ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم لذلك، فتوجّع قلبه وأقبل يبكي. فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل، ع، لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين، ع، وقتله وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب. وذلك قول الله ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (الصافات/١٠٧) ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم»[2].

وهكذا جاز سيف الأحزان في قلبيّ الصدّيقتين العذراء والزهراء فاستحقتا كأبيهما إبراهيم ارفع درجات أهل الثواب على المصائب. فكلّ منهما علمت بما سيكون من ذبح لابنها وفداء.

صورة الأم الحزينة المفجوعة والثكلى رسخت في الوجدانين المسيحي والإمام وجمعت بين الصدّيقتين إلى درجة التماهي. موحّدتان بالآلام كانتا في الحياة وكذلك في الوفاة

---

(١) القمص بولس القمص ميخائيل، إسحق والمسيح، مراجعة الأسقف الأنبا توماس، القاهرة، مكتبة مار جرجس، ط١، ٢٠٠٢، ص ١١٦.

(٢) ابن بابوية القمّي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، ع، تحقيق مهدي الحسيني اللاجوردي، طهران، منشورات جهان، د. ت، ج١، ص ٢٠٩، ح١.

وما بعد الوفاة. فالتقليد الإمامي يصرّ على التوحيد بين العذراء والزهراء في شعائر الوفاة. أخرج الكليني عن الإمام الصادق الحديث التالي[1]: عن المفضل قلت لأبي عبدالله (ع)، من غسل فاطمة، قال ذاك أمير المؤمنين. وكأني استعظمت ذلك من قوله، فقال كأنك ضقت بما أخبرتك به. قال فقلت قد كان ذاك جُعلت فداك قال فقال لا تضيقنّ فإنها صديقة ولم يكن يغسلها إلاّ صدّيق. أما علمت أن مريم لم يغسلها إلاّ عيسى[2].

وفي طقوس ما بعد الوفاة يعود جبرائيل ليظهر في سيرة الصدّيقتين. وهكذا يرافق حياة كلّ منهما منذ ما قبل الحمل بهما فالبشارة به فالبشائر السارّة لكل منهما وكذلك المحزنة، فإلى المواراة في الثرى. فمن المهد إلى اللحد تسير حياة العذراء وكذلك الزهراء ببركة جبرائيل وحراسته.

ففي التقليد الإسلامي، والإمامي خصوصاً عن وفاة العذراء أخرج المحدّث هاشم البحراني (ت١١٠٧) الآنف الذكر رواية لوهب من منبه كما يلي: «فلقي عيسى رجلين، فقال لهما: إن أمّي ماتت غريبة في هذا الجبل، فأعينوني على غسلها ودفنها. فقالا: لذلك أرسلنا أنا جبرائيل، وهذا ميكائيل، وهذا الحنوط وأكفان الجنة، وتولّى جبرائيل (ع) حفر قبرها، وشق الجبل شقاً وجعل رأسها مما يلي القبلة التي كانا يصلّيان إليها، ثم صلّى عليها عيسى وجبرائيل وميكائيل مع الملائكة. فلما دفنوها عرج جبرائيل وميكائيل والملائكة إلى السماء»[3].

وعن مراسم غسل فاطمة وتحنيطها يروي البحراني عينه نقلاً عن الديلمي قال: «روي أنه لما حضرتها الوفاة قالت لأسماء بنت عميس، إذا أنا متّ فانظري فإذا رأيت سجفاً [ستراً] من سندس من الجنة قد ضرب فسطاطاً في جانب الدار، فاحملني، واجعلنني وراء السجف، فلما توفيت (ع)، وأظهر السجف، حملنها وجعلنها وراءه، فغُسلت وكفّنت وحنطت بالحنوط، وكان كافوراً أنزله جبرائيل من الجنة في ثلاث صور فقال. يا رسول الله، الله يقرئك السلام ويقول هذا حنوطك، وحنوط ابنتك وحنوط أخيك علياً مقسوم أثلاثاً، فإن أكفانها ماءها وأوانيها من الجنة، وأنها أكرم على الله تعالى أن يتولى ذلك منها أحد غيرها»[4].

---

(١) سند الحديث: عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن عبدالرحمن بن سالم عن المفضل عن أبي عبدالله، ع.

(٢) الكليني، الكافي، م.س، باب مولد الزهراء، ص ١١٣، ح ١٢٤١.

(٣) البحراني، معالم الزلفى، م.س، ج١، ص ٣٧٤.

(٤) البحراني، معالم، م.س، ج١، ص ٣٨٨.

والشبه بل التماثل بين روايتي شعائر وفاة ودفن قريم وفاطمة لا يحتاج إلى كبير إعمال فكر وتأمل لملاحظته فهو ظاهر للعيان.

ومشهد أخير مَعَادي إسكاتولوجي من سيرة الصدّيقتين في الآخرة. أخرج المحدّث هاشم البحراني (ت١١٠٧هـ) الآنف الذكر عن تفسير الإمام الحسن العسكري (٢٣٢ - ٢٦٠هـ/ ٨٤٦ - ٨٧٤ م)[١].

الحديث التالي: قال رسول الله (ص)، يا عباد الله، إن الله أغاثكم بتلك المرأة، أتدرون مَن هي؟ قالوا: لا. قال تلك تكون ابنتي فاطمة، فإذا دخلت الجنة، بقي مِرطها [كساء من صوف] ممدود على الصراط، طرف منه بيدها في الجنة، وطرف في عرصات القيامة، فينادي منادي ربنا: يا أيها المحبّون لفاطمة، تعلّقوا بأهداب مِرط فاطمة سيدة نساء العالمين، فلا يبقى محبّ لفاطمة إلاّ تعلّق بهدبة من أهداب مرطها. حتى يتعلّق بها أكثر من ألف فئام، وألف فئام وألف فئام. قالوا: وكم فئام واحد يا رسول الله؟ قال: ألف ألف من الناس»[٢].

المشهد الإسكاتولوجي الذي يرسمه هذا الحديث، وكأنه نسخة معدّلة عن أيقونوغرافيا Iconographie أي علم أيقونات ورسومات السيدة العذراء. فكثيرة هي اللوحات التي تصوّرها في انتقالها إلى السماء بعد رقادها وملايين البشر يتعلّق بأهداب ثوبها لتصعدهم معها. فمن ألقابها العزيزة على المسيحيين والتي يردّدونها في صلواتهم اليومية: «يا باب السماء تضرّعي لأجلنا»[٣].

الصدّيقتان كلفي تقليدها الديني باب للسماء يُدخل إليها الأبناء والمحبّين والمشايعين.

تلك بعض أوجه الشبه ومحاور التقاطع في سيرتي الصدّيقتين وغيرها كثير لا يتّسع المقام لعرضه وتحليله. تبقى نقطتان يمكن أن نخلص إليهما بنهاية هذا البحث.

---

(١) الإمام الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الحسيني الطالبي أبو محمد: الإمام الحادي عشر عند الشيعة، ولد في المدينة، وشي بأبيه إلى المتوكل الخليفة العباسي فاستقدمه إلى سامراء وكانت تسمّى مدينة العسكر، منسب إليها علي الهادي وابنه الحسن، بويع بالإمامة سنة ٢٥٤هـ. نسب إليه تفسير باسمه تفسير الإمام العسكري، وشكك بعض الباحثين بهذه النسبة، يقول فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي إن مؤلّف هذا التفسير لا يمكن التأكد منه في هذا الموضع.

نويهض عادل، معجم المفسّرين، تقديم الشيخ حسن خالد، بيروت، مؤسسة نويهض، ط١، ١٩٨٣، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) البحراني، معالم الزلفى، م. س، ج٢، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٣) طلبة العذراء المجيدة، نقلاً عن صفير، م. س، ص ٦٣.

١ – الأولى تلعب مريم وفاطمة كل في تقليدها الدور عينه: دور المؤنث. ولعالم النفس الشهير كارل غوستاف يونغ.

نظرية معروفة في هذا المجال. فهو يقول إن أحادية التعبّد للمبدأ المذكر، وإغفال نظيره المؤنث، يُخلّ بالتوازن في النفس. مما يحدو اللاوعي الجماعي Inconseient collectif عند الشعوب إلى إيجاد مَن يمثل تاريخياً ودينياً هذا المبدأ[1].

لولا فاطمة ما كان الإسلام لا سيما الإمامي على ما هو عليه.

وهؤلاء المجرمون مَن يخطط ومَن ينفذ عمليات التفجير والإرهاب ليقتل مئات المسلمين ما كانوا ليقوموا بذلك لو أن صورة فاطمة، النموذج الأنثوي ماثلة في وجدانهم ولا وعيهم، فغياب المبدأ المؤنث يخلّ بتوازن النفس يقول يونغ.

٢ – يبقى سؤال: كيف نفهم خلفية هذا الغرب لا بل التقريب بين صورتي العذراء والزهراء؟!

لسنا نزعم هنا تقديم جواب نهائي وقاطع عن هذه الإشكالية البارزة. ونكتفي هنا بالإشارة إلى أجواء الودّ والتفاعل التي كانت سائدة بين المسيحيين وشيعة أهل البيت في العصر العباسي وهي ظاهرة بارزة في تاريخ العراق والمشرق تعرّضنا لها في عدد من أبحاثنا[2] ولم تنل بعد ما تستحق من اهتمام. وأكتفي بأن أشير هنا إلى نصّ عربي وسرياني مسيحي يعود في قسم بارز منه إلى زمن الخليفة العبّاسي المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/٨١٣ – ٨٣٣)، وفي أقسام أخرى إلى ما بعد ذلك بنحو قرن أو أكثر. إنه رؤيا الراهب بَحيرى. ونعمل حالياً على تحقيق هذا النص وترجمة القسم السرياني منه. إنه نصّ مَعَادي إسكاتولوجي يتحدّث عن مجيء مهديين واحد خيّر يملأ الأرض سلاماً وآخر شرير يضطهد المسيحيين، والمهديان يسبقان مجيء المسيح الدجال. الأول من نسل فاطمة، ع، ويسمّيه المهدي ابن فاطمة أما الثاني فيسمّيه المهدي ابن عائشة[3].

إنها إشارة تاريخية واضحة لعلاقات الودّ والتفاعل التي سادت بين المسيحيين والمسلمين في ذلك العصر. وكثير من النصارى الذين دخلوا في الإسلام يومها كانوا يشيّعون. إنها عناصر تاريخية مهمّة من شأنها أن تشرح بعض عوامل التقريب بين صورتي الصدّيقتين مريم العذراء وفاطمة الزهراء عليهما معاً أشرف السلام. ❖

---

(١) صليبا، د. لويس، الديانات الإبراهيمية بين العنف والجدل والحوار، جبيل، لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ط١، ٢٠١٢، ص ١٩٥.

(٢) صليبا، د. لويس، الحوار المسيحي ـ الإمامي، متى وأين، بحث قدم في مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي، كربلاء/العراق ٢٠١٢/٠٦/٢٦.

(3) Landron Bénédicte, Chrétiens et musulmans en Irak, Attitudes Nestoriennes vis - à - vis de l'Islam Paris, Cariscript, 1994, p 72 et 74 .

فاطمة الزهراء ومريم العذراء (ع)
التوافق في المأثرات والخصائص

✍ أ. م. د. مهدي حسين التميمي

(خير نسائنا مريم، وخير نسائنا فاطمة بنت محمد..) النبي محمد (ص).

تحتل البتوليتين فاطمة الزهراء، ومريم العذراء عليهما السلام مكانتهما السامية في السفر الرسالي، وقد أشاد القرآن الكريم بالتصريح وبالتلميح بهن، كمثل ما أشاد بهن الحديث النبوي الشريف، وفي هذا المجال فإنه قد ورد الذكر للسيدة مريم العذراء (ع) في القرآن الكريم وعلى نحو منفرد إحدى عشرة مرة[1]، وخصت بسورة باسمها (سورة مريم) اشتملت على ما كان من شأن ولادتها الروحية للسيد المسيح (ع)، وحرجها وعنت قومها معها في ذلك، وورد ذكرها بنسبة السيد المسيح (ع) لها في ثلاثة وعشرين آية تتوزع على اثنتي عشرة سورة (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، التوبة، مريم، المؤمنون، الأحزاب، الزخرف، الصف، التحريم)، واشتملت سورة آل عمران على نبذ من حياة السيدة مريم (ع) منذ ولادتها وتسمية أمها لها بذلك وما كان من شأنها مع النبي يحيى بن زكريا (ع) وكفالته لها، وخلوصها لله واصطفائها، وبشارتها بالولادة الروحية للنبي عيسى (ع)[2].

وورد الذكر للسيدة البتول فاطمة الزهراء (ع) في القرآن الكريم وفي قسط من المأثرات والمواقف مترافقاً مع ذكر السيدة مريم العذراء (ع)، وقد ذكر ابن شهر آشوب في (المناقب) بشأن ذلك: إن الله أعطى عشرة أشياء للنساء: التوبة لحواء زوجة آدم، والجمال لسارة زوجة إبراهيم، والحفاظ لرحيمة زوجة أيوب، والحرمة لآسيا زوجة فرعون، والحكمة لزليخا زوجة يوسف، والعقل لبلقيس زوجة سليمان، والصبر لبرجانة أم موسى، والصفوة لمريم أم عيسى، والرضا لخديجة زوجة المصطفى، والعلم لفاطمة زوجة المرتضى".

"وخوّفت أربعة من الصالحات: آسية، عذبت بأنواع العذاب، فكانت تقول: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[3]، ومريم: خافت من الناس وهربت ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي﴾[4]، وخديجة عذلها النساء في النبي فهجرنها، فقالت فاطمة: "أما كان أبي رسول الله؟ ألا يحفظ في ولده، ما أسرع ما أخذتهم وأعجل ما نكصتم".

---

(١) (آل عمران ٣٦ ـ ٣٧، ٤٢ ـ ٤٥، النساء: ١٥٧، ١٧١، مريم: ١٦، ٢٧، التحريم: ١٢).

(٢) آل عمران: ٣٥ ـ ٣٨، ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) التحريم/١١.

(٤) مريم/٢٤.

وروى أبو الهذيل عن مقاتل عن محمد بن الحنفية عن أبيه: أن رسول الله (ص) قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾[1] فقال: يا علي خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم"[2].

وقد ورد الذكر في الحديث النبوي للسيدتين فاطمة الزهراء ومريم العذراء عليهما السلام وافراً ومشتركاً، فكان (ص) يعوذها بما كانت تعوذ به مريم العذراء (ع)، وروي عن أم أيمن في ذلك: دخل رسول الله (ص) البيت فقال: لفاطمة (ع): "إئتني بماء"، فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء، فأخذه النبي (ص) ومج فيه، ثم قال لها: "تقدمي"، فتقدمت فنضح بين ثديها، وعلى رأسها وقال: اللهم ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[3]، ثم قال: إدبري، فأدبرت، فصب بين كتفيها، وقال: "اللهم أني أعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم"، ثم قال (ص): "إئتوني بماء" وقال علي (ع): فعلمت الذي يريد، فقمت فملأت العقب، وأتيته به، فأخذه فمج فيه وصنع بعلي كما صنع بفاطمة، ودعا له بما دعا لها، ثم قال: "أدخل بأهلك بسم الله والبركة"[4].

ويمكن إجمال أوجه التوافق في المأثرات والخصائص ما بين السيدتين الكريمتين فاطمة الزهراء، ومريم العذراء عليهما السلام بالآتي:

ترتقي البتولين فاطمة الزهراء ومريم العذراء عليهما السلام في نسبهما إلى أبي الأنبياء إبراهيم (ع)، ومن ولديه إسماعيل وإسحاق، وقد ورد الذكر لهن مع التخصيص لأنسال إسحاق ويعقوب من بعد في الآيات "٨٤ ـ ٨٦ من سورة الأنعام"[5]، وقد أورد الفخر الرازي بشأنها: أنه – تعالى – يذكر فيها إسماعيل مع إسحاق، لأن المقصود فيها أنبياء بني إسرائيل وهم بأسرهم أولاد إسحاق ويعقوب وذريته، ومنهم النبي عيسى ابن مريم (ع)، وأما إسماعيل فأنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا النبي محمد (ص)، وفي الآيات ما يشير إلى أن الحسن والحسين (ع) من ذرية رسول الله (ص)، وهم ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت محمد(ص)، لأن الله تعالى جعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أنه لا ينتسب إلى إبراهيم إلا بالأم، فكذلك الحسن والحسين (ع) من ذرية رسول الله (ص) وإن انتسبا إلى رسول الله (ص)

---

(١) آل عمران/٤٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٨٦٠ ـ ٨٦٣.

(٣) آل عمران/٣٦.

(٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، مج١، ص١٤١ ـ ١٤٢.

(٥) "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاً فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ".

بالأم، وقد وجب كونهما من ذريته، وأن الإمام أبا جعفر الباقر (ع) قد استدل بهذه الآية عند الحجاج بن يوسف[١]، كما استدل الإمام موسى بن جعفر (ع) بهذه الآية في أخباره مع هارون الرشيد، وكذلك الأمر في حديث أبي جعفر (ع) مع الجارود وقد احتج بالآية (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى"، وإنما الحق عيسى (ع) بذراري الأنبياء عن طريق مريم، وكذلك ألحقنا بذراري النبي (ص) من قبل أمنا فاطمة"[٢].

وأن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وهو أب النبي يوسف (ع) وبنوه بني إسرائيل – والذين يدعوهم القرآن الكريم بالأسباط – وهم اثنا عشر رجلاً، ومنهم النبي يوسف (ع)[٣]، وقد أشاد النبي محمد (ص) بأصولهم في قوله: "أنما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق" وقد عقب أن خلدون على ذلك بقوله: "أنه قد اعتبرت الأربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء"[٤]، وبمثل ذلك ما يكون من النسب الكريم لفاطمة الزهراء (ع) والذي يرتقي إلى الأربعة الأكارم: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم" – والذي تنتسب إليه الدوحة النبوية الشريفة، وتتسمى باسمه، وقد بلغ بنو هاشم منزلتهم في مكة بتوليهم المناصب المعتبرة فيها كالسقاية والرفادة، وقد كانت الرفادة خاصة من معالم الفضل والنبل ومعناها "التعاون"[٥]، حيث كان كل فرد يخرج من ماله أيام الموسم فيشترون للحاج الجزر والطعام والزبيب فيطعمون الناس من لا زاد له ولا سعة حتى انقضاء الموسم، وكان أول من قام بها لأهل مكة في سنة القحط والمحل هاشم بن عبد مناف، وكان يسمى عمراً، وسمي هاشماً من بعدها لهشمه الثريد فيها، وبه قال الشاعر:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف[٦]

١. الولادة الروحية وبشائرها:

ومن مبتدا الولادة الميمونة للسيدتين مريم العذراء وفاطمة الزهراء عليهما السلام كانت وجوه التوافق في مأثراتهما الروحية في ذلك، ويورد القرآن الكريم مشاهد ولادة السيد مريم للسيد المسيح (ع) في سورة مريم مفتتحة بذكر ولادة النبي يحيى بن زكريا (ع)، بشارة

---

(١) التفسير الكريم، مج٥، ص٥٣ - ٥٤.

(٢) كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج٤، ص٣٦٥ - ٣٦٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٦٨.

(٤) المقدمة، ص١٤٠.

(٥) لسان العرب، ج١، ص٢٥١.

(٦) حياة محمد، ص٥٦.

من بشائر الرحمة الإلهية تتوافق معها دلائل الإعجاز الإلهي، وفي تغطية أساسية لتفاصيل الولادة الميمونة تتضمنها "الآيات ١٦ ـ ٣٣" من السورة المذكورة ويكون تلك الولادة بـ"كلمة منه" – تعالى – بلغتها الملائكة لمريم العذراء (ع): ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[1].

وأن مريم (ع) قد امتحنت مع قومها في ذلك ولم ينقذها من محنتها غير المعجزة التي أنطقت السيد المسيح (ع) وهو في المهد منوها بصيرورته بالقدرة الإلهية:

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

ويرد في "بشارة لوقا" من العهد الجديد في الكتاب المقدس بشأن ولادة البنين يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم عليهما السلام ما يوافق ما ذكره القرآن الكريم من أمر ولادتهما مع بعض التفاصيل:

".. وحين كانت اليصابات – زوجة النبي يحيى بن زكريا (ع) في شهرها السادس أرسل الله لها الملاك جبرائيل إلى بلدة في الجليل اسمها الناصرة إلى عذراء اسمها مريم.. فدخل إليها الملاك وقال لها: السلام عليك، يا من أنعم الله عليها، الرب معك، فاضطربت مريم لكلام الملاك وقالت في نفسها: "ما معنى هذه الكلمة"؟، فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، نلت خطوة عند الله، فستحبلين وتلدين ابنا تسميه يسوع، فيكون عظيماً وابن الله العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله عرش أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد.."، فقالت مريم: "كيف يكون هذا وأنا عذراء لا أعرف رجلاً"؟ فأجابها الملاك: "الروح القدس يحل عليك، وقدرة العلي تظللك، لذلك فالقدوس الذي يولد منك يدعى ابن الله، ها قريبتك أليصابات حبلى بابن في شيخوختها، وهي التي دعاها الناس عاقراً، فما من شيء غير ممكن عند الله"، فقالت مريم: "أنا خادمة الرب فليكن لي كما تقول"[3].

وكانت المشاهد قبل وبعد ولادة السيد فاطمة الزهراء (ع) شبه تلك المشاهد الروحية الاعجازية التي كانت للسيدة مريم العذراء (ع)، ويذكر الطبري في ذلك: أن عائشة قالت: قلت لرسول الله (ص): ما لك إذا قبلت فاطمة جعلت لسانك في فمها كأنك تريد أن تلعقها عسلاً؟! فقال (ص): "أنه لما أسرى بي أدخلني جبرائيل الجنة فناولني تفاحة فأكلتها فصارت

---

(١) آل عمران/٤٥.

(٢) مريم/٢٧ ـ ٣٠.

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، لوقا ١: ٢٦ ـ ٣٨.

نطفة في ظهري، فلما نزلت من السماء واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، كلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها"[١].

ولما حملت السيدة خديجة (ع) بفاطمة (ع) كانت تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك عن رسول الله (ص) فدخل رسول الله (ص) يوماً فسمع خديجة (ع) تحدث فاطمة (ع) فقال لها: "يا خديجة من تحدثين"؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني" قال: "يا خديجة هذا جبرائيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها الحجة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه، فلم تزل خديجة (ع) على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين عني ما تلي النساء فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوجتي محمداً.. فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً" فاغتمت خديجة (ع) لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربعة نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة، إنا رسل ربك إليك ونحن أخواتك، هذه سارة وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران - بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها والثالثة بين يديها والرابعة من خلفها فوضعت فاطمة (ع) طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور"[٢].

وذلك هو ذات النور الذي سطع يوم ولدت السيدة مريم (ع) بالسيد المسيح (ع). وقد ذكر الكتاب المقدس من ذلك:

".. وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية، يتناوبون السهر في الليل على رعيتهم، فظهر ملاك الرب لهم، وأضاء مجد الرب حولهم فخافوا خوفاً شديداً"، فقال لهم الملاك: "لا تخافوا ها أنا أبشركم بخبر عظيم يفرح له جميع الشعب، ولد لكم النوم في مدينة داود مخلص هو المسيح.."[٣].

وكان النبي (ص) يعوّذ فاطمة (ع) بما كانت تعوذ به السيدة أم مريم (ع) ابنتها، وعن أم أيمن قالت: "دخل رسول الله (ص) البيت فقال لفاطمة (ع): ائتني بماء "فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء، فأخذه النبي (ص) فمجّ فيه ثم قال لها: "تقدمي"، فتقدمت، فنضح

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، مج١، ص١٦٥.

(٢) بحار الأنوار، ل١٠، ص٦ - ٧.

(٣) الكتاب المقدس - العهد الجديد - لوقا ٢: ٨ - ١٢.

(رش) بين ثدييها، وعلى رأسها وقال: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1]، ثم قال: "أدبري" فأدبرت فصبه بين كتفيها وقال: "اللهم أعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم"، ثم قال رسول الله (ص): "ائتوني بماء"، قال علي (ع): فعلمت الذي يريد فقمت فملأت العقب ماء وأتيته به، فأخذه فمج فيه، وصنع بعلي كما صنع بفاطمة، ودعا له بما دعا لها، ثم قال (ص): "أدخل بأهلك بسم الله والبركة"[2].

وأنه بمثل ما بشرت السيدة مريم العذراء (ع) بولدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾[3]، فأن السيدة فاطمة الزهراء (ع) قد بشرت بالحسن والحسين عليهما السلام، ففي الحديث: أن النبي (ص) بشرها بولادة كل منهما بأن يقول لها: "ليهنئك أن ولدت ابناً يسود أهل الجنة" وأكمل الله تعالى ذلك في عقبها قوله تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[4] يعني علياً (ع)، وفي قوله تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[5] لمريم، فأن الزهراء (ع) قد كفلها رسول الله (ص)[6].

وبمثل ما كانت السيد مريم (ع) ترزق بما ينزل عليها من الجنة في محرابها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾[7]، فأنه قد صح للسيدة فاطمة الزهراء (ع) مثل ذلك الرزق السماوي، وذكر الزمخشري في ذلك: أن زكريا (ع) كان لا يدخل على مريم(ع) إلا هو وحده، وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب، وكان رزقها ينزل عليها من الجنة،.. فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فيقول لها: من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير هيئته، والأبواب مغلقة عليك، لا سبيل به إليك"، ومثله ما ذكر عن النبي محمد (ص): أنه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم أثرته بها، فرجع بها إليها، وقال: "هلمي يا بنية" فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً، فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله، فقال لها (ص): "أني لك هذا" فقالت: "هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب" فقال عليه الصلاة والسلام: "الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل"، ثم طعم رسول الله (ص)

---

(١) آل عمران/٣٦.
(٢) ذخائر العقبى، مج١، ص١٤١ - ١٤٢.
(٣) آل عمران/٤٥.
(٤) الزخرف/٢٨.
(٥) آل عمران/٣٧.
(٦) بحار الأنوار، ل١٠، ص٣٠.
(٧) آل عمران/٣٧.

علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته، فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة (ع) على جيرانها"[١].

وعن أبي سعيد: "قال لي علي (ع): قلت يوماً لفاطمة: هل عندك شيء آكله"؟ قالت: لا منذ يومين" قلت: يا فاطمة، لم أعلمتني أدخلتك وولدي في حرج"، قالت: استحيي من الله أن أكلفك ما لا تقدر عليه"، وأن علياً (ع) قال: استقرضت ديناراً فأردت أن اشتري ما يصلح لهم فعرض إليّ المقداد وهو يضطرب محزون فقلت له: "ما اضطرابك؟ قال: لقد تركت أهلي يبكون من جوع"، فبكيت من حزنه ودفعت إليه الدينار الذي استقرضت، فصليت مع النبي (ص) الظهر والعصر فقال لي: يا أبا الحسن هل عندك شيء آكله؟، فعرفته حالي الذي خرجت عليه، قال (ص): قد أوحي إلي أن أتعشى في بيتكم، فدخل فإذا جفنة بقدر، وقال: يا علي هذه من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب، وقال: الحمد لله الذي يجري فينا ما أجري على مريم، ثم قرأ: " **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ** "[٢].

وكان النبي (ص) لا يذكر السيدة فاطمة الزهراء (ع) إلا ويقرن بها السيدة مريم (ع)، وروي من ذلك عن مسلم والترمذي قوله (ص):

- "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (ص)".
- وعن أنس، قال: "قال رسول الله (ص): خير نسائنا مريم وخير نسائنا فاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون".

  وبإسناده أيضاً: "حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد".

  وذكر قول عائشة لفاطمة: "ألا يسرك إني سمعت رسول الله (ص) يقول: سيدات نساء أهل الجنة أربع. مريم بنت عمران، وفاطمه بت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.
- وعن أبي سعيد الخدري في حديثة عن النبي (ص): أنه مر في السماء الرابعة (السابقة) قال: فرأيت (فيها) لمريم ولأم موسى ولآسية امرأة فرعون ولخديجة بنت خويلد قصوراً من ياقوت، ولفاطمة بنت محمد سبعين قصراً مرجاناً مكللاً باللؤلؤ وأبوابها واسترتها عود واحد"[٣].

---

(١) الكشاف، ج١، ص٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢) ينابيع المودة، ص٢٣٥.

(٣) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ص٢٠٧ - ٢١١.

- وعن أبي هريرة، قال (ص): أول شخص يدخل الجنة فاطمة، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم بنت عمران في بني إسرائيل"[١].
- وأخرج الحاكم عن ابن مسعود: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران".
- وروى الترمذي عن أم سلمة: أن رسول الله (ص) دعا فاطمة يوم الفتح فناجاها فبكت ثم حدثها فضحكت، فلما توفى رسول الله (ص) سألتها عن بكائها وضحكها فقالت: أخبرني أبي رسول الله (ص) أنه يموت فبكيت ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت"[٢].

ومن مشاهد الاتفاق ما بين ولادتي السيدة مريم للنبي عيسى (ع) والسيدة خديجة لفاطمة الزهراء عليهما السلام ما صح من التوافق في يوم ولادتهما فقد ورد في كلام لأبي إبراهيم موسى بن جعفر (ع) مع رجل نصراني: أن اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال وهو اليوم الذي هبط فيه الروح الأمين، وليس للمسلمين عيد أولى فيه عظمة الله تبارك وتعالى وعظمة محمد (ص)، فأمر أن يجعل عيداً"[٣]، وفيما أُشير وعلى أشهر الروايات بان السيدة فاطمة الزهراء (ع) قد ولدت بمكة المكرمة يوم الجمعة في العشرين من جمادي الثانية بعد المبعث النبوي بخمس سنين كما نقل عن الكليني وابن شهر آشوب، وغيرها من أئمة التاريخ[٤].

وذكر أنه لم يولد لستة أشهر إلا عيسى بن مريم والحسين بن علي من فاطمة الزهراء[٥].

٢. البتولية:

والتبتل كما ذكر: هو التوجه القلبي التام إلى الله تعالى، والانقطاع عن غيره إليه تعالى، والإيمان بالأعمال الخالصة لله، وكذا الخلوص له تعالى[٦]، وذكر الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[٧]: انقطع في العبادة وإخلاص النية انقطاعاً

(١) ينابيع المودة، ص٢٠٢ ـ ٢١٧.
(٢) القطرة من بحار مناقب النبي والعترة، ج٢، ص٥٩.
(٣) كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج٨، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٤) سيرة الزهراء (ع)، ج١، ص١٢.
(٥) كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج٨، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٤، ص.
(٧) المزمل/٨.

يختص به، والى هذا المعنى أشار بقوله عز وجل ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[١]، وليس هذا منافياً لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا رهبانية ولا تبتل في الإسلام"، فان التبتل ها هنا هو الانقطاع عن النكاح، ومنه قيل لمريم العذراء البتول، أي المنقطعة عن الرجال[٢].

وذكر ابن منظور: أن التبتل يقال للعابد إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة، وقد سئل أحمد بن يحيى عن فاطمة رضوان الله عليها: "لم قيل لها البتول؟ فقال: لانقطاعها: عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً وديناً وحسباً، وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل"[٣].

وفي "معجم اللاهوت الكتابي" أن البتولية: "هي الأمانة على محبة كلية لله وحده"[٤]، وقد كانت السيدة مريم مقيمة في المحراب، فتاة عابدة قانتة في خلوة المسجد تحيي ليلها بالذكر والعبادة والصلاة والصوم[٥]، ويذكر الزمخشري: أن مريم في لغتهم العابدة[٦]، وكمثل ذلك كانت السيدة فاطمة الزهراء (ع) قد اصطفيت كاصطفاء السيدة مريم العذراء، وقد سميت فاطمة كما نقل عن النبي (ص): لأن الله سبحانه قد فطمها وفطم من أحبها من النار"[٧].

وأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما كانت تنادي مريم بنت عمران (ع) فتقول: "يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين"، فتحدثهم ويحدثونها، وقالت ذات ليلة: "أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران"، فقالوا: أن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وأن الله جعلك سيدة نساء عالمك وسيدة نساء الأولين والآخرين"[٨].

وفي مسند الرضا (ع) أن النبي (ص) قال: "إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله سبحانه فطمها وفطم من أحبها من النار".

وأن النبي (ص) سماها "البتول" وقال لعائشة: "يا حمراء، أن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتلون"[٩].

---

(١) الأنعام/٩١.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص٤٧.

(٣) لسان العرب المحيط، مج١، ص١٥٧.

(٤) معجم اللاهوت الكتابي، ص١٤٢.

(٥) مريم والملكات الثلاث في القرآن الكريم، ص١١.

(٦) الكشاف، ج١، ص٣٨٥.

(٧) أعلام الورى، ج١، ص٢٩٢.

(٨) أعلام الورى، ج١، ص٤٩.

(٩) أعلام الورى، ج١، ص٢٩١ - ٢٩٢.

وفي "علل الشرائع" عن علي (ع): أن النبي سئل: "ما البتول" فأنا سمعناك يا رسول الله تقول: إن مريم بتول وفاطمة بتول"؟ فقال (ص): "البتول التي لم تر حمرة قط، أي لم تحض فأن الحيض مكروه في بنات الأنبياء"[1].

وذكر من المأثرات المشتركة للسيدتين البتوليتين مريم العذراء وفاطمة الزهراء عليهما السلام ما روي عن محمد بن أبي بكر أنه قرأ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾[2] ولا محدث، قيل: هل تحدث الملائكة إلا الأنبياء، قال: "مريم لم تكن نبية، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة وبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن بنية، وفاطمة بنت محمد رسول الله (ص) كانت محدثة ولم تكن نبية"[3].

وعن أبي عبد الله (ع): "إنما سميت فاطمة (ع) محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما كانت تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واركعي مع الراكعين"، فتحدثهم ويحدثونها فقالت ذات ليلة: "أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران" فقالوا: أن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وأن الله جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين"[4].

ونقل عن الإمام الصادق (ع) أنه فسر "الروح القدس" بفاطمة (ع) فقال في حديث له: "والروح القدس هو فاطمة"، وأن النبي (ص) قد أوصى الإمام على (ع) بفاطمة وهو في حالة الاحتضار:

"يا علي هذه وديعة الله ورسوله فأحفظ الله واحفظني فيها وأنك لفاعله، هذه والله مريم الكبرى"[5].

مكانة السيدتين مريم العذراء وفاطمة الزهراء في التاريخ الرسالي:

وبمثل ما اشتمل التاريخ الرسالي للأديان على ذكر أمجاد ومأثرات الرجال ذوي الشأن والأدوار المتميزة فيها، فإنه كذلك بالنسبة للشخصيات النسائية اللواتي كان لهن ميزاتهن وأدوارهن في صنع التاريخ الرسالي في أمجاده ومآثره، وامتداد إشعاعه الروحي إلى الحاضر، ولم يخل دين من الأديان من المتمثل الاعتباري بشخصية من النساء اللواتي لعبت هذا الدور أو

---

(١) علل الشرائع، ج١، ص٢٣٩.

(٢) الحج/٥٢.

(٣) الكشاف، ج٢، ص٢٧١.

(٤) حياة الصديقة فاطمة، ص٤٩.

(٥) حياة الصديقة فاطمة، ص٣٧، ٤٢.

ذاك في إقامة صروحها، أو تجسيد رسالتها، وأنه لم تزل تلك الرموز تمثل المكانة المعتبرة فيها، ويتمثل ذلك على السواء في الأديان السماوية وغير السماوية، وحيث انتقل الاعتقاد الديني من الخيال والتصورات البدائية ما كان من عبادة الكائنات الطبيعية والبشرية، والتي ذكر أنها كانت جزءاً من الديانة القديمة، إذ رأوا في السماء بقرة كبيرة تعتمد على قوائمها الأربعة التي تمثل دعائم السماء وفيها يجر قارب يحمل شمس الصباح، ورأوا أن في السماء أيضاً امرأة تحل محل البقرة أحياناً، ثم كانت عبادة الشمس والتي جعلت من ديانة "رع" الديانة الرسمية للبلاد، واستمر ذلك حتى ظهور عقيدة أخناتون للإله الواحد، ثم ظهرت آلهة الزهرة "عشتار" في العراق القديم وهي إحدى بنات "سن" إله القمر[1].

وفي الأديان السماوية والتي اعتدت بالتوحيد الإلهي والتي جسدها في الإبلاغ الرسالي الأنبياء والرسل، برزت فيها أدوار ومواقف متميزة لشخصيات نسائية كانت لها مكانتها في تاريخها، فقد احتلت زوجة النبي زكريا (ع)، وأم النبي يحيى (ع) والتي تدعى بـ"انشبي" مكانة سامية في الديانة الصائبية، ويطلق عليها اسم "اليصابات" وتعني الشيخة، وترد في "دراشة أديهيا" (مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا (ع) وفي فصل الرؤيا الذي يتحدث عن ولادتها للنبي يحيى (ع):

"أتى كوكب وأقام عند أنشبي، وظهرت ثلاثة أسرجة من نار عند المعبد، ملأ الدخان بيت المقدس، اضطربت حركة المركبات، انشطر نيزك في سماء اليهود، وآخر فوق أورشليم، وأشرقت الشمس في الليل، والقمر أضاء في النهار"[2].

وعن "مرياي" المرأة اليهودية التي اعتنقت المندائية ذكر عنها: "أنها كرمة قائمة عند ثغرات الفرات، أصولها تامة، وسيقانها صولجانات، غصونها من نور باهر، تتضوع بعطر ذائع يطوف العوالم"[3].

واحتلت السيدة مريم (ع) مكانتها الاعتبارية الفائقة في التاريخ المسيحي، ويذكر معجم اللاهوت الكتابي في ذلك:

"أن الدور الأساسي الذي تمثله أم يسوع في التقليد المسيحي رسمت خطوطه الأولى في الوحي الكتابي نفسه.. فإنها تحتل مركزاً فريداً في الكنيسة، وأن عظمة مريم في نظر الإنجيليين لا تقوم في استنارة خارقة، بل في أيمانها.. وأن سر البتولية فيها يقتضي فيها طهارة كاملة، وهي ثمر نعمة المسيح التي تدرك الكائن في جذوره، وتجعله مقدساً بلا عيب.. وأن

---

(١) قصة الديانات، ص: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) دراشة أديهيا – النص الخامس عشر (الرؤيا)، ص٤٧ ـ ٤٨.

(٣) دراشة أديهيا – النص الثاني والثلاثون، ص٩٩.

أمانة الكنيسة لهذا النداء الإلهي تتضح أولاً في شخص مريم، وذلك على النوع الأسمى..، هذا هو المعنى العامل للبتولية، التي دعاها الله إليها، والتي لم تنتقص الأمومة من قدرها، بل رفعتها وكرستها، ففيها يتجلى هكذا على مستوى التاريخ"[١].

وفي القرآن الكريم خصت السيدة مريم (ع) كما مر الذكر بسورة كاملة باسمها وقد أشير فيها إلى موارد الإعجاز في ولادتها للنبي عيسى (ع)، وذكر فيها من موارد الإعجاز ما كان من الإعجاز العددي: أن اسم مريم (ع) قد تكرر فيها (١٦) مرة، وهو موافق لعدد عبارة (عيسى بن مريم) فيها، وقد تكرر في السورة المذكورة (١٦) مرة أيضاً، وأن كلمة (الرحمن) – والتي هي من أسماء الله الحسنى وأخص صفاته تعالى – قد تكررت في هذه السورة (١٦) مرة بالضبط وابتداء من الآية (١٨) وانتهاءً بالآية (٩٦) والتي هي مضاعفات الرقم (١٦)، وحيث أن (١٦×٦) = ٩٦، وبعدد أكبر من آية سورة أخرى من سور القرآن الكريم والتي وردت فيها كلمة الرحمن (٥٧) مرة، بمعنى أن ذكرها في هذه السورة يكون بنسبة ٣٠٪ من المجموع الكلي[٢].

وفي ذلك معنى اعتباري هام لمقام الرحمة الإلهية في الولادة الروحية للسيدة مريم العذراء(ع)، وأن ذكرها في النص القرآني وبهذه الكثافة يعبر عن ذات الخاصية المتميزة لها والتي ذكرها بها النبي محمد (ص) في جملة وافرة من أحاديثه مقترنة بذكر السيدة فاطمة الزهراء (ع)، مع ذكر شريكته في الدور الرسالي وأم ابنته والدة الأئمة الهداة ورثة الصرح الرسالي الخالد فاطمة (ع)، وقد خصها باسم "الزهراء"، وقد ورد في مختار الصحاح: "أن زهرة الدنيا غضارتها وحسنها، وزهرة البنت نوره، والزهرة نجم، والأزهر النير ويسمى القمر الأزهر، ورجل أزهر أبيض مشرق الوجه، والمرأة زهراء، وأزهر البنت ظهر زهره، والأزهران الشمس والقمر"[٣]، وقد سئل الإمام الصادق (ع) عن السبب في تسمية فاطمة (ع) بهذا الاسم فقال: "أنها إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر الكواكب لأهل الأرض"[٤]، وقد خص النبي (ص) بكنيته المعتبرة "أبا الزهراء".

وبالنسبة للسيدة البتول مريم (ع) فأن "معجم اللاهوت الكتابي" يشير إلى أن اسم "مريم" في الآرامية يعني "أميرة" أو "سيدة"، وأنها كانت امرأة تقية، خاضعة بأمانة للشريعة"[٥]، وقد دأب

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي: ٧٢٦ ـ ٧٢٧.

(٢) مريم والملكات الثلاث في القرآن الكريم، ص٢٦ ـ ٢٧.

(٣) ترتيب مختار الصحاح، ص٢٤٣.

(٤) فاطمة الزهراء (ع)، ص٤٩.

(٥) معجم اللاهوت الكتابي، ص ٧٢٦.

النبي محمد (ص) على وصف السيدتين البتوليتين فاطمة الزهراء ومريم العذراء عليهما السلام بأجل وأسمى الصفات كما مر ذكره، وإيثارهما بكل الخصائص المعتبرة وبما استحقا من ذلك مما خصهما الله تعالى من المكرمات العلية، ما كان في سيرتهما من أوجه الصلاح وسمو الخلق الرسالي، وقد عبرت السيدة البتول فاطمة الزهراء (ع) في سيرتها التي امتدت إلى الزمن اللاحق من حياة النبي الأكرم (ص) عن المبادئ والمثل العليا التي جسدتها في مفردات حية من الإيثار والمحبة للناس هي العنوان لقيم الفضيلة في الرسالات الدينية ونقل الأمام موسى بن جعفر (ع) من ذلك عن آبائه: أن فاطمة (ع) كانت إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، فقيل لها: يا بنت رسول الله: أنك تدعون للناس ولا تدعون لنفسك؟ فقال: الجار ثم الدار"[(١)].

شواخص المجد الرسالي للبتولتين مريم العذراء (ع) وفاطمة الزهراء (ع)

وتتمثل شواخص المجد الرسالي للأديان بالمعالم القائمة في النفوس وعلى الأرض شواهداً لقيمها الاعتبارية الضاربة الجذور على مدى التاريخ الرسالي وعلى امتداده، وأن شواخص الذكر لرموزه تشكل معلماً حيوياً من معالم هذا الشخوص، والذي يتمثل في جانب منه بالنساء اللامعات في هذا التاريخ كمثل البتوليتين مريم العذراء وفاطمة الزهراء عليهما السلام، فإن مريم العذراء (ع) وكما ينوه معجم اللاهوت الكتابي: كانت مثال المؤمن.. وهي تحتل مركزاً فريداً في الكنيسة، فيها ترى سر الكنيسة الذي تعيشه على نحو كامل، نفس تقبل كلمة الله بكل أيمانها.. وأن أمانة الكنيسة لهذا النداء الإلهي تتضح أولاً في شخص مريم، وذلك على النحو الأسمى، هذا هو المعنى الكامل للبتولية، التي دعاها الله إليها، والتي لم تنقص الأمومة من قدرها، بل رفعتها وكرستها، ففيها يتجلى هكذا – على مستوى التاريخ – وجود هذه الكنيسة العذراء"[(٢)]، وقد اتصل ذلك بمظاهر من الاحتفاء بكل الذكريات والمواقف التي ترتبط بحياة السيدة البتول مريم (ع)، فقد شيدت باسمها الكنائس والأديرة، وجاء في كتاب "الأديان والمذاهب في العراق": أن الكنائس في العراق دأبت على إقامة احتفاليات تسمى بـ(الأعياد المرهية) نسبة إلى السيدة مريم العذراء (ع)، وهي غير الأعياد الرئيسية المعروفة مثل الميلاد ورأس السنة والفصح والقيامة والشعانين (التسبيح)، وغيرها، وتختص كل كنيسة بعيد منها، وأن لها علاقة أيضاً بموسم حافظة الزروع والذي يعد من أقدم الأعياد المسيحية.. وعادة ما يحتفل في هذا العيد في القرى المسيحية دون المدن، ويحتفل الأرمن ببغداد بعيد سيدة الورود، وفكرة المناسبة تتلخص بتقديم أعمال التقوى والفضيلة للعذراء المرموز إليها بالورود، وأن الآباء الكرمليون يحتفلون بعيد سيدة الكرمل،

---

(١) علل الشرائع، ج١، ص٢٤٠.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي، ص٧٢٩.

وتحتفل الكنائس في ٨ أيلول بولادة العذراء، وفي ١٤ منه يحتفل بأم الأحزان الذي يصادف بعد عيد الصلب، وأم الأحزان هي العذراء (مريم) المطعونة بسبعة سيوف ترمز إلى أقرانها السبعة وهي: النبوءة برفض الإيمان بولدها، الهروب إلى مصر، فقدان المسيح وهو طفل، لقاء الابن والأم في طريق الجلجلة — أي طريق صلب المسيح، إنزال الصليب ودفن ولدها — كما يحتفل بعيد أم المعونة وهي مريم (ع)"[1].

مقابل ذلك فإن التاريخ الإسلامي قد أوفى للبتول فاطمة الزهراء (ع) بما تستحق من الاعتداد والتكريم بان خص اسمها بأعظم الدول وأزهاها، كما هو الحال بالنسبة للدولة الفاطمية في مصر والتي لم تزل شخوصها الحضارية والعلمية قائمة، وبالأخص منها الجامع الأزهر الذي تسمى باسمها، وقد وضع أساسه القائد الفاطمي جوهر الصقلي عام ٣٥٩هـ ـ ٩٧٠م، وفتحت أبوابه لدراسة العلوم الدينية والعقلية على عهد العزيز بالله (٩٧٦ ـ ٩٩٦م)، واستجلب له فقهاء وعلماء الدعوة على مذهبهم وقضاتهم، ونقل الكثير من الكتب، وشجع طلاب العلم من البلاد الإسلامية للالتحاق به، وأسس له أبنية للدراسة وأروقة للطلاب ومساكن للأساتذة، وخصصت أموال ثابتة للإنفاق عليها، وبنيت بإزاءه بعد ذلك جملة مدارس، إذ بنى الأمير طيبرس (المدرسة الطيبرسية) سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩ ـ ١٢١٠م)، والأمر أقنعا (المدرسة الأقنعية) سنة ٧٤٠هـ ـ ١٣٤٠م، والتي ألحقت بعدئذ بالأزهر وما زالت جزءاً منه إلى اليوم، وأصلح شأن الأزهر أيام الوالي محمد علي باشا وكانت تقام فيه دروس المتون والحواشي والتي كانت سائدة فيه، ومن جملتها الأجرومية للصنهاجي مع شروحها، وتلخيص المفتاح للقزويني، ثم جرى تدريس ما يتصل بعلوم العربية والشريعة والعقيدة والمنطق والفلسفة، وبعدئذ أنشئ المجلس الأعلى للأزهر، ووضع فيه نظام لهيئة كبار العلماء، وجعل لكل مذهب شيخ، ولكل معهد مجلس إدارة، وأُنشئ فيه بعدئذ قسم للتخصص عام ١٩٢٣. وجل فيه التخصص للمهنة وللمراحل وأدخل فيه نظام المراحل التعليمية عام ١٩٣٠.. وأطلق بعدئذ على شهادتهم بعد العام ١٩٥٢ (العالمية)، وجرى تنظيم هيئات الأزهر بعدئذ وإقامة كليات للدراسات الإسلامية والعربية، والطب، والعلوم، والتجارة، والهندسة، والأعلام ليتحول بذلك إلى جامعة[2]، وهي الأثر الخالد لذكر السيدة فاطمة الزهراء (ع).

وأنه ليجدر بالسيدة البتول فاطمة الزهراء (ع) أن يحتفى بمجمل ما يختص بها من مواقف ذكريات وباسم (الفاطميات) على نحو (المريميات) التي تختص بمأثرات السيدة

(١) الأديان والمذاهب بالعراق، ص٢١١ ـ ٢١٢.

(٢) التعليم الجامعي، ص٢٥.

البتول مريم العذراء (ع)، وأن كلاً من حياة البتوليتين الطاهرتين مريم العذراء وفاطمة الزهراء عليهما السلام وسيرتهما هي حياة السيرة والتاريخ الرسالي وفي الفصول الهامة والمضيئة فيها، وأن الحقيقة التي ينبغي الوقوف عندها في مشهد الاعتداد والتكريم لدوري البتوليتين مريم العذراء وفاطمة الزهراء عليهما السلام هو ذلك التفاوت الواضح في أنصبتهما من ذلك في حاضرنا، فأنه إذ تقام الكنائس والأديرة ومقامات الذكر للسيدة مريم العذراء (ع) وعلى هذا النحو الذي ذكرنا ودونما عوائق، فأن السيدة البتول فاطمة الزهراء (ع) لم يتهيأ لها مثل ذلك وفي البلد الذي نشأت فيه وتلقت مبادئ الرسالة في ربوعه، وعاشت الجزء الحيوي من دورها في ذلك، وقد حرمت من إقامة النصب الخاصة بحياتها ومن كل مظهر من مظاهر الاحتفاء بها وبالصفوة من آل النبوة الأكرمين، وهو ما لم يكن في سائر البلدان التي حل فيها نسلها النبوي الشريف جيلاً بعد جيل وهو يتبارى على الشهادة كمثل ما قد تبارى على خدمة المشروع الرسالي بالوافر من التضحيات لتقوم له وعلى امتداد الأرض مما يلي مقام الرسالة مأثرات فذة من العهد الرسالي قدرتها لهم الأجيال التالية واعتدت بها بأن أقامت لهم الصروح المهيبة وأوسعت في تقديم فروض الولاء والمحبة لهم، كانت هي الإشراقة الدائمة والمتجددة لهم وقد اجتازت محطات الزمن وفواصل الأرض لتلتقي بشائر الذكر الرسالي على طول المدى ألقاً متجدداً هو عنوان الخلود للذكر الرسالة الذي يتطاول على الدهر ورفعه.

ونقول أنه إذا كانت سير الأعلام قد أرخّت للرجال - على العموم - مأثراتهم، وأقامت لذكرياتهم المشاهد الاحتفائية فأن من اللازم إكراماً وإعزازاً للصفوة من نسائنا المتميزات بأدوارهن في تاريخنا كمثل ما هو الدور الهام للسيدة البتول فاطمة الزهراء (ع) - أن يكون لها من مثل ذلك ما يليق بمكانتها ودورها الريادي في المسيرة الرسالة بأن يحتفى بأدوارها ومواقفها بما يسمى بـ(الفاطميات) تعبيراً عن الوفاء لأدوارها في المشهد الرسالي وتقديراً لمكانتها السامية، وحبذا لو تلتقي مشاهد الاحتفاء بالسيدتين البتوليتين فاطمة الزهراء ومريم العذراء مع بعضهما التقاء الذكر الرسالي لهما مجسدة بما كان لهما من ذلك من الذكر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وليكون لهما من ذلك يوم للمرأة الرسالية يقابل اليوم المسمى بـ(يوم المرأة العالمي)، يحتفي به مؤمنو الرسالات جميعاً بالصفوة من النساء المتميزات بأدوارهن ومواقفهن في عموم المسيرة الرسالة، التي منحت العالم الإيمان ومعه الأمن والسلام، وفيما كان للمرأة من ذلك أدوار مشهودة في صنع التاريخ الرسالي.

المراجع:

❖ القرآن الكريم.

❖ الكتاب المقدس — العهد الجديد - .

١. الأديان والمذاهب بالعراق، رشيد الخيون، روح الأمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢. أعلام الورى وأعلام الهدى، الطبرسي، دار الحجة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الأمام علي بن أبي طالب (ع)، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٤. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، أحياء الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٥. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.

٦. التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١.

٧. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد رضا القمي، تحقيق: حسين دركاهي، شمس الضحى، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ه.

٨. حياة الصديقة فاطمة (ع)، محمد جواد الطبيسي، مكتبة الأعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٩. حياة محمد، محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٦٨.

١٠. دراشة أديهيا (مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا (ع)، للطبعة الأولى، بغداد، ٢٠٠١.

١١. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الطبري، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٢. سيرة الزهراء (ع)، محمد كاظم الكفائي، مكتبة الأمين، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

١٣. علل الشرائع، القمي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٩٦٦.

١٤. فاطمة الزهراء (ع) ـ موسوعة سيرة أهل البيت (ع) ـ ٩ ـ، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.

١٥. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي الصباغ، تحقيق: جعفر الحسيني، المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٦. قصة الديانات، سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

١٧. القطرة من بحار مناقب النبي والعترة، أحمد المستنبط، حاذق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٨. الكشاف من حقائق التنزيل، الزمخشري، دار أحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

١٩. لسان العرب المحيط، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت.

٢٠. مريم والملكات الثلاث في القرآن الكريم، شاكر عواد سليمان، مطبعة الحوراء، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

٢١. المعجم الفهرست لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، أوند دانش، طهران.

٢٢. معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤.

٢٣. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥.

٢٤. المقدمة، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤.

٢٥. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٢٦. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٢٧. ينابيع المودة، سليمان القندوزي الحنفي، الشريف الرضي، قم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة السابعة، ١٩٦٥. ❖

لمسات بيانيّة في الخطبة الفدكيّة

د. زهير محمّد عليّ الأرناؤوطي(*)

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله تعالى على محمّد وآله الطيبين الطاهرين، أعلام الهدى، وسفن النجاة، والعروة الوثقى، صلاة دائمة نامية ما بقينا وبقي الليل والنهار.

أمّا بعد، فإنّ الله تعالى حبا محمّداً وأهل بيته الطيّبين الطاهرين بنعم جمّة، خصّهم بها من بين عباده، فكانوا قادة للعباد، ومناراً للأمة، يهتدون بنور الله، ويستقون علمهم من كتابه الكريم، فما نطقوا عن هوى أو ظلال، تشع من كلامهم أنوار الهداية، ويسبرون به أغوار الفصاحة والبلاغة والبيان، حتّى وقف البيان حائراً بين أيديهم، واستجمع العلماء الأعلام كلّ ما أوتوا من علم ودراية باللغة وأسرارها، للتنقيب عن مكنونات خطاباتهم، والكشف عن جماليّة جواهرهم.

وتعدّ خطبة السيّدة الزهراء(ع) واحدة من جواهر الإرث الحضاريّ لأهل البيت الأطهار(ع)، لما تضمّنته من مباحث عقيدية مهمّة، وما حوته من علل تشريعيّة كثيرة، وما تميّزت به من دقّة البيان، وجمالية الأسلوب، وفصاحة الألفاظ، وبلاغة الخطاب، وروعة النظم، حتّى حارت بها عقول البلغاء، فضلاً عن أهميّة موضوعها، وقيمة ما ورائها من مغاز وأهداف.

ولا غرابة في ذلك ممّن تربّت بين أحضان النبوّة والإمامة.

ولي الشرف كلّ الشرف أن أدلو بدلوي مع الباحثين في كلامها (ع)؛ عسى أن أنال الأجر والثواب، وأن أحظى بشفاعتها يوم الروع الأكبر.

وحاولت في هذا البحث أن أقف على مجموعة من النكت الدلاليّة، أو علل التعبير في الخطبة الشريفة، فجعلت المبحث الأوّل (في القضايا الصرفيّة)، والثاني (في القضايا النحويّة)، والثالث (في دلالات الألفاظ)، ومهّدت للبحث بالحديث عن الخطبة الفدكيّة الشريفة، وأسانيدها، وأقوال عدد من الأعلام فيها.واعتمدت في توثيق الخطبة الشريفة على كتاب (شرح خطبة الزهراء) للسيّد محمّد باقر كيشوان الموسويّ، المتضمّن شرح القاضي النعمان المغربيّ (ت ٣٦٣هـ)، وشرح العلامة المجلسيّ (ت١١١١هـ)، وشرح الشيخ العلامة

(*) كليّة التربية - ابن رشد.

التبريزيّ الأنصاريّ (ت١٣١٠هـ)، مشيراً إلى نصوص الشراح الثلاثة في كتبهم، والاختلاف في الروايات. ولم تكن الدراسة شاملة لكلّ ما جاء في الخطب من علل التعبير، وإنّما انتقيت منها عدداً من المواضع، أملاً أن أكمل دراسة الخطبة الشريفة في بحوث قابلة إن شاء الله تعالى.

التمهيد: في الخطبة الفدكيّة

هي تلك الخطبة الشهيرة التي ألقتها السيّدة الزهراء (ع) في مسجد أبيها رسول الله (ص) بعد منعها فدكاً.

وذكرت هذه الخطبة مصادر الفريقين من السنّة والشيعة، وتتبّع الشيخ ذبيح الله المحلاتيّ في كتابه (رياحين الشريعة) أسماء أعلام العامّة الذين ذكروا هذه الخطبة[١]، وسأكتفي هنا بذكر عدد من مصادر الفريقين التي ذكرت الخطبة الشريفة، وأوّل تلك المصادر كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور) (ت٢٨٠هـ)[٢]، وأوردها أيضاً أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ (ت٣٢٣هـ) في كتابه (السقيفة وفدك)[٣]، وقال: (ولم ير الناس أكثر باكٍ ولا باكية منهم يومئذٍ)[٤]، ونقلها الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) في كتابه (الشافي في الإمامة عن المرزبانيّ (ت٣٨٤هـ)[٥]، وأورد الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) جزءاً منها في كتابه (الفائق في غريب الحديث)[٦]، وأوردها أيضاً الشيخ الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ) في (الاحتجاج)[٧]، وذكرها ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ) في شرحه لنهج البلاغة[٨]، وكذلك ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) في (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف)[٩]، وأوردها عليّ بن الحسين الإربليّ (ت٦٩٣هـ)، وذكر أنّه نقلها من كتاب (السقيفة وفدك)[١٠].

وعلى الرغم من أنّ الخطبة ذكرت بأسانيد جمّة، كما يقول العلامة المجلسيّ (ت١١١١هـ)[١١]، فإنّ هناك من حاول إنكارها، قال ابن طيفور: (قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب(ع) كلام فاطمة(ع) عند منع أبي بكر إيّاها فدكاً، وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع، وأنّه من كلام أبي العيناء، فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلّمونه أبناءهم، وقد حدّثنيه أبي عن جدّي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية، ورواه مشايخ الشيعة قبل أن يُولد جدّ أبي العيناء)[١٢].

وتعدّ هذه الخطبة الشريفة أعظم إرث حضاريّ خلّفته السيّدة الزهراء (ع) (والتي لو ورثناها وحدها منها، لدلّت بوضوح وجلاء على عظمة شخصيّة الزهراء (ع)، لأنّها قد جسّدت كلّ مبادئها ومناهجها التي استقتها من منهل الوحي المقدّس)[١٣]، وقد اجتمعت في هذه الخطبة الشريفة فنون القول، وفصاحة الكلام، وبلاغة الأسلوب، وحسن التعبير، ودقّة

المعاني، وروعة النظم، حتّى أذهلت العقول قديماً وحديثاً، قال الشيخ الإربليّ: (فلنذكر خطبة فاطمة(ع)، فإنّها من محاسن الخطب وبدايعها، عليها مسحة من نور النبوّة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردها المؤالف والمخالف)[١٤]، وقال العلامة المجلسيّ: (ولنوضح تلك الخطبة الغرّاء الساطعة عن سيّدة النساء(صلوات الله عليها)، التي تحيّر من الغجب فيها، والإعجاب بها أحلام الفصحاء والبلغاء)[١٥]، ووصفها السيّد محمّد باقر الكيشوان الموسويّ بأنّها (ممّا تكلّ عنه ألسن فحول الفصحاء، وتقف دون بلوغ غايته أفكار فطاحل البلغاء، ويخشى من خوض لجج بحار معانيه كلّ مصقع من المتكلّمين والخطباء)[١٦].

وللخطبة الفدكيّة الشريفة عدّة شروح، لعلّ أهمّها: شرح القاضي النعمان المغربيّ (ت٣٦٢هـ) في كتابيه (دعائم الإسلام) و(شرح الأخبار)، وشرح العلامة المجلسيّ في (بحار الأنوار)، وشرح الأنصاريّ التبريزيّ (ت١٣١٠هـ) في كتابه (اللمعة البيضاء).

وقام السيّد محمّد باقر كيشوان الموسويّ بتحقيق تلك الشروح الثلاثة في كتاب واحد سمّاه (شرح خطبة الزهراء(ع))، وذكر في مقدّمة الشرح أنّه اعتمد على رواية (الاحتجاج)، مشيراً إلى اختلاف الروايات في أثناء الشرح[١٧]، والخطبة جاءت في (الاحتجاج) برواية عبدالله بن الحسن، قال الشيخ الطبرسيّ: (روى عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه (ع) أنّه لمّا أجمع أبو بكر وعمر، على منع فاطمة (ع) فدكاً، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمّة من حفدتها، ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله(ص)، حتّى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها مُلاءة، فجلست ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثمّ أمهلت هنيئة حتّى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت (ع)......)[١٨].

المبحث الأوّل: في القضايا الصرفيّة

الأوّل: استعمال (اجتبل)

الجبل في اللغة: الخلق، يقال: جبل الله الخلق، أي: خلقهم[١٩]. ويبدو أنّ أبا هلال العسكريّ حدّده بأوّل الخلق، إذ قال: (والجبل: أوّل الخلق، جبله إذا خلقه الخلق الأوّل، وهو أن يخلقه قطعة واحدة قبل أن يُميّز صورته)[٢٠].

وجاء في خطبة السيّدة الزهراء (ع) قولها في أبيها (ص): (وسمّاه قبل أن اجتبله)[٢١]، فمن الواضح أنّ إيثار هذا الفعل الذي يدلّ على أوّليّة الخلق جاء ملائماً تماماً للدلالة المقصودة، وهي أنّ التسمية سبقت الخلق، والمراد (أنّه تعالى سمّاه لأنبيائه قبل أن يخلقه)[٢٢].

غير أنّ ما يُثير الانتباه هنا هو استخدام زنة (افتعل) من الفعل (جبل)، فلم أعثر، على مفردة (اجتبل) في المعجمات، ولا بد أن تكون لزيادة الهمزة والتاء على الفعل دلالة معيّنة، وإذا عدنا إلى المعاني التي تدلّ عليها صيغة (افتعل) وجدنا أنّ أكثر تلك المعاني ملائمة للسياق هي الدلالة على المبالغة، والسؤال هنا ما وجه المبالغة في الخلق؟ يذهب المجلسيّ إلى أنّ في المبالغة تنبيهاً على أنّه (ص) خلق عظيم[٢٣].

وإذا رجعنا إلى سيبويه (ت١٨٠هـ) وجدنا أنّه يُفسّر المبالغة في صيغة (افتعل) بالتصرّف والاعتمال، قال في الفرق بين (كسب) و(اكتسب): (أمّا (كسبت) فإنّه يقول (أصبت)، وأمّا (اكتسبت) فهو التصرّف والطلب والاعتمال بمنزلة الاضطراب)[٢٤]، وهذا المعنى أكّده ابن جنّي أيضاً في حديثه عن قوله تعالى ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٤٢) إذ قال): هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر، وشدّة الأخذ، وعليه عندي قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦))[٢٥].

وإذا حملنا قول السيّدة الزهراء (ع) (اجتبل) على قول سيبويه فيكون المعنى المراد من الوزن هو تلك العناية الإلهيّة في خلق الرسول (ص)، فهو خلق يختلف عن كلّ الخلق، وكيف لا يكون كذلك وهو سيّد الخلق جميعاً؟

الثاني: استعمال (احتقب)

(الحَقَب بالتحريك: حبل يُشد به الرحل إلى بطن البعير، تقول منه: أحقبت البعير)[٢٦]، ويقال: أحقب الشيءَ، أي: أردفه خلفه على حقيبة الرحل[٢٧].

وقد تستخدم من الفعل صيغتا (احتقب) و(استحقب)، فيحصل انتقال يسير في دلالته، فمعنى (احتقب الشيء واستحقبه: احتمله)، فإذا قيل: (احتقب فلانٌ الإثمَ) كان المعنى: احتمل الإثم، كأنّه جمعه وشدّه من خلفه[٢٨]، أو بمعنى إدّخره، لأنّ الإنسان يحمل عمله ويدخره[٢٩].

وقد جاء(احتقب) في خطبة السيّدة الزهراء (ع) في قولها: (فدونكموها فاحتقبوها دَبِرَة الظهر نَقِبَة الخُفّ باقية العار موسومة بغضب الله وشنار الأبد)[٣٠]، فلم يرتضِ العلامة المجلسيّ مجيء صيغة (احتقب) هنا، إذ قال بعد أن عرض المعنيين: (فظهر أنّ الأنسب في هذا المقام (أحقبوها) بصيغة (الإفعال) أي: شدّوا عليها ذلك وهيئوها للركوب، لكنّ ما وصل إلينا من الروايات على بناء(الافتعال))[٣١].

فالعلامة المجلسيّ يرى أنّ الأنسب لهذا المقام استعمال (أحقب) لا (احتقب)، ولم يذهب إلى هذا إلاّ لأنّه يجعل الضمير(الهاء) في قولها (ع): (فاحتقبوها) عائداً إلى (الخلافة)، تشبيهاً لها بالناقة[٣٢]، وبذلك يكون المعنى المناسب: (أحقبوها) أي: شدّوها.

والحقيقة إنّ الأمر غير ذلك، إذ يمكن أن نجعل الضمير عائداً على ظلامتها (ع)، قال القاضي النعمان (ت٣٦٣هـ): (فاحتقبوها: تعني ظلامتها التي تظلّمت إليهم)[٣٣]، وعلى هذا المعنى يكون الأنسب هنا استعمال (الاحتقاب)، بمعنى احتمال الإثم وأدّخاره، ويؤيّد معنى (الاحتمال والادّخار) قولها (ع) فيما بعد: (باقية العار، موسومة بغضب الله، وشنار الأبد).

وتجدر الإشارة إلى أنّ أمير المؤمنين (ع) استعمل اللفظة نفسها في الحديث عن الموضوع نفسه، إذ جاء في رسالته إلى أبي بكر بعد منع الزهراء(ع) فدكاً (واحتقبوا ثقلَ الأوزار بغصبهم نِحلة النبيّ المختار)[٣٤].

الثالث: استعمال (استوسع) و (استنهر)

معلوم أنّ العرب تُزيد على الفعل المجرّد حرفاً، أو حرفين، أو ثلاثة من حروف الزيادة التي تجمعها عبارة (سألتمونيها)[٣٥].

والغرض من الزيادة إما معنويّ، يُراد منه الحصول على معنى غير موجود في المجرّد، (بشرط أن يكون المعنى بعد التجريد ذا علاقة بالمعنى مع الزيادة، فكلمة (استفهم) ذات علاقة في المعنى بكلمة (فهِمَ)، ولذلك نحكم بزيادة (الهمزة والسين والتاء))[٣٦]، وأمّا لفظيّ، الغرض منه الإلحاق، أي: إلحاق الفعل الثلاثيّ المزيد بالفعل الرباعيّ[٣٧].

وذهب عدد من اللغويين إلى القول بأنّ الزيادة قد لا تؤدّي غرضاً لفظيّاً ولا معنويّاً، وإنّما تكون زيادة بناء فقط، فيكون الفعل المزيد بمعنى الفعل المجرّد[٣٨].

- ورفض عدد من اللغويين والمفسّرين القول بموافقة المزيد للمجرّد، ورأوا أنّ الزيادة في المبنى لا بدّ أن تدلّ على زيادة في المعنى[٣٩]، وقال هؤلاء إنّ الزيادة في المبنى إنْ لم تدلَّ على معنى جديد، فلا بدّ فيها من معنى المبالغة، قال الرضيّ (ت٦٨٦هـ) رادّاً على من يدّعي أنّ (اسْتَفْعَلَ) قد يساوي (فَعَلَ): (قوله: (اسْتَفْعل) بمعنى (فَعَلَ) نحو. (قرّ) و(استقرّ)، لا بدّ في (استقرّ) من مبالغة)[٤٠]، وقال الشوكانيّ (ت ١٢٥٠هـ) في حديثه عن (يستسخرون): (أي: يبالغون في السخرية، ... يقال: (سخر) و(استسخر) بمعنى، مثل (قرّ) و(استقرّ)، و(عجب) و(استعجب)، والأوّل أولى، لأنّ زيادة البناء تدلّ على زيادة المعنى)[٤١]. وقال الآلوسيّ (ت ١٢٧٠هـ) في حديثه عن لفظة (مستطيرا) في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان/٧): (مستطيرا: فاشيا منتشرا في الأقطار غاية الانتشار، من (استطار الحريق والفجر)، وهو أبلغ من (طار)، لأنّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى)[٤٢].

واستعملت السيّدة الزهراء(ع) في خطبتها صيغة (اسْتَفْعَلَ) مرّتين للدلالة على معنى المبالغة في قولها: (أتقولون مات محمّد(ص)؟ فخطب جليل، استوسع وهيه، واستنهر فتقه)[٤٣]،

فقد وصفت موت رسول الله (ص) بأنّه أمر عظيم (استوسع وهيه)، و(الوهي) في اللغة: الشقّ[٤٤]، فعدلت(ع) عن استعمال (وسع)، أو(اتّسع) إلى استعمال صيغة (استفعل) من الوسع الذي هو نقيض الضيق[٤٥]، فـ(استوسع) بما فيه من زيادة في المبنى يدلّ على مبالغة كبيرة في السعة، بل يدلّ على غاية السعة ومنتهاها، فأيّ شقّ أكثر استيساعاً من موت رسول الله(ص) بما أحدثه في الأمّة، بل في الإنسانيّة جمعاء من خرق عظيم؟

وإذا كان ابن منظور (ت٧١١هـ) يرى في معنى (استوسع) في نحو قولنا: (استوسع الشيءَ) وجود الشيء على صفة، أو الطلب[٤٦]، فإنّه يعني بذلك (استوسع) المتعدية لا اللازمة، لأنّ (استفعل) الطلبيّة متعدّية لا قاصرة[٤٧]، فإن كانت قاصرة - كما جاء في الخطبة - فلا بدّ فيها من معنى المبالغة.

والأمر نفسه يقال في قولها(ع): (استنهر فتقه)، فـ(النهر في اللغة: حفر مجرى للمياه، يقال: نهرتُ النهرَ، أي: حفرته[٤٨]، ففقد رسول الله(ص) حفر شقّاً كبيراً غاية في السعة والعمق، وتمكّن هذا الخطب الجليل في قلوب الناس غاية التمكّن، قال ابن منظور: (واستنهر النهر، إذا أخذ لمجراه موضعاً مكيناً)[٤٩].

المبحث الثاني: في القضايا النحوية

الأوّل: إيثار حرف الجرّ (من) على حرف الجرّ (على)

١ - (وبصّرهم من العماية):

قالت السيّدة الزهراء (ع) في أبيها رسول الله (ص): (وبصّرهم من العماية)[٥٠]، فعدّت الفعل(بصّر) بـ(من)، ولم تقل (بصّرهم عن العماية). ذهب التبريزيّ إلى القول بنيابة (عن) عن (من)، أو بتضمين الفعل (بصّر) معنى الإنجاء، أو التخليص[٥١]. والحقيقة أنّ بين قولك: (بصّرته عن العماية)، و(بصّرته من العماية) فرقاً دقيقاً، فالأول يعني أنّك أبعدته من الوقوع في العماية، أي أنّ إنقاذك له جاء قبل أن يقع فيها، واستعمال الحرف (عن) الذي يفيد معنى المجاوزة يدلّ على هذا المعنى، في حين يدلّ قولك (بصّرته من العماية) أنّك بيّنت له العماية، وأنقذته منها بعد أن كان داخلاً فيها، ويدلّ على هذا المعنى الحرف (من) الذي يفيد ابتداء الغاية، ومن المؤكّد أنّ السيّدة الزهراء (ع) تريد إثبات المعنى الثاني، لا الأوّل، لأنّ الناس كانوا قبل رسول الله (ص) واقعين في العماية، منغمسين في الضلال، ويؤكّد ما نقوله أيضاً أنّ المفسّرين وقفوا عند قوله تعالى: (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)(آل عمران: ١٠٣)، وبحثوا في أسباب قوله تعالى: (منها) مع أنّهم لم يكونوا فيها، قال الطوسيّ (ت٤٦٠هـ): (وإنّما قال: (فأنقذكم منها)، ولم يقل: (فيها)، لأنّهم كانوا بمنزلة من هو فيها

من حيث كانوا مستحقّين لدخولها)[٥٢]، فما يُقال في قوله تعالى: (فأنقذكم منها)، يقال في قول السيّدة الزهراء (ع): (بصّرهم من العماية)، ولا مسوّغ أبداً للقول بأنّ (من) بمعنى (عن)، أو للقول بتضمين (التبصير) معنى (الإنجاء)، أو (التخليص).

٢ ـ (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك)[٥٣]

فهنا عدّت (ع) التطهير بـ(من)، ولم تقل: (عن الشرك). قال التبريزيّ في هذه التعدية ثلاثة آراء[٥٤]:

١ ـ أنّ (من) بمعنى (عن).

٢ ـ أنّ التطهير ضُمّن معنى (التخليص).

٣ ـ أنّ (من) أفادت هنا البدليّة، والمعنى: أنّ الله تعالى جعل الإيمان فيكم بدل الشرك.

والحقيقة أنّنا لسنا بنا حاجة إلى الأقوال الثلاثة، وإنّما يُقال في الفرق بين التعبيرين (تطهيراً من الشرك) و(تطهيراً عن الشرك) ما قيل في الفرق بين (بصّرهم من العماية)، و(بصّرهم عن العماية)، فـ(التطهير من الشرك) يعني أنّهم كانوا فيه قبل التطهير، و(التطهير عن الشرك) يعني مساعدتهم في تجاوزه وصدّهم عن الوقوع فيه.

الثاني: تعدية الفعل (قبض) إلى مفعوله الثاني بـ(إلى)

جاء في الخطبة المباركة قول السيّدة الزهراء (ع) في أبيها رسول الله (ص): (ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار)[٥٥]، فعدّت (ع) الفعل (قبض) إلى مفعوله الثاني بالحرف (الى). ذهب التبريزيّ إلى أنّ الفعل ضُمّن معنى (رفع)، أو (جذب)، أو (دعا)، والمعنى: دعاه إلى رضوانه، أو إلى قرب جنانه[٥٦].

وإذا رجعنا إلى استخدام فعل (القبض) في القرآن الكريم وجدنا أنّه ورد مرّة واحدة متعدياً إلى المفعول الثاني بالحرف (إلى) في قوله تعالى: (ألم تر كيف مدّ الله الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلاً ثمّ قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) (الفرقان: ٤٥ ـ ٤٦).

ذكر المفسّرون أنّ استخدام الفعل (قبض) وتعديته بـ(إلى) مضافاً إليه سبحانه، ووصف القبض باليسير أعطى مجموعة من الدلالات هي:

١ ـ جمع أجزاء الشيء بلطف، قال الثعلبيّ(ت٤٢٧هـ): (والقبض: جمع الأجزاء المنبسطة، وأراد ههنا النقل اللطيف)[٥٧]، وقال ابن عطيّة(ت٥٤٦هـ): (يُحتمل أن يريد لطيفاً، أي: شيئاً بعد شيء، لا في مرّة واحدة، ولا بعنف)[٥٨].

٢ ـ الدلالة على كمال القدرة الإلهيّة، قال الطباطبائيّ: (وفي التعبير عن الإزالة والنسخ بالقبض، وكونه إليه، وتوصيفه باليسر، دلالة على كمال القدرة الإلهيّة، وأنّها لا يشقّ عليها فعل)[٥٩]، وقال مكارم شيرازي: (والتعبير بـ(يسيراً) إشارة إلى انقباض الظلّ

التدريجيّ، وإشارة إلى أنّ نظام النور والظلمة الخاصّ شيء يسير هيّن بالنسبة إلى قدرة الخالق، وكلمة (إلينا) تأكيد على هذه القدرة أيضاً)[٦٠].

٣ـ أنّ الأشياء لا تُعدم، ولا تُفنى، بل ترجع إليه سبحانه، قال ابن عربيّ (ت٦٣٨هـ): (والقبض دليل على أنّ الإفناء ليس إعداماً محضاً، بل هو منع عن الانتشار في قبضته التي هي العقل الحافظ لصورته وحقيقته أزلاً وأبداً)[٦١].

ويبدو أنّ السيّدة الزهراء (ع) أرادت أنْ تُحقق الدلالات نفسها في حديثها عن وفاة أبيها رسول الله (ص)، فاستعملت الفعل (قبض) وعدّته بـ(إلى)، ثمّ وصفت القبض بأنّه (قبض رأفة واختيار).

إنّ اتساق الحرف (إلى) ـ مضافاً إلى الله تعالى ـ مع الفعل (قبض) أضفى دلالات هامشيّة قلّلت من وقع المصيبة وهولها، وبعثت الطمأنينة إلى الأرواح المفجوعة بفراق رسول الله(ص)، فروحه الطاهرة استقرت عند ربّها في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ثمّ وصفت القبض بأنّه هيّن يسير تتجلّى فيه الرأفة الإلهيّة، ولا سيّما أنّها رأفة الحبيب بمحبوبه. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ أمير المؤمنين (ع) استعمل التعبير نفسه في حديثه عن وفاة رسول الله (ص)، إذ قال: (فقبضه إليه كريماً)[٦٢].

وزيادة على هذه الرسالة فإنّ رسالة كمال القدرة الإلهيّة، ورسالة كون الأشياء لا تعدم بالفناء، بل ترجع إلى الله تعالى، يمكن أن تتحققا أيضاً من هذا التعبير. ولا أرى مسوّغاً لتضمين الفعل(قبض) معنى (الرفع)، أو (الجذب)، أو (الدعوة)، فما المسوّغ للبحث عن مخرج لهذه التعدية وقد استُعملت نفسها في كتاب الله لعلل دلاليّة قصدها المتكلّم قصداً؟.

الثالث: النعت بالمصدر

منع النحويون الإخبار عن الذات بالمصدر، لأنّ المصدر حدث، ولا يمكن أن يكون الحدث عين الذات[٦٣]، ولكنّهم وجدوا أنفسهم أمام حقيقة لا مناص من التعامل معها. وهي مجيء المصدر نعتاً في أعلى النصوص فصاحة، ففي القرآن الكريم شواهد غير قليلة تُثبت صحّة النعت بالمصدر، منها قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ ﴾ (يوسف/١٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾ (الزخرف/٢٦)، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ (الجنّ/١) وغيرها كثيروجاء أيضاً في مواطن كثيرة من الشعر العربيّ، منها قول الخنساء تصف ناقة:[٦٤]

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتّى إذا ادّكرت   فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ

وجاء في قول العرب أيضاً (زيد عَدْلٌ وصَوْمٌ وزَوْرٌ)، فذهب النحويّون في ذلك ثلاثة مذاهب[٦٥]:

الأوّل: تأويل المصدر باسم الفاعل، أو باسم المفعول، فمن الأوّل قولهم: (زيد عدل) أي: عادل، ومن الثاني قولهم: (زيد رضا) أي: مرضيّ.

الثاني: أنّه من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والتقدير(ذو عدل).

الثالث: أنّه من باب المبالغة، إذ جُعلت الذات عين الحدث لكثرة اتّصافها بها.

واختار المحقّقون من العلماء المذهب الثالث، قال عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ) في بيت الخنساء السابق: (لم تُرد بـ(الإقبال) و(الإدبار) غير معناهما فتكون قد تجوّزت في نفس الكلمة، وإنّما تجوّزت في أنْ جعلتها لكثرة ما تُقبل وتُدبر، ولغلبة ذاك عليها واتصاله منها، وأنّه لم يكن لها حال غيرهما، كأنّها قد تجسّمت من (الإقبال) و(الإدبار)، .... واعلم أن ليس بالوجه أن يُعدّ هذا على الإطلاق مَعدَّ ما حُذفَ منه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه...... وإن كنّا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ويقولون إنّه في تقدير (فإنّما هي ذات إقبال وإدبار)....... لأنّا إذا جعلنا المعنى فيه الآن كل معنى إذا نحن قلنا: (فإنّما هي ذات إقبال وإدبار)، أفسدنا الشعر على أنفسنا، وخرجنا إلى شيء مغسول، وإلى كلام عاميّ مرذول.........، فالوجه أن يكون تقدير المضاف في هذا على معنى أنّه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره، ولم يُقصد إلى الذي ذكرنا من المبالغة والاتساع، وأن تجعل الناقة كأنّها قد صارت بجملتها إقبالاً وإدباراً حتى كأنّها قد تجسّمت منهما، لكان حقّه حينئذ أن يُجاء فيه بلفظ الذات، فيقال إنّما هي ذات إقبال وإدبار)[٦٦].

فالجرجانيّ يرى في تقدير المضاف المحذوف إخلالاً بالمعنى الذي قصده المتكلّم، وهو الإتيان بالفعل على وجه الكثرة والمبالغة.

وجاء في شرح ابن يعيش (ت٦٤٣هـ): (فهذه المصادر كلّها ممّا وُصف بها للمبالغة، كأنّهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه، وقالوا: (رجل عدل ورضا وفضل) كأنّه لكثرة عدله والرضا عنه وفضله، جعلوه نفس العدل والرضا والفضل)[٦٧].

فلا مسوّغ إذن لتقدير مضاف محذوف، أو لتأويل المصدر بالمشتقّ، والأولى القول بأنّه متى نُعت بالمصدر أريد به المبالغة عن طريق جعل المعنى هو الذات لشدّة اتّصافها به، (والذي يدلّ على ذلك أنّ العرب لا تقول ذلك إلاّ فيمن يكثر، دون من لم يكثر، فلا تقول لمن صام يوماً واحداً(هو صَوْم)، ولا لمن زار مرّة واحدة (هو زَوْر)، ولو كان على تقدير(هو صائم)، أو(ذو صوم) لصحّ ذلك فيمن فعل ولو مرّة واحدة)[٦٨].

وجاء الوصف بالمصدر في الخطبة الشريفة ثلاث مرّات في قول السيّدة الزهراء (ع): (من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها)[٦٩]، فعدلت (ع) عن (العام) إلى (العموم)، وعن (السابغ) إلى (السبوغ)، وعن (التام) إلى (التمام)، وما كان ذلك إلاّ لإفادة معنى المبالغة، فشتّان بين معنى (نِعَم عامّة) و(نِعَم عموم)، فالأولى تدلّ على اتّصاف نِعَم الله بالعموم، والثانية تدلّ على تحوّل تلك النعم إلى العموم بعينه، فكأنّها عمّت، واتسعت،

وكثرت، حتّى صارت كأنّها العموم نفسه، والأمر نفسه يقال في قولها(ع): (سبوغ آلاء)، فـ(آلاء الله) ليست سابغة فحسب، بل هي (السبوغ) بعينه، لعظمها، وكثرتها، وتعدّد أوجهها. وكذلك الأمر في قولها (ع): (تمام منن والاها)، فليست منن الله (تامّة) فحسب، بل هي (التمام) بعينه، ولا مسوّغ للقول بأنّها بمعنى اسم الفاعل[٧٠].

المبحث الثالث: في دلالة الألفاظ

الأوّل: استعمال لفظة (ابتدع)

البدع: الإنشاء ابتداءً، يُقال: بدع الشيءَ يبدعه بدعاً وابتدعه، إذا أنشأه ابتداءً[٧١].

واختُلف في معنى اللفظة حينما تُطلق على الله تعالى في نحو قوله تعالى: (بديع السموات والأرض) (البقرة: ١١٧)، قيل: إنّ معناه الإيجاد من غير الاحتذاء بمثال سابق[٧٢]، وقيل: بل المعنى: الإيجاد من غير علّة، وشاهده ما رواه الشيخ الصدوق عن الإمام الرضا (ع) من قوله: (الحمد لله فاطر الأشياء، ومنشئوها إنشاء، ومبتدعها ابتداعاً بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الاختراع، ولا لعلّة فلا يصحّ الابتداع، خلق ما شاء، كيف يشاء، متوحّداً بذلك لإظهار حكمته، وحقيقة ربوبيته)[٧٣]، فقد جعل الإمام (ع) معنى (الاختراع): الإيجاد لا من شيء، ومعنى (الابتداع): الإيجاد من غير علّة. وفسّر العامليّ (ت١٠٢٠هـ) العلّة هنا بالمثال المُحتذى، ورأى أنّ القول بأنّ انتفاء العلّة يعني انتفاء الغاية من الخلق مردود لعدّة أسباب، أولها: أنّه أمرٌ يرفضه العقل والنقل، أمّا العقل فيحكم بأنّ أفعال الفاعل المختار لا تكون إلاّ بعلّة، وأمّا النقل فيثبت وجود العلّة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات/٥٦)، وثانيها: أنّه (ع) علّل الخلق بعد نفيه العلّة بأنّه إظهار للحكمة وحقيقة الربوبيّة، ما يلزم أن يكون المراد بنفي العلّة غير نفي الغاية من الخلق، وثالثها: أنّ الرواية ضعيفة السند لا يُعتمد عليها[٧٤].

وإذا عدنا إلى النصوص المأثورة عن أئمّة أهل البيت (ع) التي ذُكرت فيها مفردة (الابتداع) وجدنا أنّها تدلّ على معنى الإيجاد من غير الاحتذاء بمثال سابق، من ذلك قول الإمام عليّ بن أبي طالب (ع): (ابتدع الخلق على غير مثال امتثله)[٧٥]، وقول الإمام الباقر(ع): (إنّ الله عزّ وجلّ ابتدع الأشياء كلّها بعلمه، على غير مثال كان قبله)[٧٦].

غير أنّ ما يُثير الانتباه هو قول السيّدة الزهراء (ع) في خطبتها: (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها)[٧٧]، فقد جعلت (ع) (الابتداع) (الإيجاد) من غير مادّة، و(الإنشاء) (الإيجاد) من غير مثال سابق، وظاهر الاستخدام مخالف لما جاء في أقوال الأئمّة(ع) السابقة، وما قال به أكثر أئمّة اللغة والمفسّرين، ويبدو أنّ هذا هو الذي جعل الشيخ الأنصاريّ (ت١٢٨١هـ) يقول بكلا الرأيين من غير إشارة أو ترجيح، إذ قال: (الإبداع: إيجاد الشيء من عدم، فهو أخصّ من الخلق، و(المُبتدَع) من (ابتدع)، وهو اسم مفعول معناه:

المُنشأ على هيئة غير مألوفة)[٧٨]، فأنت ترى أنّه جعل معنى (الإبداع) في صدر العبارة الإنشاء من العدم، وفي ذيلها الإنشاء على غير مثال.

وجعل الراغب الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ) للمفردة خصوصيّة عند استعمالها مع الله تعالى، إذ قال: (الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء.........، وإذا استعمل مع الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة، ولا مادّة، ولا زمان، ولا مكان، وليس ذلك إلاّ الله)[٧٩].

والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أنّ الإبداع لفظ أعمّ من الإنشاء أو الاختراع، فهو يعني الإيجاد مجرّداً عن كلّ المقدّمات والمعطيات التي تسهّل حصوله، أو تقترن بحصوله، فهو إيجاد من غير مادّة، ولا آلة، ولا مثال يُحتذى، وغير مقترن بزمان، أو مكان.

ورفض الآلوسيّ (ت١٢٧٠هـ) حمل (الإبداع) في قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ١١٧) على التكوين من مادّة، أو أجزاء، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ (فصّلت/١١)، ورأى أنّ هذا القول (ناشئ من الغفلة......، والآية حجّة أخرى لإبطال تلك المقالة الشنعاء، وتقريرها أنّه تعالى مُبدِع لكلّ ما سواه، فاعل على الإطلاق)[٨٠]، وقال في الفرق بين الإبداع والتصوير والتكوين: (والإبداع: اختراع الشيء لا عن مادّة، ولا في زمان......، وهو غير الصنع، إذ هو تركيب الصورة بالعنصر، ويستعمل في إيجاد الأجسام، وغير التكوين، فإنّه ما يكون بتغيير، وفي زمان غالباً، وإذا أُريد من السموات والأرض جميع ما سواه تعالى من المبدعات والمصنوعات والمكوّنات، لاحتوائه على عالم الملك والملكوت، فبعد اعتبار التغليب يصحّ إطلاق كلٍّ من الثلاثة، إلاّ أنّ لفظ (الإبداع) أليق، لأنه يدلّ على كمال قدرته تعالى)[٨١].

ففي لفظة (الإبداع) دلالة على كمال القدرة، وهذا الكمال يتحقّق بالقدرة على الإيجاد من غير أيّ من العوامل المساعدة من مادّة، أو آلة، أو مثال، ومن غير تقييد بزمان، أو مكان.

والذي يبدو أنّ قول الإمام الرضا(ع): (ولا لعلّة فلا يصحّ الابتداع)، ليس المقصود به نفي السبب، بل نفي كلّ العوامل المساعدة على الإيجاد، فالعلّة هنا تشمل المادّة، والمثال، والآلة، وكلّ ما يمكن أن يُبطل مفهوم السبق في الإيجاد.

وخلاصة الأمر أنّ القول: (إنّ الله تعالى ابتدع الأشياء) من غير تقييد، يعني: أوجدها من دون مثال، أو مادّة، أو آلة، فإنْ ذُكر بعده واحد من هذه العوامل، قُيّد بها، ولذلك جاء قول أمير المؤمنين (ع): (ابتدع الخلق على غير مثال امتثله) في حين جاء قول السيدة الزهراء(ع): (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها).

الثاني: استعمال لفظة (فاه)

يقال: فاه بالكلام يفوه، إذا لفظ به، وما فُهت بكلمة، أي: ما فتحت فمي بها[٨٢].

وإذا كان المعنى المعجميّ للفظة معنى عامّاً يدلّ على التلفّظ بأيّ كلمة بصرف النظر عن معناها، فإنّ المعنى السياقيّ للفظة في القرآن الكريم جاء مُحدّداً، إذ لم تُطلق اللفظة في

القرآن الكريم إلاّ لإرادة الكلام الذي يصدر عن المتكلّم من غير أن يكون له مصداق في الخارج، وقد تنبّه عدد من المفسّرين إلى هذا الأمر وعدّوه حكماً عامّاً، قال الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ): (وقيل: إنّه لم يُذكر القول مقرونا بالأفواه إلاّ إذا كان ذلك القول زوراً، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (آل عمران ١٦٧)[٨٣]، وزاد غيره على تمثيله قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف/٥)[٨٤].

ويرى الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ) أنّ القول المنسوب إلى الأفواه (قول لا يُعضده برهان، فما هو إلاّ لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته، كالألفاظ المهملة التي لها أجراس ونغم، ولا تدلّ على معان، وذلك أنّ القول الدالّ على معنى لفظه مقول بالفم، ومعناه مؤثّر في القلب، وما لا معنى له مقول بالفم، لا غير)[٨٥].

فاستعمال السيّدة الزهراء(ع) المفردة في خطابها للناس(وفُهتم بكلمة الإخلاص)[٨٦]، أي كلمة التوحيد[٨٧] جاء مقصوداً، ليدلّ على أنّهم نطقوا بكلمة التوحيد بأفواههم من غير أن يكون لها تأثير في قلوبهم، ولذلك لم يتجسّد هذا القول إلى سلوك عمليّ في أفعالهم. قال المجلسيّ: (وفيه تعريض بأنّه لم يكن إيمانهم عن قلوبهم)[٨٨]، وقال التبريزيّ: (وفي قولها (ع) (وفُهتم بكلمة الإخلاص) إشارة إلى عدم ثبوت كلمة الإيمان في قلوبهم حينئذ)[٨٩].

خاتمة البحث ونتائجه

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيّين والمرسلين، وآله الطيّبين الطاهرين.

أمّا بعد فإن البحث تتبّع عدداً من اللمسات البيانيّة في الخطبة الفدكيّة لسيّدة نساء العالمين، الصدّيقة الطاهرة، فاطمة الزهراء (ع).

ففي المبحث الأوّل المخصّص للقضايا الصرفيّة وقف البحث على ثلاث مسائل، الأولى: استعمال صيغة (افتعل) من الفعل (جبل) في قولها (ع) في أبيها رسول الله(ص): (وسمّاه قبل أن اجتبله)، إذ ذهب البحث إلى أنّ الزيادة أفادت معنى المبالغة، للدلالة على شدّة العناية الإلهيّة بشخص الرسول الكريم محمّد(ص)، والثانية: استعمال صيغة (افتعل) من الفعل (حقب)، في قولها (ع): (فدونكموها فاحتقبوها)، إذ أثبت البحث دلالتها على شدّة احتمال الإثم وادّخاره، والثالثة: استعمال صيغة (استفعل) من الفعلين (وسع) و(نهر) في قولها (ع): (أتقولون مات محمّد؟ فخطب جليل، استوسه وهيه، وانفتق رتقه)، إذ أثبت البحث أنّ هذه الصيغة أفادت غاية المبالغة ومنتهاها.

وفي المبحث الثاني المخصّص للقضايا النحويّة، تناول البحث ثلاث مسائل، الأولى: إيثار حرف الجرّ (من) على الحرف (عن) في تعدية الفعل (بصّر) في قولها (ع) في أبيها (ص): (وبصّرهم من العماية)، وكذلك في تعدية فعل التطهير في قولها(ع): (فجعل الله الإيمان تطهيراً

لكم من الشرك)، إذ ذهب البحث إلى وجود فرق دقيق بين التعديتين، فالأولى تدلّ على منعهم من الوقوع في العماية، وفي الشرك، والثانية تدلّ على تخليصهم منها، وهم في داخلها، ولا مسوّغ للقول بالنيابة، أو التضمين، والمسألة الثانية: تعدية فعل (القبض) إلى مفعوله الثاني بـ(إلى) في قولها (ع) في أبيها(ص): (ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار)، وذهب البحث إلى أنّ المراد من هذه التعدية تحقيق مجموعة من الدلالات، أبرزها الإشارة إلى تلك العناية الإلهيّة وذلك التلطّف والرأفة في القبض، فضلاً عن الدلالة على نفي ذهاب الأشياء إلى العدم، والتعبير عن كمال القدرة الإلهيّة في إعادة الأشياء إليه سبحانه، والثالثة: النعت بالمصدر في قولها (ع): (من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها)، فاستعمال المصادر (عموم) و (سبوغ) و (تمام) عبّرت عن منتهى المبالغة حين جعلت الحدث مساوياً للعين.

وفي المبحث الثالث المخصص لدلالات الألفاظ، تناول البحث لفظتين، الأولى: (ابتدع) في قولها (ع): (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها)، إذ ذهب البحث إلى أنّ (الابتداع) إذا أُطلقت من غير تقييد، دلّت على الإيجاد من دون مثال، أو مادّة، أو آلة، فإنْ ذُكر بعدها واحد من تلك العوامل قُيّد بها، والثانية: (فُهتم) في قولها (ع) مخاطبة الجمهور: (وفُهتم بكلمة الإخلاص)، بمعنى (كلمة التوحيد)، فاستعمال هذه اللفظة دلّ على إيمانهم في اللسان دون القلب.

هذا ما وسعني فعله، ما أصبت فيه فمن فضل الله ومنّه، وما أخطأت فيه فمن ظلمات نفسي، وحسبي فخراً أنّي بحثت في كلام سيّدة النساء، ولله الحمد أولاً وآخراً.

هوامش البحث

(١) ينظر رياحين الشريعة: ٣١١/١ - ٣١٤.

(٢) ينظر بلاغات النساء: ١٢ - ١٨.

(٣) ينظر السقيفة وفدك: ١٠٠ - ١٠٣.

(٤) ينظر المصدر نفسه: ١٠١.

(٥) ينظر الشافي في الإمامة: ٦٩/٤ - ٧٦.

(٦) ينظر الفائق في غريب الحديث: ٢١٢/٢.

(٧) ينظر الاحتجاج: ١٣١/١ - ١٤١.

(٨) ينظر شرح نهج البلاغة: ٢١١/١٦ - ٢١٣.

(٩) ينظر الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٢٦٤ - ٢٦٦.

(١٠) ينظر كشف الغمّة: ١٠٨/٢ - ١١٤.

(١١) ينظر بحار الأنوار: ٢١٩/٢٩.

(١٢) بلاغات النساء: ١٢، وينظر بحار الأنوار: ٢٣٥/٢٩.

(١٣) الزهراء، فاطمة بنت محمّد: ٢٣٩.

(١٤) كشف الغمّة: ١٠٨/٢.

(١٥) بحار الأنوار: ٢٩/٢٤٦ ـ ٢٤٧.
(١٦) شرح خطبة الزهراء: ٩.
(١٧) ينظر المصدر نفسه: ١٦.
(١٨) الاحتجاج: ١/١٣١ ـ ١٣٢.
(١٩) ينظر لسان العرب (جبل): ١١/٩٦.
(٢٠) الفروق اللغويّة: ١٥٢.
(٢١) ينظر شرح خطبة الزهراء: ١٢٠، وبحار الأنوار: ٢٩/٢٢١، واللمعة البيضاء: ٤٢٤، وفي الاحتجاج: ١/١٣٣ (اجتباه)، وفي كشف الغمّة: ٢/١٠٩ (يجتبله).
(٢٢) بحار الأنوار: ٢٩/٢٥٤.
(٢٣) ينظر المصدر نفسه: ٢٩/٢٥٤.
(٢٤) الكتاب.
(٢٥) الخصائص: ٣/٢٦٤.
(٢٦) الصحاح: (حقب) ١/١١٤.
(٢٧) ينظر: اللسان (حقب): ١/٣٢٥.
(٢٨) ينظر الصحاح: (حقب) ١/١١٤.
(٢٩) ينظر اللسان(حقب) ١/٣٢٥.
(٣٠) ينظر شرح خطبة الزهراء: ٣٨٦ ـ ٣٨٧، وبحار الأنوار: ٢٩/٢٣٠، واللمعة البيضاء: ٦٧٠ ـ ٦٧١، وفي بلاغات النساء: ١٨ (فدونكموها فاحتقبوها، مدبرة الظهر، ناكبة الحقّ، باقية العار، موسومة بشنار الأبد)، وفي كشف الغمّة: ٢/١١٤ (مدبرة الظهر، ناقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بشنار الأبد).
(٣١) بحار الأنوار: ٢٩/٣٠٠.
(٣٢) ينظر اللمعة البيضاء: ٦٨٤.
(٣٣) شرح الأخبار: ٣/٥٤.
(٣٤) الاحتجاج: ١/١٢٧ وبحار الأنوار: ٢٩/١٤٠.
(٣٥) ينظر شرح الشافية: ٢/٢٣٠ وأوزان الفعل ومعانيها: ٥٢.
(٣٦) المنهج الصوتي للبنية العربيّة: ٦٩.
(٣٧) ينظر شرح المفصّل: ٧/١٥٥.
(٣٨) ينظر المصدر نفسه: ٧/١٤٣.
(٣٩) ينظر تفسير النسفيّ: ١/٦، وأنوار التنزيل: ١/٢٩، والبرهان: ٢/٤٧٧.
(٤٠) شرح الشافية: ١/١١١.
(٤١) فتح القدير: ٤/٣٨٩.
(٤٢) روح المعاني: ٢٩/١٥٥.
(٤٣) ينظر شرح خطبة الزهراء: ٣٦٦، وفي بلاغات النساء: ١٧ (رسول الله) بدلاً من (محمّد)، وفي الاحتجاج: ١/١٣٩(وهنه) بدلاً من (وهيه)، وكذلك في بحار الأنوار: ٢٩: ٢٢٧ ـ ٢٢٨، وفي كشف الغمّة: ٢/١١٢ (رسول الله) بدلاً من (محمّد) و(وهنه) بدلاً من (وهيه)، واللمعة البيضاء: ٦٥٦.
(٤٤) ينظر لسان العرب: (وهي) ١٥/٤١٧.
(٤٥) ينظر لسان العرب: (وسع) ٨/٢٩٢.
(٤٦) ينظر المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٤٧) ينظر البحر المحيط: ٢/١٧٣.
(٤٨) ينظر لسان العرب (نهر) ٥/٢٣٦ ـ ٢٣٧)، والفتق: الشقّ، نظر لسان العرب (فتق): ١٠/٢٩٦.

(٤٩) المصدر نفسه: ٣٢٧/٥.
(٥٠) ينظر شرح خطبة الزهراء: ١٤٤، والاحتجاج: ١٣٢/١، وبحار الأنوار: ٢٢٢/٢٩، واللمعة البيضاء: ٤٤٨.
(٥١) ينظر اللمعة البيضاء: ٤٦٣.
(٥٢) التبيان: ٥٤٦/٢.
(٥٣) ينظر شرح خطبة الزهراء: ١٢٢٠، والاحتجاج: ١٣٤/١، وبحار الأنوار: ٢٢٣/٢٩، واللمعة البيضاء: ٥٢٧، وفي بلاغات النساء: ١٦، وكشف الغمّة: ١١٠/٢(ففرض) بدلاً من (فجعل).
(٥٤) ينظر اللمعة البيضاء: ٥٤٤.
(٥٥) ينظر شرح خطبة الزهراء: ١٦٦، والاحتجاج: ١٣٣/١، وكشف الغمّة: ١١٠، وبحار الأنوار: ٢٢٢/٢٩، واللمعة البيضاء: ٤٦٩، وفي بلاغات النساء: ١٦(ثمّ قبض الله نبيّه(ص)، فعدّت(ع).
(٥٦) ينظر اللمعة البيضاء: ٤٧٠.
(٥٧) تفسير الثعلبيّ: ١٤٠/٧.
(٥٨) المحرر الوجيز: ٢١٢/٤.
(٥٩) الميزان: ٢٢٦/١٥.
(٦٠) الأمثل: ٢٧٤/١١.
(٦١) تفسير ابن عربيّ: ٨١/٢، وينظر الميزان: ٢٢٦/١٥.
(٦٢) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ١١٦/١.
(٦٣) ينظر المغني: ١٥١/١.
(٦٤) ديوانها: ٤٨.
(٦٥) ينظر شرح الرضيّ على الكافية: ٢٥٤/١ - ٢٥٥، وخزانة الأدب: ٤١٢/١.
(٦٦) دلائل الإعجاز: ٣٠٠ - ٣٠٢، وينظر الخزانة: ٤١٢/١.
(٦٧) شرح المفصّل: ٥٠/٣.
(٦٨) معاني النحو: ١٦٤/٣.
(٦٩) ينظر شرح خطبة الزهراء: ٤٤، وفي بلاغات النساء: ١٥(وإحسان منن والاها)، وفي الاحتجاج: ١٣٢/١ (وتمام منن أولاها)، وفي كشف الغمّة: ١٠٩/٢(وإحسان منن والاها)، وبحار الأنوار: ٢٢٠/٢٩، واللمعة البيضاء: ٢٤٧.
(٧٠) ينظر اللمعة البيضاء: ٣٤٩.
(٧١) ينظر اللسان(بدع): ٦/٨.
(٧٢) ينظر مقاييس اللغة: ٢٠٩/١، والفروق اللغويّة:، ٩٤ وتفسير الجلالين: ٢٥، وفتح القدير: ١٣٣/١
(٧٣) التوحيد: ٩٨، وينظر الكافي: ١٠٥/١.
(٧٤) ينظر الحاشية على أصول الكافي: ٨٧.
(٧٥) نهج البلاغة: ١٦٣/١.
(٧٦) الكافي: ٢٥٦/١.
(٧٧) ينظر شرح خطبة الزهراء: ٦٤، وفي بلاغات النساء: ١٥ (ابتدع الأشياء لا من شيء قبله، واحتذاها بلا مثال)، والاحتجاج: ١٣٣/١، وفي كشف الغمّة: ١٠٩/٢(أبدع الأشياء لا من شيء كان قبله، وأنشأها بلا احتذاء مثله)، وبحار الأنوار: ٢٢١/٢٩، واللمعة البيضاء: ٣٦٦.
(٧٨) المكاسب: ٢٥٧/٢.
(٧٩) المفردات: ٣٨.
(٨٠) روح المعاني: ٣٦٨/١.
(٨١) المصدر نفسه: ٣٦٧/١.

(٨٢) ينظر الصحاح (فوه): ٢٢٤٥/٦.
(٨٣) مجمع البيان: ٤٣/٥.
(٨٤) ينظر تفسير الثعلبيّ: ٣٣/٥، والجامع لأحكام القرآن: ١١٦/٨، وفتح القدير: ٣٥٣/٢.
(٨٥) الكشّاف: ١٨٥/٢.
(٨٦) ينظر شرح خطبة الزهراء: ٣٠٤، والاحتجاج: ١٣٥/١، وكشف الغمّة: ١١١/٢، وبحار الأنوار: ٢٢٤/٢٩، واللمعة البيضاء: ٦٠٧.
(٨٧) ينظر بحار الأنوار: ٢٦٥/٢٩.
(٨٨) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٨٩) اللمعة البيضاء: ٦٠٨.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

١ - الاحتجاج للشيخ الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: السيد محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
٢ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، لناصر مكارم الشيرازيّ، الناشر: مدرسة الإمام عليّ، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، مطبعة أمير المؤمنين (ع)، ١٤٢١هـ.
٣ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاويّ، عبد الله بن عمر بن محمّد (ت٦٨٥هـ)، دار الفكر، بيروت
٤ - أوزان الفعل ومعانيها، الدكتور هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.
٥ - بحار الأنوار للمجلسيّ (ت١١١١هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الزهراء العلويّ، الناشر: دار الرضا - بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.
٦ - البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ)، تقديم: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمّد معوض، شارك في التحقيق: الدكتور زكريّا عبد المجيد النوقيّ، والدكتور أحمد النجوليّ الجمل، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.
٧ - البرهان في علوم القرآن، للزركشيّ، بدر الدين محمّد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاؤه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٨ - بلاغات النساء الكتاب: لابن طيفور(ت٢٨٠ه)، مكتبة بصيرتي. قم المقدّسة.
٩ - التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الأولى، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
١٠ - تفسير الثعلبيّ، للثعلبيّ (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
١١ - تفسير الجلالين، لجلال الدين محمّد بن أحمد المحليّ، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
١٢ - تفسير ابن العربيّ، لابن العربيّ (ت ٦٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الوارث محمّد عليّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٣ - تفسير النسفيّ، للنسفيّ (ت ٥٣٧هـ). بلا محقق ولا مطبعة ولا تأريخ الطبع.
١٤ - التوحيد، للشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، الناشر: منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة.

١٥ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبيّ، محمّد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، تصحيح: أحمد عبد العليم البردونيّ، دار إحياء التراث العربيّ، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، (د. ت).

١٦ - الحاشية على أصول الكافي للسيّد بدر الدين بن أحمد الحسينيّ العامليّ (ت١٠٢٠هـ)، جمعها ورتّبها السيّد محمد تقي الموسويّ سنة ١٠٩٤ هـ، تحقيق علي الفاضليّ، مطبعة دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

١٧ - الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جنيّ (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمّد علي النجّار، دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٩٥٢م.

١٨ - خزانة الأدب، للبغداديّ (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، المطبعة: بيروت - دار الكتب العلمية، الناشر: دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٩ - دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، قراءة وتعليق: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٠ - ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت.

٢١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين الآلوسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ. ١٩٧٨م.

٢٢ - رياحين الشريعة، للشيخ ذبيح الله المحلاتي، طهران.

٢٣ - الزهراء فاطمة بنت محمّد، عبد الزهراء عثمان محمّد، النشر: مهدي يار، مطبعة محمّد، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

٢٤ - السقيفة وفدك، للجوهري (ت٣٢٣هـ)، تحقيق: تقديم وجمع وتحقيق: الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني. الناشر: شركة الكتبي للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، المطبعة: شركة الكتبي للطباعة والنشر - بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٢٥ - الشافي في الإمامة، للشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، المطبعة: مؤسسة إسماعيليان – قم، الناشر: مؤسسة إسماعيليان – قم، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ.

٢٦ - شرح الأخبار، للقاضي النعمان المغربيّ (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: السيّد محمّد الحسينيّ الجلاليّ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدّرسين بقم المشرّفة.

٢٧ - شرح خطبة الزهراء، تحقيق وإعداد: محمّد باقر كيشوان الموسويّ، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩.

٢٨ - شرح الرضيّ على الكافية، لرضيّ الدين الأستراباديّ (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، الناشر: مؤسسة الصادق – طهران، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

٢٩ - شرح الشافية، لرضيّ الدين الاسترباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٧٥م.

٣٠ - شرح المفصّل، لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، مكتبة المتنبّي، القاهرة، د. ت.

٣١ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٢ - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة)، لإسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت بحدود ٤٠٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م. الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٣٣ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، لابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، مطبعة: الخيام – قم المقدّسة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٢٤ - الفائق في غريب الحديث للزمخشري (ت٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٥ - فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمّد بن عليّ بن محمّد الشوكانيّ (ت١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
٣٦ - ا لفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٧ - الكافي، للشيخ الكلينيّ (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة.
٢٨ - الكتاب، لسيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، عالم الكتب، بيروت.
٢٩ - الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م.
٤٠ - كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، لابن أبي الفتح الإربلي (ت٦٩٣هـ)، الناشر: دار الأضواء - بيروت – لبنان.
٤١ - لسان العرب، لابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم المقدّسة، ١٤٠٥هـ.
٤٢ - اللمعة البيضاء للتبريزيّ الأنصاريّ (ت١٣١٠هـ)، تحقيق: السيّد هاشم الميلانيّ، مطبعة مؤسّسة الهادي، قم المقدّسة، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٤٣ - مجمع البيان، لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيّين، تقديم: السيّد محسن الأمين العامليّ، الطبعة الأولى، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٤٤ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطيّة الأندلسيّ (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافعيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٤٥ - معاني النحو، للدكتور فاضل صالح السامرائيّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، انطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٤٦ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة المرعشيّ النجفيّ، قم المقدّسة، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٤٠٤هـ.
٤٧ - مفردات غريب القرآن، للرّاغب الأصفهانيّ (ت ٤٢٥هـ). دار نشر الكتاب، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ
٤٨ - مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٤٩ - المكاسب، للشيخ الأنصاريّ (ت ١٢٨١هـ)، تحقيق: مجمع الفكر الإسلامي/لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، مطبعة مؤسسة الهادي - قم المقدّسة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، الناشر: المؤتمر العالميّ بمناسبة الذكرى المئويّة الثانية لميلاد الشيخ الأنصاريّ.
٥٠ - المنهج الصوتي للبنية العربيّة (رؤية جديدة في الصرف العربيّ)، للدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
٥١ - الميزان في تفسير القرآن، للعلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائيّ (ت ١٤١٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدّسة.
٥٢ - نهج البلاغة، تحقيق وشرح الشيخ محمّد عبده، المطبعة: النهضة - قم، الناشر: دار الذخائر - قم -، إيران، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ❖

المصطلحات العبادية في الخطبة الفدكية

د. جاسم محمد علي الغرابي(*)

المقدمة

إن العبادة في حياة المسلمين لها من الأثر العميق ما يجعلها الغاية من خلق الله (ﷻ) للإنسان ولأهميتها العظمى، خلق الخَلقَ وأرسل الرسلَ وأنزلَ الكتبَ للأمر بعبادته والنهي عن عبادة غيره، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، خلق الله تعالى الإنس والجن لعبادته وحده لا شريك له، والعبادة هنا يجب أن تكون بالقول الصادق والعمل الخالص لوجهه الكريم.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3].

من العبادات التي أشارت إليها سيدتنا الزهراء (ع) في خطبتها، الصلاة والزكاة والصوم والحج. والتي هي مدار البحث.

فالبحث يحاول أن يكشف ولو بالنزر اليسير ما للزهراء (ع) من أثر عظيم في الامتداد الحقيقي للنبوة، فهاهي الزهراء (ع) بعد انتقال الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى، قد بدأت تمارس دورها الحقيقي في تذكيرها للأمة وإرجاعها عن غيها بعد وجدت عندهم الرغبة في الابتعاد عن الأسس والقواعد التي أرساها النبي(ص) للأمة الإسلامية، فـ(ع) في خطبتها هذه قد عملت على بعث الروح في الأمة، وذلك من خلال تنمية الوعي الروحي والديني والأخلاقي والسياسي في المجتمع، فهي شخصية رسالية مؤمنة بأهداف الله وكأن من مسؤوليتها العظمى أن تؤديها، فكانت (ع) مثالاً في الدروس والعبر، وما أبدته في صلابة الموقف، ودوام الاستقامة، ورفضها لما جاءت به سلطة السقيفة. فهي درس للثوار في وجه الظلم والاستكبار.

اقتضت طبيعة البحث أن تكون موزعة على مقدمة ومبحثين:

(*) جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية.

(١) الذاريات/٦٥.

(٢) النحل/٣٦.

(٣) الأنبياء/٢٥.

المبحث الأول: وضم ما يأتي:

١- العبادات وأثرها في الحياة الإسلامية.

٢- معنى العبادة في اللغة والاصطلاح.

٣- الغاية من العبادة.

المبحث الثاني: تناولت فيه:

١- تعريف بعض المصطلحات الخاصة في العبادة والتي وردت في الخطبة، كالصلاة والزكاة والصوم والحج في معناها اللغوي والاصطلاحي.

٢- ما ورد في خطبة الزهراء (ع) من معاني إلى هذه المصطلحات الأربعة.

المبحث الأول

١ ـ العبادات وأثرها في الحياة الإسلامية

الحمد لله القائل في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[1]. ونهى عن عبادة غيره من الأنداد المزعومة والطواغيت والشياطين، وجعلها الأصل الأصيل بين الشرائع السماوية وقال: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[2]، كما جعلها الرسالة المشتركة بين الرسل فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[3].

وفي ذلك شرفهم، وعزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لأنهم بحاجة إلى ربهم لا غنى لهم عنه طرفة عين، وهو غني عنهم وعن عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡ... ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[5]. والعبادة حق لله على خلقه وفائدتها تعود إليهم، فمن أبى أن يعبد الله فهو مستكبر، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو مشرك، ومن عبد الله وحده بغير ما شرع فهو مبتدع، ومن عبد الله وحده بما شرع فهو المؤمن الموحد[6]. ولما كان العباد في ضرورة إلى العبادة، ولا يمكنهم أن

(١) البينة/٥.

(٢) آل عمران/٦٤.

(٣) النحل/٣٦.

(٤) الزمر/٧.

(٥) إبراهيم/٨.

(٦) ظ: جعفر سبحاني: في ظلال التوحيد ص ١٢وما بعدها.

يعرفوا بأنفسهم حقيقتها التي ترضي الله (ﷻ) وتوافق دينه، لم يكلهم إلى أنفسهم، بل أرسل إليهم الرسل، وأنزل الكتب لبيان حقيقة تلك العبادة وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[١]. فمن حاد عما بينته الرسل ونزلت به الكتب من عبادة الله، وعبد الله بما يملي عليه ذوقه وما تهواه نفسه وما زينته له شياطين الأنس والجن فقد ضل عن سبيل الله ولم تكن عبادته في الحقيقة عبادة لله بل هي عبادة لهواه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٢].

فالعبادة بمفهومها العام تشمل جميع أبواب الدين، فالإنسان يتعبد إلى الله (ﷻ) بتوحيده والإخلاص له، ويتعبد له بالإيمان به بشروطه، يتعبد لله(ﷻ) بالصلاة، فرضها ونفلها، يتعبد للمولى (ﷻ) بالزكاة والصدقات، يتعبد له بالصيام الذي هو سرٌ بين العبد وبين ربه، ويتعبد لله (ﷻ) بزيارة بيته الحرام، وبالجهاد في سبيله وإعلاء كلمته[٣].

ومن هنا جاء الإسلام بتشريعاته الخالدة التي أمست نبراساً يستنير بها كل طالب للفضيلة والعز، لذلك نراها تريد بالإنسان إلى أن يسمو مصاف الملائكة، وهو ما تجلى بصورة مشرقة، في أن الله (ﷻ) قد سخر له كل ما في الوجود إكراماً له، إلاّ أنّ الإنسان الجاهلي أعرض عن نعم الله وهديه، واختار الضلال وتنكب طريق الهداية فابتدع وشرع حسب هواه باحثاً عن السعادة وهي كامنة في الإسلام الذي نبذوه وراء ظهورهم، فاستحوذ عليهم الشّيطان فأنساهم ذكر الله العظيم[٤].

فالإسلام العظيم في جميع مقرراته في العقائد والأحكام والأخلاق، جاء منسجماً بما تملية الحياة الطبيعية التي ابتغاها الله(ﷻ) للإنسان، كي يعيش في جو مفعم بأبهى صورة رسمها له الباري (ﷻ)، فهو يسير في منحى يلائم الإنسان والكون وما فيه بدقة تحير الأفهام وتدهش الألباب، وفي مقابل ذلك نجد كل الفلسفات القديمة والحديثة التي وقفت من الإسلام موقف المعارض أو المتفرج، حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن تسعى لتحقيق بعض هذه الملائمة من أجل أن تستقيم الحياة الإنسانية، لكنها تبوء بالفشل والخيبة، لأنها تحمل بذور العجز عن ذلك فطرياً، حيث إنّها تولد وهي منحرفة نحو ناحية على حساب النواحي الأخرى الجديرة بالعناية والاهتمام.

وهذا ما يتضح لنا من خلال الواقع الإنساني فنجد بعض النّاس قد كرس اهتماماته بالجوانب الروحية وترويض النفس على ترك مظاهر الحياة، ومنهم من اهتم بالجانب المادي

---

(١) الأنبياء/٢٥.

(٢) القصص/٥٠.

(٣) ظ: مفهوم العبادة ص٤ وما بعدها.

(٤) ظ: بين العبادة والعبودية ص١+ التحول المذهبي: علاء الحسون ص٢١٠.

والمظاهر الحياتية تاركاً كل ما يمت إلى الروح وطهارتها ونقائها وصفاء النفس والضمير، بينما امتاز الإسلام بسمة الاعتدال والتوازن وأكّد على ضرورة تطهير النفس من أدران الإلحاد والشرك وطهارة الجسد والطعام والملبس من ألوان النجاسات والأوساخ[١].

فإنّ الله سبحانه وتعالى منح الإنسان فرصة الاختيار لاختيار المبادئ والأفكار والسبل التي يصل بها إلى تحقيق أهدافه. ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢].

فإذا ظفر الإنسان بشريعة خاتم المرسلين، وفاز بالتمسك بها، فقد اهتدى ونجا وتمسك بالعروة الوثقى، ولسوف يعطيه ربه فيرضى، وأما إذا ظل متبعاً هواه وسلك مناهج وضعية، فقد هوى وتردى، وضل سعيهُ في الآخرة والأولى ولسوف يشقى.

والإسلام العظيم لا يمنح الإنسان العصمة من الزلل والمعاصي إلاّ لمن اصطفاهم الله (ﷻ) وجعلهم خلفائه في الأرض الأئمة من آل البيت (ع)، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣] وأما غيرهم إن تمسك بمقدار ما يتمسك به من أحكام الشريعة الغرّاء، وما يؤمن به من فكر الإسلام وخلقه القويم، وما يؤديه من واجبات إزاء شخصه ومجتمعه وخالقه سبحانه وتعالى، فالله (ﷻ) يثيب المحسن ويعاقب المسيء.

والإسلام لم يكتف بطرح منهجه فحسب، بل أحاط الفرد والمجتمع بما يكفل له سبيل الطاعة ويجنبه سبيل المعصية، فيحقق له الرخاء، وينجيه من الشقاء، ولكن في الحدود التي تبقي على حرية الإنسان وقدرته على الامتثال والامتناع[٤].

ومن لطف الله ورحمته بعباده، جعل لهم باباً مفتوحاً إليه، عندما يدركون أخطاءهم ويستعيدون رشدهم ويوقنون بأن لا ملجأ إلاّ إليه ولا سعادة إلاّ بما شرع لهم من الدين، سماه باب التوبة يدخلونه غير خائفين، بل بكل ستر واطمئنان، فهو الذي تعهد بأن يبدل سيئاتهم حسنات، كلما أخلصوا له التوبة والعودة إلى صراطه المستقيم، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٥].

ولكي لا ييأس العبد من رحمة ربّه الواسعة، ولكي لا يسدر في غيه، قاطعاً الأمل من الله تعالى، مستسلماً لذنوبه وآثامه، ترك له باب التوبة مفتوحاً.

فالعودة إلى الله تعالى في مضمونها العملي، رفضٌ للمعصية وانتفاضة عملاقة من الأعماق على عوامل الفساد ودواعي الشرور التي دأب أعداء الإسلام على إشاعتها ونشرها لهدم قيمنا الإسلامية وتقويض حضارتنا الزاهرة[٦].

---

(١) ظ: العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع ص٣وما بعدها.

(٢) سورة الإنسان/٣

(٣) سورة الأحزاب/٣٣.

(٤) ظ: العبادات وأثرها في تضامن المسلمين ص٢ وما بعدها.

(٥) الفرقان/٧٠.

(٦) ظ: العبادة في زمن الفتن ص٤.

وسوف يعلم الإنسان أنّ كل تشريع عبادي أو حياتي لا بدّ وأن تكون وراءه حكمة بالغة لصالح العبد نفسه، تسلك في سبل الصلاح ومعارج الكمال، فإنّ الله تعالى بعث أنبياءه ورسله هداية للنّاس ورحمة للعالمين، ينقذوهم من حيرة الضلالة ويوضحون لهم الطريق المستقيم ويضعونهم على الجادة الصحيحة، التي فيها صلاح دنياهم وأخراهم، وما حرّم الله سبحانه على الإنسان إلاّ ما يجلب له مضرة حتمية[١].

لقد جاء الإسلام ليهدي الضال، ويحمي الضعيف، وينتصر للمظلوم، ويشبع الجائع، ويكسي العريان، ولينظم الحقوق والواجبات، ويحرر الفرد والأسرة والأمّة من الخوف والظلم والجهل والجوع، وليتساوى أمام منصة قضائه، وفي محراب عبادته، وفي توزيع حقوقه ومسؤولياته الأسود والأبيض والحاكم والمحكوم والرجل والمرأة، ليضع الموازين القسط لتنظيم الحياة بكل ما فيها، ولكل ما يحتاج إليه الإنسان في مسيرته عبر الحياة، وهو يحمل رسالة الهداية والإصلاح ومشعل القوة والرحمة ولواء الحرية والعدالة لتتفيأ البشرية ظلاله[٢].

ومن خلال هذا الموقع وهذه المنزلة، لا بدّ للإنسان أن يوطد علاقته بالله سبحانه أكثر فأكثر وأن لا يغفل عن ذكره والاتكال عليه، ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ.. ﴾[٣].

فالبذكر الدائم تتقد جذوة الحب الإلهي في نفس الإنسان المسلم، فيرتقي إلى ساحات القرب وعوالم الانشراح، ويجوب رياض اليقين، وتطل نفسه على نور البصيرة في الرؤية، الذي لا يعتريه غروب، ويتوفر لديه حضور الوازع الداخلي الذي لا يعقبه غياب.

وحقيقة الذاكرين هم أولئك الذين وفوا بعهدهم مع الله تعالى فاندكت ذواتهم خشية منه واستقامت طريقتهم طاعة له، وعلت نفوسهم وصفت بكثرة الإنابة إليه ودوام الاستغفار وكثرة العبادة والدعاء، فهم معه لا يغفلون عنه طرفة عين ولا يشغلهم عن ذكره بيع أو شراء وهم بحمده يسبّحون ولفضله يشكرون وعليه يتوكلون.

٢ ـ مفهوم العبادة في اللغة:

قال في المفردات: "العبودية: إظهار التذلّل، والعبادة أبلغ منها، لأنّها غاية التذلّل، ولا يستحقّ إلاّ من له غاية الإفضال وهو الله تعالى[٤]، ولهذا قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ.. ﴾[٥]".

---

(١) ظ: بين العبادة والعبودية ص٣.

(٢) ظ: منازل العباد بين القوة العلمية والقوة العملية ص١وما بعدها.

(٣) آل عمران/١٩٢.

(٤) الراغب الأصفهاني ٥٤٢/١.

(٥) الإسراء/٢٣.

وجاء في لسان العرب: أصل العبودية: الخضوع والتذلل[١].

ذكر الفيروز آبادي: العبادة: الطاعة[٢].

قال ابن فارس: العبد: الذي هو أصل العبادة، له أصلان متضادّان، والأول من ذينك الأصلين يدلّ على لين وذل، والآخر على شدّة وغلظ[٣].

قال الزجاج: معنى العبادة: الطاعة مع الخضوع، يقال: هذا طريق معبّد إذا كان مذلّلا لكثرة الوطء، وبعير معبّد إذا كان مطليا بالقطران[٤].

العبادة في الاصطلاح:

قال الطبرسي: العبادة ضرب من الشكر وغاية فيه، لأنها الخضوع بأعلى مراتب الخضوع مع التعظيم بأعلى مراتب التعظيم[٥].

والزمخشري يرى أن العبادة: أقصى غاية الخضوع والتذلّل، ومنه ثوب ذو عبدة أي في غاية الصفافة، وقوة النسج، ولذلك لم تستعمل إلاّ في الخضوع لله تعالى لأنّه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع[٦].

جاء في تفسير الميزان أن العبادة: هي نصب العبد نفسه في مقام المملوكية لربه[٧].

البلاغي يقول أن العبادة: ما يرونه مشعراً بالخضوع لمن يتّخذه الخاضع إلهاً، ليوفيه بذلك ما يراه له من حقّ الامتياز بالإلوهية[٨].

قال جعفر السبحاني: أنّ العبادة: عبارة عن الخضوع أمام موجود للاعتقاد بأنّه إله حقيقيّ أو مجازيّ، ولو لا ذلك الاعتقاد لا يوصف الخضوع بالعبادة[٩].

ومن خلال هذه التعريفات يمكن لنا القول إن العبادة هي الخضوع والتذلل، والإتيان بالفعل على وجه الإخلاص المرادف للامتثال.

٣ ـ الغاية من العبادة:

يكتفي البحث بما جاء به السيد الخوئي (قدس سره) فقال[١٠]: إن الغاية القصوى من العبادة قد تكون هي الله فقط، من دون أن يشوبها غرض آخر من الأغراض الدنيوية أو

---

(١) لسان العرب٣/٢٧١ (فصل العين المهملة).

(٢) القاموس المحيط ١/٢٧٨ (فصل العين).

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤/٢٠٥ (باب العين والباء وما يثلثهما).

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٨.

(٥) مجمع البيان ١/٦٤.

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/١٣.

(٧) الطباطبائي ١/١٢.

(٨) آلاء الرحمن١/٥٧.

(٩) في ظلال التوحيد ٢٨.

(١٠) مصباح الفقاهة ١/٧١١ .

الجهات الأخروية، وضروري أن هذا النمط من الامتثال منحصر في الأئمة الطاهرين (ع) والأنبياء المرسلين (ع)، فقد قال أمير المؤمنين (ع): (ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)[1].

وقد تكون الغاية من العبادة هي الله، ولكن بداعي التملق والخضوع لحفظ الجهات الدنيوية بأن يجعلها العبد وسيلة لازدياد النعمة والعزة وسببا لارتفاع الشأن والمنزلة، وترساً لدفع النقمة والهلكة، وقد أشير إلى هذا في الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2].

وقد تكون الغاية من العبادة هي الله بداعي الخشية من غضبه والخوف من ناره التي أعدت للعاصين، وبداعي التعرض لرحمته الواسعة، والوصول إلى الحور والقصور والجنة، التي عرضها كعرض السماوات والأرض، وهذه المرتبة أرقى من المرتبة الثانية، وقد أشار إلى هذا بقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3]، وبقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[4].

وقد تكون الغاية من العبادة هي التقرب إلى الله وتحصيل رضاه، من غير أن يقترن بها غرض آخر من الأغراض الدنيوية أو الأخروية، وهذه المرتبة أرقى من المرتبة الثانية والثالثة، وهي مختصة بالعارفين بالله والسالكين إليه، ولا يناله إلا القليل من الموحدين. وقد اتضح أن الغرض من العبادة في هذه الدرجات الثلاث الأخيرة هو انتفاع العبد حتى في الدرجة الأخيرة، فإن مآل تحصيل رضى الله والتقرب إليه هو صيرورة العبد محبوباً لدى الله لكي يجيب دعوته ويدفع شدته ويقضي حوائجه.

قبسات من خطبتها (ع):

قالت: (أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، وزعمتم حق لكم لله فيكم، عهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه قائد إلى الرضوان اتباعه، مود إلى النجاة إسماعه به تنال حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، **فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس**

(١) المازندراني: شرح أصول الكافي ١/ ٢٥٤.

(٢) إبراهيم/٧.

(٣) الأعراف/٥٦.

(٤) الأنبياء/٩٠.

ونماء في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام......)[١].

المبحث الثاني: الصلاة والزكاة والصوم والحج في معناها اللغوي والاصطلاحي

١ ـ قالت السيدة الزهراء (ع): (الصلاة تنزيها لكم من الكبر).

لاشك أن الصلاة تمثل ركناً من أركان الدين الإسلامي الحنيف، وهي من أفضل العبادات وأهمها في نظر الشرع، فالصلاة رأس كل عبادة وميزان كل عمل فهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فان صحت نظر في عمله، وان لم تصح فلم ينظر في بقية عمله، وقد ورد في الحديث الشريف:

(الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها)[٢].

وعن أبان بن تغلب[*] في صحيحه قال: (كنت صليت خلف أبي عبد الله (ع) بالمزدلفة فلما انصرف التفت إلي فقال: يا أبان الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهن وحافظ على مواقيتهن لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنة ومن لم يقم حدودهن ولم يحافظ على مواقيتهن لقي الله ولا عهد له إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)[٣].

لذا نراها مواعيد لقاءات محدده ثابتة بين الخالق ومخلوقه، رُسِمت أوقاتها السعيدة وطرائقها وصورها، وكيفياتها، من قبل الله (ﷻ)، يقف العبد خلالها بين يدي خالقه، متوجها إليه بعقله وقلبه وجوارحه، يحادثه ويناجيه فيسكب عليه خلال تلك المناجاة صفاء ذهنياً ونفسياً رائعاً، وشفافية روحية تسبح خلالها بطيب المشافهة، وتنعم معها بدفء وعذوبة ووله وسعادة ولذة الوصال والتلاقي.

والقرآن الكريم يشتمل على آيات كثيرة ترتبط بالصلاة إلا أنها مختلفة في مجال ارتباطاتها

منها، قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[٥].

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج ١/١٣٤.

(٢) الصدوق: الامالي ٧٣٩ + المجلسي: بحار الأنوار ١٠/٣٩٤.

(*) ثقة (ابن داوود: رجال ابن داود ٢٩ + الخوئي: معجم الرجال ١/١٤٠).

(٣) الكليني: الكافي ٣/٢٦٧ + الطوسي: تهذيب الأحكام ٢/٢٢٣٩.

(٤) سورة البقرة/٤٣.

(٥) سورة النساء/١٠٣.

الصلاة لغةً: الدعاء فيما أورده اللغويون[١].

منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

شرعاً: (عبارة عن أفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود إذا ضامه أذكار مخصوصة)[٣].

وبخصوص ما أوردته السيدة الزهراء (ع) فيما يخص الصلاة يلاحظ المتأمل أنها قد أشارت إلى ركن جوهري من أركان الإسلام، فعن الإمام الباقر (ع) قال: (بنى الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية)[٤]. فالصلاة عمود الدين، التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي صلةٌ وثيقةٌ بين العبد وبين ربِّه فإذا حافظ الإنسان على الصلوات فإنَّه تقوى صلته بالله(ﷻ)، كي يكون على صلة بالله دائماً وأبداً، وكذا ما يأتي به من النوافل فإنَّ الله (ﷻ) يثيبه على ذلك كلِّه، فيبعده عن الفحشاء والمنكر؛ فإذا همَّ بمعصية وهمَّ بأمر منكر تذكَّر لماذا يصلي؟ ولماذا يلازم الصلاة؟ إنَّه يفعل ذلك رغبة فيما عند الله من الثواب وخوفاً مما عنده من العقاب، فإنَّ صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر، فيكون بعيداً عن الفحشاء وبعيداً عن المنكر، قال الله (ﷻ): ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٥]. كما إن الصلاة تعلم العبد بما فيها من الركوع والسجود والثناء والتعظيم كيف يتواضع لله؟، وكيف يشكر من أحسن إليه؟ ويكافئ من أسدى إليه معروفاً؟[٦].

٢ ـ قولها (ع) فيما يتعلق بالزكاة: (الزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق).

تعد الزكاة أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام، وهي فريضة عظيمة من فرائض الإسلام ووجوبها قد أجمع عليه علماء الإسلام، إذ أكد الله تعالى عليها في محكم كتابه الكريم فقد ورد لفظ الزكاة في القرآن الكريم مع الصلاة في أكثر من (٨٠) آية

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٧].

---

(١) الفراهيدي: العين ١٥٢/٧ + الجوهري: الصحاح ٢٤٠٢/٦.

(٢) سورة التوبة/١٠٣.

(٣) الطوسي: المبسوط ٧٠/١.

(٤) الكليني: الكافي ١٨/٢.

(٥) سورة العنكبوت/٤٥.

(٦) ظ: مكارم الشيرازي: تفسير الأمثل ٤٠٧/١٢ ـ ٤٠٩.

(٧) سورة البقرة/٢٧٧.

وقد قرنها الله (ﷻ) بالصلاة وأوجبها مرة واحدة كل سنة، وهى فريضة على كل مسلم تتوفر فيه شروطها فيجب عليه إخراجها لمستحقيها.

ويحث الله تعالى المسلمين على الإنفاق من أموالهم ليسدوا حاجات الفقراء والمحتاجين ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

والزكاة في الإسلام هي أول نظام عرفته البشرية لتحقيق الرعاية للمحتاجين والعدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع حيث يعاد توزيع جزء من ثروات الأغنياء على الطبقات الفقيرة والمحتاجين.

فهي مطهرة لأموال المزكيَ ومطهرة لنفسه من الأنانية والطمع والحرص وعدم المبالاة بمعاناة الغير.

وهى كذلك مطهرة لنفس الفقير أو المحتاج من الغيرة والحسد والكراهية لأصحاب الثروات.

وتؤدي الزكاة إلى زيادة تماسك المجتمع وتكافل أفراده والقضاء على الفقر وما يرتبط به من مشاكل اجتماعية واقتصادية وأخلاقية إذا أحسن استغلال أموال الزكاة وصرفها لمستحقيها.

الزكاة في **اللغة**: النماء، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[2].

وقيل إنها الطهارة، لقوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾[3].

شرعا: حق معين يثبت في المال أو في الذمة[4]، ويعتبر في وجوبه النصاب[5].

قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾[6].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) قال: (من منع قيراطا من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم)[7].

---

(١) سورة البقرة/٢٤٥.

(٢) سورة البقرة/٢٣٢.

(٣) سورة الكهف/٧٤.

(٤) ظ: العلامة الحلي: منتهى المطلب ٤٧/١.
الأنصاري: كتاب الزكاة ٣.

(٥) العلامة الحلي: المعتبر ٤٨٥/٢.
الجواهري: جواهر الكلام ٣/١٥.

(٦) سورة فصلت/٦ ـ ٧.

(٧) الكليني: الكافي ٥٠٢/٣ ٨٨ .
الطوسي: التهذيب ١١١/٤.

قال المجلسي (ت ١١١١هـ): **تزكية للنفس**[١]: أي من دنس الذنوب، أو من رذيلة البخل، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢].

ونماء في الرزق: إيماء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[٣].

والزهراء كما يتبين لنا من قولها أشارات إلى هذا المعنى، لأنها تغرس في نفس المؤمن فضيلة السخاء وتطهر نفسه من رذيلة الشح فيفوز برضا الله ويسعد بتوفيقه ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤]. فهي كما يبدو أنها قد أبانت لنا ان فريضة الزكاة تشتمل على بعض الفضائل، ولو أن الناس أخرجوا زكاة أموالهم كما أمرهم ربهم لسدت حاجة الفقراء والمساكين ولعاش الناس إخوة متحابين متآلفين ولكن بعض الأغنياء بخلوا بزكاة أموالهم فمنعوها مستحقيها فكانوا سبباً في انتشار الأحقاد والضغائن وحدوث كثير من المفاسد والجرائم.

فالزكاة التي شرعها العليم الحكيم لعباده فإن لها خصائص وسمات تميزها عما عداها، فمن أبرز هذه الخصائص أنها قربة لله (ﷻ)، تصحبها النية والإخلاص، والاحتساب، لتكون مقبولة.

ولهذه الحكمة البالغة، والتي لا تتأتى إلا فيما شرع الله (ﷻ) جاءت الزكاة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة مشفوعة بما يرغب في إخراجها بطيب نفس، وصدق نية، وكريم احتساب، وذلك ببيان ما يترتب على إخراجها من نتائج وثمرات في الدنيا والآخرة من إخلاف وثواب ونمو وبركة[٥].

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٦].

٣ ـ عندما نسير معها (ع) نجد أنها بينت لنا معنى الصيام فقالت: (الصيام تثبيتا للإخلاص).

الصوم من الفرائض التي لها خصوصية خاصة والتي تميزها عن غيرها من العبادات التي أمرنا الله تعالى بها، فهو عبادة سرية بين العبد وخالقه، ورياضة روحية، وعمل سلبي للنفس وتربية للإرادة، وتعويد للصبر وتحمل المشاق، وهو شديد على النفس أن

---

(١) بحار الأنوار٢٩/٢٥٩.

(٢) سورة التوبة/١٠٣.

(٣) سورة الروم/٣٩.

(٤) سورة الحشر/٩.

(٥) ظ: التبريزي الأنصاري: اللمعة البيضاء ٥٤٧ ـ ٥٤٨.

(٦) سورة الحديد/١٨.

تحرم مما في يدها وتحت قدرتها[١]. وهو كما جاء في الحديث الشريف (الصوم لي وأنا أجزي به)[٢].

الصوم في اللغة: الإمساك، أو الكف والترك[٣]. منه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[٤].

شرعاً: هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص، ومن شرط انعقاده النية[٥].

وفي تعريف آخر: (هو توطين النفس على الكف عن تعمد تناول ما يفسد الصوم من أكل وشرب وجماع)[٦].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾[٧].

يدل النص القرآني الكريم على تشريع الصوم في حق المؤمنين وانه ثابت عليهم كما هو ثابت على الأمم السابقة.

ومن خلال ما تقدم نجد أن السيدة الزهراء (ع) قد أماطت اللثام عن الغاية من هذه الفريضة التي جاء بها الإسلام، إذ إنَّ فيه إضعاف قوة الشهوة في النفس، فيكبح جماحَها ويحول بينها وبين أن تقع في المزالق، وتقع في الأمور المحرمة، بسبب التمتع بالنعم والتلذذ بها، فإنَّ النفس قد تقدم بسبب ذلك على ما لا تحمد عقباه في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبيُّ الكريم عليه الصلاة والسلام: (حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات)[٨]، فالطريق إلى الجنّة يحتاج إلى صبر على طاعة الله عز وجل، ويحتاج إلى صبر عن المعاصي، والطريق إلى النار محفوفٌ بالشهوات[٩].

---

(١) ظ: المجلسي: بحار الأنوار٢٩/٢٥٩.

(٢) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٢/٧٥ + البخاري: صحيح البخاري ٨: ١٩٧.

(٣) ظ: الصحاح/الجوهري ٥/١٩٧٠+ ابن منظور: لسان العرب ١٢/٣٥٠.

(٤) سورة مريم/٢٦.

(٥) ظ: السيوري: كنز العرفان ١٧٩ + الجزائري: قلائد الدرر ١/٣٤٠.

(٦) المرتضى: رسائل المرتضى ٣/٥٣.

(٧) سورة البقرة/١٨٣ ـ ١٨٤.

(٨) الرضي: المجازات النبوية ٣٨٧+ المجلسي: بحار الأنوار ٦٧/٧٨.

(٩) المجلسي: بحار الأنوار ٩٣/٢٧٠+ محمد الريشهري: ميزان الحكمة ٢/١٦٨٤ ـ ١٦٨٦.

٤ - الحج كان له مكان من خطبتها (ع) فقالت: (الحج تشييدا للدين).

لاشك أن الحج من أعظم شعائر الإسلام وأركانه القويمة، لما له من فوائد جمة وعلى مختلف الصعد التربوية والاجتماعية والسياسية، ففي رحابه تتجلى آيات الله البينات، وعزت الدين الحنيف، ونفوذ رسالة النبي (ص) فهو أكبر مؤتمر روحاني عالمي يعقد في كل سنة ويقصده الناس من كل حدب وصوب يحلون في ضيافة الرحمن، لا فرق بين الأسود والأبيض والعربي والأعجمي كلهم أمام الله سواء، حيث تتجسد أروع صور المساواة الإنسانية تجمعهم هذه المدرسة الأخلاقية العالمية العبادية، يتعلم فيها الناس شتى دروس التوحيد والتسليم والإخلاص لأحكام الله تعالى[١].

الحج في **اللغة**: القصد[٢]. قال الخليل:

(الحج كثرة القصد إلى من تعظمه)[٣].

شرعاً: هو القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة عنده متعلقة بزمان مخصوص، وعلى وجه مخصوص.

وفي تعريف آخر: اسم لمجموع المناسك المؤداة في المشاعر المخصوصة[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٥].

فالمتأمل يلاحظ أنها عبارتها (ع) **(الحج تشييداً للدين)** يتم في اجتماع الحجّاج في عرفة تذكيراً باجتماع الناس في الموقف يوم القيامة فيكون ذلك حافزاً للاستعداد لذلك اليوم بالأعمال الصالحة. ففي الحجّ يلتقي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها، فيتعارفون ويتناصحون ويعرف بعضُهم أحوالَ بعض، فيتشاركون في الأفراح والمسرَّات، كما يشارك بعضهم بعضاً في آلامه، ويرشده إلى ما ينبغي له فعله، ويتعاونون جميعاً على البر والتقوى كما أمرهم الله سبحانه بذلك.

ومن خلال ما تقدم نجد أن هذه الأركان التي أشارت إليها السيدة الزهراء (ع) قد تناولت جوهر الرسالة المحمدية، فقد ورد عن ن أنس قال: قال رسول الله (ص): جاءني جبرئيل فقال لي: (يا أحمد، الإسلام عشرة أسهم، وقد خاب من لا سهم له فيها، أولها شهادة أن

---

(١) ظ: التبريزي الأنصاري: اللمعة البيضاء ٥٥٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٢/٢٦٦ (فصل العين).

(٣) العين ٢/٩.

(٤) الشهيد الأول: الدروس ١/٣٠٦ + الشهيد الثاني: مسالك الأفهام ٢/١١٩.

(٥) سورة آل عمران/٩٧.

لا إله إلا الله، وهي الكلمة، والثانية الصلاة، وهي الطهر والثالثة الزكاة، وهي الفطرة، والرابعة الصوم، وهي الجنة، والخامسة الحج، وهي الشريعة والسادسة الجهاد، وهو العز، والسابعة الأمر بالمعروف، وهو الوفاء، والثامنة النهى عن المنكر، وهو الحجة، والتاسعة الجماعة، وهي الألفة، والعاشرة الطاعة، وهي العصمة)[1].

الخاتمة:

وبعد هذه القراءة المتفحصة للخطبة العظيمة، والسياحة في مفرداتها، وما جادت به سيدتنا ومولاتنا أم الحسنين عليهم جميعاً صلوات الله، يمكن أن نصل إلى هذه الخاتمة وهي:

١- لما كان العباد في ضرورة إلى العبادة، ولا يمكنهم أن يعرفوا بأنفسهم حقيقتها التي ترضي الله (ﷻ) وتوافق دينه، لم يكلهم إلي أنفسهم، بل أرسل إليهم الرسل، وأنزل الكتب لبيان حقيقة تلك العبادة.

٢- العبادة بمفهومها العام تشمل جميع أبواب الدين، ابتدأ من التوحيد والإخلاص لله(ﷻ) فالإنسان يتعبد لله(ﷻ) بالصلاة، ويتعبد للمولى (ﷻ) بالزكاة والصدقات، ويتعبد له بالصيام الذي هو سرٌ بين العبد وبين ربه، ويتعبد لله ﷻ) بزيارة بيته الحرام، وبالجهاد في سبيله وإعلاء كلمته، وهذا ما أشارت له سيدتنا الز راء (ع) في خطبتها).

٣- الإسلام العظيم في جميع مقرراته في العقائد والأحكام والأخلاق، جاء منسجماً بما تملية الحياة الطبيعية التي ابتغاها الله (ﷻ) للإنسان، كي يعيش في جو مفعم بأبهى صورة رسمها له الباري (ﷻ).

٤- من لطف الله ورحمته بعباده، جعل لهم باباً مفتوحاً إليه، عندما يدركون أخطاءهم ويستعيدون رشدهم ويوقنون بأن لا ملجأ إلاّ إليه ولا سعادة إلاّ بما شرع لهم من الدين سماه باب التوبة.

٥- على الإنسان أنّ يعلم أن كل تشريع عبادي أو حياتي لا بدّ وأن تكون وراءه حكمة بالغة لصالح العبد نفسه.

٦- إن العبادة هي الخضوع والتذلل، والإتيان بالفعل على وجه الإخلاص المرادف للامتثال.

---

(١) الصدوق: علل الشرائع ٢٤٩/١ + الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٢/١.

المصادر والمراجع:

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١ ـ الأنصاري: مرتضى بن محمد أمين (ت١٢٨١ هـ).
كتاب الزكاة، تحقيق لجنة التحقيق، الطبعة الأولى. مطبعة باقري، قم ١٤١٥هـ.

٢ ـ البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦ هـ).
صحيح البخاري. طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، منشورات: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت ١٤٠١ هـ.

٣ ـ التبريزي: محمد علي بن أحمد القراجه داغي الأنصاري (ت١٣١٠هـ)
اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (ع) تحقيق: السيد هاشم الميلاني مطبعة: مؤسسة الهادي الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٤ ـ الجزائري: أحمد بن إسماعيل بن عبد النبي (ت١١٥١ هـ).
قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر، مطبعة الآداب/النجف الأشرف.

٥ ـ الجواهري: محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ).
جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام.
تحقيق عباس القوجاني، الناشر دار الكتب الإسلامية، آخوندي، طهران، مطبعة خورشيد، الطبعة الثالثة ١٣٦٧ش.

٦ ـ الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ).
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، منشورات دار العلم للملايين/بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

٧ ـ الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ).
وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر مؤسسة أهل البيت(ع) لإحياء التراث ـ قم المشرفة. المطبعة: مهر قم، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٨ ـ الخوئي: أبو القاسم الموسوي (ت١٤١٣هـ).
مصباح الفقاهة. المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف١٣٧٤ هـ.

٩ ـ (الخوئي نفسه).
معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، تحقيق: لجنة التحقيق، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.

١٠ ابن داود: تقي الدين الحسن بن علي الحلي (ت٧ ٧هـ).
رجال ابن داود، المطبعة الحيدرية/النجف١٣٩٢هـ.

١١ ـ الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ).
المفردات في غريب القران، الناشر: دفتر نشر الكتاب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٢ ـ الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (ت٤٠٦ هـ).
المجازات النبوية، تحقيق، طه محمد الزيني، الناشر مكتبة بصيرتي، قم.

١٣ ـ الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ)
معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبدو شلبي، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١٤ ـ الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد (ت٥٣٢هـ).
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.

١٥ - السبحاني: جعفر.
في ظلال التوحيد، الطبعة ١٤١٢هـ، الناشر: معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحج.
١٦ - السيوري: المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين الحلي الأسدي (ت٨٢٦هـ).
كنز العرفان في فقه القرآن، تحقيق: محمد القاضي، منشورات المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طبع: دار الهدى للتوزيع والنشر الدولي، مطبعة نو بهار. ١٤١٩هـ.
١٧ - الشهيد الأول: محمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت٧٨٦هـ).
الدروس الشرعية في فقه الإمامية، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٨ - الشهيد الثاني، زين الدين بن علي العاملي، (ت٩٦٦هـ).
مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، المطبعة - بهمن قم، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١٩ - الشيرازي: ناصر مَكارم الشيرازي.
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل http: //www.makaremshirazi.org/books/arabic.htm
٢٠ - الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي (ت٣٨١هـ).
علل الشرائع.
الناشر: المكتبة الحيدرية/النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدرية: ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م.
٢١ - الصدوق (نفسه).
من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر الغفاري، منشورات: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة/إيران، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
٢٢ - الصدوق (نفسه).
الأمالي: التحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢٣ - الطباطبائي: محمد حسين (ت١٤٠٢هـ).
الميزان في تفسير القران، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.
٢٤ - الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٦٠هـ).
مجمع البيان في تفسير القران، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٥ - الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت٥٦٠هـ).
الاحتجاج، تحقيق. محمد باقر الخرسان. المطبعة : دار النعمان النجف الأشرف ١٣٨٦هـ
٢٦ - الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ).
المبسوط في فقه الإمامية، تحقيق محمد تقي الكشفي، منشورات: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، المطبعة الحيدرية طهران.
٢٧ - الطوسي (نفسه).
تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، منشورات: دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الرابعة.
٢٨ - عبد الكريم الخضير.
العبادة في زمن الفتن، بحث منشور على الأنترنيت/www.ahlalhdeeth.com/vb/editpost.php
٢٩ - علاء الحسّون.
التحوّل المذهبي، بحث تحليلي حول رحلة المستبصرين، إلى مذهب أهل البيت (ع)، سلسلة الرحلة إلى الثقلين (٨٨) إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

٣٠ ـ العلامة: الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦ هـ).
منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية المطبعة مؤسسة الطبع والنشر الآستانة الرضوية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣١ ـ علي عبد اللطيف منصور.
العبادات في الإسلام وآثرها في تضامن المسلمين، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الواحد والستون ـ محرم ـ صفر ـ ربيع الأول ١٤٠٤هـ.
٣٢ ـ ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ).
معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات دار إحياء التراث العربي عيسى البابي وشركاه، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٦٦هـ.
٣٣ ـ الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل ابن أحمد (ت ١٧٥هـ).
العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، المطبعة: الصدر، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثاني ١٤٠٩.
٣٤ ـ الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم (ت٨١٧ هـ).
القاموس المحيط، بحواشي نصر بن نصر يونس الهوريني (ت١٢٩١ هـ) ـ دار العلم للجميع. بيروت.
٣٥ ـ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٨ ـ ٣٢٩ هـ).
الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، المطبعة حيدري، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ.
٣٦ ـ المحقق الحلي: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (٦٧٦هـ).
المعتبر في شرح المختصر، تحقيق عدة من الأفاضل، منشورات: مؤسسة سيد الشهداء (ع)، المطبعة: مدرسة الإمام أمير المؤمنين(ع) ١٣٦٤هـ.
٣٧ ـ المجلسي: محمد باقر (ت١١١١هـ).
بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، منشورات مؤسسة الوفاء الطبعة الثانية المصححة بيروت/لبنان ١٤٠٣ هـ.
٣٨ ـ محمد الري شهري.
ميزان الحكمة، تحقيق، دار الحديث، المطبعة: دار الحديث، الطبعة الاولى١٤١٦ هـ.
٣٩ ـ محمود السيد شيخون.
العبادات في الإسلام وآثرها في إصلاح المجتمع، الناشر: الجامعة الإسلامية، الطبعة: السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ.
٤٠ ـ المرتضى: علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت٤٣٦هـ).
رسائل المرتضى، تحقيق مهدي الرجائي، منشورات: دار القرآن الكريم، مطبعة سيد الشهداء/قم. ١٤٠٥هـ.
٤١ ـ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ).
لسان العرب، طبع: دار أحياء التراث العربي، الناشر: نشر آدب الحوزة ١٤٠٥هـ.
٤٢ ـ هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة.
منازل العباد بين القوة العلمية والقوة العملية، بحث منشور على الإنترنيت
www.alaqida.com/vb/index.php
٤٣ ـ العبادة والعبودية، بحث منشور على الإنترنيت www.alaqida.com/vb/index.php ❖

الخصائص الأسلوبية في خطبة السيدة الزهراء (ع)

د. طلال خليفة سلمان[*]

المقدمة:

تمثل الخطابة رافداً مهماً من روافد الأدب العربي، منذ عصوره الأولى، وتمثل خطبة السيدة الزهراء نصاً مهماً وأثراً متميزاً من آثار الخطابة في العصر الإسلامي، ولأهمية هذه الخطبة في تاريخ الأدب في العصر الإسلامي، ولدورها المهم في إظهار الخصائص العامة للخطابة في ذلك الوقت، فضلاً عن تعدد الموضوعات التي عالجتها، وتنوع البنيات الأسلوبية التي ظهرت فيها، فقد ارتأيت أن تكون مجالاً لهذه القراءة الأسلوبية التي تحاول سبر أغوار الخطبة، والتعمق في الحفر فيها، وبيان الإيحاء الصوتي، وتشكلات الصورة التي ظهرت في الخطبة.

انصب اهتمام الدراسة على مستويين من مستويات الدراسة الأسلوبية، هما المستوى الصوتي، والمستوى الدلالي، وقد عنيت الدراسة في المستوى الصوتي، بدراسة الإيحاء الصوتي في الخطبة، عبر تمظهراته المختلفة، فدرست الإيحاء الصوتي المجرد عن التركيب، ودرست التقنيات الصوتية التي كانت مؤثرة في الخطبة وهي التوازي والسجع، ثم درست إيحائية الحروف الصوتية، وأثرها في جذب انتباه المتلقي، وفي التنفيس عمّا في قلب الزهراء من أحزان وآلام.

عنيت الدراسة في المستوى الدلالي بدراسة تشكلات الصورة في الخطبة، وقد وجدنا عبر دراسة الاستعارة والكناية والمجاز، إنّ الزهراء كانت دقيقة في تصوير الصور المتنوعة، وواعية لأهمية هذه التقنية التصويرية في التأثير في المتلقي، وجذب انتباهه. وقد تعددت الصور التي ظهرت في الخطبة وتنوعت، فكانت تلتقط لنا صوراً من حياة الإنسان العربي الصحراوية، وما امتازت به هذه الحياة، كما نرى المشاهد الكثيرة للبيئة العربية الصحراوية، ومنها مشاهد وصور الإبل والنباتات الصحراوية، فضلاً عن تصوير عادات العرب وطبائعهم التي امتازوا بها. وهي صور تنبض بالحركة والحيوية، وتمارس تأثيراً في المتلقي.

إنّ الناظر إلى خطبة السيدة الزهراء، والدارس لها يرى أنّها تمثل أثراً مهماً، وعلامة بارزة من علامات الخطاب النسوي في عصر صدر الإسلام، وتمثل إشارة متميزة ومبكرة إلى أهمية أن تعي المرأة دورها في المجتمع الذكوري، وتسعى إلى المطالبة بحقوقها بكل الوسائل المتاحة، كما أنّها تشكل ملمحاً من ملامح الأدب النسوي في ذلك العصر، ثم بعد هذا وذاك فإنّ الخطبة تعدّ مصدراً مهماً من مصادر دراسة أدب المرأة وبلاغتها في عصر صدر الإسلام.

(*) كلية التربية للبنات/جامعة بغداد.

إنّ المرأة في التراث الأدبي العربي (لم تكن مهملة - كما يزعم البعض - وإنّما كان يُنظر إليها، وإلى نتاجها الأدبي نظرة احترام، ويبدو ذلك واضحاً من خلال اهتمام الأدباء القدامى بجمع ما قالته المرأة من شعر أو نثر: لتتناقله الأجيال من عصر إلى عصر)[1]، وليعكف الدارسون على دراسته، واستكناه خصائصه التي انماز بها، وما كتاب بلاغات النساء إلا مصداق لهذا الكلام، فضلاً عن غيره من الكتب التي امتلأت بألوان شتى من الأدب النسوي، شعراً كان أم نثراً.

سوف ننتهج خطوات المنهج الأسلوبي في دراستنا هذه؛ لأنّ هذا المنهج له القدرة على استكناه ميزات النص المدروس، وله القابلية على سبر أغواره، والتعمّق في الحفر فيه، فالباحثون اليوم يعدّون الانزياحات في النسيج الكتابي الأدبي للنص هي التي تعكس هذه المؤشرات الدالة، وهنا تتكشف مجالات كل من البلاغة والأسلوبية، وأثار كلّ منهما في الكتابة الأدبية للنصّ؛ (وذلك أن الأسلوبية تصافح الملفوظات الأدبية في حسيتها المباشرة فتكشف عن خصوصيتها، وبالتالي فرادتها، بينما تظل البلاغة عند قواعديتها، فتكشف عن حقيقة هذه الفرادة في كشفها عن الانحرافات التي في الكتابة)[2].

إنّ منهج الدرس الأسلوبي انتقل من محور الجمع والتبويب إلى محمور التحليل واستنباط القوانين، وهذا يعني انه انتقل من الشيء إلى ما به يتخلّق فيحدث فيكون، كما أنه درس يعمل على إثارة الأسئلة وطرحها، وليس درساً يقرر الحقائق ويثبتها فقط، وإنّ أمراً كهذا يدل على أنه نتاج عقلانية تبحث عن نفسها، ليس في الأعراف والتقاليد والثوابت والمألوف، ولكن في خلخلة الأعراف والتقاليد والثوابت تارة، وفي الوقوف على المنزاح وغير المألوف تارة أخرى. وفضلاً عمّا تقدم فإنّ الأسلوبية اليوم (هي دراسة للغة، وهي أيضاً دراسة للكائن المتحوّل باللغة، وهي كذلك دراسة للعمل الإبداعي، ودراسة لعملها الذاتي المبدع للعمل الإبداعي... كما نفهم أنها التقاط للحظات هاربة من خلال تركيب ثبتته الكتابة إلى الأبد، ولحظات لا يحاط بها من خلال أعمال تم انجازها وبشكل نهائي)[3].

ستتمحور دراستنا هذه حول مستويين من مستويات الدراسة الأسلوبية، هما المستوى الصوتي والمستوى الدلالي، وسوف نركز في المستوى الصوتي على دراسة الإيحاء الصوتي في الخطبة، في حين سوف نعنى في المستوى الدلالي بدراسة تشكلات الصورة في الخطبة؛ لأنّ

---

(١) بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق: بركات يوسف هبّود، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥، ٥.

(٢) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، ٢٠٠٠، ٤٨.

(٣) الأسلوبية، بييرجيرو، ترجمة منذر عياشي، مقدمة المترجم، مركز الإنماء الحضاري، ط٢، ٢٠٠٨، ٦.

هذا المستوى يعنى في ميدان الدراسات الأسلوبية بدراسة التغيّرات الدلالية ومن التغيّرات الدلالية الصورة المجازية. أمّا المستوى التركيبي في الخطبة، فإننا لن نتناوله بالدراسة؛ لأنّه قد درس في بحث منشور تحت عنوان (البنى التركيبية في خطبة الزهراء)[1].

الإيحاء الصوتي في خطبة الزهراء

بدايةً، لا بدّ لنا من استكناه معنى الإيحاء، فهو مشتق من مادة وحي، (وأصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمّن السرعة. قيل: أمر وحْيٌ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة)[2]، ومنه الإيحاء و(هو الإشارة بكلام خفي يؤثر في المخاطب)[3].

إنّ التأمل في فحوى التعريفين يظهر لنا أن الإيحاء يجري بأكثر من طريقة، ومن طرقه المهمة، طريقة الإيحاء بالصوت سواء أكان مجرّداً عن التركيب النحوي أم كان مركباً في جمل تامة من حيث التركيب والدلالة. أمّا فائدته فهي التأثير في المتلقي؛ من أجل إفهامه فحوى الرسالة التي يريد منتج النص إيصالها إليه، والتأثير فيه من خلالها.

إنّ النصّ سلسلة من الأصوات المتتابعة والمتراكبة مع بعضها، ينبعث عنها المعنى[4]، وتسهم هذه الأصوات في إيجاد قواعد للتناسب فيما بينها، وبين البناء اللغوي التركيبي ودلالة السياق، كما أنّها تسهم في عملية الإيحاء الصوتي الذي يجذب انتباه المتلقي، ويحقق قصدية منتج النص في الإفهام والفهم.

يحتل الصوت أهمية كبيرة في مراعاة المواقف المصوّرة، فاختيار اللفظة ذات الايقاع الصوتي المناسب للموقف، واختيار التركيب يتسق مع موضوع النص فقد وظّفت طبيعة الأصوات لتجسيم المواقف النفسية والانفعالات كالفرح والحزن والخوف والتعجب، والشعور بالظلم والغبن، وغيرها من الانفعالات، (وينبغي ألا نغفل أن تعبيرية الحروف هي ظاهرة مرتبطة بالسياق الصوتي في لغة معينة، والإيقاع هو الذي يبرز تأثير البنية الصوتية بوضعها في قوالب زمنية تمارس من خلالها عملية الإيحاء)[5] والتأثير في المتلقي.

---

(١) البحث منشور في مجلة كلية التربية/الجامعة المستنصرية، العدد الثاني سنة ٢٠١٠، ص ١٧٦، للدكتور حيدر عبد الزهرة والمدرس المساعد محمد قاسم.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ٣٥٨.

(٣) القاموس الجديد، علي بن هادية، وبلحسن البليش والجيلاني بن الحاج يحيى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط، ١٩٨٨، ١٣٢.

(٤) نظرية الأدب، أوستن دارين ورينيه ويليك، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، د.ط، د.ت، ٢٠٥.

(٥) نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط، ١٩٨٧، ٤٧٢.

ومادمنا قد أتينا على ذكر الإيقاع الصوتي، فلا بأس من بيان معناه: لأهميته في عملية الإيحاء الصوتي. فهو يعني اتفاق وتدفق الأصوات في بناء النصوص والعناصر اللغوية وانتظام الجمل المكوّنة لها، فهو يشمل العلاقة بين الجزء والجزء الآخر، وبين الجزء وكل الأجزاء الأخرى للعمل الأدبي، ويكون ذلك في قالب متحرك ومنتظم في الأسلوب الأدبي.

إذا يممنا أبصارنا صوب خطبة السيدة فاطمة الزهراء (ع)، لنستكنه الإيحاء الصوتي الذي تمظهر فيها، فإننا سنجد الزهراء قد اعتمدت على الإيحاء الصوتي، والمؤثرات الصوتية بشكل كبير؛ لإدراكها أهمية المؤثر الصوتي في أثناء إلقائها للخطبة ولتؤثر في سامعيها، ولاسيّما وإن الموقف الذي كانت فيه يستدعي التأثير في السامعين: لأنّها خرجت وخطب تلك الخطبة: لتطالب بحقها، ولتعلن موقفها من الأحداث التي حدثت، ولتظهر حزنها وآلامها بعد وفاة أبيها(ص)، ومن الطبيعي أن تسعى في موقف كهذا إلى التأثير بمختلف المؤثرات سواء أكانت على مستوى الصوت أم على مستوى التركيب أم الدلالة.

وظّفت الزهراء (ع) الصوت مؤثراً مهماً في السامعين، وموحياً بعمق آلامها ومظلوميتها وأحزانها، قبل شروعها بالخطبة، وقبل نطقها بأي كلمة، مما يدل على قوة المؤثر الصوتي، وقوة إيحائية الصوت عند المتلقين، ودرجة تلقيهم العالية لهذا المؤثر المهم، إذ تروي الكتب التي أوردت الخطبة حدث ذهابها إلى المسجد، ووصولها إليه، حتى (نيطت دونها ملاءة، فجلست، ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم إلى بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها)[1].

يقول السيد محمد كاظم القزويني معلقاً على هذا الموقف: (فلا عجب أن هاجت بها الأحزان، وأنّت أنّة. إنني أعجز عن التعبير عن تحليل تلك الأنة، ومدى تأثيرها في النفوس. أنّة واحدة فقط - بلا كلام - تهيّج عواطف الناس، فيجهش القوم بالبكاء. أنا ما أدري ما كانت تحمل تلك الأنّة من المعاني؟ ولماذا أجهش الناس بالبكاء؟ وهل الأنة الواحدة تُبكي العيون، وتُجري الدموع، وتحرق القلوب؟ هذه ألغاز لا أعرف حلها، ولعلّ غيري يستطيع حلّ هذه الألغاز)[2].

ولكي نحاول الإجابة على أسئلة السيد القزويني، فإنّ علينا الرجوع إلى تاريخ تلك الحقبة، وذلك الحدث، والتأمل فيه وفي سياق الأحداث التي سبقته، فقد كانت أحداثاً تبعث على الشعور

---

(١) الاحتجاج، الشيخ أبو منصور الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ١/١١٢، وينظر: بلاغات النساء، ٢٩ - ٣٦، ويعد كتاب بلاغات النساء من أقدم المصادر التي روت خطبة الزهراء، إلا أننا سوف نعتمد على رواية كتاب الاحتجاج في إيراد الخطبة: لدقته في نقله وروايتها.

(٢) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٢٣٧.

بالحزن واللوعة والألم في قلب الزهراء، وما أنّها تلك إلا سبب تراكم الحزن في قلبها من ناحية، وبسبب دخولها إلى مسجد أبيها (ص) وتذكرها إياه، وحنينها لأيامها التي قضتها في كنفه، من ناحية أخرى، فضلاً عن رغبتها في التأثير في حشد الناس الذي حضر إلى المسجد، ليستمع كلامها، ويتفاعل معها، ويتألم لألمها، ويحزن لحزنها. والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق مفاده: هل كانت أنّة الزهراء بقصدية منها أو أنّها لم تتمالك مشاعرها فأنّت تلك الأنّة؟ وهل حققت الأنّة الهدف المرجو منها؟ إنّ أنّة الزهراء كانت بقصدية منها، وقد حققت هذه الأنّة هدفها وهو التعبير عن الحزن ولألم الذي خامرها، والتأثير في حشد الناس الذي حضر تلك الخطبة وشهد ذلك الحدث، وإلا لماذا بكى الناس بل أجهشوا بالبكاء؟ ولماذا ارتج المجلس؟ ولماذا أمهلتهم حتى سكن نشيجهم وهدأت فورتهم، ولاسيما إذا ما علمنا أن إجهاش الناس بالبكاء، وارتجاج المجلس، ونشيجهم وفورتهم، يحمل من الإشارات والدلالات على شدّة تأثير صوت الزهراء فيهم، وشدّة تأثرهم وحزنهم على حالها الذي هي عليه.

يظهر لنا مما تقدم أن الزهراء أظهرت أحزانها، وبيّنت حالها الذي هي عليه قبل شروعها في الخطبة، بوساطة الأنّة التي حملت إيحاء مئات الكلمات، وعشرات الجمل التي لو استعملتها لما حملت ذلك الإيحاء الصوتي، وذلك التأثير الكبير الذي حملته تلك الأنّة.

بعد أن هيّأت المجلس للاستماع إلى خطبتها (افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها)[1] وهنا يفرض سؤال آخر نفسه هو: لماذا عاد القوم إلى بكائهم بعدما هدأت فورتهم؟ ألأنها ذكرت أباها (ص) وصلّت عليه أم لسبب آخر؟ إن الذي نراه أن الزهراء حينما ذكرت أباها استعملت إيحاءً صوتياً آخر للتأثير في هؤلاء الحاضرين، وإشعارهم بعظم مصيبة فقده عليهم، وبعظم هذه المصيبة عليها، وإلا لماذا عادوا إلى بكائهم بعد أن هدأت فورتهم وسكن نشيجبهم؟

التوازي في خطبة الزهراء

التوازي هو تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وهذان الطرفان هما جملتان لهما البنية نفسها، فيكون بينهما علاقة تقوم على أساس المشابهة أو على اساس التضاد[2]. كما أنه (نسق التقريب والمقابلة بين محتويين أو سردين بهدف البرهنة على تشابههما أو اختلافهما، ويتم التشديد على تطابق أو تعارض الطرفين بواسطة معاودات إيقاعية أو تركيبية)[3]. وهو (تشابه البنيات واختلاف المعاني)[4]، وهو (شكل من أشكال

---

(١) الاحتجاج ١١٢/١.

(٢) ينظر: بحث: التوازي ولغة الشعر، محمد كنوني، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، ع١٨، ١٩٩٩م، ٧٩.

(٣) نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين، د.ط، د.ت، ٢٢٩.

(٤) مدخل إلى قراءة النص الشعري، محمد مفتاح، مجلة فصول، مج ١٦، ع١، ١٩٩٧م، ٢٥٩.

التنظيم النحوي يتمثل في تقسيم الحيّز النحوي على عناصر متشابهة في الطول والنغمة والبناء النحوي، فالكل يتوزع في عناصر أو أجزاء ترتبط نحوياً وإيقاعياً فيما بينها)[١].

إنّ التأمل في الكلام المتقدم يظهر لنا خصائص عدة للتوازي، فهو علاقة تماثل تتم على مستوى أو مستويات لسانية بين طرفين أو أكثر، وتعتمد العلاقة بين هذين الطرفين على مبدأين هما التشابه أو التضاد، وفضلاً عن ذلك فإنّه يحقق إيقاعاً تكرارياً في النصوص، ويتسم هذا الإيقاع بالتجانس الصوتي، والترتيب المنتظم للكلمات المكوّنة للجمل المتوازية.

من البنيات الأسلوبية التي ظهرت في خطبة الزهراء، بنية التوازي فقد حققت هذه البنية الأسلوبية الصوتية إيقاعاً تكرارياً، وتجانساً صوتياً متساوقاً، وترتيباً منتظماً في كلمات الخطبة، كما قامت بعملية إيقاع صوتي مبطن بالفكر، ومثال ذلك قولها في بداية الخطبة، وهي تعدد نعم الله تعالى على الخلق، وتصفها وصفاً دقيقاً عبر بنية التوازي:

(جمّ عن الإحصاء عددها

ونأى عن الجزاء أمدها

وتفاوت عن الإدراك أبدها)[٢].

إنّ إنعام النظر في هذه البنى المتوازية يظهر لنا آلية اشتغال التوازي فيها إذ توازت الجمل الثلاث توازياً تركيبياً تاماً على النحو الآتي:

جم عن الإحصاء عددها//نأى عن الجزاء أمدها//تفاوت عن الإدراك أبدها.

فقد تشكلت الجمل الثلاث كالآتي: فعل ماضي + جار ومجرور + فاعل.

وفضلاً عن التوازي في التركيب، فإنّ هذه الجمل تحمل من المعاني والدلالات المتشابهة والمتقاربة مع بعضها البعض، التي تصب في مجرى واحد وهو وصف نعم الله، وبيان كثرتها وديمومتها على الإنسان.

بعد تعداد نعم الله ووصفها، تدخل الزهراء مدخلا آخر في خطبتها، وهو مدخل عقائدي يتمثل بالأصل الأول من أصول الدين عند المسلمين، وهو التوحيد إذ تعدد صفات الله تعالى وتبيّن قدراته اللامتناهية، ثم تقول:

(ثمّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته)[٣]، فقد توازت الجملتان توازياً تركيبياً تاماً كما يأتي: فعل ماض + مفعول به + جار ومجرور، وبذلك تشتغل آلية هذا

---

(١) جماليات النثر الفني، طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة الموسوعة الصغيرة، بغداد، د.ط، د.ت، ٢٣.

(٢) الاحتجاج، ١/١١٢.

(٣) الاحتجاج، ١/١١٢.

التوازي على مبدأي التشابه والتضاد: التشابه في البنى المركبة، والتضاد في الدلالة، إذ تمظهر التضاد عبر الكلمات الآتية: الثواب تضاد العقاب، الطاعة تضاد المعصية.

ومن ثم فإنّ هذا التوازي سيجذب انتباه المتلقي إلى النص مما يعمق درجة التلقي والفهم لديه.

في سياق آخر تصف الزهراء انتشار الإسلام، وخمود نيران الكفر والضلال، والهدوء الذي عمّ أرجاء الجزيرة العربية، إذ تقول:

(حتّى إذا دارت بنا رحى الإسلام

ودرّ حلبُ الأيام

وخضعت ثغرةُ الشرك

وسكنت فورةُ الإفك

وخمدت نيران الكفر

وهدأت دعوة الهرج

واستوسق نظام الدين)[1].

من الممكن أن نطلق على هذا التوازي تسمية التوازي المتراكم، إذ توازت ست جمل مع بعضها في سياق متتابع ومتصل، ومتناسق تركيبياً، ودلالياً كما يأتي:

درّ حلب الأيام//خضعت ثغرة الشرك//سكنت فورة الإفك//خمدت نيران الكفر//هدأت دعوة الهرج//استوسق نظام الدين.

وعبر آلية اشتغال واحدة تمظهرت عبر الفعل الماضي والفاعل المضاف والمضاف إليه.

فعل ماض + فاعل مضاف + مضاف إليه.

تخاطب الزهراء الأنصار وتعاتبهم عبر بنية من بنى التوازي، إذ تقول:

(توافيكم الدعوة فلا تجيبون

وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون)[2].

استعملت الزهراء في هذا المقطع جملتين متوازيتين توازياً تاماً، وحقق التوازي بينهما إيقاعاً صوتياً تكررياً بوساطة تكرار حروف الكاف والميم والتاء والواو والنون، وبوساطة ترتيب الكلمات المتناسق إذ كانت آلية اشتغال التوازي كالآتي:

توافيكم الدعوة فلا تجيبون//تأتيكم الصرخة فلا تغيثون

فعل مضارع + ضمير متصل + فاعل + لا نافية + فعل مضارع.

---

(١) الاحتجاج، ١/١١٧.

(٢) الاحتجاج، ١/١١٧.

إذ نرى التشابه التركيبي بين الجملتين، ونرى عمل التوازي على مبدأ المشابهة والتقارب في الدلالة بين (توافيكم) و(تأتيكم) و(الدعوة) و(الصرخة) و(لاتجيبون) و(لا تغيثون) وهي بهذا التوازي تصف حال الأنصار، وتبيّن وضعهم.

تتابع الزهراء خطابها، وتستمر في إيراد الجمل المتوازية، فتقول مخاطبة الأنصار:

(فأنّى حرتم بعد البيان

وأسررتم بعد الإعلان

ونكصتم بعد الإقدام

وأشركتم بعد الإيمان)[1].

إنّ المتأمل لهذه الجمل الأربعة المتوازية يجد لتوازي بينها وقد عمل على النحو الآتي:

حرتم بعد البيان//أسررتم بعد الإعلان//نكصتم بعد الإقدام//أشركتم بعد الإيمان، وقد تشكل على النحو الآتي:

فعل ماض + ضمير متصل، ظرف زمان مضاف + مضاف إليه

اشتغل هذا التوازي على مبدأي التشابه والتضاد، فقد ظهر التشابه في البنى المركبة التي تشكلت بوساطتها الجمل الثلاث المتوازية، في حين ظهر التضاد في دلالة بعض الكلمات التي تشكلت منها هذه الجمل وهي:

أسررتم تضاد الإعلان

نكصتم تضاد الإقدام

أشركتم تضاد الإيمان.

لقد قامت الزهراء عبر هذا التوازي بوصف حال الأنصار التي صاروا إليها بعد وفاة الرسول (ص)، وقد تميّز التوازي بترتيبه الدقيق وتقابل كلماته، وتناسقه الصوتي، إذ أسهم تكرار التاء والميم والألف والنون في جعل الإيقاع الصوتي عالياً وتفاعل النون المجهور المنفتح الذي انتهت به ثلاث جمل، مع الميم المجهور المنفتح مع الألف الشديد المجهور المنفتح، الذي سبق كلا من النون والميم في إظهار شدة الموقف، ولإيقاع العالي لهذا التوازي الذي يتناسب مع ذلك الموقف، وذلك الحشد الكبير من الناس، ويتناسب مع البوح والإعلان عن الأحزان والآلام التي أصابت الزهراء، وكذلك يتناسب مع جوّ العتاب الذي عاتبت فيه هؤلاء الأنصار. كما أسهم تكرار لفظة (بعد) أربع مرات، وبوساطة تفاعل الباء المجهور المقلقل الشديد المنفتح، مع العين المجهور المنفتح، مع الدال المقلقل الشديد المجهور المنفتح في إظهار جوّ الشدّة والاضطراب الذي خيّم على هؤلاء الناس بعد عتاب الزهراء لهم.

---

(١) الاحتجاج ١١٧/١.

السجع في خطبة الزهراء

السجع (هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد)[١]، ويعيد السجع إحدى السمات الأسلوبية التي ظهرت بشكل جلي في الخطبة، كما أنه من الوسائل الصوتية المهمة التي وظفتها الزهراء في خطبتها؛ من أجل تحقيق الإيقاع الصوتي المنتظم الذي يتحقق في الكلام (بتقسيم الحدث اللغوي إلى أزمنة منتظمة ذات علامات متكررة وذات وظيفة وملمح جمالي)[٢].

اعتمدت الزهراء على السجع مؤثراً صوتياً مهماً، ومنبهاً أسلوبياً واضحاً فيه الكثير من الإيحاء، وله القدرة على جذب انتباه المتلقي، والتأثير فيه، ولم يكن توظيفها لهذه التقنية الأسلوبية الصوتية متكلّفاً أو مملاً للمتلقي، كما ألفناه عند أدباء فترة العصور المتأخرة، بل كانت واعية في استعمال هذه التقنية الصوتية، فكان السجع يأتي في الخطبة خالياً من التكلّف والتصنّع، وفيه الكثير من السلاسة والتساوق الصوتي، والتناغم الإيقاعي، فضلاً عن دلالته الكثيرة التي تمظهرت عبر جمل الخطبة.

ظهر السجع المتوازي[٣] في الكثير من فقرات الخطبة، ومثال ذلك قولها: (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

كلمة جعل الإخلاص تأويلها

وضمّن القلوب موصولها

وأنار في التفكر معقولها)[٤].

اتفقت السجعات (تأويلها، موصولها، معقولها) في الوزن والقافية، وبذلك حملت إيقاعاً موحداً يمارس تأثيره في المتلقي. ومن السجع قولها، وهي تصف مصيبة وفاة أبيها (ص):

(أتقولون مات محمد (ص)؟ فخطب جليل

استوسع وهنه

واستنهر فتقه

وانفتق رتقه)[٥].

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد محمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢، د.ت، ٢٧١/١.

(٢) علم الأصوات، برتيل مالبرج، ترجمة ودراسة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، د.ط، ١٩٨٥، ١٩٩.

(٣) السجع المتوازي: هو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والقافية. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١٣، ١٣٨٣هـ. ١٩٦٣م، ٤٠٤.

(٤) الاحتجاج، ١١٣/١.

(٥) الاحتجاج، ١١٦/١.

حققت اتفاق السجعات المتوازية (وهنه، فتقه، رتقه) إيقاعاً متساوقاً ومنتظماً يمارس تأثيراً صوتياً في المتلقي، كما أوحى صوت الهاء الذي كان مهيمناً على حروف الخطبة، وعلى نهايات سجعاتها بشدّة الألم الذي كانت تعانيه الزهراء، بحيث شكّل تكرار هذا الحرف في كلمات الخطبة، وفي سجعاتها بالذات، متنفساً لآلامها وأحزانها. ولا يخفى على القارئ أن حرف الهاء، ومن خلال صفاته التي يتصف بها من همس ورخاوة وانفتاح وإصمات، يحمل صفة الإفضاء والتنفيس عن النفس، فإذا ما تألم أحدنا أو تضايق من أمر ما، صاح (آه)، وفي ذلك تقول العرب: (تأوّه، يتأوّه، تأوّهاً الرجل إذا توجّع وقال آه)[1].

ظهر السجع المطرّف[2] في الخطبة، ومثاله قولها وهي تصف الوضع العام بعد وفاة أبيها (ص):

(فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق

وسمل جلباب الدين

ونطق كاظم الغاوين

ونبغ خامل الأقلين

وهدر فنيق المبطلين)[3].

اتفقت السجعات في حرف الروي، واختلفت في الوزن، مما أعطى حرية أكبر للتصرّف بالسجعات دون الالتزام بوزن معيّن، وقد حقق حرف الروي (النون) بجهره وانفتاحه وغنته إيقاعا عاليا يحمل رنيناً مؤثراً في المستمعين، ويعمل على جذب انتباههم.

في معرض بيان الزهراء أمر انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، بعدما كانت الجاهلية والكفر يسيطران على المجتمع العربي في ذلك الوقت، تصف حال الناس بعدما رأوا نور الإسلام الجلي وتوظف السجع المطرّف فتقول:

(وفهتم بكلمة الإخلاص

في نفر من البيض الخماص)[4].

إنّ اتفاق السجعتين (الإخلاص والخماص) حققت إيقاعاً صوتياً عالياً؛ لأنّ السجعتين ختمتا بحرفي الألف والصاد، فالألف يتصف بالجهر والشدّة والانفتاح، والصاد، فالألف يصف بالجهر والشدّة والانفتاح، والصاد يتصف بالصفير والاستعلاء، مما يحقق إيقاعاً مجهوراً شديداً عالياً فيه صفير واضح يعمل على إظهار شدة الموقف وأهمية الحدث.

---

(١) القاموس الجديد، ١٦٥.

(٢) السجع المطرّف: هو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في التقفية. جواهر البلاغة، ٤٠٤.

(٣) الاحتجاج، ١١٥/١.

(٤) الاحتجاج، ١١٥/١.

توظف الزهراء أنساقاً صوتية أخرى تهدف من ورائها إلى بعث وحدة الإيقاع الصوتي للألفاظ في خطبتها، ومن هذه الأنساق نسق (الترصيع)، ويعني مقابلة كل لفظة بلفظة أخرى على وزنها ورويّها [١]، إذ يمتد السجع ليشمل القرينة بكاملها، دون الاقتصار على اللفظة الأخيرة، ومثال ذلك قولها وهي تصف القرآن الكريم:

(وكتاب الله بين أظهركم

أموره ظاهرة

وأحكامه زاهرة

وأعلامه باهرة

وزواجره لائحة

وأوامره واضحة)[٢].

لا يخفى على القارئ قوة تأثير هذه الجمل المرصّعة في المتلقي من الناحيتين الصوتية والدلالية، وقوة إيحائيتها بعظمة القرآن الكريم الذي تستشهد الزهراء بآياته في خطبتها.

إيحائية الحروف الصوتية

من الضروري أن يكون البحث عن الصوت ودلالته منطلقاً من معرفة بالحرف اللغوي وخصوصياته وصفاته، وما يمثله في الحقل المفهومي من دلالات متعددة، وليست تلك الدلالات التي أوردها (اللغويون بعامة والمعجميون بخاصة، سوى علامات بارزة في بيان الارتباط الوثيق الذي يصعب فصله بين الحرف والصوت؛ لأنّهما يمثلان معاً المبدأ والاتجاه إذ لا مبدأ من دون اتجاه، ولا اتجاه من دون مبدأ، إنّهما متلازمان... فلا تستبين دلالة أحدهما إلا بالآخر، ولا يصح لنا الأول ما لم يصحّ لنا الثاني، والعلاقة بينهما علاقة جدلية يعسر الخوض في أحدهما من دون التنبّه إلى حدود الآخر؛ لأنّهما متلابسان، متكاملان يشكّلان معاً دائرة مفهومية واحدة)[٣].

قامت الحروف بعملية الإيحاء الصوتي في خطبة الزهراء، ومارست دوراً مهماً في إظهار مشاعرها وأحاسيسها التي كانت مكبوتة في قلبها، ولاسيما حرف الهاء . كما أسلفنا الحديث . فقد تكرر هذا الحرف في الكثير من كلمات الخطبة وفي الكثير من سجعاتها، ولاسيّما السجعات التي ظهرت في الجزء الأول منها فلم تكتف بالهاء في هذه السجعات بل أتبعته بالألف التي تساعد على إطلاق الصوت وجهره وشدّته، ولما كان حرف الهاء وعبر

---

(١) ينظر: جوهر الكنز، نجم الدين بن الأثير، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ٣٥٤.

(٢) الاحتجاج ١/١١٥.

(٣) الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، د. محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ١٣.

صفاته التي يتصف بها من همس ورخاوة وانفتاح واصمات، وما يحمله من قابلية الافضاء والتنفيس عن النفس قد اجتمع مع الألف الذي يمكن بوساطته مدّ الصوت وإطلاقه فإننا نرى أن الزهراء جمعت هذين الحرفين وصوتيهما، وما ينمازان به من صفات عن قصدية واعية للموقف الذي كانت هي عليه، وكان المستمعون لخطبتها عليه، فقد أرادت عبر هذين الصوتين والبوح بهما التنفيس عمّا في قلبها المضطرم غيضاً وحزناً، والإيحاء بتوجعها وألمها لما أصابها، وبذلك يتناسب الصوتان مع شدّة الموقف. ومثال ذلك قولها في بداية الخطبة:

(والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء أسداها وتمام منن والاها جمّ عن الإحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدها وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها...)[١]. وقد أحصينا الكلمات التي انتهت بصوتي الهاء والألف (ها)، فوجدناها أربعين كلمة، ولعلّ هذا العدد الكبير من الكلمات يعضد الرأي الذي رأيناه فيما تقدم من الكلام. ومن هذه الكلمات، على سبيل المثال لا الحصر (أجزالها، أمثالها، تأويلها، موصولها، معقولها، أنشأها، امتثلها، تكوينها، تصويرها، أديانها، عرفانها، ظلمها، لهواتها، نفرتها، قيادها، وقدتها، جمرتها).

لم تكتف الزهراء باعتمادها على صوت الهاء بالطريقة آنفة الذكر، بل وظّفت طريقة ثانية لاستعمال هذا الصوت لتنفس عن أحزانها بطريقة أخرى، وقد تمظهرت هذه الطريقة عبر الكثير من الكلمات التي انتهت بحرف الهاء لوحده، من دون أن تُتبعه بحرف آخر، وبذلك تنتهي هذه الكلمات بصوت الهاء فقط، دون غيره. ومثال ذلك قولها في سياق بيان قدرة الله تعالى وحكمته: (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، تعبداً لبريته، وإعزازاً لدعوته...)[٢]. وقد أحصينا الكلمات التي انتهت بصوت الهاء فوجدناها سبعين كلمة. ومن هذه الكلمات (طاعته، معصيته، عباده، نقمته، اختاره، انتجبه، اصطفاه، حكمه، صفيه، نهيه، وحيه، ظواهره، تعزوه، تعرفوه، تجدوه، أموره، أحكامه، غيبته، مصيبته)

ثمة حروف أخرى أسهمت في إظهار القيم الصوتية، ومثال ذلك قول الزهراء: (ونصبر منكم على مثل حزّ المُدى، ووخز السنان في الحشا)[٣]. فقد حكى صوت الحاء الاحتكاكي، والزاي بصفيره، وبوساطة شدّة الضغط عليه عن طريق الشدّة، صوت حز السكين، وشدّة الألم جرّاء ما تفعله من تقطيع أوصال الإنسان. وحكى صوت الخاء المستعلي المنفتح، والزاي بصفيره وانفتاحه، والسين بحدّته وصفيره وانفتاحه والنون بغنّته

---

(١) الاحتجاج، ١/١١٢.

(٢) الاحتجاج، ١/١١٣.

(٣) الاحتجاج، ١/١١٥.

وجهره وانفتاحه، والألف بشدّته وانفتاحه، صوت وشدّة وانفتاح الجروح: بسبب الطعن برؤوس الرماح، وكأنّ الزهراء جسّدت هذا الموقف صوتياً، وجسّدت شدّة ألمها وأحزانها بوساطة الإيحاء الصوتي لهذه الحروف، وبوساطة التشبيه بأداة التشبيه (مثل).

يظهر لنا مما تقدم أنّ الإيحاء الصوتي كان ذا أثر مهم ومتميّز في خطبة الزهراء، فقد أسهم في بيان الكثير من المواقف التي انطوت عليها الخطبة، ولاسيما مواقف إظهار الأحزان والآلام التي ابتليت بها الزهراء بعد وفاة أبيها (ص). وقد وظفت الصوت عبر أكثر من مستوى، فتارة نراها توظف الصوت مجرداً بوساطة الأنّة التي صدرت منها قبل بداية الخطبة، وتارة توظف الحروف وإيحاءها الصوتي، وتارة ثالثة توظف بعضاً من التقنيات الصوتية كالتوازي والسجع، وهي في كل ذلك تعي أهمية الإيحاء الصوتي وأثره الكبير في التعبير عمّا تريد التعبير عنه من مشاعر وأحاسيس، وفي التأثير في المتلقي وجذب انتباهه، وبالتالي إفهامه فحوى الرسالة التي تريد إيصالها إليه.

تشكّلات الصورة في خطبة الزهراء

ينقلنا المستوى الدلالي إلى المعنى الثاني للألفاظ، الذي يفهم مما وراء المعنى الأصلي للفظ [١]، ويهتم هذا المستوى في مجال الدراسات الأسلوبية، بدراسة التغيّرات الدلالية، (ومن التغيّرات الدلالية، الصورة المجازية، وإذا كانت الدلالة تبحث في علم المعاني، فإنّ البلاغة مجالها علم المعاني، ومن خلال أقسام البلاغة الرئيسة تتضح لنا العلاقة الوطيدة بين علم المعنى، وعلم المعاني، وكل قسم من الأقسام البلاغية يمكن أن يدرس دراسة دلالية مستقلة، فإذا تأملنا علم البيان: التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية، وجدناه مجالا خصباً لدراسة المعنى)[٢].

تمثل الصورة في الإبداع الأدبي رؤية المبدع وفلسفته في النظر إلى الأشياء والعالم المحيط به، وهي في (أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات)[٣]. كما أنها ليست شيئاً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه، أو - على الأقل إهماله - بل هي وسيلة مهمة لإدراك نوع من الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه وإيصاله إلى المتلقي، وتغدو الفائدة والمتعة التي تمنحها الصورة للمتلقي ذات أهمية كبيرة هدفها التعرّف على جوانب خفيّة من التجربة الانسانية، ويصبح نجاح الصورة أو فشلها في النص الإبداعي مرتبطاً بتعاضدها وتآزرها مع غيرها من العناصر المكوّنة للنص[٤].

---

(١) ينظر: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب، بيروت، د.ط، ١٩٧٣، ١٤٦.

(٢) علم الدلالة دراسة وتطبيقاً، د. نور الهدى لوشن، منشورات جمعة قاريونس، بنغازي، د.ط، ١٩٩٥، ٦٣.

(٣) الصورة الشعرية، سي - دي لويس، ترجمة د. أحمد نصيف الجنابي وآخرون، دار الرشيد للنشر، د.ط، ١٩٨٢، ٢١.

(٤) ينظر: التجنيس وبلاغة الصورة، تقديم وتحرير فخري صالح، بحث: تشكيل الصورة في (كزهر اللوز أو أبعد) لمحمود درويش، د. عالية صالح، دار وَرْد الإردنية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٨، ١١، وينظر: الصورة الفنية، د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٣، ٢٨٣.

إذا وجهنا أنظارنا إلى خطبة الزهراء؛ لنستكنه تجليات الصوة فيها، فإننا سنرى أنوعاً من الصور التي تنبض بالحركة والحيوية، وسنرى الخطبة تتسم بالدقة المتناهية في رسم أبعاد الصورة المجازية، التي ما انفكت تستجلي وتستعير أنواعاً كثيرة من المشاهد التي ألِفها الإنسان العربي في بيئته الصحراوية. فنرى صور الإبل وصفاتها، وصور النباتات الصحراوية، وألواناً من عادات العرب التي جبلوا عليها وتعوّدوها في حياتهم الصحراوية، وصفاتهم التي امتازوا بها؛ بسبب معيشتهم في تلك البيئة.

من جانب آخر فإننا سنرى اعتماد الزهراء على الاستعارة والكناية في تصوير الصور في أثناء الخطبة، أكثر من اعتمادها على التشبيه والمجاز، وقد كان هذا الأمر يجري بقصدية تامة منها، فيها جانب كبير من التقنية الفنية، فهي تحاول، عبر توظيف هاتين التقنيتين التصويريتين، سبر أغوار حياة الإنسان العربي، وبيان نواحي حياته التي كان يعيشها في صحراء الجزيرة العربية، فضلاً عن قوة تأثيرهما في المتلقي، ودقة تصويرهما، ولاسيما إذا ما أدركنا أن غرض الخطبة هو المطالبة بالحقوق أولاً، والتأثير في حشد الناس الحاضرين ثانياً، والتأثير في المتلقين لنص الخطبة على مرّ السنين ثالثاً، كما أنها أرادت تصوير حالها التي آلت إليها بعد وفاة أبيها (ص)، وإظهار أحزانها وآلامها؛ بسبب الوضع الذي وضعت فيه، والأحداث التي تعرّضت لها رابعاً.

إنّ الصور الاستعارية والكنائية أشد تأثيراً في المتلقي من الصور التشبيهية؛ لأنّ الاستعارة والكناية تحتاج من المتلقي إعمال ذهنه وحواسه؛ لكي يتمكن من استجلاء أبعاد الصور التي يتم تصويرها من منتج النص، أكثر مما يحتاجه التشبيه؛ لذلك كان التشبيه نادر الظهور في نص الخطبة، على حين كان ظهور الاستعارة والكناية والمجاز أكثر من ظهور التشبيه. وقد تجلت هذه التشكلات البلاغية حسب كثرتها في الخطبة كما يأتي:

١ ـ الاستعارة.

٢ ـ الكناية.

٣ ـ المجاز.

الاستعارة

كان أول من عرّف الاستعارة الرماني في كتاب (النكت في إعجاز القرآن) إذ قال: (الاستعارة: تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة، والفرق بين الاستعارة والتشبيه أن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال، وليس كذلك الاستعارة؛ لأنّ مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له في أصل اللغة، وكل استعارة فلا بدّ لها من أشياء: مستعار، ومستعار له، ومستعار

منه)[١]. أمّا ابن الأثير فقد قال فيها: (حدّ الاستعارة: نقل المعنى من لفظ إلى لفظ، لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه؛ لأنّه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة، وكان حداً لها دون التشبيه)[٢].

ظهرت الاستعارة في خطبة الزهراء بشكل جلي ومشخص ومتميز، وبقصدية واعية كانت تهدف من ورائها التأثير في حشد الناس الذين حضروا للاستماع إلى خطبتها.

من البنيات الأسلوبية الاستعارية المهيمنة في خطبة الزهراء بنية الاستعارة المكنية [٣] الأصلية [٤]، إذ اعتمدت الزهراء على هذا النوع من الاستعارة، ووظّفته في خطبتها بشكل مدرك فنيا، وغايتها من ذلك تصوير الصور المؤثر في المتلقي، وإدهاشه وإعمال ذهنه وكسب انتباهه، وبالنتيجة تحقيق أعلى درجات الإفهامية والفهم عنده، فالاستعارة المكنية يتم فيها حذف المشبّه به، والرمز له بلازمة من لوازمه، وعن طريق هذه اللازمة يُعمل المتلقي ذهنه؛ ليكشف المشبه به المحذوف في الجملة، وهذا بدوره يؤدي إلى قوّة تلقيه لنص الخطبة ودقة فهمه لمحتواها، فضلاً عن دقة التصوير الذي تقوم به هذه الاستعارة. ومثال ذلك قولها: (وخرست شقاشق الشياطين)[٥]، فقد جرت الاستعارة في كلمة (شقاشق)، وهي جمع (شقشقة)، وهي (شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج وشقشق الفحلُ هدر)[٦]، فهي لم تذكر المشبه به (البعير). وإنما ذكرت لازمة من لوازمه وهي الشقشقة ونسبتها إلى الشياطين، وهي صورة تصوّر قبح منظر الكفار والمنافقين بعد انتصار الدين الإسلامي وانتشاره في أرجاء الجزيرة العربية، فقد خرسوا وسكتوا بعد ما كانوا متسمين بالهياج والنفور والقوة.

من الاستعارات المكنية الأصلية قول الزهراء (ع): (وانحلّت عُقد الكفر والشقاق)[٧]. فهي تصور اضمحلال الكفر والكافرين بعد ظهور الإسلام، وتشبه الكفر بالحبل وتحذف المشبّه به (الحبل) وتبقي لازمة من لوازمه وهي العقد فهي تصور لنا هذه الحالة بدقة، فقد

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، النكت في إعجاز القرآن، ٧٩.

(٢) المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر، ٨٣/٢.

(٣) الاستعارة المكنية: (هي ما حذف فيها المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه). علم أساليب البيان، د. غازي يموت، دار الأصالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢٥٠.

(٤) الاستعارة الأصلية: (هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسم جنس غير مشتق). علم أساليب البيان، ٢٥٦.

(٥) الاحتجاج، ١١٤/١.

(٦) مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، د.ط، ١٩٨٢، ٢٣٥.

(٧) الاحتجاج، ١١٤/١ - ١١٥.

كان الكفر مسيطراً على الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، وكان زواله يحتاج الكثير من الجهد والعمل والمثابرة والجهاد من النبي والمسلمين، فحالتهم هذه تشبه حال من حلّ العقد الكثيرة وعانى ما عاناه في هذا الأمر.

ثمة استعارات مكنية أصلية صوّرت حال المنافقين، وحال الدين بعد وفاة رسول الله (ص)، إذ تقول الزهراء (ع): (ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمُل جلباب الدين... وهدر فنيق المبطلين)[١]، فقد أرادت أن تبيّن مقدار الأذى الذي سببه نفاق المنافقين، ومقدار الآلام التي كابدتها بوساطة الاستعارة، فهي تصوّر النفاق وكأنّه نبات حسك السعدان ذو الأشواك، وتستعير الحسكة وهي الشوكة وتجعلها للنفاق، فكأنّ نفاق المنافقين أشواك تسبب الأذى والألم للسيدة الزهراء على وجه خاص، وللمؤمنين على العموم.

تصف الزهراء بعد ذلك حال الدين، إذ تشبه الدين بالرجل، ثم تحذف المشبه به (الرجل) وتبقي لازمة من لوازمه وهو الجلباب، فقد أصبح حال الدين بعد وفاة الرسول (ص) كحال رجل سمُل ثوبه، وأخلق، فهو رثّ الثياب، وهذا منظر يبعث على الشفقة على رجل هذه حاله، صوّرته الزهراء عن طريق هذه الاستعارة تصويراً رائعاً، فلو قالت مثلاً: ضعُف حال الدين لما كان لهذه الكلمات وقعُ وتأثير في المتلقي، على حين كانت الاستعارة (سمل جلباب الدين) ذات تأثير فيه؛ لأنّها صورت الموقف بدقة متناهية، وفنيّة عالية.

في الاستعارة الثالثة تصور الزهراء حال المبطلين الذين آلو إليه وتشبههم بالبعير الذي علا صوته، بعدما كان صامتاً ثم تحذف المشبّه به (البعير)، وتبقي لازمتين من لوازمه هما الهدر والفنيق. أمّا الهدر فهو مأخوذ من (هدر البعير يهدر هدْراً وهديراً، صوّت في غير شقشقة)[٢]. وأمّا الفنيق فهو الفحل من الإبل (المكرّم عند أهله المُقرّم لا يؤذى ولا يُركب)[٣]، فهؤلاء المبطلون الذين كانوا صامتين فيما مضى أصبح لهم اليوم صوت يعلو بعد وفاة الرسول (ص)، وأصبحت لهم الجرأة في إعلاء صوتهم بعدما كانوا صامتن، وهي صورة في غاية الروعة، صوّرتها هذه الاستعارة تصويراً موحياً بعظم المأساة التي تعرضت لها الزهراء.

من الاستعارات المكنية الأصلية قول الزهراء:

(ثم لم تلبثوا إلا ريثَ أن تسكنَ نفرتها ويسلسَ قيادُها ثمّ أخذتم تورون وقدَتها وتهيّجون جَمرتَها)[٤]. ففي الاستعارتين المتتابعتين (تسكن نفرتها ويسلس قيادها) تشبّه الزهراء الفتنة بالناقة أو أيّ نوع من أنواع الدواب الشاردة التي يصعب ترويضها والركوب

---

(١) الاحتجاج، ١/١١٥.

(٢) مختار القاموس، ٦٣٠.

(٣) أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م ٤٨٣.

(٤) الاحتجاج، ١/١١٥.

عليها وقيادها، ثمّ تحذف المشبّه به وتبقي لازمتيه وهما (نفرتها) و(قيادها)، فهي تشبّه حال الناقة الشاردة هذه، ومن ثم سكون نفرتها، وسلاسة قيادها بحال الذين استولوا على مقاليد الأمور، فبعد أن كان هذا الأمر صعباً عليهم، بل في غاية الصعوبة، فإذا بهم على حين غرّة قد استوت لهم الأمور.

لم تكتف الزهراء بهاتين الصورتين المتساوقتين، بل تتبعهما بصورتين أخريين، تصوّر من خلالهما أعمال هؤلاء الناس، إذ تقول: (ثمّ أخذتم تورون وقدتها وتهيّجون جمرتها). إذ شبّهت الفتنة التي حصلت بعد وفاة الرسول (ص) بالنار، واستعملت لازمتين من لوازمها هما (وقدتها) و(جمرتها)، فقد شبّهت حال إثارتهم للفتنة، عن طريق هاتين الاستعارتين بالذي يشعل النار ويوقدها، وبالذي ينفخ في الجمر حتى يلتهب، أو يحركه حتى تشتعل ناره الكامنة فيه، لتحرق الأخضر واليابس.

ظهرت الاستعارة المكنية التبعية [1] في كلمات الخطبة، ومن هذه الاستعارات قول الزهراء: (أتقولون مات محمد (ص)؟ فخطب جليل استوسع وهنُه واستنهر فتقه وانفتق رتقه)[2]. فقد جرت الاستعارة في الأفعال (استوسع) و(استنهر) و(انفتق)، إذ شبّهت الخطب بانسان ضعيف جريح، ظهر ضعفه وبان عليه، وجرى الدم الكثير من جرحه بعد توسع شقّه في بدنه، وبعد أن انشقت الجروح الملتئمة في جسمه. إنّها تصور فضاعة حدث وفاة أبيها، وشدّة وطأة هذا الحدث عليها وعلى المسلمين بوساطة هذه الاستعارة لتبيّن شدّة الآلام التي كابدتها بسبب هذا الحادث الأليم والخطب الجليل، إنّ تأثير هذا الحادث فيها كتأثير الضعف والجروح وجريان الدماء، وانشقاق الملتئم من الجروح في الإنسان. وبهذا تقوم الاستعارة بتصوير هذه الحالة تصويراً موحياً بعظم مأساة وفاة رسول الانسانية محمد (ص).

على الرغم من استعمال الزهراء الاستعارة المكنية بشكل كبير في الخطبة، إلا أنّ هذا لم يمنعها من استعمال الاستعارة التصريحية [3]، التي كان ظهورها قليلاً في الخطبة، إذا ما قارناه بظهور الاستعارة المكنية. ومن الاستعارات التصريحية الأصلية قولها:

(حتى تفرّى الليل عن صبحه وأسفر الحقُّ عن محضه)[4]، فهي تستعير لفظ الليل للضلال والكفر وعدم الهداية؛ لتشابههما في عدم الاهتداء، وتستعير لفظ الصبح للإيمان والهداية؛ لتشابههما في هداية الإنسان. إنّ ظلمات الكفر وليله الطويل انجلت بانشقاق نور

---

(١) الاستعارة التبعية: (هي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً). علم أساليب البيان، ٢٥٨.

(٢) الاحتجاج، ١/١١٦.

(٣) الاستعارة التصريحية: (هي ما صرّح فيها بلفظ المشبه به دون المشبّه). علم أساليب البيان، ٢٤٩.

(٤) الاحتجاج، ١/١١٤.

الإيمان وصبحه المضيء، ببعثه النبي الخاتم (ص) وهذا ما أرادت الزهراء تصويره وبيانه، وهذه صورة من أروع صور الخطبة، إذ جعلت المتلقي يتحسس ظلمة الكفر وعدم الاهتداء عن طريق استشعاره لظلام الليل الدامس، وجعلته يرى انشقاق نور الإيمان وهدايته له إلى الصراط المستقيم عن طريق استئناسه بالنور الذي يضيء دنياه ومن ثم آخرته.

يظهر لنا مما تقدم أن الزهراء وظّفت الاستعارة توظيفاً واعياً ومؤثراً، فقد قامت الاستعارة بدور محموري في رسم الصورة وتكثيفها، وتنوع دلالات الكلمات، وإخراجها من دلالاتها الحقيقية التي وضعت من أجلها إلى دلالات مجازية غايتها الاتساع في الكلام، والتفنن فيه؛ من أجل إفهام المتلقي، وتحقيق أعلى درجات الفهم عنده، وبالتالي التأثير فيه.

الكناية

عرّف عبد القاهر الجرجاني الكناية بقوله: (والمراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه)[١].

وعرّف ابن الأثير الكناية، وحدّها تحديداً دقيقاً بقوله: (فحدّ الكناية الجامع لها هو أنّها كلّ لفظةٍ دلّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز. والدليل على ذلك أنّ الكناية في أصل الوضع أن تتكلّم بشيء وتريد غيره)[٢].

وظّفت الزهراء الكناية في خطبتها، وقد ظهرت الكناية عن صفة بشكل كبير، فيما ندر وجود الكناية عن موصوف، وانعدم وجود الكناية عن نسبة، ولعلّ سبب ذلك هو أنّها كانت تركز على إظهار صفات الناس الذين كانت توجه خطابها إليهم، فهي في معرض إظهار صفاتهم غير الجيدة، من أجل تنبيههم عليها، ومحاولة حثّهم على التخلي عنها، والتحلي بالصفات الجيدة.

من البنيات الأسلوبية الكنائية التي كنّت فيها الزهراء عن صفة قولها: (وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرةٍ من النار مُذقة الشارب ونُهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام)[٣].

احتوى هذا النص على عدد من الكنايات، إذ كنّت بـ(البيض الخماص) عن المؤمنين ذوي الوجوه البيضاء المنوّرة بنور الإيمان، وذوي البطون الخميصة الضامرة بسبب الجوع أو الصوم أو الزهد.

---

(١) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، مصر، ط١، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ١٠٥.

(٢) المثل السائر، ٥٢/٣.

(٣) الاحتجاج ١١٥/١.

تستعمل الزهراء بعد ذلك عدداً من الكنايات المتساوقة بعضها إثر الآخر: لتصف حال الناس قبل مجيء الإسلام، ولتُبيّن حالهم التي كانوا عليها، ولتوجه أنظارهم إلى المقارنة بين حالهم تلك، وحالهم بعد ظهور الإسلام وانتصاره، فقد كنّت بـ(مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام) عن ضعفهم وذلهم، فهم في ضعفهم واستكنانتهم مثل الشربة البسيطة السهلة للشارب والفرصة المتاحة للطامع، والشعلة أو الجذوة من النار التي يأخذها الرجل المتعجّل المسرع، وموطئ الأقدام.

تستمر الزهراء في استخدامها الكناية عن صفة لتصف من آذاها ولتظهر حالها الذي آلت إليه بعد وفاة أبيها، والآلام التي تجرعتها بسبب هذا المصاب الجلل إذ تقول:

(فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم. هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لمّا يندمل والرسول لمّا يقبر)[1] فهي تكني بقولها: (فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم) عن أخذ الحق منها، فحال من أخذ حقها كحال من وسم وعلّم بالكي إبلاً ليست له ثُمّ ادّعى ملكيتها، وحال من شرب ماءً لم يخصص له بل خصّص لغيره، فتجاوز على نصيب غيره من الماء وشربه وواضح أنّ الزهراء تستخدم في تصويرها صوراً مألوفة للانسان العربي في شبه الجزيرة العربية؛ لتقرب المعنى، ولتعمّق الإفهامية في النص، والفهم عند المتلقي، فقد كانت من عادات الرعاة أن يسموا إبلهم عن طريق الكي؛ ليميزوها عن إبل غيرهم، كما كانوا يتقاسمون أوقات وأماكن ورودهم الإبل إلى الماء؛ لكي لا يزاحم بعضهم البعض الآخر عند ورودهم إلى الماء.

تكني الزهراء بعد ذلك بقولها (والكلم رحيب والجرح لمّا يندمل) عن المحنة الرهيبة التي تعرّضت لها، والآلام التي كابدتها، والأحزان التي تجرعتها، بسبب وفاة أبيها (ص)، فقد أصبح جرحها واسعاً ومؤلماً، ولم يكد يندمل ويبرأ حتى حصل الذي حصل، فكان ذلك سبباً لسقوط الناس في الفتنة إذ تقول: (ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وإنّ جهنّم لمحيطةٌ بالكافرين)[2].

تصور الزهراء خداع القوم عن طريق كناية رائعة إذ تقول (تشربون حسواً في ارتغاء)[3]، وهي تشير في هذه الكناية إلى أمر معروف عند العربي وهو إنّ اللبن حينما يُجلب تعلوه رغوة، فيأتي الرجل فيظهر أنّه يريد شرب الرغوة فقط، ولكنّه لا يكتفي بالرغوة، بل يشرب اللبن سراً من تحت الرغوة، وبهذا يضرب المثل لمن يدّعي شيئاً ويريد غيره، فهو يشرب

(١) الاحتجاج ١/ ١١٥.
(٢) الاحتجاج ١/ ١١٥.
(٣) الاحتجاج ١/ ١١٥.

اللبن سراً، ولكنه يدعي أنّه يحسو الرغوة فقط، فيقال: فلان يسرّ حسواً في ارتغاء فهم يدعون شيئاً، ولكنّهم يريدون شيئاً آخر[١].

في موضع آخر من الخطبة تستخدم الزهراء كنايات عدّة؛ لتصف حال الناس التي آلو إليها بعد وفاة النبي المصطفى (ص) إذ تقول:

(ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوّغتم)[٢]، فهي تكنّي بقولها: (أخلدتم إلى الخفض) عن صفة إقامتهم على الراحة وسعة العيش، وتكني بقولها: (فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم) عن الارتداد عن الحق والدين ورفض الالتزام بهما، فهم بهذه الصفة يشبهون الذين رموا من أفواههم ما كان فيها من شراب، إذ تقول العرب: (مجّ الشراب من فيه: رماه)[٣]، وهم يشبهون الذين تقيّأوا الشراب الذي شربوه بسلاسة ولذّة وسهولة، إذ تقول العرب: (ساغ الشراب سوْغاً وسواغاً: سهل مدخله)[٤]

قلنا فيما سبق إنّ الكناية عن موصوف ندر وجودها في الخطبة فقد كانت قليلة الظهور، ومن الكنايات عن موصوف قول الزهراء: (وطاح وشيظ النفاق)[٥]، فقد كنّت بـ(وشيظ النفاق) عن المنافقين، فبظهور الإسلام وانتصاره سقط المنافقون وأتباعهم، وفشلت مساعيهم ودسائسهم، وظهر نور الإسلام وعلت كلمة الحق.

وهكذا نرى كيفية توظيف الزهراء الكناية، إذ عملت هذه التقنية التصويرية على التعبير عمّا تريد التعبير عنه بطريق غير مباشر، وهي بذلك تعمل على إشراك المتلقي في استكناه معاني النص، فالكناية تجعل ذهن المتلقي وخياله ينصرفان إلى محاولة فهم المعنى، ومعنى المعنى بتعبير الجرجاني، أو المعنى الحقيقي والمعنى المجازي على حدّ تعبير ابن الأثير، ومن ثم التأمل في المعاني الثانوية، وبذلك يكون المتلقي مفعلاً لدينامية النص بوساطة تلقيه له، وتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً يفضي به إلى استظهار معانيه، واستجلاء مكنوناته التي لا يمكن استجلاؤها إلا بأعمال العقل.

المجـــاز

عرّف عبد القاهر الجرجاني المجاز بقوله: (وأمّا المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة

---

(١) ينظر: فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد ٣٠١.

(٢) الاحتجاج ١١٧/١.

(٣) مختار القاموس، ٥٦٦.

(٤) مختار القاموس، ٣١٦.

(٥) الاحتجاج ١١٤/١.

جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف منها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز)[١].

أمّا بدر الدين الزركشي فقد رأى أنّ هناك نوعين من المجاز (أحدهما الشبه، ويسمى المجاز اللغوي، وهو الذي يتكلم فيه الأصولي، والثاني الملابسة وهذا هو الذي يتكلم فيه أهل اللسان، ويسمّى المجاز العقلي، وهو أن تستند الكلمة إلى غير ما هي له أصالة بضرب من التأويل كسبّ زيد أباه، إذا كان سبباً فيه والأول مجاز في المفرد، وهذا مجاز في المركب)[٢].

ظهر المجاز العقلي في خطبة الزهراء. ومن بنيات لمجاز العقلي الأسلوبية التي كانت علاقتها السببية قولها واصفة نعم الله تعالى: (ونأى عن الجزاء أمدها وتفاوت عن الإدراك أبدها)[٣]، فقد أسندت فعل النأي إلى أمد النعم أي دوامها، وهي تريد بهذا المجاز وصف نعم الله الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى على عباده.

حينما خاطبت السيدة الزهراء الأنصار، ذكرت في كلامها مصيبة وفاة أبيها (ص)، وإخبار القرآن الكريم بموته (ص) إذ تقول:

(فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه، في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافا وصراخا، وتلاوة وألحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم] (آل عمران ١٤٤)[٤]. فقد أسندت فعل الإعلان إلى كتاب الله وهو ليس فعله، وإنما هو سبب فيه والتعبير بهذا المجاز أوجز وأبلغ وأفخم، وفيه تعظيم للقرآن الكريم.

قالت الزهراء مخاطبة الأنصار ومعاتبة إيّاهم: (توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح)[٥]، فقد استعملت المجاز العقلي في جملتين متتابعتين في قولها: (توافيكم الدعوة) و(تأتيكم الصرخة)، وكانت علاقة هذا المجاز العقلي السببيّة، وهي فيما بنى للفاعل وأسند إلى

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، د.ت، ٣٠٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ٢٥٦/٢.

(٣) الاحتجاج ١١٣/١.

(٤) الاحتجاج ١١٦/١ - ١١٧.

(٥) الاحتجاج ١١٧/١.

السبب، فقد أسندت الفعل (توافيكم) إلى (الدعوة)، وأسندت الفعل (تأتيكم) إلى (الصرخة) مجازاً؛ لأنّ الدعوة لا توافي، والصرخة لا تأتي، وإنّما يؤتى بهما، والتعبير بهذا المجاز أبلغ وأفخم، وأدق تصويراً للحدث، وأعمق بياناً للمعنى الذي أرادت التعبير عنه. وهكذا نرى الزهراء قد ركزت على المجاز العقلي في خطبتها، ووظفته للتعبير عمّا يجول في فكرها، إلا أنّ بناه الأسلوبية كانت أقل من بنى الاستعارة والكناية فقد كانت هاتان التقنيتان الأسلوبيتان أكثر حضوراً وأدق تصويراً للمشاهد؛ لأنّهما أكثر تأثيراً في المتلقي.

خاتمة ونتائج

بعد أن أتممنا كتابة هذا البحث، وبعد هذا التدبّر المتأني، والتأمّل الدقيق للخصائص الأسلوبية لخطبة الزهراء، كان لا بدّ لنا من استخلاص أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

على المستوى الصوتي، وظّفت الزهراء الصوت مؤثراً مهماً في المتلقي وموحياً بعمق الأحزان والآلام التي كابدتها بعد وفاة أبيها (ص)، وبعمق مأساتها، وقد تنوعت روافد الإيحاء الصوتي في الخطبة، فتارة نراها توظف الإيحاء الصوتي المجرّد عن الكلام بوساطة الأنّة التي أنّتها قبل بدايتها بالخطبة، وقد كان هذا النوع من الإيحاء الصوتي مؤثراً في المتلقين تأثيرٌ لافتاً للنظر، فقد أجهشوا بالبكاء عالياً، وضجّ المجلس وارتجّ، مما جعلها تمهلهم برهة من الزمن حتى يسكن نشيجهم، وتهدأ فورتهم. بعدها افتتحت خطبتها.

استعملت الزهراء بعد ذلك عددا من التقنيات الصوتية، وكانت أكثر هذه التقنيات تأثيراً في الخطبة، التوازي والسجع، فقد حقق التوازي تجانساً صوتياً، وإيقاعاً تكرارياً، وترتيباً منتظماً في كلمات الخطبة، كما حقق السجع إيقاعا موحداً، وكان يأتي في الخطبة خالياً من التكلّف، متسماً بالسلاسة والتتابع الصوتي والتناغم الإيقاعي، فكان مؤثراً صوتياً، ومنبهاً أسلوبياً فيه كثير من الإيحاء، وله القدرة على التأثير في المتلقي وجذب انتباهه. وقد وظّفت الزهراء أنواعاً من السجع، منها السجع المتوازي، والسجع المطرّف، فضلاً عن استخدامها لنسق الترصيع الذي كان فيه الكثير من التناسق الإيقاعي المؤثر.

فضلاً عمّا تقدم فإنّ قسماً من حروف الخطبة قامت بعملية الإيحاء الصوتي المؤثر، ولاسيما حرف الهاء وحرف الألف، فقد اتسم حرف الهاء بقابليته على الإفضاء والتنفيس عمّا في النفس، واتسم حرف الألف بقابليته على مدّ الصوت وإطلاقه، مما شكّل متنفساً للزهراء للبوح عمّا في نفسها وقلبها من أحزان ومصائب.

على المستوى الدلالي، استعملت الزهراء عدداً من التقنيات التصويرية، لتصوير أنواع مختلفة من الصور في خطبتها فقد وظّفت الاستعارة والكناية والمجاز في تصوير الصور المتنوعة التي اتسمت بالدقة والعمق والشمولية، فهي تحاول عبر هذه التقنيات التصويرية بيان المظاهر العامة لحياة الإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية، وتصوير النباتات الصحراوية وصفاتها، كما نرى صوراً للإبل، وصوراً للإنسان العربي وعاداته التي تعوّدها في حياته الصحراوية.

كانت الاستعارة أكثر ظهوراً من الكناية والمجاز، وكانت الاستعارة المكنية أكثر وروداً من الاستعارة التصريحية، وكان للاستعارة دورها المؤثر في رسم الصورة، وتنويع دلالات الكلمات وإخراجها من دلالاتها الحقيقية إلى دلالات مجازية. أمّا الكناية فقد ظهرت بشكل أقل من الاستعارة، وقد ظهرت الكناية عن صفة بشكل كبير، فيما ندر وجود الكناية عن موصوف، وقد أفادت الزهراء من الكناية في التعبير عمّا تريد التعبير عنه بطريق غير مباشر، يعمل على التأثير في المتلقي عبر إشراكه في تدبّر معاني الخطبة، والتأمّل في المعاني الثانوية للكلمات. أمّا المجاز فقد كان قليل الظهور في الخطبة. ولا يرقى عدد النصوص التي ورد فيها إلى النصوص التي وردت فيها الاستعارة والكناية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١ - الاحتجاج، الشيخ أبو منصور الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢ - أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

٣ - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، د.ت.

٤ - الأسلوبية، بيرجيرو، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط٢، ٢٠٠٨.

٥ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٦ - بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق: بركات يوسف هبّود، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥.

٧ - التجنيس وبلاغة الصورة، تقديم وتحرير فخري صالح، دار وَرْد الأردنية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٨.

٨ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

٩ - جماليات النثر الفني، طرّاد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة الموسوعة الصغيرة، بغداد، د.ط، د.ت.

١٠ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١٢، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

١١ - جوهر الكنز، نجم الدين بن الأثير، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

١٢ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، مصر، ط١، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٣ - الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، د. محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

١٤ - الصورة الشعرية، سي. دي لويس، ترجمة د. أحمد نصيف الجنابي وآخرون، دار الرشيد للنشر، د. ط، ١٩٨٢.

١٥ - الصورة الفنية، د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٣.

١٦ - عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب، بيروت، د.ط، ١٩٧٣

١٧ - علم أساليب البيان، د. غازي يموت، دار الأصالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨ - علم الأصوات، برتيل مالبرج، ترجمة ودراسة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، د.ط، ١٩٨٥.

١٩ - علم الدلالة دراسة وتطبيقاً، د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، د.ط، ١٩٩٥.

٢٠ - فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢١ - القاموس الجديد، علي بن هادية، وبلحسن البليش والجيلاني بن الحاج يحيى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط، ١٩٨٨.

٢٢ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد محمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢، د.ت.

٢٣ - مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، د.ط، ١٩٨٣.

٢٤ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨.

٢٥ - النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٠.

٢٦ - نظرية الأدب، أوستن وارين ورينيه ويليك، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، د. ط، د. ت.

٢٧ - نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، د. ط، ١٩٨٧.

٢٨ - نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين، د.ط، د.ت.

البحوث

١ - التوازي ولغة الشعر، محمد كنوني، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، ع١٨، ١٩٩٩م.

٢ - مدخل إلى قراءة النص الشعري، محمد مفتاح، مجلة فصول، مج ١٦، ع١، ١٩٩٧م. ❖

المثال في خطاب الزهراء (ع)

✍ د. عباس علي الفحام

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وتمام الصلاة والتسليم على رسول رب العالمين وعلى آله الطاهرين وبعد،

فقد كان من نعم الله علينا إتاحة الفرصة لنا في الكتابة عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع)، وتوظيف المنهج الأكاديمي في خدمة أعلام أهل البيت (ع) وإظهار تراثهم من أجل الانتفاع بها على مختلف المستويات المعرفية. وقد اخترت عنوان بحثي المتواضع (المثال في خطاب الزهراء (ع) محاولة للبحث عن الجدة في جانب مفصلي من جوانب هذه الشخصية العظيمة، ولأهمية صورة المثال في تعزيز الحجة وإفراغ الخصم من محتواه. وكانت خطة البحث في تمهيد وثلاثة محاور، تناول التمهيد موضوعة (المناسبة والمثال) للتعريف بهما للولوج إلى صور المثال الثلاثة وهي:

الأول: القرآن الكريم: وتفرع عنه طبيعة تناول هذه الصورة الإلهية المثالية من الجهة الفنية والموضوعية وتحددت بشقين هما: الصيغ القرآنية، والعمق والفهم في الأخذ عن القرآن الكريم.

الثاني: النبي الوالد (ص): وقد تحدد بموضعين من الذكر، لكل منهما سياقه في التناول.

الثالث: الإمام علي (ع): وذكرته الزهراء بشكل مفصل وقف عليها البحث من الجهات الآتية: الشجاعة، والعبادة، والفضائل المخصوصة، والصورة المقابلة.

واختتم البحث بمجموعة من الخلاصات، كثفت محاوره في شكل نقاط محددة. هذا وقد كان معين المصادر في البحث متنوعاً ضم كتب التاريخ والأدب وبعض تفاسير القرآن الكريم فضلاً عن الدراسات الحديثة عن شخصية البتول (ع).

التمهيد: المناسبة والمثال

شكلت حادثة وفاة الرسول الأعظم امتحاناً مفصلياً للأمة، اختبرت فيه النوايا، وامتحنت به النفوس المريضة، فظهرت صور النفاق جلية وبشعة، بعضها تمثل في الارتداد عن الإيمان بالتوحيد كمسيلمة الكذاب وقومه في بعض أطراف الجزيرة، وبعضها تمثل في الانقلاب على تعاليم النبي (ص) والاستيلاء على السلطة في داخل المدينة، فكان جراء ذلك التطاول على حرمة البيت النبوي وحرمان ابنته الوحيدة من حقوقها في إرث أبيها في فدك التي

نحلها إياها رسول الله (ص)[١]، وفدك أرض زراعية غنية قريبة من خيبر استسلمت للنبي (ص) من دون قتال بعد أن سمع أهلها استسلام أهل خيبر[٢]، لذا كانت له صلى الله عليه وآله خاصة، لأنه لم يوجف عليها بخيلول أركاب ونحلها إلى ابنته فاطمة (ع)، غير أنها حرمت منها بعد ذلك بحجة أن الأنبياء لا يورثون[٣].

ومن هنا كانت مناسبة هذا الخطاب البين، فكانت فدك الباعث عليه، والقشة التي قصمت ظهر المجترئين على الإسلام، فصوت فاطمة الدافئ مثل أشعة الشمس في لحظات الوداعة حاد كالسيف وهادر كالسيل في ساعات الشدة، وحزن فقد أبيها (ص) - رغم ثقله - لم يقدر له أن يطفيء جذوة الحقيقة التي أشعلتها كلمات فاطمة (ع)، لأن الحدث عظيم الخطر على الإسلام، فجاءت خطبتها إعلاناً مدوياً يشبه إعلان أبيها في مكة غير أنه الآن في المدينة.

ذكرت مصادر التاريخ[٤] أنه لما بلغها إجماع القوم من كبار صحابة النبي (ص) على منعها فدكا وانصراف عاملها منها أقبلت تطأ أذيالها في مشية مهيبة تشبه مشية أبيها[٥]، وقد لاثت [٦]خمارها على رأسها، ومن حولها حف المهاجرون والأنصار، فنيطت بينها ملاءة، وخطبت في ذلك الجمع من المسلمين خطابها المدوي الواضح البيان والقوي الحجة.

تلك كانت مناسبة الخطبة، أما ارتباط المناسبة بالمثال فبين واضح، فالمثال المقصود هو الصورة المتكاملة والمتطابقة من جهة مضمونها وشكلها، وهو بعد مؤثر غاية التأثير لأنه واقع عملي وعياني محل حذو واقتداء دائماً[٧]، ولابد لكل شخصية من مثال ماثل أمامه، يقتفي اثر فضائله، ويسعى للتكامل معه، وهكذا أغلب الشخصيات العظيمة.

وحين تكون صورة المثال مما يقدس ويعرف، لا ريب في أنه أبلغ في التأثير، وأعظم في الوقع على النفوس، ومن هنا جاء تعداد صور المثال لدى الزهراء في خطابها. مختصاً من جهة

---

(١) ظ. الاختصاص، الشيخ المفيد: ١٨٣، كشف الغمة، الإربلي: ١٠٥/٢، ينابيع المودة، القندوزي: ١٣٨/١.

(٢) ظ. معجم البلدان، الحموي: ٢٣٨/٤.

(٣) ظ. مسند ابن حنبل، أحمد بن حنبل: ٤/١، تاريخ الإسلام، الذهبي: ٢٤٣/١٩، كشف الغمة، الإربلي: ١٠٢/٢.

(٤) مثل: بلاغات النساء، ابن طيفور: ١٢، الاحتجاج، الطبرسي: ١٣١/١ – ١٣٩، كشف الغمة، الإربلي: ١١١/٢، بحارالأنوار، المجلسي: ٢٢٤/٢٩.

(٥) ظ. شرحالأخبار، القاضي النعمان المغربي: ٣٤/٣ - ٤١.

(٦) اللوث: هو الطي والجمع. ظ: لسان العرب، ابن منظور: (لوث).

(٧) ظ. تعريف المثل والمثال في لسان العرب ن ابن منظور: مادة (مثل).

بهذه الأسرة، القرآن النازل على أبيها (ص)، والنبي الوالد، وزوجها أخ النبي، ومنبها على فداحة الخطر المحدق بمصالح الإسلام من جهة ثانية.

لذلك يبدو إن صور المثال التي عرضت هي مقدمات للولوج إلى الغرض من الخطبة، وهو التنبه إلى الفعل الخطير المتمثل في الانقلاب على دستور محمد وآل محمد صلوات الله عليهم والتنكر لخليفته من بعده وهو علي (ع)، إنه ليس مجرد المطالبة بإرث مادي هو فدك، بل كان ذلك سبباً إلى إعلان هذه الصيحة بوجه القوم، ولعل التحليل لما جاء في خطابها (ع) – كما سيتضح – من الحذر من فداحة الانحراف دليل على ما نزعم من أن فدكا شرارة خطيرة ستحرق البيت الإسلامي إذا استمر فتيلها، وفعلاً، كان ما حذرت منه الزهراء وقع للأسف.

المثال الأول: القرآن الكريم

رسمت الزهراء للقرآن الكريم صورة حية ماثلة للأذهان، متخذة منه المثال الإلهي الذي لا يمكن رده في تعزيز دعواها بأحقيتها في إرث أبيها (ص)، فقد خاطبت مجلس الصحابة بقولها:

(أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم، زعيم حقله فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائداً إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، بهتنا لحجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة)[1].

وقد استمدت الزهراء (ع) صفات هذا المثال الخالد من الكتاب العزيز ذاته، في دلالة على ذوبانها في معانيه العظيمة، وتمكنها من استجلاب ألفاظه الشريفة وتوظيفها في منجز كلامي آخر. ويمكن تبيانه على النحو الفني الآتي:

أولا: الصيغ القرآنية

- (كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع).

جمعت هذه العبارات صيغ توازن واحدة في نهاياتها، فضلاً عن الصيغ السجعية التي توزع فقراتها، وهو سجع سيتكرر كثيراً في الخطبة، متنوع الأواخر، ما يشير إلى انسياقه وراء المعنى، وجريه عفو الخاطر من دون قهر للفظ. والصفات كلها التي أسبغت على القرآن

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ١/١٣١ - ١٣٩.

الكريم مأخوذ من آيات الكتاب العزيز في سور متفرقة وصفت بها، فـ (الكتاب الناطق) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

و(القرآن الصادق) مستمد من قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[3]، ومن قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾[4].

وقولها (ع) (النور الساطع) وصف آخر مأخوذ من التعبير القرآني الذي وصف الكتاب العزيز بالنور بجامع الهداية إلى النجاة والفوز برضوان الله تعالى، نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[7].

و(الضياء اللامع) لفظ منقول من قوله تعالى في موسى (ع): ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[8].

ثانياً: العمق والفهم

وهو إعادة شرح للآيات القرآنية الشريفة، وإعادة إنتاج للصيغ القرآنية العظيمة بما يوافق الموقف الذي فيه الزهراء (ع) في حجاجها، وفيها نجد عمقاً عجيباً في القدرة على الغوص في المعاني القرآنية وتمثيلها بشكل جامع وشامل، نحو قولها (ع) في صفة القرآن الكريم:

بينة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائداً إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، بهتنا لحجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة،

---

(١) المؤمنون: ٦٢.

(٢) الجاثية: ٢٩.

(٣) الزمر: ٣٢ ـ ٣٣.

(٤) الأحقاف: ١٢.

(٥) المائدة: ١٥.

(٦) النساء: ١٧٤.

(٧) الأعراف: ١٥٧.

(٨) الأنبياء: ٤٨.

وشرائعه المكتوبة)[١]. إن هذه العبارات تكشف عن حقائق عملية جامعة للكتاب العظيم، روعي فيها التبصر الدقيق في العبارات القرآنية، لأن عبارة (بينة بصائره) تحيل على مجموعة كبيرة من الآيات الشريفة في هذا المعنى نحو قوله تعالى:

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤].

وعبارة (منجلية ظواهره) تعبير واسع لجميع الحقائق التي تحدث عنها القرآن الكريم من المعجزات المختلفة التي تحققت، والتي سيسعى الإنسان لاكتشافها مستقبلاً.

وقولها (ع) (مغتبطة به أشياعه) تعبير عملي في مختلف المستويات النفسية والغيبية، لأن أشياع القرآن ومريديه مطمئنين في طبائعهم النفسية لا يخافون غير الله تعالى، وهم بعد في الآخرة يغبطون على هذه المزية، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٥]، وقولها (ع) (مؤد إلى النجاة استماعه) تمثيل لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦].

والمحارم المحذرة مقصود بها قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[٨].

ولا يخفى روعة الأداء الفني للعبارات التي جاءت بنسق واحد من الموازنة والسجع المناسب، من استعمال المشتقات المختلفة كاسم الفاعل والمفعول، التي أسبغت على المعنى جمالا موسيقيا لافتا للانتباه وشادا السامع إلى الإيقاظ، فضلاً عما تحمل من شعور دافق انتظم جمالا وروعة.

المثال الثاني: النبي الوالد(ص)

ذكرت البتول (ع) أباها النبي العظيم (ص) مرتين في خطابها الحجاجي أمام المسلمين وكبار الصحابة. ورسمته مثالاً حياً وفصلت فيه الكلام تفصيلاً بالغ الروعة في الأداء والإحاطة بالمعنى.

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ١/١٣١ ـ ١٣٩.
(٢) الأنعام: ١٠٤.
(٣) الأعراف: ٢٠٣.
(٤) الجاثية: ٢٠.
(٥) الحديد: ١٢.
(٦) الأعراف: ٢٠٤.
(٧) آل عمران: ٣٠.
(٨) البقرة: ١٨٧.

الذكر الأول:

قالت في الموضع الأول من ذكر أبيها صلوات الله عليهما: (وأشهد أن أبي محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة علما من الله تعالى بما يلي الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذ المقادير حتمه، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها فأنار اللهب أبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام في الناسب الهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمد (ص) من تعب هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه، وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته)[1].

ويمكن الوقوف على تفاصيل هذا المثال الإلهي ببيان الحقائق الآتية:

- إن فاطمة (ع) تحدثت عن فكر استراتيجي بعيد شمل أصل ابتعاث النبي (ص)، من أجل هداية الناس إلى عبادة الواحد الأحد، فذكرت صفات أبيها من القرآن الكريم (المختار والمجتبى والمصطفى).وهو فكر عظيم يتعالى على ضيق الأفق المتمثل بالإرث المادي إلى التبصر في فداحة التمادي على بيت نبي مثل محمد (ص).
- إن فضل النبي محمد (ص) لا يمكن جحده في لم شتات الناس على وحدانية الله تعالى عامة، وانتشال العرب خاصة من حفرة النار التي كانوا على شفيرها.
- إن في التخصيص الذي تكرر ثلاث مرات في لفظ (أبي): الأول في الشهادة، والثاني في قولها: (فأنار اللهب أبي محمد (ص) ظلمها) والثالث: في الصلاة عليه، شعور بالغبن والجحد والظلم الذي وقع على البيت العلوي بالاجتراء عليه وحرمانه من حقوقه المشروعة، وهو بعد فيه تعريض للمجترئين لا يخفى على لبيب.
- في صورة رحيل النبي (ص) تفصيل روحي ابتعد فيه عن ذكر الضيق المادي إلى أفق رحب علق عليه السيد محمد باقر الصدر قدس سره بقوله: (تركت النعيم المادي كله، لأنها رأت في معاني أبيها العظيم ما يرتفع عن ذلك كله، وما قيمة اللذة المادية في حساب محمد الروحي الذي لم يرتفع أحد بالروح الإنسانية كما ارتفع بها)[2]. وهكذا حين يكون رحيل

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ١/١٣١ - ١٣٩.

(٢) فدك في التاريخ، محمد باقر الصدر: ١٢٣.

العظماء غير عابئين بالدنيا منشدين إلى ذات الله تعالى، يكون الموت عندها راحة حقيقية لهم من تعب الحياة، ولذا يرحبون مستبشرين بالموت إذا حل بهم.

الذكر الثاني

أما الموضع الثاني من خطاب الزهراء ففي قولها وقد تعمدت ذكره ثانية فقالت: (أيها الناس اعلموا: إني فاطمة وأبي محمد (ص) أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عميدون رجالكم، ولنعم المعزى إليه (ص)، فبلغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين وطاح وشيظ النفاق[1] وانحل تعقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص، فينفر من البيض الخماص وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان، وموطئ **الأقدام** تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (ص))[2].

ويبدو من سياق الخطبة إن الموقف البياني قد دعا إلى ذكر النبي (ص) ثانية من أجل التخصيص في الكلام، وذكر فضله على العرب والقوم الذين تجاججهم الزهراء (ع)، فالصورة الأولى صورة استراتيجية لبعث النبي (ص)، ولذا ذكرت فيها ألفاظ عامة وعالمية مثل (الأمم، الفرق، الخلائق)، وهو بعد خطاب عام غير موجه نحو أحد توجيها مباشرا، كما هو الحال في رسم هذه الصورة الثانية، فكان سياق الحال من الذكر ثانية هو الوصول إلى الخطاب المباشر وتنبيههم بفداحة ما يصنعون مع الزهراء (ع). لذلك حمل الكلام الكثير من ضمائر التكلم وضمائر الخطاب نحو قولها (ع): (إني فاطمة وأبي محمد (ص) **أقول** عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا، "لقد جاءكم رسول من **أنفسكم** عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"[3] فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي

---

(١) الشقاشق: الشقشقة: لهاة البعير. الوشيظ: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم، وقيل هو الدخيل من القوم. الخماص: خماص البطون، خفاف الظهر: أي أعفة عن أموال الناس. ينظر لسان العرب، ابن منظور: شقق، وشظ، خمص.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ١٣١ - ١٣٩.

(٣) التوبة: ١٢٨.

دون نسائكم، وأخا ابن عميدون رجالكم..)[١]. كما إن في اقتباس الآية الشريفة دلالة واضحة على هذا التخصيص في الكلام.

ويبدو أن فاطمة (ع) قد حرصت على رسم صفات لأبيها في غاية اللياقة لمقامه النبوي الشامخ، وكأنها بذلك تعلم الأمة كيف تخاطب عظيمها الروحاني فهو مبلغ ومنذر، معرض عن المشركين غير عابئ بما قدموا من إغراءات، شديد على الكافرين، وهو بعد الداعي إلى الله الحكيم، وهذه المعاني الجليلة كلها أديت بأسلوب قوي العبارة متينها معتمدة الأساليب الإيقاعية العفوية غير المخلة بالمعنى كالموازنة بين الفقرات القصيرة، والسجع الأخاذ، والطباق بين الألفاظ أحياناً. وهذه العناصر الموسيقية في الكلام أقدر على إخراج هذه القوة من الحماسة والانفعالات الإنسانية، لما توفره من رنين موسيقي شديد له أثره في النفوس، تلك الحماسة التي تبدو قوة صورتها في وصفها لشدة انتشار الإسلام وانتصاره على الشرك في قولها: (حتى تفرى الليل عن صبحه) بهذه الاستعارة الموحية التي كنت عن الكفر بالليل وصورته شيئاً مادياً ما إن تشظت أجزاؤه حتى انبلج عنه فجر الإسلام.

وفي هذه الصورة تفاصيل دقيقة لصورة العرب قبل الرسالة المحمدية، غايتها التذكير والتنبيه بفضل هذه الشخصية الإلهية، وهي صور متلاحقة متتالية في رسم حالة الوهن والهزال التي وصل إليها العرب قبل بعث النبي (ص)، وبأداء فني رفيع اتخذ من توازن الفقرات ورعاية نهاياتها السجعية ودقة في انتقاء المفردات قالباً بلاغياً امتزجت فيه الدلالة بالإيقاع امتزاجاً رائعاً. وقد كان الاستحضار القرآني دقيقاً في مناسبة المقام فهم (مذقة الشارب) والمذقة الشربة من اللبن الممزوج بالماء وهم (نهزة الطامع) والنهزة بضم النون هي الفرصة الممنوحة للاغتنام وهم (قبسة العجلان) الذي يأخذ من جذوتهم ليشعل لنفسه على عجل، وهذه الكنايات التي ترمي إلى تبيان معان أبعد من صورتها الحقيقية كمعاني التشرذم والتناحر والاقتتال الداخلي جعلتهم محل أطماع الآخرين وفرصا سهلة الاغتنام، فهم ضعفاء أمام ما جاورهم من جيوش الأمم، فلم تحسب لهم يوماً حساباً يذكر بل كانوا موطيء الأقدام، لا منعة لهم ولا عزة، (يشربون الطرق ويقتاتون الورق) والطرق هو الماء الذي بالت فيه الدواب فاصفر لونه، أما الورق فهو الأدم الرقاق من الجلد غير المدبوغ، لذلك أردفت بقولها (أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم) لأن من كان ذاك طعامه وشرابه لا شك في أنه يخشى سطوة الجار الشديد الظالم.

ولاريب في أن وقع هذه المعاني ثقيل على السامعين، ولكن مطابقتها لمقتضى حالهم برر ذلك، لأن الزهراء خاطبت قوما أصبحوا أسياداً بعد ذلك الذل بفضل أبيها (ص).

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ١٢١ ـ ١٣٩.

المثال الثالث: الإمام علي (ع)

رسمت الزهراء (ع) بكلماتها صورة المثال الثالث أمام المسلمين وهي تعرض صورة زوجها علي (ع) فقالت عابرة بالحديث عن أبيها (ص) إلى زوجها علي (ع): (.. وبعد أن منيب بهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً، كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال..)[1].

إن هذا المثال الإلهي رسمت أبعاد صورته كلمات الزهراء بدقة، وهي صورة رديفة لذكر النبي (ص) ولصيقة به، واشتملت تفاصيلها على المحاور الآتية:

١- **الشجاعة:**

هي صورة التفاني في الله تعالى ونذر النفس من أجل إعلاء كلمة التوحيد، فقد عرف عن علي (ع) شدته في إحقاق الحق وصلابته في حروبه مع النبي (ص)، وهي بطولة حرصت الزهراء في رسمها على أن تقدمها ممزوجة بهذا العشق الإلهي المحمدي في تعبيرها (قذف أخاه في لهواتها)، ففي هذا السياق تستشف معاني الشدة والقوة التي تحمل السامع على أن يتأمل عليا (ع) في أوقات الحرب شديداً غير هياب ولا متردد كلما (فغرت الحرب فاها) أي فتحت فمها وهو مثل للحرب إذ اشتدت (ومثلت من يقتل فيها بابتلاعها إياهم كأنها فغرت فاها، أي فتحته لتأتيهم من يقتل فيها)[2].

وفي ذكر الأخ دون غيره جملة من الاعتبارات منها التذكير بمؤاخاته له دون غيره من سائر المسلمين، ومنها في الإيحاء بثقة النبي بعلي (ع) وتمكنه من إطفاء نار الفتن، فهذا البطل المقدام لا يرجع حتى يدوس بكامل قدمه (بأخمصه) على رأس المشركين زيادة في التمكن وإشارة إلى تحقير المعاندين (صماخها).

وقد حملت صور الشجاعة وقفات عدة، أشارت إليها الزهراء بأسلوب موجز فيه تفصيل كثير لما حمل من محطات مصيرية للمسلمين، وكان لسيف علي (ع) كلمة الفصل فيها: (فبهم الرجال وذؤبان العرب) إشارة إلى صناديد قريش وشجعان الجزيرة العربية الذين قضى عليهم الإمام علي في أحد وبدر. أما الآية التي تمثلت بها الزهراء (ع) وهي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[3]، فهي إشارة إلى معركة الأحزاب التي قضى فيها الإمام

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ١/١٣١ - ١٣٩.

(٢) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ٢/٤١.

(٣) المائدة: ٦٤.

علي على عمرو بن ود العامري، بعد أن عبر الخندق متحديا المسلمين الذين زلزلوا زلزالاً عظيماً. والتعبير (مردة الكتاب) إشارة إلى فتح خيبر على يد الإمام (ع) وقتل مرحب اليهودي وأخيه الحارث.

وفي تعبير الزهراء (ع) (فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه) تمجيد بانتصارات علي (ع) وتعريض بغيره في الفشل بفتح خيبر.

٢- العبادة:

وفيها انتقالة من الشجاعة في تثبيت كلمة التوحيد إلى الإيحاء بطبيعة عبادة أمير المؤمنين (ع) القائمة على التطبيق لما آمن، بإيجاز عجيب رسمته الزهراء في تعبيرها (مكدودا في ذات الله)، أردف بألفاظ في غاية الدقة بأداء المعنى المراد من القرب من الله ورسوله (قريباً، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً، كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم) وبما يخجل معانينا من بسط شرحها.

٣- فضائل مخصوصة

سجلت الزهراء (ع) لعلي (ع) بعضاً من الفضائل التي اختص بها الإمام وحده بما يناسب المقام، فقولها (قريبا من رسول الله) إشارة إلى القرابة القريبة بين الإمام وابن عمه الرسول صلوات الله عليهما، فضلاً عما اختص به الإمام من تربية النبي له صغيرا ورعايته له في بيت خديجة (ع) منذ السن الثالثة من عمره بعد الجدب الذي ضرب قريشاً والضر الذي مس أبا طالب الأمر الذي دعا النبي (ص) للاقتراح على عمه العباس للتخفيف عن كاهل أبي طالب في أمر تدبير العيال فكان (ممّا أنعم الله على عليّ ابن أبي طالب (ع) انه كان في حِجْرِ رسولِ الله (ص) قبل الإسلام)[١] بعد أنْ اخذ العباس جعفراً[٢]. وهذه القرابة موضع إكبار واعتزاز لدى أمير المؤمنين (ع) وذكرها محتجا وهو في العقد السادس من عمره الشريف فقال: (وَقَدْ عَلِمْتُم مَوضِعي مِنْ رَسولِ اللهِ (ص) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولدٌ، يضُمُّني إلى صدره ويكْنُفُني إلى فراشه، ويُمِسُّني جسده، ويُشِمُّني عَرْفَه، وكان يمضغ الشيء ثم يُلْقِمُنيه، وما وجد لي كِذْبَةً في قَوْلٍ، ولا خَطْلَةً في فِعْلٍ، ولقد قَرَنَ اللهُ به (ص) من لَدُنْ أنْ كان فَطيماً أعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ ملائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ المكارمِ ومَحاسنَ أخلاقِ العالَمِ لَيْلَهُ ونَهارَهُ. ولقد كنْتُ أتَّبِعُهُ اتِّباعَ الفَصيلِ أثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أخْلاقِهِ عَلَماً ويَأمُرُني بالاقتداءِ بِهِ، ولقد كانَ يُجاوِرُ في كُلِّ سَنَةٍ بِحِراءَ فأراهُ ولا يراهُ غَيري ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غيرَ رَسولِ اللهِ (ص) وخديجةَ وأنا ثالثُهُما، أرى نورَ الوَحْيِ وأشَمُّ ريحَ النبوةِ)[٣].

---

(١) تاريخ الطبري، الطبري: ٢/٣١٢.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام: ١/٢٢٨.

(٣) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٢/١٥٧، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/٢٦٩.

وهذه العلاقة المميزة لها اثر واضح في شخصية علي (ع)، فهو لم يفارق النبي (ص) طيلة مرافقته زهاء ثلاثين عاماً، حتى وفاة الرسول صلوات الله عليه التي صورها علي (ع) بقوله: (وَلَقَدْ قُبِض رسولُ اللهِ (ص) وإِنَّ رأسَه لَعَلى صدري وَلَقَدْ سَالَتْ نفسُه في كَفِّي فَأَمْرَرْتُها على وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيْتُ غُسْلَه (ص) والملائكةُ أعْواني)[1].

ومما أشارت إليه الزهراء من فضل لعلي (ع) كونه (سيداً في أولياء الله) فقد أثر عن النبي (ص) قوله لأم سلمة: (اسمعي واشهدي، هذا علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين)[2].

ومثله قوله (ص): (أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين)[3]، وقوله: (علي ولي الله)[4]، بل أكدت التفاسير لقوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)[5] أن ذاك هو علي (ع)[6].

٤- الصورة المقابلة:

وهو التفات يفجأ السامع بصورة المقارنة بين ما رسمت للإمام علي (ع) من صورة لتفانيه في الحرب ولهواتها وبين من تخاطب، بانتقال سريع مكثف العبارة في قولها (وأنتم في رفاهية وادعون آمنون)، ولا غرو، فثمة فرق بين من يرمى في لهوات الموت وبين من يكون مرابطا في الخطوط الخلفية للقتال، وهذا المعنى سيسمعه الناس من علي (ع) ذاته بعد ثلاثة عقود، في قوله متحدثا عن جهاده بين يدي ابن عمه: (ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام)[7].

إن صور المثال التي عرضتها فاطمة البتول (ع) في لوحتها تذكير بعظمة هذا البيت المحمدي الطاهر، إذ توضح مدى التفاوت الهائل بينها وبين صورة (المناسبة) لخطابها هذا، ولاسيما حين قارنت بين صورة علي (ع) وبين من تنكر للنبي وآله (ع).

فالصورة المقابلة لصورة المثال المتجسد في شخص علي (ع) في غاية من التناقض والقتامة والانتهازية، إذ في جانب من هذه اللوحة ثمة عظيم جواد بنفسه من أجل هدف سام مقذوف بين أكف الموت، وفي جانب آخر أناس طفيليون يعتاشون على تضحيات غيرهم، ثم بعد ذلك يستغلون روح الإيثار عند العظماء في تغليب مصالح المسلمين على أنفسهم،

---

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ١٧٢/٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧٩/١٠.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد: ٤٦/١

(٣) ظ. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر اشوب: ٢١٧/٢، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٨٤، دلائل الإمامة، الطبري: ٥٦.

(٤) كشف اليقين، العلامة الحلي: ١٧.

(٥) المائدة: ٥٥.

(٦) ظ. مجمع البيان، الطبرسي: ٢٦٣/٣، جامع البيان، الطبري: ٢٨٩/٦، الكشاف، الزمخشري: ٦٢٤/١، تفسير الرازي: ٢٠/١٢.

(٧) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ١٧٢/٢.

فيحصدون تعب غيرهم بنفاق كريه، وعلى حد قول الزهراء (ع): (تشربون حسوا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء)[1].

الخلاصة

توضح من البحث جملة من الحقائق يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أولاً: يقصد بالمثال الأنموذج الحي المتكامل في القول والفعل، والمؤثر في النفس والمجتمع.

ثانياً: ثمة رابط جلي مقصود بين مناسبة خطاب الزهراء في مسجد أبيها بعد وفاته (ص) وبين صور المثال التي رسمتها الزهراء (ع) لإحراج المجترئين على هضم حقوقها.

ثالثاً: تحدد في خطاب الزهراء في مسجد النبي (ص) بعد حرمانها من إرث أبيها ثلاثة صور من صور المثال هي القرآن الكريم والنبي (ص) والإمام علي (ع).

رابعاً: دل خطاب الزهراء على ذوبان عظيم في لغة القرآن الكريم وتمثيل فطري واع لآياته الشريفة.

خامساً: حملت العبارات المكثفة في صورة علي (ع) مزيدا من القصص والفضائل التي اختص بها زوجها عليهما السلام.

سادساً: اتسم خطاب الزهراء بتطابق فريد بين الموضوع والأداء على أساس فني، اتخذ من التعبير بالصورة والعبارة النغمية سبيلا لنقل الشعور وتوضيح المعنى والتأثير في السامعين.

المصادر

القرآن الكريم

- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، ـ ١٩٦٦ م، مطبعة دار النعمان ـ النجف الأشرف.
- الاختصاص، الشيخ المفيد(ت٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، الطبعة الثانية ـ ١٩٩٣م، لبنان.
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤٣١هـ). تحقيق: مؤسسة أهل البيت (ع) لتحقيق التراث، دار المفيد، الطبعة الثانية، بيروت – لبنان ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.
- تاريخ الإسلام، الذهبي(ت ٧٤٨)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، لبنان، بيروت ـ دار الكتاب العربي.

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ١/١٣١ ـ ١٣٩.

- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الخامسة، دار المعارف – مصر، ١٩٨٧م.
- التفسير الكبير (أو مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، المطبعة البهية – مصر، بدون تاريخ.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، الطبعة الثانية، الحلبي – ١٩٥٤م.
- دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، مطبعة مؤسسة البعثة–قم، الطبعة الأولى ــ ١٤١٣هـ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري الشهيد (ت٥٠٨هـ)، تقديم: السيد محمد مهدي الخرسان. د.ت.
- السيرة النبوية.. ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري (٢١٣هـ).قدم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت ١٩٧٥م.
- شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، بقم المشرفة.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦ هـ).تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- فدك في التاريخ، محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار شرارة، ط١، ١٩٩٤.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٦ م.
- كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ ــ ١٩٨٥ م، مطبعة دار الأضواء، بيروت – لبنان.
- كشف اليقين، العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: حسين الدركاهي، الطبعة الأولى ــ ١٤١١هـ، طهران.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري(ت ٧١١هـ). دار صادر ودار بيروت، لبنان ١٣٧٩هـ ١٩٥٥م
- مجمع البيان في تفسير القرآن، ، الفضل بن الحسين الطبرسي (ت ٥٤٨هـ). حقق وعلق عليه: لجنة من العلماء والمثقفين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت.
- معجم البلدان. ياقوت الحموي، (ت٦٢٦هـ)دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، مصحح من لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م.
- نهج البلاغة، محمد عبده، مطبعة بابل – بغداد ١٩٨٤م.
- ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي (ت١٢٩٤هـ)، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، مطبعة الأسوة، قم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. ❖

حياة الزهراء (ع)
بعد أبيها رسول الله (ص)

✍ علي موسى الكعبي

لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تكون مظلومية الزهراء (عليها السلام) مصداقاً حيّاً وناطقاً إلى الأبد لذلك الانقلاب الخطير الذي تغشّى الأُمّة بعد وفاة نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة، فكلّما قرأت الأجيال المتعاقبة عن المصائب التي جرت على بضعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحبّ الناس إليه بعين الإنصاف تتجلّى لها كثير من الحقائق المؤلمة التي تعتصر لها القلوب أسىً وحزناً، وتفيض لها العيون دماً!!

قالت (عليها السلام) وهي تندب أباها (صلى الله عليه وآله وسلم):

قل للمغيب تحت أطباق الثرى ... إن كنت تسمع صرختي وندائيا

صُبّت عليّ مصائب لو انّها ... صُبّت على الأيام صِرن لياليا

قد كنت ذات حمىً بظلّ محمدٍ ... لا اختشاي ضيماً وكان جماليا

فاليوم اخشع للذليل وأتقي ... ضيمي وادفع ظالمي بردائيا

فلأجعلنّ الحزن بعدك مؤنسي ... ولأجعلنّ الدمع فيك وشاحيا[1]

وفي ما يلي ثلاثة مباحث تعكس لنا صوراً من حياة الزهراء (عليها السلام) ومواقفها منذ وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وفاتها سلام الله عليها:

المبحث الأول: انقلاب الأمّة ومنع حقوق الزهراء (عليها السلام).

المبحث الثاني: مواقف الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الثالث: وفاتها (عليها السلام) ومدّة بقائها بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) المناقب/ ابن شهر آشوب ١: ٢٤٢. ومقتل الحسين (عليه السلام)/ الخوارزمي ١: ٨٠. ونور الأبصار/ الشبلنجي: ٥٣. والسيرة النبوية/ دحلان ٢: ٣٦٥. وإتحاف السائل: ١٠٣. وأعيان الشيعة ١: ٣٢٣. والغدير ٥: ١٤٧ و ٦: ١٦٥. وأعلام النساء/ كحالة ٤: ١١٣.

المبحث الأول
انقلاب الأُمّة ومنع حقوق الزهراء (ع)

أول بوادر الانقلاب:

لقد سجّل بعض الصحابة أول بادرة للانقلاب في حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يوم الخميس، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجّىً قد اشتدّ به الوجع، فكانت الرزية، قال ابن عباس رضي الله عنه: لمّا اشتد بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرضه الذي مات فيه قال (صلى الله عليه وآله وسلم): **«ائتوني بدواةٍ وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي»**. فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. وفي لفظ آخر: ما شأنه أهجر، استفهموه!. فاختلف القوم واختصموا، فمنهم من يقول: القول ما قال رسول الله، ومنهم من يقول: القول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف عنده (صلى الله عليه وآله وسلم) غضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لهم: **«قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع»**.

قال ابن عباس: الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم[1].

فقدموا بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2] وأكثروا اللغط في حضرته وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾[3].

وعصوا الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) جهرة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[4].

وهكذا انشغلت الأُمّة عن نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) بمجرد إحساسها بفقده، لتدخل في صراعات كان بإمكانهم تجنبها لو استمعوا لما يكتب لهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في المحتضر، وكان ذلك الانقلاب يمثل حجر الزاوية لكلِّ مظلمة حدثت على طول التاريخ.

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧/ ١٦٣٧ و١٢٥٩/ ٢٢ ـ كتاب الوصية. وصحيح البخاري ١: ٦٥/ ٥٥ ـ كتاب العلم، و٦: ٢٩/ ٤٢٢ و٤٢٣ ـ كتاب المغازي، و٧: ٢١٩/ ٣٠ ـ كتاب المرض، و٩: ٢٠٠/ ١٣٤ ـ كتاب التوحيد. ومسند أحمد ١: ٢٢٢ و ٣٢٤ و ٣: ٣٤٦. ومسند أبي يعلى ٤: ٢٩٨/ ٢٤٠٩. والبداية والنهاية ٥: ٢٠٠. وتاريخ الطبري ٣: ١٩٣. وتاريخ ابن خلدون ٢: ٤٨٥. والملل والنحل/ الشهرستاني ١: ١٤ ـ المقدمة الرابعة. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٥ و٦: ٥١، وقال: اتفق المحدثون كافة على روايته.

(٢) سورة الحجرات: ١.

(٣) سورة الحجرات: ٢.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٦.

الابتسامة الأخيرة:

في محتضر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث أحنت الزهراء (عليها السلام) على أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، ارتسمت على شفتيها ابتسامة عقيب بكاءٍ هزّ كيانها، ممّا أثار الدهشة والتساؤل عند البعض حتى فسّرت لهم سرّ ذلك بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

روى عن ابن عباس وعائشة أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا فاطمة (عليها السلام) في شكواه التي قُبض فيها، فسارّها بشيءٍ فبكت، ثمّ دعاها فسارّها فضحكت، فسئلت عن ذلك، فقالت بعد وفاته(صلى الله عليه وآله وسلم): **«سارّني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبرني انّه يُقبض في وجعه الذي تُوفّي فيه فبكيت، ثم سارّني فأخبرني انّي أول من يتبعه من اهل بيته فضحكت»**[1].

إذن كانت تلك الابتسامة تعبّر عن فرحة سرعة اللحاق بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الدار الآخرة ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[2] وكانت الأخيرة في حياة سيدة النساء (عليها السلام) إذ أعقبها الألم والحزن والبكاء، فهي (عليها السلام) بعد فقد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تهدأ لها حسرة ولم ترقأ لها عبرة.

قال الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام): **«مكثت فاطمة (عليها السلام) بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة اشهر، وما رؤيت ضاحكة بعده»**[3].

وكانت (عليها السلام) تعبّر بتلك الدموع عن مرارة الألم لفراق أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وشدة الحزن لفقده، وتحكي مظلوميتها واغتصاب حقّ الوصيّ وحقّها، وما يعتلج بصدرها من معاناة لم تجد إلى بثّها سبيلاً إلاّ بالدموع.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن نفض يديه من تراب قبرها (عليها السلام) وهو يناجي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«وستنبئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً»**[4].

الهجوم على دار الزهراء (عليها السلام) وما ترتب عليه:

مضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى سقيفة بني ساعدة، ولم يبق حول جثمان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أقاربه ومواليه، وهم الذين تولوا غسله وتكفينه وإدخاله قبره

---

(١) صحيح البخاري ٥: ٩٢ ـ كتاب المناقب. وصحيح مسلم ٤: ١٩٠٤/ ٩٧ ـ كتاب فضائل الصحابة. وحلية الأولياء ٢: ٤٠. ومسند أحمد ٦: ٧٧، ٢٤٠، ٢٨٢. والمعجم الكبير/ الطبراني ٢٢: ٤١٥/ ١٠٢٧ و ٤١٩ ـ ٤٢١/ ١٠٣٤ ـ ١٠٣٧. ومسند فاطمة (عليها السلام)/ السيوطي: ٨٠ و١٢٠. وفضائل فاطمة/ ابن شاهين: ٢٨ ـ ٣٢.

(٢) سورة القمر: ٥٤/ ٥٥.

(٣) المعجم الكبير/ الطبراني ٢٢: ٣٩٩/ ٩٩٥.

(٤) الكافي ١: ٤٥٩/ ٣.

ومواراته، وهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) وعمه العباس رضى الله عنه وابناه الفضل وقثم، وأُسامة بن زيد مولاه، وقيل: شقران، أو صالح مولاه (صلى الله عليه وآله وسلم)[١].

فارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللغط بين المهاجرين والأنصار، ثم إن عمر بن الخطاب ضرب على يد أبى بكر فبايعه الناس، ثم أتوا به المسجد يبايعونه، فسمع العباس وعلى (عليهما السلام) التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢].

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أن عليّاً (عليه السلام) هو صاحب الأمر بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)[٣]، فتخلّف قوم من المهاجرين والأنصار وجمهور الهاشميين عن بيعة أبى بكر، وكان منهم: العباس بن عبدالمطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وعمار بن ياسر، والبرّاء بن عازب، وأُبى بن كعب، وعتبة بن أبى لهب، وغيرهم[٤]، وروى أنّهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليّاً (عليه السلام)[٥].

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد اعتزل الناس بعد أن فرغ من جهاز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعكف على جمع القرآن الكريم بعهد من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وروى أنّه (عليه السلام) قال: **«لا ارتدي حتى اجمعه»**، وقالوا: إنّه لم يرتدِ إلاّ للصلاة حتى جمعه[٦].

وفي تلك الأثناء بلغ أبو بكر أن جماعة منهم العباس قد اجتمعوا مع على ابن أبى طالب (عليه السلام) في منزل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبعث إليهم عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد في رجال من الأنصار ونفر من المهاجرين أرسلهم أبو بكر ردءاً لهما، كزياد بن لبيد الأنصارى، وعبد الرحمن بن عوف، وأُسيد بن حُضير، ومسلمة بن سلامة بن وقش، ومحمد بن مسلمة، وثابت بن قيس بن شماس الخزرجى، وسلمة بن أسلم[٧]، والمغيرة بن شعبة، وسالم مولى أبي حذيفة[٨].

---

(١) الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٢: ٢٧٧ - ٢٧٨. والعقد الفريد/ ابن عبد ربه ٣: ٢٩٦، المكتبة التجارية - مصر. وتاريخ الإسلام/ الذهبي ١: ٥٧٥ - ٥٧٦. وتاريخ الطبري ٣: ٢١٣.

(٢) العقد الفريد/ ابن عبد ربه ٥: ١٠ - ١١.

(٣) الموفقيات/ الزبير بن بكار: ٥٨٠/ ٣٨٠ عن محمد بن اسحاق. وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤. وتاريخ أبي الفداء ٢: ٦٣. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦.

(٦) أُنظر: الاتقان/ السيوطي ١: ٢٠٤. والطبقات الكبرى/ ابن سعد ٢: ٣٣٨. ومناهل العرفان ١: ٢٤٧. وكنز العمال ٢: ٥٨٨/ ٤٧٩٢. وشرح ابن أبي الحديد ١: ٢٧ و ٢: ٥٦.

(٧) راجع: مستدرك الحاكم ٣: ٦٦. وسنن البيهقي ٨: ١٥٢. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠ و ٥١ و ٥٦ و ٥٧، و ٦: ١١ و ٤٧ و ٤٨.

(٨) الجمل/ الشيخ المفيد: ١١٧.

فجاء عمر بن الخطاب فناداهم وهم في دار علي (عليه السلام): لتخرجنّ إلى البيعة أو لأُحرقنّها على من فيها! فقيل له: يا أبا حفص؟ إنّ فيها فاطمة! فقال: وإن[1]!!.

فلمّا سمعت فاطمة (عليها السلام) أصواتهم نادت بأعلى صوتها: **«يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟! »** فلمّا سمع القوم صوتها وبكائها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم[2]، فاقتحموا الدار، فصاحت فاطمة (عليها السلام) وناشدتهم الله[3]، وجعلت تبكي وتصيح[4].

وخرج إليهم الزبير مصلتاً سيفه، فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر السيف من يده، فضرب به عمر الحجر فكسره[5]، ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً[6].

وروي أنّهم قالوا: ليس عندنا معصية ولا خلاف.. وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد، ثم بايعوا أبا بكر[7].

واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة (عليها السلام) ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثيرة من الهاشميات وغيرهنّ، فخرجت إلى بابها، وقالت: **«يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله»**[8].

وقالت (عليها السلام): **«لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تروا[9] لنا حقاً[10]، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خمّ، والله لقد عقد له يومئذ الولاء، ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة »**[11].

---

(١) الإمامة والسياسة/ ابن قتيبة ١: ١٢.

(٢) الإمامة والسياسة/ ابن قتيبة ١: ١٣. وأعلام النساء/ كحالة ٤: ١١٤. ١١٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠، و ٦: ٤٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦.

(٥) وفي رواية الطبري ٣: ٢٠٢ أنّ الزبير عثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه. وروي أنّ الذي أخذ سيف الزبير وكسره هو محمد بن مسلمة. راجع مستدرك الحاكم ٣: ٦٦. وسنن البيهقي ٨: ١٥٢. وكنز العمال ٥: ٥٩٧. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥١، و ٦: ٤٨. وفي ج٦ ص١١ منه أنّه سلمة بن أسلم.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦، و ٦: ٤٨.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٦.

(٨) السقيفة وفدك/ الجوهري: ٧٣. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧، و ٦: ٤٩.

(٩) في الإمامة والسياسة: ولم تردّوا.

(١٠) الإمامة والسياسة ١: ١٣. والأمالي/ الشيخ المفيد: ٤٩/ ٩. والاحتجاج/ الطبرسي: ٨٠.

(١١) الاحتجاج/ الطبرسي: ٨٠.

وأخرجوا علياً (عليه السلام) ومضوا به إلى أبي بكر، فقال له عمر: بايع. فقال (عليه السلام): «إن أنا لم أفعل فمه؟» قال عمر: إذن والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك!

فقال: «إذن تقتلون عبد الله وأخو رسوله». قال عمر: أما عبدالله فنعم، وأما أخو رسوله فلا[1]، وأبو بكر ساكت. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه[2]. ولم يبايع عليٌّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة (عليها السلام) بعد ستة أشهر، فلمّا ماتت (عليها السلام) ضرع إلى صلح أبي بكر[3].

آثار الهجوم وما ترتب عليه:

اندفع القوم إلى بيت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يرعوا لها حرمة، ولا لأبيها المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) ذمّة، وقد رافق الهجوم على الدار بعض الأحداث المخالفة للشرع والدين والضمير والوجدان والأعراف والسجايا الإنسانية، وكلّها مصاديق تحكي قصة الانقلاب على الأعقاب والإحداث بعد غياب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن تلك الأحداث:

١ ـ إحراق البيت:

ثبت إحراق البيت المقدس من طريق الفريقين، فقد روى أنّهم جمعوا الحطب الجزل حول بيت الزهراء (عليها السلام)، وأضرموا النار في بابه، حتى أخذت النار في خشب الباب[4].

وروى الثقفي بالإسناد عن حمران بن أعين، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: **«والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته»**[5].

وقال المسعودي: فأقام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فوجّهوا إلى منزله، فهجموا عليه وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كُرهاً[6].

---

(١) وهو ردّ على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد صحّ عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعلي (عليه السلام): «أنت أخي في الدنيا والآخرة»، راجع: سنن الترمذي ٥: ٦٣٦/ ٣٧٢٠. ومسند أحمد ١: ٢٣٠. ومستدرك الحاكم ٣: ١٤. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك أحد فقل: أنا عبدالله وأخو رسوله، لايدّعيها بعدك إلاّ كاذب»، راجع: فضائل الصحابة/ أحمد بن حنبل ٢: ٦١٧/ ١٠٥٥. وتذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٢٢.

(٢) الإمامة والسياسة/ ابن قتيبة ١: ١٣. والآية من سورة الأعراف: ٧/ ١٥٠.

(٣) أنساب الأشراف/ البلاذري ٢: ٢٦٨، دار الفكر ـ بيروت.

(٤) الهداية الكبرى/ الخصيبي: ٤٠٧. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٧/ ٢٩، و ٥٣: ١٨.

(٥) تلخيص الشافي/ الطوسي ٣: ٧٦. وبحار الأنوار ٢٨: ٣٩٠.

(٦) إثبات الوصية/ المسعودي: ١٢٤، المطبعة الحيدرية ـ النجف. وبحار الأنوار ٢٨: ٣٠٨/ ٥٠.

وقد بلغ من اشتهار هذا الأمر أن سجّله كثير من الشعراء منذ القرون الأولى وإلى اليوم، ومنهم عبدالله بن عمار البرقي ت ٢٤٥ هـ حيث قال:

وكلّا النار من نبتٍ ومن حطبٍ ... والمضرمان لمن فيه يسبّانِ

وليس في البيت إلاّ كلّ طاهرةٍ ... من النساء وصدّيق وسبطانِ[1]

وقال علاء الدين الحلي المقتول سنة ٧٨٦ هـ:

وأجمعوا الأمر فيما بينهم غوت ... لهم أمانيهم والجهل والأملُ

أن يحرقوا منزل الزهراء فاطمة ... فيا له حادث مستصعب جَلَلُ

بيت به خمسة جبريل سادسهم ... من غير ما سبب بالنار يشتعلُ[2]

ووردت الأخبار بهذا المضمون من طرق العامة أيضاً، فقد ذكر السيد المرتضى رضي الله عنه أن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة ممن لا يتهم على القوم[3]، وفي ما يلي بعض رواياتهم:

روى البلاذرى عن سليمان التيمى وعبدالله بن عون أنهما قالا: إنّ أبا بكر أرسل إلى على(عليه السلام) يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة (عليها السلام) على الباب. فقالت فاطمة (عليها السلام): يا ابن الخطاب، أتراك محرقاً عليّ بابى؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك[4].

وذكر ابن عبد ربه الذين تخلفوا عن البيعة لأبى بكر: على (عليه السلام) والعباس، والزبير، وسعد بن عبادة، قال: فأمّا على (عليه السلام) والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة (عليها السلام)، وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة (عليها السلام) فقالت: يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة[5].

وقد سجّل شاعر النيل حافظ إبراهيم هذه المكرمة لعمر بن الخطاب حيث قال:

وقولةٍ لعلي قالها عمرُ ... أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقتُ دارك لا أبقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

---

(١) الصراط المستقيم/ البياضي ٣: ١٣.

(٢) الغدير ٦: ٣٩١.

(٣) الشافي/ السيد المرتضى ٤: ١١٩.

(٤) أنساب الأشراف ٢: ٢٦٨، دار الفكر - بيروت. والشافي/ السيد المرتضى ٣: ٢٤١. وتلخيص الشافي/ الطوسي ٣: ٦٧.

(٥) العقد الفريد / ابن عبد ربه ٥: ١٢. والمختصر في أخبار البشر/ أبو الفداء ٢: ٦٤.

مـا كـان غـير أبـي حفـص يفـوه بهـا أمـام فـارس عدنـان وحـاميها[(١)]

وليته لم يَفُه بها، فإنّها كانت سُبّة له، وظنّ شاعر النيل أنّ ذلك كان من شجاعته، وفات عنه أنّه لم تثبت له قدم في المقامات المشهورة، فهو الذى عاد في خيبر يُجبّن أصحابه ويجبّنونه[(٢)]، فما كانت الراية والفتح وقتل صناديد الكفر لتليق إلاّ بمن يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، الكرار غير الفرار، على أمير المؤمنين (عليه السلام)[(٣)].

كما فات عنه أنّ صبر أمير المؤمنين (عليه السلام) على القوم ما كان إلاّ بعهدٍ من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)له بالصبر عند خذلان الأُمّة[(٤)]، وأنّه (عليه السلام) كان يقول واصفاً حاله بعد البيعة: **«فنظرتُ فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي، فضننتُ بهم عن الموت، واغضيتُ على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على اخذ الكظم وعلى أمرّ من طعم العلقم »**[(٥)].

وقال (عليه السلام): **«وطفقت ارتئي بين ان اصول بيدٍ جذّاء، او اصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرايت انّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذىً، وفي الحلق شجىً، ارى تراثي نهباً...»**[(٦)].

وخلاصة القول إنّه (عليه السلام) آثر بقاء الإسلام الذى نذر حياته وخاض الغمرات لأجله، فنراه في أحرج المواقف التى واجهته بعد البيعة كان يقول:

«سلامة الدين أحبُّ إلينا من غيره »[(٧)].

الإحراق ذريعة للظلم:

إنّ إحضار الحطب حول بيت القدس والطهارة من قبل رجال الخلافة وإذكاء النار في بابه لانتزاع البيعة من أمير المؤمنين (عليه السلام) قد صار ذريعة للظالمين وسُنّة لطواغيت الأُمّة على طول التاريخ، فقد روى المؤرخون أنّ عروة بن الزبير كان يعذر أخاه عبدالله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، وكان يقول: إنّما أراد بذلك ألاّ تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لّما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فانّه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار[(٨)].

---

(١) الديوان ١: ٧٥، دار الكتب المصرية - القاهرة.٣

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ٣٧. وتاريخ الطبري ٣: ١٢.

(٣) صحيح البخاري ٥: ٨٧/ ١٩٧ و ١٩٨ - كتاب الفضائل، و٥: ٢٧٩/ ٢٣١ - كتاب المغازي. وصحيح مسلم ٤: ١٨٧١/ ٣٢ - ٣٤ - كتاب الفضائل. ومسند أحمد ١: ١٨٥، و٥: ٣٥٨. ومستدرك الحاكم ٣: ١٠٩.

(٤) راجع: الاحتجاج/ الطبرسي: ٧٥.

(٥) نهج البلاغة/ صبحي الصالح: ٦٨ الخطبة ٢٦.

(٦) نهج البلاغة/ صبحي الصالح: ٤٨ الخطبة ٣.

(٧) الموفقيات/ الزبير بن بكار: ٥٨١ عن محمد بن إسحاق. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١.

(٨) مروج الذهب/ المسعودي ٣: ٧٧. وشرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٤٧. ومقاتل الطالبيين/ أبو الفرج: ٣١٥.

٢ ـ إيذاء الزهراء (عليها السلام) بالضرب والإسقاط:

وكان من امتدادات ذلك الهجوم أن تعرّض القوم لفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالضرب ممّا أدى إلى إسقاط جنينها، فشكت من أثر ذلك الضرب حتى التحقت بربها شهيدة مظلومة، وقد استفاضت الروايات بذلك وثبت عند أعلام الطائفة.

قال الشيخ الطوسي رضي الله عنه: وقد روي أنّهم ضربوها بالسياط، والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة أن عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمّي السقط محسناً[١]، والرواية بذلك مشهورة عندهم[٢]، وقد نقلها عنهم المخالفون أيضاً[٣].

ونقل الشيخ ابن شهرآشوب عن (المعارف) لابن قتيبة أنّ المحسن سقط من زخم[٤] قنفذ العدوي[٥] الذي أمره عمر بضرب الزهراء (عليها السلام).

وكان من آثار ذلك الضرب أن مرضت الزهراء (عليها السلام) ولازمت فراشها حتى التحقت بربها، كما أخبر بذلك أولاد الزهراء (عليهم السلام)[٦]، وقد أطبقت كلمتهم على أنّها ماتت شهيدةً مظلومة، فعن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن (عليه السلام) قال: «إنّ فاطمة صدّيقة شهيدة»[٧]، وجاء في زيارتها (عليها السلام): السلام عليكِ أيتها البتول الشهيدة الطاهرة[٨]. والسلام عليكِ أيتها الصديقة الشهيدة[٩].

---

(١) وهو الابن الثالث لأمير المؤمنين (عليه السلام) من الزهراء (عليها السلام)، وقد جاء في الروايات والأخبار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أمر بتسميته محسناً وهو حمل في بطن أُمّه. راجع: الكافي/ الكليني ٦: ١٨/ ٢. والخصال/ الصدوق: ٦٣٤. والإرشاد ١: ٣٥٥.
وذكره العامّة أيضاً وقالوا: انّه مات صغيراً. راجع: تاريخ الطبري ٥: ١٥٣. والكامل/ ابن الأثير ٣: ٣٩٧. وأنساب الأشراف/ البلاذري ٢: ٤١١. والإصابة ٣: ٤٧١. وميزان الاعتدال/ الذهبي ١: ١٣٩. ولسان الميزان/ ابن حجر ١: ٢٦٨.

(٢) تلخيص الشافي ٣: ١٥٦. وراجع أيضاً الاختصاص: ٨٥. وكتاب سليم: ٣٧. والهداية الكبرى/ الخصيبي: ١٧٩. وبحار الأنوار ٣٠: ٢٣٩ ـ ٢٤٠، و٤٣: ١٩٧/ ٢٩.

(٣) البدء والتاريخ/ المقدسي ٥: ٢٠. وشرح ابن أبي الحديد الحنفي المعتزلي ٢: ٦٠.

(٤) الزخم: الدفع الشديد.

(٥) المناقب ٣: ٣٥٨. وقنفذ هو ابن عمير التيمي، ذكره ابن الأثير وابن حجر وقالا: له صحبة، وولاه عمر مكّة ثمّ صرفه. راجع: أُسد الغابة ٤: ٢٠٨. والإصابة ٣: ٢٤١. والذي في المعارف المطبوع في دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٩ هـ ص٢١١: وأما محسن بن علي فهلك وهو صغير، وقد جاء في كثير من الروايات أنّه تعرّض للزهراء (عليها السلام) بالضرب عندما أحالت بين القوم وبين أمير المؤمنين (عليه السلام). راجع: الاحتجاج/ الطبرسي: ٨٣. وكتاب سُليم: ٣٨ و ٤٠. ودلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٤. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧٠ و ١٩٨/ ٢٩.

(٦) راجع: الاحتجاج/ الطبرسي: ٨٣. ودلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٤. وكتاب سُليم: ٤٠. ودعائم الإسلام ١: ٢٣٢. وبحار الأنوار ٤٢: ١٧٠/ ١١ و ١٩٨/ ٢٩.

(٧) الكافي ١: ٤٥٨/ ٢.

(٨) المزار/ المفيد: ١٥٦. والمقنعة/ المفيد: ٤٥٩. وبحار الأنوار ١٠٠: ١٩٧/ ١٤، و١٩٨/ ١٦.

(٩) التهذيب/ الطوسي ٦: ١٠/ ١٢. والبلد الأمين/ الكفعمي: ١٧٨.

ومما يدلّ على شيوع هذا الأمر وشهرته هو أن تناوله الشعراء مندّدين به مزرين على فاعله، وذلك منذ القرون الأُولى وإلى اليوم، قال السيد الحميري المتوفى ١٧٣ هـ:

ضربت واهتضمت من حقّها ... وأذيقت بعده طعم السَّلَع[١]

قطع الله يدي ضاربها ... ويد الراضي بذاك المتّبع[٢]

وقال القاضي النعمان المتوفى سنة ٣٦٣ هـ في أرجوزته المختارة:

حتى أتوا باب البتول فاطمهْ ... وهي لهم قالية مصارمهْ

فوقفت من دونه تعذلهم ... فكسر الباب لهم أوّلهم

فاقتحموا حجابها فأعولتْ ... فضربوها بينهم فأسقطتْ

إلى أن قال:

وقتلهم فاطمة الزهراءِ ... أضرم حرّ النار في أحشائي

لأنّ في المشهور عند الناسِ ... بأنَّها ماتت من النفاسِ[٣]

وقال علي بن المقرب الأحسائي المتوفّى سنة ٦٢٩ هـ:

يا ليت شعري فمن أنوح منهم ... ومن له ينهلّ فيض أدمعي

اللوصي حين في محرابه ... عمّم بالسيف ولمّا يركعِ

أم للبتول فاطم إذ منعت ... عن إرثها الحق بأمر مجمعِ

إلى أن قال:

ولم تزل مهضومة مظلومة ... بردّ دعواها ورضّ الأضلعِ[٤]

ونقل ذلك من غير طرق الشيعة، فعن محمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ، في ترجمة أحمد بن محمد السرى بن يحيى بن السري ابن أبى دارم، قال: كان مستقيم الأمر عامة دهره، ثمّ في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه أنّ عمر رفس فاطمة (عليها السلام) حتى أسقطت محسناً[٥].

(١) السَّلَع: شجر مرّ، ويقال: أمرّ من السَّلَع.

(٢) الصراط المستقيم ٣: ١٣.

(٣) الارجوزة المختارة: ٨٨/ ٩٢ . طبع سنة ١٩٧٠ م . معهد الدراسات الإسلامية . كندا.

(٤) إثبات الهداة/ الحر العاملي ٤: ١٤١٢. وأدب الطف ٤: ٣٢.

(٥) سير أعلام النبلاء/ الذهبي ١٥: ٥٧٨. وميزان الاعتدال/ الذهبي ١: ١٣٩/ ٥٥٢. ولسان الميزان/ ابن حجر ١: ٢٦٨/ ٨٢٤.

وعن إبراهيم بن سيار النظام، قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها[١]، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)[٢].

ونقل البغدادي والمقريزي عن النظام أنه قال: إنّ عمر ضرب فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنع ميراث العترة[٣].

الاعتراف بالهجوم:

إنّ التجاوز على حرمة بيت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإدخال الرجال فيه، وهتك حرمته المقدسة، قد صرّح به أبو بكر في لحظاته الأخيرة، وفي ذلك دلالة قاطعة على حدوث هذا الهجوم وما رافقه من أحداث أليمة، وعلى خطأ أبي بكر في الإيعاز إلى جنده بقيادة ابن الخطاب للقيام بذلك العمل المنافي لأبسط حقوق الزهراء، والمؤدي إلى غضب الله تعالى ورسوله الكريم وصالح المؤمنين.

عن عبدالرحمن بن عوف: أنّه سمع أبا بكر يقول في مرضه الذي توفي فيه: وددت أني لم أكن فتّشت بيت فاطمة وأدخلته الرجال، ولو كان أُغلق على حرب. وفي رواية: ليتني لم أكن كشفت بيت فاطمة عن شيء، وتركته ولو أُغلق على حرب[٤].

البيعة تأصيل للغدر وذريعة للظلم:

إنّ البيعة التي لأجلها كان الهجوم على دار الزهراء (عليها السلام) مغرس الإسلام ومهبط الوحي، هي مصداق للانقلاب والإحداث في الإسلام وتجسيد لنزعة الغدر والعدوان في هذه الأمّة، وهذا ما أعلم به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصيَّه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد روى الجوهري بالإسناد عن حبيب بن ثعلبة، قال: سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول: **«أما وربّ السماء والأرض - ثلاثاً - إنّه لعهد النبي الأمي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **إليّ: لتغدرنّ بك الأمّة من بعدي»**[٥].

---

(١) الوافي بالوفيات/ الصفدي ٦: ١٧.

(٢) الملل والنحل/ الشهرستاني ١: ٥٧.

(٣) الفرق بين الفرق/ البغدادي: ١٤٨، دار المعرفة. والخطط/ المقريزي ٢: ٣٤٦ - دار صادر.

(٤) المعجم الكبير/ الطبراني ١: ٦٢/ ٤٣. وتاريخ الطبري ٣: ٤٣٠ حوادث سنة (١٣ هـ). ومروج الذهب/ المسعودي ٢: ٣٠١. وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٣٧. والعقد الفريد ٥: ١٩. وكنز العمال ٥: ٦٣٢/ ١٤١١٣. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٦ - ٤٧، و ٦: ٥١. ومجمع الزوائد ٥: ٢٠٢. وميزان الاعتدال/ الذهبي ٣: ١٠٩/ ٥٧٦٣. ولسان الميزان ٤: ١٨٩/ ٥٠٢. ومسند فاطمة (عليها السلام)/ السيوطي: ١٧، ٣٤، ٣٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٥.

فالبيعة لا تمتلك أدنى المقومات الشرعية، ولم تتحصّن بأيّ سبب معقول أو منقول، بل كانت كما وصفها أبو بكر[١] وعمر[٢]: فلتةً وقى الله شرّها، والحقّ أنّ شرها كان مستطيراً، فهي حجر الزاوية لكلّ مظلمة حدثت في التاريخ، والذريعة لكلّ من ظلم أهل البيت (عليهم السلام) من طواغيت الأمّة وجبابرتها، ويتضح ذلك جلياً في كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر قبل حرب صفين حيث جاء فيه: فقد كنّا وأبوك نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا[٣] فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما عنده، وأتمّ وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجّته، وقبضه الله إليه، كان أبوك والفاروق أول من ابتزّه حقّه، وخالفه على أمره، على ذلك اتّفقا واتّسقا، ثم إنّهما دعواه إلى بيعتهما، فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم... فإن يكن ما نحن فيه صواباً، فأبوك أوله، وإن يكن جوراً، فأبوك أسّه، ونحن شركاؤه، فبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك، فاحتذينا بمثاله، وأقتدينا بفعاله[٤].

فالبيعة إذن كانت اتفاقاً سرياً، فعلى الرغم من أنهم كانوا يعرفون فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) وحقه لازماً عليهم، لكنهم اتفقوا واتسقوا على أن يبتزّوه حقه ويخالفوه على أمره.

روى الجوهري عن ابن عباس أن عمر قال له ليلة الجابية: إنّ أول من ريّثكم عن هذا الأمر أبو بكر، إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة. قال: قلت: لمَ ذاك يا أمير المؤمنين؟ ألم نُنِلهُم خيراً؟! قال: بلى، ولكنّهم لو فعلوا لكنتم عليهم جَحْفاً جَحْفاً[٥].

وذلك الاتفاق يهدف إلى إقصاء عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أداء دورهم الرسالي، وهضم حقوقهم، والاستيلاء على الملك، مهما كانت الوسائل، وحتى لو انتهت بقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) (وأرادا به العظيم)[٦] كما قتلوا سعد ابن عبادة، الذي ذهب إلى

---

(١) انساب الأشراف/ البلاذري ٢: ٢٦٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٧.

(٣) وكان عمر بن الخطاب يعلم أيضاً يقيناً بمقام علي (عليه السلام)، فقد روى الجوهري عن ابن عباس، قال: إنّ عمر يشهد أن عليّاً(عليه السلام) أولى الناس بالأمر بعد رسول الله. شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٧ و٦: ٥٠.

(٤) وقعة صفين/ نصر بن مزاحم: ١٢٠. وشرح ابن ابي الحديد ٣: ١٩٠. ومروج الذهب ٣: ١٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٨. وقوله: جحفاً جحفاً: أي فخراً وشرفاً.

(٦) وقد مرّ بك قول عمر له (عليه السلام): إذن والله نقتلك، وقول أبي بكر لعمر: إن أبوا فقاتلهم وكذا في شورى عثمان، هدّده عبدالرحمن بن عوف بالقتل إن لم يبايع.

الشام مهاجراً ومغاضباً لأصحاب السقيفة بعد أن هتف عمر أمام المهاجرين والأنصار: اقتلوه قتله الله، فإنه صاحب فتنة[1]، ثم بعث رجلاً إلى الشام، فرماه بسهم فقتله[2].

وما كان اهتمام عمر بانتزاع البيعة بشتى الوسائل، وإن أدى إلى القتل والتحريق، إلاّ إمضاءً لذلك الاتفاق وحرصاً على تحقيق كامل أهدافه.

عن ابن عباس، قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي (عليه السلام) حين قعد في بيته، وقال: ائتني به بأعنف العنف، فلمّا أتاه جرى بينهما كلام، فقال علي (عليه السلام): احلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلاّ ليؤمّرك غداً[3]. وفي رواية: أشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غداً[4].

ولهذا كشفت الزهراء (عليها السلام) عن موقفها من سلطة السقيفة أمام الملأ حينما توفّرت لها فرصة المطالبة بحقوقها المالية المترتبة لها من الموروث النبوي، وسنأتي على بيانه في المبحث الثاني.

منع الحقوق المالية للزهراء (ع)

أولاً: اغتصاب نحلة الزهراء (ع):

ثم كان بعد انتهاك حرمة بيت الزهراء (عليها السلام) وإيذائها، والاعتداء على وصيّ المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) أمير المؤمنين (عليه السلام)، أن وضعت السلطة يدها على نحلة الزهراء في فدك، لتصبح من مصادر بيت المال وموارد ثروة الدولة، أو طعمةً لمن ولي الأمر بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفدك قرية بناحية الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، فيها عين فوّارة ونخل كثير، قد غرس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعضه بيده، وهي أرض كانت لليهود، فأفاءها الله على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلحاً سنة ٧ هـ، وذلك لمّا فرغ (صلى الله عليه وآله وسلم) من فتح خيبر، قذف الله تعالى الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فصالحوه على النصف، وروى أنهم صالحوه عليها كلها، فكانت خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنّه لم يوجف عليها المسلمون بخيلٍ ولا ركاب[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٠٦. وأنساب الأشراف ٢: ٢٦٣.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٣.

(٣) أنساب الأشراف ٢: ٢٦٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١١.

(٥) راجع: تاريخ الطبري ٣: ١٥. والكامل في التاريخ/ ابن الأثير ٢: ٢٢١. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٠. وسنن أبي داود ٣: ١٤٣/ ٢٩٧١ ـ باب في صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأموال. وفتوح البلدان/ البلاذري: ٤٢. ومعجم البلدان/ ياقوت ـ فدك ـ ٤: ٢٧١.

أدلّة النحلة:

١ - ثبت من طرق الشيعة والعامّة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد منح فدك إلى ابنته الزهراء (عليها السلام) في حياته (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد روى عن على أمير المؤمنين (عليه السلام) وابن عباس وأبى سعيد الخدري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[1] أنهم قالوا: لمّا نزلت هذه الآية، دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة (عليها السلام) فأعطاها فدك[2].

وروي ذلك عن الإمام على بن الحسين زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام)[3].

٢ - وممّا يدلُّ على أنّ فدك كانت بأيدى أهل البيت (عليهم السلام) ما جاء في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف، وكان عامله على البصرة، قال (عليه السلام): «**بلى كانت في أيدينا فدك، من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانّها في غدِ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها ...**»[4].

٣ - وممّا يدلّ على ذلك قول الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أعطاها فدك مع شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأُمّ أيمن لها (عليها السلام)، وذلك بعد أن وضعت السلطة يدها على الأرض، وأخرجت وكيلها منها، ومطالبة الزهراء (عليها السلام) بالنحلة وشهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) لها، أمرٌ متواتر يعرفه الخاص والعام، سنأتي على بيانه لاحقاً.

---

(١) سورة الإسراء ١٧/ ٢٦.

(٢) الدر المنثور/ السيوطي ٥: ٢٧٢. وشواهد التنزيل/ الحسكاني ١: ٣٣٨/ ٤٦٧ - ٤٧٣. ومجمع الزوائد/ الهيثمي ٧: ٤٩ - عن الطبراني. وكنز العمال ٣: ٧٦٧/ ٨٦٩٦. وميزان الاعتدال ٣: ١٣٥/ ٥٨٧٢. ومقتل الحسين (عليه السلام)/ الخوارزمي ١: ٧١. ولسان العرب/ ابن منظور - فدك - ١٠: ٤٧٣ عن علي (عليه السلام) دون ذكر الآية. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٦٨ و ٢٧٥. وكشف الغمة/ الاربلي: ٤٧٦. ومجمع البيان/ الطبرسي ٦: ٦٣٤. وتفسير فرات الكوفي: ٣٢٢/ ٤٣٧. وتفسير العياشي ٢: ٢٨٧/ ٥٠. والشافي/ المرتضى ٤: ٩٠ و ٩٨. وتلخيص الشافي/ الطوسي ٣: ١٢١.

(٣) الكافي/ الكليني ١: ٥٤٣/ ٥. وعيون أخبار الرضا (عليه السلام)/ الصدوق ١: ٢٣٢/ ١. وتفسير فرات الكوفي: ٢٣٩/ ٣٢٢ و ٣٢٣/ ٤٣٩ و ٤٤٠. وتفسير العياشي ٢: ٢٨٧/ ٤٦ - ٤٩. وتفسير القمي ٢: ١٨. والأحتجاج/ الطبرسي ١: ٩٠ - ٩١. والاختصاص/ المفيد: ١٨٤. والمناقب/ ابن شهر آشوب ١: ١٤٢. وسعد السعود/ ابن طاووس: ١٠١ - ١٠٢. والخرائج والجرائح/ القطب الراوندي ١: ١١٢/ ١٨٧. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٤٧٦. والتبيان/ الطوسي ٦: ٤٦٨ و ٨: ٢٥٣. ومجمع البيان/ الطبرسي ٨: ٤٧٨ عن سورة الروم آية (٣٨). وإعلام الورى/ الطبرسي: ١: ٢٠٩.

(٤) نهج البلاغة/ صبحي الصالح: ٤١٧/ الكتاب ٤٥. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٨.

٤ ـ ومما يدلّ على أنّ ذلك كان أمراً معروفاً شائعاً، هو موقف عمر بن عبدالعزيز والمأمون في ردّهما فدك على ولد الزهراء (عليها السلام) لّما تبيّن لهما أنّ الحقّ كان معها (عليها السلام) وأنّها (عليها السلام) كانت صادقة في دعواها.

أمّا عمر بن عبدالعزيز، فقد كتب إلى عامله على المدينة أبى بكر بن عمرو بن حزم: إذا ورد عليك كتابى هذا، فاقسمها في ولد على من فاطمة (عليهما السلام) والسلام. فنقمت بنو أُمية على عمر بن عبدالعزيز عمله هذا وعاتبوه فيه، فقال لهم: انكم جهلتم وعلمتُ، ونسيتم وذكرتُ، إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: **«فاطمة بضعة مني، يسخطني ما اسخطها، ويرضيني ما أرضاها»** قالوا: فأن أبيت إلاّ هذا فأمسك الأصل، وأقسم الغلّة، ففعل[1].

وفي رواية الجوهري أنّه قال لهم: قد صحّ عندي وعندكم أنّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أدعت فدك، وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع شهادة على (عليه السلام) وأُمّ أيمن وأُمّ سلمة، وفاطمة عندى صادقة فيما تدّعى وإن لم تقم البيّنة، وهى سيدة نساء أهل الجنة، فأنا اليوم أردّها على ورثتها... ولو كنت بدل أبى بكر وادّعت فاطمة كنت أصدّقها على دعواتها. فسلّمها إلى محمد بن على الباقر (عليه السلام) وعبد الله بن الحسن[2].

أما المأمون فقد جلس مجلساً مشهوراً ونصب فيه وكيلاً لفاطمة (عليها السلام) وآخر لأبى بكر، وجلس هو لسماع المناظرة والقضاء، وحكم بردّ فدك إلى أولاد فاطمة (عليها السلام) بعد قيام الحجة ووضوح الأمر[3].

وكتب كتاباً في الثانى من ذى القعدة سنة ٢١٠ هـ إلى عامله على المدينة قثم بن جعفر أمره فيه بتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين (عليه السلام)، ومحمد بن عبدالله بن الحسين بن على بن الحسين (عليه السلام)، ومما جاء في الكتاب: قد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدك وتصدّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)... فرأى أمير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها ويسلّمها إليهم، تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقّه، وإلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتنفيذ أمره وصدقته[4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٨. وتلخيص الشافي/ الطوسي ٣: ١٢٨.

(٢) السقيفة وفدك/ الجوهري: ١٤٦. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٤٩٥.

(٣) الشافي/ المرتضى ٤: ١٠٢. وتلخيص الشافي/ الطوسي ٣: ١٢٧. والسقيفة وفدك/ الجوهري: ١٠٤. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٧. والطرائف/ ابن طاووس: ٢٤٨.

(٤) فتوح البلدان/ البلاذري: ٤٦. ومعجم البلدان/ ياقوت. فدك. ٤: ٢٧٢. والشافي/ المرتضى ٤: ١٠٢.

مطالبة الزهراء (ع) بالنحلة وموقف السلطة:

لما انتزعت السلطة حقّ الزهراء (عليها السلام) في فدك ظلماً وأخرجت وكيلها منها قهراً[١]، اندفعت مَن يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، للمطالبة بحقها، وقد ذكر كثير من المؤرخين أنّ فاطمة (عليها السلام) صرّحت بوجه أبي بكر بأنّ فدكَ ملك لها، فردّ أبو بكر قولها، وطلب منها البينة!!، فأتت بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأمّ أيمن فشهدا لها، واعتبر شهادتهما غير كافية فقال: قد علمت أنّه لا يجوز إلاّ شهادة رجلين أو رجل وامرأتين[٢].

وعن هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه، أنّ أبا بكر قال لفاطمة (عليها السلام): إنّ هذا المال لم يكن لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين، يحمل به الرجال، وينفقه في سبيل الله[٣]، فأنكر كون فدك خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما قدمناه.

وروى من عدّة طرق أنّ أبا بكر أذعن أولاً لحقّ الزهراء (عليها السلام) في فدك بعد سماعه الشهود، وقال لفاطمة (عليها السلام): ما كنت لتقولين على أبيك إلاّ الحقّ، فكتب لها فيها، فخرجت فلقيت عمر، فأخذ الكتاب وجاء إلى أبي بكر فقال: أعطيت فاطمة فدك وكتبت لها!؟ قال: نعم. قال عمر: علي يجرُّ إلى نفسه، وأُمّ أيمن امرأة، فمزّق عمر الكتاب بعد أن بصق فيه ومحاه. فدعت فاطمة (عليها السلام) وقالت: «بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي»[٤].

وفي رواية سبط ابن الجوزي: أن عمر قال لأبي بكر: ممّاذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى[٥]؟

ولا تعارض بين هذه الرواية وبين ما تقدم من أنّ أبا بكر منع الزهراء (عليها السلام) وطلب منها إكمال البيّنة، ذلك لأنّه كتب لفاطمة (عليها السلام) بفدك وعمر غير حاضر، فلمّا حضر عمر وطعن بالشهود، طالبها أبو بكر بالشاهد الآخر.

---

(١) راجع: الكافي/ الكليني ١: ٥٤٣/ ٥. وعلل الشرائع/ الصدوق: ١٩١/ ١ ـ باب (١٥١). والاختصاص: ١٨٣.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢. ومعجم البلدان/ ياقوت ـ فدك ـ ٤: ٢٧٢. والصواعق المحرقة/ الهيتمي: ٣٧ ـ الشبهة السابعة. وسنن النسائي ٢: ١٧٩. وفتوح البلدان/ البلاذري: ٤٤. وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٩٩. والملل والنحل/ الشهرستاني ١: ١٧ ـ المقدمة الرابعة. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٠. وكشف الغمة ١: ٤٧٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤ و ٢٢٥.

(٤) راجع: شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٤ و ٢٧٤. وتفسير القمي ٢: ١٥٥ و ٣٢٦. وتفسير العياشي ٢: ٢٨٧/ ٤٩. والكافي/ الكليني ١: ٥٤٣/ ٥. والشافي/ المرتضى ٤: ٩٧. وتلخيص الشافي ٣: ١٢٤ ـ ١٢٥. والاحتجاج/ الطبرسي: ٩١. والاختصاص/ المفيد: ١٨٥. وأعلام النساء/ كحالة ٤: ١١٨. والتتمة في تواريخ الأئمة (عليهم السلام)/ تاج الدين العاملي: ٤٣.

(٥) السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢، المكتبة الإسلامية ـ بيروت.

كما أنّ هذه الرواية لا تعارض خبر أبى بكر في أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يورث، لأنّه كتب لفاطمة (عليها السلام) بفدك عندما طالبت بالنحلة لا بالميراث، فلمّا طالبت بالميراث روى الخبر القاضى بمنع الميراث على ما سيأتى بيانه.

ولم يكتفِ عمر بالطعن في شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأُمّ أيمن في ردّه لدعوى الزهراء (عليها السلام)، بل إنّه زعم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقسمها، فقد روى الثقفى بإسناده عن ابن عائشة، قال: حدثنى أبى، عن عمّه، قال: قالت فاطمة (عليها السلام) لأبى بكر: إنّ فدك وهبها لى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: فمن يشهد بذلك؟ فجاء على بن أبى طالب (عليه السلام) فشهد، وجاءت أُمّ أيمن فشهدت أيضاً، فجاء عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف، فشهدا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقسمها.

فقال أبو بكر: صدقت يا ابنة رسول الله، وصدق على، وصدقت أُمّ أيمن، وصدق عمر، وصدق عبدالرحمن بن عوف! وذلك أنّ مالك لأبيك، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقى، ويحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين بها؟ قالت: «**أصنع بها كما يصنع بها أبى**». قال: فلك علىَّ أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك. قالت: «**الله لتفعلنّ؟**». قال: الله لأفعلنّ. قالت: «**اللهمَّ اشهد**»[1].

وهكذا صدّق جميع الشهود مع تباين الشهادتين، وهو شىء عجيب!!، في محاولة لا تخلو من المناورة السياسية، ورجّح جانب عمر بن الخطاب، ذلك لأنّه لم يفِ للزهراء (عليها السلام) بشىءٍ ممّا قاله، ولو كان فعل لما سخطت عليه حتى أنّها أوصت أن لا يحضر جنازتها ولا يصلى عليها، وقد ارتحلت (عليها السلام) إلى جوار ربّها العزيز وهى غاضبة عليه وعلى صاحبه.

نحلة الزهراء (ع) في الميزان:

هناك عدة شواهد تدلُّ على مظلومية الزهراء (عليها السلام) في هذه المسألة وجور الحاكم وتماديه في ظلمها واغتصاب حقها، وقد كان اللازم على سائر المسلمين أن يقفوا بوجه الظلم، ولا يدعو ابنة نبيّهم تضطر للخروج أمام الصحابة للمطالبة بحقّها، مما جرّ هذا الاغتصاب وظلم آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى متابعة هضم حقوقهم من لدن السياسات المتعاقبة في الإسلام.

وسوف نقتصر على جملة من الشواهد الدالة على مظلومية الزهراء (عليها السلام) في شأن فدك:

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦.

١ - بالرغم من أن فَدَكَ كانت في حيازة الزهراء (عليها السلام) وهي صاحبة اليد عليها، فقد استولت السلطة عليها وأخرجت وكيلها وعمّالها منها ظلماً[١].

٢ - لقد شهد الله تعالى للزهراء (عليها السلام) بإذهاب الرجس عنها، والطهارة من الدنس، وقامت الدلالة على أنّها كانت صدّيقة ومعصومة من الغلط، ومأموناً منها فعل القبيح، ومن كانت هذه صفته لا يحتاج إلى بيّنة فيما يدعيه.

هذا مع أنّ أبا بكر كان يعلم أنّ لسانها يتجافى عن قول الباطل، فقد شهد لها بالصدق[٢]، وأنّها لا تقول على أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ الحقّ[٣] والمسلمون جميعاً يشهدون بذلك، لكن أبا بكر بقي مصرّاً على مطالبة الزهراء (عليها السلام) بالشهود حتى بعد أن احتجّ عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بمحضر المهاجرين والأنصار وأكّد له أنّ الله تعالى شهد لفاطمة (عليها السلام) بالطهارة، وأن ردّ شهادتها ردّ على الله[٤]، ولا يخلو ذلك من العنت والعدول عن جادة الصواب.

٣ - لقد ثبت أنّ أبا بكر كان قد أعطى بعض الصحابة بمجرد الدعوى بالدَّين أو العِدَة، دون أن يطلب منهم البيّنة، ومن ذلك ما رواه البخاري في كتاب الشهادات، بالإسناد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: لمّا مات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء أبا بكر مالٌ من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دَين، أو كانت له قبله عِدَةٌ فليأتنا.

قال جابر: فقلت: وعدني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، فبسط يديه ثلاث مرات. قال جابر: فعدّ في يدي خمسمائة، ثمّ خمسمائة، ثمّ خمسمائة[٥].

وروى ابن سعد في (الطبقات) عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت منادي أبي بكر ينادي بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين: من كانت له عِدة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فليأتِ، فيأتيه رجال فيعطيهم، فجاء أبو بشير المازني. فقال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا أبا بشير، إذا جاءنا شيءٌ فأتنا، فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثاً، فوجدها ألفاً وأربعمائة درهم[٦].

---

(١) راجع: الكافي/ الكليني ١: ٥٤٣/ ٥. وعلل الشرائع: ١٩١/ ١ - باب (١٥١). والاختصاص: ١٨٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٤. وتلخيص الشافي ٣: ١٢٤.

(٤) علل الشرائع: ١٩١/ ١ - باب (١٥١). وتفسير القمي ٢: ١٥٦. وكتاب سُليم: ١٠٠. والاحتجاج/ الطبرسي: ٩٢.

(٥) صحيح البخاري ٤: ١٤/ ٤٦ - باب من أقام البينة بعد اليمين. وسنن البيهقي ٦: ٣٠٢.

(٦) الطبقات الكبرى ٢: ٣١٨. وكنز العمال ٥: ٦٢٦/ ١٤١٠٢.

فلماذا إذن يطلب البينة من ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيدة نساء أهل الجنة، بل ويردّ دعواها مع قيام البيّنة على أنّ أباها (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أعطاها فدك خلال حياته، وليس هى من قبيل العِدَة التى لا يلزم أداؤها؟ ولماذا يصدّق جابر بن عبدالله وأبا بشير المازنى في دعواهما دون أن يقدّما شاهداً واحداً يثبت صحة مدّعاهما؟ وهل إنّ جابراً وأبا بشير أتقى وأبرّ وأصدق في دعواهما من الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) أم هى السياسة التى تجعل الحقّ باطلاً والباطل حقاً.

٤ ـ لو سلّمنا أنّ الزهراء (عليها السلام) تحتاج كسائر المؤمنات الصالحات إلى بينة في إثبات دعواها، فقد شهد لها أمير المؤمنين (عليه السلام) وحسبها أخو النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيّه وصدّيق الأمّة الأكبر[1] وصالح المؤمنين[2] ومن قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«عليٌ مع الحقّ والحقُ مع علي، يدور معه حيثما دار»**[3].

فكيف نردّ شهادته مع قيام البينة على عصمته عن الذنب وطهارته من الرجس؟

وشهدت لها مع أمير المؤمنين (عليه السلام) أُمّ أيمن، وهى حاضنة رسول الله ومولاته، وقد شهد لها بالجنة[4]، وقال فيها: **«أمّ ايمن أمّى بعد أمّى»**[5] وردّ شهادتها أيضاً، فإذا كان مثل هؤلاء يجوز ردّ شهادتهم فعلى الإسلام السلام.

٥ ـ لو سلّمنا أنّ شهادة على (عليه السلام) كشهادة رجل واحد من عدول المؤمنين، وأنّ أبا بكر وجد نقصاً في البينة، فلم يتيقّن له الحقّ، فهلاّ استحلف فاطمة (عليها السلام) ليكمل النصاب باليمين مع الشاهد، كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مثل هذه المسائل[6]، بدلاً من أن يردّ دعواها ملغياً شهادة على (عليه السلام) وأمُ أيمن.

وخلاصة القول: لقد أُخذت فدك من أهل البيت قسراً وعنوة وظلماً وجوراً، ودليل ذلك فضلاً عما قدمناه، ما جاء في شرح كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الذى ذكرناه آنفاً، قال (عليه السلام): **«فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين»**.

قال ابن أبى الحديد في شرحه: فشحّت، أي بخلت، وسخت: أي سامحت وأغضت، وليس يعني هاهنا بالسخاء إلاّ هذا، لا السخاءَ الحقيقي، لأنّه (عليه السلام) وأهله لم

---

(١) راجع: سنن ابن ماجة ١: ٤٤. والاستيعاب ٤: ١٧٠. وأُسد الغابة ٥: ٢٨٧. وفضائل الصحابة/ ابن حنبل ٢: ٥٨٦/ ٩٩٣. والرياض النضرة ٣: ١٠٦ و ١١٠. وخصائص النسائي: ٦/ ٦٣.

(٢) راجع: الدر المنثور/ السيوطي ٨: ٢٢٤. وتفسير القرطبي ١٨: ١٨٩.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٣٣/ ٣٧١٤. ومستدرك الحاكم ٣: ١٢٤. وتاريخ بغداد ١٤: ٣٢١.

(٤) كنز العمال ١٢: ١٤٦/ ٣٤٤١٦.

(٥) كنز العمال ١٢: ١٤٦/ ٣٤٤١٧.

(٦) راجع: مجمع الزوائد ٤: ٢٠٢. وكنز العمال ٥: ح ١٤٤٩٨، و٧: ح ١٧٧٥٣.

يسمحوا بفدك إلاّ غصباً وقسراً، ثم قال (عليه السلام): **«ونعم الحكم الله»** الحكم: الحاكم، وهذا الكلام كلام شاكٍ متظلّم[1].

ويدلّ على ذلك أيضاً كلامه (عليه السلام) وهو ينفض غبار قبرها (عليها السلام) كالمناجي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«وستنبئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذكر»**[2].

ولو كان أبو بكر قد استولى على فدك عن حسن نية أو على اشتباه عرض له، لكانت فاطمة(عليها السلام) قد أقنعته بالحجة والدليل، ولما غضبت عليه وقاطعته حتى لقيت ربها، وأوصت أن لا يحضر جنازتها ولا يصلى عليها، وفي هذا دليل واضح على اعتقاد بضعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) واعتقاد عليّ المرتضى (عليه السلام) بأنّهم لم يشتبهوا بفدك قطّ، وإنّما سوّلت لهم أنفسهم أمراً، والله المستعان على ما يصفون.

أخيراً إنّ فاطمة (عليها السلام) لو أتت بقسامة من الشهود لردّ دعواها وعارضها بعشرات الشهود، كما عارض شهادة علي (عليه السلام) وأُمّ أيمن بشهادة عمر وعبدالرحمن بن عوف، وعارض دعواها بالإرث بحديث (لا نورث) وأشهد عليه عمر بن الخطاب وأوس بن الحدثان وعائشة وحفصة[3]، ذلك لأنّ السلطة كانت مصرّة على انتزاع كامل حقوق عترة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهداف تبتغيها سنأتي على بيانها لاحقاً.

أخرج الهيثمي عن الطبراني في (الأوسط)، عن عمر بن الخطاب، قال: لمّا قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) جئت أنا وأبو بكر إلى علي (عليه السلام) فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: **«نحن أحقّ الناس برسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)**»**. قال: فقلت: والذي بخيبر؟ قال: **«والذي بخيبر»**. قلت: والذي بفدك؟ قال: **«والذي بفدك»**. فقلت: أما والله حتى تحزّوا رقابنا بالمناشير فلا[4].

وهذا في الواقع من جملة الأسباب التي أدّت بالحزب السياسي القرشي إلى تخوّفه من وصول الوصيّ إلى الخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحاولوا إبعاده وإضعافه بكلّ وسيلة ومنها فدك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٨.

(٢) نهج البلاغة/ صبحي الصالح - الخطبة (٢٠٢). والكافي/ الكليني ١: ٤٥٩. وشرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٦٥.

(٣) قرب الإسناد/ الحميري: ٩٩٠/ ٣٣٥. وتفسير القمي ٢: ١٥٦. والاختصاص/ المفيد: ١٨٣. وبحار الأنوار ٢٩: ١٥٦/ ٣١.

(٤) مجمع الزوائد ٩: ٣٩.

ثانياً: حرمان الزهراء (ع) من الإرث:

لما دفعت الزهراء (عليها السلام) عن نيل حقّها في أرضها بفدك، طالبت بها عن طريق الإرث، فكان ميراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من موارد النزاع بينها وبين أبي بكر، فقد ذكرت كتب التاريخ والسيرة أنّ فاطمة (عليها السلام) أتت أبا بكر تطالبه بحقها من ميراث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فاعتذر إليها زاعماً بأنه سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وأبى أن يدفع لها شيئاً.

روى البخاري ومسلم وغيرهما بالإسناد عن عروة بن الزبير، عن عائشة، أنها أخبرته: أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسلت إلى أبي بكر، تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: **«لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم) **في هذا المال»**. وإنّي والله لا أُغيِّرُ شيئاً من صدقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن حالها التي كانت عليها، في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً. فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك.

قال: فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ستة أشهر، فلمّا توفيت دفنها زوجها عليٌّ بن أبي طالب ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها علي[1].

فسمّى تركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صدقةً، وإذا كانت فدك وخيبر وفي المدينة صدقة منذ زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فليس ثمة محلّ لروايته أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لايورث، إذ لا ميراث حتى يحتاج إلى رواية مثل هذا الخبر.

أما قوله: (لأعملنّ فيها بما عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) فيريد به أنه سيجعلها لشؤونه الشخصيّة وحوائجه الخاصة، يدلّ على ذلك حديث عائشة المروي في الصحاح، قالت: أمّا صدقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة، فدفعها عمر إلى علي والعباس، وأمّا خيبر وفدك، فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله (صلى الله

(١) صحيح البخاري ٥: ٢٨٨/ ٢٥٦ - كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٠/ ١٧٥٩ - كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا نورث». وسنن أبي داود ٣: ١٤٢/ ٢٩٦٨ - باب صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

عليه وآله وسلم) كانتا لحقوقه التى تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولى الأمر بعده، فهما على ذلك إلى اليوم»[1].

ويدلّ عليه ما رواه أبو داود عن أبى الطفيل، قال: جاءت فاطمة (عليها السلام) إلى أبى بكر تطلب ميراثها من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه، فهى للذى يقوم من بعده[2].

وفي حديث أُمّ هانىء: أنّ أبا بكر قال لفاطمة (عليها السلام): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إنّما هى طعمة أطعمنيها الله حياتى، فإذا متُّ فهى بين المسلمين[3].

بقى أنّ حديث البخارى المتقدم يذكر أنّ الزهراء (عليها السلام) قد ودّعت الدنيا وهى ساخطة على أبى بكر، ومعلوم أنّ فعل الزهراء (عليها السلام) وقولها لا يتجافى عن الحقّ، لأنّ الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، ولم تغضب فاطمة (عليها السلام) على أبى بكر بمجرد سماعها حديثه، بل سخطت عليه بعد نزاع واحتجاج طويلين[4]، حيث عارضت حديثه بالآيات العامة المشرّعة للتوارث بين المسلمين بما فيهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثمّ ذكرت الآيات الدالة على توريث الأنبياء، كعيسى وداود وزكريا (عليهم السلام)، وسيأتى ذلك في المبحث الثانى عند ذكر خطبتها (عليها السلام).

حجيّة حديث لا نورث:

الملاحظ أنّ حديث عدم توريث الأنبياء الذى زعمه أبو بكر لا حجيّة له وأنّه مردود من عدة وجوه:

الأول: الحديث مخالف لصريح القرآن الكريم، الذى نصّ على توريث الأنبياء (عليهم السلام) لعموم قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ

---

(١) صحيح البخاري ٦: ١٧٨/ ٢ ـ كتاب الخمس. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٢/ ٥٤ ـ كتاب الجهاد والسير. وسنن أبي داود ٣: ١٤٣/ ٢٩٧٠ ـ باب في صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأموال. وسنن البيهقي ٦: ٣٠١. ومسند أحمد ١: ٦.

(٢) سنن أبي داود ٣: ١٤٤/ ٢٩٧٣ ـ باب في صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأموال. والرياض النضرة/ المحب الطبري ١: ١٩١. وسنن البيهقي ٦: ٣٠٢. ومسند فاطمة (عليها السلام)/ السيوطي: ١٥. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩.

(٣) فتوح البلدان/ البلاذري: ٤٥. ومسند فاطمة (عليها السلام)/ السيوطي: ١٣. ونحوه في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٢. والسقيفة وفدك/ الجوهري: ١١٧ عن مولى أُمّ هانيء.

(٤) راجع طرفاً من احتجاجاتها ومطالبتها (عليها السلام) بالإرث في كشف الغمة/ الأربلي ١: ٤٧٨. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩. وفتوح البلدان/ البلاذري: ٤٤.

﴿وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[1] وغيرها من آيات المواريث المطلقة[2] التي تشمل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فمن دونه من سائر البشر.

ونصّ القرآن الكريم على خصوص توريث الأنبياء بقوله تعالى حكاية عن زكريا (عليه السلام): ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3] ولا ريب أنّ الميراث في الاستخدام اللغوي يطلق على ما يصحّ أن ينتقل من الموروث إلى الوارث على الحقيقة كالأموال وما يجري مجراها، ولا يستعمل في غيرها إلاّ مجازاً وتوسعاً، وليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام بغير قرينة قطعية ودلالة واضحة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[4] وهي ظاهرة في الدلالة على المراد، إذ إنّ إطلاق لفظ الميراث يقتضي أن يراد منه الأموال وما في معناها.

وسيأتي في خطبة الزهراء (عليها السلام) أنّها احتجت على أبي بكر بهذه الآيات التي لا تردّ ولا تكابر، وكذلك احتجّ بها أمير المؤمنين (عليه السلام) لكن أبا بكر أبى إلاّ اللجاج والعناد والمكابرة وعدم الإنصات لصوت الحقّ والعدل.

أخرج السيوطي عن ابن سعد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «**جاءت فاطمة** (عليها السلام) **إلى ابي بكر تطلب ميراثها وجاء العباس بن عبدالمطلب يطلب ميراثه، وجاء معهما علي** (عليه السلام)، **فقال أبو بكر: قال رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم): **«لا نورث ما تركنا صدقة» وما كان النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **يعول فعليّ. فقال علي** (عليه السلام): ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[5] **وقال زكريا:** ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[6] **فقال ابو بكر: هو هكذا، وانت والله تعلم مثل ما أعلم. فقال علي** (عليه السلام): **«هذا كتاب الله ينطق! » فسكتوا وانصرفوا»**[7].

الثاني: أنّه على تقدير صحته وعدم اختلاقه، فهو من أخبار الآحاد، فلا يجوز الأخذ بعموم ظاهره لمخالفته للكتاب الكريم، وحاشا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقول بما يخالف كلام الله عزَّ وجلّ.

هذا زيادة على رفض باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيدة نساء العالمين (عليها السلام) لما زعمه أبو بكر، ولو كان صادقاً بزعمه، لكانا (عليهما السلام) أولى الخلق بحقيقة ذلك الحديث، مما يكشف عن اختلاقه ووضعه.

---

(١) سورة النساء: ٤/ ٧.

(٢) راجع: سورة النساء: ٤/ ١١. وسورة الأنفال: ٧/ ٧٥.

(٣) سورة مريم: ١٩/ ٥. ٦.

(٤) سورة النمل: ٢٧/ ١٦.

(٥) سورة النمل: ٢٧/ ١٦.

(٦) سورة مريم: ١٩/ ٦.

(٧) مسند فاطمة (عليها السلام)/ السيوطي: ١٧.

ولكن أنصاره حاولوا الكذب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فنسبوه إلى آخرين أيضاً، مع أنّ الثابت هو اختصاص أبي بكر به وتفرّده بنقله.

قالت عائشة: إنّ الناس اختلفوا في ميراث رسول الله، فما وجدوا عند أحدٍ من ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة[١].

قال ابن أبي الحديد: إنّ أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلاّ أبو بكر وحده، ذكر ذلك معظم المحدثين، حتى إنّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد. وقال شيخنا أبو علي: لا تقبل في الرواية إلاّ رواية اثنين كالشهادة[٢].

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه: إنّ الخبر على كلّ حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم، وهو في حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرى، لأنّ المعلوم لا يُخَصّ إلاّ بمعلوم، وإذا كانت دلالة الظاهر معلومة لم يجز أن يرجع عنها بأمر مظنون[٣].

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: إنّ هذا الخبر خبر واحد، لم يروه إلاّ أبو بكر، وخبر الواحد لا يجوز قبوله عندنا في موضع من المواضع، ولو قبلناه لما قبلناه في تخصيص القرآن وترك عمومه[٤].

ولا ندري كيف تُقبل رواية الخصم متفرداً بحديث يناقض كتاب الله ويعارض النقل، ولا تقبل شهادة فاطمة (عليها السلام) التي توافق الكتاب الكريم ولا تعارض النقل. وهي الصديقة المطهّرة من الرجس؟! إلاّ أن يكون الخصم هو الحاكم، وللحاكم أن يحكم بما يشاء، والحقّ معه على أيّ حال.

الثالث: والذي يدلّ على ما تقدّم في الوجه الثاني أيضاً، وهو يفضي إلى نتيجة واحدة هي بطلان الحديث، أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) والعباس عمّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأُمّهات المؤمنين لم يسمعوا بهذا الحديث، حيث طالبوا بالإرث حتى بعد وفاة أبي بكر ووفاة الزهراء (عليها السلام).

فقد روي أنّ العباس رضي الله عنه وعلياً (عليه السلام) جاءا عمر بن الخطاب يطلبان ميراثهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٥]، وأنّ أزواج النبي (صلى الله عليه وآله

---

(١) الصواعق المحرقة: ٣٤، كنز العمال ٧: ٢٢٦ و٢٣٥ و٢٣٦ و٢٣٧، ١١: ٤٧٥ و٤٧٩، ١٢: ٤٨٨، منتخب كنز العمال ٤: ٣٦٤.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٧.
(٣) الشافي/ المرتضى ٤: ٦٦.
(٤) تلخيص الشافي ٢: ١٢٧ - ١٢٨.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٩.

وسلم) أرسلن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألن ميراثهن من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وردّتهن عائشة[1].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام)، قال: «**جاءت عائشة إلى عثمان فقالت: أعطني ميراثي من رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم). **فقال لها: أولم تجيئي ومالك بن أوس النصري، فشهدتما أنّ رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **لا يورث. حتى منعتما فاطمة ميراثها، وأبطلتما حقّها، فكيف تطلبين اليوم ميراثاً من النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! **فتركته وانصرفت، وكان عثمان إذا خرج إلى الصلاة، أخذت عائشة قميص رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **ثمّ قالت: إنّ عثمان قد خالف صاحب هذا القميص وترك سنّته**»[2].

فهل يصح مع ذلك ما روى من أن عمر بن الخطاب ناشد علياً (عليه السلام) والعباس رضى الله عنه: هل تعلمان ذلك؟ ـ أى حديث منع الإرث ـ فقالا: قد قال ذلك[3]، فإذا كانا يعلمانه، فكيف جاء العباس وفاطمة (عليها السلام) إلى أبى بكر يطلبان الميراث[4]؟ وكيف جاء على (عليه السلام) والعباس إلى عمر بن الخطاب يطلبان الميراث؟

فهل يصح أن يقال: إنّهما كانا يعلمان الحديث، ثمّ جاءا يطلبان الإرث الذى لا يستحقانه؟ أو أن علياً (عليه السلام) كان يعلم ذلك ثمّ يمكّن فاطمة (عليها السلام) أن تخالف قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتطلب مالا تستحقه، وأن تخرج من دارها وتنازع أبا بكر، وتكلمه بما كلمته دفاعاً عن حقها؟ مع ما لعلى (عليه السلام) من الزهد والعصمة والطهارة والذوبان في ذات الله والحبّ الشديد لإجراء أحكامه وسُنّة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، إنّ أهل البيت (عليهم السلام) أورع وأبرّ وأتقى من أن يطلبوا دنيا فانية أو عرضاً زائلاً، خصوصاً وأن أمير المؤمنين قد ضرب أروع أمثلة الزهد في هذه الدنيا التى طلّقها ثلاثاً لا رجعة له فيها.

فهل يتصور عاقل بأنّه (عليه السلام) جاء ينازع المسلمين حقّهم وهو الذى عرف عنه تصلّبه في الحق إلى الدرجات القصوى حتى أن الحق لم يترك له صديقاً!!

---

(١) صحيح البخاري ٧: ٢٦٨/ ٧ كتاب الفرائض . باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): « لا نورث ». وسنن أبي داود ٣: ٤٥/ ٢٩٧٦ . كتاب الخراج والإمارة والفيء. وسنن البيهقي ٦: ٣٠١. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٣.

(٢) الأمالي/ المفيد: ١٢٥/ ٣. وكشف الغمة ١: ٤٧٩.

(٣) صحيح البخاري ٧: ٢٦٧/ ٥، كتاب الفرائض . باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا نورث». وسنن البيهقي ٦: ٢٩٩. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٢.

(٤) صحيح البخاري ٧: ٢٦٦/ ٣ كتاب الفرائض . باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا نورث». وسنن البيهقي ٦: ٣٠٠. ومسند أحمد ١: ١٠. وتاريخ الطبري ٣: ٢٠٨. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٦ و ١٦: ٢١٨. ومسند فاطمة (عليها السلام)/ السيوطي: ١٧.

وفي حديث مسلم عن مالك بن أوس بن الحدثان: أنّ عمر قال للعباس وعلي (عليه السلام) حينما جاءا يطلبان ميراثهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فرأيتماه - أي أبا بكر - كاذباً آثماً غادراً خائناً، ثمّ قال لمّا ذكر نفسه: فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً[1]. ورواه ابن أبي الحديد عن الجوهري بألفاظ أخرى[2].

فكيف يران هذا الرأي، ويحكمان هذا الحكم على أبي بكر وعمر في عملهما بأمر فدك وسائر إرث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهما يعلمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا نورث»؟! وعليه فلا تستقيم مطالبة الزهراء (عليها السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) بإرث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ لعلمهما بكذب الخبر المانع للإرث.

الرابع: لو صحّ صدور الحديث لوجب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبين لورثته أن تركته صدقة لكلّ المسلمين، وليس لهم حقّ المطالبة بالإرث بعده، لئلا يتعرضوا لمواضع التهمة في المطالبة بما لا يستحقونه، وليقطع دابر الفرقة والاختلاف.

وكيف يمكن أن نتصور أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشرّع حكماً يخالف نصوص القرآن الكريم ويخفيه عن جميع المسلمين حتى عن ألصق الناس به من ورثته الذين يتعلق بهم الحكم، ولا يبلغه إلاّ لأبي بكر وهو غير وارث؟ بل كيف يمكن أن نتصور أنّ أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) وباب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يجهل هذا الحكم، وهو أقضى الأمّة وأعلمها بالكتاب والسُنّة؟!

فهل يمكن أن يقال: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعلم أن ورثته سيقسمون تركته من بعده وفقاً لأحكام الشريعة؟ أو إنّه كان يعلم ذلك ولكن قصّر في تبليغ الأحكام والعياذ بالله؟! وتلك علامات استفهام جوابها أنّ الحديث موضوع على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الخامس: ولو صحّ حديث أبي بكر، لكان عليه أن يحرم جميع الورثة من أموال الرسول الخاصة به، لكنّه ترك أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجرهن من غير بينة ولا شهادة تدلّ على الهبة أو التمليك، ولم يُدخِل بيوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأثاثها في الأموال العامة، فهل الحكم بعدم التوريث مختصاً بالزهراء (عليها السلام)؟ أم هناك آية خصّت عائشة وحفصة وغيرهما وأخرجت بنت المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) من الإرث؟ وليس ثمة آية إلاّ السياسة التي تجعل الحقّ باطلاً والباطل حقاً.

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٣٧٩/ ٤٩، ورواه البخاري في الصحيح ٧: ٢٦٧/ ٥ وأبو داود في السنن ٣: ١٣٩، والبيهقي في السنن ٦: ٢٩٩ بدون ذكر الألفاظ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٢ و ٢٢٧ و ٢٢٩.

ولقد أوصى أبو بكر حينما حضرته الوفاة أن يُدفَن إلى جنب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي حجرته، واستأذن لذلك من عائشة، فلو كانت أمواله صدقه، فإنّ حجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأموال العامّة، وينبغي لأبي بكر أن يستأذن من جميع المسلمين في ذلك، فكأنه لم يصدق روايته.

وكان من استئثار عائشة ببيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير دفن أبي بكر وعمر في حجرته (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنّها منعت الإمام الحسين (عليه السلام) أن يدفن أخاه الحسن (عليه السلام) إلى جانب جدّه وركبت بغلة، وخرجت تنادي: لا تدفنوا في بيتي من لا أُحبّ، واصطفّ بنو هاشم وبنو أُميّة للحرب، ولكن الإمام الحسين (عليه السلام) قال لها: «**إنّه سيطوف بأخيه** (عليه السلام) **على قبر جده** (صلى الله عليه وآله وسلم) **ثمّ يدفنه في البقيع، ذلك لأنّ الإمام الحسن** (عليه السلام) **أوصاه أن لا يهرق من أجله ولو محجمةً من دم**».

فقال ابن عباس رضى الله عنه: واسوأتاه يوماً على بغل، ويوماً على جمل؟ وفي رواية: يوماً تجمّلت، ويوماً تبغّلت، وإن عشت تفيّلت.

فأخذه من الشعراء ابن الحجاج البغدادي مشيراً إلى استئثار عائشة بكل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون باقي نسائه، فقال:

لك التسع من الثمن	**وبالكلّ تملكتِ**
تجمّلتِ تبغّلتِ	**وإن شئت تفيّلتِ**[١]

وقال الصقر البصري:

ويوم الحسن الهادي	**على بغلك اسرعتِ**
ومايست ومانعتِ	**وخاصمتِ وقاتلتِ**
وفي بيت رسول الله	**بالظلم تحكّمتِ**
هل الزوجة أولى بالـ	**ـمواريث من البنتِ**
لك التسع من الثمن	**فبالكلّ تحكّمتِ**
تجمّلتِ تبغّلتِ	**ولو عشت تفيّلتِ**[٢]

السادس: لو صحّ الحديث لانصرفت الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) عن مطالبتها راضية مخبتة، لكن المحقّق أنّ الزهراء (عليها السلام) غضبت على أبي بكر وعمر وهجرتهما

---

(١) الخرائج والجرائح/ القطب الراوندي ١: ٢٤٣.

(٢) المناقب/ ابن شهرآشوب ٤: ٤٥.

بعد سماعها الحديث المفترى على أبيها العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وماتت وهي ساخطة عليهما[١]، وأوصت أن تدفن ليلاً، وأن لا يحضرا جنازتها، ولا يصليا عليها، وأن يعفى موضع قبرها، فدفنها علي (عليه السلام) ليلاً، وغيّب قبرها، ولم يعلم بها أحداً منهما[٢].

وروي أن علياً (عليه السلام) سوّى حول قبرها سبعة قبور مزوّرة، ورشّ أربعين قبراً كي لا يهتدوا إلى قبرها[٣]. وذلك تعبير واضح كالشمس عن مظلوميتها (عليها السلام) وأنّها مدفوعة عن حقّها مسلوبة نحلتها ظلماً وعدواناً.

ومثل هذا لا تفعله الزهراء (عليها السلام) بمن هو مصيب في قوله وفعله لأنّها (عليها السلام) لا تغضب لغير الحقّ، وأن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، فلا يصحّ أن يقال إنّ الزهراء (عليها السلام) غضبت لحكم صدع به من لا ينطق عن الهوى أبوها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فليس ثمّة أمرٌ أوجب موقفها ذلك ووصيتها إلاّ اتهام الراوي للخبر، إذ لو كان مصيباً وصادقاً في دعواه، لزم أن يكون غضبها لغير الحقّ والعياذ بالله.

السابع: لو صحّ صدور الخبر لما ناقض عمر بن الخطاب عمل صاحبه، فقسم ميراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أزواجه ودفع صدقته بالمدينة إلى علي (عليه السلام) والعباس.

روى البخاري في كتاب المزارعة عن نافع، قال: إنّ عبدالله بن عمر قال: قسّم عمر خيبر، فخيّر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يُقطَع لهنّ من الماء والأرض، أو يُمضي لهنّ، فمنهنّ من اختار الأرض، ومنهنّ من اختار الوسق، وكانت عائشة اختارت الأرض[٤].

فهذه خيبر التي طالبت الزهراء (عليها السلام) بنصيبها منها كميراثٍ لها من أبيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وردّها أبو بكر، جاء عمر فقسّمها في أيام خلافته على أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)! فإذا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يورث، فلماذا ترث الأزواج ولا ترث البنت؟

وعن عائشة، قالت: أمّا صدقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة، فدفعها عمر إلى

---

(١) صحيح البخاري ٥: ٢٨٨/ ٢٥٦ ـ كتاب المغازي. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٠/ ١٧٥٩ ـ كتاب الجهاد والسير. وسنن أبي داود ٣: ١٤٢/ ٢٩٦٨ ـ باب صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ومسند أحمد ١: ٦ و ٩. ومشكل الآثار/ الطحاوي ١: ٤٨. وسنن البيهقي ٦: ٣٠٠ ـ ٣٠١. والبداية والنهاية ٥: ٢٤٩. وتاريخ الطبري ٣: ٢٠٢. وجامع الأُصول ٤: ٤٨٢. وتاريخ المدينة/ ابن شبّة ١: ١١٠.

(٢) راجع: مستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. والعمدة/ ابن البطريق: ٣٩٠ ـ ٣٩١. وروضة الواعظين/ الفتال: ١٥١. وعلل الشرائع/ الصدوق: ١٨٥ و ١٨٨ و ١٨٩. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٤٩٤. والكافي/ الكليني ١: ٤٥٨. ومعاني الأخبار: ٣٥٦.

(٣) المناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣. والشافي/ المرتضى ٤: ١١٥. وتلخيص الشافي/ الطوسي ٢: ١٣٠. ودلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٦.

(٤) صحيح البخاري ٣: ٢١١ ـ باب المزارعة ـ بالشطر ونحوه.

على والعباس[١]، فلو صحّ أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يورث، وأنّ ما تركه صدقة للمسلمين، فكيف يدفع عمر ذلك إلى على (عليه السلام) والعباس؟ ولماذا لم يدفع رجال السلطة هذه الأموال في حياة الزهراء (عليها السلام)، إنّها السياسة التى تطلبت أن يمنعوا حيث توجب المصالح تثبيت ركائز الدولة وتدعيم أركانها، وأن يعطوا في وقت الرخاء والاستقرار وبسطة الفتوح.

الثامن: رويت بعض الأخبار التى تعارض حديث منع الإرث، منها ما جاء في (السيرة الحلبية) عن سبط ابن الجوزى، قال: إنّ أبا بكر كتب لفاطمة (عليها السلام) بفدك، ودخل عليه عمر، فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها. فقال: ممّاذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى؟ ثم أخذ عمر الكتاب فشقّه[٢].

وواضح من الخبر أنّه كتب بفدك لفاطمة (عليها السلام) على أنها إرث من أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يخالف رواية أبى بكر المانعة لتوريث الأنبياء.

ومنها ما رواه أبو الطفيل قال: أرسلت فاطمة (عليها السلام) إلى أبى بكر: أنت ورثت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أم أهله؟ قال: لا، بل أهله[٣]، إلى آخر الحديث وسيأتى.

قال ابن أبى الحديد: في هذا الحديث عجب، لأنها قالت له: أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أهله؟ قال: بل أهله، وهذا تصريح بأنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) موروث يرثه أهله، وهو خلاف قوله: (لا نورث)[٤].

التاسع: لو صحّ الخبر لما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) متظلّماً: «**اللهمّ إنّي استعديك على قريش، فإنّهم ظلموني حقّي، وغصبوني إرثي**»[٥].

ولما قالت الزهراء (عليها السلام) في قصيدتها المشهورة:

تجهّمتنا رجالٌ واستخفّ بنا ... لمّا فُقِدت وكلُّ الإرث مغتصبُ[٦]

أخيراً فإنّ أرض فدك هى حقّ خالص لفاطمة (عليها السلام) لا يمكن المماراة فيه سواء كان نحلة أو ميراثاً، وأن الخبر الذى تفرّد به أبو بكر قد جرّ على الأُمّة ولا يزال مزيداً من المحن والإحن، وفتح عليها باب العداء على مصراعيه، وأجّج البغضاء والشحناء، وشقّ عصا المسلمين إلى اليوم.

---

(١) صحيح البخاري ٦: ١٧٨/ ٢ - كتاب الخمس. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٢/ ٥٤ - كتاب الجهاد والسير. وسنن أبي داود ٣: ١٤٣/ ٢٩٧٠ - باب في صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأموال. وسنن البيهقي ٦: ٢٠١. ومسند أحمد ١: ٦.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢.

(٣) الرياض النضرة/ المحب الطبري ١: ١٩١. وسنن البيهقي ٦: ٣٠٣. ومسند أحمد ١: ٤. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩. ومسند فاطمة (عليها السلام)/ السيوطي: ١٥ عن مسلم وأحمد وأبي داود وابن جرير.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٨٦.

(٦) سيأتي تخريجها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ثالثاً: إسقاط سهم ذوي القربى:

لقد نصّ الكتاب الكريم على سهم ذوى القربى في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[1] وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يختص بسهم من الخمس، ويخصّ أقاربه بسهم آخر منه، فلمّا ولى أبو بكر تأوّل الآية، فأسقط سهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وسهم ذوى القربى، ومنع بنى هاشم من الخمس، وجعلهم كسائر يتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم[2].

عن سعيد بن المسيب، قال أخبرنى جبير بن مطعم أنّه جاء هو وعثمان ابن عفان يكلمان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما قسم من الخمس بين بنى هاشم وبنى المطلب، فقلت: يا رسول الله، قسمت لإخواننا بنى المطلب، ولم تعطنا شيئاً، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة؟ فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): **«إنّما بنو هاشم وبنو المُطّلب شيءٌ واحد»**.

قال جبير: ولم يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل من ذلك الخمس، كما قسّم لبنى هاشم وبنى المطلب، قال: وكان أبو بكر يقسّم الخمس نحو قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير أنّه لم يكن يُعطى قربى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يعطيهم، قال: وكان عمر بن الخطاب يعطيهم منه[3].

ولم يقبل بنو هاشم ما عرضه عمر عليهم لأنّه دون حقّهم، فقد رووا عن على (عليه السلام) أنّه قال: **«إنّ عمر قال: لكم حقّ ولا يبلغ علمى إذا كثر أن يكون لكم كلّه، فإن شئتم اعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم، فأبينا عليه إلاّ كلّه، فأبى أن يعطينا»**[4].

وعن يزيد بن هرمز: أن نجدة الحرورى حين حجَّ في فتنة ابن الزبير، أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذوى القربى، ويقول: لمن تراه؟ قال ابن عباس: لقربى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قسّمه لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا، فرددناه عليه، وأبينا أن نقبله[5].

وقد نازعت الزهراء (عليها السلام) أبا بكر في سهم ذوى القربى، كما نازعته في النحلة والإرث، لكنها لم تجد أُذناً صاغية منه، حيث تمادى في إصراره على سلب هذا الحقّ الذي فرضه الله تعالى في كتابه وعمل به رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) سورة الأنفال: ٨/ ٤١.

(٢) راجع: الكشاف ٢: ٢٢١. وفتح القدير/ الشوكاني ٢: ٣١٠ ـ ٣١٣. وتفسير القرطبي ٨: ٩ ـ ١٥. وتفسير الطبري ١٠: ٤ و ٥ و ٧.

(٣) سنن أبي داود ٣: ٤٥/ ٢٩٧٨ . باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى. ومسند أحمد ٤: ٨٢. ومجمع الزوائد/ الهيثمي ٥: ٣٤١.

(٤) سنن البيهقي ٦: ٣٤٤. ومسند الشافعي: ١٨٧.

(٥) سنن ابي داود ٣: ١٤٥/ ٢٩٨٢ . باب في بيان مواضع قسم الخمس. ومسند أحمد ١: ٢٢٠ و ٣٢٤. وسنن البيهقي ٦: ٣٤٤ ـ ٣٤٥. وفتح القدير/ الشوكاني ٢: ٣١٢.

روى الجوهري بالإسناد عن عروة بن الزبير، قال: أرادت فاطمة (عليها السلام) أبا بكر على فدك وسهم ذوي القربى، فأبى عليها، وجعلهما في مال الله[١].

وعن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: إنّ أبا بكر منع فاطمة (عليها السلام) وبني هاشم سهم ذوي القربى، وجعله في سبيل الله، في السلاح والكراع[٢].

وعن أنس بن مالك، قال: إنّ فاطمة (عليها السلام) أتت أبا بكر، فقالت: لقد علمت الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى! ثمّ قرأت عليه قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآية.

فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأُمّي ووالد ولدك! السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحقّ قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السهم من الخمس يسلّم إليكم كاملاً.

قالت (عليها السلام): **«أفلك هو ولأقربائك؟»** قال: لا، بل أُنفق عليكم منه، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين. قالت (عليها السلام): **«ليس هذا حكم الله تعالى»**. قال: هذا حكم الله!! إلى أن قال: وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فاسأليهما عن ذلك، وانظري هو يوافقك على ما طلبت أحدٌ منهما، فانصرفت إلى عمر، فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قال أبو بكر، فعجبت فاطمة (عليها السلام) من ذلك، وتظنّت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه[٣].

أقول: ليس هو ظنّاً، وإنّما اليقين، إذ كيف يتّفق فعل أولئك على خلاف كتاب الله عزّ وجلّ، لو لم يكن ثمة اتفاق من قبل؟!

وعن أُمّ هانىء، قالت: دخلت فاطمة (عليها السلام) على أبي بكر بعدما استخلف، فسألته ميراثها من أبيها فمنعها، فقالت له: **«لئن متّ اليوم من يرثك؟»** قال: ولدي وأهلي. قالت: **«فلمَ ورثت أنت رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **دون ولده وأهله؟»** قال: فما فعلت يا بنت رسول الله؟ قالت (عليها السلام): **«بلى، إنّك عمدت إلى فدك، وكانت صافية لرسول الله فأخذتها، وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنّا»**[٤].

وفي رواية أُخرى عن أُمّ هانىء: قال أبو بكر لفاطمة (عليها السلام): يا بنة رسول الله، ما ورث أبوك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضة. قالت (عليها السلام): **«بلى سهم الله الذي جعله لنا، وصافيتنا التي بيدك؟»** فقال: إنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إنّ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣١.

(٤) شرح ابن ابي حديد ١٦: ٢٣٢. والسقيفة وفدك/ الجوهري: ١١٦.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يطعم أهله ما دام حيّاً، فإذا مات رفع ذلك عنهم. وفي لفظ آخر: سمعته يقول: إنّما هي طعمة أطعمنيها الله حياتي، فإذا متّ كانت بين المسلمين[1].

وعن أبي الطفيل، قال: قالت فاطمة (عليها السلام) لأبي بكر: **«أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أهله؟ قال: لا، بل أهله. قالت: فما بال الخمس؟»** فقال: إنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إذا أطعم الله نبيّاً طعمة ثمّ قبضه، كانت للذي يليه بعده، فلمّا وليت رأيت أن أردّه على المسلمين[2].

التكرم وشرع الإحسان:

لقد ثبت ممّا تقدّم أنّ الزهراء (عليها السلام) طالبت أبا بكر بالنحلة والإرث وسهم ذي القربى، وأنه لم يعطها شيئاً مما طلبت، فلو فرضنا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يورث، وأن جميع متروكاته بما فيها فدك وسهم ذي القربى هي طعمة لولي الأمر بعده، وليتصرف بها حيثما يشاء، أو أنها من الأموال العامّة ومن حقّ الحاكم أن يتصرف بها وفقاً لمقتضيات المصلحة الإسلامية العامة.

إذن أليس من الحكمة والتدبير وشرع التكرم والإحسان أن يعطي فاطمة (عليها السلام) شيئاً مما طلبت ولا يردّها خائبة؟! وهي ابنة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي لم يخلف بينهم غيرها، تطييباً لخاطرها، وحفظاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها، وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): **«المرءُ يحفظ في ولده»**، وقطعاً لدابر الفرقة والاختلاف التي حكمت حياة المسلمين سنين متمادية.

ولو فعل ذلك لم يكن بدعاً منه، فقد أقطع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض أراضي بني النضير لأبي بكر وعبدالرحمن بن عوف وأبي دجانة[3]، وأقطع أرضاً من أرض بني النضير ذات نخل للزبير بن العوّام[4].

وتنبّه كثير من المحقّقين القدامى والمحدثين لهذه المسألة، فقد نقل عن القاضي عبدالجبار المعتزلي أنّه قال: قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرم مما ارتكبا منها، فصلاً عن الدين.

قال ابن أبي الحديد معلقاً: وهذا الكلام لا جواب عنه، ولقد كان التكرم ورعاية حقّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحفظ عهده يقتضي أن تعوّض ابنته بشيء

---

(١) فتوح البلدان/ البلاذري: ٤٤ ـ ٤٥. والسقيفة وفدك. الجوهري: ١١٧. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٢. ومسند فاطمة (عليها السلام) السيوطي: ١٣.

(٢) سنن البيهقي ٦: ٣٠٣. والرياض النضرة/ المحب الطبري ١: ١٩١. ومسند أحمد ١: ٤. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩. ومسند فاطمة (عليها السلام)/ السيوطي: ١٥ عن مسلم وأحمد وأبي داود وابن جرير.

(٣) فتوح البلدان/ البلاذري: ٣١.

(٤) فتوح البلدان/ البلاذري: ٣٤.

يرضيها ، وإن لم يستنزل المسلمون عن فدك، وتسلّم إليها تطييباً لقلبها، وقد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين إذا رأى المصلحة فيه[1].

وقال الأُستاذ محمود أبو رية: بقى أمر لابدّ أن نقول فيه كلمة صريحة، ذلك هو موقف أبى بكر من فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما فعل معها في ميراث أبيها، لأنّا إذا سلّمنا بأن خبر الآحاد الظنّى يخصّص الكتاب القطعى، وأنه قد ثبت أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قال: إنّه لا يورث، وأنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطى فاطمة (عليها السلام) بعض تركة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، كأنّ يخصّها بفدك، وهذا من حقّه الذي لا يعارضه فيه أحد، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشاء بما يشاء، وقد خصّ هو نفسه الزبير بن العوّام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، على أنّ فدك هذه التى منعها أبو بكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان[2].

إذن فالزهراء (عليها السلام) تستحق بمقتضى التكرم والإحسان أن تأخذ شيئاً مما ترك النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكنّ أبا بكر منعها وسدّ جميع السبل المؤدية إلى استحقاقها، حتى ولو كان إحساناً وتكرماً، فلماذا إذن اتخذ هذا الموقف من بضعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

هذا السؤال الذي توقّف ابن أبى الحديد عن الإجابة عليه آنفاً، يحمل أكثر من إجابة تتضح في بيان أهداف السلطة من الاستيلاء على الإرث النبوى.

أهداف السلطة:

أقدمت السلطة على إلغاء امتياز البيت الهاشمى بالموروث النبوي، وذلك لتقوية مركزها السياسى، والاستعانة به في دعم الكيان السياسى للسلطة، ولذا قال عمر لأبى بكر لمّا كتب بفدك لفاطمة (عليها السلام): ممّاذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب[3]؟ ولسلب القدرة الاقتصادية من أهل البيت (عليهم السلام) التى قد تمكّنهم من استعادة سلطانهم المسلوب، وذلك بقطع الشريان الاقتصادى الذى يغذّى الخلافة الشرعية للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعارضة المتوقعة من بيت الزهراء (عليها السلام)، والاطمئنان من أي حركة تستهدف الحكم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨٦.

(٢) مجلة الرسالة المصرية، العدد (٥١٨) السنة (١١) الصحفة (٤٥٧)، ونحوه في شيخ المضيرة أبو هريرة: ١٦٩، الطبعة الثالثة. والنص والاجتهاد/ شرف الدين: ٧٠.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٣٦٢.

ولو أغضينا عن تركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خيبر وبني النضير والمدينة وسهم ذي القربى، فإنّ فدك وحدها كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة، في رواية الشيخ عبدالله بن حماد الأنصاري، وفي رواية غيره: سبعين ألف دينار[1]، وإنّها كانت تغلّ في أيام عمر بن عبد العزيز عشرة آلاف دينار[2]. وقيل: أربعون ألف دينار[3].

ونقل ابن أبي الحديد عن علي بن تقي من بلدة النيل[4] أنه قال: كانت فدك جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة (عليها السلام) عنها إلاّ ألاّ يتقوى على بحاصلها وغلّتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا أتبعَا ذلك بمنع فاطمة (عليها السلام) وسائر بني هاشم وبني المطلب حقّهم في الخمس، فانّ الفقير الذي لا مال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة[5].

وكانت السلطة تدرك البعد السياسي لمطالبة الزهراء (عليها السلام) بالحقوق المالية لأهل البيت (عليهم السلام) وعامة بني هاشم، وأنّها (عليها السلام) اتخذت من تلك المطالبة عنواناً لثورتها على السلطة التي لا تستمد بقاءها بغير منطق القوة والسطوة، والزهراء (عليها السلام) إنّما طالبت كي تبيّن الحق وتعرّي السلطة، وتلقي الحجة على الأُمّة التي انقلبت على تعاليم السماء، وتنكرت لنهج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصاياه.

ولهذا اجتمع رأي رجال السلطة على منع الزهراء (عليها السلام) من جميع حقوقها المترتبة لها بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى ولو كان إحساناً أو تكرماً، وبقي أبو بكر لا يحير جواباً أمام منطق الزهراء (عليها السلام) القائم على الكتاب المبين وسُنّة النبي الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) غير أن يقول لفاطمة (عليها السلام): ما كان لك أن تسأليني، وما كان لي أن أعطيك[6].

فلو تنازلت السلطة أمام مطالب الزهراء (عليها السلام) وأذعنت لحجّتها البالغة ودليلها الساطع، كان ذلك بمثابة اعتراف لما بعد فدك من الموروث النبوي الذي منه الخلافة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وعترة النبي المعصومين (عليهم السلام)، وهذا ما صرّحت به الزهراء (عليها السلام) في خطبتها المشهورة، وإزاء هذا كان على السلطة أن تبيّن لعامة المسلمين أنّ فاطمة (عليها السلام) تدّعي ما ليس لها بنحلة، وتطالب ما ليس لها بميراث، وتريد لعلي (عليه السلام) الملك وليس له بحقّ!

---

(١) كشف المحجة/ ابن طاووس: ١٨٢.

(٢) صبح الأعشى ٤: ٢٩١.

(٣) سنن أبي داود ٣: ١٤٤/ ٢٩٧٢ - باب في صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٤) بلدة تقع في سواد الكوفة قرب الحلة.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٦) فتوح البلدان/ البلاذري: ٤٥. ومعجم البلدان/ ياقوت - فدك - ٤: ٢٧٣. والعقد الفريد/ ابن عبد ربه ٦: ١٧١.

قال ابن أبى الحديد: سألت على بن الفارقى مدرس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم. قلت: فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهى عنده صادقة؟ فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشىء، لأنّه يكون قد سجّل على نفسه أنها صادقة فيما تدّعى كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود، وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل[1].

ولهذا استباح أبو بكر ردّ دعوى الزهراء (عليها السلام) في النحلة، ورفض شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) لها، وادّعى حديث منع الإرث، ومنع سهم ذى القربى عن مستحقيه.

ومن هنا فقد اكتسبت نحلة الزهراء (عليها السلام) بعداً سياسياً ومعنىً رمزياً، وهو الخلافة المغتصبة، وتجاوزت كونها أرضاً وادعة في أطراف الحجاز قدّمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هدية لابنته الزهراء (عليها السلام) بأمر إلهى، لتصبح غاية سياسية تستهدف استرداد حق مسلوب، وفضح سلطان متجبر غاشم، وتنبيه أُمّة رجعت على أعقابها القهقهرى، فوردت غير مشربها، وسقطت في الفتنة تاركة الكتاب والعترة النبوية وأضواء السُنّة المحمدية.

ويتضح المعنى الرمزى لنحلة الزهراء (عليها السلام) في حديث الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هارون الرشيد الذى نقله الزمخشرى في (ربيع الأبرار) قال: كان الرشيد يقول لموسى الكاظم بن جعفر (عليه السلام): يا أبا الحسن، حدُّ فَدَكَ حتى أردّها عليك، فيأبى حتى ألحّ عليه، فقال: «**لا آخذها إلاّ بحدودها**، قال: وما حدودها؟ قال: **يا أمير المؤمنين، إن حددتها لم تردّها**. قال: بحقّ جدّك إلاّ فعلت. قال: **أما الحدّ الأول: فعدن**، فتغير وجه الرشيد، وقال: هيه! قال: **والحدّ الثانى: سمرقند**، فاربدّ وجهه، قال: **والحدّ الثالث: افريقية**، فاسودّ وجهه، وقال: هيه! قال: **والرابع سيف البحر ممّا يلى الخزر وأرمينية**.

قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شىء، فتحوّل في مجلسى. قال موسى (عليه السلام): **قد أعلمتك أنى إن حددتها لم تردّها**»[2]. فهى إذن رمز لحقّ مغتصب وخلافة مسلوبة.

ويتضح الهدف السياسى جليّاً في اختلاف وجهة النظر السياسية فيها على مسار التاريخ: «**فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين**» فتاريخها لا يستقيم على نحو واحد، وإنّما كان يجرى على وفق أهواء السلطات السياسية، ومطامع الحكام الشخصية، ومواقفهم من أهل البيت (عليهم السلام).

فقد أقطعها عثمان بن عفان لمروان بن الحكم[3]، ولا ندرى ما وجه تخصيص مروان بفدك، فان كانت ميراثاً ففاطمة (عليها السلام) وأولادها أحقّ بها، وإن كانت فيئاً، فما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨٤.

(٢) ربيع الأبرار/ الزمخشري ١: ٣١٦. والمناقب/ ابن شهر آشوب ٤: ٣٢٠. وبحار الأنوار ٤٨: ١٤٤/ ٢٠.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٥٠، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦. العقد الفريد ٥: ٣٣. وتاريخ أبي الفداء ٢: ٧٩. والسنن الكبرى/ البيهقي ٦: ٣٠١.

وجه تخصيص مروان بها وهو طريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن طريده؟! هذا مع ما عرف عنه من مكر وخداع وانحرافٍ وعداءٍ لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)!!

وروى الجوهري بالإسناد عن ابن عائشة، قال: حدثني أبي، عن عمّه، قال: لما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية، ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن علي (عليه السلام)، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلّها لمروان بن الحكم أيام خلافته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبدالعزيز لابنه عمر بن عبدالعزيز، فلمّا ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة، كانت أول ظلامة ردّها، دعا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، وقيل: بل دعا علي بن الحسين (عليه السلام) فردّها عليه.

وكانت بيد أولاد فاطمة (عليها السلام) مدّة ولاية عمر بن عبدالعزيز، فلمّا ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم. فصارت في أيدي بني مروان، كما كانت يتداولونها، حتى انتقلت الخلافة عنهم، فلما ولي أبو العباس السفاح ردّها على عبدالله بن الحسن بن الحسن، ثمّ قبضها أبو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث، ثمّ ردها المهدي ابنه على ولد فاطمة (عليها السلام)، ثمّ قبضها موسى ابن المهدي وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون، فردّها على الفاطميين، وأنشد دعبل الأبيات التي أولها:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... بردّ مأمونِ هاشمٍ فَدَكا

فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيام المتوكل، فأقطعها عبدالله بن عمر البازيار، وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده، فكان بنو فاطمة (عليها السلام) يأخذون تمرها، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل، فصرم عبدالله بن عمر البازيار ذلك التمر، ووجّه رجلاً يقال له بشران بن أبي أُميّة الثقفي إلى المدينة فصرمه، ثمّ عاد إلى البصرة ففلج[1].

وجميع هذه التقلّبات التي مرّ بها تاريخ فدك، تحكي لنا البعد السياسي لمسألة فدك في التاريخ، وتلقي الأضواء الكاشفة على قيمة الحديث الذي جاء به أبو بكر مضاداً لكتاب الله تعالى وسُنّة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم). هذا فضلاً عمّا اثبتته الزهراء (عليها السلام) من استحواذ السلطة على ميراثها ولو بالكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦ - ٢١٧. والسقيفة وفدك/ الجوهري: ١٠٣. وراجع: فتوح البلدان/ البلاذري: ٤٥ - ٤٦. ومعجم البلدان/ ياقوت ٤: ٢٧٢ - ٢٧٣. والطرائف/ ابن طاووس: ٢٥٢ - ٢٥٣. والكامل في التاريخ ٣: ٣٤٨ و ٤٥٧ و ٤٩٧، و ٥: ٦٣، و ٧: ١١٦.

المبحث الثاني: حال الزهراء (ع) ومواقفها بعد أبيها (ص)

كان الحزن هو المظهر البارز في حياة الزهراء (عليها السلام) بعد فقدها أباها (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهي ابنته الوحيدة التي أُصيبت به، فكانت أشدّ الناس تأثراً بهذا الخطب الجلل، وتتّضح لنا سحابة الوجد والحزن التي جلّلت حياة الزهراء (عليها السلام) من ندبتها لأبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث تقول:

اغبرّ آفاق السماء وكوّرت — شمس النهار وأظلم العصرانِ

فالأرض من بعد النبي كئيبةٌ — أسفاً عليه كثيرة الرجفانِ

فليبكه شرق البلاد وغربها — ولتبكه مضرٌ وكلّ يمانِ[1]

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «**عاشت فاطمة بعد رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **خمس وسبعين يوماً لم تر كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كلّ جمعة مرتين: الاثنين والخميس، فتقول: هاهنا كان رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وهاهنا كان المشركون**».

وفي رواية عنه (عليه السلام): «**انّها كانت تصلّي هناك وتدعو حتى ماتت**»[2].

وروى أن عليّاً (عليه السلام) بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة، يسمى بيت الأحزان، أو بيت الحزن، وهو باق الى هذا الزمان، وهو الموضع المعروف بمسجد فاطمة (عليها السلام) في جهة قبة مشهد الحسن (عليه السلام) والعباس رضى الله عنه، وإليه أشار الرحّالة ابن جبير بقوله: ويلى القبة العباسية بيت يُنسب لفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعرف ببيت الحزن، يقال: إنه هو الذى آوت إليه والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذكره الغزالى وغيره في زيارة البقيع، وقال: ويصلّى في مسجد فاطمة (عليها السلام)[3].

وقد اتخذت الزهراء (عليها السلام) من هذا المسجد محراباً للعبادة والدعاء كما تقدم، وموضعاً للحزن والبكاء على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «**اما فاطمة** (عليها السلام) **فبكت على رسول الله** (صلى الله عليه وآله

---

(١) العمدة/ ابن رشيق ٢: ٨١٦، إتحاف السائل/ المناوي: ١٠٢، الثغور الباسمة/ السيوطي: ٥٤، أعيان الشيعة ١: ٢٢٣، أعلام النساء/ كحالة ٤: ١١٣.

(٢) الكافي/ الكليني ٤: ٥٦١/ ٤ و ٣: ٢٢٨/ ٣، وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٥/ ٢٤.

(٣) راجع رحلة ابن جبير: ١٧٤، وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٠٧ و ٩١٨، أهل البيت/ توفيق أبو علم: ١٦٧، بحار الانوار ٤٣: ١٧٧.

وسلم) حتى تأذى بها أهل المدينة، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكى حتى تقضى حاجتها ثمّ تنصرف»[1].

إن دموع الزهراء (عليها السلام) تجسّد عمق المأساة التى حلّت بالإسلام بعد موت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلاريب أن موته (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب جليل، انقطع به وحى السماء، وذهب به معلّم الخير والرحمة، وتكون المصيبة أعظم اذا انقلبت أُمّته على تعاليم السماء ووحيها ووصايا نبيّها، وكان المتصدّون لمقامه على غير هدىً من نهجه ورسالته، فذلك هو الموت الأخطر والمرارة الكبرى التى ما انفكّت ترافق حياة الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) فقوّضت بقايا قوّتها، وهدّت أركانها، وجعلتها تذوب حتى الممات.

عن أم سلمة: أنها سألت فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف أصبحت يابنت رسول الله؟ قالت: «**أصبحت بين كمد وكرب: فقد النبى، وظلم الوصيّ**»[2].

عاشت الزهراء (عليها السلام) في سبيل الإسلام قبل أن تعيش لنفسها منذ عهد طفولتها حيث كانت تذبّ عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام طغام قريش وطغاتها، وتجشّمت في هذا السبيل صنوف المصاعب والمعاناة، وكان رائدها الصبر والتحمل في أحلك الظروف وأشدها قسوة، وكان لها بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) مواقف سجلت فيها مواقع الريادة والقدوة في بيان الحق، والدفاع عن المبادئ الإسلامية العليا، والدعوة إلى التمسك بالمسار الصحيح لامتداد النبوة المتمثل في خط الإمامة الأصيل الذى خصّه الله تعالى بعترة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتنبيه الأمة على شبح الانحراف الذي تنبأت بوقوعه في خطبتها (عليها السلام)، هذا فضلاً عن بيان مظلوميتها وسخطها على من ظلمها، وفيما يلى نذكر بعض هذه المواقف ونذكر في آخرها خطبتى الزهراء (عليها السلام):

١ ـ المطالبة بحقوقها وبيان مظلوميتها:

انبرت الزهراء (عليها السلام) للمطالبة بالحقوق المالية المترتبة لها بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وطالبت أيضاً بحقوق بنى هاشم عامة، وذلك حق طبيعى لكل مظلوم أن يدافع عن حقوقه المغتصبة، وقد ذكرنا جملةً من هذه المطالبات في المبحث الأول.

والذى نودّ الإشارة إليه هنا، هو هدف الزهراء (عليها السلام) من هذه المطالبات التى أدّت إلى مقاطعة رجال السلطة حتى الممات وبعد الممات حسب وصيتها (عليها السلام)، فهل كانت (عليها السلام) بحاجة ماسة إلى الأموال التي تجبى من فدك، أو هل اندفعت من أجل

(١) الخصال/ الصدوق: ٢٧٢/ ١٥. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٤٩٨. وبحار الأنوار ٤٣: ١٥٥/ ١.

(٢) المناقب/ ابن شهر آشوب ٢: ٢٠٥، بحار الأنوار ٤٣: ١٥٦/ ٥.

هدف مادي رخيص وحطام زائل، وهي أول الناس لحاقاً بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما أخبرها؟!

هذا فضلاً عن أن الزهراء (عليها السلام) كان لديها من الأموال ما يغنيها عن المنازعة في فدك وغير فدك، فقد أوقف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الحوائط السبعة على فاطمة (عليها السلام)[1] وذلك بعد أن بسط الإسلام نفوذه على سائر أنحاء الجزيرة وعمّت المسلمين حالة من الرخاء.

وقد جاء في وصيتها (عليها السلام) ما يدل على امتلاكها لتلك الحوائط وأموال أخرى، فقد روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه أخرج حُقاً أو سفطاً، فأخرج منه كتاباً فقرأه، وكان فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم)... **أوصت بحوائطها السبعة إلى علي بن أبي طالب، فان مضى فإلى الحسن، فان مضى فإلى الحسين، فان مضى فإلى الأكابر من ولدي، شهد المقداد بن الأسود والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب**». وروى نحو ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام)[2].

وعليه فالزهراء (عليها السلام) أجلّ قدراً وأعلى شأناً من أن تحرص على دنيا فانية أو حطام زائل، فلابدّ إذن من أن تكون هناك أهداف أُخرى تبتغيها من وراء تلك المطالبة، وتتجلى تلك الأهداف لمن تمعّن في قراءة خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد النبوي وأمام الملأ من قريش والأنصار، فلقد تهيأت لها (عليها السلام) الفرصة السانحة والمجال الرحب من خلال تلك المطالبات أن تدلي برأيها وتقوم بالمسؤولية الملقاة على عاتقها، وتؤدي دورها الرسالي على أحسن ما يرام وأمام الملأ، فبيّنت أحقية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في قيادة الأُمة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكشفت عن اجتهاد السلطة في موضع النصّ، فأظهرت حال السلطة أمام الملأ، وألقت الحجة على الأُمة لتؤدي مسؤوليتها، وكادت تلك المطالبة أن تؤدي أُكلها فتصفّى الحساب مع السلطة، لولا أنهم سدّوا جميع الطرق التي تستحقّ بها تلك الحقوق، لإدراكهم بأنهم لو صدّقوا الزهراء (عليها السلام) في هذه القضية فإنها ستبدأ جولة جديدة تطالب فيها بالخلافة.

ثم إن الزهراء (عليها السلام) لو سكتت عن مظلوميتها ولم تطالب بحقها لصار السكوت على الظالمين والتغاضي عن الحق سُنة، ذلك لأنها (عليها السلام) قدوة وأُسوة، وإن فعلها لا يتجافى عن الحق لذلك اندفعت إلى ميدان الصراع، وسلكت معترك الطريق، ووقفت

---

(١) الكافي ٧: ٤٧/ ١.

(٢) الكافي/ الكليني ٧: ٤٨ ـ ٤٩/ ٥ ـ ٦، التهذيب/ الطوسي ٩: ١٤٤/ ٥٠، وراجع وصيتها ٣) أموالها الأخرى في دلائل الإمامة للطبري: ١٢٩ ـ ١٣١/ ٣٩ ـ ٤١. وأوصت (عليها السلام) إلى غير أولادها من بني هاشم وبني المطلب. راجع سنن البيهقي ٦: ١٦١ و ١٨٣.

بكل ما لديها من قوة بوجه الظلم لاسترداد حقها السليب، مع ما بها من الضعف والانكسار والحزن والألم، فأثبتت أن المرأة قادرة على الدفاع عن حقّها بل وحقّ غيرها، وصارت فاطمة الزهراء (عليها السلام) راية المقاومة للظلم والدفاع عن المظلوم في كلّ زمان ومكان.

٢ ـ سخطها على ظالميها:

بعد أن دُفعت الزهراء (عليها السلام) عن جميع حقوقها المالية في نحلتها وإرثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسهمها من الخمس، اتخذت موقفاً حاسماً من الشيخين، يدلّ على ظلامتها وكونها مخاصمة غير راضية عنهما حتى لقيت ربّها وهي في ريعان الشباب وزهرة الصبا.

وقد قدّمنا أن الرواة اتفقوا على أن فاطمة (عليها السلام) غضبت على أبي بكر وعمر وهجرتهما ولم تكلمهما حتى توفيت وهي ساخطة عليهما، وأوصت أمير المؤمنين (عليه السلام) أن لا يحضرا جنازتها، ولا يصليا عليها، وأن يُعفّى قبرها، فلمّا توفيت دفنها أمير المؤمنين ليلاً، ولم يؤذن بها أحداً ممن ظلمها.

قال ابن قُريعة:

ولأي حـــالٍ لحّـــدت	بالليـــل فاطمـــة الـــشريفه
ولمـــا حمـــت شـــيخيكم	عـن وطـأ حجرتهـا المنيفـه
أوّه لـــبنت محمـــدٍ	مـاتــت بغـصّتها أسـيفه[1]

وهكذا جعلت (عليها السلام) من موتها وتشييع جنازتها ودفنها وسيلة جهادٍ وكفاح، تثير التساؤل عبر الأجيال في نفس كلّ مسلم غيور على الدين ومبادئه الحقّة، كي يتوصل الى الحقائق المثيرة من تاريخ تلك الحقبة المهمة، لقد أرادت سلام الله عليها أن تقول إنها غاضبة على كل من لا يعرف الحق، ويتنكر لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وحاول الشيخان إرضاء الزهراء (عليها السلام) فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا الى فاطمة فانا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة (عليها السلام) فلم تأذن لهما، فأتيا علياً (عليه السلام) فكلماه، فالتمسها فأذنت لهما، فلمّا قعدا عندها، حولت وجهها إلى الحائط، فقالت: « **أرايتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **تعرفانه وتفعلان به؟** » قالا: نعم.

فقالت: «**نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟**» قالا: نعم سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) كشف الغمة/ الأربلي ٢: ١٢١.

قالت: **«فإني أُشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **لأشكونكما إليه»**.

فقال أبو بكر: أنا عائذ إلى الله من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول: **«والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها»**، ثم خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي[1].

وروي أنه لما خرجا قالت (عليها السلام) لأمير المؤمنين (عليه السلام): **«هل صنعت ما أردت؟»** قال: **«نعم»**. قالت: **«فهل انت صانع ما آمرك به؟»** قال: **«نعم»**. قالت: **«فاني انشدك الله الاّ يصليا على جنازتي، ولا يقوما على قبري»**[2].

إنّ غضب الزهراء (عليها السلام) لم يكن ثأراً لنفسها، أو لمسائل شخصية بينها وبين الشيخين، ولو كان كذلك لرضيت عنهما، إنها غضبت للتجاوز على حرمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والانقلاب على الأعقاب ونبذ الكتاب، ولهذا فقد أنفت ابنة الرسول أن تذكر ما حدث لها شخصياً من حرق بيتها وضربها وإسقاط محسنها في خطبتها الشهيرة، وركزت على المسائل الأساسية التي أثارت في نفسها الوجد والسخط والغضب.

ولو لمست (عليها السلام) تغييراً في موقف الشيخين ممّا ارتكباه، أو تصحيحاً للمسار الذي انتهجاه، لسارعت إلى الإذن لهما والرضا عنهما.

وقد تواتر عن أبناء الزهراء (عليها السلام) ـ معصومين وغيرهم ـ غضبها على الشيخين وسخطها عليهما لسوء صنيعهما المتعمّد معها حتى قضت نحبها وهي على هذا الحال.

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: **«كانت لنا أمٌّ صالحة، وهي عليهما ساخطة، ولم يأتنا بعد موتها خبر أنها رضيت عنهما»**[3].

وعن داود بن المبارك، قال: أتينا عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن، ونحن راجعون من الحج في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: أجيبك بما أجاب به جدي عبدالله بن الحسن، فانه سئل عنهما فقال: كانت أمّنا صدّيقة ابنة نبي مرسل وماتت وهي غضبى على قوم، فنحن غضاب لغضبها.

وقد أخذ هذا المعنى أحد شعراء الطالبيين من أهل الحجاز، فقال:

يا أبا حفص الهوينى وما كنت مليّاً بذاك لولا الحمام[4]

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٣ ـ ١٤، أعلام النساء/ كحالة ٤: ١٢٣ ـ ١٢٤، وراجع دلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٤، بحار الأنوار ٤٣: ١٧٠ و ١٨٩ ـ ١٩٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨١، الشافي/ المرتضى ٤: ١١٥.

(٣) الطرائف/ ابن طاووس: ٢٥٢/ ٣٥١.

(٤) أي ما كنت قادراً على أن تلج بيت فاطمة (عليها السلام) على الوجه الذي ولجت فيه، لولا موت أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

أتمـوت البتـول غـضبى ونرضـى ... مـا كـذا يـصنع البنـون الكـرام[1]

وسيبقى موقف الزهراء (عليها السلام) درساً يعلم الأجيال الاستبسال في الدفاع عن الحق والوقوف بوجه الظلم وعدم الركون إلى القهر والاستبداد.

٣ ـ الدفاع عن الولاية والإمامة:

تقدّم أنّ أهمّ الأهداف التى توخّتها الزهراء (عليها السلام) في مطالباتها المالية، هو الدفاع عن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وإثبات أحقيتهم في قيادة الأمّة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويتضح ذلك من خلال خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد النبوي، وخطبتها الأُخرى بنساء المدينة، وفي مواقف أُخرى متعددة، أدّت فيها واجبها الرسالى في الدفاع عن إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام).

ففى خطبتها الأُولى ذكرت ولاية أهل البيت (عليهم السلام) كفرض إلهى لا يختلف عن سائر الواجبات والفروض التى عدّدتها في الخطبة وبينت العلة من إيجابها، قالت (عليها السلام): « **فجعل الله طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة** ».

وأكّدت (عليها السلام) على ذكر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وتقدّمه على سواه بالعلم والشجاعة، فقالت (عليها السلام): «**أم انتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي**» وقالت (عليها السلام): «**كلّما فغرت فاغرة المشركين، قذف أخاه علياً في لهواتها، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون، فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال**». وقالت (عليها السلام) في خطبتها الثانية: «**وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا منه والله نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله**».

وأشارت (عليها السلام) إلى أحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) في خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفضله على غيره، فقالت (عليها السلام) في خطبتها الأُولى: «**وابعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض**». وقالت (عليها السلام) في خطبتها الثانية: «**ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطّبين بأمور الدنيا والدين**».

وذكرت (عليها السلام) النصّ على أمير المؤمنين (عليه السلام) بالتلميح الذي هو أقوى من التصريح حيث قالت (عليها السلام) في خطبتها الثانية: «**وتالله لو تكافّوا عن زمام نبذه إليه رسول الله لاعتقله، ثمّ لسار بهم سيراً سجحاً**».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٩. والسقيفة وفدك: ١١٦.

ونبّهت (عليها السلام) على أنّ الاختيار غير صحيح بقولها في خطبتها الأُولى: «**فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لمّا يقبر، بداراً زعمتم خوف الفتنة، الا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**».

وقالت (عليها السلام) في خطبتها الثانية: «**استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل**» وقالت (عليها السلام) فيها أيضاً: «**ليت شعري إلى اي لجأ لجأوا، وإلى اي سنادٍ استندوا، وعلى أيّ عمادٍ اعتمدوا، وبأيّ عروة تمسّكوا، وعلى أيّ ذريةٍ قدّموا واحتنكوا؟!**».

وللزهراء (عليها السلام) مواقف أُخرى في الدفاع عن الإمامة، منها مارواه الجوهري عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) قال: «إنّ عليّاً (عليه السلام) **حمل فاطمة** (عليها السلام) **على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة** (عليها السلام) **الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به. فقال علي** (عليه السلام) **أكنت أترك رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **ميتاً في بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم سلطانه! وقالت فاطمة** (عليها السلام)**: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه**»[1].

وخروج الزهراء (عليها السلام) ليلاً مع شدة اللوعة التي تنتابها لفقد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وضعف حالها، وقوة السلطة في ملاحقة من يعارضها، إنّما هو أداء لدور رسالي يقتضيه الواجب الإسلامي المقدس في حفظ العقيدة الحقّة من الضياع والانحراف، وفي ذلك درس بليغ لنا حقيق بالاقتداء وخليق بالاحتذاء.

وكان للأنصار موقف من السلطة أقلّه الندم على البيعة، وأعلاه الهتاف باسم أمير المؤمنين(عليه السلام)، وأنّى يكون ذلك لولا خروج الزهراء (عليها السلام) تطلب نصرتهم، وخطبتها (عليها السلام) التي ذكّرت فيها وحذّرت.

عن عبدالرحمن بن عوف. قال: لما بويع أبو بكرٍ واستقرّ أمره: ندم قومٌ كثيرٌ من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً، وذكروا علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهتفوا باسمه[2].

٤ - خطبتا فاطمة (عليها السلام):

الخطبة الأولى: كانت بعد عشرة أيام من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي خطبة طويلة غاية في الفصاحة والبلاغة والمتانة والشهرة، قال الاربلي رضي الله عنه: إنّها من محاسن الخطب وبدائعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من أرج الرسالة[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣. والإمامة والسياسة/ ابن قتيبة ١: ١٢.

(٢) الموفقيات/ الزبير بن بكار: ٥٨٣/ ٣٨٢.

(٣) كشف الغمة/ الاربلي ١: ٤٧٩.

وكلام الزهراء (عليها السلام) في هذه الخطبة قد تناقله المؤرخون والرواة وأرباب الأدب والبلاغة خلفاً عن سلف، ناهيك عن أن أهل البيت (عليهم السلام) وعموم آل أبى طالب كانوا يتناقلونه ويعلمونه أولادهم، عن زيد بن على بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن زيد بن على (عليه السلام)، وهو زيد الأصغر، من أصحاب الإمام الهادى (عليه السلام)، قال: رأيت مشايخ آل أبى طالب يروونه عن آبائهم، ويعلمونه أولادهم، وقد حدثنى به أبى عن جدّى يبلغ به فاطمة (عليها السلام)[1].

لقد اندفعت فاطمة (عليها السلام) في مظاهرة نسائية من بيتها إلى المسجد النبوى، وهو حاشد بالمهاجرين والأنصار، فاختارت الكلمة بما تحمله من حجة بالغة وبرهان ساطع سلاحاً للمواجهة وشحذ الهمم، كى تعرّى أُسس السقيفة وتزعزع كيانها، فكانت أذكى من نار عمر، إذ أقرحت العيون، وأثارت العواطف، وكسبت الرأى العام حتى هتف الأنصار بذكر على (عليه السلام)، مما أثار حفيظة أبى بكر، خوفاً من اضطراب الأمر عليه، فبالغ في نهيهم[2] معرّضاً بأمير المؤمنين (عليه السلام) مبدياً ما كان يكتم على ما سيأتى بيانه في محلّه.

والخطبة ذات مضامين عالية وسبك لغوى لا يصدر إلاّ عن أهل البيت الذين أوتوا الحكمة وفصل الخطاب، وأهمّ مضامينها هو تنبيه الأُمّة على غفلاتها عن حالة الانقلاب على الاعقاب والإحداث بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فتنازعت سلطانه تاركة أولياءه وعترته وكتابه وسنته **«فلمّا اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) دار انبيائه ومأوى اصفيائه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين».**

«أنّى تؤفكون وهذا كتاب الله بين أظهركم، اموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة... قد خلّفتموه وراء ظهوركم».

«تستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء نور الدين الجلى، وإهماد سنن النبى الصفى»، ثم ذكرت (عليها السلام) الاستيلاء على إرث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كمصداق للاجتهاد في موضع النص، وقالت (عليها السلام): **«افعلى عمدٍ تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؟».**

وتحدّت رأس السلطة **«فدونكها مخطومة مرحولة، تكون معك في قبرك، وتلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، ونعم الزعيم محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم) **والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون».**

وألقت الحجة على الأُمّة ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيى منهم عن بينة **«الا وقد قلت ما قلت، على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم... ولكنها فيضة النفس... وتقدمة الحجة».**

---

(١) الشافي/ المرتضى ٤: ٧٦. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٥٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥.

«وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون».

والخطبة الثانية: كانت في الأيام التى اشتدّت فيها علّة الزهراء (عليها السلام) وقبل أن تودّع الحياة، وهى كلمة بليغة تهزّ القلوب والمشاعر، ألقتها على مسامع نساء المدينة اللواتى هرعن لعيادتها، ألقت فيها الحجة البالغة على نساء اولئك الرجال الذين استصرختهم بالأمس في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)فلم تجد منهم ناصراً ولا مغيثاً لانتزاع حقوق عترة المصطفى المغتصبة، والتى على رأسها حق على(عليه السلام) في الخلافة، حيث تناولت في هذه الخطبة عتاباً وتقريعاً لهم لعزوفهم عن ولاية على (عليه السلام)، وأقامت الأدلة والشواهد على حق أمير المؤمنين (عليه السلام) وعظم شأنه وأهليته، وأخيراً أشرفت على المستقبل الذى ينتظرهم بما يحمل من ذلّ وهوان واستبدادٍ من الظالمين لما قدّمت أيديهم، وفيما يلى نصّ الخطبتين.

أولاً: خطبة الزهراء (ع) في مسجد النبي (ص):

روى خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد النبوى جمع من أعلام الشيعة والعامّة بطرق متعدّدة تنتهى بالاسناد عن زيد بن على، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام)، وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) عن أبيه الباقر (عليه السلام)، وعن جابر الجعفى، عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)، وعن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، وعن زيد بن على، عن زينب بنت الحسين (عليه السلام)، وعن رجال من بنى هاشم، عن زينب بنت على (عليها السلام)، وعن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالوا: لمّا بلغ فاطمة (عليها السلام) اجماع أبى بكر على منعها فَدَكَ، وانصرف عاملها منها، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمّةٍ من حفدتها[١]، أو نساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم[٢] مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فدخلت عليه وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة[٣]، فجلست ثمّ أنّت أنّةَ أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثمّ أمهلت هنيهة، حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت كلاماً طويلاً في الحمد والثناء والتمجيد، والصلاة على الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) أعوانها وخدمها.

(٢) ما تترك ولا تنقص.

(٣) إزار.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: «أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحماة دينه ووحيه، وأُمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، وزعيم حقّ له فيكم، وعهد قدّمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجلّية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للاسلام، وذلاً لأهل الكفر والنفاق، والصبر معونةً على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحةً للعامّة، وبرّ الوالدين وقايةً من السخط، وصلة الأرحام منسأةً في العمر، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة[1]، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2] وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3].

ثم قالت: أيُّها الناس أعلموا أني فاطمة وأبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، أقولها عوداً على بدءٍ، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4] فإن تَعزُوه[5] تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المَعزيّ إليه (صلى الله عليه وآله وسلم).

فبلّغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثَبَجَهم[6]، آخذاً بكظمهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذّ[7] الأصنام، وينكت الهام،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في حقّ من يرمون المحصنات: **(لعنوا في الدنيا والآخرة)**

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ١٠٢.

(٣) سورة فاطر: ٣٥/ ٢٨.

(٤) سورة التوبة: ٩/ ١٢٨.

(٥) تنسبوه.

(٦) الثَبَج: وسط الشيء ومعظمه، وما بين الكاهل إلى الظهر من الإنسان.

(٧) يكسر.

حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، وحتّى تفرّى الليل عن صُبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقدة الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخماص.

وكنتم على شفا حفرةٍ من النار، مَذقة الشارب، ونُهزة[1] الطامع، وقبسة العجلان، وموطىء الأقدام، تشربون الطَّرق[2]، وتقتاتون القِدّ[3]، أذلّةً خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد اللُّتيا والتي[4]، وبعد أن مُنى ببُهم[5] الرجال، وذؤبان[6] العرب، ومردة أهل الكتاب ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[7] أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرةٌ من المشركين، قذف أخاه عليّاً في لهواتها، فلا ينكفىء حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، سيّداً في أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون[8] الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال.

فلمّا اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهرت فيكم حسيكة[9] النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم[10] فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يُقبَر، بداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[11].

---

(١) فرصة.
(٢) الماء تخوض فيه الإبل وتبول وتبعر.
(٣) السير من الجلد.
(٤) أي الدواهي الصغيرة والكبيرة.
(٥) شجعان.
(٦) لصوص وصعاليك.
(٧) سورة المائدة: ٥ / ٦٤.
(٨) تتوقعون أخبار السوء.
(٩) عداوة وضغينة.
(١٠) أغضبكم.
(١١) سورة التوبة: ٧/ ٤٩. وفي هذا المقطع من الخطبة إشارة إلى قول أبي بكر في خطبته: (والله كنت حريصاً على الإمارة يوماً... ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكنّي قلدت أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يد) راجع مستدرك الحاكم ٣: ٦٦. وكنز العمال ٥: ١٩٧. البيهقي ٨: ١٥٢.

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وهذا كتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تدبرون، أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[1]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

ثمّ لم تلبثوا إلاّ ريثما تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورِدون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء نور الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي، تسرّون حَسواً في ارتغاء[3]، ونصبر منكم على مثل حزّ المُدى، ووخز السنان في الحشا.

وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي من أبي ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[4] أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته.

أيهاً[5] أيُّها المسلمون، أأُغلب على إرثي؟! يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؟! إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[6] وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا (عليه السلام) إذ يقول: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[7]، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[8]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[9]، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[10].

وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثان؟! أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟!

فدونكها مخطومة مرحولة، تكون معك في قبرك، وتلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، ونعم الزعيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والموعد القيامة، وعند الساعة

---

(١) سورة الكهف: ١٨/ ٥٠.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٨٥.

(٣) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره.

(٤) سورة المائدة: ٥/ ٥٠.

(٥) اسم فعل يراد به الحثّ والتحريض، وبكسر أوله الكفّ والإسكات.

(٦) سورة النمل: ٢٧/ ١٦.

(٧) سورة مريم: ١٩/ ٤ ـ ٦.

(٨) سورة الأنفال: ٨/ ٧٥.

(٩) سورة النساء: ٤/ ١١.

(١٠) سورة البقرة: ٢/ ١٨٠.

يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾[1]، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[2]».

مخاطبة الأنصار:

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار، فقالت: «يا معشر الفتية، وأعضاد الملّة، وحَضَنَة الإسلام، ما هذه الغميزة[3] في حقّي، والسِّنة عن ظلامتي؟! أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة[4] ولكم طاقة بما أُحاول، وقوة على ما أطلب وأُزاول.

أتقولون مات محمد، لعمري فخطب جليل، استوسع وهيه[5]، واستتهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت[6] الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأُذيلت[7] الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى التي لا مثلها نازلة، ولا بائقة[8] عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في افنيتكم في ممساكم ومصبحكم، هتافاً وصراخاً، وتلاوةً والحاناً[9]، ولقبله ما حلّ بانبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[10].

أيها بني قَيْلة[11]، أأهضم تراث أبي؟! وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنُّخبة التي انتُخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت.

قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأُمم، وكافحتم البُهم، فلا نبرح ولا تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حَلَب الأيام، وخضعت

---

(١) سورة الأنعام: ٦/ ٦٧.

(٢) سورة هود: ١١/ ٣٩. وسورة الزمر: ٣٩/ ٣٩ - ٤٠.

(٣) ضعف العمل.

(٤) مثل يراد به ما أسرع ما كان هذا الأمر!

(٥) شقّه وخرقه.

(٦) أخفقت.

(٧) أُهينت، ويروى: أُزيلت، بالزاي.

(٨) اهية.

(٩) فتح الهمزة أي غناءً، أو بكسرها بمعنى الإفهام.

(١٠) سورة آل عمران: ٣/ ١٤٤.

(١١) الأنصار من الأوس والخزرج، وقَيْلة بنت كاهل: أمّهم.

نُعَرة[1] الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهَرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى جرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وركنتم إلى الدَّعَة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم[3] الذى تسوّغتم ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[4].

ألا وقد قلت ما قلت على معرفةٍ منى بالخذلة التى خامرتكم، والغدرة التى استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس ونفثة الغيظ، وخور القَنَا، وبثّة الصدر، وتَقدمة الحُجّة.

فدونكموها فاحتقبوها دَبِرة الظهر، نَقِبة الخُفّ، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار[5] الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التى تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[6] وأنا ابنة نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون».

جواب أبي بكر:

يابنة رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الأخلاّء، آثره على كلّ حميم، وساعده في كلّ أمر جسيم، لا يحبّكم إلاّ كل سعيد، ولا يبغضكم إلاّ كلّ شقيّ، فأنتم عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنتِ يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقةٌ في قولك، سابقةٌ في وفور عقلك، غير مردودةٍ عن حقّك، ولا مصدودة عن دقك.

والله ما عدوت رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا عملت إلاّ بإذنه، وإن الرائد لا يكذب أهله، فإنّى أشهد الله، وكفى به شهيداً أنّى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه**».

---

(١) الكِبَر.

(٢) سورة التوبة: ٩/ ١٢.

(٣) تقيأتم.

(٤) سورة إبراهيم: ١٤/ ٨.

(٥) عيب وعار.

(٦) سورة الشعراء: ٢٦/ ٢٢٧.

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح، يقاتل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المَرَدَة الفُجّار، وذلك بإجماع من المسلمين، لم أتفرد به وحدي، ولم استبدّ بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك، لا تزوى عنك، ولا تُدّخر دونك، وأنت سيدة أُمّة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع ما لكِ من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، وحكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أني أُخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

جواب الزهراء (ع):

«سبحان الله! ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون على الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟! وهذا بعد وفاته، شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته.

هذا كتاب الله حَكَماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[1] ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[2] الأقساط، وشرّع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذُّكران والإناث، ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي[3] والشُّبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[4]».

جواب أبي بكر:

صدق الله، وصدق رسوله، وصدقت ابنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، لا أُبعد صوابك، ولا أُنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلّدوني ما تقلّدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

خطاب الزهراء (ع) لعامّة الناس:

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت: **«معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[5] كلا بل ران على قلوبهم، ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، لبئس ما تأوّلتم، وساء ما به اشرتم،**

---

(١) سورة مريم: ١٩/ ٩.

(٢) سورة النمل: ٢٧/ ١٦.

(٣) إعمال الظنّ.

(٤) سورة يوسف: ١٢/ ١٨.

(٥) سورة محمد: ٤٧/ ٢٤.

وشرّ ما منه اعتضتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً، وغبّه[١] وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراء الضَّراء[٢] وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون»[٣].

ندبتها للرسول (ص):

ثمّ عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة[٤] ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ

إنا فقدناك فقد الأرضِ وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا[٥]

أبدى رجالٌ لنا نجوى صدورهم ... لمّا مضيتَ وحالت دونك التُّربُ

تجهّمتنا رجالٌ واستخفّ بنا ... لمّا فقدت وكلّ الإرث مغتصبُ

وكنتَ بدراً ونوراً يُستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزّة الكتبُ

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد ... فقدت وكلّ الخير محتجبُ

فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لمّا مضيت وحالت دونك الكُثبُ

إنا رُزئنا بما لم يُرزَ ذو شجنٍ ... من البرية لا عُجم ولا عَربُ[٦]

---

(١) عاقبته.

(٢) الشجر الملتفّ، وهو كناية عمّا يبدو لهم بعد الموت من سوء ما قدمت أيديهم.

(٣) روى خطبة الزهراء (عليها السلام) ابن طيفور في بلاغات النساء: ٢١. والسيد المرتضى في الشافي ٤: ٦٩ - ٧٧. والشيخ الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ١٣٩ - ١٤٣ عن المرزباني بطريقين، والطبري في الدلائل: ١٠٩/ ٣٦ بتسعة طرق. والخوارزمي في مقتل الحسين (عليه السلام) ١: ٧٧ عن الحافظ أبي بكر أحمد بن مردويه. وابن الأثير في منال الطالب في شرح طوال الغرائب: ٥٠١ - ٥٠٧. والسيد ابن طاووس في الطرائف: ٢٦٣/ ٢٦٨ عن كتاب الفائق عن الأربعين للشيخ أسعد ابن سقروة، عن الحافظ ابن مردويه في كتاب المناقب، والاربلي في كشف الغمة ١: ٤٨٠ عن كتاب السميه للجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها في ربيع الآخر من سنة ٣٢٢ هـ. والطبرسي في الاحتجاج: ٩٧. وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ٢١١ - ٢١٣ و ٢٤٩ و ٢٥٢ بعدة طرق. والمجلسي في بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٠/ ٨ بعدة طرق. وكحالة في أعلام النساء: ٣: ١٢٠٨. وروى بعض مقاطعها الشيخ الصدوق في علل الشرائع: ٢٤٨/ ٢ و ٣ و ٤ بعدة طرق، وأشار لها المسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٠٤.

(٤) الاختلاط في القول، والأمور الشدائد.

(٥) عدلوا ومالوا.

(٦) رويت في أغلب المصادر المتقدمة مع اختلاف في بعض ألفاظها وعدد أبياتها، وراجعها أيضاً في أمالي المفيد: ٤١/ ٨. والسقيفة وفدك/ الجوهري: ٩٩. والطبقات الكبرى/ ابن سعد ٢: ٣٣٢.
وغريب الحديث/ ابن قتيبة ٢: ٢٦٧/ ٢٥٥ دار الكتب العلمية. والكافي ٨: ٣٧٥/ ٥٦٤. والمناقب/ ابن شهر آشوب ٢: ٢٠٨. والبدء والتاريخ/ المقدسي ٥: ٦٨. والطرائف/ ابن طاووس: ٢٦٥. ومنال الطالب/ ابن الأثير: ٥٠٧.

قال الراوي: ثمّ ذهبت فتبعها رافع بن رفاعة الزرقي، فقال لها: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر، وذكر للناس قبل أن يجري هذا العقد، ما عدلنا به أحداً. فقالت (عليها السلام): «**إليك عنّي، فما جعل الله لأحد بعد غدير خمّ من حجّة ولا عذر**».

قال: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم[١]، وارتجّت المدينة، وهاج الناس، وارتفعت الأصوات[٢].

على أثر الخطبة:

كان لخطبة الزهراء (عليها السلام) أثر بالغ ومحرّك لنفوس الناس، سيّما الأنصار منهم، لما تحمله تلك الخطبة من الواقعية والصدق والاستناد إلى أُسس متينة قوامها الكتاب الكريم والسنّة النبوية المباركة، في بيان مظلوميتها وفي إشادتها بفضل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأحقيته في خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ممّا جعل الأنصار يهتفون باسم علي (عليه السلام)، فاستشعر رجال السقيفة الخطر من هذه البادرة، فنادى أبو بكر الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فأرعد وأبرق.

روى الجوهري عن جعفر بن محمد بن عمارة بعدة طرق، قال: لما سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال: أيُّها الناس، ما هذه الرِّعة[٣] إلى كلِّ قالة؟! ومع كلّ قالة أُمنية، أين كانت هذه الأماني في عهد نبيكم؟! ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنّما هو ثُعالة شهيده ذنبه، مربّ لكلِّ فتنةٍ، هو الذي يقول: كرّوها جذعةً بعدما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأُمِّ طِحال[٤] أحبّ أهلها إليها البغيّ!!!

ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، وإنّي ساكت ما تُركِت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، فو الله إنّ أحقّ الناس بلزوم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، وأنتم اليوم أحقُّ من لزم عهده، ومع ذلك فاغدوا على أُعطياتكم، فإنّي لست كاشفاً قناعاً، ولا باسطاً ذراعاً ولا لساناً إلاّ على من استحقّ ذلك والسلام؛ ثم نزل فانصرفت فاطمة (عليها السلام) إلى منزلها[٥].

قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر ابن يحيى بن أبي زيد البصري، وقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح. قلت: لو صرّح لم أسألك، فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب (عليه السلام). قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ يقوله! قال: نعم، إنّه

---

(١) بلاغات النساء: ٢٣. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٥٣.

(٢) دلائل الإمامة: ١٢٢.

(٣) الرعة: الاستماع والإصغاء.

(٤) أم طحال: امرأة بغي في الجاهلية، يقال في المثل: أزنى من أم طحال.

(٥) دلائل الإمامة: ١٢٢. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥.

الملك يا بني. قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علي (عليه السلام) فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم[١].

ثانياً: خطبة الزهراء (ع) بنساء المهاجرين والأنصار:

تظافرت الروايات عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وعبدالله ابن عباس، وسويد بن غفلة، وعبدالله بن الحسن عن أُمه فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) قالوا: لمّا مرضت فاطمة الزهراء (عليها السلام) المرضة التي توفيت فيها، واشتدّت علّتها، اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليعدنها، فسلّمن عليها، وقلن: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟ فحمدت الله تعالى وصلّت على أبيها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قالت: «أصبحت والله عائفة لدنياكنّ، قالية لرجالكنّ، لفظتهم بعد أن عجمتهم[٢]، وشنأتهم بعد أن سبرتهم[٣]، فقبحاً لفلول الحدّ، واللعب بعد الجدّ، وقرع الصفاة، وصدع القناة، وخطل الآراء، وزلل الأهواء، و ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[٤] لا جرم والله، لقد قلّدتهم ربقتها، وحمّلتهم أوقتها[٥]، وشننت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين.

ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطّبين[٦] بأمور الدنيا والدين؟! ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[٧].

وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا منه والله نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله عزّ وجل.

وتالله لو تكافّوا عن زمام نبذه إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاعتقله[٨] ثمّ لسار بهم سيراً سُجحاً[٩]، لا يُكلم خشاشه، ولا يكلّ سائره، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً فضفاضاً، تطفح ضفتاه، ولا يترنّق[١٠] جانباه، ولأصدرهم بطاناً،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥.

(٢) اختبرتهم وابتليتهم.

(٣) اختبرتهم وامتحنتهم.

(٤) سورة المائدة: ٥/ ٨٠.

(٥) ثقلها.

(٦) الفطن الحاذق.

(٧) سورة الزمر: ٣٩/ ١٥.

(٨) أمسكة.

(٩) سهلاً ليناً.

(١٠) لا يتكدر.

ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلّى من الغنى بطائل[١]، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ريّ الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٢].

ألا هلم فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجباً، وإن تعجب فعجب قولهم. ليت شعري إلى أيّ لَجأ لجأوا، وإلى أيّ سناد استندوا، وعلى أي عماد اعتمدوا، وبأيّ عروة تمسكوا، وعلى أيّ ذريّة قدّموا واحتنكوا[٣]! ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[٤] وبئس للظالمين بدلاً.

استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٥]، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٦] ويحهم ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٧]؟!

أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمّ احتلبوا ملء القَعب دماً عبيطاً، وذعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم نفساً، واطمئنّوا للفتنة جأشاً[٨]، وابشروا بسيف صارم، وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج دائم شامل، واستبدادٍ من الظالمين، يدع فيأكم زهيداً، وجمعكم حصيداً. فيا حسرتى لكم، وأنّى بكم وقد عميت عليكم؟! ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[٩]».

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها على رجالهنّ، فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يُبرَم العهد ويُحكَم العقد، لما عدلنا إلى غيره.

فقالت (عليها السلام): **«إليكم عنّي، فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم»**[١٠].

---

(١) لم يستفد منه كثير فائدة.

(٢) سوره الزمر: ٢٩/ ٥١.

(٣) استولوا.

(٤) سورة الحج: ٢٢/ ١٣.

(٥) سورة الكهف: ١٨/ ١٠٤.

(٦) سورة البقرة: ٢/ ١٢.

(٧) سورة يونس: ١٠/ ٣٥.

(٨) مروّعة للقلب والنفس.

(٩) سورة هود: ١١/ ٢٨.

(١٠) روى هذه الخطبة ابن أبي طيفور في بلاغات النساء: ١٩. والشيخ الصدوق في معاني الأخبار: ٣٥٤/ ١. والشيخ الطوسي في أماليه: ٣٧٤/ ٨٠٤. والطبري في الدلائل: ١٢٥/ ٣٧. والاربلي في كشف الغمة ١: ٤٩٢. والطبرسي في الاحتجاج ١: ١٠٨. وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ٢٣٣. والعلامة المجلسي في البحار ٤٣: ١٥٨ - ١٥٩.

المبحث الثالث

وفاتها (ع) ومدّة بقائها بعد أبيها (ص)

لّما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونال الزهراء (عليها السلام) ما نالها من القوم، لزمت الفراش، ونحل جسمها ومرضت مرضاً شديداً[١] ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت (صلوات الله عليها)[٢] وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس[٣].

فلمّا نعيت إليها نفسها، أوصت أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يتزوج بابنة أُختها أُمامة بنت زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحبّها لأولادها، وأن يتخذ لها نعشاً وصفته له، وأن لا يدع أحداً يشهد جنازتها ممن ظلمها، ولا يصلي عليها أحد منهم، وأن يتولى أمرها بنفسه، ويدفنها في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار[٤].

وروى أنّ أسماء بنت عميس هي التي وصفت صورة النعش لفاطمة (عليها السلام) قبل وفاتها، فقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: **«أول نعش أحدث في الإسلام نعش فاطمة (عليها السلام)، إنّها اشتكت شكوتها التي قبضت فيها، وقالت لأسماء: إنّي نحلت وذهب لحمي، ألا تجعلي لي شيئاً يسترني؟ قالت أسماء: إنّي كنت بأرض الحبشة، فرايتهم يصنعون شيئاً، افلا أصنع لك، فإن اعجبك صنعت لك؟ قالت: نعم. فدعت بسرير فأكبّته لوجهه، ثمّ دعت بجرائد فشددتها على قوائمه، ثم جلّلته ثوباً، فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون. فقالت (عليها السلام): اصنعي لي مثله، استريني سترك الله من النار»**[٥].

---

(١) راجع الروايات في هذا المعنى في الاحتجاج/ الطبري: ٨٣ ودلائل الإمامة/ الطبراني: ١٣٤. وكتاب سليم: ٤٠. ودعائم الإسلام ١: ٢٣٢. ووصفت (عليها السلام) بالشهيدة في كثير من الروايات والزيارات. راجع الكافي ١: ٤٥٨/ ٢. والمزار/ المفيد: ١٥٦. والمقنعة/ المفيدة. ٤٥٩. وتهذيب الأحكام/ الطوسي ٦: ١٠/ ١٩. والبلد الأمين/ الكفعمي: ١٧٨.

(٢) روضة الواعظين/ الفتال: ١٥١. والمناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩١/ ٢٠.

(٣) أمالي المفيد: ٢٨١/ ٧. وأمالي الطوسي: ١٠٩/ ١٦٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١١/ ٤٠. وقيل: أن أسماء التي حضرت زواج الزهراء (عليها السلام) ووفاتها، هي غير أسماء بنت عميس، فلعلها مصحفة عن سلمى امرأة أبي رافع، أو سلمى بنت عميس امرأة حمزة (رضي الله عنه)، أو أسماء بنت يزيد بن السكن.

(٤) روضة الواعظين/ الفتال: ١٥١. والمناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٢. وأمالي المفيد: ٢٨١/ ٧. وأمالي الطوسي: ١٠٩/ ١٦٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨١ و ١٩٢ و ٢١١/ ٤٠.

(٥) تهذيب الأحكام/ الطوسي ١: ٤٦٩/ ١٨٥. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٣/ ٤٢. وراجع أيضاً كشف الغمة/ الاربلي ١: ٥٠٣ - ٥٠٤. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. وحلية الأولياء/ أبو نعيم ٢: ٤٣. والاستيعاب/ ابن عبد البرّ ٤: ٣٧٨. ومقتل الحسين (عليه السلام)/ الخوارزمي ١: ٨٢. وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٠٣ - ٩٠٥. وذخائر العقبى/ المحب الطبري: ٥٤.

قال ابن عباس رضي الله عنه: فقبضت فاطمة (عليها السلام) فارتجّت المدينة بالبكاء من، الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة، كادت المدينة تتزعزع من صراخهن، وهن يقلن: يا سيدتاه، يا بنت رسول الله، وأقبل الناس إلى علي (عليه السلام) مثل عرف الفرس وهو جالس، والحسن والحسين (عليهم السلام)بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما.

وخرجت أُمّ كلثوم (عليها السلام) وعليها برقعها تجرّ ذيلها، متجلّلة برداء عليها تسحبه، وهي تقول: يا أبتاه، يا رسول الله، الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً[2].

وروي أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) وقع على وجهه وهو يقول: **«بمن العزاء يا بنت محمد، كنت بك أتعزّى، ففيم العزاء من بعدك؟»**[3].

واجتمع الناس وهم يرجون أن تخرج جنازة الزهراء (عليها السلام) فيصلّوا عليها، فخرج أبو ذر رضي الله عنه وقال: انصرفوا، فإنّ ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أُخّر إخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا[4].

غُسلها (عليها السلام):

لمّا توفيت فاطمة (عليها السلام) قام أمير المؤمنين (عليه السلام) بجميع ما أوصته، فتولى غسلها بنفسه[5]، وكفّنها في سبعة أثواب[6]. وقيل: أعانته على غسلها أسماء بنت عميس بوصية من الزهراء (عليها السلام)[7]، وروي أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر الحسن والحسين (عليهما السلام) يدخلان الماء[8]، وكانت أسماء تصبّ عليه[9].

---

(١) كتاب سليم: ٢١٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٩.

(٢) روضة الواعظين/ الفتال: ١٥١ ـ ١٥٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٢.

(٣) كشف الغمة ١: ٥٠١. وبحار الأنوار ٤٢: ١٨٧

(٤) روضة الواعظين/ الفتال: ١٥٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٢.

(٥) راجع: الكافي/ الكليني ١: ٤٥٩/ ٤. وعلل الشرائع/ الصدوق: ١٨٤/ ١ ـ باب (١٤٨). وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٥٠٢. وتهذيب الأحكام/ الطوسي ١: ٤٤٠/ ٦٧. ودلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٦. وتاج المواليد/ الطبرسي: ٩٨ ـ ضمن مجموعة نفيسة. والاستيعاب/ ابن عبدالبر ٤: ٣٧٩. وتاريخ المدينة/ ابن شبة ١ ١٠٩. وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٠٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٤ و ١٨٨ و ٢٠٦/ ٣٢ و٣٣، ٨١: ٢٩٩/ ١٨.

(٦) بحار الأنوار ٤٣: ٢٠١/ ٣٠، ٨١: ٣٣٥/ ٣٦.

(٧) الذرية الطاهرة/ الدولابي: ١٥٢/ ٢٠٢. والسنن الكبرى/ البيهقي ٣: ٣٩٦. والمناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٤. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٥٠٠. والاستيعاب/ ابن عبدالبر ٤: ٣٧٩. والإصابة/ ابن حجر ٤: ٣٧٨. وذخائر العقبى/ المحب الطبري: ٥٣. وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٠٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٤ و ١٩٥ و ١٨٩، ٨١: ٣٠٠/ ١٨.

(٨) كشف الغمة/ الاربلي ١: ٥٠٠. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٦، ٨١: ٣٠٠/ ١٨.

(٩) تذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٢١٩.

ولم يحضرها إلاّ الحسن، والحسين، وزينب، وأُمّ كلثوم، وفضة جاريتها، وأسماء بنت عميس[1].

وعن أُمّ سلمة، وسلمى امرأة أبي رافع، وعبدالله بن محمد بن عقيل، قالوا: إنّ الزهراء (عليها السلام) اغتسلت قبل مماتها كأحسن ما كانت تغتسل، وتحنّطت ولبست ثيابها الجدد، واستقبلت القبلة، وقالت: **«إنّي مقبوضة فلا أكشفن، فاني قد اغتسلت»** فتوفّيت (عليها السلام) وحملها علي (عليه السلام) بغُسلها[2].

وهذا الخبر معارض بما تقدّم من وصيتها بالغُسل، وأنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) تولّى غسلها، كما أنّ الحكم على خلافه، إذ لا يجوز الدفن إلاّ بعد الغسل سوى في مواضع ليس هذا منها.

وأوّل العلاّمة المجلسي رحمه الله هذا الخبر بكونها (عليها السلام) لم تنه عن الغسل، بل نهت عن كشف بدنها لغرض التنظيف[3]، فجمع بين الخبرين، مستدلاً برواية ورقة بن عبدالله الأزدي، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: **«والله لقد أخذت في أمرها، وغسلتها في قميصها، ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهّرة»**[4].

وقال سبط ابن الجوزي: قد تكون مخصوصة بذلك[5]، وبنحوه قال علي ابن عيسى الأربلي[6].

وقال السيوطي: هذا حديث غريب، وإسناده جيد... فإن صحّت هذه القصة، عُدّ ذلك في خصائصها[7].

الصلاة عليها (عليها السلام):

تولّى أمير المؤمنين (عليه السلام) الصلاة على فاطمة (عليها السلام) وكبر خمساً[8]، وكان معه الحسن والحسين (عليهما السلام)[9] ونفر من بني هاشم ومن خواصه (عليه

---

(١) دلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧١.

(٢) الأمالي/ الطوسي: ٤٠٠/ ٨٩٣. وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٠٢ - ٩٠٣. وتاريخ المدينة/ ابن شبة ١: ١٠٨. ومسند أحمد ٦: ٤٦١ - ٤٦٢. ومقتل الحسين (عليه السلام)/ الخوارزمي ١: ٨١. والطبقات الكبرى/ ابن سعد ٨: ٢٧. وأُسد الغابة ٥: ٥٩٠. وذخائر العقبى: ٥٣. ومجمع الزوائد ٩: ٢١٠ - ٢١١. والثغور الباسمة/ السيوطي: ٤٩. وكشف الغمة ١: ٥٠١ - ٥٠٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧٢/ ١٢ و ١٨٣ و ١٨٧.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٢ و ١٨٨.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٩.

(٥) تذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٣١٩.

(٦) كشف الغمة ١: ٥٠٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٨.

(٧) الثغور الباسمة/ السيوطي: ٥٠.

(٨) كشف الغمة ١: ٥٠٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٨، ٨١: ٣٩٠/ ٥٥.

(٩) دلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧١/ ١١.

السلام)، منهم العباس عمه، وعقيل، والفضل بن العباس، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد، وحذيفة، وعبدالله بن مسعود، وعمّار، والزبير، وبريدة[١].

وقد وضع البعض رواية شاذة نادرة، مفادها أن أبا بكر صلّى على فاطمة (عليها السلام) وكبّر أربعاً[٢]. والهدف من وضع هذه الرواية واضح، هو الدلالة على أن فاطمة (عليها السلام) ماتت وهي راضية عن الشيخين، لكنها معارضة لما روى في الصحيح من أن الزهراء (عليها السلام) ماتت وهي ساخطة عليهما وأوصت أن لا يحضرا جنازتها، ولا يصليا عليها، ولمّا ماتت دفنها زوجها علي (عليه السلام) ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها علي (عليه السلام)[٣]، وقد ردّ كثير من الأعلام هذه الرواية وكذّبوها[٤].

قال سلامة الموصلي:

لمّا قضت فاطم الزهراء غسّلها	عن أمرها بعلها الهادي وسبطاها
وقام حتى أتى بطن البقيع بها	ليلاً فصلّى عليها ثمّ واراها
ولم يصلِّ عليها منهمُ أحدٌ	حاشا لها من صلاة القوم حاشاها[٥]

دفنها:

لمّا جنّ الليل ومضى شطره ونامت العيون، أخرجها أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) ومعهم نفر من بني هاشم وبعض من خواصّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، ودفنوها في جوف الليل، وغيّبوا قبرها، وسوّى علي (عليه السلام) حواليها قبوراً مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها، وسوّى قبرها مع الأرض ليخفى موضعه[٦]، وروى أنّه (عليه السلام) رشّ أربعين قبراً حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور فيصلّوا عليها[٧].

---

(١) روضة الواعظين/ الفتال: ١٥٢. ورجال الكشي: ٧/ ١٣. والخصال/ الصدوق: ٣٦٠/ ٥٠ والاختصاص/ المفيد: ٥. والمناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣. وتاج المواليد/ الطبرسي: ٩٨ ـ ٩٩. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٠/ ٣٩.

(٢) الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٨: ٢٩.

(٣) راجع: صحيح البخاري ٥: ٢٨٨/ ٢٥٦ ـ كتاب المغازي. وصحيح مسلم ٢: ١٣٨٠/ ١٧٥٩ ـ كتاب الجهاد والسير. وسنن أبي داود ٣: ١٤٢/ ٢٩٦٨ ـ باب صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). والمستدرك/ الحاكم ٣: ١٦٢. وتاريخ المدينة/ ابن شبة ١: ١١٠. والسيرة الحلبية ٣: ٣٦١ ـ ٣٦٢. والكافي/ الكليني ١: ٤٥٨. وعلل الشرائع/ الصدوق: ١٨٥ و١٨٨ و١٨٩، ومضت في المبحث الأول المزيد من تخريجاته.

(٤) راجع: شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٩ ـ ٢٨٠. والشافي/ المرتضى ٤: ١١٣.

(٥) المناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣.

(٦) روضة الواعظين/ الفتال: ١٥٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٣.

(٧) المناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣. والشافي/ المرتضى ٤: ١١٥. وتلخيص الشافي ٣: ١٣٠. ودلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٣.

وسُئل ابن عباس: متى دفنتم فاطمة (عليها السلام)؟ فقال: دفناها بليل بعد هدأة. قيل: فمن صلّى عليها؟ قال: علي (عليه السلام)[١].

قال الشيخ كاظم الأُزري رحمه الله::

ولأيّ الأمـــور تـدفـــن ســـراً	بـــضعة المـــصطفى ويعفـــى ثـــراها
فمـــضت وهـــي أعظـــم النـــاس وجـــدا	في فـــم الـــدهر غـــصّة مـــن جواهـــا
وثـــوت لا يـــرى لهـــا النـــاس مثـــوى	أيّ قـــدس يـــضمّه مثـــواها[٢]

وعن الأصبغ بن نباته، أنه سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن علّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلاً. فقال (عليه السلام): **«إنّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها»**[٣].

وعن علي بن أبي حمزة، قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) لأيّ علّة دُفِنت فاطمة بالليل، ولم تدفن بالنهار؟ فقال (عليه السلام): **«لأنّها أوصت أن لا يصلي عليها رجال»**[٤].

وهكذا يغيّب قبر أحبّ الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعزّهم عليه في مجتمع لم يبل فيه قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحُرمت الأُمّة من قدس الزهراء (عليها السلام) وثواب زيارة بقعتها حتى قيام الساعة.

لقد عبّرت الزهراء (عليها السلام) في وصيتها بتغييب قبرها عن مظلوميتها واغتصاب حقوقها، فجعلت ذلك موضع تساؤل عبر الأجيال يحكي قصة ظلامة الزهراء (عليها السلام) وهضم حقوقها والاعتداء عليها، وقد بانت آثار ذلك منذ صبيحة الليلة التي دفنت فيها.

روى محمد بن همام بإسناده عن رجاله، قال: إنّ المسلمين لما علموا وفاة فاطمة (عليها السلام) جاءوا إلى البقيع، فوجدوا فيه أربعين قبراً، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور، فضجّ الناس، ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: لم يخلف نبيكم إلاّ بنتاً واحدة، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها ولا دفنها ولا الصلاة عليها، ولا تعرفوا قبرها؟!![٥].

ندبة علي (عليه السلام) عند دفن الزهراء (عليها السلام):

وعبّر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن تلك المظلومية حينما فرغ من دفن الزهراء (عليها السلام)، حيث هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه، وحوّل وجهه إلى قبر أخيه رسول

---

(١) الشافي/ المرتضى ٤: ١١٣. وتلخيص الشافي/ الطوسي ٣: ١٣٠. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٩ ـ ٢٨٠. والطبقات الكبرى/ ابن سعد ٨: ٣٠.

(٢) الأُزرية: ١٤١ ـ دار الأضواء.

(٣) الأمالي/ الصدوق: ٧٥٥/ ١٠١٨. والمناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٣. و٢٠٩/ ٣٧.

(٤) علل الشرائع/ الصدوق ١: ١٨٥ باب (١٤٩).

(٥) دلائل الإمامة: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٢/ ٤١.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «**السلام عليك يا رسول الله، عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك.**

إلى أن قال: **وإلى الله اشكو، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فاحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.**

إلى أن قال: **واهاً واهاً! والصبر ايمن واجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث عندك لزاماً معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تُدفَن ابنتك سراً، ويُهضَم حقّها قهراً، ويُمنَع إرثها جهراً، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أجمل العزاء، صلّى الله عليك و(عليها السلام) والرضوان**[١].

وقام (عليه السلام) على شفير القبر فقال:

لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقة	**وكلّ الذي دون الفراق قليلُ**
وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ	**دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ**[٢]

ثم قال (عليه السلام): **اللهمَّ إني راض عن ابنة نبيك، اللهمَّ إنّها قد أوحشت فآنسها، اللهمَّ إنّها قد هُجرت فصِلها، اللهمَّ إنّها قد ظُلمت فاحكم لها، وانت خير الحاكمين**»[٣].

موضع قبرها (عليها السلام):

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيدة نساء العالمين (عليها السلام)، فمنهم من روى أنّها دفنت في البقيع، ومنهم من روى أنّها دفنت بين القبر والمنبر، وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّما قال: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**» لأنّ قبرها (عليها السلام) بين القبر والمنبر، ومنهم من روى أنّها دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أُمية في المسجد، صارت في المسجد. وهذا هو الصحيح عندي[٤].

---

(١) أمالي المفيد: ٢٨١/ ٧. وأمالي الطوسي: ١٠٩/ ١٦٦. والكافي/ الكليني ١: ٤٥٨/ ٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٣/ ٢١ و ٢١٠/ ٤٠. وراجع: نهج البلاغة/ صبحي الصالح: ٣١٩ الخطبة ٢٠٢. وشرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٦٥/ ١٩٥. وتذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٣١٩ ـ ٣٢٠. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٥٠٤ ـ ٥٠٥.

(٢) الكامل/ المبرد ٤: ٣٠. وشرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٨٨. والموفقيات/ ابن بكار: ١٩٤/ ١٠٦. ومروج الذهب/ المسعودي ٢: ٢٩١. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. وتذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٣١٩.

(٣) الخصال/ الصدوق: ٥٨٨.

(٤) الفقيه/ الصدوق ٢: ٣٤١/ ١٥٧٣ ـ ١٥٧٥. وراجع الأقوال في هذه المسألة في روضة الواعظين/ الفتال: ١٥٢. وإعلام الورى/ الطبرسي ١: ٣٠١. والمناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧. وكشف الغمة ١: ٥٠١. ومعاني الأخبار/ الصدوق: ٢٦٧ ـ ٢٦٨. وتاريخ المدينة/ ابن شبّة ١: ١٠٨. وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٠٧ و ٩١٨. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٧.

ومستند الشيخ الصدوق رحمه الله في تصحيحه ما رواه عن أبيه بالإسناد عن أحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى قال: سألت أبا الحسن على بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قبر فاطمة صلوات الله عليها، فقال: «**دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد**»[١] وروى نحو ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام)[٢].

وذكر الشيخ الطوسى رحمه الله والعلاّمة الطبرسى الأقوال الثلاثة التى ذكرها الشيخ الصدوق (رحمه الله) واستبعدا الأول منها، واستصوبا القولين الأخيرين.

قال الشيخ الطوسى رحمه الله: الأصوب أنها مدفونة في دارها، أو في الروضة[٣]، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين، والأفضل عندى أن يزور الإنسان من الموضعين جميعاً، فإنّه لا يضرّه ذلك، ويحوز به أجراً عظيماً، وأمّا من قال إنّها دفنت بالبقيع، فبعيد عن الصواب[٤].

وقال العلاّمة الطبرسى رحمه الله: القول الأول بعيد ـ أى كونها (عليها السلام) مدفونة بالبقيع ـ والقولان الآخران أشبه وأقرب إلى الصواب، فمن استعمل الاحتياط في زيارتها، زارها في المواضع الثلاثة[٥].

ورجّح السيد ابن طاووس كونها (عليها السلام) مدفونة في بيتها[٦]، وكذلك عبدالعزيز بن عمران، وقال: إنها دفنت في بيتها، وصنع بها ما صنع برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إنّها دفنت في موضع فراشها، واحتجّ على ذلك بكونها دفنت ليلاً، ولم يعلم بها كثير من الناس[٧].

وقيل أيضاً: إنّها (عليها السلام) دفنت بالمسجد المنسوب إليها في البقيع، وهو المعروف ببيت الحزن، أو بيت الأحزان، الذى آوت إليه والتزمت الحزن فيه عند وفاة أبيها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)[٨]، والله العالم بحقيقة الحال.

قال الشاعر:

بأبــــــي الــــــتي ماتـــــت ومـــــا ـــــــ مـــــاتت مكارمهـــــا الــــــسنيةْ

---

(١) معاني الأخبار: ٢٦٨. والفقيه/ الصدوق ١: ١٤٨/ ٦٨٤. والكافي/ الكليني ١: ٤٦١/ ٩. وقرب الاسناد/ الحميري: ٣٦٧/ ١٣١٤. وتهذيب الأحكام/ الطوسي ٣: ٢٥٥/ ٢٥. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٥/ ١٧.

(٢) تاريخ المدينة/ ابن شبة ١: ١٠٧ ـ ١٠٨. وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٠٢.

(٣) المناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٥. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٥/ ١٧.

(٤) تهذيب الأحكام/ الطوسي ٦: ٩/ ١٧.

(٥) إعلام الورى/ الطبرسي ١: ٣٠١. وتاج المواليد/ الطبرسي: ٩٩ ـ ضمن مجموعة نفيسة.

(٦) إقبال الأعمال/ ابن طاووس: ٦٢٤.

(٧) تاريخ المدينة/ ابن شبة ١: ١٠٨.

(٨) وفاء الوفا/ السمهودي ٣: ٩٠٧ و ٩١٨.

بـــأبي الـــتي دفنـــت وعفـــي قبـــــرها الـــــسامي تقيـــــه[١]

وقال ديك الجنّ:

يـا قـبر فاطمـة الـذي مـا مثلـه قبـرٌ بطيبـةَ طـاب فيـه مبيتـا

إذ فيـك حلّـت زهـرة الـدنيا الـتي بحلـى محاسـن وجههـا حلّيتـا

فـسقى ثـراك الغيـث مـا بقيـت بـه نـور القبـور بطيبـةٍ وبقيتـا[٢]

تاريخ وفاتها (عليها السلام):

المشهور أن وفاتها (عليها السلام) كانت في الثالث من جمادى الآخرة[٣]، يوم الثلاثاء، سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهو المروى عن الإمام الصادق (عليه السلام)[٤].

وفي رواية: لعشر بقين من جمادى الآخرة[٥]، وقيل: لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ليلة الأحد[٦].

وعن ابن عياش: في الحادى والعشرين من رجب[٧].

وقال المدائنى والواقدى وابن عبد البرّ: إنّها توفّيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان[٨].

مقدار عمرها (عليها السلام):

يختلف مقدار عمر الزهراء (عليها السلام) بحسب اختلاف الرواية في تاريخ ولادتها (عليها السلام)، وقد قدّمنا ذلك في الفصل الأول، فعلى ما روى بأنّها (عليها السلام) ولدت بعد المبعث بخمس سنين، يكون عمرها(عليها السلام) لّما توفي النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثماني عشرة سنة، وهو المشهور[٩].

---

(١) المجالس السنية/ السيد الأمين ٥: ٦٨.

(٢) المناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٦.

(٣) إقبال الأعمال/ ابن طاووس: ٦٢٣. ومصباح المتهجد/ الطوسي: ٧٩٣. ومصباح الكفعمي: ٥١١. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩٩/ ٢٦، ٢١٥/ ٤٦ و ١٠٠: ١٩٨/ ١٧.

(٤) دلائل الإمامة/ الطبري: ٧٩/ ١٨. وبحار الأنوار ٤٣: ٩/ ١٦ و ١٧٠/ ١١.

(٥) دلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٦. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧١.

(٦) المناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٠/ ١٦.

(٧) مصباح المتهجد: ٨١٢. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٥/ ٤٧ و ١٠٠/ ١٢٠٢.

(٨) تاريخ الطبري ٣: ٢٤٠. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. والطبقات الكبرى/ ابن سعد ٨: ٢٨. ومقتل الحسين (عليه السلام)/ الخوارزمي ١: ٨٣. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٥٠٣. والثغور الباسمة/ السيوطي: ٤٨. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٩، ٢١٤.

(٩) الكافي/ الكليني ١: ٤٥٨. وتذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٣٢١ عن الإمام الصادق (عليه السلام). وعيون المعجزات: ٥٥. ودلائل الإمامة/ الطبري: ١٣٦. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٤٤٩. والتتمة/ تاج الدين العاملي: ٤١. وبحار الأنوار ٤٣: ١٧١/ ١١.

وعلى القول بأنها (عليها السلام) ولدت قبل المبعث بخمس سنين، يكون عمرها (عليها السلام) عند وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثماني وعشرين أو تسعاً وعشرين سنة، وهو قول أكثر العامّة[1]، وهناك أقوال أُخرى كثيرة مختلفة في تقدير عمر الزهراء (عليها السلام) يوم وفاتها، سببها الاختلاف في تاريخ ولادتها ومدّة بقائها بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد قيل: إنّ عمرها الشريف يوم وفاتها (عليها السلام) كان اثنتين وعشرين سنة، وقيل: ثلاث وعشرون، وأربع وعشرون، وستّ وعشرون، وسبع وعشرون، وتسع وعشرون، وثلاثون، وثلاث وثلاثون، وخمس وثلاثون[2].

مدة بقائها (ع) بعد أبيها (ص):

اختلفت الروايات وتضاربت الأقوال في تحديد المدة التي مكثتها الزهراء (عليها السلام) فقيل أنّه كان: خمسة عشر يوماً، أربعين يوماً، خمسة وأربعين، شهرين، ستين يوماً، سبعين، اثنتين وسبعين، خمسة وسبعين، خمسة وثمانين، ثلاثة أشهر، تسعين يوماً، خمسة وتسعين، مائة يوم، أربعة أشهر، ستة أشهر، ستة أشهر إلاّ ليلتين، ثمانية أشهر، فلم يقل أحد بأقل من خمسة عشر يوماً، ولا بأكثر من ثمانية أشهر[3].

وتدلّ أكثر الروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) أنها مكثت بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً[4]، وعلى المشهور عند الإمامية من أنّ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت في الثامن والعشرين من صفر، تكون وفاتها (عليها السلام) في نحو الثالث عشر من جمادى الأُولى، لا في الثالث من جمادى الآخرة

---

(١) المعجم الكبير/ الطبراني ٢٢: ٣٩٩/ ٩٩٨. وتذكرة الخواص: ٣٢٠ ـ ٣٢١. وتاريخ الطبري ٣: ٢٤٠. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. وأُسد الغابة ٥: ٥٢٤. والطبقات الكبرى/ ابن سعد ٨: ٢٨. والاستيعاب/ ابن عبدالبر ٤: ٣٨٠.

(٢) راجع: مستدرك الحاكم ٣: ١٦٣. والمعجم الكبير/ الطبراني ٢٢: ٣٩٩/ ٩٩٧. وتذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٣٢١. والاستيعاب/ ابن عبدالبر ٤: ٣٨٠. وأُسد الغابة ٥: ٥٢٤. والثغور الباسمة/ السيوطي: ٤٨. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٥٠٣. والتتمة/ تاج الدين العاملي: ٤٢. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٣) راجع: المعارف/ ابن قتيبة: ٦٢. والمعجم الكبير/ الطبراني ٢٢: ٣٩٨ ـ ٣٩٩. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢ ـ ١٦٣. ودلائل النبوة/ البيهقي ٦: ٣٦٥. وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤. والإصابة/ ابن حجر ٤: ٣٧٩. والذرية الطاهرة/ الدولابي: ١٥١/ ١٩٥. والثغور الباسمة/ السيوطي: ٤٨. ومقاتل الطالبيين/ أبو الفرج: ٣١. المناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧. وكشف الغمة ١: ٤٤٩ و٥٠٢ و٥٠٣. وإعلام الورى/ الطبرسي ١: ٣٠٠. والتتمة/ تاج الدين العاملي: ٤١ ـ ٤٢. وبحار الأنوار ٤٣: ٧ ـ ٩ و١٨٠/ ١٦ و١٨٨/ ١٩ و٢٠٠/ ٣٠ و٢١٢/ ٤١ و٢١٣/ ٤٤ و٢١٥/ ٤٥ و٢١٧/ ٤٩.

(٤) الكافي/ الكليني ١: ٢٤١/ ٥ و٤٥٨/ ١، ٤: ٥٦١/ ٤. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٤٤٩. والتتمة/ تاج الدين العاملي: ٤١. وبحار الأنوار ٤٣: ٩/ ١٦ و١٩٥/ ٢٢ و٤١٢/ ٤١.

وكما هو المشهور في وفاتها (عليها السلام)، وعلى المشهور عند العامّة من أن وفاة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) في الثانى عشر من ربيع الأول، تكون وفاتها في أواخر جمادى الأُولى.

والذي يقتضيه الجمع بين ماهو مشهور من وفاة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) في الثامن والعشرين من صفر، ووفاتها (عليها السلام) في الثالث من جمادى الآخرة، هو ما روى عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) من أن فاطمة (عليها السلام) بقيت بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وتسعين يوماً[1]، فيرتفع بذلك التنافي. ورجّح ذلك أبو الفرج الأصفهانى حيث قال: كانت وفاة فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عدّة يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول ثمانية أشهر، والمقلل يقول: أربعون يوماً[2]، إلاّ أنّ الثبت في ذلك ما روى عن أبى جعفر محمد بن على (عليه السلام) أنّها توفيت بعده بثلاثة أشهر[3].

ويؤيده أيضاً ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: «**بدؤ مرض فاطمة (عليها السلام) بعد خمسين ليلة من وفاة رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)»[4] وما روى من أنّها (عليها السلام) مرضت مرضاً شديداً، ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت[5]. فيكون المجموع تسعين يوماً، مع عدم التعرض للأيام الزائدة، تسامحاً في الكسور لقلتها، والله العالم بحقيقة الحال.

ونكتفى بهذا القدر من الكلام في الحديث عن الزهراء (عليها السلام) النموذج المتكامل والمثل الأعلى في العطاء والتضحية والصبر والعبادة والذوبان في ذات الله عزّ وجلّ، والوقوف بكلٍّ بسالة وشجاعة بوجه الباطل وتعريته تماماً، مؤكدين أخيراً بان موقف الزهراء (عليها السلام) وقصة رحيلها إلى العالم الآخر يعدّ من أكثر الوثائق الحاسمة في التاريخ قدرة على كشف الكثير من الحقائق التى طالما خفيت على الأجيال. وذلك باعتبار أن الزهراء (عليها السلام) ميزان عدل لفهم الحق، ومن خلال ما ثبت

---

(١) دلائل الإمامة/ الطبري: ٧٩/ ١٨. وكشف الغمة/ الاربلي ١: ٥٠٢. والتتمة/ تاج الدين العاملي: ٤٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨٩/ ١٩.

(٢) وروي خمسة عشر يوماً. راجع: بحار الأنوار ٤٣: ٢٠٠/ ٣٠.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٣١. وبحار الأنوار ٤٣: ٢١٥/ ٤٥. ورواية الإمام الباقر (عليه السلام) في مجمع الزوائد ٩: ٢١٢. ومستدرك الحاكم ٣: ١٦٢. والطبقات الكبرى/ ابن سعد ٨: ٢٨. وتاريخ الطبري ٣: ٢٤٠.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ٢٠١/ ٣٠.

(٥) روضة الواعظين: ١٥١. والمناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ٣٦٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٨١و١٩١/ ٢٠.

بنحو القطع من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: **«من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»**[1].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): **«من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»**[2] وقد ثبت بما قدّمناه عن كتب الصحاح أن فاطمة (عليها السلام) ماتت وهي ساخطة على أبي بكر وعمر، وأوصت أن لا يحضرا جنازتها، ولا يصليا عليها، وأن عليّاً (عليه السلام) دفنها ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر وعمر.

فإن كانت إمامة أبي بكر حقيقة شرعية ثابتة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإننا سنكون أمام احتمالين لا ثالث لهما بشأن الزهراء صلوات الله عليها.

الأول: أن تكون قد ماتت على ضلالة ولم تدخل الجنة ـ والعياذ بالله ـ لأنها لم تعرف أبا بكر إماماً لزمانها.

الثاني: أن تكون قد ماتت على الإيمان، وعلى هذا يكون الإمام الحق غير أبي بكر وعمر.

والاحتمال الأول باطل وغير صحيح، لما ثبت في كتب الفريقين أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: **« فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»**[3].

ومن هنا نعلم بأنّ سيدة نساء العالمين (عليها السلام) كانت على يقين من معرفة الإمام الحق الذي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، ألا وهو من قالت عنه الزهراء نفسها بخطبتها الشهيرة: **«وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله لاعتقله، ثمّ لسار بهم سيراً سجحاً... ويحهم** ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**»**.

نعم، ذلك هو الإمام الحق الذي عرفته الزهراء (عليها السلام) وبقيت تدافع عن حقّه السليب حتى النفس الأخير من حياتها المقدسة، فسلام عليهما من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

وسلامٌ على عباده

الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين. ❖

---

(١) مسند أحمد ٤: ٩٦. والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧: ٤٩/ ٤٥٥٤. وحلية الأولياء ٣: ٢٢٤. وكنز العمال ١: ١٠٣/ ٤٦٤. ومستدرك الحاكم ١: ١١٧. ومجمع الزوائد ٥: ٢١٨ و ٢٢٤ و ٢٢٥.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٤٧٨/ ٥٨ ـ كتاب الإمارة. والسنن الكبرى/ البيهقي ٨: ١٥٦. وجامع الأُصول ٤: ٤٦٣/ ٢٠٦٥. ومجمع الزوائد ٥: ٢١٨.

(٣) خرّجناه في الفصل الثاني من هذا البحث.

السيدة الزهراء (ع) أم السبطين الحسن والحسين (عليهم السلام)

أ. عبد العزيز كاظم البهادلي(*)

أسماؤها وكناها وألقابها (عليها السلام):

هي فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، وبضعة المصطفى، وأُم أبيها، وزوجة سيد الموحّدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأُم سيديّ شباب أهل الجنّة والتسعة المعصومين من ذرّية الحسين (عليه السلام).

وقد ذكر الإمام الصادق (عليه السلام) تسعة أسماء لأُمّه فاطمة (عليها السلام) وهي: «فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدّثة، والزهراء»[١].

وهناك أسماء أُخرى وردت في روايات أُخرى وهي: الحرّة، والسيدة، والعذراء، والحوراء، ومريم الكبرى، والبتول[٢].

أما كناها فقد كانت تكنّى بأُمّ أبيها، وأُم السبطين، وأُمّ الحسن، وأُمّ الحسين، وأُمّ الأئمة، وغيرها[٣].

وأشهر ألقابها: سيدة نساء العالمين[٤]، وسيدة نساء المؤمنين[٥]، وسيدة نساء هذه الأُمة[٦]، وسيدة نساء أهل الجنة[٧].

شمائلها (عليها السلام):

كانت الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تشبه أباها المصطفى (صلى الله عليه وآله) خلقاً وأخلاقاً ومنطقاً، وقد جاء عن عائشة أنها قالت في وصفها: ما رأيت أحداً أشبه

(*) فصل من كتاب (أُمهات المعصومين، مركز دار الرسالة).

(١) دلائل الإمامة/ الطبري الإمامي: ٧٩/ ١٩، بحار الأنوار ٤٣: ١٠/ ١.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١٦/ ١٥ عن المناقب/ ابن شهرآشوب ٣: ١٣٣.

(٣) الاستيعاب/ ابن عبد البر ٤: ٣٨٠.

(٤) إحقاق الحقّ/ القاضي التستري ١٠: ٢٦، مستدرك الحاكم النيسابوري ٢: ١٧٠/ ٤٧٤٠، عوالم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): ٨٨.

(٥) صحيح مسلم: ٩٩٥/ ٢٤٥٠، ط بيت الأفكار الدولية، مستدرك الحاكم ٣: ١٧٠/ ٤٧٤٠.

(٦) المصدر السابق.

(٧) صحيح البخاري: ٧١٧ باب مناقب فاطمة (عليها السلام)، ط بيت الأفكار الدولية - الرياض، كشف الغمّة ١: ٤٥٢.

سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله (صلى الله عليه وآله) في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1].

وعن أُم سلمة، قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله (صلى الله عليه وآله)[2].

وكانت الزهراء (عليها السلام) المثل الأعلى للنساء في جميع صفات الكمال وفي كلّ الفضائل الإنسانية، ومن هنا وصفها النبي (صلى الله عليه وآله) مراراً بالحورية، وسميت بالزهراء لجمال هيئتها والنور الساطع من طلعتها.

سُئل الصادق (عليه السلام) عن سبب تسمية أُمه فاطمة بالزهراء، فقال: **«لأنها كانت إذا قامت في محرابها يزهر نورها لأهل السماء، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض»**[3].

وعن الإمام العسكري (عليه السلام) قال: **«كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين** (عليه السلام) **في أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرّي»**[4].

ولادتها:

المشهور بين علماء الإمامية أن الصدّيقة فاطمة (عليها السلام) ولدت في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة من السنة الخامسة بعد البعثة النبوية المباركة، وبعد الإسراء بثلاث سنين[5].

قال الشيخ المظفّر في دلائل الصدق: «ولدت بعد البعثة بإجماعنا، واختاره الحاكم في المستدرك، فإنّه عنون بقوله: (ذكر ما ثبت عندنا من أعقاب فاطمة وولادتها)، ثمّ روى أنّها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يتعقّبه الذهبي»[6].

وذكر أكثر علماء العامة: أنها (عليها السلام) ولدت قبل البعثة، واختلفوا في تاريخ الولادة؛ فقيل: ولدت وقريش تبني البيت الحرام، قبل النبوة بخمس سنين، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) ابن خمس وثلاثين سنة[7]. وقيل: قبل المبعث بسبع سنين وستة أشهر[8]، وقيل: بعد المبعث بسنة واحدة[9].

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٧٠٠/ ٣٨٧٢.

(٢) كشف الغمّة/ الأربلي ١: ٤٧١.

(٣) معاني الأخبار/ الصدوق: ٦٤/ ١٥.

(٤) بحار الأنوار/ المجلسي ٤٣: ١٦/ ١٤.

(٥) راجع: الكافي ١: ٤٥٧/ ١٠، كشف الغمّة ١: ٤٤٩، مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٥٧، دلائل الإمامة: ٧٩/ ١٨.

(٦) دلائل الصدق/ المظفّر ٢: ٢٩٠.

(٧) راجع: تذكرة الخواص: ٢٧٥، ذخائر العقبى: ٥٣، الإصابة ٤: ٣٧٧.

(٨) الثغور الباسمة/ السيوطي: ١٥٨.

(٩) مستدرك الحاكم ٣: ١٧٦/ ٤٧٦٠، الاستيعاب ٤: ٣٧٤.

الآيات النازلة في شأنها:

خصّ سبحانه وتعالى أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم الصدّيقة فاطمة بآيات كثيرة أجمع المسلمون على نزولها فيهم سلام اللّه عليهم اهتماماً منه سبحانه وتعالى بشأنهم، وإعظاماً لمقامهم السامي، وترغيباً لغيرهم من المسلمين في السير على هداهم والاقتداء بهم لا سيما وهم الأسوة الحسنة، وفيما يلي نشير إلى بعض تلك الآيات:

منها: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١]. وقد أجمع جمهور المسلمين بل وحتى الخوارج على أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) لم يدعُ للمباهلة من النساء إلاّ الصدّيقة فاطمة الزهراء، وكذا لم يدعُ إلاّ زوجها وابنيها (عليهم السلام)[٢].

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]، وقد أخرج الطبري في تفسيره من طرق شتى اختصاص هذه الآية برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وعلي وفاطمة والحسنين (عليهم السلام)[٤].

ومنها: قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٥]، أخرج أحمد والطبراني وابن أبي هاشم والحاكم عن ابن عباس في شأن نزول هذه الآية فقال (صلى اللّه عليه وآله): «هم: علي وفاطمة والحسنان (عليهم السلام)»[٦].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[٧]، ذكر أغلب المفسرين أنّ شأن نزول هذه الآية كان بحقّ علي وفاطمة والحسنين (عليهم السلام) وفضّة، وذلك لمّا مرض الحسن والحسين فنذروا سلام اللّه عليهم إن شفي الحسنان فإنهم يصومون ثلاثة أيام، وبعد أن عوفيا شرعوا بالصيام، وفي اليوم الأول من صيامهم طرق بابهم مسكين، وفي اليوم الثاني يتيم، وفي اليوم الثالث أسير، فأعطوهم كل ما يملكون من طعام، وكانوا لم يذوقوا إلاّ الماء، فأتاهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فرأى ما نزل بهم من شدّة الحال، فأنزل اللّه سورة (هل أتى) بحقّهم (عليهم السلام)[٨].

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) راجع: صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ من باب فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، سنن الترمذي ٥: ٢٢٥/ ٢٩٩٩، تفسير الرازي ٤: ٩٠، مسند أحمد ١: ١٨٥، مستدرك الحاكم ٣: ١٦٣/ ٤٧١٩ وسائر كتب التفسير والمناقب.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٤) تفسير الطبري ٢٢: ١٠ ـ ١٣، وأُنظر كذلك: المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٢/ ١٠٠٢، مسند أحمد ٣: ٢٥٩ و ٢٨٥، مستدرك الحاكم ٣: ٧٢/ ٤٧٤٨، سنن الترمذي ٥: ٣٥٢/ ٣٢٠٦.

(٥) سورة الشورى: ٢٣.

(٦) ذخائر العقبى/ المحبّ الطبري: ٢٦.

(٧) سورة الدهر: ٧.

(٨) أُسد الغابة/ ابن الأثير ٥ : ٥٣١ «ترجمة فضّة».

كراماتها وخصائصها:

للزهراء البتول (عليها السلام) كرامات وفضائل كثيرة لا تحصى، وها نحن نكتفي بالنزر اليسير منها ، وهي:

انها بنت خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد (صلى الله عليه وآله)، وبنت سيدة الكمال أمّ المؤمنين خديجة الكبرى(عليها السلام)، وزوجة سيّد الأوصياء أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأُم إمامي الهدى الحسن والحسين (عليهما السلام)، فانظر إلى أُسرتها تعرف مَن هي.

وإنها والفواطم أوّل النسوة المهاجرات برفقة علي (عليه السلام) إلى المدينة، وفيهم نزلت الآية الكريمة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1].

ولا أدري أية فضيلة أعظم من قول النبي (صلى الله عليه وآله) لها (عليها السلام): **«إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»**[2].

وقوله (صلى الله عليه وآله) وقد نظر إليها وإلى زوجها وبنيها (عليهم السلام): **«أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم»**[3].

كما أنها (عليها السلام) أوّل امرأة تدخل الجنّة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)[4].

وعن أُم سلمة: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لفاطمة (عليها السلام): **«ائتيني بزوجك وابنيك»**، فجاءت بهم: فألقى عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) كساءً خيبريا أصبناه من خيبر، ثمّ رفع يديه فقال: **«اللّهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على إبراهيم إنّك حميد مجيد»**، فرفعت الكساء لأدخل فجذبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من يدي وقال: **«لا يا أُمّ سلمة، ولكنك على خير»**[5].

وقال الإمام السبط الحسن (عليه السلام): **«رأيت أُمّي فاطمة (عليها السلام) قائمة في محرابها ليلة جمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت: أُمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت (عليها السلام): يا بني الجار ثمّ الدار»**[6].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن أعبد: **«يا ابن أعبد، ألا أخبرك عنّي وعن فاطمة؟ كانت ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي**

(١) سورة التوبة: ٢٠.

(٢) أُسد الغابة/ ابن الأثير ٥: ٥٢٢.

(٣) أُسد الغابة٥: ٥٢٢، مسند أحمد بن حنبل٢: ٤٤٢، مستدرك الحاكم النيسابوري ٣: ١٦١/ ٤٧١٣.

(٤) الفصول المهمّة/ ابن الصباغ المالكي: ١٢٩، مستدرك الحاكم ٣: ١٦٤/ ٤٧٢٣.

(٥) كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥: ٩٦.

(٦) دلائل الإمامة: ١٥١/ ٦٥، علل الشرائع: ١٨١/ ١.

فَجَرَّتْ بالرحى حتى أثّرت الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثّرت القربة بنحرها، وقَمّتْ البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرر»[1].

وكانت فاطمة (عليها السلام) إذا دخلت على النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) قام إليها فقبّلها ورحّب بها، كما كانت تصنع هي به[2]. وكان (صلى الله عليه وآله) إذا قدم من غزو أو سفر، بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم قدم على فاطمة، ثم يأتي أزواجه[3]. وأخرج الحاكم عن الصحابة: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة (عليها السلام)، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة (عليها السلام)[4].

وقال جابر الأنصاري: رأى النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: **«يا بنتاه تجرّعي مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة»** فقالت: **«الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه»**[5].

وعن أبي سعيد الخدري قال: أصبح علي بن أبي طالب (عليه السلام) ساغباً فقال: **«يا فاطمة، هل عندك شيء تغذينه؟»** قالت: **«لا والذي أكرم أبي بالنبوة، وأكرمك بالوصية، ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان شيء أطعمناه من يومين إلاّ شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابنيَّ هذين الحسن والحسين (عليهما السلام)»**. فقال علي (عليه السلام): **«يا فاطمة، ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئاً!»** فقالت فاطمة (عليها السلام): **«يا أبا الحسن، إنّي لأستحي من إلهي أن أكلّفك ما لا تقدر عليه»**[6].

وقالت أُم جعفر: إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت لأسماء بنت عميس: **«يا أسماء، إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها!»** فقالت أسماء: يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثمّ طرحت عليها ثوباً فقالت فاطمة (عليها السلام): «ما أحسن هذا وأجمله!».

وتذكر أخبار السيرة أن الصديقة فاطمة (عليها السلام) أول امرأة غُطّيَ نعشها في الإسلام[7]، وهذه السُنّة للسيدة الصديقة الزهراء تمثّل غاية الحرص على الحشمة ورعاية

---

(١) صفوة الصفوة/ ابن قيم الجوزية ٢: ٦.

(٢) الاستيعاب/ ابن عبد البر ٤: ٣٧٧.

(٣) الاستيعاب ٤: ٣٧٦.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٩/ ٤٧٣٩.

(٥) سفينة البحار/ عباس القمي ١: ٥٧١.

(٦) كشف الغمّة/ الأربلي ١: ٤٦٩، ذخائر العقبى ٤٥: ٤٦.

(٧) الاستيعاب/ ابن عبد البر ٤: ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

الحجاب الشرعي، وهي المثل الأعلى الذي تقتدي به المرأة المسلمة في حياتها ومماتها من أجل حفظ كرامتها عن أنظار الآخرين.

خطوبتها (عليها السلام):

روى الخوارزمي بإسناده عن أم المؤمنين أم سلمة، وسلمان المحمّدي رضي الله عنه، وأمير المؤمنين(عليه السلام)، وكلٌ قالوا: أنّه لمّا أدركت فاطمة بنت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) مدرك النساء، خطبها أكابر قريش من أهل السابقة والفضل في الإسلام والشرف والمال، وكان كلّما ذكرها رجل من قريش لرسول اللّه(صلى الله عليه وآله) أعرض عنه رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) بوجهه... قائلاً: **«إنّ أمرها إلى ربّها إن شاء أن يزوّجها زوّجها»**[1].

وكان من ضمن الذين تقدّموا لخطبتها إلى أبيها أبو بكر، حيث خطبها فردّه النبي قائلاً: **«أنتظر بها قضاء اللّه»**، ثمّ جاء عمر فخطبها إلى أبيها فردّه النبي قائلاً له: **«أنتظر بها قضاء اللّه»**، ثمّ جاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف إلى أبيها، فابتدر عبد الرحمن بن عوف النبي (صلى الله عليه وآله) قائلاً له: يا رسول اللّه، تزوّجني فاطمة ابنتك، وقد بذلت لها من الصداق مائة ناقة محمّلة كلّها من قباطي مصر، وعشرة آلاف دينار. ولم يكن يومئذ أغنى وأيسر من عبد الرحمن بن عوف، وتقدم بعده عثمان بخطبتها إلى أبيها بمهر أكثر من صاحبه عبد الرحمن، فردهما رسول اللّه مردّدا قوله المشهور: «إنّي أنتظر بها قضاء اللّه»[2].

جهازها (عليها السلام)، وأثاث بيتها:

كان جهازها في غاية التواضع، إذ تكوّن من قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وعباءة بيضاء - قطوانية[3]، وسرير مُزّمل (ملفوف) بشريط من الخوص المفتول، وقطيفة خيبرية، وهي دثار له خمل، وفراشين من خيش مصر (الكتان المعروف بمصر) حشو إحداهما ليف، وحشو الآخر من صوف الغنم، وأربع مرافق (متكئات)، حشوها إذخر (نبات كالليف طيب الرائحة)، وحصير هجري، ونطع من أدم (بساط من جلد) وستر رقيق من صوف، ورحى يدوية (لطحن الشعير...)، ومخضب من نحاس (لعجن الدقيق، أو لغسل الثياب)، وسقاء من أدم (قربة صغيرة)، وكيزان خزف جمع كوز: (إناء كبير لجمع الماء)، وشن للماء (قربة صغيرة تستخدم لتبريد الماء)، وجرّة خضراء، وقعب (قدح خشبي) للبن، وقربة ماء، ومطهرة مزفّتة (إبريق ماء).

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٢٤.

(٢) إحقاق الحق ٤: ٤٧٤، عن تذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي.

(٣) قطوان: موضع بالكوفة تُعمل به عباءات العرائس البيضاء.

وقد جهّز الإمام على (عليه السلام) لداره استقبالاً لفاطمة الزهراء (عليها السلام)، فقام بنثر داره الشريفة بالرمل اللين، ونصب خشبة من حائط إلى حائط لتعليق الثياب، وهيّأ بعض الأمور الأخرى مثل بسط إهاب (جلد) كبش، ومخدة ليف ومنشفة وقربة ماء ومنخل وقدح لشرب الماء[1].

زواجها (عليها السلام):

أمّا زواجها فقد وردت فيه عدة روايات، منها رواية جابر رضوان الله عليه، قال: لمّا أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يزوّج فاطمة عليا، قال له: **«اخرج يا أبا الحسن إلى المسجد، فإنى خارج في أثرك، ومزوّجك بحضرة الناس، وذاكر من فضلك ما تقرّ به عينك».**

قال: **«فخرجت من عند رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **وأنا ممتلئ فرحاً وسروراً، فاستقبلنى أبو بكر وعمر فقالا: ما وراءك يا أبا الحسن؟ فقلت: يزوّجنى رسول الله فاطمة، وأخبرنى أن الله زوّجنيها، وهذا رسول الله خارج في أثرى ليذكر ذلك بحضرة الناس، فدخلا معى المسجد، فوالله ما توسّطناه حتى لحق بنا رسول الله، وإن وجهه ليتهلّل فرحاً وسروراً. فقال** (صلى الله عليه وآله): **أين بلال؟ فقال بلال: لبيك وسعديك يا رسول الله! فقال** (صلى الله عليه وآله): **وأين مقداد، فلبّاه وقال: لبيك يا رسول الله! فقال** (صلى الله عليه وآله): **وأين سلمان؟ فلبّاه وقال: لبيك يا رسول الله!**

فلما مثلوا بين يديه قال (صلى الله عليه وآله): **انطلقوا بأجمعكم إلى جنبات المدينة، واجمعوا المهاجرين والأنصار، فانطلقوا لأمره** (صلى الله عليه وآله)، **فاقبل حتى جلس على أعلى درجة من المنبر، فلما حشد المسجد بأهله قام** (صلى الله عليه وآله) **حامدا الله وأثنى عليه ثمّ قال: الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع سلطانه، المرهوب من عذابه وسطواته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، واكرمهم بنبيه محمّد** (صلى الله عليه وآله).

إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا، وأمرا مفترضا، أوشج به الأرحام، وألزم به الأنام، فقال عزّ من قائل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[2] **فامر الله تعالى يجرى إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب** ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3].
ثمّ إن الله تعالى أمرنى أن أُزوّج فاطمة من على بن أبى طالب، فاشهدوا أنى قد زوّجته على أربعمائة مثقال فضّة إن رضي بذلك عليٌّ».

---

(١) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهرآشوب ٢: ١١٢ في المسابقة بالزهد والقناعة، بتصرف.

(٢) سورة الفرقان: ٥٤.

(٣) سورة الرعد: ٣٩.

ثمّ دعا (صلى الله عليه وآله) بطبق من بسر قال: «**انتهبوا**»، فانهبنا، ثمّ دخل على (عليه السلام) فتبسم النبى(صلى الله عليه وآله) في وجهه ثمّ قال: «**إن الله عزّ وجلّ امرنى أن أُزوّجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضّة، أرضيت بذلك؟**». قال على (عليه السلام): «**قد رضيت بذلك يا رسول الله**»، فقال (صلى الله عليه وآله): «**جمع الله شملكما، وأعزّ جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيبا**»[1].

وفي رواية ابن مردويه أنّه (صلى الله عليه وآله) قال لعلى (عليه السلام): «**تكلم خطيباً لنفسك**»، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**الحمد لله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائليه، ووعد الجنّة من يتّقيه، وأنذر بالنار من يعصيه، نحمده على قديم إحسانه وأياديه، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه، ومميته ومحييه، ومسائله عن مساويه، ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونستكفيه، ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغه وترضيه، وأن محمّدا عبده ورسوله** (صلى الله عليه وآله)، **صلاة تزلفه وتحظيه، وترفعه وتصطفيه، والنكاح ما أمر به ويرضيه، واجتماعنا مما قدره الله وأذن فيه، وهذا رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **زوّجنى ابنته فاطمة على خمسمائة درهم، وقد رضيت فاسألوه وأشهدوا**»[2].

والجدير ذكره أنّ أهل البيت (عليهم السلام) التزموا بهذا المهر وصار سنّةً تحتدى حتى أن الإمام الجواد(عليه السلام) عندما تزوّج ابنة المأمون كان مهرها خمسمائة درهم رغم أن المأمون أنفق ملايين الدراهم، وظلّ أهل البيت (عليهم السلام) ملتزمين بمهر جدّتهم الزهراء (الخمسمائة درهم)[3].

مراسيم الزفاف:

لما مضى نحو شهر على خطبة وعقد الصديقة فاطمة للأمير (عليهما السلام)، قال عقيل وجعفر لعلى (عليه السلام): ألا تسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يُدخل عليك أهلك؟ فأجابهما علىّ (عليه السلام): «**أجل ولكن الحياء يمنعنى**» فأقسما عليه أن يقوم معهما، فقاما وأعلما أم أيمن بذلك، فدخلتْ على أم المؤمنين (أم سلمة) فأعلمتها وأعلمت نساء النبى (صلى الله عليه وآله) الأُخريات، فاجتمعن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقلن: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، أنا قد اجتمعنا لأمر لو كانت السيدة خديجة (عليها السلام) في الأحياء لقرّتْ عينها، قالت السيدة (أم سلمة): فلما ذكرنا السيدة خديجة (عليها السلام) بكى وقال: «**خديجة وأين مثل خديجة! صَدَّقَتْني حين كذبني الناس، ووازَرَتْني على**

(١) ذخائر العقبى/ المحبّ الطبري: ٣١، ينابيع المودّة/ القندوزي الحنفي: ٢٠٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ٢: ٣٩٩ في تزويج فاطمة (عليها السلام).

(٣) نور الأبصار/ الشبلنجي: ١٤٧، بحار الأنوار ٤٣: ١٠٥.

دين الله، واعانتني عليه بمالها، (ولذا) فان الله عزّ وجلّ أمرني أن أُبشّر خديجة ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[١].

فقالت السيدة أُم سلمة: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا، انك لم تذكر من خديجة أمراً إلاّ وكان كذلك، غير أنها مضت إلى ربها (راضية مرضيّة) فهنّأها الله بذلك، وجمع بيننا وبينها في الجنّة.

ثم قالت: يا رسول الله، هذا أخوك وابن عمّك في النسب علي بن أبي طالب (عليه السلام) يحبّ أن تُدخل عليه زوجته! فقال النبي (صلى الله عليه وآله): **«حبّاً وكرامة»**، ثم دعا بعليّ (عليه السلام) وهو مطرق حياءً، وبالأثناء قمن أزواجه فدخلن البيت، فقال: **«أتحسبك تشتهي الدخول على أهلك!»**، قال: **«نعم فداك أبي وأُمي يا رسول الله»**، فقال (صلى الله عليه وآله): **«غداً إن شاء الله»**.

فلما كان اليوم التالي التفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى النساء وقال: «من ها هنا؟» فقالت السيدة أُم سلمة: أنا يا رسول الله، وزينب وفلانة وفلانة (زوجات النبي (صلى الله عليه وآله)) فأمرهنّ أن يزيّنَ (فاطمة) ويطيبنها ويصلحن شأنها في حجرة أُم سلمة، وأن يفرشن بيتها، ففعلن النسوة ما أمرهن وعلّقن عليها من حليهنّ وطيبنها[٢].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، لمّا كانت ليلة الزفاف أتى النبي (صلى الله عليه وآله) ببغلته الشهباء، وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة: **«اركبي»**، وأمر سلمان أن يقودها، والنبي (صلى الله عليه وآله) يسوقها، فبينما هم في الطريق إذ سمع النبي (صلى الله عليه وآله) وجبة، فإذا بجبرائيل في سبعين ألفا من الملائكة، وميكائيل في سبعين ألفا، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): **«ما أهبطكم إلى الأرض؟»** قالوا: جئنا نزفّ فاطمة إلى زوجها علي بن أبي طالب، فكبّر جبرائيل وميكائيل، وكبّرت الملائكة، وكبّر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة (حيث صار سنّة فيما بعد)[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنه. لمّا زُفّت فاطمة الزهراء إلى أمير المؤمنين علي (عليهما السلام)، كان النبي (صلى الله عليه وآله) قدّامها، وجبرائيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك يسبّحون الله ويقدّسونه حتى طلع الفجر[٤].

وروى ابن شهرآشوب عن كتاب مولد فاطمة (عليها السلام) لابن بابويه متحدّثاً عن بقية مراسيم الزفاف قال: أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين

---

(١) الإصابة/ ابن حجر العسقلاني ٤: ٢٧٣.

(٢) في رحاب أئمة أهل البيت (عليهم السلام)/ السيد الأمين ١: ١٦٥، بتصرّف.

(٣) دلائل الإمامة/ الطبري الإمامي: ١٠٠ ـ ١٠١/ ٣٠ حديث خبر ليلة الزفاف.

(٤) تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي ٥: ٧.

والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة (عليها السلام)، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن، ولا يقولن ما لا يرضى اللّه. فارتجزت أُم سلمة وعائشة وحفصة ومعاذة أُمّ سعد بن معاذ. وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كلّ رجز ثمّ يكبّرن، ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إلى على (عليه السلام) ودعاه إلى المسجد، ثم دعا فاطمة (عليها السلام) فأخذ يدها ووضعها في يده، وقال: «بارك اللّه في ابنة رسول اللّه»[1].

الوليمة:

روى الشيخ الطوسى عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال: لما زوج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة أمير المؤمنين(عليهما السلام) قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لعلى (عليه السلام): « يا على اصنع لأهلك طعاما فاضلاً، ثمّ قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن، فاشتريت تمرا وسمنا، فحسر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عن ذراعه، وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذ خبيصاً[2]، وبعث إلينا كبشا سمينا فذبح، وخبز لنا خبزاً كثيراً.

قال على (عليه السلام): ثمّ قال لى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): أُدع من أحببت، فأتيت المسجد وهو مشحن بالصحابة، فاستحييت أن أُشخّص قوما وأدع قوما، ثمّ صعدت على ربوة هناك وناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل الناس أرسالاً، فاستحييتُ من كثرة الناس وقلّة الطعام، فعلم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ما تداخلنى، فقال لى: يا على سأدعوا اللّه بالبركة.

قال على (عليه السلام): وأكل القوم عن آخرهم طعامى، وشربوا شرابى، ودعوا لى بالبركة، وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ولم ينقص من الطعام شيء ثمّ دعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بالصحاف فمُلئت ووجّه بها إلى منازل أزواجه، ثمّ أخذ صحفة وجعل فيها طعاما وقال: هذا لفاطمة وبعلها»[3].

وعن جابر الأنصارى قال: حضرنا وليمة فاطمة، فما رأيت وليمة أطيب منها[4].

وعن أسماء بنت عميس قالت: لقد أولم على على فاطمة، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته[5].

---

(١) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ٣: ٤٠٢ . ٤٠٤ في تزويج فاطمة (عليها السلام).

(٢) الخبيص: الحلواء المخبوصة من التمر والسمن.

(٣) الأمالي/ الطوسي: ٤٢/ ٤٥ المجلس الثاني.

(٤) ينابيع المودّة/ القندوزي الحنفي: ٢٣٣.

(٥) ذخائر العقبى/ المحبّ الطبري: ٣٢.

دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) للعروسين:

لمّا انقضى الحفل وانصرف المهنّئون، دعا الرسول (صلى الله عليه وآله) أُم سلمة وعائشة وبعض أُمّهات المؤمنين، وطلب منهن أن يمضين بفاطمة إلى بيت علي (عليهما السلام)، وبعد صلاة العشاء ذهب النبي(صلى الله عليه وآله) إلى بيت علي (عليه السلام)، فدعا الرسول (صلى الله عليه وآله) بماء فقرأ عليه بعض آي الذكر الحكيم، ثمّ أمر العروسين أن يشربا منه، وتوضأ بالباقي فنثره على رأسيهما، وهو يقول: **«اللّهُمَّ بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما»**.

وهنا لم يتمالك النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) إلاّ أن أرسل دموعه عندما قبّل فاطمة ليودّعها وهي تبكي شأنها شأن كل عروس فارقت بيت أبيها ومرتع طفولتها، ولمّا همّ بالانصراف انحنى على فاطمة بكل عطف وحنان قائلاً لها: **«لقد تركتك وديعة عند أوّل الناس إسلاما، وأقوى الناس إيمانا، وأكثرهم علما، وأفضلهم أخلاقا، أما واللّه يا فاطمة لقد زوّجتك سيّدا في الدنيا والآخرة»**[1].

لقد استجاب اللّه سبحانه وتعالى دعاء نبيّه الكريم في تلك الساعة **«جمع اللّه شملكما، وأعزّ جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً»**[2].

أجل بارك اللّه تعالى لعلي وفاطمة (عليهما السلام) زواجهما السعيد، وحصر ذرّية نبيّه المختار (صلى الله عليه وآله) في أولاد ابنته وحبيبته فاطمة الزهراء (عليها السلام)[3].

تاريخ الخطبة والزواج:

وكانت الخطبة في السنة الثانية للهجرة في شهر رمضان، والزواج في أوّل ذي الحجّة، في المدينة المنورة، أمّا عمرها عند الزواج فهو يختلف بحسب الاختلاف في تاريخ ولادتها وزواجها، فإذا قلنا بولادتها بعد المبعث بخمس سنين يكون عمرها عند الزواج نحو تسع سنين أو عشر.

وفي الاستيعاب: كان سنّها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وكان سنّ علي (عليه السلام) إحدى وعشرين سنة[4].

---

(١) الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٨: ١٤.

(٢) ينابيع المودة/ القندوزي الحنفي: ٢٠٧.

(٣) لقد وضح الرسول (صلى الله عليه وآله) تلك الحقيقة قائلاً: «إنّ اللّه جعل ذرية كل نبي في صلبه. وجعل ذرّيتي في صلب هذا - يعني علياً -»، وكذا في قوله (صلى الله عليه وآله): «كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم» عن ذخائر العقبى/ المحبّ الطبري: ١٢١، وتاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي ١١: ٢٨٥.

(٤) راجع: إحقاق الحقّ/ القاضي التستري ١٠: ٣٥١، الاستيعاب/ ابن عبد البر ٤: ٣٧٤، مرآة المؤمنين: ١٦٥، تهذيب الكمال ٢: ١١٤٢.

أولادها (عليها السلام):

كانت ثمرة زواج أمير المؤمنين من الصديقة فاطمة أن رُزقا ولدين، وهما الحسن والحسين (عليهما السلام) سيدا شباب أهل الجنّة. فقد ولد الحسن السبط (عليه السلام) في النصف من شهر رمضان عام ثلاثة من الهجرة، وولد الحسين (عليه السلام) في الثالث من شهر شعبان عام أربعة من الهجرة.

وعند ولادة كل منهما استبشرت الصدّيقة فاطمة (عليها السلام)، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ورسول الله(صلى الله عليه وآله)، وبولادتهما أشرق بيت الزهراء وعلى (عليهما السلام) بكوكبين أنارا سماءه، وزيّنا جدرانه، وغمراه بهجة وسروراً.

وكان المولود الثالث زينب العقيلة (عليها السلام) بطلة كربلاء، وكان مولدها في السنة الخامسة من الهجرة، ثمّ زينب الصغرى[1]، وهى المعروفة بأمّ كلثوم[2].

ثم ابنها الأخير الذى حملت به في زمان النبى (صلى الله عليه وآله)، وسمّاه قبل أن يُولد محسناً، لكنه أُسقط قبل ولادته (عليه السلام) فاستُشهد مظلوماً بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأيام على أثر ما جرى على أهل البيت (عليهم السلام) في حوادث السقيفة.

الصدّيقة فاطمة (ع) يوم وفاة النبي (ص):

حينما اشتدّت حالة النبى (صلى الله عليه وآله) تقدّم الإمام على (عليه السلام) وراح يكفكف دموع الصدّيقة فاطمة (عليها السلام) ويُهدّأ من روعها، ثمّ احتضن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين رآه يصارع سكرات الموت حتى فاضت نفسه المقدّسة ولفظ نفسه الأخير وهو على صدر على يناجيه ويلقّنه!

روى ابن سعد في طبقاته أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال في مرضه: **«ادعوا لى عليّا.. ادعوا لى أخى»**، فدُعىَ له، فأقبل مسرعا، فقال (صلى الله عليه وآله) لعلى (عليه السلام): **«ادنُ منّى»**، قال (عليه السلام): **«فدنوت منه فأوصانى بجميع وصاياه، ثم استند إلىّ فلم يزل مستندا إلىّ، وأنه ليكلّمنى حتى أنّ بعض ريقه ليصيبنى، ثمّ نزل برسول الله** (صلى الله عليه وآله) **القضاء، وفاضت نفسه الطاهرة[3] في حجرى[4]، وقد ثقل في حجرى فصحت: يا عمّ يا عباس أدركني فإني هالك»** فجاء العباس فكان جهدهما جميعا أن أضجعاه (صلى

---

(١) التتمّة في تواريخ الأئمّة (عليهم السلام)/ تاج الدين العاملي: ٥٧.

(٢) معاني الأخبار/ الشيخ الصدوق: ١٠٦/ ٢.

(٣) قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج بلاغته: « ولقد قُبضَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن رأسه لَعَلى صَدري، ولقد سالتْ نفسُهُ في كفّي فأمررتُها على وجهي.. » شرح نهج البلاغة/ محمد عبده ٢: ٣٤٩.

(٤) مسند أحمد ٢: ٣٠٠، ذخائر العقبى/ المحبّ الطبري: ٧٣، كفاية الطالب/ الكنجي الشافعي: ١٣٣.

الله عليه وآله)، وهنا علا الصراخ في البيت المحمّدي، وعلم الناس أن النّبي (صلى الله عليه وآله) قد التحق بالرفيق الأعلى، فأسرعوا يبكون بحرقة، وقد أذهلهم المصاب لفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1].

لقد اهتزّت أركان الكون، واظلمّت السماء، وافتجع الكبير والصغير، وقلّ العزاء، وعظم رزؤه على المخلصين والأقرباء، فيما كانت فاطمة الزهراء، أشدّ الناس حزنا وأكثرهم أسىً ولوعة وحرقة وأعظمهم بكاءً وانتحابا. لقد صرخت الصديقة الزهراء من أعماقها بلوعة الأسى: **«واأبتاه... وامحمّداه... وا ربيع الأرامل واليتامى، من للقبلة والمصلّى، ومن لابنتك الوالهة الثكلى... رُميت يا أبتاه بالخطب الجليل، ولم تكن الرزية بالقليل...»** ثم قالت: **«الثكل شاملنا، والبكاء قاتلنا والأسى لازمنا»**.

ثمّ زفرت زفرة وأنّت أنّة كادت روحها أن تخرج، ثم قالت:

قلّ صبري وبان عنّي عزائي	**بعد فقدي لخاتم الأنبياءِ**
عين يا عين اسكبي الدمع سحّا	**ويك لا تبخلي بفيض الدماءِ**
يا رسول الإله يا خيرة الله	**وكهف الأيتام والضعفاءِ**
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً	**والطير والأرض بعد بكي السماءِ**
وبكاك الحجون والركن والمشعر	**يا سيدي مع البطحاءِ**
وبكاك المحراب والدرس للقرآن	**في الصبح معلنا والمساءِ[2]**

ولمّا أفاقت من غيبوبتها وجدت الناس كالبركان الثائر سكارى من وقع المصاب حيارى في أمرهم، بينما انصرف جماعة من الصحابة إلى سقيفة بني ساعدة يتداولون أمر الخلافة، ناسين ما أوصاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بابن عمّه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنّه خليفته عليهم من بعده. حتى فرغ الإمام ومن معه من تجهيز الرسول (صلى الله عليه وآله) وتغسيله، ومن ثمّ دفنه حسب وصيّته الشريفة له في ذلك.

وكانت الزهراء (عليها السلام) في تلك الأحوال يُخشى عليها من الموت ساعة بعد ساعة، لكنّها تحاملت على نفسها، وذهبت تسعى إلى قبر أبيها (صلى الله عليه وآله)، فألقت بنفسها على القبر، ووقعت مغشيا عليها، ولمّا أفاقت من غشيتها صاحت ومن قلب كئيب: **«يا أبتاه جبريل إلينا ينعاه، يا أبتاه من ربّه ما أدناه، يا أبتاه من جنان الفردوس مأواه، يا أبتاه**

(١) الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٢: ٥١.

(٢) بحار الأنوار ٤٢: ١٧٥ - ١٧٧.

أجاب ربّا دعاه»[1]. واستعبرت باكية، فبكى الناس رفقا بها، وتقطّعت قلوب المؤمنين حزنا عليها، ثمّ أخذت حفنة من تراب القبر الطاهر وهي تقول متفجّعة:

ماذا على من شمّ تربة احمد — الاّ يشمّ مدى الزمان غواليا

ورجعت سلام اللّه عليها مع بعض النسوة والناس تتبعها بعيون دامعة، وعندها رأت أنس بن مالك خادم النبي (صلى اللّه عليه وآله) فقالت له معاتبة: «**يا أنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا التراب على رسول اللّه؟!**»[2].

عن محمّد بن المفضل قال: سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول: جاءت فاطمة (عليها السلام) إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخاطب النبي (صلى اللّه عليه وآله):

قد كان بعدك انباء وهنبثة — لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها — واختل قومك فاشهدهم ولاتغب[3]

قال ابن شهرآشوب: إنّ السيدة الزهراء (عليها السلام) ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس ناحلة الجسم، منهدّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: « **أين أبوكما**[4] **الذى كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة، أين أبوكما الذي كان أشدّ الناس شفقة عليكما؟** » ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة، ثم دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس وعليّا (عليه السلام) وأوصت إلى علىّ (عليه السلام) بوصاياها[5].

وفي هذه الأثناء جاء بنو هاشم وخيار الصحابة إلى السيدة الزهراء يسألونها الصبر والعزاء، ومن أين لها بالصبر والعزاء وكيف... وكل مصاب بعد مصاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لَمَم.

وجاء بعض الناس إلى على والزهراء سلام اللّه عليهما يسألونهما عمّا كان من أمر البيعة، وكيف تمّت لابن أبى قحافة في سقيفة بنى ساعدة! ولم يكد يمضى على وفاة النبى (صلى اللّه عليه وآله) إلاّ ساعات وأهله مشغولون عن كلّ شيء منصرفون في تجهيزه لمثواه الأخير، ونسمع عليا (عليه السلام) يقول وفي نبرات صوته حزن عميق وألم دفين: «**أفكنت أدَع رسول اللّه** (صلى اللّه عليه وآله) **في بيته مسجّى بلا غسل ولا كفن وأخرج أنازع القوم الخلافة**»[6].

---

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٥٥٢/ ٢٩.

(٢) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)/ باقر شريف القرشي ١: ٢٦٨ - مطبعة الآداب - النجف.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ١٩٥/ ٢٥.

(٤) لأنّه (صلى اللّه عليه وآله) كان يقول: «الحسن والحسين ابناي..»، مستدرك الحاكم ٣: ١٦٦.

(٥) مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ٣: ٣٦٢ فصل في وفاة وزيارة الزهراء (عليها السلام).

(٦) الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٢: ٦٠، بحار الأنوار/ المجلسي ٢٨: ٣٥٢.

فأجابت الصديّقة فاطمة (عليها السلام) على الفور قائلةً: «ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»[1].

الأحداث التي جرت على فاطمة (ع) بعد وفاة النبي (ص):

ما أن أغمض النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) عينيه إلاّ وانقلبت الأُمة رأسا على عقب، وكانت المأساة تسير في خطين متوازيين؛ وهما غصب الخلافة الحقّة من الأمير (عليه السلام)، وغصب حقوق أهل البيت (عليهم السلام) وعلى رأسها نحلة الزهراء (عليها السلام) فدك، وقد احتفظ التاريخ بجملة من الروايات التي تؤكّد ذلك ومنها:

عن عروة بن الزبير: أن عائشة أخبرته أنّ فاطمة (عليها السلام) ابنة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) سألت أبا بكر بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) أن يقسم لها ميراثها، ما ترك رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) مما أفاء اللّه عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة»، فغضبت فاطمة (عليها السلام)فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى تُوفّيت[2].

وعن ابن قتيبة أنه أرسل أبو بكر عمر بن الخطاب إلى بيت فاطمة (عليها السلام) ليخرج عليّاً (عليه السلام)للبيعة وأنّه دعا بالحطب ليحرق دار فاطمة (عليها السلام) وحينها خاطبتهم الزهراء (عليها السلام) بقولها: **«لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّاً!»**[3].

فانصرفوا ثم أعادوا الكرة إلى بيتها فصاحت (عليها السلام) بهم قائلة: **«يا أبت يا رسول اللّه، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة!؟»** فانصرفوا باكين إلاّ عمر وجماعته حيث بقوا وأخرجوا عليّاً (عليه السلام) لأجل البيعة.

إلى أن قال ابن قتيبة: فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها. فانطلقا جميعا فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليّا فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم تردّ (عليهما السلام)، وحينها اعتذر أبو بكر من غصبه فدك زاعماً أنه سمع النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقة».

فقالت (عليها السلام): **«أرأيتكما إنّ حدّثتكما حديثاً عن رسول اللّه تعرفانه وتفعلان به؟»**، قالا: نعم. فقالت: **«نشدتكما اللّه ألم تسمعا رسول اللّه يقول: رضا فاطمة من رضاي،**

---

(١) الإمامة والسياسة/ ابن قتيبة ١: ١٢.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٧٩.

(٣) الإمامة والسياسة/ ابن قتيبة ١: ١٢.

وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعناه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

قالت: «**فإنّي أُشهد اللّه وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه!!!**».

ولما خرجا خائبين نادت أبا بكر: «واللّه لأدعون اللّه عليك في كل صلاة أُصلّيها»[١].

نعم أقدمت سلطة الخلافة بعد الرسول (صلى اللّه عليه وآله) على اغتصاب نحلة الزهراء (عليها السلام) في فدك، وهي قرية في الحجاز بينها وبين المدينة المنورة ثلاثة أيام، فيها عين فوّارة ونخل كثير، ومن ضمنها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بيده الكريمة، كانت لليهود، وبعد فتح خيبر ألقى اللّه سبحانه وتعالى في قلوب أهلها الرعب، وصالحوا النبي (صلى اللّه عليه وآله) على النصف فقبل منهم، فكانت له خالصة لأنّها لم يُوجف عليها بخيل ولا ركاب، وبعد نزول الآية ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾[٢] دفعها النبي(صلى اللّه عليه وآله) إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فكانت تتصرّف فيها أربع سنين في حياة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وبعد وفاة النبي (صلى اللّه عليه وآله) وتشكيل حكومة السقيفة برئاسة أبي بكر، استولى عليها وطرد عمّال الزهراء (عليها السلام) منها، وجعلها تابعة لبيت مال حكومته[٣].

والمفارقة الغريبة التي حدثت هي أنّه في الوقت الذي صدر فيه حكماً إلهياً نفّذه النبي (صلى اللّه عليه وآله) فوهب بموجبه فدكاً لابنته الزهراء، يُلاحظ أنّ أبا بكر قد اجتهد قبال حكم اللّه وأخذ هذه الهبة الإلهيّة وضمّها لحكومته ظلما وعدوانا، فجاءت الزهراء سلام اللّه عليها مطالبةً إيّاه بفدك على أنها نحلة من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لها، فطالبها أبو بكر بالبيّنة، فجاءت بعلي والحسنين (عليهم السلام) وأُم أيمن يشهدون لها بذلك، فردّ أبو بكر شهادة الشهود مدّعياً أنّها ليست بحُجّة؛ لأنّ عليا يجرّ النار إلى قرصه، وانّ الحسنين صغيران، وان أُم أيمن امرأة أعجمية[٤].

فلم تسكت الزهراء (عليها السلام) عن المطالبة بحقّها، وأقامت الدعوى ثانية، وطالبت بفدك على أنها سهم ذوي القربى، فاقتنع أبو بكر بالقضية، وكتب لفاطمة سلام اللّه عليها كتاباً يقرّ لها بذلك، ويعترف بأن فدكا تعود لها إلاّ أن دخول عمر الذي كان غائبا حين كتابة أبي بكر الكتاب لفاطمة قد غيّر مجاري الأمور، حيث سأل أبا بكر

---

(١) الإمامة والسياسة/ ابن قتيبة ١: ١٤.

(٢) سورة الإسراء: ٢٦.

(٣) فدك في التاريخ/ السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر: ٢٠.

(٤) في رحاب أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ١: ٣١٩.

فقال له: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: كتاب كتبته لفاطمة بحقّها من أبيها، فقال عمر: ماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى؟ ثمّ أخذ عمر الكتاب فبصق فيه وشقّه[١].

وبذلك نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم، حيث نسوا بالأمس القريب كيف قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) في حقّها وهو بين ظهرانيهم: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني»[٢].

أسباب مطالبة الزهراء (عليها السلام) بفدك:

لقد عرفنا أنّ الزهراء عاشت خشونة الحياة وشظف العيش، وكانت الدنيا في عينها أحقر وأصغر من جناح بعوضة تنظر إليها باشمئزاز، ولهذا فإنها كانت أكبر من أن تنازع أو تخاصم أحدا في بقعة أرض لأجل إرث المنصب أو الإرث المادي وغيره من متاع الدنيا، ولو كانت كذلك لظهر جليا عندما كانت الأمور كلها بأيدى أبيها رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)، والتاريخ يقول العكس حيث أنها طحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وأثر عمل الرحى في يدها[٣]، إلى غير ذلك من الأحاديث التى لم تظهر لها أى تعلّق بالدنيا ولو بقيد أنملة، فقد كانت في زمن أبيها (صلى الله عليه وآله) زاهدة عابدة منصرفة عن ملذات الدنيا وطيباتها، ومن ناحية أُخرى فهى وكما أخبرها أبوها (صلى الله عليه وآله) تعلم علم اليقين أن حياتها قصيرة، وسوف لا تبقى بعده إلاّ أيّاما معدودات، ولهذا فقد كانت حريصة على تضامن المسلمين وإعلاء كلمة الدين، لهذا نرى أنّها لم تقف ذلك الموقف المتصلّب إلاّ لتبيّن للناس حقّ على (عليه السلام) في الخلافة، وتزيل الغشاوة عن المسلمين السابحين في لجج الضوضاء.

إنّها ترى خلافة على (عليه السلام) امتداداً لرسالة أبيها (صلى الله عليه وآله) المقدّسة، ولذا فإن بعض الروايات تؤكّد أنّ انتزاع فدك والعوالى وسهم ذوي القربى من يد الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) وحرمانها من ميراث أبيها (صلى الله عليه وآله)، كان داخلاً في الحسابات السياسية لسلطة الخلافة، حتى لا تتوفر لعلى (عليه السلام) أسباب القوة المادية التى تعينه على المضى في موقفه المعادى للغاصبين، ومن هنا تمّت مصادرة فدك.

ومن جانب آخر أدركت السلطة أن الاعتراف بحقّ الزهراء (عليها السلام) بفدك، سيؤدّى إلى اعترافهم بحقّ على (عليه السلام) في الخلافة فيما لو احتجّت عليهم الزهراء (عليها السلام) بذلك.

---

(١) السيرة الحلبية/ الحلبي الشافعي ٣: ٤٠.

(٢) صحيح البخاري ٥: ٢١/ ٣٧١٤ من كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله).

(٣) حلية الأولياء/ أبو نعيم ٢: ٤١.

ومع هذا فقد استثمرت بنت المصطفى (صلى الله عليه وآله) هذا الموقف، وحاولت خلق شعور جماعي لا يرضى بالاستكانة، ولا يقبل بالحاكم الظالم، ويرفض تمكّنه من أي موقع قيادي في دولة الإسلام ما دام ظالماً جائراً، فكيف لو كان الموقع هو القيادة العامة للمسلمين؟!

إنّ حقيقة المطالبة بفدك تتجلّى بالمطالبة بالخلافة الحقّة المغتصبة، وإن المطالبة فيها هي المطالبة بعزّة النفس وأصالة الحقّ وعنفوان الرسالة وامتداد أبيها (صلى الله عليه وآله)[1].

ركائز الثورة الفاطمية:

لقد مات رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) وانحرفت المسيرة ورأت الصدّيقة فاطمة (عليها السلام) ضياع أُمّةِ أبيها (صلى الله عليه وآله)، فما كان منها إلاّ أنّ أعلنت ثورتها، لأنّها تعلم علم اليقين أنّ اللّه سبحانه نصّب للإمامة والخلافة ربيب النبي (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وحينما رأت أن هؤلاء سيطروا على كل شيء، فاغتصبوا الخلافة، وصادروا فدكا، ولم يبقَ لأهل الحقّ باقية، تحركت (عليها السلام) فورا وقادت حملة اعتمدت على ركيزتين:

الأولى: استدرار عواطف الناس بالبكاء، حيث بكت بكاءً شديدا حتى ضجّ منها بعض رجال المدينة، وقالوا لها: لقد آذيتنا بكثرة بكائك! على أنهم يعلمون علم اليقين ما هي حقيقة بكاء فاطمة!

ولما سأم بعض رجال أهل المدينة من كثرة بكاء الزهراء (عليها السلام)، بنى الإمام علي (عليه السلام) لها بيتا كانت تأوي إليه في ساعات من الليل والنهار، تبكي أباها الرسول (صلى الله عليه وآله) ما شاء لها وسُمّي ببيت الأحزان.

لقد خلّد بيت الأحزان صوت الزهراء (عليها السلام) في ذاكرة التأريخ الإسلامي، حيث ضمن استمرار معارضتها للظلم مع تعاقب الأجيال، حتى انقلب بيت الأحزان منذ بواكير نشأته إلى مقرّ سياسي لإعلان المعارضة في مواجهة الطغاة، فكان مجمع النسوة المؤمنات، فكل امرأة أرادت زيارة الصدّيقة فاطمة (عليها السلام) لتعزّيها وتسلّيها، كان عليها أن تصل بيت الأحزان لتلتقيها فترجع إلى بيت زوجها لتعلن استياءها من أعداء الزهراء (عليها السلام) وغاصبي حقّها، فتروي لزوجها وأولادها كل ما شاهدته وسمعته من الصدّيقة فاطمة (عليها السلام)، فكنّ تلك النسوة الزائرات يطلبن من ذويهن أن يضمّوا أصواتهم إلى صوت الزهراء (عليها السلام)، وينهضوا للدفاع عن بنت الرسول (صلى الله عليه وآله) وبضعته المظلومة المقهورة، فصار بعض تلك النسوة سفيرات الصدّيقة فاطمة (عليها السلام) في إعلان الثورة.

---

(١) فاطمة وتر في غمد/ سليمان كتاني: ١٠٧.

وهكذا أصبحت دموع الزهراء (عليها السلام) دروساً للجهاد والثورة، وأصبح بيت الأحزان مدرسة كفاح ضد الطغمة الفاسدة الغاصبة.

الركيزة الثانية: تتمثّل في إلقاء الخطب الرنّانة التي دافعت فيها عن حقّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخلافة، ونبّهت الناس على انحراف القوم عن الخط الذي رسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمسيرة الإسلام من بعده (صلى الله عليه وآله)، وكان مغزى هاتين الركيزتين وحقيقتهما هو تسديد الأُمّة وإنقاذها وتسييرها لطريق الحقّ وكشف زيغ الباطل.

ولقد حفظ لنا التاريخ الإسلامي خطبتين في هذا المضمار، الأولى: ألقتها (عليها السلام) في حشد من المهاجرين والأنصار، والثانية: ألقتها على مسامع نساء المهاجرين والأنصار.

وكانتا غاية في الفصاحة والبلاغة والمتانة وقوّة الحجّة، وتمثّلان أهم الوثائق التاريخية التي تعكس حالة التردّي التي كان يعيشها المجتمع الإسلامي آنذاك، وتكشفان لنا عن سبب ما تعانيه الأُمّة الإسلامية حتى اليوم من انحطاط وتقهقر واضطراب في الحالة الإسلامية.

الخطبة الأولى:

عن عبد الله بن الحسن (عليه السلام) بإسناده عن آبائه (عليهم السلام): انّه لمّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكا وبلغها ذلك، لاثت خمارها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ أنّتْ أنّةً، أجهش لها القوم بالبكاء، وارتجّ المجلس، ثمّ أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد للّه عزّ وجلّ والثناء عليه، والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وممّا جاء في خطبتها (عليها السلام): «... **وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم اللّه تبارك وتعالى بمحمّد** (صلى الله عليه وآله)، **بعد اللتيّا والتي، وبعد أن مُني ببُهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغر فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات اللّه، مجتهدا في أمر اللّه، قريبا من رسول اللّه، سيدا في أولياء اللّه، مشمّرا ناصحا مجداً كادحاً، لا تأخذه في اللّه لومة لائم، وأنتم على رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال.**

فلمّا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحشمكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر...».

وتعرّضت (عليها السلام) في هذه الخطبة للدفاع عن حقّها في إرث النبي (صلى الله عليه وآله) قائلة: «وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي من أبي ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١)؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية بأني ابنته! أيها المسلمون، أأُغلب على إرثي؟! يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريًا، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٢) وقال فيما اقتصى من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٣)، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(٤)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾(٥)، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(٦)، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون أنّا أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي! فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمّد (صلى الله عليه وآله) والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون...».

وقالت (عليها السلام): «سبحان الله ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل يتّبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكم عدل وناطق فصل يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٧) ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٨)

(١) سورة المائدة: ٥٠.

(٢) سورة النمل: ١٦.

(٣) سورة مريم: ٥ - ٦.

(٤) سورة الأنفال: ٧٥.

(٥) سورة النساء: ١١.

(٦) سورة البقرة: ١٨٠.

(٧) سورة مريم: ٦.

(٨) سورة النمل: ١٦.

وبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث وأباح من حظّ الذكران والأُناث ما أزاح به علّة المبطلين وأزال التظنين والشبهات في الغابرين، كلاّ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1].

وناشدت الأنصار مشيرةً إلى حقّ علي (عليه السلام) في خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلة: « **الا وقد أرى قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذى تسوّغتم ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[2].

ثمّ عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه وآله) قائلةً:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة — لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها — واختلّ قومك فأشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا — فغبت عنّا فكلّ الخير محتجب
وكنت بدرا ونورا يُستضاء به — عليك تنزل من ذي العزّة الكتب
تجهّمتنا رجال واستُخِفّ بنا — بعد النبي وكلّ الإرث مغتصب
سيعلم المتولّي ظلم حامتنا — يوم القيامة أنّى سوف ينقلب
فقد لقينا الذي لم يلقه أحد — من البرية لا عجم ولا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت — لنا العيون بتهمال له سكب[3]

ثُمَّ ذهبت الصديقة فاطمة (عليها السلام) فتبعها رافع بن رفاعة الزرقى فقال لها: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر وذكر للناس قبل أن يجرى هذا العقد، ما عدلنا به أحداً. فقالت فاطمة (عليها السلام): «**إليك عنى، فما جعل الله لأحد بعد غدير خمّ من حجّة ولا عذر**».

قال الراوي: فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكية من ذلك اليوم، وارتجّت المدينة، وهاج الناس، وارتفعت الأصوات.

الخطبة الثانية:

لمّا مرضت (عليها السلام) المرضة التى تُوفّيت فيها، دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها، فخطبت فيهن، وكان من كلامها في الدفاع عن الإمامة: «**ويحهم أنّى**

---

(١) سورة يوسف: ١٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٨.

(٣) من مصادر هذه الخطبة: بلاغات النساء/ ابن طيفور: ٢٣، دلائل الإمامة/ الطبري الإمامي: ١١٤ ـ ١١٨/ ٣٦، الاحتجاج/ الطبرسي ١: ١٤٦، كشف الغمّة/ الاربلي ٢: ١٠٨، وغيرها.

زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمور الدنيا والدين؟! ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1]. وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلّة مبالاته لحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحجّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجّة، لردّهم إليها، وحملهم إيّاه، ولسار بهم سيرا سجحا[2]، لا يكلم خشاشه، ولا يكلّ سائره، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم نميراً صافياً رويّاً تطفح ضفتاه، ولا يترنّق جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً...».

وقالت (عليها السلام): «الا هلم فاسمع، وما عشت أراك الدهر عجبا، وإن تعجب فعجب قولهم! ليت شعري إلى أي سناد استندوا؟! وإلى أي عماد اعتمدوا؟! وبأيّ عروة تمسّكوا؟! وعلى أي ذرّية أقدموا واحتنكوا؟! ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[3]، وبئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4]، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[5] ويحهم ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[6]؟!

أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمّ احتلبوا ملء القعب دما عبيطا وذعافا مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسس الأولون...».

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها على رجالهن، فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ويحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره، فقالت (عليها السلام): «إليكم عنّي، فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم»[7].

وصية الصديقة فاطمة (عليها السلام):

أحسّت سيّدة نساء العالمين (عليها السلام) بدنوّ أجلها، واشتدّت وطأة المرض عليها، فقد أنهكتها الكوارث والمصائب التي ألمّت بها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه واله)، ولاحت

---

(١) سورة الزمر: ٣٩/ ١٥.

(٢) سجحاً: سهلاً ليناً.

(٣) سورة الحج: ١٣.

(٤) سورة الكهف: ١٠٤.

(٥) سورة البقرة: ١٢.

(٦) سورة يونس: ٣٥.

(٧) من مصادر هذه الخطبة: بلاغات النساء/ ابن طيفور: ٣٢، دلائل الإمامة/ الطبري الإمامي: ١٢٦ ـ ١٢٩/ ٣٧ و ٣٨، معاني الأخبار/ الصدوق: ١٠١ ط إيران، الأمالي/ الطوسي: ٢٣٨، الاحتجاج/ الطبرسي ١: ١٤٩، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٤، وغيرها من المصادر المعتبرة.

عليها بوادر الضعف، وانهارت قواها، فأيقنت أنه حان موعد الالتحاق بأبيها (صلى الله عليه وآله) والاجتماع به في جوار الربّ الكريم.

لقد مرضت الصدّيقة مرضاً شديداً، ومكثت أربعين ليلة، فلمّا نعيت إليها نفسها، دعت أُم أيمن وأسماء بنت عميس ووجّهتْ خَلْفَ علي (عليه السلام) وأحضرته، فقالت: **«يا ابن عم، إنّه قد نعيت إلى نفسي، وإني لا أرى ما بي إلاّ أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي».**

قال لها علي (عليه السلام): **«أوصيني بما أحببتِ يا بنت رسول الله»!** فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، ثمّ قالت: **«يا ابن عم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني»** فقال علي (عليه السلام): **«معاذ الله، أنت أَعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفا من الله من أن أوبّخك بمخالفتي، قد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك، إلاّ أنه أمر لا بدّ منه، والله جدّدتِ عليّ مصيبة رسول الله** (صلى الله عليه وآله)، **وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها! هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزية لا خلف لها»** ثمّ بكيا جميعاً ساعة وأخذ عليٌّ (عليه السلام) رأسها وضمّها إلى صدره، ثمّ قال: **«أوصيني بما شئتِ، فإنّكِ تجديني فيها أمضي كما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري»**[1].

ثمّ ذكرت وصاياها، وقد جاءت في كتب السيرة على النحو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله). **أوصت هي تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّدا رسول الله، وأن الجنّة حقّ، والنار حقّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور.**

يا عليّ، أنا فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله)، **زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري حنّطني وغسّلني وكفنّي بالليل وصلّ عليّ، وادفنّي بالليل، ولا تُعْلِم احدا، وأستودعك الله واقرأ على وُلدي السلام إلى يوم القيامة»**[2].

ثمّ أوصت إلى عليّ (عليه السلام) أن يتزوّج بعدها من ابنة أُختها أُمامة بنت زينب بنت السيدة خديجة الكبرى سلام الله عليها، وقالت (عليها السلام): «إنها تكون لأولادي مثلي»[3]، وأن يتّخذ لها نعشا وصفته له[4].

وأن لا يشهد جنازتها أحد ممن كانت غاضبة عليهم، وأن لا يصلّى عليها أحد منهم، وأن يدفنها ليلاً إذا هدأت العيون ونامت الأبصار وأن يُعفى قبرها!![5]، وأن تحنّط بفاضل

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ١٩١/ ٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٤/ ٤٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ١٩٢.

(٤) بحار الأنوار ٤٢: ١٩٢/ ٢٠.

(٥) بحار الأنوار ٤٣: ١٩٢/ ٢٠، روضة الواعظين/ الفتّال النيسابوري ١: ١٥١، أعلام النساء/ عمر رضا كحالة ٤: ١٢١.

حنوط رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وكان جبرائيل جاء بحنوط من الجنّة، وكان أربعين درهما، فقسّمه رسول اللّه أثلاثا ثلاثة، فثلث لنفسه، وثلث لابنته فاطمة، والثلث الأخير لأمير المؤمنين (عليه السلام)[1].

وأوصت بما عندها من بساتين لعليّ ولأولادها من بعده، وجعلت صدقتها في بني هاشم وبني عبد المطلب، وقد سئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن وصية الصدّيقة فاطمة (عليها السلام)، فأخرج سفطاً وأخرج منه كتابا فيه: **«هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول اللّه** (صلى اللّه عليه وآله) **بحوائطها - بساتينها - السبعة: ذو الحسنى، والساقية، والدلال، والعواف، والرقمة، والهيثم، ومشربة أُم إبراهيم، إلى علي بن أبي طالب** (عليه السلام)**، ومن بعد عليّ فإلى الحسن، ومن بعد الحسن فإلى الحسين، ومن بعد الحسين فإلى الأكبر فالأكبر من ولدي، شهد اللّه على ذلك وكفى باللّه شهيداً، وشهد المقداد بن الأسود، والزبير بن العوّام، وكتبه علي بن أبي طالب** (عليه السلام)**»**[2]. **وأوصت أيضا: «لأزواج النبي، لكل واحدة منهن باثنتى عشرة أوقية، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأمامة بنت أبي العاص بشيء»**[3].

وفاة الصديقة فاطمة (عليها السلام):

عن أُم سلمة، قالت: اشتكت فاطمة (عليها السلام) في وجعها، فخرج عليٌّ (عليه السلام) لبعض حاجته فقالت لي فاطمة (عليها السلام): **«يا أُمّاه اسكبي لي غسلاً»**، فسكبت لها غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثمّ قالت: **«يا أُماه أعطيني ثيابي الجدد»**، فأعطيتها فلبستها، ثمّ قالت: **«يا أُماه قدّمي لي فراشي وسط البيت»** ففعلت، فاضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدّها ثمّ قالت: **«يا أُماه إني مقبوضة الآن، وقد طهرت فلا يكشفني أحد»**، فقبضت مكانها[4].

وفي رواية أُخرى أنه في اليوم الأخير من حياتها (عليها السلام) كان يبدو عليها الارتياح، فقامت من فراشها ونادت أولادها وغسّلت لهم، ثمّ عانقتهم طويلاً وقبّلتهم، ثمّ أمرتهم بالخروج لزيارة قبر جدّهم (صلى اللّه عليه وآله)، وكانت أسماء بنت عميس تتولّى خدمتها وتمريضها، فطلبت منها وبصوت واهٍ ضعيفٍ أن تهيئ لها ماء لتغتسل، فبادرت أسماء إلى إحضار الماء، فاغتسلت (عليها السلام) ولبست أحسن الثياب وبدأ عليها الحبور، فظنّت

---

(١) كشف الغمّة ٢: ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) دلائل الإمامة: ١٢٩/ ٣٩، الكافي ٧: ٤٨/ ٥ باب صدقات النبي (صلى اللّه عليه وآله) وفاطمة والأئمّة (عليهم السلام) ووصاياهم، من كتاب الوصايا.

(٣) دلائل الإمامة: ١٣٠/ ٤٠.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ١٨٨.

أسماء أنّها تماثلت للشفاء، ولكن سرعان ما عاودها القلق والاضطراب وتبدّدت ظنونها عندما طلبت منها أن تنقل لها الفراش إلى وسط البيت، فقامت أسماء وهي تتعثّر بأذيالها ووضعت لها الفراش في وسط البيت، وقد أثارتها الدهشة، وكانت بادية على وجهها لشدّة ما ساءها وانتابها من القلق الشديد عندما رأت السيدة الزهراء (عليها السلام) قد اضطجعت على الفراش واستقبلت القبلة والتفتت إلى أسماء، وقالت: «إنّي مقبوضة الآن وراحلة من هذه الدنيا إلى جوار ربّ رحيم ولاحقة بأبي الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)»[1].

سبب وفاة الصديقة فاطمة (عليها السلام):

لمّا قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجرى ما جرى من دخول القوم عليها وإخراج ابن عمّها أمير المؤمنين (عليه السلام) وما لحقها من أذىً وجهد أسقطت ولداً تامّاً، وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها صلوات الله عليها[2].

وذكر في سبب وفاتها سلام الله عليها أنّ قنفذا لعنه الله مولى عمر لكزها بنعل سيفه بأمره فأسقطت محسنا، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً[3].

ومن هنا فقد جاء في زيارتها (عليها السلام) المرويّة عن أهل البيت (عليهم السلام) وصفها بالشهيدة: «**السلام عليكِ يا أيتها الصدّيقة الشهيدة**»[4].

وسُئِل الإمام الكاظم (عليه السلام) عن سبب وفاة الصدّيقة فاطمة؟ فقال: «إنّ فاطمة صدّيقة شهيدة»[5].

دفن الصدّيقة فاطمة (عليها السلام):

لمّا أرخى الليل سدوله، وهدأت العيون، ونامت الأبصار، قام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد احمرّت عيناه من البكاء، فتوجّه إلى جثمان الصدّيقة فتولّى غسلها بنفسه[6]، وقيل: أعانته أسماء بنت عميس بوصيّة من الزهراء (عليها السلام)[7]، وقيل: ان أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر الحسن والحسين(عليهما السلام)، يدخلان الماء[8]، وكانت أسماء بنت عميس تصبّ الماء عليها[9]، ثمّ كفّنها في سبعة أثواب وأدرجها في أكفانها وحنّطها

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٨٧/ ١٨ باب ما وقع عليها (عليها السلام) من الظلم.

(٢) راجع: دلائل الإمامة: ١٣٤/ ٤٣.

(٣) دلائل الإمامة: ١٣٤/ ٤٣.

(٤) مفاتيح الجنان: ٣١٧، زيارة الصدّيقة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

(٥) الكافي ١: ٤٥٨/ ٢.

(٦) علل الشرائع/ الصدوق ١: ١٨٤/ ١، باب ١٤٨.

(٧) السنن الكبرى/ البيهقي ٣: ٣٩٦.

(٨) كشف الغمّة ٢: ١٢٢.

(٩) تذكرة الخواص: ٣١٩.

بفاضل حنوط رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)». ثمّ صلّى عليها وكبّر خمسا، ودفنها في جوف الليل، وعفّى قبرها، ورَشَّ عليها الماء، ثمّ جلس عند قبرها باكياً حزيناً، فأخذ العباس بيده وانصرف به[1].

ولم يحضر دفنها والصلاة عليها إلاّ عليّ والحسنان وعمّار بن ياسر والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذرّ وسلمان وبريدة ونفر من بنى هاشم وخواص أصحاب الإمام (عليه السلام)[2].

ثمّ وقف الأمير ينفض يديه من تراب القبر، وهو الثاكل المحزون، وراح يناجى الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد أن عفّى قبرها بيده، ثمّ حوّل وجهه صوب قبره الشريف قائلاً: **«السلام عليك يا رسول الله، عنى وعن ابنتك وزائرتك والبائتة الليلة ببقعتك، والمختار لها الله سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، وعفا عن سيّدة نساء العالمين تجلّدى، إلاّ أنّ في التأسّى بسنّتك وفي فرقتك موضع تعزٍّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت نفسك بين صدرى ونحرى، وفي كتاب الله نعم القول** «إنا للّه وإنا إليه راجعون» **قد استُرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء! يا رسول الله، أمّا حزنى فسرمد، وأمّا ليلى فمسهّد، ولا يبرح ذلك عن قلبى حتى يختار الله لى دارك التى انت بها».**

إلى أن قال: **«فبعين اللّه تُدفن ابنتك سرّا، وأن يُهتضم حقّها، ويُمنع إرثها جهرا، وما بعد منك العهد، ولا اخلولق منك الذكر، فإلى اللّه - يا رسول اللّه - المشتكى، وبك أجمل العزاء، صلوات الله عليك،** و(عليها السلام) والرضوان»[3].

محل دفنها (عليها السلام):

اختلفت الروايات في تحديد موضع قبر الصديقة (عليها السلام) فقد رُوى أنّها دُفنت (عليها السلام) في بيتها، ومستند ذلك إلى الرواية الواردة عن سهل، عن البزنطى، عن الإمام الرضا (عليه السلام) حينما سُئل عن قبر فاطمة (عليها السلام)؟ فقال الإمام (عليه السلام): **« دُفنت في بيتها، فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد»**[4].

ورُوى أنها دُفنت في الروضة (بين القبر والمنبر)، ومستند ذلك إلى الرواية الواردة عن الشيخ المفيد رحمه الله عن ابن أبى عمير مرسلاً عن الصادق (عليه السلام) حيث قال: **«قال رسول الله** (صلى الله عليه وآله): **ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة»، «ومنبري على**

---

(١) بحار الأنوار ٧٩: ٢٨/ ١٣.

(٢) روضة الواعظين/ الفتّال النيسابوري ١: ١٥٢.

(٣) أمالي المفيد: ٢٨١/ ٧، الكافي/ الكليني ١: ٤٥٨/ ٣، تذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٣١٩، كشف الغمّة/ الاربلي ١: ٥٠٤.

(٤) الكافي ١: ٤٦١/ ٩.

ترعة من ترع الجنّة»، ثمّ قال الصادق (عليه السلام): **«لأنّ قبر فاطمة (عليها السلام) بين قبره ومنبره، وقبرها روضة من رياض الجنّة، وأنه ترعة من ترع الجنّة»**[1].

كما رُوي أنها دُفنت بالبقيع، ومستند ذلك الحديث الوارد في أمالي الطوسي بأسانيد عن ابن عباس في دفن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، فأتينا به قبر أُمه فاطمة فدفناه إلى جنبها[2].

وعلى الجملة، فإنّ موضع قبرها غير معلوم، وذلك ما أوصت به (عليها السلام) كما تقدّم.

تاريخ وفاتها (عليها السلام):

تعدّدت الروايات في تحديد تاريخ وفاة الزهراء (عليها السلام)، وخلاصتها أنها توفّيت (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله) بثلاثة أشهر، وقيل بعده (صلى الله عليه وآله) بثمانية أشهر، أو بشهر، أو بخمسة وسبعين يوماً، أو بستّة أشهر[3].

أبعاد وصيّة الزهراء (عليها السلام):

أوصت الزهراء (عليها السلام) أن تُدفن ليلاً، وأن لا يشهد الشيخان تشييع جنازتها، لتعلن للأجيال بأنها ماتت وهي غضبى عليهما، ولذا عندما سُئل الأمير (عليه السلام) من قِبل الأصبغ بن نباتة عن علّة دفن الصدّيقة فاطمة ليلاً؟ قال (عليه السلام): **«إنّها كانت ساخطة على أقوام كرهت حضورهم جنازتها»**[4].

وقد تحقّق غرض الزهراء (عليها السلام) في دفنها ليلاً، فما أن علم الناس بالأمر حتى أخذوا يتلاومون فيما بينهم على ما ارتكبوه من ظلم واضطهاد لبضعة المصطفى (صلى الله عليه وآله)[5].

فقد رُوي أنّ المسلمين لمّا علموا وفاتها جاءوا إلى البقيع، فوجدوا فيه أربعين قبرا، فأشكل عليهم قبرها من بين القبور، فضجّ الناس ولام بعضهم بعضا وقالوا: لم يخلف نبيكم فيكم إلاّ بنتا واحدة تموت وتُدفن ولم تحضروا وفاتها ولا دفنها ولا الصلاة عليها ولا تعرفوا قبرها!؟[6]

فسلام عليكِ يا سيدة نساء العالمين يوم وُلدت ويوم استُشهدت ويوم يبعثكِ اللّه حيّة، لتكوني أول من يدخل الجنّة على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ولا عدمنا اللّه شفاعتك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى اللّه بقلب سليم. ❖

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٨٥/ ١٧.

(٢) الأمالي/ الطوسي: ١٥٩/ ١٩ المجلس السادس.

(٣) راجع: بحار الأنوار/ المجلسي ٤٣: ٢١٥/ ٤٥ وما بعده.

(٤) الأمالي/ الصدوق: ٧٥٥/ ١٠١٨، مناقب ابن شهرآشوب٣: ٣٦٣، بحار الأنوار ٤٣: ١٨٣.

(٥) سيرة الأئمة الاثني عشر/ هاشم معروف الحسني ١: ١٣٨.

(٦) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٢/ ٤١، دلائل الإمامة: ١٣٦.

للزهراء شذى الكلمات
السيدة الزهراء في الشعر العربي

أ. ضياء فرج الله الأسدي (مدير المكتبة الأدبية المختصة)

بادئ ذي بدء

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

تولد الزهراء فاطمة (عليها السلام) فيولد النور.. لأنّها قبله كانت في الأزل شمساً ساطعة بالخلود، ولأنّه اقتفى خطاها المقدّسة ظلاً لألقها وطهرها ومجدها المضيء..

والزهراء - بعد - خلاصة هذا الخلق الذي أحسن الله تكوينه وأفاض عليه من سيمائه.. ووهب له الكون ومخلوقاته.. كائناً قبل الأشياء يمدُّها ببقائها ويختطّ لها مداراتها وحركاتها وصلواتها اللاهثة حول العرش.

الزهراء - إذن - وآلها الأقدسون نفحة الخلد في هذه الأرض الموهوبة، وخلاصة الخلافة الإلهية.. تنزّلوا إلى عوالم التراب حتى يصعدوا بها إلى المطلق.. وكان لهم ذلك لو لا بقية الظلام وأخدان الشيطان ومسوخ الخلائق، ممّن أبت نفوسهم المنكوسة إلاّ عناداً واستكباراً وعداءً..

فإذا النور البارق في جبين الرسالات مجدّل مسفوح قطيع الوتين، وإذا الخير يغتاله الفحيح الشرير لظلام أهوج.. وإذا نحن شعراء الولاء الخضيب ننشد بحناجر منكسرة لكنّها واثقة النبرة جهيرة الانتماء للزهراء ومجدها وعنفوانها وطهرها وشذاها الأسنى الذي أنار برهان القلوب وسطع في خلجات الحروف ونمّت عنه الكلمات فرحةً وحزينة، حسبها في ذلك ولاؤها ومفاداتها على طول تاريخها الشاخص المرير.

فلك - يا زهراء - كل هذا الحداء المرّ من محبين شاخصين إلى يومك الموعود حيث تزدهر الفرحة في الوجوه والعيون والشفاه على الكوثر العذب.

وحيث تمرّ الذكرى السنويّة الأُولى لافتتاح مكتبتنا الأدبية المختصّة التابعة لمكتب سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الكبير السيد السيستاني - دام ظلّه - حاولنا - في هذه الإضمامة العاجلة من شعر الولاء للزهراء (عليها السلام) - أن نلمّ شتات أصوات غائرة في عمق التاريخ إلى أُخرى جديدة الأصداء طريّة النبرات من شعراء اقتسموا بينهم مدارات المديح والرثاء في آفاق الولاء لأهل بيت الحق والبراءة من أعدائهم.. كلٌّ يطير به جناحه الناهض إلى حيث يشاء إلاّ أنّنا أفردنا للماضين الراحلين منهم صدارة الطواف حول الذكرى احتفاءً بسبقهم السابق، أمّا المعاصرون فما برحت أغلب قصائدهم أبكاراً لم تُجمَع في ديوان أو خلال مطبوعةٍ ممّا سجّل لنا السبق (اللاحق) في نشرها.. كانت هذه المجموعة الشعرية (للزهراء شذى الكلمات) المهداة إلى أُمّ الحسنين في يوم مولدها العظيم. على أمل ان تسنح الفرص - عاجلاً - لإدراج كل ما تطاله أيدينا من شعر حولها وحول آلها (عليهم السلام) في أعمالٍ قادمة أوسع وأثرى.. عسى أن نوفّق لذلك..

والسلام على الزهراء وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودَع فيها، وعليكم ورحمة الله وبركاته.

الصدّيقة

✍ سفيان بن مصعب العبدي

صـــدّيقة خُلقـــت لـــصدّيق ... شـــــريفٍ في المناســـبْ
اختـــــاره واختارهـــــا ... طهـــرين مـــن دنـــس المعايـــب
اسماهمـــا قرنـــاً علـــى ... ســطر بظــل العــرش راتــب
كـــان الإلـــه وليّهـــا ... وأمينـــه جبريـــل خاطـــب
والمهـــر خمـــس الأرض موهوبـــاً ... وغالـــت في المواهـــب
ونهابهـــا مـــن حمـــل طـــوبى ... طيّبـــت تلـــك المواهـــب

المشهد الأعلى

✍ السيد الحميري

والله زوّجـــه الزكيـــة فاطمـــاً ... في ظـــل طـــوبى مـــشهدا محـــضورا
كـــان الملائـــك ثـــم في عـــدد الحـــصى ... جبريـــل يخطـــبهم بهـــا مـــسرورا
يـــدعو لـــه ولهـــا وكـــان دعـــاؤه ... لهمـــا بخـــير دائمـــاً مـــذكورا
حتـــى إذا فـــرغ الخطيـــب تتابعـــت ... طـــوبى تُـــساقط لؤلـــؤاً منثـــورا
وتهيـــل ياقوتـــاً علـــيهم مـــرّةً ... وتهيـــل درّاً تـــارة وشـــذورا
فـــترى نـــساء الحـــور ينتهبونـــه ... حـــوراً بـــذلك يهتـــدين الحـــورا

فيكم ودادي

✍ مهيار الديلمي

لـــئن نـــام دهـــري دون المنـــى ... وأصـــبح عـــن نيلـــها مقعـــدي
فملـــتم بهـــا حـــسد الفـــضل عنـــه ... ومـــن يـــك خـــير الـــورى يُحـــسدِ
وقلـــتم بـــذاك قـــضى الاجتمـــاع ... الا انمـــا الحـــق للمفـــرد
وإرث علـــــيّ لأولاده ... إذا آيـــة الإرث لم تفـــسد
فمـــن قاعـــد مـــنهم خـــائف ... ومـــن ثـــائر قـــام لم يـــسعد

سيعلم من فاطم خصمه … بأي نكال غداً يرتدي
ومَن ساء أحمد يا سبطه … فباء بقتلك ماذا يدي
فداؤك نفسي ومَن لي فدا … ك لو ان مولى بعبد فدي
أنا العبد والاكم عقده … إذا القول بالقلب لم يعقد
وفيكم ودادي وديني معا … وإن كان في فارس مولدي
خصمت ضلالي بكم فاهتديت … ولولاكم لم أكن أهتدي
وجردتموني وقد كنتُ في … يد الشرك كالصارم المغمد
وما زال شعري من نائحٍ … ينقّل فيكم إلى منشد
وما فاتني نصركم باللسان … إذا فاتني نصركم باليد

الحكم والخصم

الصاحب بن عبّاد

سوف تأتي الزهراء تلتمس الحكم … إذا حان معشر التعديلِ
وأبوها وبعلها وبنوها … حولها والخصام غير قليلِ
وتنادي يا رب ذبّح اولادي … لماذا وأنتَ انتَ مديلي
فينادي بمالكٍ ألهبِ النار … واجّج وخذ بأهل الغلولِ
ويجازي كلٌّ بما كان منه … من عقاب التخليد والتنكيل

سبطا محمد (ص)

محمد بن منصور السرخسي

وأراد ربّ العرش أن يلقي بها … شجراً كريم العرق والأغصانِ
فقضى فزوّجها عليّاً انّه … كان الكفي لها بلا نقصانِ
وقضى الإله بان تولّد منهما … ولدان كالقمرين يلتقيانِ
سبطا محمّد الرسول وفلذّتا … كبد البتول كذلك يعتلقانِ
فبني الإمامة والخلافة والهدى … بعد الرسالة ذانك الولدانِ

ألم بقبرها

الهبل اليمني

غـرسٌ نمـا في المجـد؛ أورق غـصنه ... بـوداد أبنـاء الـنبي، وأثمـرا..!
شـرفي العظـيم، ومفخـري، أنّـي لهـم ... عبـدٌ، وحُـقّ بمثـل ذا.. أن افخـرا!
لـن يعتريـني في اقتفـاء طـريقهم ... ريـبٌ يـصدُّ عـن الـيقين ولا امـترى..
هـذي عقيـدتي الـتي ألقـى بهـا ... ربَّ الأنـام إذا أتيـتُ المحـشرا!
إنّـي رجـوت رضـى الإلـه بحـبّهم، ... وجعلتُـه لـي عنـدهم أقـوى العُـرى
يـا أيّهـا الغـادي المجـدّ بجـسرةٍ ... يطـوي الـسباسب رائحـاً ومبكّـرا؛
جُـز بـالغريّ؛ مُـسلّماً متواضـعاً، ... ولِحُـرّ وجهـك في ثـراه معفّـرا؛
حيـث الإمامـة، والوصـاية، والـوزارة، والهـدى، لا شـك فيـه ولا مـرا؛
والمـم بقـبر فيـه سـيدة النـساء ... بـأبي وأمـي؛ مـا ابـرَّ واطهـرا!
قبّـل ثراهـا عـن محـب قلبـه.. ... مـا انفـكّ جـاحم حزنـه مُتـسعّرا؛
مُتلـهّفٌ غـضبان ممـا نالهـا؛ ... لا يـستطيع تجلّـداً، وتـصبّرا

حزن البتول

الشيخ صالح الكوّاز

الـواثبين لظلـم آل محمّـد ... ومحمّـد ملقـى بـلا تكفـينِ
والقـائلين لفـاطم آذيتنـا ... في طـول نـوحٍ دائـم وحـنين
والقـاطعين إراكـةً كيمـا تقيـل ... بظـل أوراق لهـا وغـصون
ومجمّعـي حطـبٍ علـى البيـت الـذي ... لم يجتمـع لـولاه شمـل الـدين
والـداخلين علـى البتولـة بيتهـا ... والمـسقطين لهـا أعـزّ جـنين
والقائـدين إمـامهم بنجـساده ... والطهـر تـدعو خلفهـم بـرنين
خلّـوا ابـن عمّـي أو لأكـشف للـدعا ... راسـي وأشـكو للإلـه شـجوني
مـا كـان ناقـة صـالح وفـصيلها ... بالفـضل عنـدالله إلاّ دونـي

ورنــت إلى القــبر الــشريف بمقلــة عــبرى وقلــب مكمــد محــزون

قالـــت واظفـــار المـــصاب بقلبهـــا ابتـــاه قـــلّ علـــى العـــداة معـــيني

أبتـــاه هـــذا الـــسامري وصـــحبه تُبعـــاً ومـــال النـــاس عـــن هـــارون

أيّ الرزايـــــا اتقـــــي بتجلّـــــد هــو في النوائــب مــا حييــت قــريني

فقـــدي أبـــي أم غـــصب بعلـــي حقّـــه أم كـــسر ضـــلعي أم ســـقوط جنـــيني

أم أخـــذهم إرثـــي وفاضـــل نحلـــتي أم جهلـــهم قـــدري وقـــد عرفـــوني

قهـــروا يتيميـــك الحـــسين وصـــنوه وســـألتهم حقّـــي وقـــد نهروـــني

بـــاعوا بـــضائع مكـــرهم وبـــزعمهم ربحـــوا ومـــا بـــالقوم غـــير غـــبينِ

البغي الزاحف

✍ السيد حيدر الحلي

واقــسم مــا ســنّ الــضلال ســوى الألى علــى أمّــة المختــار بغيــاً تخلّفــوا

فيــوم غــدوا بغيــاً علــى دار فــاطمٍ أتــت جنــدهم بالغاضــرية تزحــف

وقتــل ابنهــا مــن يــوم رضّــت ضــلوعها ومــن هتكهــا هتــك الفــواطم يُعــرف

ومــن يــوم قــادوا حيــدر الطهــر قــد غــدوا بهـــنّ أســـارى شـــأنهنّ التلـــهّف

نقضوا عهد أحمد

✍ الشيخ كاظم الأزري

نقـــضوا عهـــد أحمـــد في أخيـــه وأذاقـــوا البتـــول مـــا أشـــجاها

وهـــي العـــروة الـــتي لـــيس ينجـــو غـــير مستعـــصم بحبـــل ولاهـــا

لم يـــرَ الله للنبـــوة أجـــراً غـــير حفـــظ الـــوداد في قرباهـــا

لـــستُ أدري إذ روّعـــت وهـــي حـــسرى عانـــد القـــوم بعلـــها وأباهـــا

يـــوم جـــاءت إلى عـــديّ وتـــيمٍ ومـــن الوجـــد مـــا أطـــال بكاهـــا

فـــدعت واشـــتكت إلى الله شـــجواً والرّواســـي تهتـــز مـــن شـــكواها

فاطمأنّـــت لهـــا القلـــوب وكـــادت أن تـــزول الأحقـــاد ممّـــن حواهـــا

تعـــظ القـــوم في أتمّ خطـــابِ حكـــت المـــصطفى بـــه وحكاهـــا

أيهـــا النـــاس أيّ بنـــت نـــبي عـــن مواريثـــه أبوهـــا زواهـــا

كيـــف يـــزوي عـــني تراثـــي عتيـــقٌ باحاديـــث مـــن لدنـــه افتراهـــا

أيدي الحوادث

✍ الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

لــكِ الله مــن قلــبٍ بأيــدي الحــوادثِ لعــبن بــه الأشــجانُ لعبــة عابــثِ

تمــرّ بــه الأفــراح مــرّة مــسرعٍ وتوقفــه الأتــراح وقفــة ماكــث

تــذكّر مــن أرزاء آل محمّــد مــصائب جلّــت مــن قــديم وحــادث

عــشيّة خــان المــصطفى كــل غــادر وبــزّ حقــوق المرتــضى كــلّ ناكــث

وهاجــت علــى الزهــراء بعــد محمّــد دفــائن اضــغان رموهــا بنابــث

فألمهــا في ســوطه كــل ظــالم ودافعهــا عــن حقّهــا كــل رافــث

وردّ الهــدى والــدين في الأرض دولــة تــداول فيمــا بيــنهم كــالموارث

فــأدلى إلى (الثــاني) بهــا شــرّ (أوّل) ودسّ بهــا الثــاني إلى شــرّ (ثالــث)

ومــا ذاك إلاّ انّهــم مــا تمــسّكوا مــن الــدين حتــى بالحبــال الرثايــث

إلى ان دبــت تــسري بــسمّ نفــاقهم إلى كــربلا رقــش الأفــاعي النوافــث

فاحنــت علــى آل الــنبيّ بوقعــة بهــا عــاث في شمــل الهــدى كــل عايــث

العبرات السخينة

✍ الشيخ سليمان البلادي البحراني

إلى كــم ولــوع القلــب بالغــادة الحــسنا وذكــرى ليــالي وصــل بثنــةَ أو لُبنــى

ولــو انّهــا ســاوت جنــاح بعوضــة لمــا اتخــذتها الأوليــاء لهــم ســجنا

وفي غــدرها بالمــصطفى وبالــه ســلاطينها برهــان مقــدارها الادنــى

لهــم سـددت مــن أقــوس البغــي اسـهما اصــمّت واصــمت للهــدى القلــب والأذنــا

فكــم كايــد المختــار مــن قومــه اذى يهــيج اســى يــستغرق الــسهل والحزنــا

قضى نحبه بالسم وهو معالج على رغم أنف الدين سقماً له أضنى
وقد قلبت ظهر المجنّ لحيدر فكم زفرة أبدى وكم غصة جنا
ومخدومة الأملاك سيدة النسا سليلة خير الخلق والدرة الحسنا
أتاحت لها كهف العدى غصص الردى وذاقت لها سمّاً من الحقد والشحنا
بضرب وضغط واهتضام ولوعةٍ وكان حماها العز والأمن والحصنا
على دارها داروا بجزلٍ لحرقها وكانت بها الأملاك تلتمس الأذنا
وفي بعلها الهادي استحلوا محرماً كما حرموها نحلة المصطفى ضغنا
وما برحت من بعد حامي ذمارها معصبة رأساً ومنهدة ركنا
عليلة جسم للنحول ملازم لفرط الضنا حتى حكى قلبها المضنا
إذا ذكرت حالاتها في حيوته تؤجج نار الفقد في قلبها حزنا
فتبكيه والحيطان تبكي لصوتها فما بقعة إلاّ وعبرتها سخنا
إلى أن أرادت روحها العالم الذي بدت منه واشتقات لموردها الأسنى
ففارقت الدنيا كراهة لبثها ورافقت الأخرى ونعمتها الحسنى

سل أربعاً

الشيخ حسن الحلّي

سل أربعاً فطمت أكنافها السحبُ عن ساكنيها متى عن أفقها غربوا
وقائلٍ لي رفّه عن حشاك ولي وجدٌ إذا ما نزا بالقلب يضطرب
فقلت لم يشجني نأي الخليط ولا ربع محت رسمه الأعوام والحقب
لكن أذاب فؤادي حادث جللٌ تُنمى إليه الرزايا حيث تنتسب
يوم قضى المصطفى في صحبه وعلى الأعقاب من بعده أصحابه انقلبوا
قادوا أخاه ورضّوا ضلع بضعتهِ بجورهم ولها البغضاء قد نصبوا
لم أنسها وهي تنعاه وتندبه وقلبها بيد الأزراء ملتهب
تقول: يا والدي ضاق الفضاء بنا لمّا مضيت وحالت دونك الترب
(قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنتَ شاهد هالم تكثر الخطب)

(إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا)

نفوا أخاك علياً عن خلافته وشيخ تيم عناداً منهم نصبوا

ويل لهم نبذوا القرآن خلفهم ومزّقوه عناداً بئس ما ارتكبوا

ما راقبوا غضب الجبّار حين إلى المختار أحمد قول الهجر قد نسبوا

الغوا وصاياه في أهليه وانتهبوا ميراثه وإلى حرمانهم وثبوا

جاروا على ابنته من بعده فغدت عبرى النواظر حزناً دمعها سرب

وجرّعوها خطوباً لو وقعن على صم الجبال لأضحت وهي تضطرب

أبضعة الطهر طه نصب أعينهم بالباب يعصرها الطاغي وما غضبوا

رضّوا أضالعها أجروا مدامعها أدموا نواظرها ميراثها غصبوا

يا باب فاطم لا طُرقتَ بخيفة

✍ الشيخ محمّد حسن آل سميسم

مَن مبلّغ عنّي الزمان عتاباً ومُقرّع منّي له أبوابا

يا ويح دهري راح ينزع للأسى من بعد ما ذقتُ النعيم شرابا

دهرٌ تعامى عن هداهُ كأنّه أصحاب أحمد اشركوا مُذ غابا

نكصوا على الأعقاب بعد مماته سيرون في هذا النكوص عقابا

يا باب فاطم لا طُرقت بخيفةٍ ويدُ الهدى سدلت عليه حجابا

أوَلست أنت بكل آنٍ مهبط الأملاك فيك تقبِّل الأعتابا!

أوّهاً عليك فما استطعت تصدّهم لما أتوك بنو الضلال غضابا

نفسي فداك أما علمتَ بفاطمٍ وقفت وراك توبّخ الأصحابا

أوَ ما رققتَ لضلعها لما انحنى كسراً وعنه تزجر الخطّابا

أوَ ما درى المسمار حين أصابها من قبلها قلب النبي أصابا

عتبي على الأعتاب فيها محسن مُلقىً وما انهالت عليه ترابا

حتى تواريه لأن لا تستحق الـ أقدام منه أضلعاً وإهابا

هو أوّل الشهداء بعد محمّدٍ ويرى المصاب على الصواب صوابا

ما اسطاع يدفع عن أبيه وأمّه — فمضى لأحمدَ يشتكي الأصحابا

لما عدوا للبيت عدوةَ آمنٍ — من ليث غابٍ حين داسوا الغابا

لو ينظرون ذُباب صارم حيدر — لرأيتهم يتطايرون ذُبابا

لكنّهم علِموا الوصية أنّها — صارت لصارمه الصقيل قِرابا

فهناك قد جعلوا النّجاد بعُنق مَن — مدّوا له يوم «الغدير» رِقابا

سحبوه والزهراء تعدو خلفه — والدمع أجرته عليه سحابا

فدعتْهم خلوا ابن عمي حيدرٍ — أو أكشفنَّ إلى الدعاء نِقابا

حاربتم الباري وآل نبيّه — وعصيتُم الأعواد والمحرابا

ونكثتُم كثمود، هذا صالحٌ — لِمَ تسحبون الصالح الأوّابا

رجعوا إليها بالسياط ليُخمدوا — نور النّبي الساطع الثقّابا

فتهافتوا مثل الفراش ونوره — قد صار دونهم لها جلبابا

رمتها سهامُ الدهر

✍ الشيخ حبيب شعبان

سقاك الحيا الهطّال يا معهد الألف — ويا جنّة الفردوس دانية القطفِ

أيا منزل الأحباب ما لكَ موحشاً — بزهوتك الأرياح أودت بما تسفي

تعفّيت يا ربع الأحبّة بعدهم — فذكّرتني قبر البتولة إذ عفّي

رمتها سهام الدهر وهي صوائب — بشجوٍ إلى ان جرَّعت غصص الحتف

شجاها فراق المصطفى واهتضامها — لدى كلّ رجس من صحابته جلف

لقد بالغوا في هضمها وتحالفوا — عليها وخانوا الله في محكم الصحف

فآبت وزند الغيظ يقدح في الحشا — تعثَّرُ بالأذيال مثنية العطف

وجاءت إلى الكرار تشكو اهتضامها — ومدّت إليه الطرف خاشعة الطرف

أبا حسن يا راسخ الحلم والحجا — إذا فرّت الأبطال رعباً من الزحف

ويا واحداً أفنى الجموع ولم يزل — بصيحته في الروع يأتي على الألف

أراك تراني وابن تيم وصحبه — يسومونني ما لا أطيق من الخسف

ويلطم عيني نصب عينيك ناصبُ ... العداوة لي بالضرب منّيَ يستشفي
فتغضي ولا تنضي حسامك آخذاً ... بحقيّ ومنه اليوم قد صفرت كفّي
لِمَن اشتكي إلاّ إليك ومَن به ... ألوذُ وهل لي بعد بيتك من كهف
وقد أضرموا النيران فيه واسقطوا ... جنيني فواويلاه منهم ويا لهفي
وما برحت مهضومة ذات علّة ... تؤرقها البلوى وظالمها مُغفي
إلى ان قضت مكسورة الضلع مسقَطاً ... جنينٌ لها بالضرب مسودّة الكتف

المناقب الغر

✍ الشيخ حبيب شعبان

هي الغيد تسقى من لواحظها خمرا ... لذلك لا تنفك عشاقها سكرى
واصفي ودادي للديار وأهلها ... فيسلو فؤادي ودّ فاطمة الزهرا
وقد فرض الرحمان في الذكر ودّها ... وللمصطفى كانت مودتها أجرا
وزوّجها فوق السما من أمينه ... عليٍ فزادت فوق مفخرها فخرا
وكان شهود العقد سكّان عرشه ... وكان جنان الخلد منه لها مهرا
فلم ترض إلاّ ان يشفّعها بمَن ... تحب فأعطاها الشفاعة في الأخرى
حبيبة خير الرسل ما بين أهله ... يقبّلها شوقاً ويوسعها بشرا
ومهما لريح الجنة اشتاق شمّها ... فينشق منها ذلك العطر والبشرا
إذا هي في المحراب قامت فنورها ... بزهرته يحكي لأهل السما الزهرا
وانسية حوراء فالحورُ كلّها ... وصائفها يعددن خدمتها فخرا
وان نساء العالمين إماءَها ... بها شرفت منهنّ من شرفت قدرا
فلم يكُ لولاها نصيبٌ من العلا ... لأنثى ولا كانت خديجة بالكبرى
لقد خصّها الباري بغرّ مناقبٍ ... تجلّت وجلّت ان نطيق لها حصرا
وكيف تحيط اللسن وصفاً بكنهِ من ... أحاطت بما يأتي وما قد مضى خبرا
وما خفيت فضلاً على كل مسلمٍ ... فياليت شعري كيف قد خفيت قبرا
وما شيّع الأصحاب سامي نعشها ... وما ضرّهم ان يغنموا الفضل والأجرا

لهـــا الله مـــن مظلومـــة كـــم ظلامـــة لــديك لهــا لا تــستطيع لهــا حــصرا
وأفجـــع مـــا قاســـته منـــك وكلـــها فجـــائع ان ارقيـــت صـــدر ابنهـــا شمـــرا

ما بال عينيك

✍ السيد مهدي الأعرجي

مـــــا بـــــال عينيـــــك دمـــــاً تنـــــسكب ونـــــــار أحـــــــشاك اســـــى تلتهـــــبُ
يـــوم قـــضى فيـــه الـــنبي نحبـــه فـــضلَّت الـــدنيا لـــه تنتحـــبُ
وانقلـــب النـــاس علـــى أعقـــابهم ولـــن يـــضرَّ الله مَـــن ينقلـــبُ
وأقبلـــوا إلى (البتـــول) عنـــوة وحـــول دارهـــا أديـــر الحطـــبُ
فاســـتقبلتهم (فـــاطم) وظنّهـــا إن كلّمـــتهم رجعـــوا وانقلبـــوا
حتـــى إذا خلـــت عـــن البـــاب وقـــد لاذت وراهـــا مـــنهمُ تحتجـــبُ
فكـــسّروا أضـــلاعها واغتـــصبوا ميراثهـــا وللـــشهور كـــذّبوا
وأخرجـــوا (الكـــرار) مـــن منزلـــه وهـــو ببنـــد ســـيفه ملبـــبُ
يـــصيح أيـــن اليـــوم منّـــي (حمـــزة) ينـــصرني و (جعفـــر) فيغـــضبُ
وخلفهـــم (فاطمـــة) تعثـــر في أذيالهـــا وقلبهـــا منـــشعبُ
تـــصيح خلّـــوا عـــن (علـــي) قبـــل أن أدعـــو وفـــيكم أرضـــكم تنقلـــبُ
فأقبـــل العبـــد لهـــا يـــضربها بالـــسوط وهـــي بـــالنبيّ تنـــدبُ
يـــا والـــدي هـــذا (علـــي) بعـــد عينيـــك علـــى اغتـــصابه تـــألّبوا
واعتزلـــوا جانبـــاً وأمّـــروا ضـــئيل تـــيم بعـــده ونـــصّبوا
تجـــاهلوا مقامـــه وهـــو الـــذي بـــسيفه في الحـــرب قُـــدّ (مرحـــبُ)
ولـــو تراني والعـــدى تحـــالفوا علـــيّ لَمّـــا غيّبتـــك الـــتربُ
وجرّعـــوني صـــحبك الـــصاب وقـــد تراكمـــت مـــنهم علـــيّ الكـــربُ
ولم تـــزل تجـــرع مـــنهم غصـــصاً تنـــدكّ منهـــا الراســـيات الهـــضبُ
حتـــى قـــضت بحـــسرة مهـــضومة حقوقهـــا وفيئهـــا مـــستلبُ
وأخـــرج الكـــرار لـــيلاً نعـــشها و (زينـــب) خلفهـــم تنتحـــبُ

فاطمة جوهرة القدس

الشيخ محمد حسين الاصفهاني

جوهرةُ القدس من الكنز الخفي | بدت فأبدت عاليات الأحرفِ
وقد تجلّى من سماء العظمه | من عالم الأسماء اسمى كَلِمَهْ
بل هي أمّ الكلمات المحكمه | في غيب ذاتها نكات مبهمه
أمّ الأئمة العقول الغرّ بلْ | أمّ أبيها وهو علة العللْ
روحُ النبيّ في عظيم المنزلةْ | وفي الكفاء كفو من لا كفوَ لهْ
هي البتول الطهر والعذراء | كمريم الطهر ولا سواء
فانّها سيدة النساء | ومريم الكبرى بلا خفاء
وحبها من الصفات العالية | عليه دارت القرون الخالية
تبتّلت عن دنس الطبيعة | فيا لها من رتبةٍ رفيعة
في أفق المجد هي الزهراء | للشمس من زهرتها الضياء
بل هي نورُ عالم الأنوارِ | ومطلع الشموس والاقمارِ
رضيعة الوحي من الجليل | حليفة المحكم والتنزيل
مفطومة من زلل الأهواء | معصومة عن وصمة الأخطاء
زكية من وصمة القيود | فهي غنية من الحدود
يا قبلة الأرواح والعقول | وكعبة الشهود والوصول
لهفي لها لقد أضيع قدرُها | حتى توارى بالحجاب بدرها
تجرّعت من غصص الزمان | ما جاوز الحدَّ من البيانِ
إنّ حديث الباب ذو شجون | ممّا جنت به يد الخؤنِ
أيضرم النار بباب دارها | وآية النور على منارها
وبابها باب نبي الرحمة | وباب أبواب نجاة الأمّة
بل بابها باب العليّ الأعلى | فثم وجه الله قد تجلّى
ما اكتسبوا بالنار غير العار | ومن ورائه عذاب النار

مــا أجهــل القــوم فــانّ النــار لا تطفــيء نــور الله جــلّ وعــلا

لكــنّ كــسر الــضلع لــيس ينجــبرْ إلاّ بصمــصام عزيــزٍ مقتــدر

إذ رضّ تلــك الأضــلع الزكيــة رزيــة لا مثلــها رزيــةْ

ومــن نبــوع الــدم مــن ثــدييها يعــرف عُظــم مــا جــرى عليهــا

وجــاوزوا الحــدّ بلطــمِ الخــدّ شُــلّت يــد الطغيــان والتعــدي

فــأجرت العــين وعــينُ المعرفــة تــذرفُ بالــدمع علــى تلــك الــصفة

ولا يزيــلُ حمــرة العــينِ ســوى بــيضُ الــسيوف يــومَ يُنــشرُ اللــوى

ومــن ســواد متنهــا اســودّ الفــضا يــا ســاعدَ الله الإمــام المرتــضى

ووكــز نعــل الــسيف في جنبيهــا أتــى بكــلّ مــا أتــى عليهــا

ولــست أدري خــبر المــسمار ســلْ صــدرها خُزانــة الأســرار

وفي جــنين المجــد مــا يُــدمي الحــشا وهــل لهــم إخفــاء أمــرٍ قــد فــشى

والبــابُ والجــدار والــدماءُ شــهود صــدقٍ مــا بــه خفــاءُ

لقــد جنــى الجــاني علــى جنينهــا فانــدكّت الجبــال مــن حنينهــا

أهكــذا يُــصنع بابنــة الــنبي حرصــاً علــى المُلــك فيــا للعجــب

أتُمنــع المكروبــةُ المقروحــة عــن البكــا خوفــاً مــن الفــضيحة

تــاللهِ ينبغــي لهــا تبكــي دمــا مــا دامــت الأرض ودارتِ الــسما

لفقــد عزّهــا أبيهــا الــسامي ولاهتــضامها وذلّ الحــام

فضل البتول

✍ الشيخ عبد الحسين صادق العاملي

خــذ في مــديحك للبتــول حظّــين مــن عــرضٍ وطــولِ

قــل للقريحــة في مهــذب مدحــة فيــضي وســيلي

ولفيــك قــل: فــه في حــديثك غــير محــسور كَليــلِ

قــل: للبتــول عظــيم فــضل لم يُــدنَّس بالفــضولِ

هــي قبــل كــلّ مكــوّنٍ قنــديل عــرش للجليــلِ

هي صفوة للخلق سيدة — النسا في كلّ جيلِ
هي للقبيل عقيلة — ومليكة هي للعقولِ
هي للنبي وللوصي — وللزكي وللقتيلِ
مقرونة في عصمة — عن كلّ مذموم وبيلِ
هي لبوة نبويّة — محجوبة في خير غيلِ
سكن لحيدرة وحيدرة — هزبرٌ للرسولِ

الشكوى والدموع

السيد كاظم الأمين

يا صاحبي كن من الدنيا على وجلِ — وخالف النفس واحذر كاذب الأملِ
فما أرى هذه الدنيا وان عطفت — سوى عدو بثوب الغدر مشتمل
وقد أعود على نفسي بتسلية — فيما نعانيه من أيامنا الفصل
بأهل بيت الهدى كم كابدوا محنا — تزول شمّ الرواسي وهي لم تزل
وكم دماء لهم عند العدى هدر — يحول صبغ الليالي وهي لم تحل
اليّةً برة بالبيت والحرم الشريف والقبر مثوى خاتم الرسل
لقد تزلزلت السبع الطباق وما — على البسيطة من سهل ومن جبل
غداة اجهشت الزهراء معلنة الشكوى بدمع من الأحشاء منهمل
وربّ دمع لها من بعد ذاك جرى — على قتيل بأرض الطف منجدل
الله يعلم ما تلك الدماء جرت — بالطف إلاّ بتمهيد من الأول
فسوف يعلم أقوام منازلهم — وما أعدّ لهم فيها من النزل

يعزّ على الرسول

الشيخ محمّد علي اليعقوبي

ترك الصبا لك والصبابه — صبّ كفاه ما أصابه
ولقد يعزّ على رسول — الله ما جنت الصحابه

قـد مـات فـانقلبوا علـى ... الأعقـاب لم يخـشوا عقابـه
منعـوا البتولـة ان تنـوح ... عليـه أو تبكـي مـصابه
نعـش الـنبي أمـامهم ... ووراءهـم نبـذوا كتابـه
لم يحفظـوا للمرتـضى ... رحـم النبـوة والقرابـه
لـو لم يكـن خـير الـورى ... بعـد الـنبي لمـا استنابه
قـد أطفـأوا نـور الهـدى ... مـذ أضـرموا بالنـار بابـه
أسـد الإلـه فكيـف قـد ... ولجـت ذئـاب القـوم بابـه
في أيّ حكـم قـد أبـاحوا ... ارث فـاطم واغتـصابه
بيـت النبـوة بيتهـا ... شـادت يـد البـاري قبابـه
أذنَ الإلـه برفعـه ... والقـوم قـد هتكـوا حجابـه
بـأبي وديعـة أحمـد ... جرعـاً سـقاها الظلـم صـابه
عاشـت معـصّبة الجـبين ... تـئنّ مـن تلـك (العـصابة)
حتـى قـضت وعيونهـا ... عـبرى ومهجتهـا مذابـه
وامـضّ خطـب في حـشا الا ... سـلام قـد أورى التهابـه
بالليـل واراهـا الوصـيّ ... وقبرهـا عفّـى ترابـه

مولد الزهراء

السيد محمّد جمال الهاشمي

مولـدُ الزهـراء للإيمـان عيـدُ ... كـلّ شـيعي بـذكراه سـعيدُ
ذكريـاتُ الفجـر في مطلعـه ... تتجلّـى، ولنـا فيـه عَهـودُ
مولـد الزهـراء في موكبـه ... يتهـادى، وبـه الماضـي يعـودُ
يهـزم الأوهـامَ في الطافـه ... فالفيـافي مـن معانيـه ورودُ
ورمـال البيـد سـالت عـسجداً ... والحـصى فيـه لئـالٍ وعقـودُ
واسـتطالتْ قمـم المجـد بهـا ... فهـي في الـشرق روابٍ ونجـودُ
وُلـدَ الإنـسان في اكنافهـا ... فهـي أمّ للكرامـات ولـودُ

لم يكـن مـن قبلـها في ظلّهـا ... للهـدى عـينٌ، وللحـقّ وجـودُ
مولـد الزهـراء هـذا فابـسمي ... ايّهـا الـشيعةُ، فالموسـم عيـدُ
ودعـي عنـكِ الأسـى واحتفلـي ... فيـه، فالعيـد بـه الحـزنُ يبيـدُ
سـوف ينجـابُ الـدجى منهزمـاً ... مـن سـنا الفجـر، فللفجـر جنـودُ
فـاذا وجَهـهـا الله إلى ... أفـق بـادَ بـه الليـل المبيـد

بنت الخلود

✍ السيد محمّد جمال الهاشمي

شعَّت فلا الشمس تحكيها ولا القمرُ ... زهـراءُ مـن نورهـا الأكـوانُ تزدهـرُ
بنـت الخلـود لهـا الأجيـال خاشـعةٌ ... أمّ الزمـان إليهـا تنتمـي العُـصُرُ
روحُ الحيـاة، فلـو لا لطـفُ عنـصرها ... لم تـأتلف بيننـا الأرواحُ والـصورُ
سمـت عـن الأفـق، لا روح ولا ملَـكٌ ... وفاقـت الأرض، لا جـنٌّ ولا بـشرُ
مجبولـةٌ مـن جـلال الله طينتُهـا ... يـرفُ لُطفـاً عليهـا الـصونُ والخَفَـرُ
مـا عـابَ مفخَرهـا التأنيـث انَّ بهـا ... علـى الرجـال نـساءُ الأرض تفتخـرُ
خِـصالها الغـرُّ جلّـت ان تلـوكَ بهـا ... منّـا المقـاولُ أو تـدنو لهـا الفكـرُ
معنـى النبـوة، سـرُّ الـوحي، قـد نزلـتْ ... في بيـتِ عـصمتها الآيـاتُ والـسورُ
حـوت خِـلال رسـول الله أجمعَهـا ... لـولا الرسـالةُ سـاوى أصـله الثمـرُ
تـدرّجت في مراقـي الحـقّ عارجـةً ... لمـشرق النـور حيـث الـسرُّ مـستترُ
ثـم انثنـت تمـلأ الـدنيا معارفُهـا ... تطـوى القـرون عيـاءً وهـي تنتـشرُ
قـل للـذي راح يُخفـي فـضلها حـسداً ... وجـه الحقيقـة عنّـا كيـف ينـسترُ
أتقـرن النـورَ بالظلمـاء مـن سـفهٍ؟ ... مـا أنـتَ في القـول إلاّ كـاذب أشِـرُ
بنـتُ الـنبي الـذي لـولا هدايتُـه ... مـا كـان للحـقّ، لا عـينٌ ولا أثـرُ
هـي الـتي ورثـت حقـاً مفـاخره ... والعطـر فيـه الـذي في الـورد مـدّخرُ
في عيـد ميلادهـا الأمـلاكُ حافلـةٌ ... والحـور في الجنـة العليـا لهـا سمـرُ
تزوجـتْ في الـسماء بالمرتـضى شـرفاً ... والـشمس يقرُنهـا في الرتبـة القمـرُ

علـى النبـوّة أضـفت في مراتبهـا ... فـضل الولايـة لا تبقـى ولا تـذرُ

أمَ الأئمـة مَـن طوعـاً لـرغبتهم ... يعلـو القـضاءُ بنـا أو ينـزل القـدرُ

قـف يـا يراعـي عـن مـدح البتـول ففـي ... مـديحها تهتـف الألـواحُ والزبـرُ

وارجـع لنـستخبر التـأريخ عـن نبـأٍ ... قـد فاجأتنـا بـه الأنبـاء والـسيرُ

هـل أسـقط القـوم ضـرباً حملَهـا فهـوت ... تـأنُ ممّـا بهـا والـضلعُ منكـسرُ

وهـل كمـا قيـل قـادوا بعلَهـا فعـدت ... وراه نادبـةً والـدمع منهمـرُ

إن كـان حقـاً فـإنّ القـوم قـد مرقـوا ... عـن ديـنهم وبـشرع المـصطفى كفـروا

الصديقة الزهراء

الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

شـجونٌ تـستهل لهـا الـدموعُ ... وتحـرق مـن لواعجهـا الـضلوعُ

وقفـتُ علـى البقيـع فـسال طـرفي ... وقلـبي فالـدموع هـي النجيـع

كـأنّ مـصيبة الزهـراء بيـتٌ ... بقلـبي للأسـى وهـو البقيـع

أمثـلُ البـضعة الزهـراء تُجفـى ... ويعضـا قبرهـا وهـو الرفيـع

ويغـصب حقهـا جهـراً وتـؤذى ... بحيـث وصـية الهـادي تـضيع

تُـصدّ عـن البكـاء علـى أبيهـا ... فتحـبس في محاجرهـا الـدموع

وتقتطـع الاراكـة حـين تـأوي ... لظـل غـصونها كـفٌ قطيـع

ويحـرق بيتهـا بالنـار حقـداً ... ويُهتـك سـترها وهـو المنيـع

ويُكـسر ضـلعها بالبـاب عـصراً ... فيـسقط حملـها وهـو الـشفيع

ويـدمي صـدرها المـسمار كـسراً ... فينبـغ بـين ثـدييها النجيـع

وحمـرة عينهـا للحـشر تبقـى ... بهـا مـن كـفّ لاطمهـا تـشيع

تنـوح فتـسمع الـشكوى وتـدعو ... ومـا في المـسلمين لهـا سميـع

مـصائب بالفظاعـة قـد تناهـت ... وكـل مـصيبة خطـب فظيـع

قـضت المـاً مـن الزهـراء فيهـا ... حـشاشة قلبهـا وهـو المـروع

دموع خلف الابتسام

أ. عبود الأحمد

تـوارتْ خلف بسمتي الدموعُ ... وخلف صداي يختبئُ الخشوعُ

وما ضحكي أمامَ الناس إلاّ ... مداراةٌ وأحشائي تلوع

يُعمّقُ في جراح القلب نزفاً ... بكاءٌ صامتٌ واسىً مروع

فيخفي لحنَ أغنيتي نشيجي ... ولكنّ الأنينَ به يذيع

تكاد من العذاب تذوب روحٌ ... محمّلة بما لا تستطيع

أنام على لظىً بين الحنايا ... وأصحو والهموم هي الضجيع

شببتُ على الجراح فكلّ عمري ... جراحٌ والمسيل دمٌ نجيع

تطوف على شغاف القلب وجداً ... فتحضنه المواجع والضلوع

وشابت كلّ آمالي وماتت ... وجُرحي في تأجّجه رضيع

ويغمرني إلى الأعماق حزنٌ ... تفيضُ على جوانبه الدموع

فخذ يا حزن ما ابقيت منّي ... كياناً قد تولاه الخضوع

أنا السهرُ المؤرّق في المنافي ... ويأبى أن يمرّ به الهجوع

أنا الوجد المضيّع عن بلادي ... وقد أودى به الزمن الوضيع

بأرض الرافدين له قبابٌ ... وأضرحةٌ معطرة تضوع

وما أحلامه إلاّ سرابٌ ... يراود شوقها أملٌ خدوع

لأنّ فراته ما عاد عذباً ... وخالط ماءه السم النقيع

وقد غدت النخيل بلا حياةٍ ... تعرّت عن ظفائرها الجذوع

الا يا قاصد الزهراء شوقاً ... تعطّرك المدينة والبقيع

فطأطئ عند مرأى القبر جيداً ... ففي أحشائه الطهر الوديع

وقبّل تربةَ الزهراء وابثُث ... رزايا قد تناستها الجموع

وقل بنت النبي إليكِ نشكو ... عذاباً ما له يوماً نزوع

فيا زهراء هل عاينتِ شعباً ... وأبناءٌ له ظلماً اريعوا

وبلّغها سلاماً عن بقايا ... نفوسٍ في محبّتها تضيع

تولَّتْهـا يـدٌ مـا كـان منهـا سـوى ظلـمٍ يـشيبُ لـه الرضيـع
سـلامٌ يـا ابنـةَ الطهـر المفـدّى سـلامٌ أيّهـا المجـد الرفيـع
تـودّع فيـكِ سـرُّ الله حقـاً وفي مـيلادك الـسرُّ المـودوع
فيـا أُمّ الحـسين فـدتكِ دنيـا ومـا ضـمّت عوالمنـا الجميـع
أيـا قدسـاً افاضـته سمـاءٌ تكلّلـه المهابـةُ والخـشوع
ويـا غـصناً تفـرّع مـن سمـوٍ لطـه أثمـرت منـه الفـروع
ويـا نبعـاً مـن الإيمـان محـضاً تـدفّق والـيقين لـه تبـوع
وجـوهرةً تـشع بهـا الليـالي ونـور الله مزدهـرٌ نـصوع
تجلّـت قـدرة البـاري بخلـقٍ وجـلَّ الله بارئـكِ البـديع
ويـا حـصناً أحـاط بنـا أمانـاً إذا مـا يُفقـد الحـصن المنيـع
سأسـألكِ الـشفاعة رغـم ذنـبي يـؤرّقني بـه فـزع مـروع
إذا مـا ضـمّني قـبرٌ ولحـدٌ وأوحـدني بـه العمـل المـضيع
وأُغلـقَ دون أحبـابي رتـاجٌ وضـاق بقـبري الكـون الوسـيع
وانّـي إن دعوتِـكِ يـوم حـشري فأنـتِ لـي المُطَمْـئنُ والـشفيع
فـإنّ شـفَّعتِ في عبـدٍ ذليـلٍ تـولاني برحمتـه الـسميع

امتداد السنا

✍ الشيخ ابراهيم النصيراوي

جـدّد العهـد يـا نـشيد الـولاءِ هاتفـاً بالوليـدة الزهـراءِ
هـي نبـع مـن المكـارم يزهـو خُـصّ لـلأرض مـن عيـون الـسماء
تتبـاهى بهـا الـسماوات فخـراً وتغنّـت بهـا ربـى الغـبراء
لا كيـوم الزهـراء يـوم بهـيٌ دائـم العطـر مـن أريـج الثنـاء
والأهـازيج باسمهـا تتعـالى وهـي فـوق المـديح والإطـراء
فكـأنّي بكـل قلـب ينـادي ولـدت بنـت سـيد الأنبيـاء

❖ ❖ ❖

جـدّد العهـد يـا نـشيد الـولاءِ فهـي حـسبي وغـايتي ورجـائي
كـل عـرق جـرى بجـسميَ حـيٍّ حبُّهـا فيـه لا مـسيل الـدماء
إنّ قلبـاً خـلا مـن الحـب يومـاً لـيس يُنمـى لهـذه الأحيـاء
كلمـا جلـتُ خـاطراً تهـتُ فيهـا بـسناها يغيـب كـل سـناء
حـشدت نفـسها الملائـك زحفـاً خلـف بيـتٍ بلهفـةٍ وانحنـاء
علّهـا ان تـرى سـناء وجـوهٍ خُلقـت قبـل خلـق هـذا الفـضاء
تتمنـى بـأن تظـلّ عكوفـاً ولتحظـى بحمـلِ فـضل الـرداء
هكـذا البـضعة الزكيـة كانـت منبـت الـيُمن منبـت الآلاء
غطـتِ الـشمس شمـسها فأنـارت هـذه الأرض مـن سـنى الزهـراء
هـي انثـى وخلفهـا ألـف معنـى كـل معنـى بـه مـدى للخفـاء
انّهـا المـرأة الـتي قيـل فيهـا مـا علـى الأرض مثلـها في النـساء
هـي سـرٌّ وحـسبها انّ فيهـا نـزل الـوحي هاتفـاً بالثنـاء
لـيس يرقـى لفـضلها اي فـضلٍ مـن ابينـا وأُمّنـا حـواء

الزهراء (عليها السلام)

✍ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

كيـف يـدنو إلى حـشاي الـدّاءُ وبقلـبي الـصديقة الزهـراءُ
مـن أبوهـا وبعلـها وبنوهـا صـفوة مـا لمثلـهم قرنـاء
أُفـق ينتمـي إلى أفـق الله وناهيـك ذلـك الانتمـاء
وكيـان بنـاه أحمـد خُلقـاً ورعتـه خديجـة الغـرّاء
وعلـيّ ضـجيعه يـا الروح صـنعته وباركتـه الـسماء
أيّ دهمـاء جلّلـت أفـق الإسـلام حتـى تنكّـر الخلـصاء
أطعمـوك الهـوان مـن بعـد عـزّ وعـن الحـبّ نابـت البغـضاء
أأُضـيعت آلاء أحمـد فـيهم وضـلال أن تجحـد الآلاء
أو لم يعلمـوا بأنـك حـبّ المـصطفى حـين تُحفـظ الأبـاء

أفـأجر الرسـول هـذا، وهـذا لمزيـد مـن العطـاء الجـزاء

أيّهـا الموسـع البتولـة هـضماً وَيـكَ مـا هكـذا يكـون الوفـاء

بلغـة خـصّها الـنبي لـذي القربـى كمـا صـرّحت بـه الأنبـاء

لا تـساوي جـزءاً لمـا في سـبيل الله أعطتـه أمّـك الـسمحاء

ثـم فيهـا إلى مـودة ذي القربـى سـبيل يمـشي بـه الأتقيـاء

لـو بهـا أكرمـوكِ سُـرَّ رسـول الله يـا ويـح مَـن إليـه أساءُوا

أيُـذاد الـسبطان عـن بلغـة العـيش ويُعطـى تراثـه البُعـداء

وتبيـت الزهـراء غرثـى ويُغـذى مـن جناهـا مـروان والبُغـضاء

أتـروح الزهـراء تطلـب قوتـاً والـذي اسـترفدوا بهـا أغنيـاء

يـا لوَجـد الهـدى، أجـل وعلـى الـدنيا ومـا أوعبـت عليـه العفـاء

نهنهـي يـا ابنـةَ الـنبي عـن الوجـد فـلا برَّحـت بـكِ البُرحـاء

وأريحـي عينـاً وإن أذبلتهـا دمعـة عنـد جفنهـا خرسـاء

وانطـوي فـوق أضـلع كـسروها فهـي مـن بعـد كـسرهم أنـضاء

وتناسـي ذاك الجـنين المـدمّى وإن استوحـشت لـه الأحـشاء

وجـبين محمّـد كـان يرتـاح إليـه مبـارك وضّـاء

لطمتـه كـفّ عـن المجـد والنخـوة فيمـا عهـدتها شـلاء

وسـوار علـى ذراعيـك مـن سـوط تمطّـت بـضربه اللُؤمـاء

في حـشايا الظـلام في مخـدع الزهـراء آهٌ ولوعـةٌ وبكـاء

وهـي فـوق الفـراش نـضوٌ مـن الأسـقام كالغـصن جـفَّ عنـه المـاء

الرَّزايـا الـسوداء لم تُبـق منهـا غـير روح ألـوى بهـا الإعيـاء

ومـسجّى مـن جـسمها وسمتـه بالنـدوب الـسياط كيـف تـشاء

وكـسير مـن الـضلوع تحامـت أن يـراه ابـن عمّهـا فيُـساء

فاسـتجارت بـالموت والمـوت للـروح الـتي أدّهـا العـذاب شـفاء

وبجفـن الزهـراء طيـف تبـدّى فيـه وجـهُ الحبيـب والـسّيماء

وذراعـا خديجـة وابتهـالُ الأمّ تـشتاق فرخهـا ودعـاء

فتمشّت بجسمها خلجاتٌ ومشى في جفونها إغماء

وبدت في شفاهها همهماتٌ لعليٍّ في بعضها إيصاء

بيتيمَين وابنتين ويا لـلامٌ نبض بقلبها الأبناء

ووصايا نمّت عن الهضم والعتب روتها من بعدها أسماء

ثم ماتت ولهى فما أقبح الخضراء ممّا جنوه والغبراء

سُجّيت في فراشها وعليّ وبنوه على الفراش انحناء

وتلاقت دموعهم فوق صدرٍ كان للمصطفى عليه ارتماء

وعليّ بمدمعٍ يقتضيه الحزنُ سكباً وتمنعُ الكبرياء

فاحتوى فاطماً إليه ونادى عزّ يا بَضعة النبيّ العزاء

وتولّى تجهيزها مثل ما أوصته من حين مدّت الظلماء

وعلى القبر ذاب حزناً وندّت دمعة من عيونه وكفاء

ثم نادى وديعةٌ يا رسول الله رُدّت وعينها حمراء

الكوثر النبوي

✍ أ. بدر الشبيب

أيا سائلاً عني إذا شئت أن تقرا فقلب كتاب المجد لا تتركَنْ سطرا

ستعلم أني في عيون سطوره أزيّنها كحلاً وأمنحها سحرا

وأنّي الذي والى النبي وآله هم قدوتي دنياهم عدتي أُخرى

رجالهم خير الرجال مكانةً كفاني بهم عزاً كماني به فخرا

وإن عدَّ غيري في المفاخر نسوة كفاني إذا ما قلت فاطمة الزهراء

لئن سادت العذراء نسوة عصرها فقد سادت الزهراء في قدرها العُصرا

تعجبت للتاريخ يكتم أمرها فساءلته يوماً فأبدي لي العذرا

وأعرض عني قائلاً إنّ في فمي فقلتُ اقذف الماء الذي يورث القهرا

وحدّث عن الزهراء بضعة أحمدٍ ومَن كانت الآيات في حقّها تترى

ألم تكُ أمّاً للنبي وكوثراً وكان رسول الله يوصي بها خيرا

فهـل حفظـوا بعـد الـنبي مقامهـا — فـصانوا لهـا وداً وكانـت لهـم ذكـرى

فقـال لـي التـاريخ والـدمع هاطـل — أحلـت فـؤادي منـذ سـاءلتني جمـرا

لقـد بـدأتْ كـل الرزايـا برزئهـا — ومـن فـدكٍ كانـت رزيتنـا الكـبرى

وكـان الـذي قـد كـان مـن أمـر دارهـا — فظُـنّ بـه خـيراً ولا تكـشفنْ سـترا

فقلـت إذا أحـسنت ظنـاً بمـا جـرى — فمـا بـال بنـت المـصطفى ووريـت سـرّا

فقـال كفـى لا تـستزد مـن عنائهـا — فقـد زدتـني همّـاً وارهقـتني عَـسرا

ولا تطلـب التفـصيل عمّـا جـرى لهـا — ورفقـاً بحـالي إن لـي كبـداً حـرى

تكلّفـني الأيـام مـا لا أطيقـه — ارى صـفوة الأخيـار مغبونـة جهـرا

أُم أبيها

أ. بشار كامل الزين

بـدار الـوحي يـا خـير النـساءِ — حظيـتِ بكـل آيـات الثنـاءِ

تجمّعـتِ الفـضائل فيـك حتـى — كـستكِ بنفـسها مثـل الـرداءِ

فإنّـك بنـتُ خـير نـساء أرض — تولّـت دينهـا قبـل النـساءِ

ومـن بيـتِ النبـوة بيـت طـه — نـشأتِ علـى ابتهـالات الـدعاء

حبـاكِ الله نعمتَـهُ وسـاماً — بـه قـدْ صـرتِ مـن أهـل الكـساءِ

فنلـت الحـبّ والتقـديس منّـا — لأنّ الله خـصّك بالنـداءِ

وعطـفُ أبيـك مـا جـاراه عطـفٌ — عليـك مـع المحبّـة والرجـاءِ

أأُمّ أبيـك مـن سمّـاك هـذا — سـوى مـن كـان يحنـث في حِـراءِ

أطعـتِ أبـاً ومبعوثـاً رسـولاً — ليـنعمَ بالـسعادة والهنـاءِ

ويـنشر دعـوةَ الإسـلام حتّـى — تعـمَّ العـالمين علـى الـسواءِ

وزوّجـك الـنبيّ إلى علـيٍّ — ربيـب المـصطفى بطـلِ الفـداءِ

فكنـتِ المـرأةَ المثلـى لـزوجٍ — كـريمِ الخلـق مـشهودِ الـولاءِ

وكنـت الأمَّ للحـسنين أمّـاً — سـقتْ أبناءهـا وحـي الـسماءِ

وربّـتهم علـى نـورٍ وتقـوى — وإيمـانِ وخلـقٍ مستـضاءِ

أبنـت الأكـرمينَ وأهـل بيـتٍ لهـمْ في الـدّهر مـأثرة العطـاءِ
ولادتـكِ الـضياء ألـيس يعـني ضـياءً للأمومـةِ والوفـاءِ
أبـا الزهـراء يـا روحـاً مفـدّى بفاطمـةٍ هنيئـاً للنـساءِ
وترفـعُ زينـبُ الحـوراء صـوتاً يهـزّ قواعـدَ البغـي المُرائـي
وهـا هـي كـلّ امـراةٍ تراهـا تـساهمُ في الـصمود وفي البقـاءِ
لتُعطـيَ مـن حـضارتها مثـالاً يقـوم علـى الطهـارة والـصفاءِ
وترجـع صـورةَ الإسـلام عنهـا بـصدقِ أمانـةٍ وعُـرى انتمـاءِ
وتجعـل يـومَ فاطمـةٍ منـاراً لـدنيا العـالمين بـلا ادّعـاءِ
وعـذراً أهـل بيـت الحـقّ عـذراً إذا القلـب اشـتكى بعـض العنـاءِ
ويـا زهـراء أمّتنـا هنيئـاً لمـن انجبـتِ مـن أهـل الفـداءِ
لقـد دار الزمـان وعـادَ يحـدو بثـورات النبـوّة والـسماءِ

شمس المحبوب

✍ أ. ثامر الوندي

أنا من ثلة عشاق خضر فقراء
ينتظرون وينتظرون وينتظرون
اقدام الليل على أجنحتي
ما أثقل هذا الليل الجاثم فوق طراوتها
كفّرت دمي ورجمت فمي
ونظرتُ بعين الكارد لهشيم الأصنام المتروكة في كعبة قلبي فارداد
قلبي فرقاً ساعتها
ما أطول هذا الليل على ثانيةٍ من وقتك يا عمري المحروق
على سجادة عشق لم تبلغ بعد صلاة الصبح
أأؤذن وحدي في جرة هجري المشروخة من فمها
وأصلّي وحدي وأنادي يا شمس المحبوب اقتربي
عندي لكِ مثل ولاء العتق وطاعات الأذناب
اقتربي من أجنحتي اقتربي من قافيتي اقتربي من خاتمتي
شمس المحبوب تلوح امام العشّاق الخضر الفقراء

تلوح رغيف شعير يُطعم مسكيناً ويتيماً وأسيرا

شمس المحبوب تحدّق في الكون كثيرا

وترج سنابلنا المنقوعة بالليل الراقد فوق رماد الأشياء

يا قافيتي اشتدي وتلاشي

لا وقت لقافية تتوكّأ أو تتلكّأ

اني استقبل شمس المحبوب على أرضي

لترفرف سنبلة العشاق المطرودين معي

اني احمي قافيتي ليلوح دخان الوصل

شمس المحبوب تلوح وليل الهجر يعدّ تذاكره المخبوءة ليغادر أرصفتي

ما أثقل هذا الليل الليل

كورتُ قناديل الحب المطفأ في الزاوية المنحرفة

لأصب دمي فوق النيران المرتجفة

يا لين كرياتي ما أثقل هذا الليل الليل الليل وشمس المحبوب تلوح تلوح

ترج نوافذي التسع

تفتحها تكشفني بعرائي للألق الشاهق

شمس المحبوب تلوح تلوح وتصعق هذا الليل الجاثم فوق طراوة اجنحتي

اسحب أعضائي عضواً عضواً منه

فأرى اجنحتي تتفتت في المابين

أنوح أنوح وتختلط الدمعةُ برماد قناديلي

فأصب دمي فوق لهيب الوجد

الأرض الحرة ابريق وضوئي

أضربها بيدي فير تجف الليل الجاثم

امسح جبهتي المسوده من هول المطّلع الشاخص

اتذكر كيف استلقى طوفان بنيٍّ

فوق سرير الأرض فمرت شمس المحبوب

مرّت شمس المحبوب على غرقي

نادتني يا وندي اركب معنا

فركبتُ

وللآن بقلبي نبض يشهق

يا زهراء ويا زهراء ويا زهراء

❖ ❖ ❖

ثمالة الأمل

أ. جاسم محمّد الصحيّح

وهــج القبــاب أم المــصير المُتعــبُ ... ذاك الــذي لــكِ شــدّني يــا يثــربُ

فأتيــت أرفــل في الــشقاء يــزفّني ... مــا بــين أشـباح المتاهــة موكــب

تتــسكع الأهــات بــين جــوانحي ... والأبجديـــة في دمـــائي تنحـــب

وأجنّـــة الأحـــلام حـــين تهزّهـــا ... نجـــواك يـــرعش روحهـــا المتكهـــرب

أتـــرى النخيـــل اليثربيـــة لم تـــزل ... تلـــك الـــتي تلـــد الـــشموخ وتُنجـــب

أم شـــكّها ســـهم الزمـــان فأينعـــت ... جرحـــاً بـــه المستـــضعفون تخـــضّبوا

وأتـــوكِ مـــن حيـــث الرجولـــة لم يـــزل ... تأريخهـــا بـــدم الكرامـــة يـــشخب

يتلمـــسون ثمالـــة الأمـــل الـــذي ... كانـــت علـــى يـــده الجراحـــة تُخـــصِب

يـــا طيبـــة النـــصر المنـــوّر مـــا لـــوى ... أبطالـــه عـــبر المجاهـــل غيهـــب

فـــإذا الـــسماء تـــصبُّ في خلجـــاتهم ... حُلُـــم النبـــوة جامحـــاً يتلهّـــب

حتـــى إذا صـــقلوا تُرابـــك وازدهـــت ... ممّـــا تنـــاثر مـــن ســـناه الأحقـــب

وقفـــوا علـــى حـــدّ الرمـــاح منـــائراً ... تمتـــدّ في أُفـــق الحيـــاة فيُعـــشب

يـــا طيبـــة النـــصر الـــذي في شـــوطه ... أفنـــى فُتوتـــه النـــضال الأشـــيب

وتنفّـــست عبـــق الفتـــوح رســـالة ... فيهـــا تـــصاهرت الـــسماء ويعـــربُ

وافتـــكِ يرتجـــل الـــصلابة ســـاعد ... منهـــا ويبتكـــر العزيمـــة منكـــبُ

ومُـــد اقتحمـــت بهـــا الحيـــاة علـــى خطـــى ... طـــه يـــشدّكِ للفـــلاح ويجـــذب

شـــحذ الفـــداء يراعَـــهُ بـــكِ وانـــبرى ... يـــسقيه مـــن حـــبر الخلـــود ويكتـــبُ

حتـــى إذا يـــوم الاخـــاء تفـــصّمت ... حلقاتـــه وســـطت عليـــه العقـــرب

نـــسيَتْ جوامحـــك العتـــاق نفيرهـــا ... وانهـــار في دمـــكِ الـــصهيل الأشـــهب

وبقيـــت للأجيـــال نبـــعَ صـــبابة ... مـــا عـــاد كـــوثره يفـــور ويغـــضب

ورَنـــت تطالعُـــك الـــدهور فراعهـــا ... فـــتح بماضـــيك المجيـــد مُعلّـــب

هرّبتـــهِ طيفـــاً بـــذاكرة المُنـــى ... يزهـــو وهيهـــات الفتـــوح تُهَـــرَّب

نـسل الغبـار عليـه ألـفَ قبيلـة ... راحـت تنازعـه البريـق وتـسلب

ويـداك لا شمـس تغالـب فيهمـا ... عـصف الـشتاء الجـاهلي فتغلـب

مُـدّيهما نحـو الـوراء وسلـسلي ... يـومَ الاخـاء وللمـي مـا يـسكب

وتحـضّني أرواحنـا بـصفائه ... يهتـزّ نـبض حياتنـا المُتَخَـشّب

فسنـصهر الأفـق البعيـد علـى لظـى ... عزماتنـا حتـى يـذوب الكوكـب

وسـنكنس التـاريخ ممّـا اسـندت ... فيـه الـذئاب ومـا رواه الثعلـب

ونُقـشّر الحـق المُغلّـف بالـدجى ... حتـى يـشعّ لُبابـه المُتَلَهّـب

ونعـود نفـترع النجـوم وحـسبنا ... فيمـا نؤمـل ان متنـك مركـب

غصص كالليّل

✍ الشيخ جعفر الهلالي

وبفاطمـةٍ مـا خـصّ سِـوا ... ك لـدى التـزويج (محمّـدُه)

كـم رَدَّ صـحابته عنهـا ... في قـول راح يُـردّدُه

فغـدوْتَ لـه صـهراً وأخـاً ... وبـذاك الـصهر تخلّـدُه

فلـك (الـسبطان) وفرعهمـا ... بهمـا للنـسل تعـدّدُه

(حجـجٌ) أبنـاؤك رتّبهـا ... للـنصّ هنالـك مـسنَدُه

وختـام الـصفوة (مُنتَظَـر) ... مـن وُلـدك وهـو يُجـدّدُه

فلـسوف يعُـمُ الأرض بـه ... عـدلٌ للجـور سـيطرُدُه

وصـبرتَ علـى عظـم البلـوى ... ولقلبـك بـان تجلُّـدُه

تتجرّعهـا غُصَـصاً غُصَـصاً ... كالليـل تـراكم مُلْبِـدُه

مـاذا سـأُعدّدُ مـن نبـإٍ ... قـد كُنـتَ تـراه وتـشهدُه

(يـوم) (المختـار) و (حادثـه) ... أم (حقّـك) خـصمك يجحـدُه

أم (إرثُ) حليلتك (الزهرا ... ء) وذا القُـرآن يُؤكّـدُه

دفـع الأقـوام بـه (نـصّاً) ... مـذ أضـحتْ عنهـا تُبعِـدُه

أم (ردُّكَ) حـين شـهدتَ لهـا ... بحـديث النّحلـة تـوردُهُ

أم تلك (النار) وقد لهبت ... بالباب لبيتك تعبُدهُ

أم كسر الضلع لفاطمةٍ ... أم ذاك (المحسن) تفقدهُ

لتبايع (أوّلهم) فأبيتَ ... وحقّك رحت تؤكّدهُ

ووراءك بنت نبيهم ... تعدو والصوتُ تُرَدّدهُ

وتصيح الا خلّوا الكرّا ... رَ وذاك الصوت تُصعّدهُ

أو لا فسأدعو الله على ... قومٍ تعصيه وتجحدهُ

وأتتْ للمسجد مُعولَةً ... ولذاك الجمع تُهَدّدهُ

فهنالك كفّوا غيَّهم ... مُذ لاح السخط وموعده

ورجعتَ وعادت مثقلةً ... والهم يزيد توقُّدهُ

وغدت تشكو المختار لِما ... قد نالته وتُعَدّدهُ

وبكت المأ لُمصيبتها ... والحزن تفجَّر مُكْمَدهُ

ليلاً ونهاراً ما فتئتْ ... ببكاها وهي تُشدّدهُ

فأراد القوم لها منعاً ... عمّا تأتيه وتقصدهُ

قالوا آذتنا فاطمة ... ببكاءِ منها توجدهُ

فلتبك نهاراً والدها ... أو لا فبليلٍ موعدهُ

فأبت وغدت لـ (بقيع الغر ... قد) ثم نهاراً تشهدهُ

وهناك بظلْ (أراكتها) ... تخذت مأوىً تتعهّدهُ

وتعود الليل تؤُمُّ الدّا ... رَ لذاك النَّدب تُجَدّدهُ

فسعوا في قطع أراكتها ... شُلّتْ لمعاديها يَدهُ

فبنى الكرار لها (بيتاً) ... للحُزن أقيم مُشَيَّدهُ

وكذاك تواصل منها الحز ... نُ وزاد القلبُ توقُّدهُ

وتضاعف منها السقم وقد ... أودى بالجسم تشدّدهُ

فقضت والقلب به شجنٌ ... تبديه وطوراً تَكْمِدهُ

وبليل قد دُفِنَتْ سرّاً ... وبذا للسُخط تؤكّدهُ

محن ما غيرك يجرعها ... في هذا العالم نعهَدهُ

أسرار الحزن

✍ السيد حسين بركة الشامي

قلبي يذوب أسىً على الزهراءِ ومدامعي تجري دماً بسخاءِ

حزناً على الطهر البتولةِ أنها رحلت بقلب غصّ بالبلواء

رحلت بحسرتها وظل وراءها سرُّ الجوى والجمر في الأحشاء

ومضت إلى الرحمن تشكو أمّة نقضتْ عهود الشرعة الغراء

تدعو أباها وهي تعلم أنّه أدرى بما فعلت يدُ الطلقاء

ابتي أتُسلبُ نحلتي مني وفي بيتي تشبُّ مواقد البغضاء

ابتي الا تدري بما فعل العِدى فينا وقد جاروا على أبنائي

من بعد أن حملوا الإمام مبايعاً وهو الوصي وأول الخلفاء

ونسوا وصاياك التي وصيّتهم فيها بخمٍ في غدير الماء

أولم تقل هذا علي فيكمُ خلفي ومَن عاداه من أعدائي

أبتي أضاعوا العهد ثم تكشّفت أحقادهم بالشر والضراء

صعدوا على باب النبي كأنهم يحيون ثاراتٍ لدى الآباء

قد قيل فيه فاطم قالوا وإن فاليوم نحرقُها على الزهراء

ابتاه غاضبة أظل عليهمُ ويظلّ حتى الحشر صوتُ بُكائي

سرٌّ يضيء

✍ أ. حسين الصالح

سيدي ومليكي

ان تلك السفينة

مضلّلةٌ في المساء البعيد

ومطفئة في المدينة مصابيحها، بانتظار القلوعْ.

هائم يا مليكي المفدّى

والصحاري التي اكلِتني تجوعْ.

ليت سيدة العالمين تفكَر بي في ظلامي

(وفاطمة في المساءات تنزل نحو الغدير الذي ينزف الماء.. أراها وألقي (عليها السلام)، فتهبط خلف أديم الظلام ملائكة الله تحمل سبع نجوم تضيء كما شجر التين ليت سري يضيء).

- (ادركيني)..

وعلى فرس ابيض ستجيئ

لتنثر قمحاً وحبات نورْ

وتزرع قامتها في تراب العصور

وتبيح المساجد للعابرين.

ويكثر غيم التساؤل يا فاطمة

يا نهوض حضاراتنا النائمة

ويا وردة في مهب الحقول

سينتفض الماء في حجرهِ

ويحتدم الغيث في سفره

بعد عامٍ وعام وعامْ فعدْ واعدْ الف مرّه.

قبس يفيض

✍ أ. سعيد العسيلي

بحـــران مـــوج تقاهمـــا زخَّـــارُ ... والمكرمـــات بهـــا الحيـــاة تُنـــارُ

زهـــراء عاليـــة الجـبين شـــريفةٌ ... مـــــا شـــــابها ذنـــــب ولا أوزار

معــــصومة كـــــالورد في أكمالـــــه ... والعطـــــر منهـــــا نبعـــــه فـــوَّار

ولهـــا مـــن الهـــادي ابتـــسامة ثغـــره ... وبوجههـــــا مـــــن وجهـــــه أنـــــوار

قـبس يمـيض علـى الـورى مـن روحـه ... فيهـــــا ودفـــــق حنينـــــه مـــــدرار

وأشـــعّة مـــن هديـــه: وولاؤهـــا ... فـــــرض وطاعتهـــــا هـــــدىً ومنـــــار

فُرضـــت بـــأمر الله بلَّـــغ نـــصَّه ... وحـــــيٌ ومـــــا للمنكـــــرين خيـــــار

ولـــه بهـــا صـــفو الحـديث كواحـةٍ ... برحابهـــــا تتفـــــتَّح الأزهـــــار

والله يغـــضب إن بـــدت غـــضبى وإن ... رضـــيت سيرضـــى للرِّضـــا الغفَّـــار

هـــي بـــضعة منـــه ويؤذيـــه إذا ... مـــــا أوذيـــــت وتـــــصيبه الأكـــــدار

فيهـــا الأمـــان مـــن الـضلال: ونـسلها ... دون الأنـــــام ائمّـــــة أبـــــرار

رضاه رضاها

أ. سعيد معتوب الشبيب

يـا سمـاءُ افرحـي ويـا أرضُ جـودي ... نجـمُ سـعد أنـار كـل الوجـودِ

كتـب الفجـر في شـفاه الليـالي ... وُلـدَت فـاطم ابنـةُ المحمـود

قـد تباركـتَ يـا إلـه فبـارك ... مولـد الكـوثر البتـول الولـود

بـاركوا للـنبي أفـضل يـوم ... ولـزوج الرسـول تلـك الـودود

ثـم للمرتـضى الوصـي علـيٍ ... بركـات مـن ربّنـا المعبـود

فـاطم الأمّ تلـك أمّ ابيهـا ... بـضعة منـه أورثـت كـل جـود

لعلـيٍ ربُّ العبـاد اجتباهـا ... فحـوت فخـر كـل مجـدٍ تليـد

هـي أم لـشبَّرٍ وشـبيرٍ ... سـادت الخلـق في جنـان الخلـود

ولهـا زينـبٌ امـا قـد تجلّـى ... دورهـا الفـذّ في الفـدا والـصمود

فـاطم أنـتِ مَـن أنـا أيـن شـعري ... كيـف يرقـى لوصـف سـرّ الوجـود

فـاطم أنـت مَـن اكـون تراني ... كيـف أصـبحت في قـوافي قـصيدي

لـستُ أدري وقـد احـار جوابـاً ... غـير أنـي عرفـت سـرّ وجـودي

قـل لتاريخنـا الـذي قـد تـساوى ... سـيّد القـوم رتبـةً بالمـسود

مَـن تكـون الـتي فـداها ابوهـا ... وهـو طـه رسـول ربّ حميـد

مَـن تكـون الـتي رضـاه رضـاها ... وأذاهـا يـؤذي الإلـه... افيـدي

لـي عتـاب علـى الـذين تناسـوا ... فـضلها والعتـاب جـدّ شـديد

ايـن اقلامكـم وأيـن القـوافي ... ألـف آهٍ أقولهـا في نـشيدي

علّمينا

أ. شفيق العبادي

علّمينـا فقـد سـئمنا الهوانـا ... كيـف يرقـى إلى عـلاك مـدانا

كيـف نـسمو إليـك يحـدو بنـا الـشوق، ويعلـو ذرى النجـوم علانـا

كيـف نحيـا وفوقنـا يهتـف العـزّ وتمـشي نحـو الـسماء خطانـا

ونـواري بعزمنـا وإبانـا ... حاضـراً عـاثر الخطـى خزيانـا

عقمت فيه للفضيلة رحمٌ وانطوى أمسه العزيز مَهانا

كيف شاخت بنا الأماني وكانت صرخات الأمجاد رجع صدانا

كيف أودى بنا الشتات وعدنا يعثر الدرب والطريق سرانا

كيف يدنو إلى رحابك فكرٌ شلّهُ الوهم فانطوى واستكانا

ويغني - كما اردت - يراعٌ نسل الخوف من لهاه اللسانا

علمينا فقد تهاوى علانا وكبا المجد صاديا ظمآنا

يا ابنة المصطفى وغرس المعالى وصدى الحق في ضمير سمانا

وصدى الحق لم يزل يملأ الآفاق شدواً ويرهف الآذانا

ونسيج العفاف تغزل منه مريم الطهر للتقى أرادنا

لك في خاطر المحبين يوم ملك القلب منهم والجنانا

كم وقفنا عليه نستلهم الذكرى ونُحيي شروقه مهرجانا

« ونساقيه من كؤوس القوافي » خمرة الحب والوفاء دنانا

ونفدّيه بالنفوس إذا ما أمل البغي أن يهض ولانا

طالعتني ذكراه تفترش الأفق على مفرق الرؤى عنوانا

ومشت بي إلى الوراء عصوراً شمت فيها وجه النبي عيانا

حيث أحنى عليك مذ لحت نوراً منه يضفي على المدى إيوانا

ورأى فيك للرسالة ينبوعاً سيثري معينه الأزمانا

وتباهي بك الوجود ولم لا حيث لولاك ما استقام وكانا

ويلقاكِ طرفه راعف الجفن وقد كان خاشعاً وسْنانا

فنثرتِ الرجاء في نفسه الحيرى وأثلجتِ قلبه الحرّانا

وفرشتِ الغد المهوّم في الأفق على ضفة الرؤى ريحانا

يا ابنة المصطفى وحسب منانا أن يرى عندك الولاء مكانا

أتملاّك همسة من جنون العشق تحدو بخافقي ألحانا

أسرت باحة الفؤاد فأرخى في يديها كما تحبّ العنانا

ارهقت كبرياؤها عنت الدهر وأوهى صمودها الأزمانا

كلّما شفّها الغرام تغنّتْ فأهاجت بشدوها الأكوانا
وإذا مسّها الشعور تراءتْ فكرة تملأ الوجود بيانا
أتعبت مبدعاً وأقصت يراعاً وأهاضت فكراً وشلّت لسانا
يا ابنة المصطفى ستبقين درباً يهب السائرين فيه الأمانا
وستبقى ذكراك في مسمع الدهر نشيداً حلو البيان مصانا
كلما راعها المخاض بصبحٍ رقص الدهر حوله نشوانا
وإذا أبطأ الزمان أطلّت من كُوى الخلد تستحثّ الزمانا
واحتضان الرسالة البكر طفلاً ذبت فيها مودةً وحنانا
فزكت بذرةً وطابت جذوراً واشرأبت عبر المدى أغصانا
ورمال البطحاء تحضن للتاريخ فصلاً مضمخاً أشجانا
كم شربنا به الضنى وحملنا غصص الدهر في الحشا بركانا
واحتملنا به الهجير وأرضُ الحقد تغلي رمالها نيرانا
وعبرنا به الرياح فما هيض جناح ولا خفضنا بنانا
والهدير الذي ملأ الأرض دوياً قد استحال دخانا
علمينا فقد سئمنا الهوانا كيف يدنو إلى علاك مدانا

النداء المهيب

✍ الشيخ عبد المجيد فرج الله

وغامت عيونك بالاحتضار
وهذي المدينة
مذبوحة الشهقات
مبدّدة الحسرات
على نغم الوجع المستريح على رئتيك
كأنّ الزمان المعفّر بالانطفاء
المكبّل بالاحتباء
إلى بركة الوحل
يفترش الانكسار!

وحين يمرُّ على أنهر الرمش

- حيث تغطُّ سفائن أحداقنا باختناق الغرق -

نداؤك... يحضن آهته الهامسه

معلّقةً بنتوآت باب يشمّ فحيح اللظى

فينغرس الصدأ المرُّ

يحمل كلّ نكوص الخطى اليابسه

وكلَّ تداعي الوجوه الخريفية العابسه

ويسكن بين الضلوع

جداراً

تحطّمه مهجةٌ تستجمُ بوهج الألق

فيطغى الجوى الأبديُّ

لكلّ البراءاتِ.. كل المسافاتِ

وهي تتوقُ لنبضِ نقيٍّ الرفيف

يتوّج بالنور وجهَ النهارْ

وكانَ...

وكان المدى هائماً

والسماءُ الوليدةُ تائهةً

ما لها من قرارْ

وخلف خطاها الشرايين

ممتدّة إلى لألأ النور من جبهة العرشِ

وهو يبوحُ بسرٌ

يوزّعه الله حول مدى الكون

لا يحتويه - سواكِ - مدارْ

نداؤك

هذا الضعيف المحاصَرُ بالاختطافْ

يجيء إليَّ... إليَّ

فيخترق الغبَشَ اللهبيّ على معبر الحدق الغارقهْ

يُطاردُ كلَّ ذهوليَ

كلّ احتراقيَ

كلّ احتمالات صحوي المُعافْ

فاصرُخُ في السرِّ

حين توكّرُ آهتُك المستباةُ على شجني

ووجهي المرمَّلُ بالإندثارْ

يفزّ على نبرةٍ باسقة

تطوّقها الريحُ مجنونةً باللهيبْ

وبالصخب الجاهليّ المتاجر بالنبضِ

في لُمّةٍ من فضاءٍ غريبْ

فأهرعُ - كالطفل يفقِدُ كلّ مرافئ الأمان

أُطوّفُ في جنبات الصباح الكسير

فتُمطرني الشمسُ أدمعَها الباهته

ويُعولُ خلفي الربيع المصفّدُ

والوردُ يهربُ..

والحدقات البريئةُ توغِلُ في البحر

يلتئمُ الأُفقُ بالرمد الأسود المُستعارْ

فأُغلق بابي

وركلُ اللُّهات على ظهري المتبدّدِ في الوحل

يتبعُني

يستطيل يداً

تنتقي أوجهاً منْ عذابي

تبوّات عند انهمار المواجع

هالة روحِك... وهي تشُدُّ الرحالْ

وبين يديها

تدُقُّ عنانَ السماء أصابع عُشبٍ يبيسْ

وحين توحّمت الأرضُ

كانت عصافيرُك الحائمات على شهقة البحرِ

تملأُ بالشدوِ والشجوِ سمعَ الترابْ

وتبحثُ بين أزيز الرمالْ

عن الوردِ...

أين أضاع خطاه؟

وأسلم للصمت دفءَ شذاه؟

وراح إلى ضفةٍ لن تُنالْ!

يصير دوائرَ محمومةَ الاستعارْ

فتجفل منها الذئابْ

وترتدُ أصداؤها كطنين الذبابْ

ولكن

تظلُّ العصافيرُ مشدوهةً بالأغاريد والابتهالْ

ولمّا استطال سكونُكِ ذاك المهيبْ

ولم تقتحمْهُ دموعُ (الحسين)

وآهةُ (زينبَ)

أو حشرجاتُ نشيجِ (الحسن)

تلوّتْ عصافيرك البيضُ والخضرُ

تنسلُ ـ باكيةً ـ ريشَها بالرمادْ

ومن يومها

حين مالت يدُ الشمس وهي تُسلّم عند الغروبْ

على كلّ وجه أضاع الدروبْ

رأى الأفقُ

كيف يشِبُّ الجنون بأعين كلّ الخطاطيفِ

والدمعُ يهطِلُ متَشحاً بالسوادْ!

أنا ـ الآنَ ـ أهرَعُ خلف الخطاطيفِ

أنضحُ أدمعها بالعويلْ

أشمُّ احتراقَ دمِ (الحسنين) و(زينبَ)

وهو يُعاني مخاضَ الدموعْ

فتنزِلُ ناسيةً لونها الأحمر المتلثّم بالنارِ...

تبعد عني الخطاطيفُ

نحو مدىً يتلاشى...

تظلُّ تحومُ... تحومْ

تتابعُ تهويمَها في عيونِ النجومْ

❖ ❖ ❖

الطهر الأسمى

الشيخ عبد الكريم آل زرع

لكِ يا بضعة النبي الوفاءُ ... من محبٍ لا يعتريه جفاءُ
مزجت ذاته بحبك حتى ... كان منها كما يكون البناء
فاستوى في جنانه منه نهر ... صب فيه من الجلال بهاء
وجرى فهو في الحنايا عروج ... لسماء وما عليها سماء
وهو في كونه مدامة حسن ... رشفت من نميرها الأعضاء
فإذا مقلة تنم عن الحب وقلب يستاف منه الصفاء
ومحيّى يفيض منه جمال العشق عذباً مستعذباً والسناء
يا أبنة المصطفى وحسبك فخراً ... أنكِ الطهر فاطم الزهراء
لكِ وجه لو أبصرته ذكاءٌ ... أدركت ما هو الضياء ذكاء
حزتِ أسمى الصفات يا ابنة طه ... بعضها بعد لم تحزها النساء
كَلَّ في مدحك اليراع ومَن رام محالاً أودى به الإعياء
وكليل الجناح يستصعب السفح وتعلوه قمة شمّاء
ما عسى أن أقول فيمَن أبوها ... خير مَن شرفت به العلياء
سيد الكون باسمه قد تباهى الرسل والأنبياء والأولياء
ما عساني أقول في بعلك الطهر عليٍّ وفي يديه القضاء
هو للمصطفى وصي وعنه ... صغر الأوصياء والأنبياء
هو قلب الوجود وهو إمامي ... وأميري إن عددت الأمراء
وبنوك الألى أضاءوا زماناً ... أليلاً في ضميره إغفاء
وأحالوا جدب العواطف خصباً ... فانتشى العدل واستقام الإخاء
ومن النبع يستقي ومن النور على كل ظلمة يستضاء
فهم النور والحياة وشيءٌ ... ليس يدرى لكنّه معطاء
يا ابنة المصطفى ألفنا الرزايا ... غير أنّا من حبكم سعداء

وصـــبرنا وكـــل صــبر جهـــادٌ وهتفنـــا أن مـــنكم لا بـــراء

دونـــه ســـادتي تـــسال الـــدماء دونـــه الـــروح إن روحـــي فـــداء

إنَ هـــذا مـــن الجهـــاد يـــسير زرعتـــه في قلبنـــا كـــربلاء

كيـــف أسـعى ولــستُ أملــك شــعري لـــو غـــشاني مـــدح لكـــم وثنـــاء

وإذا الـــذكر خـــصكم بمـــديح مـــا عـــسى أن تنمـــنم الـــشعراء

يـــا ابنـــة المـــصطفى عليـــك ســلامي مـــا تغنـــت بعـــشها ورقـــاء

الصوت المضيء

✍ الشيخ علي الفرج

حُلُمي ذهولْ

لغَتي اصفرارٌ باردٌ وفمي ذبولْ

عيناي نَوْرَسَتان شاردتانِ..

خلف الأفق لا أدري أيرجعها الربيعُ

أم الخريفُ

إذا تسابقت الفصولْ

تتكسر الكلمات وسط دمي ويسرقها الافولْ

لا بدّ للوتر المحطّم أن يقولْ

الكون صمتٌ

كله صمتٌ

فلا شفةٌ..

ولا رئةٌ..

ســوى صــوتٍ مــضيءٍ مــن بعيــدٍ ذاك صــوت رحــى البتــولْ

حُلُمي عذابْ

عبّأتُ أوردتي التهابْ

وحصدت خلفي ألف بابْ

وحملتُ ارصفتي لأبحث عنكِ في وسط الضبابْ

سافرتُ حتى ماتت الخطوات في قدميَ.. ماتت الماء من عطشٍ.. وجودي

صخرةٌ.. نافورةٌ لليأسِ.. مهلاً.. لحظةٌ مغسولةٌ جاءت لتقتلع اليبابْ

وهنا تساقط صوتُكِ الفضيُّ

من أعلى..

تفتحت الصحارى أعيناً مجنونة نحو السماء. أجلْ..

إذا بك تفرشين على السما

سجادة لك من سحاب

غسلتُ أقدامي التعبى بذاكرتي ... ورحتُ أطفئُ في مسراكِ أعصابي

أأنتِ نافورةٌ صلى لها عطشي ... أم وردةٌ عَبَدَتْها كلّ أطيابي

أم أنتِ قطرةُ ضوءٍ حولها ضربتْ ... كل النجوم لها أعراق أنساب

طفوتُ فوق غراماتي وسرتُ بها ... زهراءُ واسمكِ محفورٌ على بابي

زهراءُ واسمك أشياء مدلَّلةٌ ... تلهو بها صلواتي وسط محرابي

زهراءُ واسمك في اسمائنا حرمٌ ... وفوق كعبتهِ علّقتُ أهدابي

مولد الزهراء

✍ أ. علي حمدان الرياحي

ماذا أحدّث عنكِ يا ابنة أحمدِ ... ومثيل فضلك في الورى لم يُشهَدِ

ما دمت سيدة النساء وخيرها ... وأجلّ مَن ولدت ومن لم تولد

أمّ الأئمة والمصابيح التي ... شعّ الزمان بنورها المتوقّد

ماذا أحدّث عن أبيك وقد أتى ... لمّا ولدت بلهفة المتوجّد

وحبا لوجهك لاثماً متشوقاً ... حبّاً ترعرع من قديم سرمدي

وتماثل النوران نوراً واحداً ... من كوكب متفرّد متجرّد

فكأن صورة أحمد في فاطمٍ ... وكأن صورة فاطم في احمد

ماذا أحدّث عنك بعد طفولةٍ ... وضياء وجه ما تلألأ يزدد

وتطاول الأعناق لابنة أحمد ... من كلّ ذي جاه وكل مسوَّد

فيشيح خير المرسلين بوجهه ... ويخيب من يأتي إليه ويغتدي

وثناك عن كل الصحابة والورى ... وأباك إلاّ للكميّ الأصيدِ

القاسم الهامات قصمة عادلٍ ... بالقسط غير مقلّل ومزيّد

أم الأئمة خير أعلام الورى ... عفواً إذا شطّ اليراع على يدي

فتقبلي مني هدية شاعرٍ ... لمحمّدٍ ولآل بيت محمّدِ

مبعث النور

أ. علي حمدان الرياحي

أيّ يوم يَجلّ فيه العزاءُ ... ومصابٌ يطيب فيه البكاءُ

مثل يوم مرزّءٍ مستحمٍ ... غربت في سمائه الزهراءُ

لا السماوات بعدها مشرقات ... حين تخبو ولا الضياء الضياءُ

يشحذ البدرُ من مطالعها النور وتمتاح من سناها ذكاءُ

أترى شفها بعادُ أبيها ... فاستحم الجوى وحنّ اللقاءُ

بضعة المصطفى وأمّ أبيها ... وشذاه والنفح والآلاءُ

أمّ أسباطه وخير البرايا ... والتراث الأجلّ والآلاءُ

قصّر الخافقان عنها عطاءً ... وونى عن لحاقها الأنبياءُ

قبّل المصطفى يديها وما كان ... لغير الزهراء هذا العطاءُ

مبعث النور والأئمة منها ... شُهبٌ ما مضى الزمان وضاءُ

غصون الحنايا

أ. فرات الاسدي

قمرٌ يافعُ البهاء حزينُ ... ملأ الليلَ وجهه المفتونُ

وتدانى فشفّه خجل الأرض، وقد نمّ طرفُها الموهونُ

ليتَها بالهوى تبوحُ إليه ... فيُناجى طيفٌ وتُروى شجونُ

كم أسرّت جوىً يُلحُّ عليها ... وأذاع الأسرار حبٌّ مكينُ

ضمّنَتْه المشكاةُ للألقِ المخضلُ فيه أديمُها، والسنينُ

ولقاءٍ سمعت إليه وطافتْ ... كلّ شوطٍ حتى أضاء اليقينُ

طورُها مهدُ فاطمٍ أين منه ... في التجلّي حِراءُ أو سينينُ!

❖ ❖ ❖

يا ابنة النور، والعوالم جاءت ... كيف شاءت: تكونُ أو لا تكونُ

وبأفلاكها مداراتُ هذا الكون صلّت، وسبّح التكوينُ

أنظرينا فنحنُ رهطُ مواليك، وما ضيَّعَ اليسار يمينُ

لكِ ودٌّ مخضوضر بدمانا ... أنتِ فيه، والتينُ والزيتونُ

جذره القلبُ والحنايا غصونُ ... وله من تُرابِ خطوكِ طينُ

رفَّ لم يختلفْ لديه وتينُ ... أو أطاحت بنبضه سكّينُ

بل مضى، يمنحُ المفاداةَ عمراً ... علويّاً، شهيدهُ والسجينُ!

❖ ❖ ❖

قمرٌ شاحبُ.. ودربٌ حزينُ ... والمدى في حدادِهِ مركونُ

.. المدى شائه المسافة يهوي ... دونه الليل والسُرى والعيونُ

عثر النجم فيه وارتدَّ ركبٌ ... أسلمَتْه إلى خطاه الظنونُ

فإذا التيهُ رايةٌ والخطايا ... جندها، والحداةُ صوتٌ هجينُ

وإذا غايةُ المسيرة أن يشتدَّ رهجٌ، وأن تُساق مُتونُ!

❖ ❖ ❖

لُعِنَ الغدرُ أيُّ نصرٍ ذليل ... راح يجنيه حدُّهُ المسنونُ

أيُّ ذكرى منسيّةٍ لبريقِ ... كان في الفتح يلتظي ويبينُ

حسبُه اليوم غمدُهُ وغبارٌ ... صَدِيءٌ باردٌ عليه يَرينُ!

خُيلاء السيوف تملأُ عطفَيه ادّعاءً.. ويشمخ العرنينُ

ثمَّ لا شيءَ غير عزمٍ دعيٍّ ... هو في زحمة العزائم دُون

إيهِ يا أُمّة السقيفة هلاّ ... رفَّ جفنٌ.. هلاّ تندّى جبينُ

ما نفضت الأكفَّ من ترب طه ... بعد حتى استفاق حقدٌ دفينُ

وصدورٌ موغورةٌ وغضونُ ... في وجوهٍ يؤودهُنَّ مجونُ

ما توضّانَ بالغدير ولكن ... غارَ تحت الجلود جدبٌ ضنينُ

هـل تراهـا تطيـقُ طهـرَ علـيٍّ　　وهـو يـشذى بمائِـهِ النـسرينُ

أم تراهـا تجـلُّ فاطمـة الزهـراء، والحـقُّ حلفُهـا والـدينُ

وهُـداها القـرآن والـدمع إلـفٌ　　وصـلاةٌ محزونـةٌ.. وحـنينُ

❖ ❖ ❖

الـفُ عـذراً يـا بنـتَ أحمـدَ لـو يُعـصر صـدرٌ، ولـو يُطـاحُ جـنينُ

إنَّهـا الـبردَةُ اللعينـةُ والأطمـاعُ، والثـأرُ، والعمـى، والجنـونُ

حملتْهـا بخزيهـا صـفّين..　　ولـدى الطـفَ عارُهـا مرهـونُ

وأطاحـت بـالأزهر الفـاطميّ المجـد، وانـصاع تحتَهـا يـستكينُ

وإلى الآن لم تـزلْ ورؤاهـا　　ينـسَل الـوهمُ بينهـا والهـونُ!

والغـريُّ الـذي بهـا راح يـصلى　　والبقيـعُ الـذي بهـا مطعـونُ

وغـداً يثقـلُ الحـسابُ عليهـا　　كـم يُـؤدّى غـرمٌ، وتُـوفى ديـونُ؟

فـوراء الغيـوبِ لله أمـرٌ　　ولخيـل المهـديّ شـوطٌ يحـينُ!

فاتيما(*)

✍ أ. فرات الاسدي

صوتٌ يتصاعد في حنجرة الريح، وأُغنَيهْ

والنغم الخافقُ ينثالُ وئيداً

والشجر الخافقُ ينثالُ وئيداً

مزهواً بالصحو

وحبّات المطر المتساقطة ـ اللحظة ـ من وجه الشمسْ

صوتٌ يتصاعد، والسربُ الموعودُ بأمنيّهْ

يتحاورُ في هَمَسْ

يتنقّل في خطواتٍ لاهثة

فوق مدارج هذا الحُلُمْ..

(*) اسم مشهد في البرتغال يأوي اليه الزمنى والمرضى والمعاقون في ليلةٍ خاصةٍ مشهودةٍ كل عام، محمّلين بالنذور فيبرؤوا في صباحه. (انظر ما جاء في موسوعةِ الموسم عن مشهد القديسة فاطمة في البرتغال، العددان ٣٧ـ ٣٨ لسنة ١٩٩٨ ص ٩ إلى ١٨).

مَن حدّث تلك الأرواح الظامئة الحيرى؟
انَّ نهاراً يُولَدُ، يمتدُّ
يرفُّ حماماتٍ من أجنحة اللَّهفهْ
مَن أودع في دمها السرّا؟
مَن أومأ للنور وسافر خلفهْ؟
مَن فجّر في هذي الأرض الخزفية
ينبوعَ الزهراءْ؟
مَن نضّر ذاكرةَ الأسماء؟!
صوتٌ يتصاعد في النبع وئيداً..
يتهيّأ للُقيا
ويُعوِّذُ في سرّ قرارته شبَحاً أبيضْ
عن نهرِ نبويٍّ يَرفَضْ
غدراناً من دمع يتفيّا
فيه الواديْ
ويُسرِّبُ عاشوراء إلى كلّ بلادِ!
.. سوف يمرُّ على العاهات فيُبرئُها..
سوف يلملمُ من كلمات الفقراء براءتها،
والمجذوبينْ
يمسحُ عنهم وجعاً وحنينْ
وسيحمل بين يديه نذورهم القرويّة
للربّ، وللوجه القادم من عبق الشرقْ
.. يحمل ذكرى أبديَه
يا وجهاً يُوقظ في
الغابات نضارتها، والبحر عواصفَهُ
مُرَّ على هذا الزمن المجدورْ
يا حُلماً بالوَهَج الدافقِ مضفورْ
يا حلُماً من نورْ
«فاتيما» تقتربُ الآن..
وينكسرُ البلورْ!

عن تربته بدمٍ منحورْ

يهَبُ الثورة والخصبَ بذورهما،

يُطلقُ في الأرضِ الفرح المأسور!

«فاتيما» تقترب الآن..

وينكسرُ البلّورْ

تندلق الفرحة في الطرقات وفي الدور:

فاتيما

فاتيما

يا حُلُماً ممطور!

صوتٌ ينزف:

كان هنا ظلٌّ يحمل خطوتها..

يُشبه مشيتَها،

كان هنا..

غادرت الأشياء جبلّتها،

جاءت راكضةً

تهديها الورد الغضْ

وتحيّيها

تمشي خلف خطاها تِيْها

والأطفال تُناديها:

فاتيما

يا مطراً أخضر

فاتيما

يا مصراً أخضر

صوتٌ يشهد:

هذا العالم مسكون بالخيبهْ..

بأجنّته النوويّة والغثيانْ

حدَّ الرهبهْ!

مسكون بالحقد الكافر والآلاتْ

تقطع أعناق الكلماتْ

تنفخُ في قنديل الروح صفيرَ الظلمات!

والإنسانْ

حنّط حُبَّهْ

زجَّجَهُ في دَنَسِ الرَّغبهْ!

صوتٌ يهتفُ:

يا فاتيما:

مُدّي للبحر نوافذهُ

ودَعي احزان الأشرعة الاولى

تنسربِ الآنَ مُغادرةً

من رئة الإعصار العاتي

فالبحر مواتيْ

يا فاتيما:

يا لُغة الطوفان الآتي!!

الملكوت الزاهر

أ. محمّد سعيد الجشي

صلّى الإله على البتول وآلِها ... من تخضع الأملاك عند جلالِها

الطهر فاطمة سليلة (أحمد) ... من يشرق الإعجاز في أقوالها

ما قورنت شمس الضحى بسنائها ... إلاّ تسامت رفعة بكمالها

هي شعلة من (أحمد) وضاءة ... والشمس تمنح ضوءها لهلالها

ما نالها غير (الوصي) لأنه ... ورث المكارم من أجل رجالها

فاق الأنام مناقباً وفضائلاً ... رُدت إليه الشمس بعد زوالها

❖ ❖ ❖

ما أعظم (الزهراء) درّة عصمة ... قد عمّ هذا الكون فيض نوالها

قد أزهر الملكوت من أنوارها ... وسما رواق المجد تحت ظلالها

نبوية الأعراق طيبة الشذى ... عطر الجنان يضوع من أذيالها

الله شرّفها وعظّم شأنها ... وإمامة الإسلام في أنجالها!

سادت نساء العالمين بفضلها وبطهرها وفخارها ومقالها

هي شعلة للحق ناطقة به يزهو الهدى بيمينها وشمالها

الكوثر العذب الطهور بنطقها نبع الهدى ينساب من سلسالها

شبه (الرسول) شمائلاً وخلائقاً ما (مريم) في الفضل من أمثالها

مَن ذا يماثلها (ففاطم) علّة يهمي سحاب الفضل من أفضالها

❖ ❖ ❖

ما كان يشبهها بنهج خصالها إلاّ وريثة نهجها وخصالها

هي (زينب) من أشعلت بخطابها قبساً يضيء على مدى أجيالها

قد ورثتها كل فضل باذخ ولذا سمت كالشمس في أفعالها

في مولد الزهراء

✍ أ. محمود مهدي

تجلّت شمس هدي في ضحاها وأشرقت المعالم من سناها

وفي دلج السُّرى الحادي تغنى بمولدها، وفيها الكون باهى

فلا تحف السؤال خلاك ذمٌ عن الشمس التي الحادي عناها

وشعشع نورها في كلّ منحىً وطوّق فسحة الدنيا صداها

❖ ❖ ❖

هي الريحانة الذاكي شذاها لسر الطهر مولاها اصطفاها

هي الكنز المصون لكلّ جيلٍ من الإعجاز بارينا براها

هي المشكاة مشكاة الدراري هي القديسة السامي علاها

هي الفحوى لقاموس المعالي هي الزهرا البتول فتاة طه

وأيم الله لا تعطى صفات كهذي من بني الدنيا سواها

يضيق الوصف عن حصر المعاني التي فيها مكوّنها حباها

فمن حقّ المعالي ان تباهى ببنت كان هادينا أباها

❖ ❖ ❖

سيدة النساء

✍ أ. جابر الجابري

أرى على بوابة السماءْ

ملائكاً تهبط للأرض على حياءْ

تلامس التراب في حفيفها وتفرش الضياء

أسمع في موكبها همهمة الوحي وصوتاً يشبه البكاءْ

فتعتريني رعشة الخشوعْ

ويخفق القلبُ فما تكاد أن تمسكه الضلوعْ

اغرق في دوامة الدموعْ

وأقرأ الأشياءْ

اقرؤها بلا حروف أو نقاط تكشف الأسماءْ

اقرأ في القلب وفي العيون في ارتعاشة الدماءْ

نوراً به تحتفل الأرض، فتنجابُ له السماءْ

اقرؤها فاطمة الزهراءْ، فاطمة الزهراءْ

أطهرُ مَن يمشي على الأرض، ومَن يمرُّ في الأجيالْ

أكرمُ مَن تحمد في خصالها الخصالْ

أعظم مَن يعظمُ في تعظيمه الكمالْ

أفضل مَن تحمل في ظهورها الرجالْ

سيدة النساءْ

بوابة الجنة يوم يوضع الميزان للجزاءْ

ربيبةُ العصمة والجمالْ

حليلة الإمامْ

شريكة الهمّ الذي ناءت به الجبالْ

كريمة الكرامْ

فلتفخر النساءْ.. بأن فيها أصبحت فاطمة الزهراءْ

ولتفخر الرسلْ.. والبيت والدعاءْ

لمّا تطوف حوله فاطمة الزهراءْ

وليفخر المقدسُ والإسراء.. لما ترى أنواره فاطمة الزهراءْ

وليفخر الكون الذي يضاءْ.. بطلعة الزهراء،

فإن فيها رحمة السماءْ

تاب بها آدمُ من عصيانه

وكفَّرت سوآتها حواءْ

❖ ❖ ❖

قطوف طوبى

✍ السيد مسلم الجابري

النــــور فـــاض بمكـــةٍ فأضـــاءَها فلتنســـج البطحـــاء منـــه رداءَهـــا

والكعبـــة الغـــراء يغـــسل وجههـــا بـالعطر مـا سـاقى الهـوى بطحاءهـا

قمـــر الـــسماء أطـــلّ مـــن عليائـــه وهفـــا إليهـــا لاثمـــاً علياءهـــا

مـــا كوكـــبٌ إلاّ وأوجـــع قلبـــه شـــوق يهدهـــد بـــالجوى حـــصباءها

وتهافتـــت زهـــر النجـــوم برملـــها فاختـــار قلـــب محمّـــد زهراءهـــا

يـــا كعبـــة الله اهتفـــي وتعطّفـــي حتـــى يـــزور العطـــر منـــكِ فِناءهـــا

وتبرّجـــي فرحـــاً بزهـــرة دوحـــةٍ باهـــت بهـــا أرض الحجـــاز سماءهـــا

اقـــسمتُ لـــو مـــدّتْ عليـــه غـــصونها لكـــست بـــوارف ظلـــها صـــحراءها

ولـــسان واديهـــا يـــروّى عذبـــه دنيـــا تـــساقى الظـــامئين رواءهـــا

والليـــل هـــل يـــدري ســـيخلع لونـــه للنـــور لـــو لاقـــى هنـــاك ذُكاءهـــا

هـــدي الحجـــارة في شـــوامخ مكـــةٍ خـــشعت وشـــاطرت الـــسماء نعماءهـــا

ولـــو أنّهـــا اســـتطاعت تـــذوب محبـــةً لـــسعتْ يغيّـــر شـــوقها أسماءهـــا

نامـــت قـــريش عـــن تململـــ ليلـــةٍ نـــصبت علـــى الحـــرم المنيـــع خباءهـــا

وتغافلـــت مـــضرٌ عـــن الأفـــق الـــذي غطّـــى بخـــضرة موجـــه حمراءهـــا

لتـــزفَّ قافلـــة تطـــامن خطوهـــا فـــسرتْ وردّدتِ الجبـــال صـــداءها

الأعـــين الحـــيرى يـــصارع يأســـها حلـــمٌ الـمّ ليـــستردّ رجاءهـــا

في جنـــةٍ غنّـــاء تمـــنح ظلـــها للظـــامئين علـــى الطريـــق وماءهـــا

لله بضعةُ أحمدٍ من نوره | لمعت فاهدى افقه لألاءها
وافتك تخترق القرون كنجمةٍ | تنأى فتهدي للعيون ضياءها
مهما ترامى الأفق حول وميضها | عبرته تطرد بالسنا ظلماءها
مرت بطوبى فاستفزّ حنينها | ظلّ يرافق في النعيم بهاءها
وتوسّمت في موكب عبرت به | كفّاً لطاها زهوها وعطاءها
بالأمس أخلد ركبه في ظلها | ومضى يخوض من الجنان قضاءها
نالت يداه فاثقلته ثمارها | ومشت خطاه فزيّنت خضراءها
ودنت خديجة تستظل بكوثرٍ | من رحمةٍ تزجي إليه صفاءها
في ليلة غرّاء لو مدتْ يداً | نحو النجوم تناولت زرقاءها
يسري ابن عبدالله في ملكوتها | فترى بمجرى روحه إسراءها
ما غاب همسُ محمّدٍ عن سمعها | يصغي فتمنح صوته إصغاءها
وترى الصباح على جبين متوّجٍ | بالنور ينضح بالعبير مساءها
أدرَتْ خديجة إذ تودّع ليلةً | والوجدُ يخضب بالسنا احناءها
أنّ الجنان قد انحنين كرامةً | للسرّ فاستودعنه أحشاءها
وبأنّ كفّ محمّد قطفت لها | في الخلد من زهراتها عذراءها
وبأنّ ما ضمّت عليه ضلوعها | حوراء غادرت الجنان وراءها
ما زاغ طرف محمّد عن سدرةٍ | في قاب قوسين استشفّ سناءها
سرّ النبوة فاض في أغصانها | عبقاً وخالط نشره أنداءها
وتنزّلت للأرض منه كتائبٌ | عقدت ملائكة السماء لواءها
يا سرّ فاطم ما مررت بخاطرٍ | إلاّ وأهدته السماء حباءها
البستْ شيعتها رداء كرامة | وجلوتَ سفر مآثرٍ انباءها
تلك التي اعطت فنضّرت الثرى | وسمت فجاز سموّها جوزاءها
ما موقفٌ وقفته بعد محمّد | تُصمي بصائب رأيها خصماءها
إلاّ وكان الغرّ من أبنائها | وبناتها بجهادهم خلفاءها
للعلم ما عقدت عليه ضلوعها | والطهر ما مدت عليه كساءها

يحيا بهما ميت الضمير وإن طغى ... جدبٌ أراقت كالربيع دماءها
وهبت لأمتها قطاف حياتها ... ومضت تعانق كربها وبلاءها
عرس الشهادة ما تحفّز ثائرٌ ... إلاّ أعاد عليه عاشوراءها
وإذا تعثّر موكب في زحفه ... زفت إلى سوح الجهاد فداءها
مرّ الخلود بها فقارب خطوه ... ومشى إليها يصطفي شهداءها
يا صفوة الله التي مدّتْ لها ... كفّ العناية فاصطفت آباءها
الروح من أفق السماء منزّلٌ ... يروي لبنت محمّد ابناءها
ترضى فيرضى الله في ملكوته ... ويسوءُ قلب محمّد ما ساءها
وتقوم ما قام النبي بليله ... يخفي النشيج عن الظلام نداءها
ترجو و(وعد) الله يملأ قلبها ... ويهدُّ خوف (وعيده) أعضاءها
ما أومأت نحو السماء تضرعاً ... إلاّ وسابق دمعها إيماءها
فإذا تجلّى للسماء جبينها ... بدراً تساقطت النجوم إزاءها
واهتزّ محراب تكنّف ركنه ... ليل أحبَّ الله فيه لقاءها
يا قصةً للمجد ردّد بعدها ... تاريخ أمّة أحمد أصداءها
خلدت على مرّ العصور فما وهى ... صرحٌ على التقوى اطال بقاءها
كفٌ لأحمد شيّدت أركانه ... فرعت لها عين الإله بناءها
وشريعةٌ للحبّ كوثرُ نبعها ... يجري ويمنع ورده غرباءها
عهدٌ لفاطم في ضمائر عصبةٍ ... نسيت له عند الوفاء وفاءها
حشدت على باب الوصي وعبّأت ... اضغانها واستنفرت غوغاءها
ما كان اقساها تروّع بضعةً ... من أحمدٍ فرض الأله ولاءها
ولقد جفت حتى تلبّد افقها ... بالظلم واشتكت البتول جفاءها
أيكون حب محمّد في قلبه ... من مات حيراناً يكنْ عداءها
غضبت وكان الله شاهد سرّها ... مذ أعلنت للعالمين عناءها
ودعت عليه بعد كل فريضةٍ ... ولَيسمعنّ الله فيه دعاءها
ولئن بكى يوماً وطال شقاؤه ... من هجرها فلقد أطال بكاءها

سيد الحزن والكبرياء

أ. مصطفى المهاجر

اريجُ النبوة فيكِ ابتدى   وفيض الهدايةِ منكِ اهتدى

وأنغامُ عزكِ في الخافقين   لها الدهرُ من ولهٍ انشدا

ونورِكِ يا بضعة المصطفى   اضاءَ اضاءَ فغطى المدى

حنانيكِ أمّ النبي الكريم   وأمّ الأئمة نور الهدى

شربنا ولاءَكِ منذ الرضاع   فأورقَ حباً غزير الندى

وحلَّق في حزنكِ المستديم   حنين بأشواقه يُقتدى

فحزنكِ يسكن اضلاعنا   لهيباً توقّد لن يُخمدا

وصوتُكِ رغم رنين الأسى   لهُ في نفوس الهداة صدى

فصارتْ شعاعاً بما تحتوي   قلوبٌ لدى وجدها سُجّدا

وصارت بذكراكِ أيامنا   معطرةً عزةً سؤددا

وصارت ليالي الاسى ثورةً   بذكراكِ نيرةً فرقدا

وصرنا إذا ضامنا حاقد   وطوّقنا بالهموم العدى

طلبناكِ نستكشفُ العاديات   ذكرناكِ نستنجحُ المقصدا

فذابتْ على عتبات الهوى   مغاليق أحكامه كالردى

وعادت لأنفسنا بسمة   تكاد من الحزن أن تُوأدا

حنانيكِ سيدة العالمين   حنانيك يا نسمة تُفتدى

على شاطئيك ترفّ الحياةُ   وتزهرُ افياؤها بالندا

وتشمخُ ذكراكِ نحو السماء   تعانقُ في مجدها احمدا

وتملأ دنيا الوفاء العظيم   بفيضٍ من الطهر لن ينفدا

وتوقدُ في الداجيات الشموس   لتكشف من ظلمةٍ ما بدا

فتزدان بالنور أيامنا   وتفتح درباً لنا موصدا

وتُشعلُ احلامنا بالرجاء   لنوصل بالأمس زهواً غدا

أسـيدة الحـزن والأمنيـات شموعـاً علـى الـدرب لـن توقـدا

بغـير ابتهالـك إنّ الطريـق إلى الله مفروشـةٌ عـسجدا

وغـير نـدائكِ إن الحيـاة بـلا طاعـة الله لـن تُحمـدا

وغـير دعائـكِ إن أبناءنـا لحمـل العقيـدة كـي تُرشـدا

وغـير وقوفِـكِ بـين الـصفوف لتـصحيح مـا اعـوجَ أو قُـدّدا

حنانيـك سـيدةَ العـالمين وعفـوَكِ مـن بـضعة تُقتـدى

شـربنا ولاءَكِ منـذ الرضـاع فـأورقَ حبـاً غزيـر النـدى

ونرجـو الـشفاعة في حـبكم فمـن رحمـة الله لـن نُطـردا

منابر الوحي

السيد منير الخباز

لَمّـا رأتهـا الكعبـة العـصماءُ تفـيض مـن جبينهـا الأضـواءُ

تـساءلت مَـن هـذه الحـسناء فقيـل بـشرى هـذه الزهـراء

تفاحـة مـن سـدرة المنتهـى تكوّنـت مـن الـسنا والبهـا

ذابـت بـصلب المـصطفى فـازدهى والتقـت الأنـوار والاشـذاءُ

مـن تربـة الأرض ومـاء الجنـانْ تـوردّت في وجههـا جنتـانْ

لـو كـان انـسان لـه معنيـان فإنّهـا الإنـسية الحـوراءُ

منـابر الـوحي لاجـدادها خلافـة الأرض لأولادهـا

كـل المعـالي بعـض أمجادهـا ومـن علاهـا ترتمـي العليـاءُ

علمنـا تأريخنـا المـؤلم إن الفـداء والهـدى تـوأمُ

وانـه لا سـيف إلاّ الـدم بغـيره لا تنجلـي الظلمـاءُ

فبابهـا المحـروق بـابُ الـصمودْ وبابهـا في الحـشر بـاب الـصعودْ

والكـوثر الفيـاض يـأبى الـورودْ إلاّ لمَـن تقبلـه الزهـراء

تأريخهـا الثـائر مـا اعظمـه ملحمـة للمـرأة المـسلمه

خديجـة في مطلـع الملحمـة وفي الختـام زينـب الحـوراءُ

ملحمـــة للـــشعر والمنـــبرِ غنّـى بهـا اللحـن مـدى الأعـصرِ

وآيـــة الـــتطهير والكـــوثرِ وآيـــة القربـــى لهـــا أصـــداءُ

فارقـــت الـــدنيا بعمـــر الـــورود وعطرهـــا بـــاقٍ بقـــاء الخلـــودْ

والـــشمس لا يـــدنو إليهـــا الخمـــود ونورهـــا شـــعت بـــه الأرجـــاءُ

في ظلال الزهراء

السيد مهند جمال الدين

أنـــت في البحـــر والقـــوافي تغيـــبُ وســـلا قلبـــك الـــشعور المجيـــبُ

ترتجـــي الـــشاردات وهـــي حيـــارى أقتيـــلٌ بـــك الحجـــا أم ســـليب

هـــل جفتـــك الحـــروف أم هـــدّك الـــسعي إليهـــا أم قـــد بـــلاك المـــشيب

لا ربيـــع يـــدعو إليـــك الأقـــاحي أو صـــفاء ترعـــى دمـــاه القلـــوب

والـــشعاع الـــذي عقـــدت عليـــه كـــلَّ فجـــرٍ مكفّـــنٌ محجـــوب

والرجـــاء الـــذي عـــلاك فـــضاه قـــد تعـــامى وصـــبحه منهـــوب

والأمـــانيُّ كلّهـــا قـــد تبـــدّتْ في فـــؤادٍ توطّنتـــهُ الكـــروب

والمقـــادير محنـــة وشـــقاءُ والرزايـــا ودمعهـــا المـــسكوب

وحـــشةٌ مـــا لهـــا ختـــام وعمـــرُ يتلـــوّى علـــى الـــسراب كئيـــب

كيـــف تطـــوي النـــوى وانـــت شـــقيّ وعليـــك الزمـــان وقـــتٌ مريـــب

وصـــريعٌ تغافـــل القـــبر عنـــه وغريـــب يبكـــي عليـــه غريـــب

كيـــف تـــسري فيـــك الليـــالي وجفـــنٌ راح في هـــذه الـــدموع يـــذوب

كيـــف تجـــري الحيـــاة في خـــافقٍ لَمـــا يـــزل في دمائـــه يـــستريب

وعجيـــب عـــدا الربيـــع يغـــذّي قـــاحلاً ســـوف تغتذيـــه الطيـــوب

أســـناءٌ عليـــك قـــد راح يُلقـــي أم تـــولّى هـــذي الجـــراح طبيـــب

أم ســـقاك الإلـــه فيـــضاً مـــن الحـــب وشـــهداً كأنّـــه شـــؤبوب

مـــا تُـــرى أن يكـــون ســـحراً تغـــالى أم هـــوىً ضـــجّ بالـــدماء يجيـــب

وســـرى فيـــك ضـــوؤه يتمطّـــى فكـــأنّ الـــذي وقـــاك حبيـــب

حـــبُّ آلِ الرســـول فيـــك هيـــام ... ابـــداً قـــد سمـــا عليـــه نـــسيب

فزهـــا في الغـــصون نـــوراً بهيـــاً ... يتحاشـــى ان يحتويـــه مغيـــب

مرحبـــاً بـــالهوى إذا اجتـــاح قلبـــاً ... حجريـــاً وجمـــره مـــشبوب

لـــيس يهـــوى مـــن فيـــه صـــرحٌ عميـــد ... شـــاده الوجـــد والـــسنى واللـــهيب

ومـــصير الخلـــود ان يترقـــى ... لِـــسَنا فـــاطمٍ ومـــا يـــستطيب

هـــذه زهـــرة بهـــا صـــدح الكـــون ... واغفـــت علـــى شـــذاها طيـــوب

اشـــرقت فـــانتمى الـــسناء إليهـــا ... وتبـــاهى ونبعـــه الموهـــوب

فبـــدت غـــرّة الـــصباح بـــوهجٍ ... يـــا لهـــا مـــن براعـــةٍ مـــا تـــصيب

تتملّـــى بوجـــه احمـــدٍ لّمـــا ... بـــشّر الـــروح قلبـــه والرقيـــب

هُتفـــت هـــذه الملائـــك للفجـــر فقـــد حلّهـــا الـــضياء العجيـــب

كـــشفتْ نجمـــةٌ لأخـــرى ســـروراً ... فالـــدياجي مـــن غيّهـــا ســـتثوب

ولقـــد عانقـــت ســـناها الـــصحارى ... فاهتـــدى قلبهـــا وغنّـــى الوجيـــب

وبـــدا نورُهـــا ونـــورُ ابيهـــا ... كنهـــارٍ شموســـه لا تغيـــب

وبميلادهـــا سمـــت رايـــة الـــدين وفـــرّت مـــن العقـــول العيـــوب

وتـــسامت انـــشودةٌ تتغنّـــى ... في شـــفاه الوجـــود وهـــي لعـــوب

انـــتِ ترنيمـــة الأناشـــيد تهفـــو ... انـــتِ روح الخلـــود انـــت اللـــهيب

جُنّـــةٌ انـــت للـــصلاح حماهـــا ... ســـاعدٌ يزدهـــي وصـــوتٌ مهيـــب

وفتـــىً صـــافحت ســـناه الثريّـــا ... والقـــصيّ البعيـــد منـــه قريـــب

يـــا ابنـــة المرســـلين إنّـــا ســـلكنا ... لاحبـــاً صـــدره ســـخيٌّ رحيـــب

وانتهجنـــا مـــن حبّـــه مـــا هـــدانا ... وصـــراطاً عاشـــت عليـــه الـــدروب

فعلـــى عُتمـــة الطريـــق ضـــياءٌ ... وشـــذى نـــاعم وقلـــب طـــروب

مـــذهب الحـــق منهـــل قـــد ســـقانا ... فـــيضَ نـــورٍ وقلبـــه ملـــهوب،

مـــا يبـــالي فقـــد دهتـــه الـــدواهي ... والكـــرى يـــستبيحنا واللغـــوب

وهـــو يرعـــى فينـــا جفونـــاً تعامـــت ... ودمـــاءً قـــد هـــدّها التخريـــب

ايّهـــا العاشـــقون إنّـــا لَنـــصحو ... والـــدجى في عيوننـــا والمغيـــب

قد ركبنا الرياح لكن وصلنا ... لمتيه يضجّ فيه النعيب
نصطلي بالعذاب والدمع فينا ... يتناهى لكنّه مكذوب
وشعاراتٌ حولها تتباكى ... ورؤانا عن ذلها لا تؤوب
فالنعيم الذي عبرنا إليه ... بالأماني مخادع مقلوب
والضياعُ الذي وصلنا إليه ... بعد جهد نعيشه تعذيب
فامنحينا يا مَن لها قد شدا حرفي وغنّى الفؤاد وهو قطوب
من رؤىً تزدهي عليك صلاحاً ... وسلاماً يشدّنا ويطيب
واخذلي الانكسار فينا وبثّي ... في دمانا فيومنا سيثوب
وانطوي يا سياط ما دام نبتي ... جذوره في الدِّما عصيٌّ غضوب
سوف نصحو يوماً وأضغاثنا تُدمى وثأرُ العيون فيها رهيب

ألق المعاني

✍ الشيخ نزار سنبل

قوافي الشعر تسبقني عجالى ... وترقصُ في مخيلتي دلالا
تطير إلى معانقة المعاني ... فتبرز كالسراج إذا تلالا
وشلال الشعور إذا تهادى ... يضيئ لفرحة الهادي احتفالا
فسوسنة الجنان تفوح عطراً ... وتنشر في الدنى أرجاً زلالا
ترانيم الملائك وهي جذلى ... وتغريد الثغور إذا تعالى
تبث الوحي في شفتي شعراً ... وألحاناً تشفُ لها اختيالا
فما غنّت طيور الأيك إلاّ ... لتسكب من فضائلها الخصالا
وما عطرت زهور الروض حُسنا ... تعبَّقُ منه أخيلة ثمالى
وما بزغت خيوط الفجر إلاّ ... ونور الطهر يكسوها الجمالا
أيا زهراء يا ألق المعاني ... ويا فجراً تبلّج واستطالا
ويا إشراقة التأريخ نالت ... بها الأيام أو سمة تلالا
نشرت الهديَ في الآفاق نوراً ... تسلسل في الزمان رؤى جذالا

ويـا نبعـاً تحـفّ بـه ورودٌ ... ويمـلأ كـل جادبـة ظـلالا

ويـا أمّـاً لوالـدها المـصفّى ... وذا سـرّ عرفـت بـه الجـلالا

حملـت العـبء مـن صـغر وناغـت ... علـى كفيـك أنغـام حُبـالى

فتحـت القلـب إذ ضـاقت رحـاب ... فـلا سـهلاً يـضم ولا جبـالا

فرشـت الكـون في عينيـه زهـرا ... وكنـت الأمّ تمنحـه الـدلالا

فـلا عجـب إذا غنّـت سمـاءٌ ... ترتـل مـن مناقبهـا مقـالا

فمـا خلـق الإلـه لهـا مثـيلاً ... ومـا عـرف الزمـان لهـا مثـالا

وكـم انثـى تطـوف إلى المعـالي ... وتـسبق في مـساعيها الرجـالا

يقـول الناصـبي نطقـتَ هجـراً ... وذاك الرافـضي هـذى وغَـالى

وجـرّد مـن ضـغائنه حـساما ... وسـدّد حقـدهُ الغـاوي نبـالا

تخـبّط في الظـلام عمـىً وتيهـاً ... وصـال بفكـره الخـاوي وجـالا

وزمجـر والغـرور لـه سـلاح ... ومـا عـرف القـراع ولا النـزالا

وذنـبي أنـني اهـوى عليّـاً ... وانـي قـد عـشقت بـه الكمـالا

وسـيري في هـدى القـرآن ذنـبٌ ... عظـيمٌ اسـتحق بـه القتـالا

أإيمـاني وتوحيـدي وحبّـي ... لآل البيـت يجعلكـم خبـالى؟!

ألـيس الله كلّلـهم بتـاج ... تقـدّس في الـورى وعـلا وطـالا

فـذي (القربـى) وذي (الإنـسان) تحكـي ... وذي (الـتطهير) تـتحفُهم نـوالا

أحاديـث الرسـول غـدت تـوالى ... وأقـوال الـصحاب بـدت سـجالا

أزيلـوا عـن عيـونكم غـشاها ... فـلا بـدراً تـرون ولا هـلالا

سـأبقى مـا حييـتُ علـى هـداهم ... وانعـمُ في جحـيم الحـب بـالا

فلـي وعـي يـساندُهُ دليـلٌ ... فـلا شـكاً اقـولُ ولا احتمـالا

وان سـدت دروب في وجـوه ... ولكـن الحيـاة لمـن تـوالى

أيـا تفاحـة الفـردوس مـدّي ... إلينـا المجـد نقتطـف الكمـالا

فقـد تهنـا وأُفـق البحـر صـفوٌ ... ولم يـدَع الـضباب لنـا مجـالا

فهبّـي مـن نـسيم الخلـد روحـاً ... لتبعـث مـا يعـزّ لنـا منـالا

جناح النسيم القدسي

✍ أ. يقين البصري

لقاحٌ من الطين مسَّ المدى

جناحاً من النسمَة البارده

وليلٌ يكرر ذاك الصدى

ليوقظ تلك الرؤى الخامده

عيونٌ لها مثل في الزمان

امتدادٌ

يُصاهر كل العصور يحرّك كل

الدماء

وينفض ألفَ جناح يُذيب

الحديد رمالاً

من الثلج تُبحر نحو البعيد

البعيد إلى اللجّة الراكده

أنهم يزرعون نعم انهم

يفتحون الحصون

نعم انهم يطلقون السهام

رصاصاً ليحيى الرماد

ولكنهم عبروا ضفتين بعيداً

عن الشاطئ المستقيم

أقاموا صراطاً ولكنّهم عبّدوه

ابتعاداً عن النص

ابتعاداً عن الطل ابتعاداً عن

النبض زيغاً إلى آخر الحدّ

تحدَّر ذاك الزعيق انسلاخاً

تقطّع أوصاله السافيات وشتى

الرياح استباحت مداه

وتاهت رؤاه وتاه الصدى خائراً

يفتّش كل زوايا الحنين

كذا انسلّ من فوهات السقيفة رحلاً وراحلة في السراب

فكان العذاب

إنها الرحلة العائده

تحاكم أوراقها من جديد

تعلّم أجيالها من جديد

وتطلّ تلك الأكفّ الأسارى

وتُلغي قيود الحدي

ألقٌ غاص به سر الليل فأدرك أنوار العرش وعلّل أسرار الكون

في واحدة من أروع إصغاءات الدمع الضارع لله حنيناً قدسياً

أمّ أبيها تكتب في لوح القدر الكائن عند الله معالم تقواه

رغم لجاج البعض أنّ رسول الله الأعظم بلا ذرية ففاض عطاء الله بهذا الكوثر

جمح البغي الساكن في عرى الصحراء حماقات شنعاء

فاختزنت يس عرىً أقوى من كل عواصف هذا الليل الكالح

فاعشوشب وجه الأرض حنيناً أبديا إذ يهجع أهل الأرض نياماً

في قبرٍ اثقل من نوم الموتى فأين الأعمار من الأسرار

كان العالم يكسوه الزغب النابت فوق جحيم الجهل فانبجست منه عيون الماء

وفار التنور ومن كلٍّ زوجين اثنين وإن قلّ بعينيك العدّ فإن الشانئ أبتر

وحي بارك عزّ الله يديه فانجب الف نبياً في الحسنين وزينب مرقاة القدس

الباسط أجنحةً تحمي وتكابر تقاتل كلّ ذئاب الأرض ولا تحمل خنجر

يا هذا القادم من أوطان التسبيح تفيض قداسات أطهر بل أعبق من إضمامة عطر

الورد وأدفأ من حضن الأم وأصفى من شلالات النور تعال فقد كادت أبواب الليل تُسد

على هذا البعض سعاراً حتى اشرقت الأرض بنور الله فقد وُلدت فاطمة الزهراء

فصلّى الله عليها في عين العرش وبارك احمد

❖ ❖ ❖

خباء النور

أ. يقين البصري

أكمام وردٍ في الثغورِ — أم ومضةُ الألق الطهورِ
أم رعشة بصدى الضمير — تدبُّ عن شلال نور
أم خفقة القلب المقرّح — من جراحات الشعور
أم حشرجات من أسى — من فيض ووالهة الصدور
أوجاع غُصنٍ مرهف — أم وقع سيف في النحور
أم غيمةٌ وطفاء روّى — ماؤها عطش البحور
أم بسمة عذراء غنّتها المنى لحن الطيور
وصدىً على شفة المدى — ينداح عن قمم النسور
وأرومة فوق السما — تطأ العوالم بالحضورِ
ما زال يختزل السُرى — ليطوفَ في فلك الحبور
لأرى الجلال مهللاً — في موكب لجبٍ وقور
يجثو على أعتاب مجدِ محمّدٍ عند النشور
أبشاشة الحزن الطروب — بصولة الأسد الهصور
أرفيف أعلام الهداية — في الصدور وفي الظهور
أم سورة الطوفان — يُغرق كل رابية وسور
ولربّما نكص الخيال — وشطّ في تيه الوعور
جُنّ احتباس الحرف في — قلمي وأعياني قصوري
كيف التماس الوصف في فلك يدور على الدهور
بنت النبي المصطفى — وجنان كل دمٍ غيور
أنضارة الأمل العظيم — وهل لمثلك من نظير
أطلق نداك لمصفر الكف المُكلل بالنذور

❖ ❖ ❖

من فيوضات
السيدة فاطمة الزهراء (ع)

✍ أ. سلمان هادي الطعمة

مولد الزهراء

مرحى بإشراق السنى الوضاء — غمر الحياة برونق وبهاء
وأطل كالالق المنير مرتلا — آياته بالحمد والنعماء
ذكرى تطل عزيزة وكأنها — شمس الضحى تفتر بالاضواء
فبكل قلب نشوة ومسرة — وبكل بيت فرحة للقاء
والشوق يسرج كل قلب هائم — نورا يفيض بعزة قعساء
الليل يوغر بالمسير كأنه — شلال ضوء فاض بالارواء
وتالقت افاق مكة فجأة — بمحاسن الانوار والابهاء
والطير من شوق يزغرد حالما — مثل انهمار الديمة الوطفاء
فاذا القلوب الواجمات ترنحت — سكرى بطيب الجنة الفيحاء
بشرى بفاطمة سليلة أحمد — فخر النساء ونخبة العلياء

❖ ❖ ❖

ما اروع الذكرى تفيض بشاشة — وهوى يفوح كنسمة عذراء!!
هبطت على الدنيا مكارم جمة — بالفضل تعلو هامة الجوزاء
يا بنت خير الأنبياء وموئلا — للعز للتقوى ونبع عطاء
كم من يد لك بالندى مشهودة — تجتاح كل جرائر الدخلاء؟
لك مثلما لمحمد وقفاته — تهدي الورى للشرعة السمحاء
سلبوك ارثاً وهو ملك محمد — (فدك) غدا نهباً الى اللؤماء
وعدا عليك المشركون وإنهم — من ظلمهم جبلوا على الارزاء

أولم تكـــوني قـــدوة لنـــسائنا ومـــلاذ كـــل الانـــس مـــن حـــواء؟

يـــا دوحـــة الـــشرف العظـــيم مـــضيئة ومنـــــارة للهمـــــة الـــــشماء

تاريخـــك الوضـــاء نـــور مـــشرق متـــــألق في الليلـــــة الظلمـــــاء

مـــازال فينـــا ســـاطعا متوهجـــا يجلـــو ظـــلام دجنـــة ســـوداء

ذكـــراك ســـفر للمـــآثر والابـــا يهـــدي الـــورى لمحجـــة غـــراء

مـــيلادك المعطـــار مـــصدر رحمـــة ســـيظل رمـــز مـــودة وإخـــاء

الزهراء أم أبيها

انـــا في هـــوى الزهـــراء دومـــاً اخلـــص وعلـــى مناقبهـــا الكريمـــة احـــرص

يـــا مولـــدا يهـــب الحيـــاة نـــضارة كالـــصبح لا يرجـــى اليـــه تمحـــص

وامتـــد فـــضل مـــن فـــضائل احمـــد يزهـــو لـــه النبـــأ العظـــيم ويـــشخص

والطـــير تـــصدح فـــوق اغـــصان النقـــى بـــاليُمن والنعمـــى غـــدا يترقـــص

يـــا أيهـــا النبـــع المـــضمخ بـــالولا يـــروي العطـــاش ومـــاؤه لا يـــنقص

انـــا والـــه انـــى انطويـــت علـــى التقـــى أسمـــو إليـــه وللفـــواطم اخلـــص

والخطبـــة الغـــراء ذات طـــلاوة ظهـــرت وحـــار بوصـــفها المتخـــصص

جحـــدوا الهـــدى غيـــضاً علـــى فخـــر النـــسا واحيرتـــي ان جئـــت يومـــا افحـــص

كـــم ذا تحملـــت الرزايـــا والأســـى وغـــدا العـــدو ببابهـــا يتربـــص؟

هيهـــات ان ينجـــو عـــدو واتـــر فـــالحق يعلـــو والفريـــسة تقـــنص

في رحاب الزهراء

حـــسبي جـــوى ان ضـــاقت الـــسلوى علـــي انـــال الغايـــة القـــصوى

وأصـــيح فاطمتـــاه مـــن ولـــه كيمـــا أفـــوز بجنـــة المـــاوى

الله جللـــــها وأكرمهـــــا بـــالعلم والإيمـــان والتقـــوى

ايلـــومني في حـــب فاطمـــة مـــن قـــد اطاعـــت ربهـــا نـــضوا؟

إن الـــسماوات العلـــى شـــرفت بطلوعهـــا واستأنـــست حـــوا

كـــرم كمـــا نبـــع الـــزلال لـــه طعـــم لذيـــذ يـــشبه الحلـــوى

قـــال الرســـول بـــأن (فاطمـــة هـــي بـــضعة مـــني) بهـــا نجـــوى

تعنـــو لهـــا الـــسبع الـــشداد كمـــا بنـــت الغـــصون تحلقـــت نـــشوى

إنـــا قـــد فتنـــت بفـــاطم ولكـــم اهفـــو لـــذكراها وكـــم اهـــوى؟

يـــا مـــن لهـــا قيثـــارتي عزفـــت كـــالطير يـــشدو ملـــهما شـــدوا

هـــي رحمـــة جـــاء البـــشير بهـــا للعـــالمين لتمحـــق البلـــوى،

ســـأظل بـــالزهراء مفتتنـــاً كالمـــستهام يـــضج بالـــشكوى

١٩٩٤؛

أم الإمامة

اضـــحى فـــؤادي مـــن هـــواه مفتـــشا واقـــضه شـــوق لمهـــضمة الحـــشا

لله فجـــر كـــاد يزهـــو بهجـــة يحكـــي النـــسيم الغـض والقلـب انتـشى

في يـــوم مولـــد (فـــاطم) قـــد زغـــردت كـــل النـــساء مـــن الـــصباح إلى العـــشا

أو لـــيس قـــول الله جـــل جلالـــه في (هـــل اتـــى) كتمـــان سـر قـــد فـــشا؟

الـــدهر اصـــبح جنـــة بطلوعهـــا وغـــدا المحـــب لوردهـــا متعطـــشا

مـــن مثلـــها في علمهـــا ونوالهـــا كـــالنجم في افـــق المجـــرة عشـــشا

بـــدر يقـــر العـــين يمـــلأ بـــشره دهـــش العـــدو بـــه وطـــأش فأجهـــشا

يـــا حبـــذا يـــوم لدوحـــة فـــاطم ابـــشر فيـــا لـــك مغرســـا او معرشـــا!

ومكانـــة في الـــدين تبهـــر أعينـــا يكفـــي محاســـن فـــضلها أن تبطـــشا

يـــا بنـــت مـــن حمـــل الرســـالة للـــورى عـــبر المـــدى عنهـــا عـــشا مـــن قـــد عـــشا

❖ ❖ ❖

برديات فاطميّة(*)

✍ معروف عبد المجيد (مصر)

المدد الأول:

زهـــراء يـــا أم الأئمـــهْ يـــا امّـــةً في خـــير أمَّـــهْ
يـــا بـــضعة الهـــادي، وصَـــفوته، وفلذتـــه، وامَّـــهْ
وكريمـــة امـــرأة حَـــصَان فاقـــت الـــذُّكْرانَ همَّـــهْ
أفلـــت نجـــوم بنـــات حـــواء، وانـــت طلعـــت نجمـــهْ
تتلألـــئين علـــى الوجـــود، فـــشعّ بعـــد طويـــل عتمـــهْ
وتنافـــسين ســـواك علمـــاً عـــزّ مطلبـــه، وحكمـــهْ
يـــا مـــن وُلـــدْتِ مـــن الكمـــال، فكنـــت ســـيدةً وقمّـــهْ
وخُلقـــت مـــن أجـــل الخلـــود، فكنـــت كنيتـــه وإسمَـــهْ
أعطـــاك ربـــك كـــوثراً للمـــصطفى المبعـــوث رحمَـــهْ
وحبـــاك بعـــلاً مـــن بـــه تمـــت علـــى الـــثقلين نعمَـــهْ
قـــد خـــصك المـــولى بفـــضل أنـــت معدنـــه، وعـــصمَهْ
فحظيـــت منـــه بكلْمـــتين، ومـــريم حظيـــت بكلْمَـــهْ

المدد الثاني:

زهـــراء مُـــدي للغريـــق يـــديك، وانتـــشلي الغريـــقْ
مـــدي يـــديك إلى احتـــشاد الغـــيم وانتزعـــي الـــشروق
انـــا حـــائم حـــولى الحمـــى فقـــد الأحبَّـــة والـــصديق
قـــد كـــان لـــي عـــش، وكنـــت البلبـــل الحـــر الطليـــق
فـــأتى المغـــول مـــع المطـــامع والمقـــامع والحريـــق
جـــاءوا، فبـــاركهم وأكـــرمهم « جنـــاب الجـــاثليق »!
شـــرف يبـــاح وامّـــةٌ تُـــسبى، ودائـــرة تـــضيق
مليـــار يوســـفَ أرهقـــتهم ظلمـــة الجـــب العميـــق
مليـــار هابيـــلٍ بـــلا قـــبر ولا قلـــب شـــفيق
قابيـــلُ يـــشرب في جمـــاجمهم، وأنّـــى يـــستفيق
ويقـــرّب القربـــان للـــشيطان في طبـــق الفـــسوق
يـــا راســـه المنكـــوس خلـــف ســـتائر الـــزمن الـــسحيق

ذب في الفنـــــاء فانـــــه أولى لمـــــن ضـــــل الطريـــــق
ســـبحان مـــن جعـــل الغـــراب أحـــنّ منـــك علـــى الـــشقيقْ!!

المدد الثالث:

فـــارت دمـــاء الـــسبط، يـــا زهـــراء، فـــاعتنقي الـــشهيدْ
الـــف واربعـــةُ مـــئين، وجرحـــه فـــوق الـــصعيد
يـــسقي الطفـــوف بكـــربلاءَ، فتزدهـــي فيهـــا الـــورود
وهـــو الـــذبيح علـــى الفـــرات مـــن الوريـــد إلى الوريـــد
مـــا اقـــبح الأنهـــار إذْ تجـــري علـــى مـــر العهـــود!!
يَظمَـــى ابـــن فاطمـــةٍ، وتلتـــذ البهـــائم والقـــرود
لـــو كنـــتُ نهـــراً، لامتنعـــت مـــدى الزمـــان علـــى الـــورود
ونـــسفت شـــطآني، وأغرقـــت المعـــابر والـــسدود
حزنـــاً علـــى عطـــش القتيـــلِ، ودمعـــةٌ فـــوق الخـــدود
تهمـــي، وتحفـــر فـــوق وجـــه الكـــون تاريخـــاً مجيـــد
يُرضـــي البتـــولَ وتبتـــدي منـــهُ الحـــضارة مـــن جديـــد
ويـــرى الوجـــود بأنـــه مـــن دون وجهـــكَ لا وجـــود
فليبـــق ذكْـــركَ يـــا حـــسينُ، وتنمحـــي ذكـــرى يزيـــدْ

فاطمية:

مـــدد يـــا بنـــت الـــنبي يـــا أم الحـــسن وحـــسين
دا انـــا قـــربكم مطلـــبي لكـــن أنولـــه مـــنين
يـــا حُرقـــة القلـــب لَمـــا ينقـــسم نـــصيّن
دَم الحبايـــب جـــرى ودمـــوعهم الحـــايره..!
يـــا بتعـــة الـــسرّ مِـــدّي ايـــديك للفُقَـــره
دانـــور جمالـــك طهـــر يـــا أجمـــل مـــن القمـــره
مـــدد يـــا بنـــت الـــنبي يـــا فاطمـــه يـــا زهـــره
« الله.. الله.. يـــا بـــدوى جـــاب اليُـــسره »

النص:

يا ليت قلبيَ كان صخرهْ
فمسالك العشاقِ وعرهْ
زهـــراء.. أبهظـــني الغـــرام وهـــدني كمـــداً وحـــسرهَ
فكتمـــت نـــاراً كلمـــا خمـــدت، زكـــت لهبـــاً وجمـــره

ورجوت طه أن يمس الجرح لطفاً منه مرّه..!
وسألت آل محمدٍ مدداً وميسرة ونُصره
وبذلت في إرضائهم ما لا يكاد يُعدّ كثره
وهو القليل بحقهم حتى ولو ضاعفتُ قدره!
يا زهو أرحام النبي، ونسله الباقي، وذكْرَه
يا شمس بيت الوحي، يا إصباحه الزاهي، وفجرَه
يا قبلة المقصود، يا أركان كعبته، وحِجْرَه
أنا طائف بين القواعد والمقام أبرّ نذرَه
دارت به الدنيا، فدار مطوّفاً سبعين دوره!
وسعى إليك ملبياً ومخضباً بالشوق نحره
وأقام في عرفاتَ يزدلف المشاعر والمبرَه
ورمى الجمار مكبّراً ومكسّراً في النفس جمره
ومشى إلى البيت الحرام، محلّقاً في العيد شَعره
وأحلّ من إحرام حج ساغ زمزمه.. وعُمرَه
أدى مناسك حبكم فترقرقت في العين عَبره
يا ويح من عاداكمُ متوليا بالإثم كِبره
فلتت « لحبترَ » بيعة لم يخرجوا منها بعبره
لكنّ « قنفذهم » تقمصها وأولى الناس ظهره
لم يشفه ضلع البتول، فأتبع النكراء فجره!
وأراد كل الدين، أمّته، وسنّته، وذِكره
فإذا اشتفى من هاشم وأصاب سهم الموت سَحْره
عهدوا « لنعثلَ » بعدما حفروا « لذي القرنين » حُفره
صُرفت عن « النبأ العظيم »، ولدغة الثعبان فطره!
حتى إذا قصدته مذعنةً، ملبّيةً، مقرَّه
نكث البغاة، وأعمل الطاغوت حيلته ومكره
كم من مريد عُمرةً لم يرتحل إلا لغدْرَه!

ومشت « أميةُ » في الورى تقضي بما تهوى ويكره
واستقطبوا « شيخ المَضيرة » مغدقين عليه أجره
حدّث « أخا دَوْسٍ »، فانك ذو مخيّلة وخبره

واسلك سبيلاً مُهّدت فمسالك الأمجاد وعره
حدّثْ.. فانّ الأصفر الرنّان لا تعدوه قُدره!
حدّث.. وآتيناك أطياناً، وقفطاناً، وإمره
حدّث.. فما « قصر العقيق » أقلَّ من « قصر المعرّه »..!
حدّث أيا شيخ الرواة، ولا تصن للدين عوره..!
حدّث أيا فأر الحديث! فكله من وحي هرّه!!
حدّث.. فكيسك لا يعي إلا أبو سفيانَ قدره!
حدّث.. فداهية الشآم تحكمت يده بشعره!
دلّسْ..!! فلا حرجٌ إذا بلغت صحاح الزيف عشْره!
ما أعجبَ التاريخ.. يُروَى مسنداً لأبي هريره!!

يا نبتة الروض النديّ، وتُربَةُ الزاكي، وبَذرَهْ
يا نسمة الدوح الوريف، ونبعه الصافي، وعطره
أنا شاعر.. يا كعبتي أهدى لآل البيت شعره
سكرت قوافيه، فكنتم كأسه الصافي وخمره
هو من أحبَّ ذوي الرسول، فَعُدّ هذا الحب وزرهْ!!
وهجاه قوم يحسبون ولاء ذي القربى معرّه!
وقلاه أعراب الزمان، وأعلنوا في الأرض كفره
وكأنهم لم يكفهم أن صادروا في الحقل بُرّه
فتكالبوا ليصادروا حتى عقيدته وفكره
جهلاً بأن مع الفتى حججاً تسدّده وعتره!!

زهراءُ، إني عاشق أبلى بسوح العشق دهرَهْ
ومضى إليكِ مخلّفاً بدداً فصيلته ومصرَه
مهدت أسبابَ الوصال، مودة فيكم... وهجره
أنا مدنف ذاعت له في محفل العشاق شهره
عاقرت فيه سلافتي فغدوت أوحده ووترَه
ورأيت طيفك في المنام، فكنت شامخةً وحُرّه
تتألقين من الجلال، وفي المحيّا الغضّ حُمره
وعليك تاج من كرامات الرسالة فيه دُرّه
ورأيت جنبك أحمداً وابنيْه جنبكما، وصِهرَه

لقــــد اســـتقر الطُّــور بـــي فرأيـــت وجـــه الله جهـــره!!

يـــا بنـــت خـــير المرســـلين، تحـــنني جـــوداً وأُثْـــرَهْ
مُـــضناكِ أنحلـــه الجـــوى وتجـــرع الآلام مُـــرَّه
وبـــراه داء الوجـــد حتـــى شـــفَّ مثـــل غـــشاء زهـــره
ودهتـــه أوصـــاب الحيـــاة، وشـــقّت العـــذال قـــبره
لكنـــه ألـــف العواصـــف والـــسماءَ المكفهـــرّه
وترصّـــد الأنـــواء معتـــدًا ومـــشتدًا كـــصخرَه
ومـــضى يـــؤم المجـــد منتفـــضاً وملتهبـــاً كثـــوره
ويبـــدد الظلمـــاء نجمـــاً بـــث في الأفـــلاك ســـحره
يمـــضي.. ولا يهـــتم أن الـــشيب ســـيف فـــلّ عمـــره
أرزاؤه أخنـــت عليـــه، فأنقـــضت كـــالوزر ظهـــره
وأسَـــفَّت الـــدنيا فلـــم يفقـــد لمـــا أبدتـــه صـــبره
عبـــست، فلـــم يعبـــأ، وجـــرد لليـــالي الـــدهم صـــدره
كـــرّت، فأقبـــل بالمهنّـــد، يَمنـــة يفـــري ويَـــسره
واعتـــزّ، لم يُعـــطِ الدنيَّـــةَ، فانثنـــت لتغـــرّ غـــيرَه!!

زهـــراء.. شـــدّي للفتـــى المحفـــوف بالبأســـاء أزرَهْ
عَـــشرٌ وعـــشر، فوقهـــا عـــشرون، في يُـــسر وعُـــسره
فحفظـــت عهـــداً قـــد عهـــدت علـــى المـــسرّة والمـــضرّه
ونـــذرت قلـــبي للـــهوى وإليـــك قـــد ســـلمت أمـــره
وتـــشيعت لـــكِ مهجـــتي مـــن قطبهـــا حتـــى المجـــرّه
راقـــت رقائقهـــا، فرقـــت، وارتقـــت طـــوبى وســـدره
وتـــضاءلت حتـــى غـــدت في لجـــة الفـــانين قطـــره
فتفتتـــت ذَرًا، وبـــادت ذرةً مـــن بعـــد ذره
بابـــاً تـــراه إلى الـــشفاعة موصـــلا.. قـــصدتك عَـــبره
ولعلـــها تـــدنو إلى وادي المنـــى، وتـــزيح ســـتره
يـــا دفقـــة الحـــب المؤلّـــه، واختلاجتـــه، وســـرَّه
مُنَـــي علـــيَّ بنظـــرة فيهـــا الرضـــا، أو بعـــض نظـــره!!

١٨ - ٤ - ١٩٩٧

شعر الزهراء (ع) في رثاء رسول الله (ص)

✍ علي بن شاكر الموستاوي جابي زاده

هي فاطمة بنت إمام المتقين ورسول رب العالمين إلى الخلق أجمعين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية صلى الله على أبيها ورضي عنها، قال في الإصابة قال ابن جريج قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات رسول الله (ع) وقال صاحب الاستيعاب بعد نقل الاختلاف في أيتّهن أصغر وأكبر والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت الأخبار في ترتيب بنات النبي (ع) إن زينب الأولى ثم الثانية رُقَيَّة ثم الثالثة أم كلثوم ثم الرابعة فاطمة الزهراء (صلى الله على أبيهن ورضي عنهن) والراجح من الأقوال في تاريخ ولادة فاطمة (رض) أنها ولدت سنة بنيت الكعبة والنبي (ع) ابن خمس وثلاثين سنة وتزوجها علي (رض) في أوائل المحرم سنة اثنتين أو في رجب سنة مقدمهم المدينة وبنى بها بعدولها ثماني عشرة سنة وكان سن علي (رض) إحدى وعشرين سنة فولدت له حسناً وحسيناً ومُحَسِّناً وأم كلثوم وزينب ورقية فماتت رقية ولم تبلغ ومات محسن أيضاً صغيراً ولم يتزوج عليها علي (رض) حتى ماتت ولم يبق للنبي (ع) عقب الا من فاطمة (رض) وتوفيت بعد النبي (ع) بستة أشهر في أشهر الروايات وهي أفضل بناته (ع) لقوله (ع) أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ولأن سائرهن مُتن في حياته (ص) فكن في صحيفته ومات (ع) في حياتها فكان في صحيفتها ولا يقدر قدر ذلك إلا الله وقالت عائشة (رض) عنها ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله (ع) من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها كما كانت تصنع هي به (ع).

قالت عائشة (رض) ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها (ص) ويروى أن رسول الله (ع) كان إذا قدم من غروه أو سمر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يأتي فاطمة (رض) ثم يأتي أزواجه وقالت عائشة (رض) كانت أزواج النبي (ص) عنده فأقبلت فاطمة (رض) تمشي فلما رآها قال مرحباً يا بنتي فأجلسها إلى جنبه ثم سارها فبكت بكاءاً شديداً فقلت لها خصك رسول الله (ع) من بيننا بسرفبم تبكين؟ فلما رأى حزنها سارها ثانية فضحكت فلما قام رسول الله (ع) سألتها عما سارها فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله (ع) فلما توفي رسول الله (ع) استخبرتها عنه فقالت حين سارني في الأولى أخبرني أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل عام مرة وأنه قد عارضني العام به مرتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب فأتقي واصبري فإني نعم السلف لك وإنك أول أهلي لحوقاً بي فبكيت لذلك وحين سارني الثانية قال: (ألا ترضين

أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة) والحديث أخرجه الشيخان وتوفيت فاطمة (رض) ليلة الثلاثاء لثلث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت تسع وعشرين سنة وصلى عليها العباس بن عبد المطلب (رض) وقيل إن علياً (رض) صلى عليها . صلى الله على أبيها رسول الله ورضي عنها .

قالت (رض): (من البسيط)

إنّـا فقـدْناك فَقْـدَ الأرض وابلَهـا ... وغـاب مـذ غبـتَ عنّـا الـوَحْيُ والكُتُـبُ

فَليـتَ قَبلـك كـان المـوتُ صـادفَنَا ... لَمّـا نُعيـتَ وحالـت دونـك الكُثُـبُ

قولها إنا فقدناك ...الخ فقد الأرض مفعول مطلق للنوع أي فقداً كفقد الأرض والوابل المطر الكبير القطر وقولها وغاب مذ غبت الخ تريد انقطاع نزول الوحي بعد وفاته (ع) قولها فليت قبلك ...الخ اسم ليت ضمير الشأن المحذوف وخبرها جملة كان الموت صادفنا كما ذكر الرضي وغيره في قول يزيد بن الحكم الثقفي:

فليـت كفافـا كـان خـيرك كلـه ... وشـرك عـني مـا ارتـوى المـاء مرتـو

إن اسم ليت ضمير الشأن المحذوف على رواية خيرك بالرفع وكفافاً خبر كان وجملة كان مع معموليه خبر ليت وكذا ذكروا في قول الآخر:

فليـت دفعـت الهـم عـني سـاعة ... فبتنـا علـى مـا خيلـت نـاعمي بـال

إن اسم ليت ضمير الشأن المحذوف والفعلية بعدها خبرها وقبلك ظرف لصادفنا وقولها لما نعيت على صيغة المجهول المخاطب والنعي الإخبار بالموت وحالت من الحيلولة والكثب بضمتين جمع كثيب وهو التل من الرمل تريد لما ووريت في التراب وتمنيها هذا (رض) عبارة عن إظهار عظيم الخطب وتفاقم المصيبة على ما هو الجاري من عادة المصاب أن يقول يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً .

وفي صحيح البخاري برواية أنس بن مالك (رض) عنه أن النبي (ع) لما دفن قالت فاطمة (رض) [يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله (ع) التراب] قال الفاضل القسطلاني سكت أنس (رض) عنه عن جوابها رعاية للأدب ولسان حاله يقول لم تطب أنفسنا ولكنا قهرنا على فعل ذلك امتثالاً لأمر النبي (ع) انتهى.

وقد عاشت فاطمة (رض) بعد رسول الله (ع) ستة أشهر فما ضحكت في تلك المدة وحق لها ذلك، قال الإمام السهيلي وقد كان موته (ع) خطباً كالحاً ورزءاً في الإسلام فادحاً كادت تهد له الجبال وترجف الأرض وتكسف النيران لانقطاع خبر السماء مع ما آذن به موته (ع) من إقبال الفتن السُّحْم والحوادث الدهم والكرب المدلهِمّة فلولا ما أنزل الله من السكينة على المؤمنين وأسرج في قلوبهم من نور اليقين وشرح صدروهم من فهم كتابه المبين لانقصمت الظهور وضاقت من الكرب الصدور ولعاقهم الجزع عن تدبير

الأمور ولقد كان من قدم المدينة يومئذ من الناس إذا أشرفوا عليها سمعوا لأهلها ضجيجاً وللبكاء في أرجائها عجيجاً وحق ذلك لهم ولمن بعدهم كما روي عن أبي ذؤيب الهذلي رحمه الله تعالى قال بلغنا أن رسول الله (ع) عليل فاستشعرنا حزناً وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فظللت أقاسي طولها حتى إذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول:

خطب أجل أناخ بالإسلام	بين النخيل ومعقد الآطام
قُبض النبي محمد فعيوننا	تهمي الدموع عليه بالتسجام

قال فوثبت من نومي فزعاً فلم أر إلا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحاً يكون في العرب وعلمت أن النبي (ع) قد قبض فركبت ناقتي وسرت فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج فقلت مه فقالوا قبض رسول الله (ع) فجئت المسجد فوجدته خالياً فأتيت رسول الله (ع) فوجدت بابه مرتجاً وقيل هو مسجى قد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل في ثقيفة بني ساعدة فجئتهم فتكلم أبو بكر (رض) فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ومد يده فبايعوه ورجع فرجعت معه فشهدت الصلاة على النبي (ع) ودفنه انتهى كلام السهيلي.

وهذان البيتان لفاطمة (رض) مسطوران في العقد الفريد لابن عبد ربه ومنه كتبتهما، قال: **فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله على أبيها ورضي عنها.**

بعد وفاة والدها رسول الله (ص):

قد كان بعدك أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ	لو كنتَ شاهِدَها لم تَكْثُرِ الخُطَبُ
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها	فاختَلَّ قومُك فاشهدهم ولا تَغِبُ

الأنباء جمع نبأ وهو الخبر أو العظيم منه والهنبثة كدحرجة واحدة الهنابث وهي الأمور الشديدة والهنبثة الاختلاط في القول والنون زائدة كذا في النهاية.

وقولها لو كنت شاهدها، أي حاضرها والخطب جمع خطبة، وقولها فاختل قومك تريد ما وقع بينهم من الاختلاف في بعض الأمور المعروفة، وقولها ولا تغب بالرفع للقافية. وهذان البيتان لفاطمة (رض) مسطوران في النهاية لابن الأثير ومنها كتبتهما وقال في لسان العرب بعد عزوهما إلى فاطمة (رض) وقد ورد هذا الشعر في حديث آخر قال لما قبض النبي (ص) خرجت صفية تلمع بثوبها وتقول البيتين انتهى يقال لمع بثوبه وألمع به إذا رفعه وحركه ليراه غيره فيجيء إليه.

